تهذيب الكامل

فى اللغة والأدب

عمل

السباعي بيومي

المتخرج فى مدرسة دار العلوم

الجزء الاول في المنثور

قال العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن كتاب الكامل ما نصه « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهى « كتاب الكامل للمبرد » وأدب الكاتب لابن قتيبة . وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه »

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م ﴾

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

---

(١) كل عنوان أمامه رقم يكون أبو العباس قد استطرد فيه الى ما ينبغى التنبيه عليه ولذا رأينا بيان هذا المستطرد اليه أمام رقم يماثل الرقم المذكور بهامش الفهرس .

(٢) فضائل قريش ومكة والبيت الحرام .

(٣) مادة نضد . النسبة الى أذربيجان . شرح الأمثال « مرعى ولا كالسعدان ، فتى ولا كمالك ، ماء ولا كصداء » مدحة أبي على البصير لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وآله .

(٤) تخفيف الهمز . شيء عن الردة ومنع الزكاة . شعر الحطيئة وقيس بن

(١) مادة سام . صرف حسان ومنعه هجو شاعر لبنى غامد . مادة اسف . التقاء الساكنين فى الشعر .

(٢) قوله لبناته واحدى نسائه فى مرض موته . تعزية رجل من ثقيف وابن همام السلولى ليزيد ابنه فيه مع تهنئته بالخلافة .

(٣) سرعة الجواب على البديهة من قيس العنبرى لعثمان ومن سيدنا على لقائل . عاصم فى ذلك . ابدال الظاهر من المضمر . المنصوب على الاختصاص

(٤) محاورة بينه وبين أعرابى من أزد شنوأة أثناء هذه الخطبة .

(١) كلمة لاع والقلب المكانى فى اسم الفاعل منها .

(٢) فَعول بمعنى فاعل وبمعنى مفعول . قول ورقة بن نوفل عن رسول الله وقد بلغه خطبته لخديجة بنت خويلد

(٣) أخذ النفاق من نافقاء اليربوع وأسماء جحرة اليربوع . رثاء ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير

(٤) ارسال الحجاج عرار بن عرار برأس ابن الاشعث الى عبد الملك وما كان بين عبد الملك وعرار فى ذلك . شهامة عبدالملك وتعففه عن النساء فى الحرب . كتاب ابن الاشعث قبيل قتله الى عبدالملك ورد عبدالملك عليه . مادة بهر . زجر الخيل . مراكب النساء وأول من اتخذ المحامل . تفسير القرء . لو ولولا واستعمالهما . فصاحة يحيى بن يعمر ولحن الحجاج ويزيد بن المهلب . مواضع تثنية لفظ التأنيث دون لفظ التذكير .

(٥) حكمة لعلى فى هذا المعنى . حديث لرسول الله فيه أيضا . معانى الكلمات دُوار ، دُوّار ، دَوّار .

(٦) المثل « عش ولا تغتر » وتوافق خاطرين فى استعماله .

(١) نعى عمر على معاوية تشاغله عن الناس بالحمامات . حكم الالف المقصورة فى التثنية وخروج مالاواحد له من لفظه عن القياس

(٢) بعض ماقيل فى المعنى « ليس من المروءة استمراء المعذرة »

(٣) حكم وأمثال وردت فى معناها للحسن ورسول الله وابن السماك وأويس القرنى وبعض العرب . تفسير مادة وغل

(٤) حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه . حكم الواو والياء قبل تاء التأنيث.

باب الكتب والعهود والرسائل

(١) امتناع أسماء الاستفهام من أن يعمل فيها ماقبلها

(٢) أبيات للخنساء فى التأسى . مثل الحق والباطل . أشعار مأثورة فى معنى «ان التخلق يأتى دونه الخلق»

(٣) أمثال كثيرة فى معنى «تجاوز الامر قدره» أبيات فى الصيد للوليد

ابن يزيد بن عبد الملك ومعاتبة بين على وعثمان

(١) أبيات تمثل بها معاوية فى توقع الغلب على على . أبيات لابن جعيل ذيل بها معاوية كتابه الى على . أبيات للنجاشى ذيل بها على رده على معاوية . العطف على منصوب ان ونحوها بالنصب والرفع . معانى الكلمات الدين ، الشؤون ، الهوى والهواء . اعراب التركيب «ما أنت وكذا» وما يشبهه

باب الحكم والامثال والجوامع

أولا — جوامع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الفزع ووجها استعماله فى كلام العرب . قولهم قرع لهذا الامر ظنبوبه

(٢) السميدع . الثرة والثرثارة . مادة فهق واستعمالها على الحقيقة والمجاز

الصفحة	الموضوع	العنوان
		ثانيا — فى الادب والعقل
٥٥	١	عن بعض الحكماء
٥٥	٢	قول مأثور
٥٥	٣	عن بعض الحكماء
٥٥	٤	بين عمرو بن العاص ودهقان نهر تيرى
٥٥	٥	بين عبد الملك بن مروان ورجل أراد أن يسر اليه أمرا
٥٥	٦	عن بزرجمهر
٥٥	٧	قول مأثور
٥٥	٨	عن عمر بن الخطاب (١)
٥٦	٩	بين بعض الملوك وبعض وزرائه وقد أراد محنته
٥٦	١٠	عن أحد ملوك العجم
٥٦	١١	عن أزدشير
٥٦	١٢	عن محمد بن على بن عبد الله بن العباس
٥٦	١٣	عن محمد بن على بن الحسين بن على
٥٦	١٤	عن هند بنت المهلب
٥٦	١٥	عن هند بنت عتبة
		ثالثا — فى الحلم والعفو
٥٦	١	عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٦	٢	عنه أيضا (٢)
٥٧	٣	عن معاوية
٥٧	٤	بين معاوية وابنة قرظة وقد كلمته فى رجال كانوا عنده أغلظوا له فى الجواب
٥٧	٥	عن على بن أبى طالب

(١) ماكان يفعله شعبة بن الحجاج أو سماك بن حرب اذا كانت له الى أمير حاجة

(٢) الكفء ومرادفه . بين الفرزدق ورجل من الحبطات تزوج فى بنى دارم .

---

(١) أجود العرب وشاعرها وفارسها . قول ابن العباس لبعض اليمانية .

(٢) قولهم لاتحكم حكم الصبى بأهله .

(٣) شعر الشماخ الذى ارتفع به عرابة مع شرحه وذكر ما أخذ عليه فيه وسبب قوله اياه

(٤) مدحة دعبل الخزاعى لمعاذ بن جبل ونسبته الى السؤدد ومعه أحاديث كثيرة لمناسبات

الصفحة	الموضوع	العنوان	
		خامسا — فى حسن الخلق	
٦٢	١	عن الاحنف بن قيس	
٦٢	٢	عنه أيضا	
٦٢	٣	عنه أيضا	(١)
٦٣	٤	عن أسماء بن خارجة	
٦٤	٥	عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة	(٢)
		سادسا — فى المجالس	
٦٤	١	عن ادريس الخولانى	
٦٤	٢	عن الاحنف بن قيس	(٣)
٦٤	٣	عن المهلب بن أبى صفرة	
٦٤	٤	عن لقمان الحكيم	
٦٥	٥	عن وهب بن منبه	
٦٥	٦	عن ابن عباس	
٦٥	٧	اكرام القعقاع بن شور لجلسائه وشهرته بذلك	(٤)

(١) الجدا والجداء مدحة خفاف بن ندبة لابى بكر الصديق . حديث رؤبة فى وصف أكلة أكلها . أسماء الزق . مافعلت هند بأبى سفيان اذ دخل عليها مسلما . أسماء السحاب اذا ركب بعضه بعضا

(٢) اللف والنشر المرتب

(٣) ابدال التاء من المعتل فى الافتعال وغيره

(٤) مدح شاعر له . هجو آخر لقوم من بنى مخزوم أساءوا عشرته وضربه المثل بالقعقاع وفيه هجو أبى جهل . بين الاحوص ورجل من بنى مخزوم وفيه هجوه أبا جهل أيضا . هجو الاخطل للانصار — وعمل النعمان بن بشير مع معاوية فى هـذا . قول الاحنف بن قيس فى محافظة العرب

على قوميتها وشرحه شرحا تضمن حكما كثيرة تتفق معه

(١) حكمة حكيم وقول للمهلب وشعر لآخر ولزهير ولرؤبة ولآخر ولاشجع بن منصور فيما يتفق وقول الطائى . مضرب المثل « أينما أذهب ألق سعدا »

---

(١) حكم فاء المثال فى المضارع

(٢) ذكر معه بيت للنابغة الجعدى وآخر لاعرابى وأبيات لبعض الفتاك

باب النوادر والاخبار والحوادث

وفيه تسعة فصول

الفصل الاول فى الخوارج وهو أربع نبذ

الاولى فى خلافة على كرم الله وجهه

---

(١) تفسير الضفضى وأبيات جرير فى مدح الحكم بن أيوب الثقفى

(٢) بين عمر وأعرابى أصاب فى الحرم وحكم ذلك شرعا . رأى واصل بن عطاء فى عقيدة بشار بن برد وهجو بشار له . فصاحة واصل واجتنابه الراء على كثرة دورانها . النسب الى حروراء . أبيات للصلتان العبدى فى الخوارج وفيها أبيات حكيمة

(٣) الرأى الدبرى والرأى المبيت .

(٤) خطبة للمستورد التميمي فى الخوارج ليتجمعوا

(٥) زيادة كلمة أو حذف كلمة فى الشعر . تلقيب على بأبى تراب وسببه ثم تلقيبه

(١) جواب الحسن لمعاوية وقد طلب منه أن يتولى قتال الخوارج

(٢) حكم المستورد التميمى ووصاياه وأبيات للعباس بن الاحنف فى معنى بعضها

(٣) استعمال العرب كلمة لا أبالك واستعمالهم ذو بمعنى الذى وشرح ذلك

(١) سبب هذه التسمية وارجاع النسب فيها الى قواعده المعروفة. رمى بعض الشعراء لهذه الفرق بالضلال

(٢) تفسير كثير من آى القرآن مع الاستشهاد على معانى المفردات بفصيح اللغة والشعر

(٣) مراثى الخوارج لابن الازرق ومن قتل معه وذكر مدعى قتله وخبره مع امرأة . شعر قطرى فى يوم دولاب . حكم فُعَل وحكم الاسم المنقول من الاعجمية من حيث الصرف وعدمه . اختصاص أدوات الشرط بالافعال .

(٤) بعض ماقيل من الشعر فى حارثة بن بدر هجوا أومدحا . رعد وأرعد .

(١) كتاب المصعب الى المغيرة بن المهلب بتوليته مكان ابيه . الكلام على لام الاستغاثة ولام الاضافة بسعة واطالة .

(٢) قتل عمر بن عبيد الله فى هذه الوقائع وعمل أبيه بعد قتله ثم كتابه الى مصعب بهزيمته لهم واستشهاد ابنه هذا

(٣) فرار حوشب بن يزيد عن أبيه وأمه وتعيير الشعراء له بذلك مع ضرب المثل بشهامة عيسى بن مصعب الذى قتل بين يدى أبيه بعد

(٤) بعض أشعار فى ذلك . حكم عين الثلاثى المضعف . حكم الاسم الاعجمى اذا سمى به . أحوال لولا .

(١) قتل الحارث بن عميرة الهمدانى للزبير بن على ومدحة الاعشى له فى ذلك

(٢) كلمة عن فيروز حصين وما كان بينه و بين الحجاج .

(٣) قتل الخوارج لابنة المنذر بن الجارود زوج خالد بعد سبيهم لها . بعض ماقيل شعرا فى تعييل رأى خالد لتوليته أخاه وترك المهلب . عمر القنا مع ابن عمه وقد فر بزوجيه . القلب المكانى . حذف نون من . كتاب عبد الملك الى خالد بعزله

(٤) كتاب عبد الملك الى أخيه بشر بتوليته المهلب قتال الخوارج

(١) أشعار الصلت بن مرة الخارجى فى اختلاف الخوارج وتحرقه على ذلك

(٢) كتاب من الحجاج الى قطرى ثم رد قطرى عليه . آخر منه الى المهلب ورد المهلب عليه . خطبة لعبد ربه فى قومه

(٣) تفقد المهلب لجيشه ومعرفته أنساب الشعراء بشعرهم . تعيير بعض الشعراء لرسل الحجاج بالجبن . خطبة أخرى لعبد ربه

(٤) فراسة المهلب فى كشف دسيسة للخوارج وجهوا لقتله وقتله اياهم . كتاب المهلب الى الحجاج بانقضاء أمر القوم ورد الحجاج عليه

(٥) بنو المهلب وفروسيتهم . مدائح الشعراء للمهلب . مايضاف الى الافعال من أسماء الزمان وغيرها .

(١) تخفيف المشدد فى الشعر . السوى والسواء ومعانيهما . مصرع زيد بن على وابراهيم بن محمد . أولاد درزة وابن فرتنى و بنو غبراء

(٢) تأييد بعض الشعراء لبنى العباس دون العلويين بأن الوراثة لبنى الاعمام لا بنى البنات

---

(١) رؤيا حسان النبطى الحجاج وخوفه منه فى نومه . الجحاف بن حكيم والاخطل فى مجلس عبد الملك .

(٢) معها مثلها من الحجاج الى الوليد بن عبد الملك .

(٣) تعريف الكلام غير الجارى على نظم واحد . تحريك الساكن أو نقل حركة الاعراب عليه فى الشعر . الجهارة فى الصوت وعدم التماوت فى الاقوال والافعال وحكايات فى ذلك .

(٤) قتل ابن المنذر بن الجارود لعمر بن يزيد الاسدى وعمل هشام بن عبد الملك فى ذلك مع ذكر كلمة عن سؤدد عمر ورثاء الفرزدق له .

(٥) ابو دلامة يداعب المنصور وهو فى جنازة بنت عم له .

---

(١) وضع المصدر موضع اسمى الفاعل والمفعول ومجيئه على وزنهما ثم حلولهما محله .

(٢) ألقاب المكانى وكثرته

---

(١) الاشتغال وأحكامه

(٢) مدح الشماخ لعرابة بن أوس ومدح ابن قيس الرقيات لعبد الله بن جعفر ولعبد الملك بن مروان ثم مدح موسى شهوات لحمزة بن عبد الله بن الزبير

---

(١) تفسير الفل وذكر الخبر فى تقول الحجاج بن علاط السلمى على قريش حتى أخذ أمواله بمشورة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) وصف عمرو بن العاص خروج الروح ذكر استعمال العرب للفعلين فاظ وفاض فى معنى مات

(٣) ماكان مبلغ بر ابنه به

(٤) رثاء الفرزدق له

(١) مقتل ربيعة بن مكدم وما قيل فى ذلك . الاقواء فى الشعر وأبيات لليلى الاخيلية فى توبة بن حمير

(٢) كتاب عمر بن عبد العزيز الى والى الكوفة فى ذلك أو فى عدم الاستعانة بأحد من آل أبى موسى جد بلال

(٣) الجملة المحكية قولهم . أطرق كرا ان النعام فى القرى . تحويل المخاطبة . حذف المبتدا والفعل . ما ورد فى المعنى « يغضى حياء ويغضى من مهابته » ما يجمع من فاعل على فواعل

(٤) حكم وأبيات مأثورة فى التصبر والتجلد . رثاء العتبى لابنه وما أخذ حبيب من هذا الرثاء

(١) بين خالد وسليمان بن على وبينه وبين الفرزدق . أخذ الحيطة قبل الكلام.

(٢) أنفة عقيل بن علفة ورده تزويج الهجناء من أولاد عبد الملك وكذا رده ابراهيم بن هشام . خطبة ابراهيم هذا حفصة بنت عمران وما كان يقوله فى أخيها لذلك . جميل العذرى وجميل الجمحى . لهو العظماء بالشعر اذا خلوا . قتل جميل الجمحى لأخى أبى خراش وقول أبى خراش فى ذلك.

---

(١) أكرم الناس رديفا وأشرفهم حليفا . هجو عيينة بن حصن لولد يعصر وحطة منزلتهم فى العرب

(٢) بين معاوية واعرابى وبينه وبين الاحنف بن قيس فى الكذب .

(٣) أبواب الثلاثى المجرد وضوابطها

(٢) معنى التمزين والخلاف فيه

(١) حكم واو المثال فى المضارع

(٢) نخلة مالك بن العجلان وجد أبى جبلة الملك لها . رأى المهلب بن أبى صفرة فى أشجع الناس

(٣) وصاة رجل من بنى ضبة لبنى تميم بصلة الرحم

(٤) بعض ألوان الاطعمة . جرير وجاريته والفرزدق . فرسان العرب ونعى الرواة عليهم سقطاتهم

(٥) بين الكلبي وخالد القسرى عن أبيه فى التقوى وغيرها . عقيلة أبى خالد.

عن رسول الله وعلى فى التقوى .

(١) عهد على فى هذا الوقف . كتاب معاوية الى والى المدينة أن يخطب أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر من ابنه يزيد وتزويج الحسين لها من ابن عمها ومنحها البغيبغات مهرا ومكثها فى أيدى بنيها حتى ردها المأمون الى الوقف وعوضهم منها .

(٢) حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التواضع .

(٣) معايب النطق وشرحها بتوسع . الموازنة بين اليزيدين . حاجة اللسان الى التمرين . أفصح العرب . يوم الخندمة وما قيل فيه . المرتضخون لكنات أعجمية

(٤) أيد محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير . طول قيس بن سعد ووصفه له

. شجاعتــه وجوده . كتاب معاويه اليــه وشهامتــه فى الرد عليه . الموصوفون بالطول والجمال

(١) العير والنفير وأصل المثل «لافى العير ولافى النفير» نفى رسول الله للحكم ابن أبى العاصى ورد عثمان له

(٢) استعمال العرب الطيب الا فى الصيد والحرب . ابنــة هانئ بن قبيصة ووصفها ازوجيها

(٣) وصف الازواج . أنواع الماشية ووصف كل . صيغه فُعل فى الجمع صحيحة ومعتله . قلب الواو والياء ألفا . تمثل الحجاج فى المهلب . الاستعمال المجازى للصمم والعمى والبكم . المثل «أحمق من راعى ضأن ثمانين» . من لاينبغى أن يشاوروا

(٤) سعيد بن العاصى فى عظمته وكبريائه

(٥) قولهم ألقى فى روعه وما فى معناه

(٦) منزلة بنى دارم فى العرب معنى شام ومدح على بن جبلة للحسن بن سهل .

(١) نساء الحجاج بن يوسف ونزول ليلى على احداهن

(٢) أشعار الفرزدق فى تعزيته الحجاج عن ابنه وأخيه . اعراب جمع المذكر السالم وملحقاته وكيفيه النسب اليه .

(٣) كتاب الحجاج الى الوليد فى مال أخيه محمد بن يوسف ورد الوليد عليه ثم كتابه الى عبد الملك فى عطسة . رأى معاويه فى الخديعة

(٤) مالا يجوز من الساكنين فى الشعر .

(٥) بين الحجاج ورجل من الخوارج . بن عمر بن الخطاب وأبى مريم الحنفى وذكر كلمة عنه وعن أبى مريم السلولى

(٦) عظيما القريتين وتفسير قول الله فيهما . رقى ورقَ ورقاً

﴿ بيان ما لم يلحق بباب مما ورد فى هذا الجزء تابعاً لغيره ﴾

. وهو لا يكاد يجاوز الشذرات النحوية والصرفية واللغوية .

﴿ انتهى ﴾

صواب ماوقع فى هذا الجزء من خطأ مطبعى

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	٢٥	راه	رواه	١٠٢	١١	« بياض »	٨
١٢	٣	أحدا	أحدكما	١٢٣	٤	ابن	أبي
١٢	١٦	ألا	لا	١٢٣	١٦	واحدهما	واحدها
١٣	٢	الخوائيم	الخواتيم	١٢٦	٢٢	فزادة	فزارة
١٤	٦	فهجاء	فهجاه	١٢٨	٢٤	انشاء	ان شاء
١٦	٢٢	فقان	فقال	١٦٠	١١	نجرن	نجران
٣٥	١٤	أس	آس	١٦٣	٢٢	فسيعملون	فسيعلمون
٤١	٧	كرأ	قرأ	١٦٥	١٣	فصرت	فسرت
٤٢	٧	فلذلك استهلت	فلذلك يقال استهلت	١٦٩	١	عل	على
				١٧٩	١٢	المربع	المرتع
٤٣	٨	الهزلى	الهذلى	١٨٠	١	فانما	فانى
٥٢	٤	مستظر	مستظهر	١٨٢	٢٠	الطبرسى	الطبرى
٦١	٢	مل	من	١٨٧	١٦	فعدنان	فعدنانى
٧٠	٢٢	فاستأذنى	فاستأدنى	٢٠٢	١٤	يتحنى	ينحنى
٧٢	٢٢	أبى الموت	أبالموت	٢١٢	١٧	أطواه	أطواء
٧٢	٢٤	مسروع	مصروع	٢٦٥	٥	« بياض »	٦
٧٥	٣	وانتض	وانتضى	٢٧٥	١٤	ين	ابن
٧٨	٧	وان يجورا	وان يحورا	٢٨١	٢	النيهان	التيهان
٨٠	١٨	يقلب	يغلب	٢٨١	٢٣	اهجمهم	اهجهم
٨٥	١٧	على	على	٢٨٥	١٣	تأخذه	تأخذ
٨٩	١٠	الىّ	الى	٢٨٩	١٧	احسنست	أحسنت
٩١	١٣	طبّ	طبّ	٣١٦	١٣	يا أمير المؤمنين	والله يا أمير المؤمنين
٩٥	١٦	قطيفة بن	قطيعة من				

تهذيب الكامل

فى اللغة والأدب

عمل

السباعي بيومي

المتخرج فى مدرسة دار العلوم

الجزء الاول فى المنثور

قال العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن كتاب الكامل مانصه « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهى « كتاب الكامل للمبرد » وأدب الكاتب لابن قتيبة . وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابى على القالى البغدادى . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه »

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م ﴾

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد قرأت فى كثير من كتب الأدب ودواوين اللغة فعلمت ما يعلمه كل قارئ فيها أن كتاب الكامل لأبى العباس محمد بن يزيد المبرّد من أغزرها مادة وأجلها نفعا وأكثرها شرحاً لنفسه بنفسه غير أنه قدر صدر عن مؤلفه خالياً من فهرس يرشد القارئ الى مراميه ومختلطا بعضه ببعض اختلاطا يبعد الاستفادة ويقرب السآمة فجاء أشبه شئ بعقد خانه سلكه فانتثرت جواهره انتثارا ذهب بجميل رُوائها وان لم يشن بنفاستها لذا رأيت من زمن مضى أن أجعله سُلوانتى وقت فراغى حتى أرده الى أبواب مرتبة يحوى كل منها طائفة متناسبة من أنواع الكلام وضروب القول غير تارك منه شيئا دون المام به ولا مغير فى جوهر عبارته حرفا ولا فاصل ما ورد بطريق الاستطراد لقرابة قريبة عما ورد معه (١) هذا الى اخراج ما به من تعليقات لابى الحسن عن الصلب الى الهامش مع بعض زيادات لى . وقد وفقت بسداد من الله الى ما أردت وتم ذلك فى كتاب دعوته « تهذيب الكامل فى اللغة والأدب » وأخرجته فى جزأين يشمل أحدهما ماورد فى جزأى الاصل من منثور وفيه أربعة أبواب باب الخطب والوصايا والمواعظ وباب الكتب والعهود والرسائل وباب الحكم والأمثال والجوامع ثم باب النوادر والاخبار والحوادث وبخاصة أخبار الخوارج مرتبة ترتيبا يقرب فهمه ويسهل تناوله ، ويشمل الآخر ما ورد فيهما من منظوم وفيه ستة أبواب وذيل باب التشبيه والوصف وباب الغزل والشوق وباب الحماسة

---

(١) ولذلك كملنا فهرس كل باب بما ورد منه تابعاً بطريق الاستطراد مع ابقائه مكانه السباعى

والفخر وباب المدح والهجاء وباب التأبين والرثاء ثم باب الادب والحكمة . أما الذيل فقد أودعته من أبواب الاصل كل باب جمع أمرين أحدهما عدم تمشيه مع التهذيب كما تمشى بعض الابواب لتنوع أغراضه والثانى عدم قبوله توزيع مختاراته كما هى الحال فى معظم الابواب لجامعة أرادها أبو العباس وقد كان ذاك فى أربعة من أبواب الاصل أحدها فى أشعار مختارة من أشعار المولدين الحكيمة المستحسنة التى يحتاج اليها للتمثل لأنها أشكل بالدهر ويستعار من ألفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب وثانيها فى مقطّعات مختارة لجودة مبانيها وحلاوة معانيها وحسن اختصارها وثالثها فى طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الامثال ومأثور الاخبار والرابع باب جامع ذكر فيه أبو العباس من كل شيء شيئا

هذا ما اليه قصدت فى الترتيب والتهذيب عدا أشياء أخر وما أكثرها فى تنسيق كل باب على حدته قد عهدت بالتوقيف عليها الى كل عارف بالكامل ومطلع على فهرس تهذيبه وها هو ذا الكتاب مصدراً بمقدمة أصله وتاليا بعضه بعضاً على حسب ما ذكرت آنفا وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

السباعى بيومى

مقدمة الأصل[1]

الحمد لله حمدا كثيراً يبلغ رضاه ويوجب مزيده ويجير من سخطه وصلى الله على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلاة تامة زاكية تؤدى حقه وتزلفه عند ربه قال أبو العباس هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام

(١) مكتوب بالاصل قبل هذه المقدمة . بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر قال حدثنا أبو الحسن على بن سليمان الاخفش قراءة عليه قال قرئ لى هذا الكتاب على ابى العباس محمد بن يزيد المبرد .

السباعى

منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة والنية فيه أن تفسر كل ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحاً شافياً حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً وعن أن يرجع الى أحد فى تفسيره مستغنياً وبالله التوفيق والحول والقوة واليه مفزعنا فى درك كل طلبة والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد برضاه وقول صادق يرفعه عمل صالح انه على كل شيء قدير

« باب الخطب والوصايا والمواعظ »

١ خطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تزوجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها فقال . الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراماً وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح عليه براً وفضلا وكرماً وعقلا ومجداً ونبلا (١) وان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلى

وهذه الخطبة من أقصد خطب الجاهلية وكان يقال يكفيك من قريش أنها أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسباً ومن بيت الله بيتاً ويقال ان دار أسد بن عبد العزى كان يقال لها رضيع الكعبة وذلك أنها كانت تفىء عليها الكعبة صباحاً وتفىء على الكعبة عشياً وان كان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمى بنعله فى منزله فتصلح له فاذا عاد فى الطواف رمى بها اليه وفى ذلك يقول القائل

لهاشم وزهير فضل مكرمة ... بحيث حلت نجوم الكبش والاسد

---

(١) موقع من بعد محمد موقع أخبار لا صفات بدليل العطف فى قوله وله فى خديجة السباعى

مجاور البيت والاركان بيتهما ... مادونهم فى جوار البيت من أحد

وقال آخر .

سمين قريش مانع منك لحمه ... وغث قريش حيث كان سمين

وقال آخر .

واذا ما أصبته من قريش ... هاشمياً أصبت قصد الطريق

وقال حرب بن أمية لأبى مطر الحضرمى يدعوه الى حلفه و نزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح ... فتكنف كالندامى من قريش

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم ... أبا مطر هديت لخير عيش

وتسكن بلدة عزت قديماً ... وتأمن أن يزورك رب جيش

وصلاح اسم من أسماء مكة وكانت مكة بلدا لقاحا واللقاح الذى ليس فى سلطان ملك وكانت لا تغزى تعظيما لها حتى كان أمر الفجار وانما سمى الفجار لفجورهم اذ قاتلوا فى الحرم

٢ وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم فان العبد بين مخافتين أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه وأجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار .

٣ ومن وصاياه عليه الصلاة والسلام اجتنبوا القعود على الطرقات الا أن تضمنوا أربعا رد السلام وغض الابصار وارشاد الضال وعون الضعيف (١)

٤ ومما يؤثر من الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب (٢) رضى الله عنه فى

(١) الكتاب مفعم بكلامه صلى الله عليه وسلم مزين بأقواله فى مواضع زينة السماء الدنيا بالكواكب السباعى (٢) قال أبو الحسن قد روينا هذه الخطبة التى عزاها الى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح اه وأقول ولهذا أوردتها مع كلام أبى بكر فى التهذيب السباعى

أول خطبة خطبها حدثنا العتبي قال لم أر أقل منها فى اللفظ ولا أكثر فى المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انه والله مافيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه ثم نزل . وانما حسن هذا القول مع مايستحقه من قبل الاختيار بما عضده به من الفعل المشاكل له .

٥ ومما يؤثر من حكيم الاخبار وبارع الآداب ما حدثنا به عن عبد الرحمن ابن عوف وهو أنه قال دخلت يوماً على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى علته التى مات فيها فقلت له أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما انى على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجعى نى وليت أموركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم أنفه أن يكون له الامر من دونه والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربىّ كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والذى نفسى بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ياهادى الطريق جرت انما هو والله الفجر أو البُجر فقلت خفض عليك ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يهيضك الى ما بك فوالله مازلت صالحا مصلحاً لا تأسى على شيء فاتك من أمر الدنيا ولقد تخليت بالامر وحدك فما رأيت الا خيرا .

قوله نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهى الوسادة وما ينضد من المتاع قال الراجز .

وقربت خدامها الوسائدا حتى اذا ما علوا النضائدا سبحت ربى قائما وقاعدا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد والمعنى واحد وانما هو ما نضد فى البيت من متاع قال النابغة ورفعته الى السجفين فالنضـد . ويقال نضدت المتاع اذا ضممت بعضه الى بعض فهذا أصله قال الله تبارك وتعالى (لها طلع نضيد) وقال الله عز وجل (فى سدر مخضود وطلح منضود) ويقال نضدت اللبن على الميت وقوله على الصوف الاذربى فهذا منسوب الى أذربيجان وكذلك تقول العرب قال الشماخ

تذكرتها وهناً وقد حال دونها   قرى أذربيجان المسالح والجال (١)

وقوله على حسك السعدان فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الابل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد فى غيره ومن أمثال العرب مرعى ولا كالسعدان تفضيلا له قال النابغة

الواهب المائة الابكار زينها   سعدان توضح فى أوبارها اللبد

ويروى فى بعض الحديث أنه يؤتى بالكافر يوم القيامة فيسحب على السعدان والله أعلم بذلك (٢) وقوله انما هو والله الفجر أو البجر يقول ان انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك وان خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا وتحييرها أهلها وقوله يهيضك مأخوذ من قولهم هيض العظم اذا جبر ثم أصابه شيء يعنته فآذاه فكسره ثانية أو لم يكسره وأكثر ما يستعمل فى كسره ثانية ويقال عظم مهيض وجناح مهيض فى هذا المعنى ثم يشتق لغير ذلك وأصله ما ذكرت لك فمن ذلك قول عمر

---

(١) المسالح جمع مسلحة وهى الثغر لانها تكون محصنة بالسلاح وللجال معان منها ناحية البحر والجبل كالجول والجيل   السباعى

(٢) قال أبو الحسن السعدان نبت كثير الشوك كما ذكر أبو العباس ولا ساق له انما هو منفرش على وجه الأرض حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى عن ابن الاعرابى قال قيل لرجل من أهل البادية وخرج عنها أترجع الى البادية فقال أما مادام السعدان مستلقياً فلا يريد أنه لا يرجع الى البادية أبداً كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً وقال أبو على البصير واسمه الفضل بن جعفر وان لم يكن بحجة ولكنه أجاد فذكرنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به يمدح عبيد الله بن يحيى بن خاقان وآله فقال .

يا وزراء السلطان * أنتم وآل خاقان   كبعض ما روينا * فى سالفات الأزمان
ماء ولا كصداء * مرعى ولا كالسعدان

وهذه الأمثال ثلاثة منها قولهم مرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك وماء

ابن عبد العزيز رحمه الله لما كسر يزيد بن المهلب سجنه وهرب فكتب اليه لو علمت أنك تبقى ما فعلت ولكنك مسموم ولم أكن لأضع يدى فى يد ابن عاتكة (١) فقال عمر اللهم انه قد هاضنى فهضه فهذا معناه وقوله فكلكم ورم أنفه يقول امتلأ من ذلك غضباً وذكر أنفه دون السائر كما يقال فلان شامخ بأنفه يريد رافع رأسه وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر

* ولا يهاج اذا ما أنفه ورما * أى لا يكلم عند الغضب ويقال للمائل برأسه كبراً متشاوس وثانى عطفه وثانى جيده انما هذا كله من الكبرياء قال الله عز وجل ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله وقال الشماخ (٢)

نبئت أن ربيعاً أن رعى ابلا يهدى الىّ خناه ثانى الجيد

وقوله أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من برئت من المرض وبرأت كلاهما يقال فمن قال برئت قال أبرأ يافتى لاغير ومن قال برأت قال فى المضارع أبرأ وأبرؤ يافتى مثل فرغ يفرَغ ويفرُغ والآية تقرأ على وجهين سنفرَغ لكم أيها الثقلان وسنفرُغ والمصدر فيهما البرء يا فتى .

٦ وحدثنى محمد بن ابراهيم الهاشمى فى اسناد ذكره قال بلغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوماً يفضلونه على أبى بكر الصديق رحمه الله فوثب مغضباً حتى صعد

ولا كصداء تضرب هذه الأمثال للشىء الذى فيه فضل وغيره أفضل منه كقولهم ما من طامة الا فوقها طامة أى ما من داهية الا وفوقها داهية ويقال طما الماء وطم اذا ارتفع وزاد ومالك الذى ذكروا هو مالك بن نويرة أخو متمم بن نويرة وصداء يعد وبعضهم يقول صدى فيضم أوله فيقصر فأما أبو العباس محمد بن يزيد فانه قال لم أسمع من أصحابنا الا صداء يافتى وهو اسم لماء معرفة وهما همزتان بينهما ألف والألف لا تكون الا ساكنة كأنك قلت صدعاع يا هذا

(١) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز ولا يعلم أحد أعرق فى الخلافة منه

(٢) يهجو الربيع بين علياء السلمى

المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انى سأخبركم عنى وعن أبى بكر انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم ان قلنا له ياخليفة رسول الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر أوكلكم رأيه على هذا فقلنا نعم فقال والله لان أخِر من السماء فتخطفنى الطير أحب الى من أن يكون رأيي هذا ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقبلَ على الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت أيها الناس أأن كثر أعداؤكم وقل عدوكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين ثم نزل فجاهد فى الله حق جهاده حتى أذعنت العرب بالحق . قوله كم من فئة فهى الجماعة وهى مهموزة وتخفيف الهمز فى غير هذا الموضع أن تقلب الهمزة ياء وان كانت قبلها ضمة وهى مفتوحة قلبتها واواً نحو جؤن تقول جون (١) وقوله لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه على خلاف ما تتأوله العامة ولقول العامة وجه قد يجوز فأما الصحيح فان المصدق (٢) اذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل أخذ عقالا واذا أخذ الثمن قيل أخذ نقداً قال الشاعر

أتانا أبو الخطاب يضرب طبله فرد ولم يأخذ عقالا ولا نقدا (٣)

والذى تقوله العامة تأويله لو منعونى ما يساوى عقالا فضلا عن غيره وهذا

---

(١) الجؤنه الحقة يجعل فيها الحلى

(٢) هو آخذ الصدقات أما معطيها فهو المتصدق السباعى

(٣) كانت الأمراء اذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبول

أوجه والأول هو الصحيح لأنه ليس عليهم عقال يعقل به البعير فيطلبه فيمنعه ولكن مجازه فى قول العامة ما ذكرنا ومن كلام العرب أتانا بجفنة يقعد عليها ثلاثة أى لو قعد عليها ثلاثة لصلح وكان ارتداد من ارتد من العرب أن قالوا نقيم الصلاة ولا نؤتى الزكاة فمن ذلك قول الحطيئة

ألا كل أرماح قصار أذلة فداء لأرماح نصبن على الغمر
فباست بنى عبس وأستاه طيئ وباست بنى دودان حاشا بنى نصر
أبوا غير ضرب يجثم الهام وقعه وطعن كأفواه المزفتة الحمر (١)
أطعنا رسول الله اذ كان بيننا فيا لهفتا ما بال دين أبي بكر
أيورثها بكراً اذا مات بعده فتلك وبيت الله قاصمة الظهر
فقوموا ولا تعطوا اللئام مقادة وقوموا ولو كان القيام على الجمر
فدى لبنى نصر طريفى وتالدى عشية ذادوا بالرماح أبا بكر (٢)

قوله يجثم الهام وقعه انما هو مثل يقال جثم الطائر كما يقال برك الجمل وربض البعير . وكان قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر عاملا على صدقات بنى سعد فقسم ما كان فى يده من أموال الصدقات على بنى منقر وقال

. فمن مبلغ عنى قريشا رسالة اذا ما أتتهـا محكمات الودائع
حبوت بما صدقت فى العام منقرا وأيأست منها كل أطلس طامع

وقوله فأجمع رأينا كلنا اصحاب محمد فأنما خفض كلا على أنه توكيد لاسمائهم المضمرة والظاهر لا يكون بدلا من المضمر الذى يعنى به المتكلم نفسه أو يعنى به المخاطب لا يجوز ان تقول مررت بى زيد لأن هذه الياء لا يشركه فيها شريك فتحتاج الى التبيين وكذلك لا يجوز ضربتك زيدا لان المخاطب منفرد بهذه الكاف فأما الهاء نحو مررت به عبد الله فيجوز لأنا نحتاج الى أن يعرفنا مبينا من صاحب

(١) المزفتة المطلية بالزفت وهو القطران يعنى الابل وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزقاق

(٢) قوله ذادوا بالرماح أبا بكر كذب انما خرجوا على الابل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرت .

الهاء لانها ليست للذى يخاطبه فلا ينكر نفسه وانما يحدث به عن غائب فيحتاج الى البيان وقوله اصحاب محمد اختصاص وينتصب بفعل مضمر وهو أعنى ليبين من هؤلاء الجماعة كما ينشد . نحن بنى ضبة أصحابُ الجمل . أراد نحن أصحاب الجمل ثم بين من هم لان هذا قد كان يقع على من دون بنى ضبة معه وعلى من فوقها الى مضر ونزار ومعد ومن بعدهم وكذلك نحن العربَ أقرى الناس لضيف ونحن الصعاليكَ لاطاقة بنا على المروءة ويختار فى هذا الشعر (١)

انا بنى منقر قوم ذوو حسب فينا سراة بنى سعد وناديها

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم .

٧ ومن وصاياه قوله علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثباوروّوهم مايجمل من الشعر وفى حديث آخر وخير الخلق للمرأة المغزل

٨ ولما احتضر قيس بن عاصم قال لبنيه يا بنىّ احفظوا عنى ثلاثا فلا أحد أنصح لكم منى اذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم بحفظ المال فأنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم والمسألة فانها أخر كسب الرجل (٢)

٩ وتحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه انتهى اليه ان خيلا لمعاويه وردت الانبار فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى اتى النخيلة واتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيمى الخسف وديث بالصغار وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم فوالذى نفسى بيده ما غزى قوم قط فى عقر دارهم الا ذلوا فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات

---

(١) الاشارة للاختصاص وكلمة الشعر نائب فاعل فهى الواقع عليها الاختيار لانه لم يسبق شعر يختار منه ذلك البيت وهو لعمرو بن الاهتم السباعى

(٢) أخر بقصر الهمزة لاغير ومن راه بالمد اخطأ ومعنى أخر أدنى وأرذل .

هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء والذى نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنزع أحجالهما ورُعُثهما ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم أحداً فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا ما كان عندى فيه ملوما بل كان به عندى جديرا يا عجبا كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الأحزان من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون اذا قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا أوان قُرّ وصِرّ وان قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هذه حمارّة القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الأحلام ويا عقول ربات الحجال والله لقد أفسدتم على رأيى بالعصيان ولقد ملأتم جوفى غيظا حتى قالت قريش ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا رأى له فى الحرب لله درهم ومن ذا يكون أعلم بها منى أو أشد لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع يقولها ثلاثا فقام اليه رجل ومعه أخوه (١) فقال يا أمير المؤمنين أنا واخي هذا كما قال الله تعالى (رب انى لا أملك الا نفسى) وأخى فمرنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد ثم نزل (قال أبو العباس) قوله سيمى الخسف قال هكذا حدثونا وأظنه سيم الخسف يا هذا من قول الله عز وجل « يسومونكم سوء العذاب » ومعنى قوله سيمى الخسف تأويله علامته هذا أصل ذا قال الله عز وجل « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » وقال عز وجل « يعرف المجرمون بسيماهم » وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل مسوّمين قال معلمين واشتقاقه من السيمى التى ذكرنا ومن قال مسوّمين فانما أراد مرسلين من الابل السائمة أى المرسلة فى مراعيها وانما أخذ هذا من التفسير وقال المفسرون فى قوله تعالى والخيل المسومة القولين جميعا من العلامة

(١) الرجل وأخوه يعرفان بابنى عفيف من الأنصار .

والارسال وأما قوله عز وجل (من سجيل منضود مسومة عند ربك) فلم يقولوا فيه الا قولا واحداً قالوا معلمة وكان عليها أمثال الخواتيم ومن قال سيمى قصر ويقال فى هذا المعنى سيمياء ممدودا قال الشاعر (١)

غلام رماه الله بالحسن يافعا　　له سيمياء لا تشق على البصر (٢)

وقوله وقتلوا حسان بن حسان من أخذ حسانا من الحسن صرفه لأن وزنه فعال فالنون منه فى موضع الدال من حماد ومن أخذه من الحس لم يصرفه لأنه حينئذ فعلان فلاينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة لانه ليست له فُعلى فهو بمنزلة سعدان وسرحان وقوله وديث بالصغار تأويل ذلك يقال للبعير اذا ذللته الرياضة بعير مديث أى مذلل وقوله فى عقر دارهم أى فى أصل دارهم والعقر الأصل ومن ثم قيل لفلان عقار أى أصل مال ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (من باع دارا أو عقارا فلم يردد ثمنه فى مثله فذلك مال قمَن ألا يبارك له فيه) وقوله قمن يريد خليق ويقال أيضاً قمِين وقمِن (٣) ويقال للرجل اذا اتخذ ضيعة أو داراً تأثل فلان أى اتخذ أصل مال وقوله وتواكلتم انما هو مشتق من وكلت الأمر اليك ووكلته أنت الىَّ أى لم يتوله واحدمنا دون صاحبه ولكن أحال به كل واحد منا على الآخر ومن ذلك قول الحطيئه

فلأيا قصرت الطرف عنهم بجَسرة　　أمون اذا واكلتها لا تواكل

وقوله واتخذتموه وراءكم ظهريا أى رميتم به وراء ظهوركم أى لم تلتفتوا اليه ويقال فى المثل لا تجعل حاجتى منك بظهر أى لا تطرحها غير ناظر اليها وقوله حتى شنت عليكم الغارات يقول صبت يقال شننت الماء على رأسه أى صببته وشننت الشراب فى الاناء أى صببته ومن كلام العرب فلما لقى فلان فلاناً شنه السيف أى صبه عليه صبا وقوله هذا أخو غامد فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية من بنى غامد بن نصر بن الأزد بن الغوث وفى هذه القبيلة يقول القائل

---

(١) وهو ابن عنقاء الفزارى فى عميلة الفزارى

(٢) كأن الثريا علقت فى جبينه　　وفى انفه الشعرى وفى خده القمر

(٣) قال أبو الحسن من قال قمَن لم يثن ولم يجمع ومن قال قمِن وقمين ثنى وجمع

ألا هل أتاها على نأيها ‏ بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مائتى فارس ‏ فردكم فارس واحد (١)

فليت لنا بارتباط الخيو ‏ ل ضأنا لها حالب قاعد

وقوله فتنتزع أحجالهما يعنى الخلاخيل واحدها حجل (٢) ومن هذا قيل للدابة محجّل ويقال للقيد حجل لانه يقع فى ذلك الموضع قال جرير يعير الفرزدق حين قيد نفسه وأقسم ألا يحله حتى يحفظ القرآن وكان جرير هاجى البعيث فهجاه الفرزدق معونة للبعيث وذبا عن عشيرته قال .

ولما اتقى القين العراق باسته ‏ فرغت الى العبد المقيد فى الحجل (٣)

ومعنى فرغت عمدت قال الله عز وجل (سنفرغ لكم أيها الثقلان) أى سنعمد (٤) وقوله ورعثهما الواحدة رَعثه وجمعها رعاث وجمع الجمع رعث وهى الشنوف وقوله ثم انصرفوا موفورين من الوفر أى لم ينل أحد منهم بأن رزأ فى بدن ولا مال يقال فلان موفور وفلان ذو وفر أى ذو مال ويكون موفوراً فى بدنه اذا ذكر ما أصيب به غيره فى بدنه قال حاتم الطائى

وقد علم الأقوام لو أن حاتما ‏ أراد ثراء المال كان له وفر

ويروى أمسى له وفر وقوله لم يكلم أحد منهم كلما يقول لم يخدش أحد منهم خدشا وكل جرح صغر أو كبر فهو كلم قال جرير

تواصت من تكرمها قريش ‏ برد الخيل دامية الكلوم

وقوله مات من دون هذا أسفا يقول تحسراً فهذا موضع ذا وقد يكون الأسف الغضب قال الله عز وجل (فلما آسفونا انتقمنا منهم) والأسيف يكون الأجير ويكون الأسير فقد قيل فى بيت الاعشى

---

(١) هو ربيعة بن مكدم (٢) بالكسر والفتح وكابل وطمرّ السباعى

(٣) يعنى بقوله ولما اتقى القين العراق باسته البعيث وسماه القين لانه من رهط الفرزدق . (٤) تميم تقول فرغ يفرغ فراغا وأهل العالية وهم قريش ومن ولاها يقولون فرَغ يفرُغ فروغاً

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما يضم الى كشحيه كفا مخضبا

المشهور أنه من التأسف بقطع يده وقيل بل هو أسير قد كبلت يده ويقال قد جرحها الغل والقول الاول هو المجتمع عليه ويقال فى معنى أسيف عسيف أيضاً وقوله من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم يقول من تعاونهم وتظاهرهم وقوله وفشلكم عن حقكم يقال فشل فلان عن كذا اذا هابه فنكل عنه وامتنع من المضى فيه وقوله فلتم هذا أوان قرّ و صرّ فالصر شدة البرد قال الله عز وجل (كمثل ريح فيها صر) وقوله هذه حمارة القيظ فالقيظ الصيف وحمارته اشتداد حره واحتدامه وحمارة مما لا يجوز ان يحتج عليه ببيت شعر لان كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع فى وزن الشعر الا فى ضرب منه يقال له المتقارب فانه جوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله

فذاك القصاص وكان التقا ص حتما وفرضا على المسلمينا

ولو قال وكان القصاص فرضا كان أجود وأحسن ولكن قد أجازوا هذا فى هذه العروض ولا نظير له فى غيرها من الأعاريض وقوله ياطغام الأحلام فمجاز الطغام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده وكانوا يقولون طغام أهل الشأم كما قال (١) . فما فضل اللبيب على الطغام . وقوله ويا عقول ربات الحجال ينسبهم الى ضعف النساء وهو السائر فى كلام العرب قال الله تعالى يذكر البنات (أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين)

١٠ وقال فى خطبة له أيها الناس اتقوا الله الذى ان قلتم سمع وان أضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان هربتم منه أدرككم وان أقمتم أخذكم.

١١ وقال له رجل وهو فى خطبة يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال. ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن

١٢ ويروى عن الشعبى أنه قال قال عبد الله بن العباس قال لى أبى يابنى انى أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار فاحفظ

---

(١) اذا ما كان مثلهم رجاما

عني ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تغتب عنده مسلما ولا تفشين له سراً قال فقلت يا أبه كل واحدة منها خير من ألف فقال كل واحدة منها خير من عشرة آلاف

١٣ وقال العتبى خطب الناس معاوية بن أبي سفيان فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس انى من زرع قد استحصد ولن يأتيكم بعدى الا من أنا خير منه كما لم يكن قبلى الا من هو خير منى

وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته قلبننى ففعلن فقال انكن لتقلبنه حوّلا قلّبا ان وقى كبّة النار ثم قال متمثلا

لا يبعدن ربيعة بن مكدم　　　وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال لابنة قرظة ابكينى فقالت

ألا ابكيه ألا ابكيه　　　ألا كل الفتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته انك قد فجعت بخير الآباء وأعطيت جميع الأشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطية فلا أعطى أحد كما أعطيت ولا رزئ كما رزئت فقام ابن همام السلولى فانشده شعراً كأنما فاوضه الثقفى فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة　　　واشكر بلاء الذى بالملك أصفاكا
أصبحت تملك هذا الخلق كلهم　　　فأنت ترعاهم والله يرعاكا
ما ان رزى أحد فى الناس نعلمه　　　كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف　　　اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

الحول معناه ذو الحيلة والقلب الذى يقلب الأمور ظهرا لبطن وقوله اذ وقى كبة النار فكبة النار معظمها وكذلك كبة الحرب ويقال لقيته فى كبة القوم ويروى عن بعض الفرسان انه طعن رجلا فى حرب فقال طعنته فى الكبة فوضعت رمحى فى اللبّة وأخرجته من السبّة والسبّة الدبر

١٤ وحدثت أن صبرة بن شيمان الحدانى دخل على معاوية والوفود عنده فتكلموا فأكثروا فقام صبرة فقال يا أمير المؤمنين انا حى فعال ولسنا بحى مقال

ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم فقال صدقت

١٥ وحدثت أن أبا بكر رضى الله عنه ولى يزيد بن أبى سفيان ربعا من أرباع الشأم فرقى المنبر فتكلم فأرتج عليه فاستأنف فأرتج عليه فقطع الخطبة فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عىّ بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال هن مخرجاتى من الشأم استحسانا لكلامه وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لعامر بن قيس العنبرى ورآه ظاهر الاعرابية أين ربك فقال بالمرصاد وقال قائل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض فقال على أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان

١٦ وذكر العتبى أن عتبة خطب الناس بمصر عن موجدة فقال ياحاملى ألأم أنوف ركبت بين أعين اني قلمت أظفارى عنكم ليلين مسى لكم وسألتكم صلاحكم اذ كان فسادكم باقياً عليكم فأما اذ أبيتم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فأن حسمت أدواءكم والا فأن السيف من ورائكم فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم ومن موعظة منا صمت عنها آذانكم ولست أبخل بالعقوبة اذا جدتم بالمعصية ولا أويسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التى هى أبر وأتقى ثم نزل

١٧ وذكر العتبى أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القصر قال خطب الناس بالموسم عتبة فى سنة احدى وأربعين وعهد الناس حديث بالفتنة فاستفتح ثم قال . أيها الناس انا قد ولينا هذا الموضع الذى يضاعف الله فيه للمحسن الأجر وعلى المسيء الوزر فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمن حتفه فى أمنيته اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم واياكم ولو فقد اتعبت من كان قبلكم ولن تريح من بعدكم فاسألوا الله أن يعين كلا على كل . فنعق به أعرابي من مؤخر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لستُ به ولم تبعد قال فيا أخاه قال قد أسمعت فقل قال والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسنا فان كان الاحسان لكم فما أحقكم باستتمامه وان كان لنا فما

أحقكم بمكافأتنا . رجل من بنى عامر يمت اليكم بالعمومة ويختص اليكم بالخؤولة وقد وطئه زمان وكثرة عيال وفيه أجر وعنده شكر فقال عتبة أستعيذ بالله منك وأستعينه عليك قد أمرت لك بغناك فليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك

١٨ وذكر العتبي أو غيره أن داود بن على بن عبد الله بن العباس خطب الناس فى أول موسم ملكه بنو العباس بمكة فقال (١) شكراً شكراً انا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ولا لنبنى فيكم قصراً أظن عدو الله أن لن نقدر عليه ان روخى له من خطامه حتى عثر فى فضل زمامه فالآن حيث أخذ القوس باريها وعادت النبل الى النَّزَعة ورجع الملك فى نصابه من أهل بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن فى فرشنا أمن الاسود والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية وأومأ بيده الى الكعبة لانهيج منكم أحداً .

١٩ وحدثنى مسعود بن بشر فى اسناد ذكره قال قال زياد لحاجبه انى وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربعة عزلتك عن هذا المنادى اذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه وعن طارق الليل فشر ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته وعن رسول صاحب الثغر فان ابطاء ساعة يفسد تدبير سنة وعن هذا الطباخ اذا فرغ من طعامه

٢٠ وروى أنه لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب بن الزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه أتانا خبر قتل المصعب فسررنا به واكتأبنا له فأما السرور فلما قدر له من الشهادة وحيز له من الثواب وأما الكآبة فلوعة يجدها الحميم عند فراق حميمه وانا والله ما نموت حبجا كميتة آل أبي العاصي انما نموت والله قتلا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف فان يهلك المصعب فان فى آل الزبير منه خلفاً قوله حبجاً يقال حبج بطنه اذا انتفخ وكذلك حبط والمقعص المقتول واللوعة الحرقة يقال لاع يلاع لوعة يافتى فهو لائع ويقال لاع يافتى على على القلب وأنشد أبو زيد

---

(١) أتينا بهذه بعد تلك وان تأخرت عنها تاريخاً لتشابه المقتضى فى كل السياقين

ولا فرح بخير ان أتاه ولا جزع من الحدثان لاعى

٢١ وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر أيها الناس اقدعوا هذه الانفس فانها أسأل شيء اذا أعطيت وأمنع شيء اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاماً وزماماً فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فاني رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه

قوله اقدعوا يقول امنعوا يقال قدعته عن كذا أى منعته عنه ومنه قول الشماخ

اذا ما استافهن ضربن منه مكان الرمح من أنف القدوع

قوله استافهن يعني حمارا يستاف أتنا يقول يمتحنه اذا اشتمهن والسوف الشم وقوله مكان الرمح من أنف القدوع يريد بالقدوع المقدوع وهذا من الأضداد يقال طريق ركوب اذا كان يركب ورجل ركوب للدواب اذا كان يركبها ويقال ناقة رغوث اذا كانت ترضع وحوار رغوث اذا كان يرضع ومثل هذا كثير يقال شاة حلوب اذ كانت تحلب ورجل حلوب اذا كان يحلب الشاة والقدوع هاهنا البعير الذي يقدع وهو أن يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريماً فيضرب أنفه بالرمح حتى يرجع يقال قدعته وقدعت أنفه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ذكر ذلك لورقة بن نوفل فقال محمد بن عبد الله يخطب خديجة بنت خويلد الفحل لا يقدع أنفه

٢٢ وكان الحجاج يقول ان امرأ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه أو يستغفر من ذنبه أو يفكر فى معاده لجدير أن تطول حسرته يوم القيامة

٢٣ وخطب الحجاج ذات يوم جمعة فلما توسط كلامه سمع تكبيراً عالياً من ناحية السوق فقطع خطبته التي كان فيها ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشقاق ويا أهل النفاق وسيئ الأخلاق يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الاماء انى لأسمع تكبيراً ما يراد الله به انما يراد به الشيطان وان مثلي ومثلكم قول ابن براقة الهمداني .

وكنت اذا قوم رموني رميتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ثم نزل فصلى بهم

قوله يا أهل الشقاق فالمشاقة المعاداة وأصله ان يركب ما يشق عليه ويركب منه مثل ذلك والنفاق ان يسر خلاف ما يبدى هذا أصله وانما أخذ من النافقاء وهو أحد أبواب جحرة اليربوع وذلك انه أخفاها فانما يظهر من غيره وللجحره أربعة أبواب النافقاء والراهطاء والداماء والسابياء وكلها ممدودة ويقال للسابياء القاصعاء وانما قيل له السابياء لأنه لا ينفذه فيبقى بينه وبين نفاذه هنة من الأرض رقيقة وأخذ من سابياء الولد وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها الولد من بطن أمه قال الأخطل يضرب ذلك مثلا ليربوع بن حنظلة لأنه سمى باليربوع

تُسد القاصعاء عليك حتى   تنفق أو تموت بها هزالا

والعرب تزعم انه ليس من ضب الاوفى جحره عقرب فهو لا يأكل ولد العقرب وهى لا تضربه فهى مسالمة له وهو مسالم لها وأنشد

وأخدع من ضب اذا خاف حارشاً   أعد له عند الذنابة عقربا (١)

وقوله بنو اللكيعة يريد اللئيمة وسيأتى تفسير هذا فى موضعه (٢) قال ابن قيس الرقيات يذكر قتل مصعب بن الزبير

ان الرزية يوم مسـ   ـكن والمصيبة والفجيعه

---

(١) كلها بالمد ويقال بالقصر ويقال أيضا فيها على وزن فُعله نفقه ورهطه ودمه وقصعه وحكى ابن القوطية فى المقصور والممدود له الرُهطاء كالراهطاء والنفقاء كالنافقاء والقصعاء كالقاصعاء وحكى أيضا زيادة فقال العانقاء جحر الأرنب واليربوع والغابياء أيضاً من جحرة اليربوع وأما قول ابي العباس فى السابياء فهو مما قد رد عليه فيه وقد تبعه ابن ولاد وكلاهما غير مصيب وانما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو الفقء وليس يخرج الولد فيه وقال الكميت

وفقأ فيها الغيث من سابيائه   دوالح وافقن النجوم البواجسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء وانما الجلدة التى يكون فيها الولد الغرس وقد تبع ابن القوطية أبا العباس فى السابياء فى أنه من أسماء جحرة اليربوع وذلك غلط

(٢) تتضح المواضع التى ورد فيها مما ذكر بهامش الفهرس   السباعى

بابن الحوارى الذى لم يعده أهل الوقيعه
غدرت به مضر العرا ق وأمكنت منه ربيعه
فأصبت وترك ياربيـــع وكنت سامعة مطيعه
يالهف لو كانت له بالطف يوم الطف شيعه
أو لم يخونوا عهده أهل العراق بنوا اللكيعه
لوجدتموه حين يغضـ ـب لا يعرج بالمضيعه

وقوله عبيد العصا يريد أنهم لا ينقادون الا بالادلال كما قال ابن مفرغ الحميرى

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

وقال جرير يهجو التيم

ألا انما تيم لعمرو ومالك عبيد العصا لم يرج عتقا قطينها

٢٤ وخطب الناس عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمربد عند ظهور أمر الحجاج عليه فقال أيها الناس انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب به يميناً وشمالا فلا تلبث أن تموت فسمعه رجل من بنى قشير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعه فقال قبح الله هذا يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعدهم الغرور .

وروت الرواة أن الحجاج لما أخذ رأس ابن الأشعث وجه به الى عبد الملك ابن مروان مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدى وكان أسود دميما فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر الوقيعة الا أنباه به عرار فى أصح لفظ وأشبع قول وأجزأ اختصار فشفاه من الخبر وملأ أذنه صوابا وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حيث رآه فقال عبد الملك متمثلا

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد لعمرى عرارا بالهوان فقد ظلم
وان عرارا ان يكن غير واضح فانى أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال عرار أتعرفنى يا أمير المؤمنين قال لا قال فأنا والله عرار فزاده فى سروره وأضعف له الجائزة

وكتب صاحب اليمن الى عبد الملك بن مروان فى وقت محاربته ابن الأشعث

انى قد وجهت الى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها قط فلما دخل بها عليه رأى وجها جميلا وخلقاً نبيلا ما فألقى اليها قضيباً كان فى يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسما بهره فلما هم بها أعلمه الآذن ان رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحى الجارية فأعطاه كتاباً من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها.

سائل مجاور جرم هل جنيت لها ضرباً يزيّل بين الجيرة الخلُط

وهل سموت بجرار له لجب جم الصواهل بين الجم والفرط

وهل تركت نساء الحى ضاحية فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وتحتها (١)

قتل الملوك وصار تحت لوائه شجر العُرا وعرا عر الأقوام

قال فكتب اليه عبد الملك كتاباً وجعل فى طيه جواباً لابن الأشعث

ما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى

أظن خطوب الدهر بينى وبينهم ستحملهم منى على مركب وعر

واني واياهم كمن نبه القطا ولو لم تنبه باتت الطير لا تسرى

أناة وحلما وانتظاراً بهم غدا فما انا بالوانى ولا الضرع الغمر

وينشد بالفانى ثم بات يقلب كف الجارية ويقول ما أفدت فائدة أحب الى منك فتقول فما بالك يا أمير المؤمنين وما يمنعك فقال يمنعنى ما قاله الأخطل لأني ان خرجت منه كنت ألأم العرب

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت باطهار

فما اليك سبيل أو يحكم الله بينى وبين عدو الرحمن بن الأشعث فلم يقربها حتى قتل عبد الرحمن.

قوله فرأى منها جسما بهره يقال بهر الليل اذا سد الأفق بظلمته وبهر القمر اذا ملأ الأرض ببهائه ومن ثم قيل للقمر الباهر أنشدنى المازنى لرجل من بنى الحارث بن كعب

---

(١) بيت آخر على غير الروى من الابيات الأول وهو

والقمر الباهر السماء لقد زرنا هلالا بجحفل لجب

تسمع زجر الكماة بينهم قدم وأخر وأرحبي وهبي

من كل هداءة كعالية الر مح أمون وشيظم سلب

وقال طفيل الغنوي يصف كيف تزجر الخيل فجمعه في بيت واحد .

وقيل اقدمى واقدم وأخ وأخرى وها وهلا واضبر وقادعها هبي (١)

ومن زجر الخيل أيضاً هِقب وهقط وأنشدني أبو عثمان المازني (٢)

لما سمعت زجرهم هقط علمت أن فارساً منحط

وقول بين الجم والفرط هما موضعان باعيانهما وقوله في ساحة الدار يستوقدن بالغبيط يقال فيه قولان متقاربان أحدهما انهن قد يئسن من الرحيل فجعلن مراكبهن حطباً هذا قول الأصمعي وقال غيره بل قد منعهن الخوف من الاحتطاب والغبيط من مراكب النساء وكذلك الحدج قال امرؤ القيس .

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فأعلمك ان الغبيط لها والمحامل انما أول من اتخذها الحجاج ففي ذلك يقول الراجز

أول عبد عمل المحاملا أخزاه ربي عاجلا وآجلا

وقوله شجر العرا فالعرا نبت بعينه ان ضم العين والعراء ممدود وجه الارض قال الله عز وجل (لنبذ بالعراء وهو مذموم) وقال الهذلى

رفعت رجلا ما أخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي

وهذا التفسير والانشاد عن ابي عبيدة وقوله دون النساء ولو باتت باطهار معناه ان يجتنبها في طهرها وهو الوقت الذي يستقيم له غشيانها فيه وأهل الحجاز يرون الأقراء الطهر وأهل العراق يرونها الحيض وأهل المدينة يجعلون عدد النساء الأطهار ويحتجون بقول الأعشى .

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عظيم عزائكا

---

(١) قال ابو الحسن وأج (٢) قال الفراء هقط بالكسر والفتح ويروى مختط بدل منحط

موَرثة مالا وفى الحى رفعة   لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وقوله ولو باتت باطهار فلو أصلها فى الكلام ان تدل على وقوع الشىء لوقوع غيره تقول لو جئتنى لأعطيتك ولو كان زيد هناك لضربته ثم تتسع فتصير فى معنى ان الواقعة للجزاء تقول أنت لا تكرمنى ولو أكرمتك تريد وان أكرمتك قال الله عز وجل (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) فأما قوله عز وجل فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به فان تأويله عند أهل اللغة لا يقبل به أن يتبرأ وهو مقيم على الكفر ولا يقبل ان افتدى به فلو فى معنى ان وانما منع لو أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم ان أن حروف المجازاة انما تقع لما لم يقع ويصير الماضى معها فى معنى المستقبل تقول ان جئتنى أعطيتك وان قعدت عنى زرتك فهذا لم يقع وان كان لفظه لفظ الماضى لما أحدثته فيه ان وكذا متى أتيتنى أتيتك ولو تقع فى معنى الماضى تقول لو جئتنى أمس لصادفتنى ولو ركبت الى أمس لألفيتنى فلذلك خرجت من حروف الجزاء فاذا أدخلت معها لا صار معناها ان الفعل يمتنع لوجود غيره فهذا خلاف ذلك المعنى ولا تقع الا على الأسماء ويقع الخبر محذوفاً لأنه لا يقع فيها الاسم الا وخبره مدلول عليه فاستغنى عن ذكره لذلك تقول لولا عبد الله لضربتك والمعنى فى هذا المكان من قرابتك أو صداقتك أو نحو ذلك فهذا معناها فى هذا الموضع ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى وهو لولا التى تقع فى معنى هلا التى للتحضيض ومن ذلك قوله (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) أى هلا وقال تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الأثم) فهذه لا يليها الا الفعل لأنها للأمر والتحضيض مظهراً أو مضمراً كما قال (١)

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم   بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا

أى هلا تعدون الكمى المقنعا ولولا الأولى لا يليها الا الاسم على ما ذكرت لك ولابد فى جوابها من اللام أو معنى اللام تقول لولا زيد فعلت والمعنى لفعلت

(١) نسب لجرير وقيل للاشهب بن رميلة

وزعم سيبويه أن زيداً من حديث لولا واللام والفعل حديث معلق بحديث لولا وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها . ولو بغير لا . لايليها الا الفعل مضمراً أومظهراً لأنها تشارك حروف الجزاء فى ابتداء الفعل وجوابه تقول لو جئتنى لأعطيتك فهذا ظهور الفعل واضماره قوله عز وجل (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم فهذا الذى رفع أنتم ولما أضمر ظهر بعده ما يفسره ومثل ذلك لو ذات سوار لطمتنى أراد لو لطمتنى ذات سوار ومثله (١)

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى　　　جعلت لهم فوق العرانين ميسما

وكذلك قول جرير

لو غيرَكم علق الزبير بحبله　　　أدى الجوار الى بنى العوام

فنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده لأنه للفعل وهو فى التمثيل لو علق الزبير غيركم وكذلك كل شيء للفعل نحو الاستفهام والأمر والنهي وحروف الفعل اذ وسوف (٢) وهذا مشروح فى الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح وأما قوله وعراعر الأقوام فمعناه رءوس الأقوام الواحد عُرعرة وعُرعرة كل شيء اعلاه ومن ذلك كتاب يزيد بن المهلب الى الحجاج بن يوسف وان العدو نزل بعرعرة الجبل ونزلنا بالحضيض فقال الحجاج ليس هذا من كلام يزيد فمن هناك قيل يحيى بن يعمَر فكتب الى يزيد أن يشخصه اليه . وزعم التوزى قال قال الحجاج ليحيى بن يعمر يوما أتسمعنى الحن قال الامير أفصح من ذلك قال فاعاد عليه القول واقسم عليه فقال يحيى نعم تجعل أن مكان ان فقال له ارحل عنى ولا تجاورني قال أبو العباس هذا على ان يزيد لم تؤخذ عليه زلة فى لفظ الا واحدة فانه قال على المنبر وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فقال هذه الضبعة العرجاء فاعتدت عليه لحناً لأن الانثى انما يقال لها الضبُع ويقال للذكر الضِبْعان فاذا جمع قيل ضِبْعان وانما جمع على التأنيث دون التذكير والباب

---

(١) قول المتلمس (٢) كذا وقع هنا اذ وسوف ولم يذكر سيبويه مع سوف الا قد وهو الصحيح .

على خلاف ذلك لان التأنيث لا زيادة فيه وفى التذكير زيادة الالف والنون فثنى على الاصل وأصل التأنيث ان يكون زائدا على بناء التذكير لانه منه يخرج مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة فمن حيث قلت للذكر والانثى فى التثنية كريمان على حذف الزيادة قلت ضبعان وتقول له ابنان اذا أردت له ابن وابنة ولا تقول فى الدار رجلان اذا أردت رجلا وامرأة الا على قول من قال للانثى رجلة فقد جاء ذلك وقال الشاعر

كل جار ظل مغتبطا   غير جيرانى بنى جبلة
خرقوا جيب فتاتهم   لم يبالوا حرمة الرجلة

ولا يقال للناقة والجمل جملان ولا يقال للبقرة والثور ثوران لاختلاف الاسمين انما يكون ذلك فيما ذكرنا فى قول من قال للانثى ثورة قال الشاعر :

جزى الله فيها الاعورين ملامة   وعبدة ثفر الثورة المتضاجم (١)

٢٥ قال أبو العباس وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن الاصمعى قال قال عدى بن الفضيل خرجت الى امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحفره بئرا بالعذبة فقال لى وأين العذبة فقلت على ليلتين من البصرة فتأسف الا يكون بهذا الموضع ماء فاحفرنى واشترط على ان أول شارب ابن السبيل قال فحضرته فى جمعة وهو يخطب فسمعته وهو يقول يأيها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمرى لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم أيها الناس انه من يقدر له رزق برأس جبل أو بحضيض ارض يأته فاتقوا الله واجملوا فى الطلب قال فاقمت عنده شهرا مابى الا استماع كلامه .

قوله بحضيض يعنى المستقر من الارض اذا انحدر عن الجبل ولا يقال حضيض الا بحضرة جبل يقال حضيض الجبل ويطرح الجبل فيستغنى عنه لان هذا لا يكون الا له ومن ذلك قول امرئ القيس . نظرت اليه قائما بالحضيض .

وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذى لم يأت على يومك الذى انت فيه فانه ان يعلم من اجلك يأت فيه رزقك واعلم انك

(١) قال أبو الحسن المتضاجم الواسع

لا تكسب من المال شيئاً غير قوتك الا كنت خازناً لغيرك فيه ويروى للنابغة(١)

ولست بخابئٍ أبداً طعاماً حذار غد لكل غد طعام

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان آمناً فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها (٢) قوله صلى الله عليه وسلم فى سربه يقول فى مسلكه يقال فلان واسع السرب وخلّى السرب يريد المسالك والمذاهب وانما هو مثل مضروب للصدر والقلب يقال خل سربه أى طريقه حتى يذهب حيث شاء ويقال ذلك للابل لانها تنسرب فى الطرقات ويقال سرّب على الأبل أى ارسلها شيئاً بعد شيء فاذا قلت سرب بكسر السين فانما هو قطيع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا قال امرؤ القيس

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دُوار فى الملاء المذيل

دُوار نسك يذسكون عنده فى الجاهلية ودُوّار ما استدار من الرمل ودَوّار سجن اليمامة قال بعض اللصوص (٣)

كانت منازلنا التى كنا بها شتى فألف بيننا دوار

وقال عمر بن أبي ربيعة

فلم تر عينى مثل سرب رأيته خرجن علينا من زقاق ابن واقف

٢٦ وحدثت فى بعض الاسانيد ان عمر بن عبد العزيز قال فى خطبة له . أيها الناس انما الدنيا أمل مخترم وأجل منتقص وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكر فى امرة ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ونور قلبه ، أيها الناس ان أباكم قد أخرج من الجنة بذنب واحد وان ربكم وعد على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل . وكان رحمه الله يقول أيها الناس انما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار الى دار ويروى أن رجلا معروفاً ذهب اسمه عنى قال أتيت ابن عمر . فقلت أتجب الجنة لعامل بكل

(١) هذا من شعر اوس بن حجر مثبت فيه فى كلمة لم يعرفها الاخفش

(٢) كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها وانما السرب بفتح السين المال الراعى (٣) واسمه جحدر

الخيرات وهو مشرك فقال لا فقلت له أنجب النار لعامل بالشر كله وهو موحد فقال عش ولا تغتر قال وأتيت ابن عباس فسألته فاجابني بمثل جوابه سواء وقال عش ولا تغتر قال وحدثني بهذا الحديث القاضي (١)

٢٧ ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة على امير المؤمنين المنصور فقال يا أمير المؤمنين توسع توسعاً قرشياً ولا تضق ضيقاً حجازيا ويروى انه دخل عليه يوما فقال له المنصور حدثنا فقال يا أمير المؤمنين ان سلطانكم حديث وامارتكم جديدة فأذيقوا الناس حلاوة عدلها وجنبوهم مرارة جورها فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس فأتأره المنصور بصره ثم قال لا يعز ملك يكون فيه مثل هذا .

قوله محضت لك النصيحة يقول اخلصت لك وأصل هذا من اللبن والمحض منه الخالص الذي لا يشوبه شيء وأنشد الاصمعي

امتحضا وسقياني ضيحا وقد كفيت صاحبي الميحا (٢)

ويقال حسب محض وقوله اتأره بصره يقول اتبعه بصره وحدد اليه النظر وأنشد الاصمعي (٣)

ما زلت ارمقهم والآل يرفعهم حتى اسمدر بطرف العين اتآري

٢٨ وقال الأصمعي فيما بلغني خطبنا اعرابي بالبادية فحمد الله واستغفره ووحده وصلى على نبيه فبلغ في ايجاز ثم قال أيها الناس ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار فخذوا من مفركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم في الدنيا كنتم ولغيرها خلقتم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والمصلى عليه رسول الله والمدعو له الخليفة والامير جعفر بن سليمان .

٢٩ وحدثت ان راهبين دخلا البصرة من ناحية الشأم فنظرا الى الحسن البصري فقال أحدهما لصاحبه مل بنا الى هذا الذي كأن سمته سمت المسيح فعدلا اليه فألفياه مفترشا بذقنه ظاهر كفه وهو يقول يا عجبا لقوم قد أمروا بالزاد

---

(١) يعني اسماعيل بن اسحاق (٢) الميح طلب الشيء هاهنا وهاهنا (٣) وهو للكميت بن زيد

وأوذنوا بالرحيل وأقام اولهم على آخرهم فليت شعرى ما الذى ينتظرون . وكان الحسن رحمه الله يقول ليس العجب ممن عطب كيف عطب انما العجب ممن نجا كيف نجا ويروى عن المسيح صلوات الله عليه وسلامه انه كان يقول ان احتجتم الى الناس فكلوا قصداً وامشوا جانباً .

٣٠ ونظر الحسن الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد فقال ان الله جعل الصوم مضمارا لعبادة ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون نخابوا ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيء باساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر قوله ترطيل شعر انما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه ويقال للرجل اذا كان فيه لين وتوضيع رجل رَطل والذى يوزن به ويكال يقال له رِطل بكسر الراء .

٣١ وكان الحسن يقول اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها . قوله القنطرة يعنى هذه المعقودة المعروفة عند الناس والعرب تسمى كل أزَج قنطرة قال طرفة بن العبد

كقنطرة الرومى أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

قوله حتى تشاد يقول تطلى وكل شيء طليت به البناء من جص أو جيار وهو الكلس فهو الشيد يقال دار مشيدة وقصر مشيد قال الله عز وجل ولو كنتم فى بروج مشيدة وقال الشماخ

لاتحسبنى وان كنت امرأ غمرا كحية الماء بين الطين والشيد

وقال عدى بن زيد العبادى

شاده مرمراً وجلله كلـ ـسا فللطير فى ذراه وكور

والمقرمد المطلى أيضا فمن ثم قال حتى تشاد بقرمد فى معنى حتى تطلى ومن ذلك قول النابغة :رابى المجسة بالعبير مقرمد .

٣٢ وقال الحسن تلقى أحدهم ابيض بضا يملخ فى الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أصدريه يقول هأنذا فاعرفونى قد عرفناك فمقتك الله ومقتك الصالحون قوله أبيض بضا فالبض الرقيق اللون الذى يؤثر فيه كل شيء وفى الحديث أن

معاوية قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشأم وهو ابض الناس فضرب عمر بيده على عضده فأقلع عن مثل الشراب أو مثل الشراك فقال هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذوو الحاجات تقطع انفسهم حسرات على بابك وقال حميد بن ثور الهلالى

منعمة بيضاء لو دب محول على جلدها بضت مدارجه دما

وقوله يملخ فى الباطل ملخا يقول يمر مراً سريعاً يقال بكرة ملوخ اذا كانت سهلة المر وقوله يضرب أصدريه وأزدريه فانما يقال ذلك للفارغ يقال جاء فلان يضرب أصدريه وأزدريه ولا يتكلم منه بواحد ويقال فلان ينفض مذرريه وهما ناحيتاه وانما يوصف بالخيلاء قال عنترة

احولى تنفض استك مذرويها لتقتلنى فهأنذا عمارا

ولا واحد لهما ولو أفردت لقلت فى التثنية مذريان لان ذوات الواو اذا وقعت فيهن الواو رابعة رجعت الى الياء كما تقول فى ملهى ملهيان وهو من لهوت وفى مغزى مغزيان وهو من غزوت وانما فعلت ذلك لان فعله ترجع فيه الواو الى الياء اذا كانت رابعة فصاعدا نحو غزوت فاذا أدخلت فيه الالف قلت أغزيت وكذلك غازيت واستغزيت وانما وجب هذا لانقلابها فى المضارع نحو يغزى ويستغزى ويغازى وانما انقلبت لانكسار ماقبلها فان قال قائل فما بال يترجى ويتغازى يكونان بالياء نحوهما يتغازيان ويترجيان فانما ذلك لانهما فى الاصل رجى يرجى وغازى يغازى ثم لحقت التاء بعد ثبات الياء والدليل على ذلك ان التاء تلحقه على معناه فقولك مذروان لا واحد له لما اعلمتك وثبات الواو دليل على أن احدهما لا يفرد من الآخر فلذلك جاء على اصله .

٣٣ وحدثت أن الحسن نظر الى رجل يجود بنفسه فقال ان امراً هذا آخره لجدير بأن يزهد فى أوله وان امراً هذا أوله لجدير أن يخاف آخره . وقيل لرجل من أشراف العجم فى علته التى مات فيها ما بك فقال فكر عجيب وحسرة طويلة فقيل لم فقال ماظنكم بمن يقطع سفرا قفراً بلا زاد ويسكن قبراً موحشاً بلا مؤنس ويقدم على حكم عادل بلا حجة وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

بأى اعتذار أم بأيه حجة يقول الذى يدرى من الامر لاأدرى

اذا كان وجه العذر ليس ببين　　فان اطراح العذر خير من العذر

واعتذر رجل الى مسلم بن قتيبة من امر بلغه عنه فعذره ثم قال له يا هذا لايحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول فى امر لعلك لاتخلص منه.

٣٤ وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى يامطرف عظ اصحابك فقال مطرف انى أخاف ان أقول ما لا افعل فقال الحسن يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول لود الشيطان انه ظفر بهذه منكم فلم يأمر احد بمعروف ولم ينه عن منكر

٣٥ وقال مطرف بن عبد الله لابنه ياعبد الله العلم افضل من العمل والحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة . قوله الحسنة بين السيئتين يقول الحق بين فعل المقصر والمغالى ومن كلامهم خير الامور أوساطها وقوله وشر السير الحقحقه وهو أن يفرغ المسافر جهد ظهره ولا يبلغ حاجته يقال حقحق السير اذا فعل ذلك وقال الراجز وانبت فعلَ السائر المحقحق (١) وحدثت أن الحسن لقى سابق الحاج وقد اسرع فجعل يومئ اليه باصبعه فعلَ الغازلة وهو يقول خرقاء وجدت صوفا وهذا مثل من امثال العرب يضربونه للرجل الاحمق الذى يجد مالا كثيرا فيعيث فيــه وشبيه بهذا المثل قوله عبد وخلافى يده . ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفســك عبادة ربك فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى قوله متين المتين الشديد قال الله عز وجل وأملى لهم ان كيدى متين وقوله أوغل فيه برفق يقول ادخل فيه هذا اصل الوغول ويقال مشتقاً من هذا للرجل الذى يأتى شراب القوم من غير أن يدعى اليه واغل ومعناه انه وغل فى القوم وليس منهم قال امرؤ القيس

حلت لى الخمر وكنت امرأ　　عن شربها فى شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب　　اثما من الله ولا واغل

والمنبت مثل المحقحق واشتقاقه من الانقطاع يقال انبت فلان من فلان أى انقطع منه وبت الله مابينهم أى قطع قال محمد بن نمير

تواعد للبين الخليط لينبتوا　　وقالوا لراعى الذود موعدك السبت

---

(١) فعل بالنصب الرواية الصحيحة لانه مصدر معنى

وفى النفس حاجات اليهم كثيرة ومو عدها فى السبت لوقددنا السبت(١)

وحدثت ان ابن السماك كان يقول اذا فعلت الحسنة فافرح بها واستقللها فانك اذا استقللتها زدت عليها واذا فرحت بها عدت اليها ويروى عن أويس القرنى انه قال ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما

٣٦ وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم . مالك من عيشك الا لذة تزدلف بك الى حمامك وتقربك من يومك فأية أكلة ليس معها غصص أو شربة ليس معها شرق فتأمل امرك فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والخيال المخترم أهل الدنيا أهل سفر لايحلون عقد رحالهم الا فى غيرها

قوله تزدلف بك الى حمامك يقول تقربك ولذلك سميت المزدلفة وقوله عز وجل وزلفاً من الليل انما هي ساعات يقرب بعضها من بعض قال العجاج .

ناج طواه الأين مما وجفا طى الليالى زلفا فزلفا
سماوة الهلال حتى احقوقفا

ناج سريع والأين الاعياء والوجيف ضرب من السير ونصب طى الليالى لانه مصدر من قوله طواه الاين وليس بهذا الفعل ولكن تقديره طواه الأين طياً مثل طى الليالى كما تقول زيد يشرب شرب الابل انما التقدير يشرب شرباً مثل شرب الابل فمثل نعت ولكن اذا حذفت المضاف استغنى بان الظاهر يبينه وقام ما أضيف اليه مقامه فى الاعراب من ذلك قول الله تبارك وتعالى واسأل القرية نُصب لانه كان واسأل اهل القرية وتقول بنو فلان يطؤهم الطريق تريد اهل الطريق فحذفت اهل فرفعت الطريق لانه فى موضع مرفوع فعلى هذا فقس ان شاء الله وقوله سماوة الهلال انما هو أعلاه ونصب سماوة بطى يريد طواه الأين كما طوت الليالى سماوة الهلال والشاهد على انه يريد أعلاه قول طفيل

سماوته أسمال برد محبر وسائره من أتحمى مُشرعب

ويروى معصب وانما سماوته من قولك سما فاعلم فاذا وقع الاعراب على

---

(١) وروى الاخفش البيت الاخير ويروى
* ألا قرب الحى الجمال لينبتوا *

الهاء أظهرت ما تبنيه على التأنيث على اصله فان كان من الياء أظهرت الياء وان كان من الواو أظهرت فيه الواو تقول شقاوة لانها من الشقوة وتقول هـذه امرأة سقاية اذا أردت البناء على غير تذكير فان بنيته على التذكير قلبت الياء والواو همزتين لان الاعراب عليهما يقع فقلت سقاء وغزاء يافتى فان أنثت قلت سقاءة وغزاءة والاجود فيما كان له تذكير الهمز وفيما لم يكن له تذكير الاظهار وانما السماء من الواو لان الاصل سما يسمو اذا ارتفع وسماء كل شيء سقفه وقوله حتى احقوقفا * يريد اعوج وانما هو افعوعل من الحقف والحقف النقا من الرمل يعوج ويدق قال الله عز وجل (اذ أنذر قومه بالاحقاف) أى بموضع هو هكذا

٣٧ وكان مالك بن دينار يقول جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشد فطام الكبير . وقيل لعمر بن عبد العزيز أى الجهاد أفضل فقال جهادك هواك . وقال رجل من الحكماء اعص النساء وهواك واصنع ماشئت . وكان يقال اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم

٣٨ ويروى عن بعض الصالحين أنه قال لو أنزل الله كتاباً أنه معذب رجلا واحداً لخفت أن أكونه أوانه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه ولو علمت أنه معذبى لامحالة ما ازددت الا اجتهادا لئلا أرجع على نفسى بلائمة .

٣٩ وقال رجل لابن أدهم عظنى فقال اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا

٤٠ وقال سعيد بن المسيب كنت بين القبر والمنبر مفكراً فسمعت قائلا يقول ولم أره اللهم انى أسألك عملا باراً ورزقاً داراً وعيشاً قاراً . قال سعيد فلزمتهن فلم أر الا خيراً . وقال الاصمعى كان من دعاء أبى المجيب اللهم اجعل خير عملى ما قارب أجلى .قال وكان يقول فى دعائه اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع

باب الكتب والعهود والرسائل

١ مما روى لنا عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قوله حيث عهد عند موته
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر انى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمى به ورأيى فيه وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخيرَ أردتُ ولكل امرىء ما اكتسب (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)

نصب أى بقوله ينقلبون ولا يكون نصبها بسيعلم لأن حروف الأستفهام اذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يعمل فيه ما قبله وذلك نحو قولك علمت زيدا منطلقا فان أدخلت الألف قلت علمت أزيد منطلق أم لا فاى بمنزلة زيد الواقع بعد الألف ألا ترى أن معناها أذا أم ذا وقال الله عز وجل « لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً » لأن معناها أهذا أم هذا وقال تعالى « فلينظر أيها أزكى طعاما » على ما فسرت لك وتقول أعلم أيهم ضرب زيدا وأعلم أيهم ضرب زيد تنصب ايا بضرب لأن زيدا فاعل فانما هذا لما بعده وكذلك ما أضيف الى اسم من هذه الاسماء المستفهم بها نحو قد علمت غلامُ أيهم فى الدار وقد عرفت غلامُ من فى الدار وقد علمت غلامَ من ضربت فتنصبه بضربت فعلى هذا مجرى الباب

٢ ومما يؤثر من الآداب ويقدم رسالة عمر بن الخطاب فى القضاء الى أبي موسى الأشعرى وهي التى جمع فيها جمل الأحكام واختصرها بأجود كلام وجمل الناسُ بعده يتخذونها اماماً ولا يجد محق عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها محيصاً وهى

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله ابن قيس سلام عليك . أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة

على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً احل حراماً أو حرم حلالا . لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشباه والامثال فقس الأمور عند ذلك واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقاً غائبا أو بينة أمداً ينتهى اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيناً فى ولاء أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان واياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام (قال أبو العباس) قوله أس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك يقول سو بينهم وتقديره اجعل بعضهم أسوة بعض والتأسى من ذا أن يرى ذو البلاء من به مثل بلائه فيكون قد ساواه فيه فيسكن ذلك من وجده قالت الخنساء

فلولا كثرة الباكين حولى ... على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن ... اعزى النفس عنه بالتأسى
يذكرنى طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

تقول أذكره فى أول النهار للغارة وفى آخره للضيفان وتمثل مصعب بن الزبير يوم قتل بهذا البيت

وان الألى بالطف من آل هاشم ... تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

وقوله حتى لا يطمع شريف فى حيفك يقول فى ميلك معه لشرفه وقوله فيما تلجلج فى صدرك يقول تردد وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل فى فمه فلا تزال تردد الى أن يسيغها أو يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى أن يصلها

بأخرى يقال للعيي لجلاج وقد يكون من الآفة تعتري اللسان قال زهير

تلجلج مضغة فيها أنيض أصلّت فهى تحت الكشح داء

قوله أنيض أى لم تنضج ومن أمثال العرب الحق أبلج والباطل لجلج أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجاً وقوله أو ظنيناً فى ولاء أو نسب فهو المتهم وأصله مظنون وهى ظننت التى تتعدى الى مفعول واحد تقول ظننت بزيد وظننت زيدا أى اتهمت ومن ذلك قول الشاعر وأحسبه عبد الرحمن بن حسان

فلا ويمين الله ما عن جناية هجرت ولكن الظنين ظنين

وفى بعض المصاحف « وما هو على الغيب بظنين » وانما قال عمر رضى الله عنه لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من انتمى الى غير أبيه أو ادعى الى غير مواليه فلما كانت معه الاقامة على هذا لم يره لشهادة موضعاً وقوله ودرأ بالبينات والأيمان انما هو دفع من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود بالشبهات » وقال الله عز وجل (قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) وقال (فادّارأتم فيها) أى تدافعتم وأما قوله واياك والغلق والضجر فانه ضيق الصدر وقلة الصبر يقال فى سوء الخلق رجل غلق وأصل ذلك من قولهم أغلق عليه أمره اذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن أى لم يوجد له تخلص وأغلقت الباب من هذا قال زهير

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقوله من تخلق للناس يقول أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته وقوله تخلق يريد أظهر خلقا مثل تجمل يريد أظهر جمالا وتصنع وكذلك تجبر انما تأويله الاظهار أى أظهر جبرية (١) قال أبو العباس وأنشدونا عن أبى زيد (٢)

يا أيها المتحلي غير شيمته (٣) (٤) ان التخلق يأتى دونه الخلق

---

(١) وان شئت جبروّة وان شئت جبروتا وان شئت جبروتى ومن كلام العرب على هذا الوزن رهبوتى خير لك من رحموتى أى لأن ترهب خير من أن ترحم (٢) الشعر لسالم بن وابصة الأسدى

(٣) ومن سجيته الادغال والملق دع التخلق يبعد عنك أوله (٤)

ولا يؤاتيك فيما ناب من حدث   الا أخو ثقة فانظر بمن تثق

قال وأنشدتنى أم الهيثم الكلابية

ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه   يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقال ذو الاصبع العدوانى (١)

كل امرىء راجع يوما لشيمته   وان تخلق أخلاقا الى حين

وأما قوله ثواب فاشتقاقه من ثاب يثوب اذا رجع وتأويله ما يثوب اليك من مكافأة الله وفضله .

٣ وكتب عثمان بن عفان الى على بن أبى طالب رضى الله عنهما حين أحيط به أما بعد فانه قد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الأمر بى قدره وطمع فى من لا يدفع عن نفسه

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى   والا فادركنى ولما أمزق

قوله قد جاوز الماء الزبى فالزبية مصيدة الأسد ولا تتخذ الا فى قلة أو رابية أو هضبة قال الراجز (٢) كاللذ تزبى زبية فاصطيدا . وقال الطرماح

يا طيىء السهل والأجبال موعدكم   كمبتغى الصيد أعلى زبية الاسد (٣)

وتقول العرب قد علا الماء الزبى وقد بلغ السكين العظم وبلغ الحزام الطبيين وقد انقطع السلى فى البطن والسلى من المرأة والشاة ما يلتف فيه الولد فى البطن قال العجاج .

فقد علا الماء الزبى فلا غير .   أى قد جل الأمر عن أن يغير ويصلح

وقوله وبلغ الحزام الطبيين فان السباع والخيل يقال لمواضع الأخلاف منها أطباء يافتى واحدها طبى كما يقال فى الظلف والخف خلف هذا مكان هذا فاذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى فى المكروه ومثل هذا من أمثالهم التقت حلقتا البطان ويقولون التقت حلقتا البطان والحقب ويقال حقب البعير اذا صار الحزام

---

(١) ذو الاصبع اسمه حرثان بن الحارث بن محرث وقيل له ذو الاصبع لأن أفعى نهشت اصبعه (٢) فأنت والأمر الذى قد كيدا (٣) ويروى فى عريسة الأسد

فى الحقب قال الشاعر (١)

اذا ما حقب جال شددناه بتصدير

وقال أوس بن حجر .

وازدحمت حلقتا البطان بأقـ وام وطارت نفوسهم جزعا

وتمثله بهذا البيت يشاكل قول القائل

فأن أك مقتولا فكن أنت قاتلى فبعض منايا القوم أكرم من بعض

ويروى عن قنبر مولى على بن أبى طالب رضي الله عنه انه قال دخلت مع على بن أبي طالب على عثمان بن عفان رضى الله عنهما فأحبا الخلوة فأومأ الىّ على بالتنحى فتنحيت غير بعيد فجعل عثمان يعاتب علياً وعلى مطرق فأقبل عليه عثمان فقال ما بالك لا تقول فقال ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عندى الا ما تحب . تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به على فلذعك عتابى وعقدى الا أفعل وان كنت عاتباً الا ما تحب

٤ ووجه على بن أبى طالب رضى الله عنه جرير بن عبد الله البجلى الى معاوية رحمه الله يأخذه بالبيعة له فقال له ان حولى من ترى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ولكنى اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خير ذى يمن ائت معاوية فخذه بالبيعة لى فقال جرير والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتى شيئاً وما أطمع لك فى معاوية فقال على رضى الله عنه انما قصدى حجة أقيمها عليه فلما أتاه جرير دافعه معاوية فقال له جرير ان المنافق لا يصلى حتى لا يجد من الصلاة بدا ولا أحسبك تبايع حتى

(١) قال أبو بكر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأول الشعر .

سليمى تلك فى العير قفى ان شئت أو سيرى

فلما ان بدا الصبح بأصوات العصافير

خرجنا نبتغى الصيد بأمثال اليعافير

اذا ما حقب جال شددناه بتصدير

زجرنا العيس فارمدت بأهداب وتشمير .

لا تجد من البيعة بداً فقال له معاوية انها ليست بخدعة الصبى عن اللبن انه أمر له ما بعده فأبلعنى ريقى فناظر عمرا فطالت المناظرة بينهما وألح عليه جرير فقال له معاوية القاك بالفصل فى أول مجلس ان شاء الله ثم كتب لعمرو بمصر طعمة وكتب عليه ولا ينقض شرط طاعة فقال عمرو يا غلام اكتب ولا تنقض طاعة شرطاً فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته ينشد ليسمع جريراً

تطاول ليلى واعترتنى وساوسى ... لآتٍ أتى بالترهات البسابس
أتانى جرير والحوادث جمة ... بتلك التى فيها اجتداع المعاطس
أكايده والسيف بينى وبينه ... ولست لأثواب الدنىّ بلابس
ان الشأم أعطت طاعة يمنية ... تواصفها أشياخها فى المجالس
فان يفعلوا أصدم علياً بجبهة ... تفت عليه كل رطب ويابس (١)
وانى لأرجو خير ما نال نائل ... وما أنا من ملك العراق بيائس

وكتب الى على رضى الله عنه (بسم الله الرحمن الرحيم) من معاوية بن صخر الى على بن أبى طالب أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولكن أغريت بعثمان المهاجرين وخذّلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشأم الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمرى ما حجتك علىّ كحجتك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك ولم ابايعك وما حجتك على أهل الشأم كحجتك على أهل البصرة لان أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشأم وأما شرفك فى الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه وكتب اليه فى آخر الكتاب بشعر كعب بن جميل وهو

أرى الشأم تكره ملك العراق ... وأهل العراق لهم كارهينا
وكلا لصاحبه مبغضا ... يرى كل ما كان من ذاك دينا
اذا ما رمونا رميناهم ... ودناهم مثل ما يقرضونا

(١) الجبهة جماعة الخيل .

فقالوا علىّ امام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى ان تدينوا له فقلنا ألا لانرى ان ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد وضرب وطعن يقر العيونا

وأحسن الروايتين يفض الشؤونا وفى آخر هذا الشعر ذم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أمسكنا عنه فكتب اليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة وهو بسم الله الرحمن الرحيم من على بن أبى طالب الى معاوية بن صخر أما بعد فانه أتانى منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشد دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه زعمت انك انما أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وبعد فما أنت وعثمان انما أنت رجل من بنى أمية وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه فان زعمت أنك اقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم الى وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشأم وأهل البصرة فلعمرى ما الامر فيما هنا لك الاسواء لانها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر وأما شرفى فى الاسلام وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من قريش فلعمرى لو استطعت دفعه لدفعته ثم دعا النجاشى أحد بنى الحارث بن كعب فقال له ان ابن جعيل شاعر أهل الشأم وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعنى قوله قال اذا أسمعك شعر شاعر فقال النجاشى يجيبه

دعن يامعاوى ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم على بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا

وبعد هذا ما نمسك عنه . قول معاوية ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين فهو من الاغراء وهو التحضيض عليه يقال أغريته وآسدته عليه وآسدت الكلب على الصيد وسده ايسادا ومن قال أشليت الكلب فى معنى أغريت فقد أخطأ انما أشليته دعوته الى وآسدته أغريته وقول ابن جعيل وأهل العراق لهم كارهينا محمول على

أرى ومن قال واهلُ العراق لهم كارهونا فالرفع من وجهين أحدهما قطع وابتداء ثم عطف جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى ولكن كقولك كان زيد منطلقا وعمرو منطلق الساعة خبرت بخبر بعد خبر والوجه الآخر ان تكون الواو وما بعدها حالا فيكون معناها اذ كما تقول رأيت زيدا قائما وعمرو منطلق تريد اذ عمرو منطلق وهذه الآية تحمل على هذا المعنى وهو قول الله عز وجل يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم أنفسُهم والمعنى والله أعلم اذ طائفة فى هذه الحال وكذلك قراءة من كرأ ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحرُ يمده من بعده سبعة أبحر أى والبحر هذه حاله ومن قرأ والبحر فعلى أن وقوله ودناهم مثل مايقرضونا يقول جزيناهم وقال المفسرون فى قوله عز وجل مالك يوم الدين قالوا يوم الجزاء والحساب ومن أمثال العرب كما تدين تدان وأنشد ابوعبيدة (١)

واعلم وأيقن ان ملكك زائل واعلم بأنك كما تدين تدان

وللدين مواضع منها ماذكرنا ومنها الطاعة ودين الاسلام من ذلك يقال فلان فى دين فلان اى فى طاعته ويقال كانت مكة بلدا لقاحا اى لم تكن فى دين ملك وقال زهير

لئن حلت بجو فى بنى أسد فى دين عمرو وحالت دوننا فدك

فهذا يريد فى طاعة عمرو بن هند والدين العادة يقال مازال هذا دينى ودأبى وعادتى وديدنى واجرياى قال المثقب العبدى

تقول اذا درأت لها وضينى أهذا دينه أبداً ودينى
أكل الدهر حل وارتحال أما يبقى على وما يقينى

وقال الكميت بن زيد

على ذاك إجرياى وهى ضريبتى وان أجلبوا طراً على وأحلبوا

وقوله فقلنا رضينا ابن هند رضينا يعنى معاوية بن أبى سفيان وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وقوله أن تدينوا له أى أن

(١) الشعر ليزيد بن الصعق الكلابى وله خبر

تطيعوه وتدخلوا فى دينه أى فى طاعته وقوله ومن دون ذلك خرط القتاد فهذا مثل من أمثال العرب والقتاد شجرة شاكة غليظة أصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلا فى الامر الشديد لانه غاية الجهد ومن قال يفض الشؤونا فيفض يفرق تقول فضضت عليه المال والشؤون واحدها شأن وهى مواصل قبائل الرأس وذلك أن للرأس أربع قبائل أى قطع مشعوب بعضها الى بعض فمواضع شعبها يقال لها الشؤون واحدها شأن وزعم الاصمعى قال يقال ان مجارى الدموع منها فلذلك استهلت شؤونه وأنشد قول أوس بن حجر

لا تحزنينى بالفراق فاننى لا تستهل من الفراق شؤونى

ومن قال يقر العيونا ففيه قولان أحدها للاصمعى وكان يقول لا يجوز غيره يقال قرت عينه وأقرها الله وقال انما هو بردت من القر وهو خلاف قولهم سخنت عينه وأسخنها الله وغيره يقول قرت هدأت وأقرها الله أهدأها الله وهذا قول حسن جميل والاول أغرب وأطرف .

أما قول على ليس له بصر يهديه فمعناه يقوده والهادى هو الذى يتقدم فيدل والحادى الذى يتأخر فيسوق والعنق يسمى الهادى لتقدمه قال الاعشى

اذا كان هادى الفتى فى البلا د صدر القناة أطاع الاميرا

يصف أنه قد عمى فانما تهديه عصا ألا تراه يقول

وهاب العثار اذا ما مشى وخال السهولة وعثا وعورا

وقال القطامى

انى وان كان قومى ليس بينهم وبين قومك الا ضربة الهادى

وقال أيضاً .

قربن يقصرن من بزل مخيسة ومن عراب بعيدات من الحادى

وقوله ولا قائد يرشده قد أبان به الاول وقوله دعاه الهوى فالهوى من هويت مقصور وتقديره فَعل فانقلبت الياء ألفاً فلذلك كان مقصورا وانما كان كذلك لانك تقول هوى يهوى كما تقول فرق يفرق وهو هو كما تقول هو فرق كما ترى وكان المصدر على فعل بمنزلة الفرق والحذر والبطر لان الوزن واحد فى

الفعل واسم الفاعل فأما الهواء من الجو فدود يدلك على ذلك جمعه اذاقلت أهوية لان أفعلة انما تكون جمع فَعال وفعال وفَعول وفَعيل كما تقول قَذال وأقذلة وحمار وأحمرة (١) فهواء كذلك والمقصور جمعه أهواء فاعلم لانه على فَعَل وجمع فعل أفعال كما تقول جمل وأجمال وقتب وأقتاب قال الله عز وجل (واتبعوا أهواءهم) وقولهم هـذا هواء يا فتى فى صفة الرجل انما هو ذم يقولون لا قلب له قال الله عزوجل وأفئدتهم هواء أى خالية وقال زهير.

كأن الرحل منها فوق صَعْل　　من الظِّلمان جؤجؤه هواء

وهذا من هواء الجو وقال الهزلى.

هواء مثل بعلك مستميت　　على ما فى وعائك كالخيال

وينشد على ما فى اعائك فكل واو مكسورة وقعت أولا فهمزها جائز يقال وسادة واسادة ووشاح واشاح. وأما قوله فما أنت وعثمان فالرفع فيه الوجه لانه عطف اسماً ظاهراً على اسم مضمر منفصل وأجراه مجراه وليس هاهنا فعل فيحتمل على المفعول فكأنه قال فما أنت وما عثمان هذا تقديره فى العربية ومعناه لست منه فى شيء وقد ذكرسيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازاً حسناوجعله مفعولا معه وأضمر كان من أجل الاستفهام فتقديره عنده ما كنت وفلانا وهذا الشعر كما أصف لك ينشد.

وأنت أمرؤ من أهل نجد وأهلنا　　تهام وما النجـدى والمتغور

وكذا قوله (٢)

تكلفنى سويق الكرم جَرْمٌ　　وما جرم وماذاك السويق

فان كان الاول مضمرا متصلا كان النصب لئلا يحمل ظاهر على مضمر تقول مالك وزيداً وذاك أنه أضمر الفعل فكأنه قال فى التقدير وملابستك وزيداً وفى النحو تقديره مع زيد وانما صلح الاضمار لان المعنى عليه اذا قلت مالك وزيداً فانما تنهاه عن ملابسته اذ لم يجز وزيد وأضمرت لان حروف الاستفهام

---

(١) وعمود وأعمدة ورغيف وأرغفة للوزنين الآخرين. السباعى

(٢) هو زياد الاعجم

للافعال فلو كان الفعل ظاهرا لكان على غير اضمار نحو قولك ما زلت وعبد الله حتى فعل لانه ليس يريد ما زلت وما زال عبدالله ولكنه أراد ما زلت بعبدالله فكان المفعول مخفوضاً بالباء فلما زال ما يخفضه وصل الفعل اليه فنصبه كما قال تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا) قالوا وفى بمعنى مع وليست بخافضة فكان ما بعدها على الموضع فعلى هذا ينشد هذا الشعر (١)

فمالك والتلدد حول نجد   وقد غصت تهامة بالرجال

ولو قلت ما شأنك وزيدا لاختير النصب لان زيداً لا يلتبس بالشأن لان المعطوف على الشيء أبداً فى مثل حاله ولو قلت ما شأنك وشأن زيد لرفعت لان الشأن يعطف على الشأن وهذه الآية تفسر على وجهين من الاعراب أحدهما هذا وهو الاجود فيها وهو قوله عز وجل فأجمعوا أمركم وشركاءكم فالمعنى والله أعلم مع شركائكم لانك تقول جمعت قومى وأجمعت أمرى ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الامر حمله على مثل لفظه لان المعنى يرجع الى شيء واحد فيكون كقوله (٢)

يا ليت زوجك قد غدا   متقلداً سيفا ورمحا

وقال آخر   * شراب ألبان وتمر وأقط *   وهذا بين

٥ وكان سبب رسالة هشام الى خالد بن عبد الله افراط خالد فى الدالة على هشام وأنه أخذ ابن حسان النبطي فضربه بالسياط وكان يقال له سهيل قال فبعث بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من افراط الدالة واحتجان الاموال وكفر ما أسداه اليه من توليته إياه العراق فكتب هشام الى خالد . بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك الا لما أحب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد عليه منك فان تعد لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى فى معاجلتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما فى يديه الى حيلته

---

(١) هو لمسكين الدارمى   (٢) هو عبد الله بن الزبعرى

وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية الغى والسلطان ذل منقادا وندم حسيرا وتمكن منه عدوه قادرا عليه قاهرا له ولوأراد أمير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك والله ما زادتنى ولاية العراق شرفاً ولا ولانى أمير المؤمنين شيئاً لم يكن من قبلى ممن هو دونى يلى مثله ولعمرى لو ابتليتَ ببعض مَقاوم الحجاج فى أهل العراق فى تلك المضايق التى لقى لعلمت أنك رجل من بَجيلة فقد خرج عليك أربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى قلت أطعمونى ماء دَهَشا وبَعَلا وجبنا فما استطعتهم الا بأمان ثم أخفرت ذمتك . منهم رزين وأصحابه ولعمرى أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك فى مجلسك وجحودك فضله اليك وتصغير ما أنعم به عليك لحل العقدة ونقض الصنيعة وردك الى منزلة أنت أهلها كنت لذلك مستحقاً فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية فى يوم صفين وعرض له دينه فما اصطنع الا عنده ولا ولاه ما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك وقبله من أهل اليمن وبيوتاتهم من قبيله أكرم من قبيلك من كندة وغسان وآل ذى يزن وذى كُلاع وذى رُعين فى نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكرم أولية وأشرف أسلافاً من آل عبد الله بن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات تعلوك وتعزك وتسكتك وتتقدمك فى المحافل والمجامع عند بداءة الأمور وأبواب الخلفاء ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غربك لعاجلك بالتى كنت أهلها وانها منك لقريب مأخذها سريع مكروهها فيها ان أبقى الله أمير المؤمنين زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التى قامت عنك فبئس الجنين أنت يا عُدى نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان أمير المؤمنين اليك وسوء قيامك بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبحت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمة عندك فأصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة وحلول

الخزى فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أوجد ولما عملت أكره فقد أصبحت وذنوبك عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبكتك الا راقبا بين يديه وعنده من يقررك بها ذنبا ذنبا ويبكتك بما أتيت أمرا أمرا فقد نسيته وأحصاه الله عليك ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر عنك فيما عرفك به من التسرع الى حماقتك فى غير واحدة . منها القرشى الذى تناولته بالحجاز ظالما فضربك الله بالسوط الذى ضربته به مفتضحا على رءوس رعيتك ولعل أمير المؤمنين يعود لك بمثل ذلك فان يفعل فأهله أنت وان يصفح فأهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهى سقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحى من قريش تسميها أم جعار فلا سقاك الله من حوض رسوله وجعل شركا لخير كما الفداء ووالله أن لو لم يستدلل أمير المؤمنين على ضعف نحائزك وسوء تدبيرك الا بفسالة دخائلك وبطانتك وعما لك والغالبة عليك جاريتك الرائمة بائعة الفهود ومستعملة الرجال مع ما أتلفت من مال الله فى المبارك (١) فانك ادعيت أنك أنفقت عليه اثنى عشر ألف ألف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين وسلطت من ولاة السوء على جميع أهل كور عملك تجمع اليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان (٢) حابسا لأكثره رافعا لأقله مع مخابث مساويك التى قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها . ومناصبتك أمير المؤمنين فى مولاه حسان ووكيله فى ضياعه وأحوازه فى العراق واقدامك على ابنه بما أقدمت به وسيكون لأمير المؤمنين فى ذلك نبأ ان لم يعف عنك ولكنه يظن ان الله طالبك بأمور أتيتها غير تاركك لتكشيفك عنها وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها التى جباها عمر بن هبيرة (٣) وتوجيهك أخاك أسدا الى خراسان مظهر العصبية بها متحاملا على هذا الحى من مضر (٤) قد أتت أمير المؤمنين

---

(١) نهر بالعراق احتفره خالد بن عبد الله . السباعى

(٢) عيدان من أعياد الفرس فالنيروز عند نزول الشمس أول الحمل والمهرجان عند نزولها أول الميزان . السباعى (٣) كان والى العراق قبل خالد . السباعى

(٤) انما نسب الى خالد وأخيه التعصب على مضر لأنهما من قحطان

بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقات ناسياً لحديث زرنب وقصص الهجربين كيف كانت فى أسد بن كرز (١) فاذا خلوت أو توسطت ملأ فاعرف نفسك وخف رواجع البغى عليك وعاجلات النقم فيك واعلم ان ما بعد كتاب أمير المؤمنين هـذا أشد عليك وأفسد لك وقبل أمير المؤمنين خلف منك فى أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم وفيهم عوض منك والله من وراء ذلك .

وكتب عبد الله بن سالم سنة تسعة عشرة ومائة

٦ ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله ابن حسن (٢) العلوى ونختصر ما يجوز ذكره منه ونمسك عن الباقى فقد قيل الراوية أحد الشاتمين قيل انه لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليـه وسلم ان تبت من قبل ان أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وأن أعطيك الف ألف درهم وانزلك من البلاد حيث شئت وأقضى لك ما شئت من الحاجات وان أطلق من فى سجنى من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتتبع أحداً منكم بمكروه فان شئت أن تتوثق لنفسك فوجه الىَّ من يأخذ لك من الميثاق والعهد والأمان ما أحببت والسلام . فكتب اليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمـد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان

---

(١) زرنب وأسد أبوا يزيد جد خالد بن عبد الله ويقال ان أسدا أولد زرنب عبد الله والد خالد على غير عقد كما يدعى الهجريون . السباعى

(٢) ابن حسن بن على . السباعى

فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى أعطيتنى وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وخبطتموه بفضلنا وأن أبانا علياً عليه السلام كان الوصى والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وأنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية دونكم (١) وبنو ابنته فاطمة فى الاسلام من بينكم (٢) فأنا أوسط بنى هاشم نسباً وخيرهم أماً وأباً لم تلدنى العجم ولم تعرق فىَّ أمهات الأولاد وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم اسلاماً وأوسعهم علماً وأكثرهم جهاداً على بن أبى طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ومن المولودين فى الاسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت أن هاشماً ولد علياً مرتين (٣) وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين (٤) وأن رسول الله

---

(١) هى أم عبد الله والد النبى وأبى طالب جد العلويين أما العباس جد العباسيين فمن غيرها السباعى

(٢) هى فاطمة الزهراء ابنة النبى من خديجة وهى والدة الحسن والحسين ولدى على . السباعى

(٣) مرة من جهة أبيه أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ومرة من جهة أمه فاطمة بنت أسد بن عبد العزى بن هاشم السباعى

(٤) مرة من جهة أبيه على بن أبى طالب بن عبد المطلب ومرة من جهة أمه فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . السباعى

صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدى الحسن والحسين (١) فما زال الله يختار لى حتى اختار لى فى النار فولدنى أرفع الناس درجة فى الجنة وأهون أهل النار عذاباً (٢) فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الأشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت فى بيعتى أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقدعلمت ما يلزمك فى ذلك (٣) فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى لقبول الأمان فأما أمانك الذى عرضت علىّ فأى الامانات هو أأمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله ابن على أم أمان أبي مسلم والسلام (٤) فكتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعدفقد أتاني كتابك وبلغنى كلامك فاذا جلّ فخرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الاباء كالعصبة والأولياء ولقد جعل العم أباً وبدأبه على الوالد الأدنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب (٥) ولقد علمت ان الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فأجاب اثنان أحدهما أبى وكفر اثنان أحدهما أبوك (٦) فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين

---

(١) كان الحسين جده من قبل أمه كما أن الحسن جده من قبل أبيه وكلاهما ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم السباعى

(٢) هو جده أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم السباعى

(٣) قيل انه لولا خوف أبى جعفر المنصور من أن يقتص منه محمد بن عبد الله بن حسن لهذا القول لأذعن له . السباعى

(٤) هؤلاء الثلاثة أمنهم أبو جعفر وغدر بهم فهو يبكته السباعى

(٥) يقصد انه ورث الخلافة عن العباس عم النبى لا عن فاطمة وهى ابنته وان الله قدم ابراهيم على اسماعيل مع أن اسماعيل أقرب السباعى

(٦) المجيبان حمزة والعباس وهو جد العباسين والكافران أبو لهب وأبو طالب وهو جد العلويين . السباعى

على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه . واما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب فان الله لم يهد أحداً من ولدها للاسلام ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير فى الآخرة والأولى وأسعدهم بدخول الجنة ولكن الله أبى ذلك فقال (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) واما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب وفاطمة أم الحسن وأن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين نخير الأولين والآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة . وأما ما ذكرت من انك ابن رسول الله فان الله عز وجل أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة غير انها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز ان تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصم ومرضها سراً ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين (١) ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم اخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك منهم ثم كان فى أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أبوك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم فى يديه شيعته وخرج الى المدينة فدفع الأمر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شيء فقد بعتموه . فأما قولك ان الله اختار لك فى الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذاباً فليس فى الشر خيار ولا من عذاب الله هين ولا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان يفخر بالنار وسترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأما قولك انك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وانك أوسط بنى هاشم نسباً

---

(١) قوله ولقد طلب الى قوله تخاصم هذه عبارة مكذوبة كما فى كتب السير الصحيحة وهى من وضع الرافضة ا هـ مصحح الكامل

وخيرهم أمًا وأبًا فقد رأيتك نخرت علي بنى هاشم طرًا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخراً وأصلا وفصلا نخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والدِ ولده فانظر ويحك اين تكون من عذاب الله غداً وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على بن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيراً من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن على خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولقد علمت ان جدك عليًا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين بن على على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الاقتاب بغير أوطية كالسبي المجلوب الى الشأم ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أمية وحرّقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم واورثناكم ارضهم وديارهم بعد ان كانوا يلعنون أباكم فى أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت انا لما ذكرنا من فضل على أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل اولئك مضوا سالمين مسلماً منهم وابتلى ابوك بالدماء ولقد علمت ان مآثرنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا فيها ابوك الى عمر فقضى لنا عمر عليه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته احد حياً الا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس انه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا ان العباس أخرج الى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل او يلحسا جفان عتبة وشيبة فاذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يعون أبا طالب للأزمة التى أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقدمناكم فى الكفر وفدينا كم من الأسر وورثنا دونكم خاتم الأنبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ووضعنا كم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام.

٧ وكتب الى جعفر بن يحيى أن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الاموال فوقع جعفر هذا رجل منقطع عن السلطان وبين ذؤبان العرب بحيث العدد والعدة والقلوب القاسية والأنوف الحميّة فليُمدَّد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه فان نفقات الحرب يستظر لها ولا يستظهر عليها . وأكثر الناسُ شكية عامل فوقع اليه فى قصتهم يا هذا قد كثر شاكوك وقل حامدوك فاما عدلت واما اعتزلت .

وزعم الجاحظ قال قال ثمامة بن أشرس النميرى ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر ابن يحيى والمأمون وقال موبس بن عمران ما رأيت رجلا أبلغ من يحيى بن خالد وأيوب بن جعفر وقال جعفر بن يحيى لكتابه ان قدرتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات فافعلوا

باب الحكم والامثال والجوامع

أولا — جوامع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار فى كلام جرى انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع « الفزع فى كلام العرب على وجهين أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ » من ذلك قول سلامة بن جَندل

كنا اذا ما أتانا صارخ فزِع   كان الصراخ له قرع الظنابيب

يقول اذ أتانا مستغيث كانت اغاثته الجد فى نصرته يقال قرع لذلك الأمر ظُنبوبه اذا جد فيه ولم يفتر ويشتق من هذا المعنى ان يقع فزع فى معنى أغاث كما قال الكلحبة اليربوعى (١)

---

(١) قال أبو الحسن الكلحبة لقبه واسمه هبيرة وهو من بنى عَرين بن يربوع والنسب اليه عرينى وكثير من الناس يقول عُرنى ولا يدرى وعرينة من

فقلت لكأس ألجميها فانما حللت الكثيب من زرود لأفزعا

يقول لأغيث وكأس اسم جارية واذا أمرها بالجام فرسه ليغيث والظنبوب مقدم عظم الساق .

٢ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم باحبكم الىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون الا أخبركم بأبغضكم الى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون . قوله صلى الله عليه وسلم أكنافا مثل وحقيقته ان التوطئة هى التذليل والتمهيد يقال دابة وطىء يافتى وهو الذى لا يحرك راكبه فى مسيره وفراش وطىء اذا كان وثيراً لا يؤذى جنب النائم عليه فأراد القائل بقوله موطأ الأكناف أنه ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى ولا ناب به موضعه قال أبو العباس حدثنى العباس بن الفرج الرياشى قال حدثنى الأصمعي قال قيل لأعرابى وهو المنتجع بن نبهان ما السميدع فقال السيد الموطأ الأكناف وتأويل الأكناف الجوانب يقال فى المثل فلان فى كنف فلان كما يقال فلان فى ظل فلان وفى ذرى فلان وفى ناحية فلان وفى حيز فلان وقوله صلى الله عليه وسلم الثرثارون يعنى الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً وخروجاً عن الحق وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء يقال عين ثرثارة وكان يقال لنهر بعينه الثرثار وانما سمى به لكثرة مائه قال الأخطل (١)

لعمرى لقد لاقت سليم وعامر على جانب الثرثار راغية البكر

قوله راغية البكر أراد ان بكر ثمود رغا فيهم فأهلكوا فضربته العرب مثلا وأكثرت فيه قال علقمة بن عبدة الفحل

رغا فوقهم سقب السماء فداحض بشكته لم يُستلب وسليبُ (٢)

اليمن قال جرير يهجو عَرين بن يربوع .

عَرين من عُرينة ليس منا برئت الى عرينة من عرين

(١) واسمه غياث بن غوث يكنى أبا مالك ويلقب بدوبل والدوبل الخنزير

(٢) قال أبو الحسن الداحض الساقط والداحض أيضاً الزالق .

وكذلك اذا لم تضعف الثاء فقلت عين ثرة فانما معناه غزيرة واسعة قال عنترة

جادت عليها كل عين ثرة   فتركن كل حديقة كالدرهم

قال أبو العباس وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظ الثرثارة ولكنها فى معناها ويجب أن يكون من الثرة ثرارة وقوله صلى الله عليه وسلم المتفيهقون انما هو بمنزلة قوله الثرثارون توكيد له ومتفيهق متفيعل من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد كما قال الأعشى .

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة   كجابية الشيخ العراقى تفهق

كذا ينشده أهل البصرة وتأويله عندهم ان العراقى اذ تمكن من الماء ملأ جابيته لأنه حضرى فلايعرف مواقع الماء ولامحاله . قال العباس وسمعت أعرابية تنشد (١) كجابية السيح تريد النهر الذى يجرى على جابيته فماؤها لا ينقطع لأن النهر يمده ومثل قول البصريين فيما ذكروا به العراقى الشيخ قول الشاعر (٢)

لها ذنب ضاف وذفرى أسيلة   وخد كمرءاة الغريبة أسجح

يقول ان الغريبة لا ناصح لها فى وجهها لبعدها عن أهلها فمرءاتها أبدا مجلوة لفرط حاجتها اليها . وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يريد الصدق فى المنطق والقصد وترك ما لا يحتاج اليه قوله لجرير بن عبد الله البجلى يا جرير اذا قلت فاوجز واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف .

٣ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمرنى ربى بتسع الاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى وان أعفو عمن ظلمنى وأصل من قطعنى وأعطى من حرمنى وأن يكون نطقى ذكراً وصمتى فكراً ونظرى عبرة .

٤ وقال صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم يقول لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه

---

(١) قال أبو الحسن هى أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق وهى راوية أهل الكوفة

(٢) قال أبو الحسن هو ذو الرمة .

ثانيا — فى الادب والعقل

١ قال بعض الحكماء من أدب ولده صغيراً سُر به كبيراً

٢ وكان يقال من أدب ولده أرغم حاسده

٣ وقال بعض الحكماء ثلاث لا غربة معهن مجانبة الرِيَب وحسن الأدب وكف الأذى

٤ وقال عمرو بن العاص لدهقان نهر تيرى بم يذبل الرجل عندكم فقال بترك الكذب فانه لا يشرف الا من يوثق بقوله وبقيامه بأمر أهله فانه لاينبل من يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعز من لا يؤمن أن يصادف على سوأة وبالقيام بحاجات الناس فانه من رُجى الفرج لديه كثرت غاشيته .

٥ وقال رجل لعبد الملك بن مروان انى أريد أن أسر اليك شيئاً فقال عبد الملك لاصحابه اذا شئتم فنهضوا فأراد الرجل الكلام فقال له عبد الملك قف لا تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ولا تكذبنى فانه لا رأى لمكذوب ولا تغتب عندى أحداً فقال الرجل يا أمير المؤمنين أفتأذن لى فى الانصراف قال له اذا شئت .

٦ وقال بزُرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعاً وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريباً وكثرت الحاجة اليه وان كان مقتراً

٧ وكان يقال عليكم بالأدب فانه صاحب فى السفر ومؤنس فى الوحدة وجمال فى المحفل وسبب الى طلب الحاجة .

٨ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أفضل ما أعطيته العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم . وكان شعبة بن الحجاج أو سماك بن حرب (١) اذا كانت له الى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه .

---

(١) هو سماك بلا شك

٩ وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته ما خير ما يُرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال فأدب يتحلى به قال فان عدمه قال فمال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد .

١٠ وقيل لرجل من ملوك العجم متى يكون العلم شراً من عدمه قال اذا كثر الأدب ونقصت القريحة

١١ وقال أزدشير من لم يكن عقله أغلب خلال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خلال الخير عليه .

١٢ وقال محمد بن على بن عبد الله بن العباس وذكر رجلا من أهله انى لأكره أن يكون لعلمه فضل على عقله كما اكره ان يكون للسانه فضل على علمه

١٣ وقال محمد بن على بن الحسين جميع التعايش والتناصف والتعاشر فى ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلث تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ولا حظاً فى الصلاح لأن الانسان لا يتغافل الا عن شيء قد عرفه وفطن به .

١٤ وذكرت هند بنت المهلب بن أبى صفرة النساء فقالت ما زين بشيء كأدب بارع تحته لب ظاهر .

١٥ وقالت هند بنت عتبة انما النساء أغلال فليختر الرجل غلاليده .

ثالثا ـ فى الحلم والعفو

١ يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده ألا اخبركم بشر من ذلكم من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً ألا اخبركم بشر من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه .

٢ ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه . قوله صلى الله عليه وسلم تتكافأ دماؤهم من قولك فلان كفء لفلان أى عديله وموضوع بحذائه قال الله عز وجل ولم يكن له كفوًا أحد ويقال فلان كفاء فلان وكفء فلان

وكفء فلان . ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فقال الفرزدق

بنو دارم اكفاؤهم آل مسمع   وتنكح فى اكفائها الحبطات

فآل مسمع بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهم من بنى قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحارث بن عمرو ابن تميم فقوله اكفاؤهم انما هو جمع كفء يافتى فقال رجل من الحبطات يجيبه

أما كان عباد كفيئا لدارم   بلى ولأبيات بها الحجرات

يعنى بنى هاشم من قول الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات

٣ وقيل لمعاوية بن أبى سفيان ما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة

٤ وقال للاحنف بن قيس وجارية بن قُدامة ورجال من بنى سعد معهما كلاماً أحفظهم فردوا عليه جواباً مقذعاً وابنة قرظة فى بيت يقرب منه فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الاجلاف كلاماً تلقوك به فلم تنكر فكدت أخرج اليهم فاسطو بهم فقال لها معاوية ان مضر كاهل العرب وتميما كاهل مضر وسعدا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد . وكان معاوية يقول انى لاأحمل السيف على من لاسيف معه وان لم تكن الا كلمة يشتفى بها مشتف جعلتها تحت قدمى ودبر أذنى. المقذع الذى فيه اقذاع وهو السيء من القول

٥ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه من لانت كلمته وجبت محبته

٦ وقال قيمة كل امرىء مايحسن

٧ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كفى بالمرء غياً أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيئاً ثم يأتى مثله أو يبدو له من أخيه مايخفى عليه من نفسه أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه .

٨ وقال ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك ان تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه . ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال يوماً من أجود العرب فقيل له حاتم قال فمن شاعرها قيل امرؤ القيس بن حُجر قال فمن فارسها قيل عمرو بن معديكرب قال فأى سيوفها أمضى قيل الصمصامة وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانية لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صميمها يعنى سهيلا من النجوم والركن اليمانى وصمصامة عمرو بن معديكرب

٩ وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ثلاث من كن فيه فقد كمل من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ولم يستنزله رضاه الى معصية الله واذا قدر عفا وكف

١٠ وروى شعبة عن واقد بن محمد عن ابى مليكة عن القاسم بن محمد قال : قالت عائشة رضى الله عنها من أرضى الله باسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أرضى الناس باسخاط الله وكله الله الى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

١١ ويروى أن الحسن بن زيد لما ولى المدينة قال لابن هرمة انى لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك قد أفادنى الله بولادة نبيه الممادح وجنبنى المقابح وان من حقه على ألا أغضى على تقصير فى حقه وأنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لاضربنك حدين حداً للخمر وحداً للسكر ولازيدن لموضع حرمتك بى فليكن تركك لها لله تعن عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم فنهض ابن هرمة وهو يقول :

نهانى ابن الرسول عن المدام ... وأدبنى بآداب الكرام
وقال لى اصطبر عنها ودعها ... لخوف الله لا خوف الانام
وكيف تصبرى عنها وحبى ... لها حب تمكن فى عظامى
أرى طيب الحلال على خبثا ... وطيب النفس فى خبث الحرام

١٢ وحدثنى مسعود بن بشر قال : قال زياد يعجبنى من الرجل اذا سيم خطة الضيم أن يقول لا بملء فيه واذا أتى نادى قوم علم أين ينبغى لمثله أن يجلس فجلس واذا ركب دابة حملها على ما تحب ولم يبعثها الى ما تكره .

رابعاً ـ فى المروءة والسؤدد

١ يروى عن ابن عمر أنه كان يقول انا معشر قريش كنا نعد الجود والحلم السؤدد ونعد العفاف واصلاح المال المروءة .

٢ وقال الاحنف بن قيس كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزح تذهب المروءة ومن لزم شيئاً عُرف به .

٣ وقيل لعبد الملك بن مروان ما المروءة فقال موالاة الاكفاء ومداجاة الاعداء . وتأويل المداجاة المداراة أى لا تظهر لهم ما عندك من العداوة وأصله من الدجى وهو ما ألبسك الليلُ من ظلمته .

٤ وقيل لمعاوية ما المروءة فقال احتمال الجريرة واصلاح أمر العشيرة فقيل له وما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة .

٥ وكان أبو سفيان اذا نزل به جار قال له يا هذا انك قد اخترتنى جاراً واخترت دارى دارا فجناية يدك علىّ دونك وان جنت عليك يد فاحتكم علىّ حكم الصبي على أهله . وذلك أن الصبي قد يطلب ما لا يوجد الا بعيدا ويطلب ما لا يكون ألبتة قال الشاعر (١)

ولا تحكما حكم الصبى فانه كثير على ظهر الطريق مجاهله

٦ وقال رجل لسلم بن نوفل ما أرخص السؤدد فيكم فقال سلم أما نحن فلا نسوّد الا من بذل لنا ماله وأوطأنا عرضه وامتهن فى حاجتنا نفسه فقال الرجل ان السودد فيكم لغال ولسلم يقول القائل

يسوَّد اقوام وليسوا بسادة بل السيد المعروف سلم بن نوفل

٧ وقال معاوية لعَرابة بن أوس بن قيظى الأنصارى بم سدت قومك فقال لست بسيدهم ولكنى رجل منهم فعزم عليه فقال أعطيت فى نائبتهم وحلمت عن سفيههم وشددت على يدى حليمهم فمن فعل منهم مثل فعلى فهو مثلى ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ومن تجاوزه فهو أفضل منى . وكان سبب ارتفاع عرابة

---

(١) هو الاعرج المعنى

انه قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المرى فتحادثا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة قال قدمت لأمتارَ منها فملأ له عرابة رواحله براً وتمراً وأتحفه بغير ذلك فقال الشماخ

رأيت عرابة الأوسىّ يسمو　　الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد　　تلقاها عرابة باليمين
اذ بلغتنى وحملت رحلى　　عرابة فاشرق بدم الوتين
ومثل سراة قومك لم يجاروا　　الى رُبُع الرهان ولا الثمين

قوله تلقاها عرابة باليمين قال أصحاب المعانى معناه بالقوة وقالوا مثل ذلك فى قوله عز وجل (والسموات مطويات بيمينه) وقد أحسن كل الاحسان فى قوله.

اذا بلغتنى وحملت رحلى　　عرابة فاشرق بدم الوتين

يقول لست أحتاج الى أن أرحل الى غيره وقد عاب بعض الرواة قوله فاشرق بدم الوتين وقال كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقته صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس ما جزيتها . وقال لا نذر فى معصية ولا نذر للانسان فى غير ملكه . ومما لم يعب فى هذا المعنى قوله عبد الله بن رواحة الأنصارى لما أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة .

اذا بلغتنى وحملت رحلى　　مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمى وخلاك ذم　　ولا أرجع الى أهلى ورائى

الحساء جمع حِسْى وهو موضع رمل تحته صلابة فاذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة ان يغيض ومنع الرمل السمائم ان تنشفه فاذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء يقال حِسى وأحساء وحساء ممدودة وقوله ولا أرجع الى أهلى ورائى مجزوم لأنه دعاء فقوله لا هى الجازمة له ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيد لا يغفر الله له فهذا الدعاء ينجزم بما ينجزم به الأمر والنهى كما تقول زيد ليقم وزيد لا يبرح . وقد اتبع ذو الرمة الشماخ فى قوله .

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغتـه فقام بفأس بين وصليك جازر

الوصل المفصل بما عليه مل اللحم يقال قطع الله أوصاله ويقال وصل وكسر وجدل فى معنى واحد .

٨ قالوا ومن نعت السيد أن يكون لحيا ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعد واذا تؤمل ملأ العين لأن حقه أن يكون فى صدر مجلس او ذروة منبر أو منفرداً فى موكب وكانوا يقولون فى نعت السيد يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال أبو على دعبل فى رجل نسبه الى السؤدد يقوله لمعاذ بن جبـل بن سعيد الحميرى وهو من ولد حُميد بن عبد الرحمن الفقيه

فاذا جالسته صدرته وتنحيت له فى الحاشيه
واذا سايرته قدمته وتأخرت مع المستأنيه
واذا ياسرته صادفته سلس الخلق سليم الناحيه
واذا عاسرته صادفته شرس الرأى أبياً داهيه
فاحمد الله على صحبته واسأل الرحمن منه العاقبه

وهذا المعنى قد أجمله جرير فى قوله

بشر أبو مروان ان عاسرته عسر وعند يساره ميسور

وقال رجل لابن له والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيداً ولا بأرسح فتكون فارساً . وقال رجل من بنى أسد لرجل من قيس والله ما فتقت فتق السادة ولا مطلت مطل الفرسان فهذه كلها نعوت قد عرفت لقوم حتى كانها سمات لهم . وينبغى للفارس أن يكون مهفهف الخصرين متوقد العينين حمش الذراعين وأنشد الأصمعى . كانما ساعداه ساعدا ذيب . وفى حـديث أم ذرع مضجعه كمسل الشطبة وتكفيه ذراع الجفرة ومعناه انه خميص البطن وهـذا تمدح به العرب وتستحسـنه . فأما قول متمم بن نويرة . فتى غير مبطان العشيات أورعا . فانما أراد انه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف كما قال .

وضيف اذا أرغى طروقا بعيره وعان ناه الوفد حتى تكنعا

وقالوا فى قول الخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا   وأذكره لكل غروب شمس

قالوا أرادت بطلوع الشمس وقت الغارة و بغروب الشمس وقت الأضياف

خامسا – فى حسن الخلق

١ قال الاحنف بن قيس ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوإ الداء الخلق الدنيء واللسان البذيء

٢ وقال ثلاث فىّ ما أقولهن الا ليعتبر معتبر مادخلت بين اثنين حتى يدخلانى بينهما ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع اليه يعنى السلطان ولا حللت حُبوتى الى ما يقوم اليه الناس . تكسر الحاء وتضمها اذا أردت الاسم وتفتحها اذا أردت المصدر وأنشدنى عمارة بن عقيل لجرير

قتل الزبير وأنت عاقد حبوة   قبحاً لحبوتك التى لم تحلل

ويقال فى جمع حُبوة حبا وحُبا مقصوران

٣ ويروى عنه انه قال ما شاتمت رجلا مذ كنت رجلا ولا زحمت ركبتاى ركبتيه واذا لم أصل مجتدىّ حتى ينتح جبينه عرقاً كما ينتح الحميت فوالله ما وصلته قوله مجتدىّ يريد الذى يأتيه يطلب فضله يقال اجتداه يجتديه واعتفاه يعتفيه واعتراه يعتريه واعتره يعتره وعراه يعروه اذا قصده يتعرض لنائله وأصل ذلك مأخوذ من الجدَى مقصور وهو المطر العام النافع يقال أصابتنا مطرة كانت جدًى على الأرض فهذا الاسم فاذا أردت المصدر قلت فلان كثير الجداء ممدود كما تقول كثير الغَناء عنك ممدود هذا المصدر فاذا أردت الاسم الذى هو خلاف الفقر قلت الغنى بكسر أوله وقصرت قال خُفاف بن نَدْبة يمدح أبا بكر الصديق رضى الله عنه

ليس لشىء غير تقوى جداء   وكل شيء عمره للفناء
ان أبا بكر هو الغيث اذلم   تشمل الارض سحاب بماء
تا لله لا يدرك أيامه   ذوطرة حاف ولا ذو حذاء
من يسع كى يدرك أيامه   يجتهد الشد بأرض فضاء

وهذا من طريف الشعر لانه ممدود فهو بالمد الذى فيه من عروض السريع الاولى وبيته فى العروض

أزمان سلمى لايرى مثلها الرا ... ؤن فى شام ولا فى عراق

ثم نرجع الى تأويل قول الاحنف قوله حتى ينتح جبينه عرقاً فهو مثل الرشح وحدثنى أبو عثمان المازنى فى اسناد له ذكره قال قال رؤبة بن العجاج خرجت مع أبى نريد سليمان بن عبد الملك فلما صرنا فى الطريق أهدى لنا جنب من لحم عليه كرافئ الشحم وخريطة من كمأة ووطب من لبن فطبخنا هذا بهذا فما زالت ذفرياى تنتحان منه الى أن رجعت وقوله الحميت فالحميت والزق اسمان له واذا زفت أو كان مربوباً فهو الوطب واذالم يكن مربوباً ولا مزفتاً فهو سقاء ونحى والوطب يكون للبن والسمن والسقاء يكون للبن والماء قالت هند بنت عتبة لابي سفيان بن حرب لما رجع مسلمامن عند النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة فى ليلة الفتح فصاح يا معشر قريش ألا انى قد أسلمت فأسلموا فان محمداً قدأ تاكم بما لاقبل لكم به فأخذت هند رأسه وقالت بئس طليعة القوم أنت والله ماخدشت خدشاً يا أهل مكة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه وأما قول رؤبة كرافئ الشحم يدطبقات الشحم وأصل ذلك فى السحاب اذا ركب بعضه بعضاً يقال له كرفئ والجمع كرافئ (١)

٤ ويروى عن أسماء بن خارجة أنه قال لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا فانما هو كريم أسد خلته أو لئيم اشترى عرضى منه

---

(١) قال أبو الحسن الاخفش واحد الكرافئ كرفئة وهاء التأنيث اذاجمعت جمع التكسير حذفت لانهازائدة بمنزلة اسم ضم الى اسم وأحسب أنأبا العباس لم يسمع الواحد من هذا فقاسه والعرب تجترئ على حذف هاء التأنيث اذا احتاجت الى ذلك وليس هذا موضع حاجة اذا كانت قداستعملت الواحدة بالهاء ونظير هذا قولهم ما فى السماء كرفئة وما فى السماء قذعملة وقذعميلة وما فى السماء طحربة وطحربة وما فى السماء قرطعبة وما فى السماء كنهورة وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه .

٥ وقال عبد الله بن عبد الله بن عتبة ما أحسن الحسنات فى آثار السيئات وأقبح السيئات فى آثار الحسنات وأقبحُ من ذا وأحسن من ذاك السيئات فى آثار السيئات والحسنات فى آثار الحسنات والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمى بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يردّ الى كلّ خبره وقال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله

سادساً — فى المجالس

١ قال أبو ادريس الخولانى . المساجد مجالس الكرام .

٢ وقيل للأحنف بن قيس أحد بنى مرة بن عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد أى المجالس أطيب فقال ما سافر فيه البصر واتدع فيه البدن . اتدع افتعل من التوديع والأصل اوتدع فتقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون ايتزر ياتزر وهو رجل موتزر والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء فى باب افتعل تاء وتدغمها فى التاء من افتعل فتقول اتدع يتدع وهو متدع ومتزر ومتعد من الوعد ومتئس من اليأس تكون الياء كالواو لأنها ان أظهرت انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو وتكونان واوين عند الضمة نحو مُوعد ومُوتعد وموئس ومُوتئس وياءين للكسرة والواو قد تقلب الى التاء ولا تاء بعدها نحو تُراث من ورث وتُجاه من الوجه وتكأة وانما ذلك كراهية الضمة فى الواو وأقرب حروف الزوائد والبدل منها التاء فقلبت اليها وقد تقلب للبدل فى غير ضم نحو هذا أتقى من هذا وضربته حتى اتكأته فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجه القلب ليقع الادغام وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء فى الكتاب المقتضب

٣ وقيل للمهلب بن أبى صفرة ما خير المجالس فقال ما بعد فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة الجليس

٤ ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه يا بنىّ اذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الأسلام ثم اجلس فان أفاضوا فى ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم وان

أفاضوا فى غيره فخلهم وانهض . قوله فارمهم بسهم الاسلام يعنى السلام وقوله فأجل سهمك مع سهامهم يعنى ادخل معهم فى أمرهم فضربه مثلا من دخول الرجل فى قداح الميسر .

٥ وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه

واذا أتيت جماعة فى مجلس   فاختر مجالسهم ولما تقعد
ودع الغواة الجاهلين وجهلهم   والى الذين يذكرونك فاعمد

٦ وقال ابن عباس رحمه الله لجليسى على ثلاث أن أرميه بطرفى اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغى اليه اذا حدث

٧ وكان القعقاع بن شور أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيباً فى ماله وأعانه على عدوه وشفع له فى حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكراً له حتى شهر بذلك وفيه يقول القائل

وكنت جليس قعقاع بن شور   ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان أمروا بخير   وعند السوء مطراق عبوس

وحدثنى التوزى أن رجلا جالس قوماً من بنى مخزوم بن يَقَظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فأساءوا عشرته وسعوا به الى معاوية فقال

شقيت بكم وكنت لكم جليساً   فلست جليس قعقاع بن شور
ومن جهل أبو جهل أخوكم   غزا بدرا بمجمرة وثور

نسبه الى التوضيع كقول عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف لحكيم ابن حزام لما بلغه قول أبى جهل بن هشام انتفخ والله سَحره ونحره سيعلم مصفر استه من انتفخ سَحره اليوم .قال رجل من بنى مخزوم للأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ليؤذيه أتعرف الذى يقول

ذهبت قريش بالمكارم كلها   واللؤم تحت عمائم الانصار

فقال الأحوص لا أدرى ولكنى أعرف الذى يقول

الناس كنوه أبا حكم والله كناه أبا جهل

أبقت رياسته لأسرته لؤم الفروع ودقة الاصل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت والبيت الذى أنشده المخزومى للأخطل وكان يزيد بن معاوية عتب على قوم من الانصار فأمر كعب بن جعيل التغلبي بهجائهم فقال له كعب أأهجو الأنصار أرادى أنت الى الكفر بعد الاسلام ولكنى أدلك على غلام من الحى نصرانى كأن لسانه لسان ثور يعنى الأخطل قال فلما قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى على معاوية فحسر عمامته عن رأسه ثم قال يامعاوية أترى لؤماً فقال ما أرى الا كرما فقال النعمان

معاوى الا تعطنا الحق تعترف لحى الأزد مسدولا عليها العمائم

أيشتمنا عبد الأراقم ضلة فماذا الذى تجدى عليك الأراقم

فمالى ثأر دون قطع لسانه فدونك من ترضيه عنه الدراهم

وكان الأحنف بن قيس يقول لا تزال العرب عرباً مالبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعدد الحلم ذلا ولا التواهب فيما بينها ضعة وقالوا فى تأويل قوله ما لبست العمائم يقول ما حافظت على زيها وقوله وتقلدت السيوف يريد الامتناع من الضيم وقوله ولم تعدد الحلم ذلا يقول ماعرفت موضع الحلم وتأويل ذلك ان الرجل اذا أغضى لاسلطان أو أغضى عن الجواب وهو مأسور لم يقل حلم وانما يقال حلم اذا ترك ان يقول الشيء لصاحبه منتصراً ولا يخاف عاقبة يكرهها فهذا الحلم المحض فاذا لم يفعل ذلك ورأى ان تركه الحلم ذل فهو خطأ وسفه وقوله ولم تر التواهب فيما بينها ضعة نحو من هذا وهو أن يهب الرجل من حقه مالا يستكره عليه وكان يقال أحيوا المعروف باماتته وتأويل ذلك ان الرجل اذا امتن بمعروفه كدره وقيل المنة تهدم الصنيعة وكان يقال كتمان المعروف من المنعم عليه كفر وذكره من المنعم تكدير له. وقال قيس بن عاصم يا بنى تميم اصحبوا من يذكر احسانكم اليه وينسى أياديه اليكم

٨ وقال اعرابى يهجو قوماً من طيء

ولما ان رأيت بنى جوين جلوساً ليس بينهم جليس

يئست من التى أقبلت أبغى لديهم اننى رجل يؤوس
اذا ما قلت أيهم لأى تشابهت المناكب والرءوس

قوله جلوساً ليس بينهم جليس يقول هؤلاء قوم لا ينتجع الناس معروفهم فليس فيهم غيرهم وهـذا من أقبح الهجاء ومن أمثال العرب سمنهم فى أديمهم ومعناه فى مأدومهم وقيل أديم ومأدوم مثل قتيل ومقتول . وتقول الحكماء من كثر خيره كثر زائره . وقال المهلب بن أبى صفرة لبنيه يابنى اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا . وقال الآخر

أروح لتسليم عليك وأغتدى وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
كفى بطلاب المرء مالا يناله عناء و باليأس المصرّح ناهيا (١)

ومن أحسن المدح قول زهير

قد جعل الطالبون الخير فى هرم والسائلون الى أبوابه طرقا

وقال رؤبة (٢) ان الندى حيث ترى الضّغاطا

وقال آخر

يزدحم النـاس على بابه والمشرب العذب كثير الزحام

وقال أشجع فى محمد بن منصور

على باب منصور علامات من البذل
جماعات وحسب البا ب نبلا كثرة الأهل

وقوله تشابهت المناكب والرءوس انما ضربه مثـلا للأخلاق والأفعال أى ليس فيهم مفضل ويقال ان الاضبَط بن قُرَيع بن عوف بن كعب بن سـعد بن زيد مناة بن تميم آذته عشيرته من بنى سـعد فخرج عنهم فجعل لا يجاور قوماً الا آذوه فقال أينما أذهب ألق سعدا أى أفر من الأذى الى مثله

سابعا ـ فى العيش الناعم

١ قيل لخُريم المـرى وهو المنَبز بخريم الناعم ما النعمة فقال الأمن فانه

---

(١) وربما قال أبو العباس هو مصرح بكسر الراء قال أبو الحسن والكسر أجود (٢) ليس لرؤبة وهو لابن أبى نخيلة

يس لخائف عيش والغنى فانه ليس لفقير عيش والصحة فانه ليس لسقيم عيش قيل ثم ماذا قال لا مزيد بعد هذا

٢ وقال سلم بن قتيبة الشباب الصحة والسلطان الغنى والمروءة الصبر على الرجال .

٣ وقال معاوية الخفض والدعة سعة المنزل وكثرة الخدم .

٤ وكان يقال أنعم الناس عيشاً من عاش غيره فى عيشه

٥ وقيل فى المثل السائر من كان فى وطن فليوطن غيره وطنه ليرتع فى وطن غيره فى غربته

٦ وانتبه معاوية من رقدة له فأنبه عمرو بن العاص فقال له عمرو ما بقي من لذتك يا أمير المؤمنين قال عين خرارة فى أرض خوارة وعين ساهرة لعين نائمة فما بقى من لذتك يا أبا عبد الله قال أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب ثم نبها وردان فقال له معاوية ما بقي من لذتك فقال الافضال على الاخوان فقال له معاوية اسكت فأنا أحق بها منك فقال له قد أمكنك فافعل . ويروى أن عمراً لما سئل قال أن أستتم بناء مدينتى بمصر وأن وردان لما سئل قال أن ألقى كريماً قادراً فى عقب احسان كان منى اليه وأن معاوية سئل عن الباقى من لذته فقال محادثة الاخوان فى الليالى القمر على الكثبان العفر

٧ وقال سليمان بن عبد الملك قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره وامتطينا العذراء فلم يبق من لذتى الا صديق أطرح بينى وبينه مؤنة التحفظ

٨ وقال رجل لرجل من قريش انى والله ما أمل الحديث قال انما يمل العتيق

٩ وقال المهلب بن أبي صفرة العيش كله فى الجليس الممتع

١٠ وقال معاوية الدنيا بحذافيرها الخفض والدعة

١١ وقال يزيد بن المهلب ما يسرنى انى كفيت أمر الدنيا كله قيل له ولم أيها الأمير قال أكره عادة العجز

ثامناً — فى قيد النعم بالشكر وقيد العلم بالكتابة

١ قال الحسن نعم الله اكثر من أن تشكر الا ما أعان عليه وذنوب ابن آدم

أكثر من أن يسلم منها الا ما عفى الله عنه .

٢ وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه العجب لمن يهلك والنجاة معه فقيل ما هى يا أمير المؤمنين قال الاستغفار .

٣ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افصلوا بين حديثكم بالاستغفار

٤ وقالت هند بنت المهلب بن أبى صفرة اذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال .

٥ وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله قيدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتابة

٦ وقال الخليل بن احمد اجعل ما فى كتبك رأس مال وما فى صدرك للنفقة

٧ وقال أيضا كن على مدارسة ما فى قلبك أحرص منك على حفظ ما فى كتبك

٨ وقيل لنصر بن سيار ان فلاناً لا يكتب فقال تلك الزمانة الخفية

٩ وقال نصر بن سيار لولا أن عمر بن هبيرة كان بدوياً ماضبط اعمال العراق وهو لا يكتب

١٠ وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى فداءه من أسرى بدر فمن لم يكن له فداء أمره ان يعلم عشرة من المسلمين الكتابة ففشت الكتابة بالمدينة

١١ ومن امثال العرب . خير العلم ماحو ضربه يقول ماحفظ فكان للمذاكرة

تاسعاً — فى الزمان والسلطان

١ سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال لو كان يدرى ما الزمان لضربت عنقه ان الزمان هو السلطان

٢ وحدثنى مسعود بن بشر قال قال زياد الامرة تذهب الحفيظة وقد كانت من قوم الىّ هنات جعلتها تحت قدمى ودبر اذنى فلو بلغنى ان أحدكم قد أخذه السل من بغضى ماهتكت له ستراً ولا كشفت له قناعا حتى يبدى لى عن صفحته فاذا فعل لم أناظره

٣ وفى عهد أزدشير وقد قال الاولون منا عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان .

٤ وقال المهلب بن أبى صفرة لبنيه اذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على

المريب فان الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن

٥ وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن

قوله يزع أى يكف يقال وزع يزع اذا كف وكان أصله يزع مثل يعد فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتبعت حروف المضارعة الياء لئلا يختلف الباب وهى الهمزة والنون والتاء والياء نحو أعد ونعد وتعد ويعد ولكن انفتحت فى يَزع من أجل العين لان حروف الحلق اذا كن فى موضع عين الفعل أو لامه فتحن فى الفعل الذى ماضيه فعَل وان وقعت الواو مما هى فاء فى يفعَل المفتوحة العين فى الأصل صح الفعل نحو وحل يوحَل ووجل يوجَل ويجوز فى هذه المفتوحة ياحل وياجل وييحل وييجل وكل هذا كراهية للواو بعد الياء تقول وزعته كففته وأوزعته حملته على ركوب الشئ وهيأته وهو من الله عز وجل توفيق ويقال اوزعك الله شكره أى وفقك الله لذلك .

٦ وقال الحسن مرة ما حاجة هؤلاء السلاطين الى الشرط فلما ولى القضاء كثر عليه الناس فقال لابد للناس من وزعة .

٧ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتى صالحا أمرها ما لم تر الفئ مغنما والصدقة مغرماً

٨ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لايقرّب فيه الاالماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يتخذون الفئ مغنما والصدقة مغرماً وصلة الرحم مناً والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشاورة الاماء وامارة الصبيان (١)

٩ ويروى عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمدانى قال دفع الىّ الحجاج أزاذمرد بن الهربذ وأمرنى أن استخرج منه واغلظ عليه فلما انطلقت به قال لى يا محمد ان لك شرفاً وديناً وانى لا أعطى على القسر شيئا فاستأذنى وارفق بى قال ففعلت فأدى الىّ فى اسبوع خمسمائة الف قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه وانتزعه من يدى ودفعه الى رجل كان يتولى له العذاب فدق يديه ورجليه ولم يعطهم

---

(١) الماحل الواشى يقال محل فلان بفلان اذا وشى به ومكر .

شيئا قال محمد بن المنتشر فانى لأمر يوماً فى السوق اذا صائح بى يا محمد فالتفت فاذا به معرّضاً على حمار مدقوق اليدين والرجلين نخفت الحجاج أن أتيته وتذممت منه فملت اليه فقال لى انك وليت منى ما ولى هؤلاء فأحسنت وانهم صنعوا بى ما ترى ولم اعطهم شيئا وها هنا خمسمائة الف عند فلان نخذها فهى لك قال فقلت له ما كنت لآخذ منك على معروف أجرا ولا لأرزأك على هذه الحال شيئا قال فأما اذ أبيت فاسمع أحدثك حدثنى بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته وجعل المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر فى غير حينه قال فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسول الحجاج فأمرنى بالمسير اليه فألفيته جالساً على فرشه والسيف منتضاً فى يده فقال لى ادن فدنوت شيئا ثم قال ادن فدنوت شيئا ثم صاح الثالثة ادن لا أبالك فقلت مابي الى الدنو من حاجة وفى يد الامير ما أرى فأضحك الله سنه وأغمد سيفه عنى فقال لى اجلس ما كان من حديث الخبيث فقلت له أيها الامير والله ماغششتك منذ استنصحتنى ولا كذبتك منذ استخبرتنى ولا خنتك منذ ائتمنتنى ثم حدثته الحديث فلما صرت الى ذكر الرجل الذى المال عنده أعرض عنى بوجهه واومأ الى بيده وقال لا تسمه ثم قال ان للخبيث نفساً وقد سمع الاحاديث

عاشراً — امثال مشروحة

١ قال أبو العباس من امثال العرب . لم يذهب من مالك ما وعظك يقول اذا ذهب من مالك شيء فخذرك أن يحل بك مثله فتأديبه اياك عوض من ذهابه

٢ ومن امثالهم . رب عجلة تهب ريثاً . وتأويله ان الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به فيحتاج الى أن يعود فينقضه ثم يستأنف . والريث الابطاء وراث عليه أمره اذا تأخر .

٣ ومن امثالهم . عشّ ولا تغتر . وأصل ذلك أن يمر صاحب الأبل بالارض المكلئة فيقول ادع أن اعشى ابلى منها حتى أرد على أخرى ولا يدرى ما الذى

يرد عليه وقريب منه قولهم أن ترد الماء بماء اكيس وتأويله ان يمر الرجل بالماء فلا يحمل منه اتكالا على ماء آخر يصير اليه فيقال له أن تحمل معك ماء أحزم لك فان أصبت ماء آخر لم يضرك فان لم تحمل تخفقت من الماء عطبت

٤ ومن امثالهم . قد أحزم لو أعزم يقول اعرف وجه الحزم فان عزمت فأمضيت الرأى فأنا حازم وان تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعنى حزمى ومثله قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وانى امرؤ   اذا ما تبينت لم أرتب

وقال اعرابى يمدح سوّار بن عبد الله .

وأوقف عند الأمر مالم يضح له   وأمضى اذا ماشك من كان ماضيا

فالذى يحمد امضاء ماتبين رشده فأما الاقدام على الغرور وركوب الامر على الخطر فليس بمحمود عند ذوى الألباب وقد يتحسن بمثله الفتاك كما قال (١)

عليكم بدارى فاهدموها فانها   تراث كريم لا يخاف العواقبا

اذا هم القى بين عينيه عزمه   وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر فى رأيه غير نفسه   ولم يرض الاقائم السيف صاحبا

فهذا شأن الفتاك وقال الآخر

غلام اذا ما هم بالفتك لم يبَل   ألامتَ قليلا أم كثيراً عواذله

وقال آخر .

وما العجز الا ان تشاور عاجزا   وما الحزم الا ان تهم فتفعلا

فأما قول على بن أبى طالب رضى الله عنه من أكثر الفكرة فى العواقب لم يشجُع فتأويله انه من فكر فى ظفر قرنه به وعلوه عليه لم يقدم وانما كان الحزم عند على رضى الله عنه ان يحظر أمر الدين ثم لا يفكر فى الموت . وقد قيل له أتقتل أهل الشأم بالغداة وتظهر بالعشى فى ازار ورداء فقال أبى الموت أخوف والله ماأبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت على . وقال للحسن ابنه لا تبدأ بدعاء الى مبارزة فان دعيت اليها فاجب فان طالبها باغ والباغى مصروع .

---

(١) هو سعد بن ناشب المازنى عن الرياشى وغيره .

باب النوادر والاخبار والحوادث

﴿ وفيه تسعة فصول ﴾

الفصل الأول فى الخوارج وأخبارهم وهو أربع نبذ

الأولى فى خلافة على كرم الله وجهه

١ كان الخوارج من أصحاب على بن أبى طالب رحمه الله وخرجوا عليه عقب حادثة التحكيم ولما سمع نداءهم لا حكم الا لله قال كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة . ويقال فيما يروى من الأخبار أن أول من حكم عُرْوة بن أدية وأدية جدة له جاهلية وهو عروة ابن حُدَير أحد بنى ربيعة بن حنظلة . وقال قوم بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بنى محارب بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر . وقيل ان أول من حكم ولفظ بالحكومة ولم يشد بها رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ابن مر من بنى صَريم يقال له الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على أليته بعد قيل انه لما سمع بذكر الحكمين قال أيحكم فى دين الله لا حكم الا لله فسمعه سامع فقال طعن والله فأنفذ . وأول من حكم بين الصفين رجل من بنى يشكر بن بكر بن وائل فانه كان فى أصحاب على فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ثم مرق بين الصفين فحكم وحمل على أصحاب معاوية فكفروه فرجع الى ناحية على صلوات الله عليه فحمل على رجل منهم آخر فخرج اليه رجل من همدان فقتله وفى ذلك يقول شاعر همدان

ما كان أغنى اليشكرى عن التى   تصلَّى بها جمراً من النار حاميا
غداة ينادى والرماح تنوشه   خلعت عليا بادياً ومعاويا

فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية وذلك أنه أقبل على الأشعث فقال ما هذه الدنيئة يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط اوثق

من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والأشعث مول فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية وكانوا جل أصحاب على صلوات الله عليه فلما رأى ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قُدامة ومسعود بن فدكى بن أعبد وشبث ابن ربعى الرياحى الى الأشعث فسألوه الصفح ففعل .

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى وصفهم أنه قال سيماهم التحليق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد. وفى حديث عبد الله بن عمرو رجل يقال له عمرو ذو الخويصرة أو الخنيصرة . ويروى أن رجلا شديد بياض الثياب وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خَيْبر ولم تكن الا لمن شهد الحُدَيبية فأقبل ذلك الأسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عدلت منذ اليوم فغضب رسول الله حتى رؤى الغضب فى وجهه فقال عمر بن الخطاب الا أقتله يا رسول الله فقال انه سيكون لهذا وأصحابه نبأ وفى حديث آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ويحك فمن يعدل اذا لم أعدل ثم قال لأبى بكر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيته راكعاً فقال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيتـه ساجداً فقال لعلى اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله لم أره فقال رسول الله لو قتل هذا ما اختلف اثنان فى دين الله

وحدثنى ابراهيم بن محمد التيمى قاضى البصرة فى اسناد ذكره ان عليا رضى الله عنه وجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة من اليمن فقسمها ارباعاً فاعطى ربعاً للأقرع بن حابس المجاشعى وربعا لزيد الخيـل الطائى وربعاً لعيينة بن حصن الفزارى وربعاً لعلقمة بن علاثة الـكلابى فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتىء الجبهة فقال لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى تورد خداه ثم قال أيأمننى الله عز وجل على أهل الأرض ولا تأمنونى فقام اليه عمر فقال الا أقتـله يا رسول الله فقال صلى الله عليـه وسلم انه سيكون من ضئضىء هـذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر فى النصل فلا ترى شيئاً وتنظر فى الرصاف فلا ترى شيئاً

وتمارى فى الفوق •

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نظر الى رجل ساجد الى ان صلى النبى عليه السلام فقال الا رجل يقتله فحسر ابو بكر عن ذراعه وانتض السيف وصمد نحوه ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أأقتل رجلا يقول لا اله الا الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا رجل يفعل ذلك ففعل عمر مثل ذلك فلما كان فى الثالثة قصد له على بن أبى طالب عليه السلام فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتل هذا لكان أول فتنة وآخرها .

ويروى عن ابى مريم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه ذكر المخدج عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو مريم والله ان كان معنا فى المسجد وكان فقيرا وكان يحضر طعام على اذا وضعه للمسلمين ولقد كسوته برنساً لى قل فلما خرج القوم الى حروراء قلت والله لأنظرن الى عسكرهم فجعلت أتخللهم حتى صرت الى ابن الكواء وشبث بن ربعى ورسل على تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلى فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سرجه وهو يقول « انا لله وانا اليه راجعون » ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلت أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد فرأيت المخدج وكان منى قريبا فقلت أكنت مع القوم فقال أخذت سلاحى أريدهم فاذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لى فأخذوا سلاحى وجعلوا يتلاعبون بى قال فلما كان يوم النهر قال على اطلبوا المُخدج فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك علياً وحتى قال رجل لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم فقال على والله ما كَذبت ولا كُذبت فجاء رجل فقال قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخر على ساجداً وكان اذا أتاه ما يسر به من الفتوح سجد ثم قال والله لو أعلم شيئاً أفضل منه لفعلته ثم قال سيماه أن يده كالثدى عليها شعرات كشارب السنور ايتونى بيده المخدجة فأتوه بها فنصبها (١) قوله صلى الله عليه وسلم « من ضئضىء هذا » أى من جنس هذا

---

(١) انما ذكرنا هذا عن المُخدج يوم النهر وان لم تأت تفاصيل تلك الوقعة تتميما لحديثه . السباعى

يقال فلان من ضِئْضِىء صدق ومن محتِد صدق وفى مركب صدق قال جرير للحكم بن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل وهو ابن عم الحجاج وكان عامله على البصرة

أقبلن من ثهلان أو وادى خيم   على قلاص مثل خيطان السلم
اذا قطعن علما بدا علم   حتى انخناها الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم   فى ضئضىء المجد وبحبوح الكرم

ويقال مرق السهم من الرمية اذا نفذ منها وأكثر ما يكون ذلك ألا يعلق به من دمها شيء واقطع ما يكون السيف اذا سبق الدم قال أمرؤ القيس بن عابس الكندى .

وقد أختلس الضر   بة لا يدمى لها نصلى

٢ وذكر أهل العلم من غير وجه ان علياً رضى الله تعالى عنه لما وجه اليهم عبد الله بن عباس ليناظرهم قال ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم فى دين الله خرج من الايمان فليتب بعد اقراره بالكفر نعد له فقال ابن عباس لا ينبغى لمؤمن لم يشب ايمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر قالوا انه قد حكم قال ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد فقال عز وجل « يحكم به ذوا عدل منكم » فكيف فى امامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا انه قد حكم عليه فلم يرض فقال ان الحكومة كالامامة ومتى فسق الامام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فان هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم (بل هم قوم خصمون) وقال عز وجل (وتنذر به قوماً لدا) والشيء بالشيء يذكر جاء فى الحديث ان رجلا اعرابياً أتى عمر بن الخطاب رضى عنه فقال انى أصبت ظبياً وأنا محرم فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف فقال قل فقال عبد الرحمن يهدى شاة فقال عمر أهد شاة فقال الأعرابى والله مادرى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره فخفقه عمر رضوان الله عليه بالدرة وقال اتقتل فى الحرم وتغمص الفتيا ان الله عز وجل قال (يحكم به ذوا عدد منكم) فأنا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف . قال وفى هذا الحديث ضروب

من الفقه منها ما ذكروا ان عبد الرحمن بن عوف قال أولا ليكون قول الامام حكماً قاطعاً ومنها أنه رأى ان الشاة مثل الظبية كما قال الله عز وجل (فجزاء مثل ما قتل من النعم) ومنها أنه لم يسأله أخطأ قتله أم عمداً وجعل الأمرين واحداً . ومنها أنه لم يسأله أيضاً أقتلت صيداً قبله وأنت محرم لأن قوماً يقولون اذا أصاب ثانية لم يحكم عليه ولكنا نقول اذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى (ومن عاد فينتقم الله منه) قال أبو العباس رجع الحديث الى ذكر الخوارج وأمر على بن أبى طالب قال يروى أن علياً فى أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدى وقد كان وجهه اليهم وزياد بن النضر الحارثى مع عبد الله بن العباس فقال لصعصعة بأى القوم رأيتهم أشد اطافة فقال بيزيد بن قيس الأرحبى قال فركب اليهم الى حروراء فجعل يتخللهم حتى صار الى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل على الناس ثم قال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة أنشدكم الله أعلمتم أحداً منكم كان أكره للحكومة منى قالوا اللهم لا قال أفعلمتم انكم أكرهتمونى حتى قبلتها قالوا اللهم نعم قال فعلام خالفتمونى ونابذتمونى قالوا انا أتينا ذنباً عظيما فتبنا الى الله فتب الى الله منه واستغفره نعدلك فقال على انى استغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا ان علياً رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا انما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع ويجبى المال فينهض الى الشام فأتى الأشعث بن قيس علياً عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا فخطب علىّ الناس فقال من زعم انى رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل قال فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت فقيل لعلى انهم خارجون عليك فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلونى وسيفعلون فوجه اليهم عبد الله بن العباس فلما صار اليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباهاً قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ما جاء بك يا أبا العباس قال جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه واعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والأنصار

قالوا انا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال فى دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنافقال ابن عباس نشدتكم الله الاما صدقتم أنفسكم أماعلمتم ان الله أمر بتحكيم الرجال فى أرنب تساوى ربع درهم تصاد فى الحرم وفى شقاق رجل وامرأته فقالوا اللهم نعم فقال فانشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين اهل الحديبية قالوا نعم ولكن عليا محا نفسه من امارة المسلمين قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة (١) وقد أخذ على الحكمين ألا يجورا وان يجورا فعلى أولى من معاوية وغيره قالوا ان معاوية يدعى مثل دعوى على قال فايهما رأيتموه اولى فولوه فمتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما قالوا صدقت واتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء وقال متى كانت حرب فرئيسكم شبث بن ربعى الرياحى * وكان سبب تسميتهم الحرورية أن عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله اياهم فكان مما قال لهم ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم ان هذه مكيدة ووهن وأنهم لو قصدوا الى حكم المصاحف لم يأتونى ثم سألونى التحكيم أفعلمتم انه كان منكم أحد اكره لذلك منى قالوا اللهم نعم قال فهل علمتم انكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطت ان حكمهما نافذ ماحكما بحكم الله عز وجل فان خالفاه فأنا وانتم من ذلك براء وأنتم تعلمون ان حكم الله لا يعدونى قالوا اللهم نعم وفيهم فى ذلك الوقت ابن الكواء وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خباب فانهم ذبحوه بكسكر فى الفرقة الثالثة فقالوا حكمت فى دين الله برأينا ونحن مقرون بأنا قد كفرنا ونحن تائبون فأقرر بمثل ماأقررنا وتب ننهض معك الى الشأم فقال أما تعلمون ان الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم فى شقاق بين رجل وامرأته فقال تبارك وتعالى فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من اهلها وفى صيد أصيب فى الحرم كأرنب تساوى ربع درهم فقال عز وجل يحكم

---

(١) سيأتى كشف اللثام عن هذا الخبر فى مناظرة على لهم بعد مناظرة ابن عباس هذه . السباعى

به ذوا عدل منكم فقالوا ان عمراً لما أبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتبه عبد الله على امير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت على بن أبي طالب فقال لهم لى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حيث أبي عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال سهيل لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكن أقدمك لفضلك ثم قال اكتب محمد بن عبد الله فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على امح رسول الله فقلت يارسول الله لا تسخو نفسى بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام فقفنى عليه فمحاه بيده وقال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم الىّ فقال ياعلى أما انك ستسام مثلها فتعطى قال فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقدكانوا تجمعوا بها فقال لهم على صلوات الله عليه ما نسميكم ثم قال « أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء » ومن شعر على بن أبى طالب الذى لا اختلاف فى انه قاله وانه كان يردده انهم لما ساموه أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه الى الشأم قال أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه فى الدين ارجع كافرا

يا شاهد الله على فاشهد أني على دين النبى أحمد
من شك فى الله فاني مهتدى

ويروى . أنى توليت ولى أحمد فأما ما وضعه الاصمعى فى كتاب الاختيار فعلى غلط وضع . ذكر الاصمعي أن الشعر لاسحق بن سويد الفقيه وهو لاعرابى لا يعرف المقالات التى يميل اليها اهل الاهواء وأنشد الاصمعى لاسحاق

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حباً به أرجو غداً حسن الثواب

فان قوله من الغزال منهم يعنى واصل بن عطاء وكان يكنى أبا حذيفة وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن وكان طويل العنق . ويروى عن عمرو

ابن عبيد انه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لايفلح هذا مادامت عليه هذه العنق وقال بشار بن برد يهجوه .

ماذا منيت بغزال له عنق   كنقنق الدو ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة مابالى وبالكم   تكفرون رجالا اكفروا رجلا

ويروى لابل . وكان واصل لايشك فى أن بشارا كان يتعصب للنار على التراب ويصوب رأى ابليس لعنه الله فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ويروى له

الارض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار

فهذا ما يرويه المتكلمون وقتله المهدى على الالحاد وقد روى قوم أن كتبه فتشت فلم يصب فيها شىء مما كان يرمى به وأصيب له كتاب فيه انى أردت هجاء آل سليمان بن على فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكت عنهم(١) وحدثنى المازنى قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى أنه ثنوى قال فقال بشار ليسوا يدرون ان اللحم يدفع عنى شر هذه الظلمة. وكان واصل بن عطاء المذكور أحد الاعاجيب وذلك انه كان الثغ قبيح اللثغة فى الراء فكان يخلص كلامه منها ولا ينطق بذاك لاقتداره وسهولة ألفاظه وفى ذلك يقول شاعر من المعتزلة يمدحه باطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام حتى كأنها ليست فيه

عليم بابدال الحروف وقامع   لكل خطيب يقلب الحق باطله

وقال آخر :

ويجعل البر قمحاً فى تصرفه   وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله   فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه قوله وقد ذكر بشارا أما لهذا الأعمى المكتنى بأبى معاذ من

---

(١) وزيد بعد هذا قوله الا أنى قلت

دينار آل سليمان ودرهمهم   كبابليين حفا بالعفاريت
لا يرجيان ولا يرجى نوالهما   كما سمعت بهاروت وماروت

يقتله أما والله لولا ان الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسياً أو عقيلياً . فقال هذا الأعمى ولم يقل بشارا ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت اليه ولم يقل لأرسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا مرقده وقال يبعج بطنه ولم يقل يبقر وذكر بنى عقيل لأن بشارا كان يتوالى اليهم وبنى سدوس لأنه كان نازلا فيهم . واجتناب الحروف شديد . قال . لما سقطت ثنايا عبد الملك قال والله لولا الخطبة والنساء ما حفلت بها وخطب الجمحى وكان منزوع احدى الثنيتين وكان يصفر اذا تكلم فأجاد الخطبة وكانت لنكاح فرد عليه زيد بن على بن الحسين كلاماً جيداً الا انه فضله بتمكن الحروف وحسن مخارج الكلام فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك

صحت مخارجها وتم حروفها فله بذاك مزية لا تنكر

والمزية الفضيلة وأما قول اسحق (وابن باب) فانه يعنى عمرو بن عبيد بن باب وكان مولى بنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فهذان معتزليان وليسا من الخوارج ولكن قصد اسحق بن سويد الى أهل البدع والأهواء ألا تراه ذكر الرافضة معهما فقال .

ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب

ويروى أشاروا بالسلام على السحاب . قال أبو العباس والنسب الى مثل حروراء حروراوى وكذلك كل ما كان فى آخره ألف التأنيث الممدودة فاعلم ولكنه نسب الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحرورى وقال الصلتان العبدى فى كلمة له

أرى أمة شهرت سيفها وقد زيد فى سوطها الأصبحى

بنجدية وحرورية وأزرق يدعو الى أزرق

فملتنا أننا المسلمون على دين صديقنا والنبى

وفى هذا الشعر مما يستحسن قوله .

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشى

اذا ليلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتى

نروح ونغـدو لحـاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقى

قوله وقد زيد فى سوطها الأصبحى فانه تسمى هذه السياط التى يعاقب بها السلطان الأصبحية وتنسب الى ذى أصبح الحميرى وكان ملكا من ملوك حمير وهو أول من اتخذها وهو جد مالك بن انس الفقيه رضى الله عنه قال الراعى يخاطب عبد الملك

أخذوا العريف فقطعوا حيزومه بالأصبحية قائما مغلولا

والنجدية تنسب الى نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفى وكان رأسا ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج وقوله وازرق يدعو الى ازرق فانه يريد من كان من أصحاب نافع بن الازرق الحنفى (١) أما قوله على دين صديقنا والنبى فالعرب تفعل هذا وهو فى الواو جائز أن تبدأ بالشىء وغيره المقدم عليه قال الله عز اسمه (هو الذى خلقكم فمنـكم كافر ومنـكم مؤمن) وقال (يا معشر الجن والانس) وقال (اسجدى واركعى مع الراكعين) وقال حسان بن ثابت

بهاليل منهم جعفر وابن أمه علىّ ومنهم أحمـد المتخير

ومن كلام العرب ربيعة ومضر. وقيس وخندف. وسليم وعامر

٣ رجع القول الى من بقى من القوم بحروراء قال فلم تزل تلك البقية بها يصلى بهم ابن الكواء ورأسهم شبث بن ربعى الى أن بايعوا معدان الايادى حتى اذا قال معدان .

سلام على من بايع الله شاريا وليس على الحزب المقيم سلام

ثت منه الصفرية وقالوا له خالفت برئت من القعد (٢) وخلعوه قال أبو العباس والخوارج فى جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة وحدثت أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل فى رفقة فأحسوا الخوارج فقال واصل لأهل

---

(١) وهم أشد الخوارج شكيمة وسيأتى الكلام مفصلا عليهم عند انقسام الخوارج الى فرقهم الاربع بعد. السباعى (٢) القعد فئة من الخوارج كانت لا ترى فى القعود عن قتال أئمة الجور كفرا ولا ن الاقامة بينهـم بأسا. السباعى

الرفقة ان هـذا ليس من شأنـكم فاعتزلوا ودعونى واياهم قال وكانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنك نخرج اليهم فقالوا ما أنت وأصـحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس ذلك لـكم قال الله تبارك وتعالى (واذ أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فابلغونا مأمننا فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذاك لـكم فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن. ولما خلعوا معدان لم يختلفوا فى اجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبى من الازد وعزموا على البيعة له فتكره ذلك وامتنع عليهم وأومأ الى غيره فأبوا مَن سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استبيتوا الرأى أى دعوه يغب وكان يقول نعوذ بالله من الرأى الدبرى فلما تمت لهم بيعته مضوا الى النهروان (١) وكانوا أرادوا المضى الى المدائن قال فـكان من أخبارهم أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً فقتـلوا المسلم وأوصوا بالنصرانى فقالوا احفظوا ذمة نبيكم . ووثب رجل منهم على رطبة فوضعها فى فيه فصاحوا به فلفظها تورعاً . وعرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله فقالوا هذا فساد فى الأرض . ولقيهم عبد الله بن خباب وفى عنقه مصحف ومعه امرأته وهى حامل فقالوا ان هذا الذى فى عنقك ليأمرنا أن نقتلك قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه وما علىَّ منكم بأس انى لمسلم فقالوا له حدثنا عن أبيك قال سمعت أبى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول تـكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمناً ويصبـح كافراً فكن عبد الله المقتول ولا تـكن القاتل قالوا فما تقول فى أبى بكر وعمر فأثنى خيراً قالوا فما تقول فى علىّ قبل التحكيم وفى عثمان ست سنين فأثنى خيراً قالوا فما تقول فى الحـكومة والتحكيم قال أقول ان علياً أعلمُ بكتاب الله منكم وأشد توقياً على دينه وأنفذ بصـيرة قالوا انك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على اسمائها ثم قربوه الى

(١) قال الأخفش كذا كان يقول المبرد النهروان بكسر النون والراء وانما هو النهروان بفتحهما وأنشد للطرماح * قلّ فى شط نَهرَوان * قاله القاضى

شاطىء النهر فذبحوه فامذ قر دمه أى جرى مستطيلا على دقة . وساوموا رجلا نصرانياً بنخلة له فقال هى لكم فقالوا ما كنا لنأخذها الا بثمن قال فما أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منى جنى نخلة . فهذا طرف من أعمالهم وهي لاشك تذهب بهم الى حيث قال على رضى الله عنه وقد تلى بحضرته (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) فقال أهل حروراء منهم (قال أبو العباس) قول عبد الله بن وهب استبيتوا الرأى يقول دعوا رأيكم تأت عليه ليلة ثم تعقبوه يقال بيت فلان كذا وكذا اذا فعله ليلا وفى القرآن (إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) أى يديرون ذلك ليلا بينهم وأنشد أبو عبيدة

أتوني فلم أرض ما بيتوا   وكانوا أتونى بأمر نكر
لأنكح أيمهم منذرا   وهل ينكح العبد حر لحر

والرأى الدبرى الذى يعرض من بعد وقوع الشىء كما قال جرير

ولا يعرفون الشىء حتى يصيبهم   ولا يعرفون الامر الا تدبرا

٤ ولما استقر القوم بالنهروان بعد أن قتلوا عبد الله بن خباب فى طريقهم سار اليهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر امره ولم يشهد الحرب فقال لهم على ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله وشرك فى دمه ثم خرج منهم رجل فحمل على صف على وقد قال على لا تبدءوهم بقتال فقتل من أصحاب على ثلا
وهو يقول

أقتلهم ولا أرى عليا   ولو بدا أوجرته خطيا

فخرج اليه على صلوات الله عليه فقتله فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة الى الج
فقال عبدالله بن وهب ماأدرى أالى الجنة أم الى النار فقال رجل من سعد انما حضر
اغترارا بهذا وأراه قد شك فانخزل بجماعة من أصحابه ومال الف الى ناحية
أيوب الانصارى وكان رحمه الله على ميمنة على وجعل الناس يتسللون فقيل لع
انهم يريدون الجسر فقال لن يبلغوا النطفة فجعل الناس يقولون له فى ذلك

كادوا يشكون ثم قالوا قد رجعوا يا أمير المؤمنين فقال والله ما كذبت ولا كذبت ثم خرج اليهم فى اصحابه وقد قال لهم والله مايقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة فقتل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية . وكان مقدار من أصاب منهم فى ذلك اليوم يوم النهروان الفين وثمانمائة فى أصح الأقاويل . ثم ان القوم تجمعوا بالنخيلة وكانوا جماعة ممن فارق عبد الله بن وهب وممن لجأ الى راية أبى ايوب وممن كان قد أقام بالكوفة مسرا أمره يقول لا أقاتل عليا ولا أقاتل معه قال فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتآسفوا على خذلان اصحابهم فقام منهم قائم يقال له المستورد من بنى سعد بن زيد مناة فحمد الله واثنى عليه وصلى على محمد . ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته معلناً مقاله مبلغاً عن ربه ناصحاً لأمته حتى قبضه الله مخيراً مختاراً ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقاتل من ارتد عن دين ربه وذكر أن الله عز وجل قرن الصلاة بالزكاة فرأى ان تعطيل احداهما طعن على الأخرى لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله موفوراً ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل مسوياً بين الناس فى اعطائه لامؤثراً لأقاربه ولا محكماً فى دين ربه وهأنتم تعلمون ماحدث والله يقول (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) قال فكل أجاب وبايع وأمروا عليهم ابن جوين الطائي فوجه اليهم على بن أبى طالب عبد الله بن عباس داعياً فسار اليهم فدعاهم ورفق بهم فأبوا وكان مما قالوا له اذا كان عليّ على حق لم يشكك فيه وحكم مضطراً فما باله حيث ظفر لم يسب فقال لهم ابن عباس قد سمعتم الجواب فى التحكيم فأما قولكم فى السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة فوضعوا أصابعهم فى آذانهم وقالوا أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس فانه طلق ذلق غواص على مواضع الحجة فأمسك عنهم ثم عاد الى على فخرج مسرعا اليهم فقال له عفيف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تخرج فى هذه الساعة فانها ساعة نحس لعدوك عليك فقال له على توكلت على الله وحده وعصيت رأى كل متكهن أنت تزعم انك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان ثم قصد اليهم فطحنهم جميعاً ولم يفلت منهم الا خمسة منهم المستورد وابن جوين وفروة بن شريك الأشجعى . واهل النخيلة هم

الذين ذكرهم الحسن البصرى فقال دعاهم الى دين الله . يعنى بالداعى ابن عباس رسول على فجعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا فسار اليهم أبو حسن فطحنهم طحناً . وفيهم يقول عمران بن حطان (١)

انى أدين بما دان الشراة به   يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميرى يعارض هذا المذهب

انى أدين بما دان الوصى به   يوم النخيلة من قتل المحلينا
وبالذى دان يوم النهر دنت به   وشاركت كفه كفى بصفينا
تلك الدماء معاً يارب فى عنق   ومثلها فاسقنى آمين آمينا

دارت الدائرة على القوم يوم النخيلة كما دارت عليهم يوم النهروان فخرجت طائفة منهم نحو مكة وكان الحجاز قد وقع فى قبضة معاوية فوجه من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية فوجه اليهم بُسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلى بالناس رجل من بنى شيبة لئلا يفوت الناس الحج ولما انقضى الحج نظر الخوارج فى أمرهم فقالوا ان علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الامة فلو قتلناهما لعاد الامر الى حقه وقال رجل من أشجع والله ما عمرو دونهما وانه لأصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا اقتل عليا فقالوا وكيف به قال أغتاله وقال الحجاج بن عبدالله الصريمى وهو البرك وأنا اقتل معاوية وقال زاذويه مولى بنى العنبر بن عمرو بن تميم وأنا اقتل عمرا وقد ذكروا أن القاصد الى معاوية يزيد بن ملجم والقاصد الى عمرو آخر من بنى ملجم وان أباهم نهاهم فلما عصوه قال استعدوا للموت وأن أمهم حضتهم على ذلك والخبر الصحيح ما ذكرت لك أول مرة فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم فى ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة فخرج كل واحد منهم الى ناحية صاحبه فأتى ابن ملجم الكوفة فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأى الخوارج والأحاديث تختلف وانما نؤثر صحيحها.

(١) رأس من رءوس الخوارج سيأتى القول عليه . السباعى

فيروى فى بعض الاحاديث أنها قالت لا أقنع منك الا بصداق أسميه لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل عليا فقال لها لك ما سألت فكيف لى به قالت تروم ذلك غيلة فان سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع اهلك وان أصبت صرت الى الجنة ونعيم لا يزول فانعم بها . وفى ذلك يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة　　وضرب على بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا　　ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فأقام ابن ملجم فيقال ان امرأته قطام لامته وقالت ألا تمضى لما قصدت لشدما أحببت اهلك فقال انى قد وعدت صاحبى وقتا بعينه وكان هنالك رجل من أشجع يقال له شبيب فواطأه عبدالرحمن . ويروى ان الأشعث نظر الى عبدالرحمن متقلداً سيفاً فى بنى كندة فقال يا عبد الرحمن أرنى سيفك فأراه فرأى سيفاً حديداً فقال ماتقلدك السيف وليس بأوان حرب فقال انى أردت أن أنحر به جزور القرية فركب الأشعث بغلته وأتى عليا صلوات الله عليه فخبره وقال له قد عرفت بسالة ابن ملجم وفتكه فقال على ما قتلنى بعد . ويروى أن عليا رضوان الله عليه كان يخطب مرة ويذكر اصحابه وابن ماجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لأريحنهم منك فلما انصرف على صلوات الله عليه الى بيته أتى به ملبباً فأشرف عليهم فقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا فقال ماقتلنى بعد فخلوا عنه . ويروى انه أتى به وقيل له انا سمعنا من هذا كلاماً فلا نأمن قتله لك فقال ما أصنع به ثم قال .

اشدد حيازيمك للموت　　فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت　　اذا حل بواديكا

والشعر انما يصح بان تحذف اشدد فتقول

حيازيمك للموت　　فان الموت لاقيكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ماعليه المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ويحذفون منه مايريدون علماً بان المخاطب يعلمه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد اضمر اشدد فاظهره ولم يعتد به قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال فصحاء

العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا أحب الينا منك يافرس حمر

وانما الشعر . لعمرى اسعد بن الضباب اذا غدا . ويروى أن عليا كان يتمثل اذا رأى ابن ملجم ببيت عمرو بن معديكرب فى قيس بن مكشوح المرادى والمكشوح هبيرة وانما سمى بذلك لانه ضرب على كشحه

أريد حباءه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

فيذتنى من ذلك حتى أكثر عليه فقال له ان قضى شىء كان فقيل لعلى كأنك قد عرفته وعرفت مايريد بك أفلاتقتله فقال كيف اقتل قاتلى . ويروى من حديث محمد ابن كعب القرظى قال قال عمار بن ياسر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنامنزلا فخرجت أنا وعلى بن أبى طالب صلوات الله عليه ننظر الى قوم يعتملون فنعسنا فنمنا فسفت علينا الريح التراب فما نبهنا الا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعلى ياأبا تراب لما عليه من التراب أتعلم من أشقى الناس فقال خبرنى يا رسول الله فقال أشقى الناس اثنان أحمر ثمود الذى عقر الناقة وأشقاها الذى يخضب هذه ووضع يده على لحيـة على من هذا ووضع يده على قرنه . ويروى عن عياض بن خليفة الخزاعى قال تلقانى على صلوات الله عليـه فى الغلس فقال من أنت قلت عياض بن خليفة الخزاعى فقال ظننتك أشقاها الذى يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته ثم على قرنه * وروى عن على صلوات الله عليـه أنه خرج فى غداة يوقظ الناس للصلاة فى المسجد فمر بجماعة تتحدث فسلم وسلموا عليه فقال وقبض على لحيته ظننت أن فيكم أشقاها الذى يخضب هذه من هذا وأومأ بيده الى هامته ولحيته . ويروى انه كان يقول كثيراً قال أبو العباس أحسبه عند الضجر بأصحابه مايمنع أشقاها ان يخضب هذه من هذا . قال فلما كان ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن ملجم وشبيب الأشجعى فاعتوروا الباب الذى يدخل منه على رضى الله عنه وكان مغلساً ويوقظ الناس للصلاة فخرج كما كان يفعل فضربه شبيب فأخطأه وأصاب سيفه الباب وضربه ابن ملجم على صلعته فقال على فزت ورب الكعبة

شأنكم بالرجل فيروى عن بعض من كان بالمسجد من الأنصار قال سمعت كلمة على ورأيت بريق السيف فأما شبيب فانتزع السيف منه رجل من حضر موت وصرعه وقعد على صدره وكثر الناس فجعلوا يصيحون عليكم صاحب السيف فخاف الحضرمى ان يكبوا عليه ولا يسمعوا عذره فرمى بالسيف وانسل شبيب بين الناس وأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقاه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض وكان المغيرة أيداً فقعد على صدره ثم أدخل على عليّ رضوان الله عليه فأوصى فيه فاختلف الناس فى جوابه فقال قوم قال ان أعش فالأمر الىّ وان أصب فالأمر لكم فان آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة وأن تعفوا أقرب للتقوى وقال آخرون بل قال وان أصبت فاضربوه ضربة فى مقتله ثم نقل على الى منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شىء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فانى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمراً دونهما. ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيراً فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه

ويروى عن رجل من ثقيف أنه قال خرج الناس يعلفون دوابهم بالمدائن وأراد علىّ المسير الى الشأم فوجه معقل بن قيس الرياحى ليرجعهم اليه قال وكان ابن عم لى فى آخر من خرج فأتيت الحسن بن على عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لى فى كتاب أمير المؤمنين الى معقل بن قيس فى الترفيه عن ابن عمى فانه فى آخر من خرج فقال تغدو علينا والكتاب مختوم ان شاء الله فبت ليلتى ثم أصبحت والناس يقولون قتل أمير المؤمنين الليلة فأتيت الحسن واذا به فى دار على عليه السلام فقال لولا ما حدث لقضينا حاجتك ثم قال حدثنى أبى عليه السلام البارحة فى هذا المسجد فقال يا بنى انى صليت ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة

أصحابى وقلة رغبتهم فى الجهاد فقال ادع الله أن يريحك فدعوت الله قال الحسن ثم خرج الى الصلاة فكان ما قد علمت * ويروى ان ابن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث بن قيس بن معد يكرب وان حجر بن عدى سمع الأشعث يقول له فضحك الصبح فلما قتل أمير المؤمنين بعد قال حجر للأشعث أنت قتلته يا أعور ويروى أن الذى سمع ذاك عفيف بن قيس أخو الأشعث وانه قال له عن أمرك كان هذا يا أعور وأما الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك فانه ضرب معاوية مصلياً فأصاب مأكمته وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرقاً يقال له عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد ولما أخذ قال الامان والبشارة قتل على فى هذه الصبيحة فاستوثق به حتى جاء الخبر فقطع معاوية يده ورجله وقيل يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك ما تأويل المقصورة فقال يخافون أن يبهظهم الناس ثم ان البرك أقام بالبصرة فبلغ زياداً انه قد ولد له فقال أيولد له ولا يولد لأمير المؤمنين ثم قتله . أما زاذويه فانه أرصد لعمرو وقد اشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة وهو رجل من بنى سهم بن عمرو بن رهيص رهط عمرو بن العاص فضربه زاذويه فقتله فلما دخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالامرة قال أو ما قتلت عمرا قيل لا انما قتلت خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة «رجع» ثم ان علياً أقام بمنزله بعد الضربة يومين ثم قضى كرم الله وجهه فى آخر اليوم الثالث فسمع ابن ملجم الرنة من الدار فقال له من حضره أى عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين فقال أعلى من تبكى أم كلثوم أعلىَّ والله لقد اشتريت سيفى بألف درهم وما زلت أعرضه فما يعيبه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد أسقيته السم حتى لفظه ولقد ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ثم دعا الحسن بن على رضى الله عنهما فقال ان لك عندى سراً فقال الحسن رضوان الله عليه أتدرون ما يريد يريد أن يقرب من وجهى فيعض أذنى فيقطعها فقال أما والله لو أمكنتنى منها لاقتلعتها من أصلها فقال الحسن كلا والله لأضربنك ضربة تؤديك الى النار فقال لو علمت ان هذا فى يديك ما اتخذت الهاً غيرك فقال عبد الله بن جعفر يا أبا

محمد ادفعــه الىّ أشف نفسى منه قال فاختلفوا فى قتله فقال قوم أحمى له ميلين وكحله بهما فجعل يقول انك يا ابن أخى لتكحل عمك بملمولين مضاضين وقال قوم بل قطع يديه ورجليه وهو فى ذلك يذكر الله عز وجـل ثم عمد الى قطع لسانه فشق ذاك عليه فقيل له لم تجزع من قطع يديك ورجليك ونراك قد جزعت من قطع لسانك فقال نعم أحببت ألا يزال فى بذكر الله رطبا ثم قتله

وكانت فى رثاء على رحمه الله أشعار كثيرة نذكر منها طرفاً

قالت أم العريان .

وكنا قبل مهلكه زمانا   نرى نجوى رسول الله فينا
قتلتم خير من ركب المطايا   واكرمهم ومن ركب السفينا
ألا أبلغ معاوية بن حرب   فلا قرت عيون الشامتينا

وقال أبو زبيد الطائى

ان الكرام على ما كان من خلق   رهط امرىء خاره للدين مختار
طبٌ بصير بأضغان الرجال ولم   يعدل بحبر رسول الله احبار
وقطرة قطرت اذ حان موعدها   وكل شىء له وقت ومقدار
حتى تنصلها فى مسجد طُهُر   على امام هـدى ان معشر جاروا
حمت ليدخل جنات أبو حسن   وأوجبت بعده لقاتل النار

وقال الكميت بن زيد

والوصىّ الذى أمال التجوبىّ   به عرش أمـة لانهـدام
قتلوا يوم ذاك اذ قتلوه   حكما لا كغابر الحكام
الامام الزكى والفارس المعـ   ـلم تحت العجاج غير الكهام
راعيا كان مسجحا ففقدنا   ه وفقد المسيم هُلك السوام

قول ابى زبيد خاره انما هو اختاره وهو فعله واختاره افتعله كما تقول قدر عليه واقتدر عليه وقوله بصير بأضغان الرجال فهى اسرارها ومخبآتها قال الله تبارك وتعالى (فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) والحبر العالم ويروى ان عليا رضوان الله عليــه مر بيهودى يسأل مسلماً عن شيء من أمر الدين فقال له

على اسألني ودع الرجـل فقال له يا أمير المؤمنين أنت حبر أى عالم فقال على أن تسأل عالماً أجدى لك وقوله حتى تنصلها يريد استخرجها وقوله حمت معناه قدرت . أما قول الـكميت الوصى فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون فيـه قال ابن قيس الرقيات

نحن منا النبى أحمد والصد　　يق منا التقى والحـكماء
وعلى وجعفر ذو الجناحيـ　　ـن هناك الوصى والشهداء

وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية فى خمسة عشر رجلا من أهله فى سجن عارم

تخـبر من لاقيت أنك عائذ　　بل العائذ المحبوس فى سجن عارم
وصى النبى المصطفى وابن عمـه　　وفـكاك أعناق وقاضى مغارم

أراد ابن وصي النبى والعرب تقيم المضاف اليه فى هـذا الباب مقام المضاف كما قال الآخر

صبحن من كاظمة الخص الخرب　　يحملن عبـاس بن عبد المطلب

يريد ابن عباس . وكما قال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك

ورثتم ثياب المجد فهى لبوسكم　　عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم

يريد عبد مناف «رجع الى ما كانوا يكثرون فيه» وقال أبو الأسود الدؤلى

أحب محمداً حباً شديداً　　وعباسا وحمزة والوصيا
أحبهـم لحب الله حتى　　أجيءُ اذا بعثت على هويا
هوى اعطيته منذ استدارت　　رحى الاسلام لم يعدل سويا (١)
يقول الارذلون بنو قشـير　　طوال الدهر ما تنسى عليـا
بنو عم النبى وأقربوه　　أحب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشداً أصبه　　وليس بمخطيء ان كان غيا (٢)

---

(١) السوى والسواء الذى قد سوى الله خلقه لا زمانة به ولا داء وفى القرآن « بشرا سويا » وتقول ساويت ذاك بهذا الأمر أى جعلته مثلا له

(٢) ويروى ولست

وكان بنو قشير عثمانية وكان أبو الأسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم والله لو كان الله يرميني لما اخطأني (١) وقول الكميت غير الكهام فالكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيف كهام وقوله

راعيا كان مسجحا ففقدنا　　وفقد المسيم هلك السوام

فالمسيم الذى يسيم ابله أو غنمه ترعى وكذلك كل شيء من الماشية فجعل الراعي للناس كصاحب الماشية الذى يسيمها ويسوسها ويصلحها ومتى لم يرجع أمر الناس الى واحد فلا نظام لهم ولا اجتماع لأمورهم قال ابن قيس الرقيات

أيها المشتهى فناء قريش　　بيد الله عمرها والفناء
ان تودع من البلاد قريش　　لا يكن بعدهم لحى بقاء
لو تقفى ويترك الناس كانوا　　غنم الذئب غاب عنها الرعاء

وقال الحميرى يعنى عليا رضوان الله عليه

كان المسيم ولم يكن الا لمن　　لزم الطريقة واستقام مسيما

النبذة الثانية فى خلافة معاوية وابنه يزيد

١ لما قتل على بن أبى طالب رحمه الله خرجت خوارج واتصل خروجها وانما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف ومن أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مستطرف أو كلام من خطبة معروفة مختارة . فأول من خرج بعد قتل على عليه السلام حوثرة الأسدى فانه كان متنحيا بالبندنيجين فكتب الى حابس الطائى يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير اليه بجمعه فيتعاضدا على مجاهدة معاوية فاجابه فرجعا الى موضع أصحاب النخيلة ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن ابن على صلوات الله عليه بعد ان بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد ابن عبادة ثم خرج الحسن يريد المدينة فوجه اليه معاوية وقد تجاوز فى طريقه

---

(١) كان نقش خاتم أبى الأسود لشدة علويته

ياغالبى حسبك من غالب　　ارحم على بن أبى طالب

يسأله أن يكون المتولى لمحاربتهم فقال الحسن والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعنى أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم فلما رجع الجواب اليه وجه اليهم جيشاً اكثرهم من أهل الكوفة ثم قال لأبى حوثرة اكفنى أمر ابنك حوثرة فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له يابنى أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن اليه فقال يا أبت أنا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى الى ابنى فرجع الى معاوية فاخبره فقال يا أبا حوثرة عتا هذا جداً فلما نظر حوثرة الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله انتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه واليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت لك فى غيرى مندوحة ولى فى غيرك عنك مذهب ثم حمل على القوم وهو يقول

اكرر على هذى الجموع حوثره فعن قليل ما تنال المغفره

فحمل عليه رجل من طىء فقتله فرأى أثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعاً .

٢ ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة فوجه اليه معقل ابن قيس الرياحى فدعاه المستورد الى المبارزة وقال علام يقتل الناس بينى وبينك فقال له معقل النصف سألت فأقسم عليه اصحابه فقال ما كنت لآبى عليه فخرج اليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتاً ففي ذلك يقول جرير

ومنا فتى الفتيان والبأس معقل ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا

فانه أراد معقل بن قيس الرياحى ورياح ابن يربوع وجرير ابن كليب بن يربوع وقوله ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا يريد المستورد التيمى وهو من تيم ابن عبد مناة ابن أد وتميم ابن مر بن أد . وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يوصى بها وهى محفوظة عنه . كان يقول اذا أفضيت بسرى الى صديق فأفشاه لم ألمه لانى كنت أولى بحفظه وكان يقول لا تفش الى أحد سراً وان كان مخلصاً الا على جهة المشاورة وكان يقول كن أحرص على حفظ سر صاحبك

منك على حقن دمك وقال العباس بن الأحنف يعاتب من اتهمه بأفشاء سره

تعتبت تطاب ما أستحق   به الهجر منك ولا تقدر
وماذا يضرك من شهرتى   اذا كان سرك لا يشهر
أمنى تخاف انتشار الحديث   وحظىَ فى ستره أوفر
ولو لم تكن فىّ بقيا عليك   نظرت لنفسى كما تنظر

وكان المستورد يقول أول مايدل عليه عائب الناس معرفته بالعيوب ولا يعيب الا معيب قال أبو العباس وأنا احسب أن قول القائل

وأجرأ من رأيت بظهر غيب   على عيب الرجال ذوو العيوب

انما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد أريد أن أرى رجلا عيابا فقال التمسه بفضل معايب فيه وكان يقول المال غير باق عليك فاشتر من الحمد ما يبقى عليك وكان يقول بذل المال فى حقه استدعاء للمزيد من الجواد وكان يكثر أن يقول لو ملكت الارض بحذافيرها ثم دعيت الى أن استفيد بها خطيئة مافعلت.

٣ ثم خرج قريب بن مرة الأزدى وزحاف الطائى وكانا مجتهدين بالبصرة فى أيام زياد واختلف الناس فى أمورهما أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخاً ناسكا من بنى ضابيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه وكان يقال له رؤبة الضبعي وتنادى الناس فخرج رجل من بنى قطيفة بن الازد وفى يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية انج بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشرط فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال مرداس بن حدير ذلك فقال قريب لا قربه الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه ركباها عشواء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا حتى مرا ببنى على بن سود من الأزد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمى فرموهم رمياً شديداً فصاحوا يا بنى علىّ البقيا لا رماء بيننا فقال رجل من بنى على

لا شىء للقوم سوى السهام   مشحوذة فى غلس الظلام

فعرد عنهم الخوارج وخافوا الطلب فاشتقوا مقبرة بنى يشكر حتى نفذوا الى مزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم ثمانون وخرجت اليهم بنو

طاحية بن سود وقبائل من مزينة وغيرها فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم ثم غدا الناس الى زياد فقال ألا ينهى كل قوم سفهاءهم يامعشر الأزد لولا انكم اطفأتم هذه النار لقلت انكم ارثتموها فكانت القبائل اذا أحست بخارجية فيهم شدتهم وأتت بهم زيادا فكان هذا أحد مايذكر من صحة تدبير زياد وله أخرى فى الخوارج حيث أخرجوا معهم امرأة فظفر بها فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء بعد عليه وكن اذا دعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا (١)

٤ ثم خرج عروة بن أدية وأدية جدة له جاهلية وهو عروة بن حدير أحد بنى ربيعة بن حنظلة وكان ممن نجا من حرب النهروان فلم يزل باقياً مدة من خلافة معاوية ثم أتى به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبى بكر وعمر فقال خيرا ثم سأله ماتقول فى أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبى تراب على بن أبى طالب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل فى أمر على مثل ذلك الى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر فسأله عن معاوية فسبه سباً قبيحاً ثم سأله عن نفسه فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك ثم أمر به فضربت عنقه (٢) ثم دعا مولاه فقال صف لى أموره فقال أأطنب أم أختصر فقال بل اختصر فقال ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشاً بليل قط

٥ وممن خرج فى هذا العصر أيضاً أبو بلال مرداس بن حدير أخو عروة المذكور وكان قد شهد صفين مع على وانكر التحكيم وشهد النهروان ونجا فيمن نجا . ومن طريف أخباره أن غيلان بن خرشة الضبى سمر ليلة عند زياد ومعه جماعة فذكر أمر الخوارج فأنحى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل الى منزله فلقيه أبو بلال المذكور فقال له ياغيلان قد بلغنى ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم ما يؤمنك أن يلقاك رجل منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذ حضنيك

---

(١) وستأتى له أخر من حسن سياسته معهم   السباعى

(٢) هذا أحد ماروى فى قتل عروة والصحيح ان القاتل له عبيدالله بن زياد كما سيأتى ذلك بعد فى أخباره مع الخوارج   السباعى

برمحه فقال غيلان لن يبلغك أني ذكرتهم بعد الليلة وكانت الخوارج تعظم مرداسا لاجتهاده وكثرة صوابه فى لفظه وشدة ورعه يروى انه مر باعرابى يهنأ بعيراً له فهرج البعير فسقط مرداس مغشياً عليـه فقال الأعرابى انه قد صرع فقرأ فى أذنه فلما أفاق قال له الأعرابى قرأت فى أذنك فقال له مرداس ليس بى ما خفته على ولـكنى رأيت بعيرك هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابنى ما رأيت فقال لا جرم والله لا فارقتك أبداً . ومرداس تنتحله جماعة من أهـل الاهواء لقشفه وبصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه . فتنتحله المعتزلة وتزعم انه خرج منكراً لجور السلطان داعياً الى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الانسان وما هـكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابرهيم عليه السلام اذ يقول « وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي «قال ذلك» ثم خرج فى عقب هذا اليوم . والشيع تنتحله وتزعم انه كتب الى الحسين بن على صلوات الله عليه انى لست أرى رأى الخوارج وما أنا الاعلى دين أبيك وهذا رأى قد استهوى جماعة من الاشراف يروى ان المنذر بن الجارود كان يرى رأى الخوارج وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه أيضاً ذكرت الرواة ان الحجاج أتى بامرأة من الخوارج فجعلت لا تنظر اليه فأقبل يزيد بن أبى مسلم مولاه على المرأة فقال انظرى الى الأمير فقالت لا أنظر الى من لا ينظر الله اليه فـكلمها الحجاج وهى كالساهية فقال لها يزيد اسمعى ويلك من الأمير فقالت بل الويل لك أيها الـكافر الردى والردى عندهم الذى له عقدهم ويظهر خلافه رغبـة فى الدنيا ومثل هذا ماروى من ان صالحاً المذكور لما كان عـلى خراج العراق ايام ولى يزيد بن المهلب اشجى يزيد بن ابى مسلم فـكايده بأن أشار على الحجاج ان يأمره بقتـل جواب الضبى وكان رأساً من رءوس الخوارج وقال يزيد ان فعل برئت منه الخوارج وقتلته وان أمسك قتله

الحجاج قال فقتله وخبرت انه قال والله ما قتلته رغبة فى الحياة ولـكنى خفت الحجاج يسبى بناتى وكان يقول انى حين أقتل جوابا لحريص على الدنيا فلما عذبه عمر بن هبيرة فى خلافة يزيد بن عاتكة رمى به على قمامة وهو لما به فسمع يحكم عليها . وحكم مالك بن المنذر بن الجارود وهو بآخر رمق فى سجن هشام ابن عبد الملك وكان عدة من الفقهاء ينسبون الى هـذا الرأى منهم عكرمة مولى ابن العباس وكان يقال ذلك فى مالك بن أنس ويروى الزبيريون ان مالك بن أنس المدينى كان يذكر عثمان وعلياً وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على الثريد الأعفر فأما أبو سعيد الحسن البصرى فانه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم وكان اذا جلس فتمكن فى مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثاً ولعن قتلته ثلاثا ويقول لو لم نلعنهم للعنا ثم يذكر علياً فيقول لم يزل أمير المؤمنين على رحمه الله يتعرفه النصر ويساعده الظفر حتى حكم فلم تحكم والحق معك ألا تمضى قدماً لا أبالك وأنت على الحق . (قال أبو العباس) وهذه كلمة فيها جفاء والعرب تستعملها عند الحث على أخذ الحق والأغراء وربما استعملتها الجفاة من الأعراب عند المسألة والطلب فيقول القائل للأمير والخليفة انظر فى أمر رعيتك لا أبالك وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الأعراب فى سنة جديبة يقول

رب العباد ما لنا وما لكا　　قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبالكا

فاخرجه سليمان أحسن مخرج فقال أشهد انه لا أباله ولا ولد ولا صاحبة واشهد ان الخلق جميعاً عباده . وقال رجل من بنى عامر بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة . لبعض قومه

أبنى عقيل لا أبا لأبيكم　　أيى وأى بنى كلاب أكرم

وقال رجل من طيء أنشده ابو زيد الانصارى

ياقرط قرط حيى لا ابالكم　　ياقرط انى عليكم خائف حذر

أأن روى مرقش واصطاف اعنزه　　من التلاع التى قد جادها المطر

قلتم له اهج تميما لا ابالكم　　فى كف عبدكم عن ذا كم قصر

فان بيت تميم ذو سمعت به فيه تنمت وأرست عزها مضر

قوله يا قرط قرط حيي نصبهما معاً على أكثر ألسنة العرب وتأويلهما أنهم أرادوا يا قرط حيي فأقحموا قرطا الثانى توكيداً وكذلك لجرير

يا تيم تيم عدى لا أبا لكم لا يلقينكم فى سوأة عمر

ومثله لعمر بن لجا

يا زيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل عليك فانزل

فان لم ترد التوكيد والتكرير لم يجز الا رفع الأول يا زيد زيد اليعملات ويا تيم تيم عدى كما تقول يا زيد أخا عمرو على النعت ومثل الأول فى التوكيد يا بؤس للحرب أراد يا بؤس الحرب فأقحم اللام توكيداً لأنها توجب الاضافة وعلى هذا جاء لا أبا لك ولا أبا لزيد ولولا الاضافة لم تثبت الألف فى الأب لأنك تقول رأيت أباك فاذا افردت قلت هذا أب صالح وانما كانت لا أباك كما قال الشاعر

أبالموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباك تخوفينى

وقال آخر :

وقد مات شماخ ومات مزرد وأى كريم لا أباك يخلد

وقوله أأن روى مرقش فمرقش رجل وروى استقى لأهله يقال فلان راوية أهله اذا كان يستقى لأهله والتى على البعير والحمار مزادة فاذا كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهى المثلثة واصغر منها السطيحة واصغرهن الطبع وقوله واصطاف اعنزه يريدا فتعلت من الصيف أى اصابت البقل فيه والتلعة ما ارتفع من الارض فى مستقر المسيل اذا تجافى السيل عن متنه وجمعه تلاع وقوله ذو سمعت به يريد الذى وكذلك تفعل طئ تجعل ذو فى معنى الذى قال زيد الخيل لبنى فزارة وذكر عامر بن الطفيل فقال * انى أرى فى عامر ذو ترون *

وقال عارمة الطائى

فان لم يغير بعض ماقد فعلتم لأنتحين للعظم ذو أنا عارفه

يريد الذى . ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتماداً لأيثار لغة قومه قال الحسن بن هانئ الحكمى .

حب المدامة ذو سمت به   لم يبق فىّ لغيرها فضلا

وقال حبيب بن أوس الطائى.

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة   فأنا المقيم قيامة العذال

وقال الحسن بن وهب الحارثي.

عللانى بذكرها عللانى   واسقيانى أولا فمن تسقيانى

أنا ذو لم يزل يهون على الند   مان ان عز جانب الندمان

ويكون العزيز فى ساعة الرو   ع بصدق الطعان يوم الطعان

٦ وكان زياد ولّى شيبان بن عبد الله الأشعرى صاحب مقبرة بنى شيبان باب عثمان وما يليه ليجد فى طلبهم فأخافهم وهم كثير ولم يزل كذلك حتى أتاه ليلة وهو متكئ بباب داره رجلان منهم فضرباه بأسيافهما فقتلاه وخرج بنون له للاغاثة فقتلوا ثم قتل الناس الرجلين . وأتى زياد بعد ذلك بخارجي فقال اقتلوه متكئاً كما قتل شيبان متكئاً فصاح الخارجى ياعدلاه يهزأ به . وكان زياد يقتل المعلن ويستصلح المسر ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة . روى انه وجه يوماً بجينة بن كبيش الأعرجى الى رجل من بنى سعد يرى رأى الخوارج فجاءه بجينة فأخذه فقال له انى أريد ان أحدث وضوءا للصلاة فدعنى أدخل الى منزلى قال ومن لى بخروجك قال الله عز وجل فتركه فدخل فأحدث وضوءا ثم خرج فأتى به بجينة زياداً فلما مثل بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال قعدت عنى فأنكرت ذلك فذكر الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبى عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولا فصدقه بفعلك وكان من قولك ومن قعد عنا لم نهجه فقعدت فأمر له بصلة وكسوة وحملان فخرج الرجل من عنده وتلقاه الناس يسألونه فقال ما كلكم استطيع أن اخبره ولكنى دخلت على رجل لا يملك ضراً ولا نفعاً لنفسه ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فرزق الله منه ما ترون . (ذاك من سياسة زياد مع الخوارج) ومنها انه كان يبعث الى الجماعة منهم فيقول ماأحسب الذى يمنعكم من اتيانى الا الرجلة فيقولون أجل فيحملهم ويقول اغشونى

الآن واسمروا عندى ولقد روى ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال قاتل الله زياداً جمع لهم كما تجمع الذرة وحاطهم كما تحوط الأم البرة وأصلح العراق بأهل العراق وترك اهل الشأم فى شأمهم وجبى العراق مائة الف الف وثمانية عشر الف الف . ومنها انه كان يوليهم فقد بلغه عن رجل يكنى أبا الخير من اهل الباس والنجدة انه يرى رأى الخوارج فدعاه فولاه جندى سابور وما يليها ورزقه اربعة آلاف درهم فى كل شهر وجعل عمالته فى كل سنة مائة الف فكان أبو الخير يقول ما رأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل والياً حتى أنكر منه زياد شيئاً فتنمر لزياد فحبسه فلم يخرج من حبسه حتى مات

٧ ولما مات زياد وولى بعده عبيد الله ابنه أطلق كل من كان فى حبسه من الخوارج فخرجوا عليه فكان بعد ذلك لا يلبثهم يحبسهم تارة ويقتلهم أخرى واكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن أحد منهم وكان اذا كلم فى ذلك لج وأبى وقال أقمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع ذكر له رجل من بنى سدوس يقال له خالد بن عباد أو ابن عبادة وكان من نساك الخوارج فوجه اليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثور فكذب عنه وقال هو صهرى وهو فى ضمنى فخلى عنه فلم يزل الرجل يتفقده حتى تغيب فأتى ابن زياد فأخبره فبعث الى خالد بن عباد فأخذ فقال له أين كنت فى غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجور فيتبرءون قال دلنى عليهم قال اذا يسعدوا وتشقى ولم أكن لأروعهم قال فما تقول فى أبى بكر وعمر قال خيراً قال فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية قال ان كانا وليين لله فلست أعاديهما فأراغه مرات فلم يرجع فعزم على قتله وأمر بأخراجه الى رحبة تعرف برحبة الزينبى فجعل الشرط يتفادون من قتله ويروغون عنه توقياً لانه كان شاسفاً عليه أثر العبادة حتى أتى المثلم بن مسروح الباهلى وكان من الشرط فتقدم فقتله فأتمر به الخوارج ليقتلوه وكان مغرماً باللقاح يتتبعها فيشتريها من مظانها وهم فى تفقده فدسوا اليه رجلا فى هيئة الفتيان عليه ردع زعفران فلقيه بالمربد وهو يسأل عن لقحة صفى فقال له الفتى ان كنت تبلغ فعندى ما يغنيك

عن غـيره فامض معى فمضى المثلم على فرسه والفتى أمامه حتى أتى به بنى سعد فدخل داراً وقال له ادخل على فرسك فلما دخـل وتوغل فى الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمى فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه ودفناه فى ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه فى الليل فأصيب من الغد فى المربد وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا به بنى سدوس فاستعدوا عليهم السلطان وجعـل السدوسيون يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات ولم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس بن حدير على ابن زياد كما سيأتى بعد وفى قتل المثلم يقول أبو الاسود الدؤلى

آليت لا أغـدو الى رب لقحة   أساومه حتى يعود المثلم

وكان مما يذكر فى خروج أبى بلال مرداس عـلى ابن زياد ان غيـلان بن خرشة الضبى لقيه يوماً فقال يا أبا بلال انى سمعت الأمير البارحة يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ والبلجاء امرأة من بنى حرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم من رهط سجاح المتنبئة وكانت من المجتهدات من الخوارج ولو قلت من المجتهدين وأنت تعنى امرأة لكان أفصح لأنك تريد رجالا ونساء هى احداهم كما قال الله عز وجـل (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وقال جل ثناؤه الا عجوزا فى الغابرين قال فمضى اليها أبو بلال فقال لها ان الله قد وسع على المؤمنين فى التقية فاستترى فان هـذا المسرف على نفسـه الجبار العنيد قـد ذكرك قالت ان يأخـذني فهو أشقى بى فأما أنا فما أحب أن يعنت انسان بسببى فوجه اليها عبيـد الله بن زياد فأتى بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها فى السوق فمر أبو بلال والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا البلجاء فعرج اليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسه لَهذه أطيب نفساً عن بقية الدنيا منك يا مرداس ثم ان عبيـد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداساً فرأى صاحب السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له انى أرى لك مذهباً حسناً وانى لأحب ان أوليك معروفا أفرأيت ان تركتك تنصرف ليلا الى بيتك أتدلج

الىّ قال نعم فكان يفعل ذلك فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من الشرط فقال ابن زياد والله ما أدرى ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله لأقتلن من فى حبسى منهم وبلغ الخبر مرداساً وهو خارج السجن كعادته فتهيأ للرجوع سحراً فقال له أهله اتق الله فى نفسك فانك ان رجعت قتلت فقال ما كنت لألقى الله غادراً ثم رجع الى السجان فقال انى قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال أعلمت ورجعت قال نعم فتركه السجان طليقاً وأعقب ذلك ما سيأتى من أخباره .

٩ لما خرج مرداس من حبس ابن زياد ورأى جده فى طلب الشراة عزم على الخروج فقال لأصحابه انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لأعظم ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفاً ولا نقاتل الامن قاتلنا فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمى فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثاً فأبى فولوا أمرهم مرداساً فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الأنصارى وكان له صديقاً فقال له اين تريد قال أريد أن أهرب بدينى وأديان أصحابى من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم أحد قال لا قال فارجع قال أو تخاف علىّ مكروها قال نعم وأن يؤتى بك قال فلا تخف فانى لا أجرد سيفاً ولا أخيف أحدا ولا اقاتل الا من قاتلنى ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رام هرمز وأرجان فمر به مال يحمل لابن زياد وقد قارب أصحابه الأربعين فحط ذلك المال فأخذ منه عطاءه واعطيات أصحابه ورد الباقى على الرسل وقال قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام تدع الباقى فقال انهم يقسمون هذا الفىء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم . ولأبى بلال أشعار كثيرة فى الخروج منها قوله .

أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ... ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء اوأرجى سلامة ... وقد قتلوا زين بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتى وبصيرتى ... وهب لى التقى حتى ألاقى أولئكا

قال أبو العباس قوله وقد قتلوا ولم يذكر أحدا فانما فعل ذلك لعلم الناس انه يعني مخالفيه وانما يحتاج الضمير الى ذكر قبله ليعرف فلو قال رجل ضربه لم يجز لأنه لم يذكر أحداً قبل ذكره الهاء ولو رأيت قوماً يلتمسون الهلال فقال قوم هذا هو لم يحتج الى تقدمة الذكر لأن المطلوب معلوم وعلى هذا قال علقمة ابن عبدة فى افتتاح قصيده

هل ماعلمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

لأنه قد علم انه يريد حبيبة له وأما قوله حتى ألاقى ولم يحرك الياء فهذا مما يجوز الركون اليه فى الشعر محافظة على ضبط الوزن .

١٠ وممن لقى ابا بلال فى خروجه هذا غير ابن رباح رجل من أصحاب ابن زياد قال خرجنا فى جيش نريد خراسان فمررنا بآسك فاذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد دخلنا زربا فوقف أخى ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام وقال لأخى أجئتم لقتالنا فقال له لا انما نريد خراسان قال فأبلغوا من لقيكم انا لم نخرج لنفسد فى الأرض ولا لنروع أحدا ولكن هربا من الظلم ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفىء الا اعطياتنا ثم قال اندب الينا أحد قلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابى قال فمتى ترونه يصل الينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وكان عبيد الله قد جهز أسلم بن زرعة فى أسرع وقت ووجهه اليهم فى الفين وقد تتام أصحاب مرداس أربعين رجلا فلما صار اليهم أسلم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فأنا لا نريد قتالا ولا نحتجن فيئنا فما الذى تريد قال أريد أن أردكم الى ابن زياد قال مرداس اذا يقتلنا قال وان قتلكم قال تشركه فى دمائنا قال انى أدين بأنه محق وانكم مبطلون فصاح به حريث بن حجل أهو محق وهو يطيع الفجرة وهو أحدهم ويقتل بالظنة ويختص بالفىء ويجور فى الحكم أما علمت أنه قتل بابن سعاد أربعة برءاء وأخذ بالمثلم أربع ديات وأنا أحد قتلته ولقد وضعت فى بطنه دراهم كانت معه وهو فى موضع كذا مدفون ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال وقد

كاد معبد أحد الخوارج يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضباً شديدا وقال ويلك أتمضى فى الفين فتنهزم لحملة أربعين وكان أسلم يقول لأن يذمنى ابن زياد حياً أحب الى من أن يمدحنى ميتاً وكان اذا خرج الى السوق أو مر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك وربما صاحوا به يا معبد خذه حتى شكا ذلك الى ابن زياد فأمر ابن زياد الشرط أن يكفوا الناس عنه ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك من بنى تيم اللات بن ثعلبة فى كلمة له

فلما أصبحوا صلوا وقاموا ... الى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم ... فظل ذوو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم ... سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لما أتاهم ... بأن القوم ولوا هاربينا
أألفا مؤمن فيما زعمتم ... ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ... ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك ... على الفئة الكثيرة ينصرونا

١١ لما كان لأسلم بن زرعة من الخوارج ما كان ندب ابن زياد الناس لقتالهم فاختار عباد بن اخضر وليس بابن اخضر انما هو عباد بن علقمة المازنى وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه كما غلب على أخيه معبد فوجهه فى أربعة آلاف فنهد لهم ويزعم أهل العلم ان القوم قد كانوا تنحوا عن دارا بجرد من أرض فارس فصار اليهم عباد وكان التقاؤهم فى يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج الى ياعباد فانى أريد أن أحاورك فخرج اليه فقال ما الذى تبغى قال أن آخذ بأقفائكم فأردكم الى الأمير عبيد الله بن زياد قال أو غير ذلك قال وما هو قال ان ترجع فانا لانخيف سبيلا ولا نذعر مسلما ولا نحارب الا من حاربنا ولا نجبى الا ما حمينا فقال له عباد الأمر ما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول أن ترد فئة من المسلمين الى جبار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بد وقدم القعقاع بن عطية الباهلى من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذا قال الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب فأخذ القعقاع أسيراً فأتى به أبو بلال فقال ما أنت قال لست

من أعدائك وانما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع الى عباد فأصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول

أقاتلهم وليس علىّ بعث   نشاطا ليس هذا بالنشاط
أكر على الحروريين مهرى   لأحملهم على وضح الصراط

فحمل عليه حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمى فأسراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال ولم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة الجمعة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصلاة فاسرع عباد ومن معه والحرورية مبطئون فهم من بين راكع وقائم وساجد فى الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعاً ثم أقبل برءوسهم فصلبت رؤوسهم وكان فيهم غير أبى بلال داود بن شبث وكان ناسكا وحبيبة النصرى من قيس وكان مجتهدا فيروى عن عمران بن حطان أنه قال قال لى حبيبة لما عزمت على الخروج فكرت فى بناتى فقلت فى ذات ليلة لأمسكن عن تفقدهن حتى أنظر فلما كان فى جوف الليل استسقت بنية لى فقالت يا أبت اسقنى فلم أجبها فاعادت فقامت أخية لها أسن منها فسقتها فعلمت ان الله عز وجل غير مضيعهن فأتممت عزمى . وكان فيهم أيضا كهمس وكان من أبر الناس بأمه فقال لها يا أمه لولا مكانك لخرجت فقالت يا بنى قد وهبتك لله

ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك الحبطى

ألا فى الله لا فى الناس شالت   بداود واخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا   تحوم عليهم طير وقوع
اذا ما الليل أظلم كابدوه   فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا   وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان

ياعين بكى لمرداس ومصرعه   يارب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتنى هائما أبكى لمرزأتى   فى منزل موحش من بعد ايناس
انكرت بعدك من قد كنت اعرفه   ما الناس بعدك يامرداس بالناس

اما شربت بكأس دار أولها　　على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا　　منها بانفاس ورد بعد انفاس

ويقول فى هذا أيضا

لقد زاد الحياة الى بغضا　　وحبا للخروج أبو بلال
أحاذر ان اموت على فراشى　　وارجو الموت تحت ذرا العوالى
ولو أنى علمت بأن حتفى　　كحتف أبى بلال لم أبال
فمن يك همه الدنيا فانى　　لها والله رب البيت قالى

وهذا خلاف ما قاله أبو خالد القنانى وكان من قعد الخوارج لقطرى بن الفجاءة المازنى وقد قال له قطرى

أبا خالد يا انفر فلست بخالد　　وما جعل الرحمن عذرا لقاعد
اتزعم ان الخارجى على الهدى　　وانت مقيم بين لص وجاحد

فكتب اليه أبو خالد

لقد زاد الحياة الى حبا　　بناتى انهن من الضعاف
أحاذر ان يرين الفقر بعدى　　وان يشربن رنقا بعد صاف
وان يعرين ان كسى الجوارى　　فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سومت مهرى　　وفى الرحمن للضعفاء كاف (١)

١٢ بعد أن عاد عباد بن أخضر الى ابن زياد لبث دهراً فى المصر محموداً موصوفا بما كان منه فى قتل مرداس واصحابه ولم يزل على ذلك حتى ائتمر جماعة من الخوارج ان يفتكوا به فذمر بعضهم بعضاً على ذلك فجلسوا له فى يوم جمعة وقد أقبل على بغلة له وابنه رديفه فقام اليه رجل منهم فقال أسألك عن مسألة قال قل قال أرأيت رجلا قتل رجلا بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان ألولى ذلك المقتول ان يفتك به ان قدر عليه قال بل يرفعه الى السلطان قال ان السلطان لا يعدى عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده قال

---

(١) ابانا من لنا ان غبت عنا　　وصار الحى بعدك فى اختلاف

أخاف عليه ان فتك به فتك به السلطان قال دع ما تخافه من ناحية السلطان أتلحقه تبعة فيما بينه وبين الله قال لا قال فحكم هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم ورمى عباد ابنه فنجا وتنادى الناس قتل عباد فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطريق وكان مقتل عباد فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كليب فجاء معبد بن أخضر أخوه فى جماعة من بنى مازن فصاحوا بالناس دعونا وثارنا فأحجم الناس وتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعاً لم يفلت منهم أحد الا عبيدة ابن هلال فانه خرق حصناً ونفذ منه ففى ذلك يقول الفرزدق .

لقد أدرك الأوتار غير ذميمة اذا ذم طلاب الترات الأخاضر

هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر فنالوا التى ما فوقها نال ثائر

أقادوا به أسدا لها فى اقتحامها اذا برزت نحو الحروب بصائر

ثم ذكر بنى كليب لأنه قتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه فقال

كفعل كليب اذ أخلت بجارها ونصر اللئيم معتم وهو حاضر

وما لكليب حين تذكر أول وما لكليب حين تذكر آخر

وقال معبد بن أخضر فى هذا أيضاً .

ساحمي دماء الأخضريين انه ابى الناس الا ان يقولوا ابن أخضرا

١٣ لما فتك الخوارج بعباد كما سبق كتب عبيد الله بن زياد الى عبيد الله ابن أبى بكرة وكان خليفته على البصرة يأمره ألا يدع أحداً يعرف بهذا الرأى الا حبسه وجدّ فى طلبه فجعل ابن أبى بكرة يتتبعهم فيأخذهم فاذا شفع اليه فى أحد منهم كفله الى أن يقدم ابن زياد حتى أتى بعروة بن أدية فأطلقه وقال أنا كفيلك فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من فى السجن منهم فقتلهم جميعاً وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم فكل مَن جاء بصاحبه أطلق وقتل الخارجى ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله ثم قال لعبيد الله بن أبى بكرة هات عروة بن أدية قال لا أقدر عليه قال اذاً والله أقتلك فانك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دل عليه فى سَرَب العلاء بن سوية المنقرى فكتب بذلك الى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه الكاتب انا أصبناه فى شرب العلاء بن سوية فتهانف به عبيد الله بن زياد وقال

صحفت والله ولؤمت انما هو فى سرب العلاء بن سوية ولوددت انه كان ممن يشرب النبيذ فلما أقيم عروة بين يديه حاوره وقد اختلف الناس فى خبره وأصحه عندنا انه قال له جهزت أخاك علىّ فقال والله لقد كنت به ضنينا وكان لى عزاً ولقد أردت له ما أريد لنفسى فعزم عزماً فمضى عليه وما أحب لنفسى الا المقام وترك الخروج قال له أفأنت على رأيه قال كلنا يعبد رباً واحداً قال أما لأمثلن بك فاختر لنفسك من القصاص ماشئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال كيف ترى قال أفسدت علىّ دنياى وأفسدت عليك آخرتك ثم أمر به فقتل ثم صلب على باب داره ثم دعا مولاه فسأله عنه فاجاب جواباًمضى ذكره (١)

قوله فتهانف به حقيقته تضاحك به ضحك هزؤ قال ابن أبي ربيعة المخزومى

ولقد قالت لجارات لها ذات يوم وتعرت تبترد

أكما ينعتنى تبصرننى عمركن الله أم لا يقتصد

فتهانفن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تود

حسد حُملنه من أجلها وقديما كان فى الناس الحسد

وكان كثير المحاورة عاشقاً للكلام الجيد مستحسنا للصواب منه لا يزال يبحث عن عُذره فاذا سمع الكلمة الجيدة عرج عليها ويروى انه قال فى عقب مقتل الحسين بن على عليه السلام لزينب بنت على رحمها الله تعالى وكانت أسن من حمل منهن وقد كلمته فافصحت وابلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها ان تكونى بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيباً شاعراً فقالت ما للنساء والشعر . وكان مع هذا ألكن يرتضخ لغة فارسية وقال لرجل مرة واتهمه برأى الخوارج أهرورى منذ اليوم

النبذة الثالثة فى خلافة ابن الزبير

١ الى ما ذكرنا من أخبار الخوارج وادعى عبد الله بن الزبير الخلافة بالحجاز فوجه اليه يزيد بن معاوية جيشا من أهل الشام تحت قيادة مسلم بن عقبة وكانت من ذلك وقعة الحرة بالمدينة فقال جماعة من الخوارج منهم نجدة

---

(١) فى خبره مع زياد . السباعى

ابن عامر الحنفي سينصرف هذا (يعنون مسلم بن عقبة) عن المدينة الى مكة ويجب علينا ان نمنع حرم الله منـه ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فمضوا لذلك فكان أول أمرهم ان أبا الوازع الراسبي وكان من مجتهدى الخوارج كان يذمر نفسه ويلومها على القعود وكان شاعراً وكان يفعل ذلك باصحابه فاتى نافع ابن الأزرق وهو فى جماعـة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فقال له أبو الوازع يا نافع لقد اعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان للسانك اتحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليـه فقال الى ان تجمع من أصحابك من تنكى به عدوك فقال أبو الوازع

لسانك لا تنكى به القوم انما تنال بكفيك النجاة من الكرب

فجاهد أناساً حاربوا الله واصطبر عسى الله ان يخزى غوىّ بنى حرب

ثم قال والله لا ألومك ونفسى ألوم ولأغدون غـدوة لاانثنى بعدها أبداً

ثم مضى فاشترى سيفاً وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم فشاوره فى السيف فحمده فقال اشحذه فشحذه حتى اذا رضيـه حكم وخبط به الصيقل وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى أتي مقبرة بنى يشكر فدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر خوفاً من ان تجعـل الخوارج قبره مهاجراً فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا وخرجوا وخرج فى ذلك جماعة منهم عيسى بن فاتك الحبطى من تيم اللات بن ثعلبة ومقتله بعد خروج الازارقة فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة وكان الذى جمعهـم رجاء النميرى فلما صاروا جميعاً الى ابن الزبير عرفوه أنفسهـم فأظهر انه على رأيهم وسمح لهم فى القول وفى ذلك يقول قيس بن هام من رهط الفرزدق

يا بن الزبير أتهوى عصبة قتلوا ظلماً أباك ولما تنزع الشكك

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية ما اعظم الحرمة العظمي التى انتهكوا

فقال ابن الزبير لو شايعنى الترك والديلم عـلى قتال أهل الشأم لشايعتها فلما

اتاهم مسلم بن عقبة واهل الشأم دافعوهم الى ان اتى موت يزيد بن معاوية فوضعت الحرب وكان اهل الشأم قد ملوا حصار ابن الزبير مع الحصين بن نمير لما كان من حنق الخوارج فى قتالهم ثم ارتحل اهل الشأم عن الحجاز وفى هذا يقول رجل من قضاعة

ياصاحبيّ ارتحلا ثم املسا لا تحبسا لدى الحصين محبسا
ان لدى الأركان ناسا بؤسا وبارقات يختلسن الأنفسا (١)
اذا الفتى حكم يوماً كلسا

قال ابو العباس الشكك جمع شكة وهى السلاح قال الشاعر

ومدججا يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب

وقوله ثم املسا يريد تخلصا سهلا وكاس اى حمل وجد

٢ لما ارتحل اهل الشأم عن ابن الزبير كانت الخوارج على غير بيعة له فتناظروا فيما بينهم ثم قالوا ندخل اليه فننظر ما عنده فان قدم ابا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلى وكفر اباه وطلحة بايعناه وان تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدى علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل واصحابه متفرقون عنه فقالوا انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على الصواب بايعناك وان كنت على غيره دعوناك الى الحق ما تقول فى الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول فى عثمان الذى أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لأهل مصر شيئا وكتب بخلافه وأوطأ آل أبى معيط رقاب الناس وآثرهم بفىء المسلمين وفى الذى بعده الذى حكم فى دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفى ابيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من اعراض الدنيا وأخرجا عائشة تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها ان يقرن فى بيوتهن وكان لك فى ذلك ما يدعوك الى التوبة فان أنت قلت كما تقول فلك الزلفى عند الله والنصر على ايدينا ونسأل الله لك التوفيق وان ابيت الا نصر رأيك الأول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتوالى فى السنين الست التى أحلت دمه ونقضت

---

(١) قال الأخفش حفظى بأسا أبؤساً

أحكامه وأفسدت امامته خذلك الله وانتصر منك بأيدينا فقال ابن الزبير ان الله أمر وله العزة والقدرة فى مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول فقال لموسى ولأخيه صلى الله عليهما فى فرعون قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى فنهى عن سب أبى جهل من أجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول والمقيم على الشرك والجاد فى المحاربة والمتبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنباً وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذى سميتم فيه طلحة وأبى ان تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا فى غمار الناس وان لم يكونا منهم لم تحفظونى بسب أبى وصاحبه وأنتم تعلمون ان الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا وقال جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا وهذا الذى دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس مقنعكم الا التوقيف والتصريح ولعمرى ان ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه فروحوا الىّ من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله فلما كانوا راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ لكم فجلس على رفع من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان فى السنين الأوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التى أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وخبر انه آوى الحكم بن العاصى باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح وان القوم استعتبوه من أمور وكان له ان يفعل أولا مصيبا ثم أعتبهم بعد محسنا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد ان ضمن لهم العتبى ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف انه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الأمامة وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذى

لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة الف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليرض فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأنا ولى وليه وعدوّ عدوه وابى وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما قطعت اصبع طلحة سبقته الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذاك يوم كله أو جله لطلحة والزبير حوارىّ رسول الله وصفوته وقد ذكر انهما فى الجنة وقال عز وجل (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم فان يكن ما سعوا فيه حقاً فأهل ذاك هم وان يكن زلة ففى عفو الله تمحيصها وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ومهما ذكرتموها به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضى الله عنها فان أبى آب أن تكون له أما نبذ اسم الايمان عنه قال جل ذكره وقوله الحق (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فلما سمع الخوارج ذلك نظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه فتفرقوا فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة فكان فيمن صار الى البصرة نافع بن الأزرق الحنفى وبنو الماحوز السليطيون ورئيسهم حسان ابن بحزج فلما صاروا الى البصرة نظروا فى أمورهم فأمروا عليهم نافعاً .

٣ لما عاد الخوارج عن ابن الزبير الى البصرة كان عبيد الله بن زياد وقد أتاه موت يزيد بن معاوية قد أخذ البيعة لنفسه من أهل البصرة وكان فى السجن يومئذ اربعمائة رجل من الخوارج فكلم فيهم وضعف أمره فأطلقهم فأفسدوا البيعة عليه وفشوا فى السواد يدعون الى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه فاضطرب على عبيد الله أمره فتحول عن دار الامارة الى الأزد ونشبت الحرب بسببه بين الأزد وربيعة وبين بنى تميم فاعتزلهم الخوارج الا نفراً منهم من بنى تميم معهم عبس بن طلق الصريمى أخو كهمس فانهم أعانوا قومهم فكان عبس الطعان فى سعد والرباب فى القلب بحذاء الأزد وكان حارثة بن بدر اليربوعى فى بنى حنظلة فى الميمنة بحذاء بكر بن وائل وكانت عمرو بن تميم فى الميسرة بحذاء عبد القيس وفى ذلك يقول حارثة بن بدر للاحنف وهو صخر بن قيس

سيكفيك عبس أخو كهمس مقارعة الأزد بالمربد
وتكفيك عمرو على رسلها لكيز بن أفصى وما عددوا
واكفيك بكراً اذا أقبلت بضرب يشيب له الأمرد

ولكيز هو عبدالقيس ثم نشب القتال فلما قتل مسعود بن عمرو والمعنى وتكاف الناس عن القتال وتواقفوا بعث اليهم الاحنف بن قيس التميمى يقول يامعشر الازد وربيعة من أهل البصرة انتم والله أحب الينا من تميم الكوفة وانتم جيراننا فى الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالأمس ووطئتم حريمنا وحرمتم علينا مدافعتنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا فى الشر ما أصبنا فى الخير مسلكا فتيمموا بنا طريقة قاصدة فوجه اليه زياد بن عمرو تخير خلة من ثلاث ان شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا وان شئت تخل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك الى حيث شئتم والا فدوا قتلانا وأهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة . فبعث اليه الأحنف سنختار فانصرفوا فى يومكم فهز القوم راياتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث اليهم الأحنف انكم خيرتمونا خلالا ليس فيها خيار . أما النزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقطر دماً وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز وجل (ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) ولكن الثالثة انما هى حمل على المال فنحن نبطل دماءنا وندى قتلاكم وانما مسعود رجل من المسلمين وقد اذهب الله أمر الجاهلية فاجتمع القوم على ان يقفوا أمر مسعود ويغمد السيف ويودى سائر القتلى من الأزد وربيعة وتضمن ذلك الأحنف ودفع اياس بن قتادة المجاشعى رهينة حتى يؤدى هذا المال فرضى به القوم وبهذا فخر الفرزدق فقال

ومنا الذى أعطى يديه رهينة لغارى معد يوم حرب الجماجم (١)
عشية سال المربدان كلاهما عجاجة موت بالسيوف الصوارم
هنالك لو تبغى كليباً وجدتها أذل من القردان تحت المناسم

ويقال ان تميما فى ذلك الوقت مع باديتها وحلفائها من الأساورة والزط

---

(١) قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه لغازى معد

والسيابجة وغيرهم كانوا زهاء سبعين الفاً وفى ذلك يقول جرير

سائل ذوى يمن ورهط محرق   والأزد اذ ندبوا لنا مسعودا
فأتاهم سبعون الف مدجج   متسربلين يلامقاً وحديدا

قال الاحنف بن قيس فكثرت علىّ الديات فلم أجدها فى حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين فسألت عن المقصود فأرشدت الى قبة فاذا شيخ جالس بفنائها مؤتزر بشملة محتب بحبل فسلمت عليه وانتسبت له فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت توفى صلوات الله عليه فسأل فما فعل عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب ويحوطها فقلت له مات رحمه الله تعالى قال فأى خير فى حاضرتكم بعدهما قال فذكرت له الديات التى لزمتنا للأزد وربيعة قال فقال لى أقم فاذا راع قد أراح الف بعير فقال خذها ثم أراح عليه آخر مثلها فقال خذها فقلت لا أحتاج اليها قال فانصرفت بالألف عنه ووالله ما أدرى من هو الى الساعة (١)

قول زياد بن عمرو وليود مسعود دية المشعرة فالمشعرة اسم لقتلى الملوك خاصة كانوا يكبرون ان يقولوا قتل فلان فيقولون أشعر فلان من اشعار البدن * ويروى ان رجلا قال حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به صائح ياخليفة رسول الله ثم قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفى دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت فاذا رجل من بنى لهب وهم من بنى نصر من الأزد وهم أزجر العرب كما قال كثير

سألت أخا لهب ليزجر زجرة   وقد صار زجر العالمين الى لهب

قال فلما وقفنا لرمى الجمار اذا حصاة قد صكت صلعة عمر فأدمته فقال قائل أشعرَ والله أمير المؤمنين لا يقف هذا الموقف ابدا فالتفت فاذا بذلك اللهبى بعينه فقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحول

---

(١) ثم ان الاحنف أدى الديات ووضعت الحرب واستمر ابن زياد بشمال العراق حتى قتله ابن الاشتر على ما سيأتى بعد فى أخبار المختار بن أبى عبيد الثقفى . السباعى

قال أبو العباس وأنشدنى رجل من أصحابنا من بنى سعد قال أنشدنى اعرابى فى قصيدة ذى الرمة .

الا يا اسلمى يا دارمىّ على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر

بيتين لم تأت بهما الرواة وهما .

رأيت غراباً ساقطاً فوق قضبة ... من القضب لم ينبت لها ورق نضر

فقلت غراب لاغتراب وقضبة ... لقضب النوى هذى العيافة والزجر

وقال آخر (١)

وقِدماً هاجنى فازددت شوقاً ... بكاء حمامتين تجاوبان (٢)

تجاوبتا بلحن أعجمى ... على عودين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى ... وفى الغرب اغتراب غير دان

وقول الفرزدق تحت المناسم فالمناسم واحدها منسم وهو ظفر البعير فى مقدم الخف وهو من البعير كالسنبك من الفرس وقوله عشية سال المربدان كلاهما يريد المربد وما يليه مما جرى مجراه والعرب تفعل هذا فى الشيئين اذا جريا فى باب مجرى واحداً قال الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر لأنهما قد اجتمعا فى قولك النيران وغلب الاسم المذكر وانما يؤثر فى مثل هذا الخفة وقالوا العمران لأبى بكر وعمر فان قال قائل انما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز قلنا لا لأن أهل الجمل نادوا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أعطنا سنة العمرين وان قال آخر فلم لم يقولوا أبوا بكر وأبو بكر افضلهما فلأن عمر اسم مفرد وانما طلبوا الخفة وأنشدنى التوزى عن ابى عبيدة لجرير .

وما لتغلب ان عدوا مساعيهم ... نجم يضىء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم ... والعمران أبو بكر ولا عمر

---

(١) قال أبو الحسن هو جحدر العكلى وكان لصاً

(٢) وقدما عن أبى الحسن

هكذا أنشدنيه (١) وقال آخر (٢) قدنىَ من نصر الخبيبين قدى .
يريد عبد الله ومصعبا ابنى الزبير وانما أبو خبيب عبد الله وقرأ بعض القراء سلام على الياسين فجمعهم على لفظ الياس ومن ذا قول العرب المسامعة والمهالبة والمناذرة يجمعهم على اسم الأب

٤ لما اعتزل نافع بأصحابه تلك الحرب الناشبة بسبب ضعف ابن زياد أجمعوا على الخروج فمضى بهم نافع الى الأهواز فى سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يهيجون أحداً ويناظرهم الناس ثم طردوا عمال السلطان عنها وجبوا الفيء ولم يزالوا على رأى واحد يتولون أهل النهر ومرداساً ومن خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم الى نافع فقال له ان اطفال المشركين فى النار وان من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وأدللت بنفسك قال ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلنى « قال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفار » فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع انهم جميعاً فى النار ورأى قتلهم وقال الداردار كفر الامن أظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاءٍ فعلينا ان نمتحنه وهم ككفار العرب لا نقبل منهم الا الاسلام أو السيف والقعد بمنزلتهم والتقية لا تحل فان الله تعالى يقول اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وليس منا بكافر فى دار الهجرة الا القاتل رجلامسلماً فان المسلم حجة الله والقاتل قصد لقطع الحجة فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نجدة بن عامر واحتج عليه بقول الله عزوجل الا ان تتقوا منهم تقاة وبقوله عزوجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فالقعد منا والجهاد اذا أمكن أفضل لقول الله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ثم مضى نجدة بأصحابه الى اليمامة وتفرقوا فى البلدان فانحاز اليه جماعة

---

(١) انما قال هكذا أنشدينه لأن غير التوزى يرويه . والطيبان أبو بكر ولا عمر (٢) هو حميد الأرقط

كانوا قد نفروا عن نافع وبايعوا أبا طالوت سالم بن مطر بالخضارم فكان من نجدة وأصحابه ان لقوا قوماً من الخوارج بالعرمة فقالوا لهم ان نافعاً قد كفر القعد ورأى الاستعراض وقتل الأطفال فانصرفوا مع نجدة أيضاً الى اليمامة (قال أبو العباس) العرمة كالسكرة وجمعها عرم وفى القرآن المجيد فأرسلنا عليهم سيل العرم وقال النابغة الجعدى .

من سبأ الحاضرين مأرب اذ　　يبنون من سيله العرما

٥ ولما صار نجدة باليمامة مع من انضم اليه فى طريقه كتب الى نافع يقول بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان عهدى بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم وللضعيف كالأخ البر لا تأخذك فى الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك أما تذكر قولك لولا انى أعلم ان للامام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين فلما شريت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق فصه وركبت مره تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فلويت فاكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ثم سماهم أحسن الأسماء فقال ماعلى المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال عز ذكره (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقال فى القعد خيراً وفضل من جاهد عليهم ولا تدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه أوما سمعت قول الله عز وجل (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر فجعلهم من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيت ألا تؤدى الأمانة الى من خالفك والله يأمر أن تؤدى الأمانات الى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك واتق يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً فان الله عز ذكره بالمرصاد وحكمه العدل وقوله الفصل والسلام

٥ فكتب اليه نافع . بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتانى كتابك

تعظنى فيه وتذكرنى وتنصح لى وتزجرنى وتصف ما كنت عليه من الحق وما كنت أوثره من الصواب وأنا أسأل الله عز وجل ان يجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعتبت علىّ ما دنت به من اكفار القعد وقتل الأطفال واستحلال الأمانة فسأفسر لك لم ذلك ان شاء الله اما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقهوا فى الدين وقرؤا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم اذ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض فقال لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فخبر بتعذيرهم وانهم كذبوا الله ورسوله وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم فانظر الى أسمائهم وسماتهم. وأما أمر الأطفال فان نبى الله نوحاً عليه السلام كان أعلم بالله يانجدة منى ومنك فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل ان يولدوا فكيف كان ذلك فى قوم نوح ولا نكون نقوله فى قومنا والله يقول أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر وهؤلاء كمشركى العرب لا نقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم الا السيف أو الاسلام. واما استحلال امانات من خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق وأموالهم فىء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا والقعود عنا وترك ما نهجناه لك من طريقنا ومقالتنا والسلام على من أقر بالحق وعمل به

٦ وكتب نافع الى عبدالله بن الزبير يدعوه الى أمره فقال أما بعد فانى أحذرك من الله يوم تجد كل نفسك ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين فان الله يقول لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل

ذلك فليس من الله فى شيء وقد حضرت عثمان يوم قتل فلعمرى لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده ولقدعلمت ان أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه وكانوا فى أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان وكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول فى دين واحد ولقد ملك على بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى الاحكام مجاريها وأعطى الامور حقائقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعاه ظالمين له وان القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس ان يكن على فى وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً اما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ولئن كان كافراً كما زعمتم وفى الحكم جائراً لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدواً ولسيرته عائباً فكيف توليته بعد موته فاتق الله فانه يقول ومن يتولهم منكم فانه منهم

٧ وكتب الى من بالبصرة من المحكمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون والله انكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد ندبكم الله الى الجهاد فقال وقاتلوا المشركين كافة ولم يجعل لكم فى التخلف عذرا فى حال من الحال فقال انفروا خفافا وثقالا وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لايجدون ماينفقون وقد كانت اقامة لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكارة لذتها نافدة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغتراراً وأظهرت حيرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة تسره ولاشارب شربة تؤنقه الا دنا بهادرجة الى أجله وتباعد بهامسافة من أمله وانما جعلها الله دارا لمن تزود منها الى النعيم المقيم فلن يرضى بهاحازم دارا ولاحليم فيهاقرارا فاتقوا الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى

٨ فورد كتابه عليهم وفيهم يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعى وعبدالله ابن اباض المرى من بنى مرة بن عبيد فأقبل أبو بيهس على ابن اباض فقال ان نافعاً

غلاف كفر وانك قصرت فكفرت تزعم أن من خالفنا ليس بمشرك وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول وتزعم ان مناكحهم ومواريثهم والاقامة فيهم حل طلق وأنا اقول ان أعداءنا كاعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل لنا الاقامة فيهم كما فعل المسلمون فى اقامتهم بمكة واحكام المشركين تجرى فيها وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون الاسلام وأن حكمهم عند الله حكم المشركين وأن الدار دار كفر والاستعراض فيها جائز وان أصيب من الاطفال فلا حرج . هذا والأزارقة لا تكفر أحدا من اهل مقالتها فى دار الهجرة الا القاتل رجلا مسلماً فانهم يقولون المسلم حجة الله والقاتل قصد لقطع الحجة ويروى ان نافعاً مر بمالك بن مسمع فى الحرب التى كانت بين الازد وربيعة وبين بنى تميم ونافع متقلد سيفاً فقام اليه مالك فضرب بيده الى حمالة سيفه وقال ألا تنصرنا فى حربنا هذه فقال لا يحل لى قال فما بال مؤمنى بنى تميم ينصرون كفارهم فى هذه الحرب فأمسك عنه وخرج بعد ذلك بأيام الى الاهواز قال أبو العباس فصار الخوارج فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع فى البراءة والاستعراض واستحلال الامانة وقتل الاطفال وقول أبى بيهس وقول ابن اباض وقد ذكرناها وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى لا أحرم مناكحهم ومواريثهم لأن معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول عليه السلام فأرى معهم دعوة المسلمين تجمعهم وأراهم كفارا للنعم .

فقول ابن اباض أقرب الأقاويل الى السنة من أقاويل الضلال وكانت النجدية والصفرية يقولون به فى ذلك الوقت ثم قالت الصفرية الين منه فى أمر القعد حتى صار عامتهم قعدا ومن هنا افترقت الخوارج فصارت على اربعة اضرب الأزارقة وهم اصحاب نافع بن الأزرق الحنفى والاباضية وهم اصحاب عبد الله بن اباض المرى ومنهم نجدة بن عامر الحنفى واصحابه . والبيهسية وهم اصحاب أبى بيهس الضبعي . ثم الصفرية وقد اختلف فى تسميتهم فقال قوم سموا بابن صفار وقال آخرون واكثر المتكلمين عليه بل هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم وتصديق ذلك قول ابى عاصم الليثى وكان يرى رأى الخوارج فتركه وصار مرجئاً

فارقت نجدة والذين تزرقوا ... وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصفر الاذان الذين تخيروا ... دينا بلا ثقة ولا بكتاب

وكانوا قبل على رأى واحد لايختلفون الا فى الشئ الشاذ من الفروع كما قال صخر بن عروة انى كرهت قتال على بن أبي طالب رضى الله عنه لسابقته وقرابته فأما الآن فلا يسعنى الا الخروج وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر فضللته الخوارج بامتناعه من قتال على . فقوله والصفر الاذان بتخفيف الهمزة كيلا ينكسر الشعر يريد الصفرية وقوله الكذاب يعنى المختار بن عبيد الله الثقفى وسيأتى الكلام عليه فى مقاتلته لعبيد الله بن زياد ومقاتلة مصعب بن الزبير له وقوله وابن الزبير يريد عبد الله لا مصعبا وقوله نجدة يعنى نجدة بن عامر الحنفى وكان رأساً ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج وقد بنى من اهلها قوم كثير وكان نجدة يصلى بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير فى جمعة كل جمعه وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم قال الراعى يخاطب عبد الملك بن مروان

انى حلفت على يمين برة ... لا اكذب اليوم الخليفة قيلا
ما ان أتيت أبا خبيب وافداً ... يوماً أريد ببيعتى تبديلا
ولا أتيت نجيدة بن عويمر ... أبغى الهدى فيزيدنى تضليلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتى ... انى أعد له على فضولا
أخذوا العريف فقطعوا حيزومه ... بالأصبحية قائما مغلولا

واصحاب نجدة هم الذين عيروا غيرهم من الخوارج وقد أخرجوا معهم امرأتين يقال لاحداهما كحيلة والاخرى قطام فجعلوا يصيحون بهم يا اصحاب كحيلة وقطام يعرضون لهم بالفجور فينادونهم بالدفع والردع ويقول قائلهم لا تقف ما ليس لك به علم وهى آية شهادة الزور يروى عن ابن عباس وقد فسر الزور فى قوله تعالى (والذين لايشهدون الزور) بأعياد المشركين فقيل له أوما هذا فى شهادة الزور فقال لا انما آية شهادة الزور (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وكان ابن مسعود يقارب ابن عباس فيفسر الزور بالغناء أما قوله والذين تزرقوا فانه يعنى اتباع نافع بن الازرق وهم

الازارقة وقد انتهى امر الخوارج اليهم لانهم ذوو الحد والجد منهم على ماسيأتى بعد من أخبارهم .

ولذكر الصفرية والأزارقة والبيهسية والاباضية تفسير لم نسب الى ابن الازرق بالازارقة والى ابن بيهس بالكنية المضاف اليها ونسب الى صفر ولم ينسب الى واحدهم ونسب الى ابن اباض فجعل النسب الى أبيه فاعلم انك اذا نسبت الى علم مضاف فالوجه أن تنسب الى الاسم الاول وذلك قولك فى عبد القيس عبدى وكذلك فى عبد الله بن دارم فان كان الاسم الثانى أشهر من الاول جاز النسب اليه لئلا يقع فى النسب التباس من اسم باسم وذلك قولك فى النسب الى عبد مناف منافى والى ابى بكر بن كلاب بكرى وقد يجوز وهو قليل أن تبنى له من الاسمين اسما على مثال الاربعة لينتظم النسب وذلك قولك فى النسب الى عبد الدار بن قصى عبدرى وفى النسب الى عبد القيس عبقسى فان كان المضاف غير علم فالنسب الى الثانى على كل حال وذلك قولك فى النسب الى ابن الزبير زبيرى لان ابن الزبير انما صار معرفة بالزبير وكذا النسب الى ابن رألان رألانى فلذلك قالوا فى النسب الى ابن الازرق ازرقى والى ابى بيهس بيهسى فأما قولهم صفرى فانما أرادوا الصفر الالوان فنسبوا الى الجماعة وحق الجماعة اذا نسب اليها أن يقع النسب الى واحدها كقولك مهلبى ومسمعى ولكن جعلوا صفرا اسما للجماعة ثم نسبوا اليه ولم يقولوا أصفرى بالنسب الى واحدها وانما كان ذلك لانهم جعلوا صفرا اسما للجماعة كما تسمى القبلية بالاسم الواحد ألا ترى ان النسب الى الانصار أنصارى لانه كان علما للقبيلة وكذلك مدائنى وتقول فى النسب الى الابناء من بنى سعد أبناوى لانه اسم للجماعة فأما قولهم الازارقة فهذا باب من النسب آخر وهو أن يسمى كل منهم باسم الأب اذا كانوا اليه ينسبون ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ويقولون جاءنى النميريون والأشعريون جعل كل واحد منهم نميرا وأشعرا فهذا يتصل فى القبائل على ما ذكرت لك وقد تنسب الجماعة الى الواحد على رأى أودين فيكون له مثل نسب الولادة كما قالوا ازارق لمن كان على رأى ابن الازرق كما تقول تميمى وقيسى لمن ولده تميم وقيس

ومن قرأ سلام على الياسين فأنما يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه كما قال. قدنى من نصر الخبيبين قدى . يريد أبا خبيب ومن معه وقد يجتمع الرجل مع الرجل فى التثنية اذا كان مجازهما واحداً فى اكثر الامر على لفظ أحدهما فمن ذلك قولهم العمران لابى بكر وعمر رضى الله عنهما ومن ذلك قولهم الخبيبان لعبد الله ومصعب وقد مضى تفسيره

٩ كان نافع بن الازرق قبل خروجه شجاعا مقداما بعيد النظر فى الفقه. تلوح عليه شارات الخروج لتوغله وتعمقه يروى عن ابى الجلد انه نظر اليه والى بعد نظره وتوغله وتعمقه فقال له انى لأجد لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا للخوارج فاحذر أن تكون منهم قال وكان ينتجع عبد الله بن عباس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع اليه فى تفسيرها فقبله وانتحله ثم غلبت عليه الشقوة بعدُ ونحن ذاكرون منها صدراً ان شاء الله

حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى النسابة عن اسامة بن زيد عن عكرمة قال. رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه (والليل وما وسق) فقال ابن عباس وما جمع فقال أتعرف ذلك العرب قال أو ما سمعت قول الراجز

ان لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لو يجدن سائقا

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذى لا يقدح فيه قادح ويعرض القولُ فيحتاج المبتدىء الى ان يزداد فى التفسير قوله حقائقا انما بنى الحقة من الأبل وهى التى قد استحقت بأن يحمل عليها على فعيلة مثل حقيقة ولذلك جمعها على فعائل ويقال استوسق القوم اذا اجتمعوا .

وروى أبو عبيدة فى هذا الاسناد وروى ذلك غيره وسمعنا من غير وجه أنه سأله عن قول الله عز وجل (قد جعل ربك تحتك سريا) ما السرى فقال ابن عباس هو الجدول فسأله عن الشاهد فانشده

سلما ترى الدالج منها ازورا اذا يعج فى السرى هرهرا

السلم الدلو الذى له عروة واحدة وهو دلو السقائين وهو الذى ذكره طرفة فقال

لهامر فقان افتلان كأنما أمرّا بسلمى دالج متشدد

والدالج الذى يمشى بالدلو بين البئر والحوض وأصحاب الحديث ينشدون ـ لما ترى الدالى منه ازورا . وهذا خطأ لا وجه له .

وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعاً سأل ابن عباس عن قوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) ما الزنيم فقال هو الدعى الملزق أما سمعت قول حسان بن ثابت

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

ويزعم أهل اللغة ان اشتقاق ذلك من الزنمة التى بحلق الشاة كما يقولون لمن دخل فى قوم ليس منهم زعنَفة وللجمع زعانف والزعنفة الجناح من أجنحة السمك (١)

ويروى عن غير أبى عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمه (والتفت الساق بالساق) فقال الشدة بالشدة فسأله عن الشاهد فأنشده

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

قال أبو العباس وقرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التى يهجو فيها آل المهلب بن أبى صفرة ويمدح هلال بن أحوز المازنى ويذكر الواقعة التى كانت له عليهم بالسند فى سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه فكان منها

أقول لها من ليلة ليس طولها كطول الليالى ليت صبحك نورا

أخاف على نفسى ابن أحوز انه جلا همما فوق الوجوه فأسفرا (٢)

جعلت لقبر للخيار ومالك وقبر عدى فى المقابر أقبرا (٣)

---

(١) قال أبو الحسن الأخفش كذا قال زَعنفة والناس كلهم يقولون زعنفة بكسر الزاى وهو الوجه . والأم زعنفة بالكسر

(٢) قال الشيخ أبو يعقوب الذى رويت فى شعر جرير

حذارا على نفسى ابن احوز انه جلا كل وجه من معد فأسفرا

(٣) قوله عدى يعنى عدى بن ارطاة الفزارى قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله ويرى للخيار وواسط والخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المجاشعى وواسط بها قبر عدى بن ارطاة الفزارى

وأطفأت نيران المزون وأهلها وقد حاولوها فتنة ان تسعرا (١)
فلم تبق منهم راية يعرفونها ولم تبق من آل المهلب عسكرا
الا رب سامى الطرف من آل مازن اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

فهذا نظير ذلك والمزون عمان قال الكميت

فأما الأزد أزد أبى سعيد فأكره أن أسميها المزونا

وقال آخر يعنى الحرب

فان شمرت لك عن ساقها فويها حذيف ولا تسأم (٢)

ويروى عن أبي عبيدة من غير وجه ان نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فقال أرأيت نبى الله سليمان صلى الله عليه وسلم مع ما خوله الله واعطاه كيف عنى بالهدهد على قلته وضؤولته فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد قناء الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك قال نافع قف ياوقاف كيف يبصر ما تحت الأرض والفخ يغطى له بمقدار أصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس ويحك يا ابن الأزرق أما علمت انه اذا جاء القدر عشى البصر.

ومما سأله عنه أيضاً الاشارة فى قوله تعالى « الم ذلك الكتاب » فقال ابن عباس تأويله هذا القرآن قال أبو العباس هكذا جاء ولا احفظ عليه شاهدا عن ابن عباس وأنا أحسبه انه لم يقبله الا بشاهد وتقديره عند النحويين انهم كانوا وعدوا كتابا هكذا التفسير كما قال الله جل ثناؤه « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » يعنى بذاك اليهود وقال « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » فمعناه هذا الكتاب الذى كنتم تتوقعونه وبيت خفاف بن ندبة لمالك بن حمار وهو سيد بنى شمخ ابن فزارة اذ طعنه فقتله فقال

أقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا اننى انا ذلكا

على هذا يصح معناه يريد انا ذلك الذى سمعت به هذا تأويل هذا . وقوله

---

(١) المزون عمان بالفارسية (٢) تقول ويها لزيد اذا زجرته عن الشيء فاغريته به وواها له اذا تعجبت منه وحذيف يريد حذيفة فرخمه

يأطر متنه أى يثنى يقال أطرت القوس آطرها أطرا وهى مأطورة (١)

ومما سأله عنه قوله عز وجل « أجر غير ممنون » فقال ابن عباس غير مقطوع قال اتعرف ذلك العرب قال قد عرفه أخو بنى يشكر حيث يقول

وترى خلفهن من سرعة الرجـ ـع منينـا كأنه أهباء

قال أبو العباس منين يعنى الغبار وذلك أنهـا تقطعـه قطعا وراءها والمنين الضعيف المؤذن بانقطاع أنشدنى التوزى عن أبى زيد

يا ريها ان سلمت يمينى وسلم الساق الذى يلينى

ولم تخنى عقد المنين

يريد الحبل الضعيف فهذا هو المعروف ويقال منين وممنون كقتيل ومقتول وجريح ومجروح وذكر التوزى فى كتاب الاضداد ان المنين يكون القوى يجعله فعيلا من المنة والمعروف هو الأول وقال غير ابن عباس أجر غير ممنون أى لا يمن عليهم فيكدر عندهم .

ويروى من غير وجه ان ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسأله حتى أملّه وجعـل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر بن عبد الله بن أبى ربيعـة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسـلم وجلس فقال له ابن عبـاس ألا تنشدنا شيئا من شعرك فأنشده

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

بحاجـة نفس لم تقل فى جوابها فتبلغ عذراً والمقالة تعذر

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القاب مقصر

ولا قرب نعم ان دنت لك نافع ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر

وأخرى اتت من دون نعم ومثلها نهى ذا النهى لو يرعوى او يفـكر

اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة لهـا كلما لاقيتـه يتنمر

عزيز عليـه أن أمر ببابها مسر لى الشحناء والبغض مظهر

(١) سيأتى تفصيل هـذا الخبر بمراثى الخنساء لأخويها صخر ومعاوية فى الجزء الثانى السباعى

ألِكنى اليها بالسلام فانه يشهر المامى بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها بمدفع أكنان أهذا المشهر
قفى فانظرى يا اسم هل تعرفينه أهذا المغيرى الذى كان يذكر
أهذا الذى أطريت نعتاً فلم أكن وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقالت نعم لا شك غيّر لونه سرى الليل يحيى نصه والتهجر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشى فيخصر

حتى اتمها وهى ثمانون بيتاً (١) فقال له ابن الأزرق لله أنت يا ابن عباس أنضرب اليك أكباد الأبل نسألك عن الدين فتعرض ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الأزرق أما أنشدك

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ما هكذا قال انما قال . فيضحى وأما بالعشى فيخصر قال أو تحفظ الذى قال قال والله ما سمعتها الا ساعتى هذه ولو شئت ان أردها لرددتها قال فارددها فانشده اياها . وروى الزبيريون أن نافعا قال له ما رأيت أروى منك قط فقال له ابن عباس ما رأيت أروى من عمر ولا أعلم من على وقوله فيضحى يقول يظهر للشمس ويخصر يقول فى البردين فاذا ذكر العشى فقد دل على عقيب العشى قال الله تبارك وتعالى (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) والضح الشمس وليس من ضحيت يقال جاء فلان بالضح والريح يراد به الكثرة قال علقمة

أغر أبرزه للضح راقبه مقلد قضب الريحان مفغوم

له فغمة أى رائحة طيبة يعنى ابريقاً فيه شراب وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجه الى تبوك جاء أبو خيثمة وكانت له امرأتان وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانه ومهدت له فى ظل فقال أظل ممدود وثمرة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ماهذا بخير فركب

---

(١) سيأتى شطر كبير من اول هذه القصيدة فى باب الغزل انشاء الله . السباعى

ناقته ومضى فى أثره وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر تخلفوا أبو خيثمة أحدهم فجعل لا يذكره أحد منهم الا قال دعوه فان يرد الله به خيرا يلحقه بكم فقيل ذات يوم يارسول الله نرى رجلا يرفعه الآل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فكان هو . هذا هو الضح اما اذا انبسطت الشمس فهو الضحى مقصور فاذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاء ممدود مفتوح الأول

١٠ لما تفرقت الخوارج على الأضرب الأربعة التى ذكرنا وكان الازارقة ذوى الحد والجد منهم انتهى الأمر اليهم وأقام نافع بالأهواز يعترض الناس ويقتل الأطفال فاذا أجيب الى المقالة جبى الخراج حتى اذا فشا عماله فى السواد ارتاع لذلك أهل البصرة فاجتمعوا الى الأحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا ليس بيننا وبين العدو الا ليلتان وسيرتهم ما ترى فقال الأحنف ان فعلهم فى مصركم ان ظفروا به كفعلهم فى سوادكم فجدوا فى جهاد عدوكم فاجتمع اليه عشرة آلاف فأتى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو المعروف ببة وكان واليا اذ ذاك عليهم من قبل عبد الله بن الزبير فسأله ان يؤمر عليهم فاختار لهم مسلم بن عبيس بن كريز وكان دينا شجاعا فأمره عليهم وشيعه فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال انى ماخرجت لامتيار ذهب ولا فضة وانى لأحارب قوما ان ظفرت بهم فما وراءهم الا سيوفهم ورماحهم فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل فى المعركة ابن عبيس وابن الأزرق وكان ابن عبيس تقدم الى اصحابه فقال ان أصبت فأميركم الربيع ابن عمرو الأجذم الغدانى فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطى فكان الرئيسان من بنى يربوع رئيس المسلمين من بنى غدانة بن يربوع ورئيس الخوارج من بنى سليط بن يربوع فاقتتلوا قتالا شديدا ولم يزل الربيع الأجذم يقاتلهم نيفا وعشرين يوما

حتى قال يوما أنا مقتول لا محالة قالوا وكيف قال لأنى رأيت البارحة كأن يدى التى أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتنى فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم غاداهم القتال فقتل فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميرى فأباها فقيل له ألا ترى ان رؤساء العرب بالحضرة وقد اختاروك من بينهم فقال مشؤومة ما يأخذها أحد الا قتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب والخوارج أعد بالآلات والدروع والجواشن فالتقى هو وعمران بن الحارث الراسبى وذلك بعد أن اقتتلوا زهاء شهر فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه .

الله أيد عمرانا وطهره ... وكان عمران يدعو الله فى السحر
يدعوه سرا واعلانا ليرزقه ... شهادة بيدى ملحادة غُدر
ولى صحابته عن حر ملحمة ... وشد عمران كالضرغامة الهصر

ومما قيل من الشعر فى يوم دولاب قول قطرى

لعمرك انى فى الحياة لزاهد ... وفى العيش ما لم ألق ام حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها ... شفاء لذى بث ولا لسقيم
لعمرك إنى يوم ألطم وجهها ... على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتنى يوم دولاب ابصرت ... طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طفت علماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدها ... واحلافها من يحصب وسليم
وظلت شيوخ الازد فى حومة الوغى ... تعوم وظلنا فى الجلاد نعومُ
فلم أر يوماً كان اكثر مقعصا ... يمج دما من فائظ وكليم
وضاربة خدا كريما على فتى ... أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنا ... له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا ... تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الأله نفوسهم ... بجنات عدن عنده ونعيم

وقال آخر من الخوارج فى ذلك

شمت ابن بدر والحوادث جمة　　والحائزون بنافع بن الازرق
والموت حتم لا محالة واقع　　من لا يصبحه نهارا يطرق
فلئن أمير المؤمنين أصابه　　ريب المنون فمن يصبه يعلق

وقال آخر منهم فى هذا أيضاً

يرى من جاء ينظر من دجيل　　شيوخ الأزد طافية لحاها

قول الربيع استشلتنى أى أخذتنى اليها واستنقذتنى يقال استشلاه واشتلاه وفى الحديث (ان السارق اذا قطع سبقته يده الى النار فان تاب استشلاها) وقال رؤبة * ان سليمان اشتلانا ابن على * وقول الناس أشليت كلبى أى أغريته بالصيد خطأ انما يقال آسدته . وأشليته دعوته . وقول أم عمران كالضرغامة الهصر فالضرغامة من أسماء الأسد والهصر الذى يهصر كل شىء أى يثنيه قال امرؤ القيس .

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت　　هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

وقولها بيدى ملحادة غدر فملحاد مفعال من الالحاد كما تقول رجل معطاء يا فتى ومحسان ومكرام وأدخلت الهاء للمبالغة فقيل ملحادة كما تدخل فى راوية وعلامة ونسابة وغدر فعل من الغدر وكل اسم على مثال فُعل مصروف فى المعرفة والنكرة اذا كان اسماً أصلياً أو نعتاً فالأسماء نحو صرد ونغر وجعل وكذلك اذا كان جمعا نحو ظلم وغرف وان سميت بشىء من هذا رجلا انصرف فى المعرفة والنكرة وأما النعت فنحو رجل حطم كما قال . قد لفها الليل بسواق حطم . وكذلك مال لبد وهو الكثير من قوله جل جلاله (أهلكت مالا لبدا) فان كان الاسم على فعل معدولا عن فاعل لم ينصرف اذا كان اسم رجل فى المعرفة وينصرف فى النكرة وذلك نحو عمر وقثم لأنه معدول عن عامر وهو الاسم الجارى على الفعل فهذا مما معرفته قبل نكرته فاذا أريد به مذهب المعرفة جاز ان تبنيه فى النداء من كل فعل لأن المنادى مشار اليه وذلك قولك يا فسق ويا خبث تريد يافاسق ويا خبيث وانما قالت بيدى ملحادة غدر فى غير النداء للضرورة فنقلته معرفة من النداء ثم جعلته نكرة لخروجه عن الاشارة فنعتت به ملحادة كما قال الحطيئة

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع

وهذا لا يقع الا فى النداء ولكن للشاعر نقله نكرة ونقله معرفة على حد ما كان له فى النداء فيلحق قولها غدر بقوله رجل حطم ومال لبد وما اشبهه وفعال فى المؤنث بمنزلة فعل فى المذكر ولو سميت رجلا حطما لصرفته من قولك هذا سائق حطم لأنه قد وقع نكرة غير معدول فهو فى النعوت بمنزله صرد فى الاسماء . وقول قطرى ولو شهدتنى يوم دولاب فلم ينصرف دولاب فانما ذاك لأنه أراد البلدة ودولاب اعجمى معرب وكل ما كان من اسماء الاعجمية نكرة فبغير الألف واللام فاذا دخلته الألف واللام فقد صار معربا وصار على قياس الاسماء العربية لا يمنعه من الصرف الا ما يمنع العربي فدولاب فوعال مثل طومار وسولاف وكل شيء لا يخص واحدا من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل لأن هذا الاسم يلحق كل ما كان على بنيته وكذلك جمل وجبل وما أشبه ذلك فان وقع الاسم فى كلام العجم معرفة فلا سبيل الى ادخال الألف واللام عليه لأنه معرفة فلا معنى لتعريف آخر فيه فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون وكذلك اسحاق وابراهيم ويعقوب . وقوله غداة طفت علماء بكر بن وائل وهو يريد على الماء فان العرب اذا التقت فى مثل هذا الموضع لامان استجازوا حذف احداهما استثقالا للتضعيف لأن ما بقى دليل على ما حذف يقولون علماء بنو فلان كما قال الفرزدق

وما سبق القيسى من ضعف حيلة ولكن طفت علماء قلفة خالد

وكذلك كل اسم من اسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التى فى قولك بنو لقرب مخرج النون من اللام وذلك قولك فلان من بلحرث وبلعنبر وبلهجيم . وأما قول الآخر فلئن أمير المؤمنين بنصب أمير بعد ان فلأن حرف الجزاء للفعل وأنه أراد فلئن أصاب أمير المؤمنين فلما حذف هذا الفعل وأضمر ذكر أصابه ليدل عليه ومثله قول النمر بن تولب

لا تجزعى ان منفسا أهلكته واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى

وقول ذى الرمة

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته فقام بفأس بين وصليك جازر

لا ن اذا لا يليها الا الفعل وهى به أولى . ويعنى بأمير المؤمنين نافع بن الأزرق وادعى قتله سلامة الباهلى قال لما قتلته وكنت على برذون وَرْدٍ اذا برجل على فرس وأنا واقف فى خمس قيس ينادى يا صاحب الورد هلم الى المبارزة فوقفت فى خمس بنى تميم فاذا به يعرضها علىّ وجعلت أتنقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى فصرت الى رحلى ثم رجعت فرآنى فدعانى الى المبارزة فلما اكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته فنزلت لسلبه وأخذ رأسه فاذا به امرأة قد رأتنى حين قتلت نافعاً فخرجت لتثأر به

١١ لما قتل من قتل ممن بخازر من الخوارج فى أيام ابن الماحوز كره بيه القتال فأقام حارثة بن بدر الغدانى بازاء الخوارج يناوشهم على غير ولاية وكان يقول ماعذرناعند اخواننا من أهل البصرة ان وصل اليهم الخوارج ونحن دونهم فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير يخبرونه بقعود بية عن القتال ويسألونه ان يولى والياًفكتب الى أنس بن مالك ان يصلى بالناس فصلى بهم أربعين يوماًوكتب الى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة فلقيه الكتاب وهو يريد الحج وهو فى بعض الطريق فرجع فاقام بالبصرة وولى أخاه عثمان محاربة الازارقة فخرج اليهم فى اثنى عشر الفاً ولقيه حارثة فيمن كان معه وعبيد الله بن الماحوز فى الخوارج بسوق الأهواز فلما عبروا اليهم دجيلا نهض اليهم الخوارج وذلك قبيل الظهر فقال عثمان لحارثة أما الخوارج الا ما أرى فقال له حارثة حسبك بهؤلاء فقال لا جرم والله لا اتغدى حتى أناجزهم فقال له حارثة ان هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فأبق على نفسك وجندك فقال أبيتم أهل العراق الاجبنا وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب أنت والله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب فغضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه الى ان غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخذ حارثة الراية وصاح بالناس أنا حارثة بن بدر فثاب اليه قومه فعبر بهم دجيلاو بلغ فلّ عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا فعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وهو أخو عمر بن عبدالله

ابن أبي ربيعة المخزومي الشاعر وقد عرف فيما بعد بالقُباع لانه لما ولي البصرة عير على الناس مكاييلهم فنظر الى مكيال صغير فى مرآة العين وقد احاط بدقيق استكثره فقال ان مكيالكم هذا لقُباع والقباع الذى يخفى أو يخفى ما فيه يقال انقبع الرجل اذا استتر ويقال للقنفذ القبع وذلك انه يخفى رأسه قال فلما قدم البصرة كتب اليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد فأراد أن يوليه فقال رجل من بكر بن وائل ان حارثة ليس بذلك انما هو صاحب شراب وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر ... يصلى وهو اكفر من حمار

ألم تر أن للفتيان حظا ... وحظك فى البغايا والقمار

فكتب اليه القباع تكفى حربهم ان شاء الله فأقام حارثة يدافعهم فقال شاعر من بنى تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر

مضى ابن عبيس صابرا غير عاجز ... وأعقبنا هذا الحجازىّ عثمان

فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر ... وأبرق والبرق اليمانى خوان

فضحتَ قريشا غثها وسمينها ... وقيل بنو تيم بن مرة عزلان

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم ... بما قام فيه للعراقين انسان

اذا قيل من حامى الحقيقة اومأت ... اليه معد بالأنوف وقحطان

ثم ان حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى فعبرت اليه الخوارج فهرب واصحابه يركض حتى أتى دجيلا فجلس فى سفينة واتبعه جماعة من اصحابه فكانوا معه وأتاه رجل من بنى تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه وقد توسط حارثة فصاح به يا حارث ليس مثلى ضيع فقال حارثة للملاح قرب فقرب الى جرف ولا فرضة هناك فطفر الرجل بسلاحه فى السفينة فساخت بالقوم جميعاً .

قوله فأرعد زعم الأصمعى انه خطأ وأن الكميت اخطأ فى قوله

أرعدوأبرق يا يزيـ ... ـد فما وعيدك لى بضائر

وزعم أن هذا البيت الذى يروى لمهلهل مصنوع محدث وهو قوله

أنبضوا معجس القسى وابرقـ ... ـنا كما ترعد الفحول الفحولا

وانه لا يقال الا رعد وبرق اذا أوعد وتهدد وهو يرعد ويبرق وكذا يقال رعدت السماء وبرقت وأرعدنا نحن وأبرقنا اذا دخلنا فى الرعد والبرق قال الشاعر فقل لأبى قابوس ماشئت فارعد . وروى غير الاصمعى أرعد وأبرق على ضعف . وقوله والبرق اليمانى خوان يريد والبرق اليمانى يخون وأجود النسب الى اليمن يمنى ويجوز يمان بتخفيف الياء وهو حسن وهو فى اكثر الكلام تكون الألف عوضا من احدى الياءين ويجوز يمانىّ فاعلم تكون الألف زائدة وتشدد الياء قال العباس بن عبد المطلب

ضربناهم ضرب الأحامس غدوة بكل يمانىّ اذا هز صمما

١٢ بعد أن ساخت السفينة بحارثة وصحبه أقام ابن الماحوز يجبى كور الأهواز ثلاثة أشهر ثم وجه الزبير بن على نحو البصرة فضج الناس الى الأحنف ابن قيس فأتى القباع فقال أصلح الله الأمير ان هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق الا ان يحصرنا فى بلدنا حتى نموت هزالا قال فسموا رجلا فقال الأحنف الرأى لا يخيل ما أرى لها الا المهلب بن أبى صفرة فقال أو هذا رأى جميع أهل البصرة اجتمعوا الىّ فى غد وجاء الزبير حتى نزل الفرات وعقد الجسر ليعبر الى ناحية البصرة وقد اجتمع له أهل الأهواز وكورها رغبة ورهبة فاتاه البصريون فى السفن وعلى الدواب ورجالة حتى اسودت بهم الأرض فقال اذ رآهم أبى قومنا الا كفرا فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات بازائهم واجتمع الناس عند القباع وخافوا الخوارج خوفا شديدا وكانوا ثلاث فرق فسمى قوم المهلب وسمى قوم مالك بن مسمع وسمى قوم زياد بن عمروٍ بن الاشرف العتكى فصرفهم ثم اختبر ماعند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذاك وعاد اليه من أشاروا بهما وقالوا قد رجعنا عن رأينا ما نرى لها الا المهلب فوجه الحارث اليه فاتاه فقال له يا أبا سعيد قد ترى ما رهقنا من هذا العدو وقد اجتمع أهل البصرة عليك وقال له الاحنف يا أبا سعيد انا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نر من يقوم مقامك فقال له الحارث وأومأ الى الأحنف ان هذا الشيخ لم يسمك الا ايثارا للدين وكل من فى مصرك مادّ عينه اليك راج ان يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك فقال

المهلب لا حول ولا قوة الا بالله انى عند نفسى لدون ما وصفتم ولست آبياً ما دعوتم اليه على شروط أشترطها قال الأحنف قل فقال على ان انتخب من أحببت قال ذاك لك قال ولى امرة كل بلد أغلب عليه قال وذاك لك قال ولى فىء كل بلد أظفر به قال الاحنف ليس ذاك لك ولا لنا انما هو فىء المسلمين فان سلبتهم اياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك أن تعطى أصحابك من فىء كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب فمن لى بذلك قال نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال قبلت فكتبوا بذلك كتاباً ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الحنفى وانتخب المهلب من جميع الأخماس فبلغت نخبته اثنى عشر الفا ونظروا ما فى بيت المال فلم يكن . الا مائتى الف درهم فعجزت فبعث المهلب الى التجار يقول ان تجارتكم مذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الأهواز وفارس عنكم فهلموا فبايعونى واخرجوا معى أوفكم ان شاء الله حقوقكم فتاجروه فاخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لأصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى اذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فاحضرت وأصلحت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور الى الفرات وأمر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشاطىء خاضت اليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا فصار هو وأصحابه على الشاطىء فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الازد

ان العراق وأهله لم يخبروا مثل المهلب فى الحروب فسلموا

أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبة وأقل تهليلا اذا ما احجموا

التهليل التكذيب والانهزام . وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى وكان من فرسان بنى تميم وشجعانهم فقال عطية .

يدعى رجال للعطاء وانما يدعى عطية للطعان الأجرد

وقال آخر

وما فارس الا عطية فوقه اذا الحرب ابدت عن نواجذها الفما

به هزم الله الأزارق بعد ما أباحوا من المصرين حلا ومحرما

والى هذه المنقبة التي كانت للمهلب بن أبي صفرة في هزيمة الأزارقة بعد ان أحاطوا بالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها وكان الباقون على الترحل فقلد حربهم فهزمهم الى الفرات ثم هزمهم «كما سيأتي» الى الأهواز ثم أخرجهم عنها الى فارس ثم الى كرمان يشير شاعر من ولده (١) اذ يذكر الحرب التي صاحبها صاحب الزنج بالبصرة ويرثي البلد

سقى الله مصرا خف أهلوه من مصر وماذا الذي يبقى على عُقب الدهر
ولو كنت فيه اذ أبيح حريمه لمت كريما أو صدرت على عذر
أبيح فلم أملك له غير عبرة تهيب بها ان حاردت لوعة الصدر
ونحن رددنا أهلها اذ ترحلوا وقد نظمت خيل الازارق بالجسر
ومن يخش أطراف المنايا فاننا لبسنا لهن السابغات من الصبر
فان كريه الموت عذب مذاقه اذا ما مزجناه بطيب من الذكر
وما رزق الانسان مثل منية أراحت من الدنيا ولم تخز في القبر

وفي هذا الشعر

ليشكر بنو العباس نعمى تجددت فقد وعد الله المزيد على الشكر
لقد جنبتكم أسرة حسدتكم فسلت على الاسلام سيفا من الكفر
وقد نغصتهم جولة بعد جولة يُبيتون فيها المسلمين على ذعر

١٣ لما انهزم الخوارج أقام المهلب أربعين يوما يجبي الخراج بكور دجلة وأقام الخوارج بنهر تيرى والزبير بن علي منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه فاسرع اليه الناس رغبة في مجاهدة الخوارج وفي الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدي وعبد الله ابن رياح ومعاوية بن قرة المزني وكان يقول «أعني معاوية» لو جاء الديلم من هاهنا والحرورية من ها هنا لحاربت الحرورية ثم أبو عمران الجوني وكان يقول كان كعب يقول قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار ثم نهض المهلب

(١) قال الأخفش أنشدنيه يزيد المهلبي لنفسه

اليهم الى نهر تيرى فتنحوا عنه الى الأهواز وأقام يجبى ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن فى عسكرهم فاذا حُشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد فخطب المهلب الناس فذكر من هناك وقال للناس أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم ولم يزل مقيما حتى فهمهم وأحكم أمره وقوى أصحابه وكثرت الفرسان فى عسكره وتتام اليه زهاء عشرين الفا فاستخلف أخاه المعارك بن أبى صفرة على نهر تيرى ومضى يؤم سوق الاهواز وفى مقدمته المغيرة ابنه حتى اذا قاربهم المغيرة ناوشوه فانكشف عنه بعض اصحابه وثبت بقية يومه وليلته يوقد النيران ثم غاداهم القتال فاذا القوم قد أوقدوا النيران فى ثقلة متاعهم وارتحلوا عن سوق الأهواز فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب فأقام بسوق الأهواز وكتب بذلك الى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة كتاباً يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فأنا منذ خرجنا نؤم هذا العدو فى نعم من الله متصلة علينا ونقم من الله متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون الى أن حللنا سوق الأهواز والحمد لله رب العالمين الذى من عنده النصر وهو العزيز الحكيم فكتب اليه الحارث القباع . هنيئا لك أخا الأزد الشرف فى الدنيا والذخر فى الآخرة ان شاء الله فقال المهلب لأصحابه ما أجفى أهل الحجاز أما ترونه يعرف اسمي واسم أبي وكنيتي .

١٤ بعد أن حل المهلب بسوق الأهواز لم يزل يبث الأحراس فى الأمن كما يبثهم فى الخوف ويذكى العيون فى الأمصار كما يذكيها فى الصحارى ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البيات وان بعد منهم العدو ويقول احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا هزمنا وغلبنا فان القوم خائفون وجلون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قام فيهم خطيباً فقال يا أيها الناس انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وانهم ان قدروا عليكم فتنوكم فى دينكم وسفكوا دماءكم فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس والعجل المفرط عثمان بن عبيدالله والمعصىّ المخالف حارثة بن بدر فقتلوا جميعاً وقتلوا فالقوهم بجد وحد فانما هم مهنتكم وعبيدكم وعار

عليكم ونقص فى أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤا حريمكم ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى فوجه عبيد الله بن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل أبى صفرة من سبى الجاهلية فى خمسين رجلا منهم صالح بن مخراق الى نهر تيرى وبها المعارك بن أبى صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى الخبر الى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى وقد خرج واقد منها فاستنزله ودفنه وسكن الناس واستخلف ورجع الى أبيه وقد حل بسولاف والخوارج بها فواقعهم وجعل على بنى تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبد الرحمن الاسكاف فجعل يحض الناس وهو على فرس له صفراء يأتى الميمنة والميسرة والقلب فيحض الناس ويهون أمر الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل من الخوارج لاصحابه هل لكم فى فتكة فيها أريحية فخرج جماعة منهم على الاسكاف فقاتلهم وحده فارساً ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وباركا ثم كثرت به الجراح فذبب بسيفه وجعل يحثو التراب فى وجوههم والمهلب غير حاضر ثم قتل رحمه الله وحضر المهلب فأخبر فقال للحريش بن هلال وعطية العنبرى أأسلمتما سيد أهل العسكر لم تعيناه ولم تستنقذاه حسدا له لانه رجل من الموالى ووبخهما وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر فانهزم الناس وقتل سبعون رجلا وثبت المهلب وأبلى المغيرة يومئذ وعرف مكانه ويقال حاص المهلب يومئذ حيصة وتقول الازد بل كان يرد المنهزمة ويحمى أدبارهم فقال رجل من بنى منقر بن عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

بسولاف أضعت دماء قومى　　وطرت على مواشكة درور

وقال رجل آخر من بنى تميم

تبعنا الاعور الكذاب طوعاً　　يزجى كل أربعة حمارا

فياندمى على تركى عطائى　　معاينة وأطلبه ضمارا

اذا الرحمن يسر لى قفولا　　فحرّق فى قرى سولاف نارا

وبات المهلب فى ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار فى أربعة آلاف

نخطب أصحابه فقال والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم الا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع فان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فسيروا الى عدوكم على بركة الله فقام اليه الحريش فقال أنشدك بالله أيها الامير ألا تقاتلهم الا أن يقاتلوك فان بالقوم جراحاً وقد أثخنتهم هذه الجولة فقبل منه المهلب ومضى فى عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم ير منهم أحدا يتحرك فقال له الحريش ارتحل عن هذا الموضع فارتحل فعبر دجيلا وصار الى عاقول لا يؤتى الا من وجه واحد فأقام به ليستريح الناس وفى ذلك يقول ابن قيس الرقيات .

ألا طرقت من آل بيبة طارقه ... على أنها معشوقة الدل عاشقه
تبيت وأرض السوس بينى وبينها ... وسولاف رستاق حمته الازارقه
اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة ... حرورية أضحت من الدين مارقه
أجازت الينا العسكرين كليهما ... فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقال رجل من الخوارج فى ذلك اليوم

وكائن تركنا يوم سولاف منهم ... أسارى وقتلى فى الجحيم مصيرها

قول المنقرى مواشكة يريد سريعة ويقال نحن على وشك رحيل ويقال ذميل مواشك اذا كان سريعاً قال ذو الرمة .

اذا ما رمينا رمية فى مفازة ... عراقيبها بالشيظمى المواشك

ودرور فعول من در الشىء اذا تتابع . وقول الآخر الاعور الكذاب يعنى المهلب ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها وقال الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذباً الا ثلاثة الكذب فى الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل فى الحرب يتوعد ويتهدد . وجاء عنه صلى الله عليه وسلم « انما أنت رجل فخذل عنا فانما الحرب خدعة » وقال عليه السلام فى حرب الخندق لسعد ابن عبادة وسعد بن معاذ وهما سيدا الحيين الخزرج والاوس ائتيا بنى قريظة فان كانوا على العهد فأعلنا بذلك وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا لى لحناً أعرفه ولا تفتا فى أعضاد المسلمين فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله عضل

والقارة (١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبشروا فان الامر ما تحبون قال أبو العباس فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ويضعف من أمر الخوارج فكان حى من الازد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب ليكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى　　لو كنت تصدق ماتقول

وقوله وأطلبه ضمارا فالضمار معناه الغائب وأصله من قولك أضمرت الشىء أى أخفيته عنك ويقال مال عين للحاضر ومال ضمار للغائب قال الاعشى .

ومن لا تضيع له ذمة　　فيجعلها بعد عين ضمارا

وقال أيضاً :

ترانا اذا أضمرتك البلا　　د نجفى وتقطع منا الرحم

والفعل من هذا أضمر يضمر والمفعول به مضمَر والفاعل مضمِر والضمار اسم للفعل فى معنى الاضمار وأسماء الافعال تشرك المصادر فى معانيها تقول أعطيته عطاء فيشرك العطاء الاعطاء فى معناه ويسمى به المفعول وتقول كلمته تكليما وكلاما فى معناه والمصدر ينعت به الفاعل فى قولك رجل عدل ورجل كرم ورجل نوم ويوم غم وغيم وينعت به المفعول فى قولك رجل رضا وهذا درهم ضرب الامير وجاءنى الخلق تعنى المخلوقين . أما قول الخارجى وكائن تركنا فكائن معناه كم وأصله كاف التشبيه دخلت على أىّ فصارت بمنزلة كم ونظير ذلك له كذا درهما انما هى ذا دخلت عليها الكاف والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فاذا قال له كذا كذا درهما فهى كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لانه ضم العددين فاذا قال له كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ما جاز فيه العطف بعده ولكن كثرت كأى مخففت والتثقيل الأصل قال الله تبارك وتعالى وكأى من قرية أمليت لها وهى ظالمة وقال وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير وقد قرىء

(١) قال الاخفش سألت المبرد عن قولهما عضل والقارة فقال هذان حيان كانا فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرادا أنهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين

بالتخفيف كما تقدم فى قول الخارجى وكما قال الشاعر

وكائن رددنا عنكم من مدجج يجىء أمام الألف يردى مقنعا

وقال الآخر .

وكائن ترى يوم الغميصاء من فتى أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

(قال أبو العباس) وهـذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف وذلك هو الأصل وبعض العرب يقلب فيقول كيء يافتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال قال الشاعر .

وكىء فى بنى دودان منهم غداة الروع معروف كمىّ

١٥ فلما نزل المهلب العاقول ليستريح الناس أقام به ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارج بسِلى وسِليرى (١) فنزل قريباً منهم فقال ابن الماحوز لأصحابه ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالأمس وكسرتم حدهم فقال له واقـد مولى أبى صفرة يا أمير المؤمنين انما تفرق عنهم أهل الضعف والجبن وبقى أهل النجدة والقوة فان أصبتهم لم يكن ظفرا هنيئا لانى أراهم لا يصابون حتى يصيبوا فان غَلبوا ذهب الدين فقال أصحابه نافق واقد فقال ابن الماحوز لا تعجلوا على أخيكم فانه انما قال هـذا نظرا لكم ثم توجه الزبير بن على الى عسكر المهلب لينظر ما حالهم فأتاهم فى مائتـين فحزرهم ورجع وأمر المهلب أصحابه بالتحارس حتى اذا أصبح ركب اليهم على تعبية صحيحة فالتقوا بسلى وسليرى فتصافوا فخرج من الخوارج مائة فارس فركزوا رماحهم بين الصفين واتكئوا عليها وأخرج اليهم المهلب عدادهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يريمون الا لصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم الى معسكرهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ثم ان الخوارج تطاردوا لهم فى اليوم الثالث فحمل عليهـم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة ثم ان رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليـه المهلب فطعنه فحمـل الخوارج بأجمعهم كما صنعوا يوم

---

(١) قال الأخفش سلى وسليرى بفتح السين منهما موضعان بالأهواز وسلى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت .

كأن غديرهم بجنوب سِلى نعام قاق فى بلد قفار

سولاف فضعضعوا الناس وفقد المهلب وثبت المغيرة فى جمع اكثرهم أهل عمان ثم نجم المهلب فى مائة فارس وقد انغمست كفاه فى الدم وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر محشوة قزا وقد تمزقت وان حشوها ليتطاير وهو يلهث وذلك فى وقت الظهر فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل فى الفريقين فلما كان الغد غاداهم وقد كان وجه بالأمس رجلا من طاحية بن سود بن مالك بن فهم ابن الأزد يرد المنهزمين فمر به عامر بن مسمع فرده فقال ان الأمير أذن لى فبعث الى المهلب فأعلمه فقال دعه فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجبن والضعف وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف وقال لأصحابه ما بكم من قلة أيعجز أحدكم أن يرمى برمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عياش وقد كان المهلب قال لأصحابه أعدوا مخالى فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فانها تصد الفارس وتصرع الراجل ففعلوا وأمر المهلب مناديا ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجد والصبر ويطمعهم فى العدو ففعل حتى مر ببنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فضربوه فدعا المهلب بسيدهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركله برجله وهذا معروف فى الأزد فقال اصلح الله الأمير أعفنى من أم كيسان والركبة تسميها الأزد أم كيسان ثم حمل المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج فنادى مناديهم ألا ان المهلب قد قتل فركب المهلب برذونا قصيرا شهب وأقبل يركض بين الصفين وان احدى يديه لفى القباء وما يشعر بها وهو يصيح انا المهلب فسكن الناس بعد ان كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل وكل الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدم ففعل وصاح بذكوان مولاه قدم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده انك تغرر بنفسك فذمره ثم صاح يابنى تميم آمركم فتعصوننى وتقدم فتقدم الناس واجتلدوا أشد جلاد حتى اذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله فقال لاصحابه ابغونى رجلا جلدا يطوف فى القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا انا لم نر رجلا قط أشد منه فطوف ومعه النيران فجعل اذا مر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة وأجهز عليه

واذا مر بجريح من المسلمين أمر برفقه وحمله . ثم ان المهلب اقام فى عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى اذا كان نصف الليل وجه رجلا من اليحمد (١) فى عشرة فصاروا الى عسكر الخوارج فاذا القوم قد تحملوا الى أرجان فرجع المهلب فاعلمه فقال أناهم الساعة أشد خوفا فاحذروا البيات . قال أبو العباس ويروى عن شعبة ابن الحجاج ان المهلب قال لاصحابه ان هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم الا من جهة البيات فاذا كان ذلك فاجعلوا شعاركم حم لاينصرون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ويروى انه كان شعار أصحاب على بن أبى طالب صلوات الله عليه فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب بن الماحوز فيهم فكتب الى الحارث القباع . بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا لقينا الأزارقة المارقة بحد وجد فكانت فى الناس جولة ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الأمل فصاروا درئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها والسلام . فكتب اليه القباع قد قرأت كتابك يا أخا الأزد فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها وذخر لك ثواب الآخرة ان شاء الله وأجرها ورأيتك أوثق حصون المسلمين وهاد أركان المشركين وأخا السياسة وذا الرياسة فاستدم الله بشكره يتمم عليك نعمته والسلام . وكتب اليه أهل البصرة يهنئونه ولم يكتب اليه الأحنف ولكن قال اقرءوا عليه السلام . وقولوا له أنا لك على ما فارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس فى أضعافها كتاب الأحنف فلما لم يره قال لأصحابه أما كتب الينا فقال له الرسول حملنى اليك رسالة وابلغه فقال هذه أحب الى من هذه الكتب وقد كان فلّ المهلب صاروا الى البصرة فذكروا انه أصيب فهم أهلها بالنقلة الى

---

(١) قال الاخفش اليحمد من الازد والخليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد والفُرهود فى الاصل الحمل فان نسبت الى الحى قلت فراهيدى وان نسبت الى الحملان قلت فرهودى لاغير .

البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك قال الأحنف بن قيس البصرةُ بصرة المهلب . وقدم رجل من كندة يقال له فلان ابن ارقم فنعى ابن عم له فقال رأيت رجلامن الخوارج وقد مكن رمحه من صلبه فلما قدم المنعى قيل له فى ذلك فقال صدق ابن ارقم لما احسست برمحه بين كتفىّ صحت البقية فرفعه عنى وتلا « بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين » ووجه المهلب بعقب هـذه الوقعة رجـلا من الأزد برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز الى الحارث القباع فلما صار « بكريج دينار » لقيه حبيب وعبد الملك وعلى بنو بشير بن الماحوز فقالوا له ما الخبر وهو لا يعرفهم فقال قتل الله المارق ابن الماحوز وهـذا رأسه معى فوثبوا عليـه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس فلما ولى الحجاج دخل عليه على بن بشير وكان وسيما جسيما فقال من هذا فخبر فقتله ووهب ابنه الازهر وابنته لأهل الأزدى وكانت زينب بنت بشير مواصلة لهم فوهبوهما لها .

قال رجل من اصحاب المهلب فى يوم سلى وسليرى وقتل ابن الماحوز

ويوم سلى وسليرى أحاط بهم   منا صواعق ماتبقى ولا تذر
حتى تركنا عبيد الله منجدلا   كما تجدل جذع مال منقعر

وقال رجل من مواليه لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فأصبت أصل أذنه فصرعته ثم أخذت الحجر فضربت به آخر على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثاً . وكان المغيرة بن المهلب اذا نظر الى الرماح قد تشاجرت فى وجهه نـكس على قربوس سرجه وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثر فى اصحابها حتى تخرمت الميمنة من أجله وكان أشد ما تـكون الحرب أشد ما يكون تبسما فـكان المهلب يقول ما شهد معى حرباً قط الا رأيت البشرى فى وجهه .

وقال رجل من الخوارج فى هذا اليوم

فأن تك قتلى يوم سلى تتابعت   فـكم غادرت أسيافنا من قماقم
غداة نـكر المشرفيـة فيهم   بسولاف يوم المأزق المتلاحم

وقال آخر .

بسلى وسليرى مصارع فتية   كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر .

بسلى وسليرى مصارع فتية كرام وعقرى من كميت ومن ورد

وقال آخر .

أتانا بأحجار ليقتلنا بها وهل تقتل الابطال ويحك بالحجر

وروى أن رجلا منهم فى ذلك اليوم حمل على رجل من اصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمتاه فصاح به المهلب لا كثر الله بمثلك المسلمين فضحك الخارجى وقال .

أمك خير لك منى صاحبا تسقيك محضا وتعل رائبا

قوله صراعق فالعرب تقول صاعقة وصواعق وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع والمنقعر المنقلع من أصله قال الله وهو أصدق القائلين . كأنهم اعجاز نخل منقعر . وقول الآخر المأزق المتلاحم فالمأزق تضايق الحرب والمتلاحم نعت له والمشرفية السيوف نسبت الى المشارف من أرض الشأم وهو الموضع الملقب مؤتة الذى قتل فيه جعفر بن أبى طالب واصحابه (١)

١٦ لما اجتمعت الخوارج بأرجان بعد قتل ابن الماحوز بايعوا الزبير بن على وهو من بنى سليط بن يربوع رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفاً بيناً فقال لهم اجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليهم فقال ان البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر وهو على الكافرين عقوبة وخزى وان يُصب منكم أمير المؤمنين فما صار اليه خير مما خلف . وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيس وربيعا الأجذم والحجاج بن باب وحارثة بن بدر واشجيتم المهلب وقتلتم أخاه المعارك والله يقول لأخوانكم من المؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس فيوم سلى كان لكم بلاء وتمحيصا ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا فلا تغلبن على الشكر فى حينه والصبر فى وقته وثقوا بأنكم المستخلفون فى الارض والعاقبة للمتقين ثم تحمل

---

(١) قال الأخفش كان المبرد لا يهمز موتة ولم أسمعها من علمائنا الا بالهمز

لمحاربة المهلب فنفحهم المهلب نفحة فرجعوا فأكمنوا له فى غمض من غموض الارض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه فسار المهلب يطوف بعسكره ويتفقد سواده فوقف على جبل فقال ان من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أكمنت فى سفح هذا الجبل كميناً فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا أنهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وكسفت الشمس فصاحوا بهم يا أعداء الله لو قامت القيامة لجددنا فى جهادكم ثم يئس الزبير من ناحية المهلب فضرب الى ناحية اصفهان ثم كر راجعاً الى أرجان وقد جمع جموعا وكان المهلب يقول كأنى بالزبير وقد جمع جموعاً فلا ترهبوهم فتخبث قلوبكم ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاءوه من ارجان فألفوه مستعدا آخذا بأفواه الطريق فحاربوه فظهر عليهم ظهورا بينا ولم يزل على ذلك حتى عزل الحارث القباع وولى مصعب ابن الزبير العراق .

وفى هذه الوقائع يقول رجل من بنى تميم أحسبه من بنى رياح بن يربوع .

سقى الله المهلب كل غيث　　من الوسمى ينتحر انتحارا
فما وهن المهلب يوم جاءت　　عوابس خيلهم تبغى الغوارا

وقال المهلب يومئذ ما وقعت فى أمر ضيق من الحرب الا رأيت أمامى رجالا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم يجالدون وكأن لحاهم اذناب العقاعق وكانوا صبروا معه فى غير موطن . ومن فرسان المهلب الذين ابلوا فى ذلك اليوم الحريش بن هلال فأنه حمل على قيس الأكاف وكان قيس من انجد فرسان الخوارج فطعنه فدق صلبه وقال .

قيس الأكاف غداة الروع يعلمنى　　ثبت المقام اذا لاقيت اقرانى

وقال رجل من بنى تميم من بنى عبدشمس بن سعد

الا يا من لصب مستجن　　قريح القلب قد صحب المزونا
لهان على المهلب ما لقينا　　اذا ما راح مسرورا بطينا
يجر السابرى ونحن شعث　　كأن جلودنا كسيت طحينا

المزون عمان وهو اسم من اسمائها قال الكميت

فأما الأزد ازد أبي سعيد   فأكره ان اسميها المزونا

وقال جرير .

وأطفأت نيران المزون وأهلها   وقد حاولوها فتنة ان تسعرا

١٧ لما ولى مصعب بن الزبير العراق كتب الى المهلب ان اقدم واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس وقال لهم انى قد استخلفت عليكم المغيرة وهو ابو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما أردت صوابا قط الا سبقنى اليه ثم مضى الى مصعب وكتب مصعب الى المغيرة بولايته وكتب اليه انك ان لم تكن كأبيك فانك كاف لما وليتك فشمر واتزر وجد واجتهد ثم ولى المهلب البصرة وشخص هو الى «المذار» فقتل أحمر بن شميط ثم اتى الكوفة فقتل المختار ابن أبي عبيد الثقفى وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجياً ثم صار زبيريا ثم صار رافضياً فى ظاهره فلما اتهمه عبد الله بن الزبير وكان واليه على الكوفة عزله وولى رجلا من قريش مكانه فلما أطل الرجل قال المختار لجماعة من أهل الكوفة اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا اين تريد والله ان دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع فما أدرى ما الذى رده فغضب ابن الزبير على القرشى وعجزه ورده الى الكوفة فلما شارفها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الأول فلام القرشى فلما كان فى الثالثة فطن ابن الزبير وعلم بذلك المختار وكان ابن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان علياً استطال درعا فقال لينقص منها كذا وكذا حلقة فقبض ابن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالأخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه فكان ابن الزبير اذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكل حتى اذا كان الأمر اليه حبس ابن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بنى هاشم فى سجن عارم وقال لتبايعن أو لأحرقنكم فأبوا بيعته وفى ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائذ　　بل العائذ المظلوم فى سجن عارم
ومن يلق هذا الشيخ بالخيف من منى　　من الناس يعلم انه غير ظالم
سمى النبى المصطفى وابن عمه　　وفكاك أغلال وقاضى مغارم

وكان ابن الزبير يدعى العائذ لأنه عاذ بالبيت قال ابن قيس الرقيات

بلد تامن الحمامة فيه　　حيث عاذ الخليفة المظلوم

ويدعى أيضاً المحل لأحلاله القتال فى الحرم وفى ذلك يقول رجل فى رملة أخته .

الا من لقاب معنى غزل　　بذكر المحلة أخت المحل

فلما رأى المختار ان ابن الزبير قد فطن لما أراد أظهر تشيعه وكتب الى ابن الزبير من المختار بن أبى عبيد الثقفى خليفة الوصي محمد بن على أمير المؤمنين الى عبدالله بن اسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك فى وقت اظهاره طاعة ابن الزبير يدس الى الشيعة ويعلمهم موالاته اياهم ويخبرهم انه على رأيهم وحمد مذاهبهم وانه سيظهر ذلك عما قليل ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم . لهذا قتله المصعب وقتل امرأته بنت النعمان بن بشير الانصارية وقد انكر الخوارج قتله اياها غاية الانكار ورأوه قد أتى بقتل النساء امرا عظيما لأنه ارتكب ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سائر نساء المشركين وللخواص منهن اخبار وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة فى ذلك

ان من اكبر الكبائر عندى　　قتل حسناء غادة عطبول
قتلت باطلا على غير ذنب　　ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا　　وعلى المحصنات جر الذيول

وقال ابن قيس الرقيات يذكر قتله للمختار

والذى نغص ابن دومة ماتو　　حى الشياطين والسيوف ظماء
فأباح العراق يضربهم بالسـ　　ـيف صلتا وفى الضراب غلاء

فانما يريد بابن دومة المختار وبالذى نغصه مصعبا وقوله ماتوحى الشياطين فان

المختار كان يدعى انه يلهم ضرباً من السجاعة لأمور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول الناس هذا من عند الله عز وجل . فمن ذلك قوله ذات يوم « لتنزلن من السماء نار دهماء فلتحرقن دار اسماء » فذكر ذلك لاسماء بن خارجه فقال أقد سجع بى أبو اسحاق هو والله محرق دارى فتركه والدار وهرب من الكوفة ومن ذلك قوله « أما والذى شرع الاديان وجنب الأوثان وكره العصيان لاقتلن أزد عمان وجل قيس عيلان وتميما أولياء الشيطان حاشا النجيب ظبيان » فكان ظبيان النجيب يقول لم أزل فى عمر المختار أتقلب آمناً . وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله الخروج الى الطلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما فأبى عليه ابرهيم الا ان يستأذن محمد بن الحنفية فكتب اليه يستأذنه فعلم محمد ان المختار لا عقد له فكتب الى ابرهيم انه ما يسوءنى أن يأخذ الله بحقنا على يدى من يشاء من خلقه فخرج ابراهيم بن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج المختار يشيعه ماشياً فقال له ابراهيم اركب يا أبا اسحاق فقال انى أحب ان تغبر قدماى فى نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيعه فرسخين ماشياً ودفع الى قوم من خاصته حماما بيضا ضخاما وقال ان رأيتم الأمر لنا فدعوها وان رأيتم الأمر علينا فارسلوها وقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حصتم حيصة فانى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتى فى صور الحمام دون السحاب ثم أعطاهم كرسياً قديم العهد يقال انه اشتراه من نجار بدرهمين فغشاه بالديباج وقال هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فضعوه فى براكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محل السكينة فى بنى اسرائيل فلما صار ابن الاشتر « بخازر » وبها عبيد الله بن زياد قال من صاحب الجيش قيل ابن الاشتر قال أليس الغلام الذى كان يطير الحمام بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشىء وكان على ميمنة ابن زياد حصين بن نمير السَّكونى من كندة يقال السَّكونى والسُّكونى والسَّدوسى والسُّدوسى كذا كان أبو عبيدة يقول (١) وعلى ميسرته عمير بن الحباب فارس

---

(١) قال ابو الحسن السَّكونى اكثر

الاسلام فقال حضين بن نمير لابن زياد ان عمير بن الحباب غير ناس قتلى المرج وانى لاأثق لك به فقال ابن زياد انت لى عدوّ قال حضين ستعلم قال ابن الحباب فلما كان فى الليلة التى نريد ان نواقع ابن الاشتر فى صبيحتها خرجت اليه وكان لى صديقا ومعى رجل من قومى فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروى وملاءة وهو متشح السيف يجوس عسكره فيأمر فيه وينهى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت الى ولكن قال من هـذا فقلت عمـير بن الحباب فقال مرحبا بأبى المغلس كن بهذا الموضع حتى أعود اليك فقلت لصاحبى أرأيت أشجع من هذا قط يحتضنه رجل من عسكر عدوه « ولا يدرى من هو » فلا يلتفت اليه قال ثم عاد الى وكان فى أربعة آلاف فقال ما الخبر فقلت القوم كثير والرأى ان تناجزهم فانه لاصبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير فقال نصبح ان شاء ثم نحاكمهم الى ظبات السيوف وأطراف القنا فقلت انا منخزل عنك بثلث الناس غدا فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم فى أول النهار فارسل خاصة المختار الطير فتصايح الناس « الملائكة » فتراجعوا ونكس عمير بن الحباب رايته ونادى يالثارات المرج وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه واقتتل الناس حتى اختلط الظلام واسرع القتل فى أصحاب ابن زياد ثم انكشفوا ووضع السيف فيهم حتى أفنوا فقال ابن الاشتر لقد ضربت رجلا على شاطىء هذا النهر فرجع الىّ سيفى وفيه رائحة المسك ورأيت اقداما وجرأة فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب فانظروه فأتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد

قول المختار فى براكاء الحرب يقال براكاء وبروكاء وهو موضع اصطدام القوم قال الشاعر

وليس بمنقذ لك منه الا براكاء القتال أو الفرار

وقول ابن الحباب يا لثارات المرج فاعلم انك اذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول يا للرجال ويا للقوم ويا لزيد اذا كنت تدعوهم وانما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له وواجب ان تفتحها لأن أصل اللام الخافضة انما كان الفتح فكسرت مع المظهر ليفصل بينها وبين لام التأكيد تقول ان هذا لزيد

اذا أردت ان هذا زيد وتقول ان هذا لِزيد اذا أردت أنه فى ملكه ولو فتحت لالتبستا فاذن وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها فقلت ان هذا له وان هذا لأنت اذا أردت لام التوكيد لانه ليس هاهنا لبس وذلك ان الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتا على الاصل والاستغاثة تردها الى أصلها من أجل اللبس والمدعو له فى بابه فاللام معه مكسورة تقول يا للرجال للماء ويا للرجال للعجب ويا لزيد للخطب الجليل قال الشاعر .

يا للرجال ليوم الاربعاء أما ينفك يبعث لى بعد النهى طربا

وقال آخر .

تكنفنى الوشاة فأزعجونى فيا للناس للواشى المطاع

وفى الحديث لما طعن العلج أو العبد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه صاح يا لله للمسلمين وتقول يا لِلعجب اذا كنت تدعو اليه ويا لغير العجب كأنك قلت يا للناس للعجب وينشد هذا البيت

يا لعنةُ الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

فيا لغير اللعنة كأنه قال ياقوم لعنة الله والأقوام كلهم . وزعم سيبويه ان هذه اللام التى للاستغاثة دليل بمنزلة الألف التى تبين بالهاء فى الوقف اذا أردت أن تسمع بعيداً فانما هى للاستغاثة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك يا قوماه على غير الندبة ولكن للاستغاثة ومد الصوت والقول كما قال محلهما عند العرب محل واحد فان وصلتَ حذفت الهاء لأنها زيدت فى الوقف لخفاء الألف كما تزاد لبيان الحركة فان وصلتَ أغنى مابعدها عنها تقول ياقوماً تعالوا ويا زيداً لاتفعل ولا يجوز أن تقول يا لَزيد وهو مقبل عليك وكذلك لايجوز أن تقول يا زيداه وهو معك انما يقال ذلك للبعيد أو ينبه به النائم . فان قلت يا لَزيد ولعمرو كسرت اللام فى عمرو وهو مدعو لأنك انما فتحت اللام فى زيد لتفصل بين المدعو والمدعو اليه فلما عطفت على زيد استغنيت عن الفصل لانك اذا عطفت عليه شيئا صار فى مثل حاله ونظير ذلك الحكاية يقول الرجل رأيت زيدا فتقول مَن زيدا وانما حكيت قوله ليعلم انك انما تستفهمه عن الذى ذكر بعينه ولا تسأله

عن زيد غيره والموضع موضع رفع لانه ابتداء وخبر فان قلت ومن زيد أو فمن زيد لم يكن الا رفعاً لأنك عطفت على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لان العطف لا يكون مستأنفا ونظير هذا الذى ذكرت لك فى اللام قول الشاعر

يبكيك ناء بعيد الدار مغترب يا لَلكهول وللشبان للعجب

فقد أحكمت لك كل ما فى هذا الباب

١٨ لم يكد يتم لمصعب قتل المختار الذى كان قد أراحه قبلا من عبيد الله بن زياد حتى سكنت الفتنة الأموية وآلت الخلافة الى عبد الملك بن مروان فقال المصعب للمهلب أشر علىّ برجل أجعله بينى وبين عبد الملك فقال أذكر لك واحداً من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمى أو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى أو داود بن قحذم فقال أو تكفينى قال أكفيك ان شاء الله فولاه الموصل فشخص اليها وصار مصعب الى البصرة فسأل من يستكفى أمر الخوارج وشاور الناس فقال قوم ولّ عبيد الله بن أبى بكرة وقال قوم ولّ عمر بن عبيد الله ابن معمر وقال قوم ليس لهم الا المهلب فاردده اليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الامر بينهم فقال قطرى بن الفجاءة المازنى ان جاءكم عبيد الله بن أبى بكرة أتاكم سيد سمح جواد كريم مطيع لعسكره وان جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس جادّ يقاتل لدينه وملكه وبطبيعة لم أر مثلها لأحد فقد شهدته فى وقائع فما نودى فى القوم لحرب الا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه وان رد المهلب فهو من قد عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمده اذا أرسلتموه ويرسله اذا امددتموه لا يبدؤكم الا أن تبدءوه الا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم قال فولى المصعب عليهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج بأرجان وعليهم الزبير بن على السليطى فشخص اليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان فجمعوا له وأعدوا واستعدوا ثم أتوا سابور فسار اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن حسان الازدى ان المهلب كان يذكى العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم فقال له عمر أسكت

خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك فأقام هناك فلما كان ذات ليلة بيته الخوراج فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشيء فأقبل على مالك بن حسان فقال كيف رأيت قال قد سلم الله عز وجل ولم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها فقال أما انكم لو ناصحتمونى مناصحتكم المهلب لرجوت ان أنفى هذا العدو ولكنكم تقولون قرشي حجازى بعيد الدار خيره لغيرنا فتقاتلون معى تعذيرا. ثم زحف الى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم الى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى اصلحها ثم عبروا وتقدم ابنه عبيدالله ابن عمر وأمه من بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب فقاتلهم حتى قتل فقال قطرى لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يكن عمر يعلم بقتل ابنه حتى أفضى الى القوم وكان مع ابنه النعمان بن عباد فصاح به يا نعمان أين ابنى فقال احتسبه فقد استشهد رحمه الله صابرا مقبلا غير مدبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم حمل على الناس حملة لم ير مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا فى وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج وحمل على قطرى فضربه على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وانتهبها فلما استقروا قال لهم قطرى أما أشرت عليكم بالانصراف قال فجعلوه فى وجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم فى ذلك الوقت الغرز بن مهزم العبدى فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطرى فقال انى مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فاجاب اليها فخلوا عنه وفى ذلك يقول فى كلمة له

وشدوا وثاقى ثم ألجوا خصومتى الى قطرى ذى الجبين المفلق
وحاججتهم فى دينهم فحججتهم وما دينهم غير الهوى والتخلق

ثم انهم تراجعوا وتكانفوا (١) وعادوا الى ناحية أرجان فسار اليهم عمر وكتب الى مصعب. أما بعد فأنى قد لقيت الأزارقة فرزق الله عبيد الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا عليهم الظفر فتفرقوا شذر مذر وبلغنى عنهم عودة فيممتهم وبالله استعين وعليه أتوكل. ثم سار اليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة

(١) قال الاخفش تكانفوا أعان بعضهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم فى كنف بعض

ابن سعيد فاتقوا فألح عليهم حتى أخرجهم وانمرد من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلا منهم من مذكوريهم وشجعانهم وفي يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة الا صرعه فركض اليه قطرى على فرس طمر وعمر على مهر فاستعلاه قطرى بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصر به مجاعة فاسرع اليه فصاحت الخوارج بقطرى يا أبا نعامة ان عدو الله قد رهقك فانحط قطرى عن قربوسه فطعنه مجاعة وعلى قطرى درعان فهتكهما واسرع السنان فى رأس قطرى فكشط عنه جلدة ونجا ثم ارتحل القوم الى اصبهان فأقاموا برهة ورجعوا الى الأهواز وقد ارتحل عمر بن عبيد الله الى اصطخر فامر مجاعة فجبى الخراج اسبوعا فقال كم جبيت قال تسعمائة الف فقال هى لك وفى ذلك يقول يزيد بن الحكم الثقفى لمجاعة

ودعاك دعوة مرهق فاجبته ... عمر وقد نسى الحياة وضاعا

فرددت عادية الكتيبة عن فتى ... قد كاد يترك لحمه اوزاعا

١٩ لما رجع الخوارج الى الأهواز وقد ارتحل عمر بن عبيد الله الى اصطخر كان عبد الله بن الزبير قد عزل المصعب وولى حمزة ابنه فوجه حمزة اليهم المهلب لحاربهم حتى أخرجهم عن الأهواز ثم رد مصعب والمهلب بالبصرة فأرجعه الى الموصل وكان الخوارج باطراف اصبهان والوالى عليها عتاب بن ورقاء الرياحى فأقام الخوارج هناك شيئا يجبون القرى ثم أقبلوا الى الأهواز من ناحية فارس وكان بها عمر بن عبيد الله فكتب اليه مصعب ما انصفتنا أقمت بفارس تجبى الخراج ومثل هذا العدو يحاربك والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر ثم خرج من البصرة يريدهم وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم كذلك فتنحوا الى السوس ثم أتوا المدائن فقتلوا أحمر طيء وكان شجاعا وكان من فرسان عبيد الله بن الحرّ وفى ذلك يقول الشاعر

تركتم فتى الفتيان احمر طيء ... بساباط لم يعطف عليه خليل

ثم خرجوا عامدين الى الكوفة فلما خالطوا سوادها وواليها الحارث بن عبد الله القباع تثاقل عن الخروج وكان جبانا فذمره ابراهيم بن الاشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتى اتى النخيلة وفى ذلك يقول الشاعر

ان القباع سار سيرا نكرا   يسير يوما ويقيم شهرا

وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها ثم أرادوا قتلها وكانت جميلة فقالت أتقتلون من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد فتنتك ثم قدموها فقتلوها وقربوا أخرى وهم بحذاء القباع والجسر معقود بينهما وهو فى ستة آلاف والمرأة تستغيث به وتقول علام تقتلونى فوالله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت فجعل الناس يتفلتون الى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فاقام بين دباهى ودبيرى خمسة أيام والخوارج بقربه وهو يقول للناس فى كل يوم اذا لقيتم العدو فأثبتوا أقدامكم واصبروا فان أول الحرب الترامى ثم اشراع الرماح ثم السلة فثكلت رجلا أمه فر من الزحف فقال بعضهم لما اكثر عليهم أما الصفة فقد سمعناها فمتى يقع الفعل وقال الراجز

ان القباع سار سيرا ملسا   بين دباهى ودبيرى خمسا

فأخذ الخوارج حاجتهم «وكان شأن القباع التحصن منهم» ثم انصرفوا ورجع الى الكوفة فصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الى الزبير بن على أنا ابن عمك ولست أراك تقصد فى انصرافك من كل حرب غيرى فبعث اليه الزبير ان أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء وأقام الخوارج يغادونه القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكبير فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها فشاور المصعب الناس وبلغ الخوارج مشورته فقال لهم قطرى ان جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع فى أول المقنب ولا يظفر بكبير وان جاءكم عمر ابن عبيد الله ففارس يقدم فاما له واما عليه وان جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم وعزم المصعب على توجيه المهلب وان يشخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير ابن على خرج الى الرى وبها يزيد بن الحارث بن رؤيم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار خرج اليه فكان الظفر للخوارج فقتل يزيد ونادى يومئذ ابنه

حوشبا ففر عنه وعن أمه لطيفة وكانت جارية بعث بها على بن أبى طالب الى يزيد وكان قد دخل يعوده فقال له عندى جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فبعث فسماها يزيد لطيفة وقتلت معه يومئذ ففى ذلك يقول الشاعر .

مواقفنا فى كل يوم كريهة　　أسر وأشفى من مواقف حوشب
دعاه يزيد والرماح شوارع　　فلم يستجب بل راغ تروغ ثعلب
ولوكان شهم النفس اوذا حفيظة　　رأى مارأى فى الموت عيسى بن مصعب

وسيأتى خبر عيسى بن مصعب مستقصى (١) وقال الآخر

نجى حليلته وأسلم شيخه　　نُصب الأسنة حوشب بن يزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبى بردة يعيره بأمه وبلال مشدود عند يوسف ابن عمر «يا ابن حوراء» فقال بلال وكان جلدا ان الأمة تسمى حوراء وجيداء ولطيفة وزعم الكلبى ان بلالا كان جلدا حيث ابتلى قال ويعجبنى ان أرى الأسير جلدا وقال قال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف الحمد لله الذى أزال سلطانك وهد ركنك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفاً بالشريف مظهرا للعصبية فقال له بلال انما طال لسانك ياخالد لثلاث معك هن علىّ الأمر عليك مقبل وهو عنى مدبر وأنت مطلق وأنا مأسور وأنت فى طينتك وانا فى هذا البلد غريب وانما جرى الى هذا لأنه يقال ان أصل آل الأهتم من الحيرة وانهم أشابة دخلت فى بنى منقر من الروم .

٢٠ لما قتل الزبير بن على من قتل بالرى انحط على اصفهان فحصربها عتاب ابن ورقاء سبعة أشهر وعتاب يحاربه فى بعضهن وتزعم الرواة انهم فى أيام حصارهم كانوا يتوافقون ويحمل بعضهم على بعض وربما كانت موافقة بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح ويكنى أبا هريرة ينادى بالخوارج وبالزبير بن على اذا تحاجز القوم مع المساء

يا ابن أبى الماحوز والأشرار　　كيف ترون يا كلاب النار

---

(١) بشرح أبيات لرجل من بنى تميم فى الجود والشجاعة بباب الأدب والحكمة .من الجزء الثانى　　السباعى

شد أبي هريرة الهرار يهركم بالليل والنهار
الم تروا جيا على المضمار تمسي من الرحمن في جوار

فغاظهم ذلك منه فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله اصحابه فظنت الخوارج انه قد قتل فكانوا اذا توافقوا نادوهم ما فعل الهرار فيقولون ما به من بأس حتى أبلّ من علته فخرج اليهم فصاح يا أعداء الله أترون بي بأساً فصاحوا به قد كنا نرى انك لحقت بأمك الهاوية في النار الحامية فلما طال بعتاب الحصار قال لأصحابه ما تنتظرون والله ما تؤتون من قلة وانكم لفرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتم منهم وما بقي مع هذا الحصار الا ان تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل ان يضعف أحدكم عن ان يمشي الى قرنه فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارّون وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليخرج معي فخرج في الفين وسبعمائة فارس فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجد لم ير الخوارج مثله فعقروا منهم خلقاً وقتلوا الزبير بن علي (١) وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب ففي ذلك يقول الشاعر

ويوم بجيّ تلافيتـه ولولاك لاصطلم العسكر

وقال آخر من بني ضبة في تلك الوقعة

خرجت من المدينة مستميتا ولم أك في كتيبة ياسمينا
أليس من الفضائل ان قومي غدوا مستلئمين مجا هدينا

(قال أبو العباس) نفسر أشياء من العربية تحتاج الى الشرح من ذلك قوله يهركم بالليل والنهار وقوله الم تروا جيا وقول الآخر ولولاك لاصطلم العسكر . فأما قوله يهركم فان كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديا فان المضارع منه على يفعُل نحو شده يشده وزره يزره ورده يرده وحله يحله وجاء منه حرفان على يفعِل ويفعُل فيهما جيد هره يهره اذا كرهه ويُهره أجود وعله بالحناء

(١) قتله الحارث بن عميرة الهمداني على ما سيأتي قريبا السباعي

يعلمه ويعلمه أجود ومن قال حببته قال احِبه لا غير وقرأ أبو رجاء العطاردى فاتبعونى يَحِبكم الله وذلك ان بنى تميم تدغم فى موضع الجزم وتحرك أو اخره لالتقاء الساكنين . وأماجىّ فالأجود فيها ان تقول . ألم تروا جىّ على المضمار. فلا تنون لانها مدينة والاسم أعجمي والمؤنث اذا سمى باسم أعجمى على ثلاثة أحرف لم ينصرف اذا كان مؤنثا وان كان أوسطه ساكنا نحو جور وحمص وما كان مثل ذلك ولو كان اسما لمذكر لانصرف فان صرفته جعلته اسما لبلد وان لم تصرفه جعلته اسما لبلدة أو لمدينـة ألا ترى انك تصرف نوحاً ولوطاً وهما أعجميان وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك لأنك تصرف قدَما لو سميت به رجلا فالأعجمي بمنزلة المؤنث لأن امتناعهما واحد . اما قوله لولاك فان سيبويه يزعم ان لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال اذا قلت لولاك فما الدليل على ان الكاف مخفوضة دون ان تكون منصوبة وضمير النصب كضمير الخفض فتقول انك تقول لنفسك لولاى ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رمانى وأعطانى . قال يزيد بن الحكم الثقفى

وكم موطن لولاى طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق مُنهوى

والنيق أعلى الجبل وجرم الانسان خلقه فيقال له الضمير فى موضع ظاهره فكيف يكون مختلفاً وان كان هذا جائزا فلم لا يكون فى الفعل وما أشبهه نحو ان وما كان معها فى الباب وزعم الأخفش سعيد ان الضمير مرفوع ولكن وافق ضمير الخفض كما يستوى الخفض والنصب فيقال فهل هذا فى غير هذا الموضع قال أبو العباس والذى أقوله أن هذا خطأ لا يصلح الا ان تقول لولا أنت كما قال الله عزوجل « لولا أنتم لكنا مؤمنين » ومن خالفنا يزعم ان الذى قلناه أجود ويدعى الوجه الآخر فيجيزه على بعده

٢١ لما قتل الزبير بن على أدار الخوارج أمرهم بينهم فأرادوا تولية عبيدة بن هلال فقال أدلكم على من هو خير لكم منى من يطاعن فى قبل ويحمى فى دبر عليكم قطرى بن الفجاءة المازنى فبايعوه فوقف بهم فقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا الى فارس فقال ان بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ولكن نصير الى

الأهواز فان خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها فأتوا الأهواز ثم ترافعوا عنها الى « ايذج » وكان مصعب قد عزم على الخروج الى « باجميرا » فقال لأصحابه ان قطريا قد أطل علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها فبعث الى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج اليهم المهلب فلما أحس به قطرى تيمم نحو كرمان فاقام المهلب بالأهواز ثم كر قطرى عليه وقد استعد فكان الخوارج فى جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجنن ولكن المهلب حاربهم فنفاهم الى « رامهرمز » وكان الحارث بن عميرة الهمدانى قد صار اليه مراغما لعتاب بن ورقاء يقال انه لم يرضه عن قتله الزبير بن على وكان الحارث بن عميرة هذا هو الذى تولى قتله وحاص اليه اصحابه ففى ذلك يقول أعشى همدان

ان المكارم أكملت أسبابها لابن الليوث الغر من قحطان
للفارس الحامى الحقيقة معلما زاد الرفاق الى قرى نجران (١)
الحارث بن عميرة الليث الذى يحمى العراق الى قرى كرمان
ود الأزارق لو يصاب بطعنة ويموت من فرسانهم مائتان

ثم ان مصعبا خرج الى باجمير لقتال عبد الملك فقتل (٢) وأتى الخوارج خبر مقتله « بمسكن » (٣) ولم يأت المهلب واصحابه فتواقفوا يوما على الخندق فناداهم الخوارج ماتقولون فى المصعب قالوا امام هدى قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا ضال مضل فلما كان بعد يومين أتي المهلب قتل مصعب وأن اهل الشأم اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته قتال الخوارج فلما تواقفوا

---

(١) ويروى . زاد الرفاق وفارس الفرسان .

(٢) سيأتى للمصعب حديث طويل قبل خروجه هذا مع زوجه سكينة بنت الحسين بن على وكانت له شديدة المحبة ومع ابنه عيسى الذى قتل معه وضرب به المثل آنفا فى الشهامة وذلك بشرح أبيات لاحد بنى تميم فى الجود والشجاعة بباب الأدب والحكمة من الجزء الثانى . السباعى

(٣) تقدم بشرح احدى خطب الحجاج رثاء ابن قيس الرقيات له وأنه قتل غدرا . السباعى

ناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا لا نخبركم قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا امام هدى قالوا يا أعداء الله بالأمس ضال مضل واليوم امام هدى ياعبيد الدنيا عليكم لعنة الله . تأويل قول أعشى همدان . زاد الرفاق الى قرى نجران . أن الرفقة اذا صحبها أغناها عن التزود كما قال جرير وأراد ابن له سفرا وفى ذلك السفر يحيى بن أبى حفصة فقال لأبيه زودنى فقال جرير

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا ... الا ان يحيى نعم زاد المسافر

فما تنكر الكوماء ضربة سيفه ... اذا أرملوا أو خف مافى الغرائر

وقوله ويموت من فرسانهم يكون على وجهين مرفوعا ومنصوبا فالرفع على العطف ويدخل فى التمنى والنصب على الشرط والخروج من العطف وفى مصحف ابن مسعود « ودوا لو تدهن فيدهنوا » والقراءة فيدهنون على العطف وفى الكلام ود لو تأتيه فتحدثه بالرفع وان شئت نصبت الثانى

النبذة الرابعة فى خلافة عبد الملك

١ لما استقر الأمر لعبد الملك فى العراق بقتل مصعب كتب الى المهلب بولايته قتال الخوارج كما تقدم وولى خالد بن عبد الله بن أسيد العراق ولما قدم خالد البصرة أراد عزل المهلب فأشير عليه بألا يفعل وقيل له انما أمن أهل هذا المصر بان المهلب بالأهواز وعمر بن عبيد الله بفارس وقد تنحى عمر فان نحيت المهلب لم تأمن على البصرة فأبى الا عزله فقدم المهلب البصرة وخرج خالد الى الأهواز فأشخصه فلما صار « بكريج دينار » لقيه قطرى فمنعه حط أثقاله وحاربه ثلاثين يوماً ثم أقام قطرى بازائه وخندق على نفسه فقال المهلب ان قطريا ليس بأحق بالخندق منك فعبر دجيلا الى شق نهرتيرى واتبعه قطرى فسار الى مدينة نهرتيرى فبنى سورها وخندق عليها فقال المهلب لخالد خندق على نفسك فانى لا آمن عليك البيات فقال يا أبا سعيد الأمر أعجل من ذلك فقال المهلب لبعض ولده انى أرى امرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خندق علينا فخندق المهلب وأمر بسفنه ففرغت وأبى خالد أن يفرغ سفنه فقال المهلب لفيروز حصين صر معنا قال

يا أبا سعيد الحزم ماتقول غير انى أكره أن أفارق اصحابى قال فكن بقربنا قال أما هذه فنعم وقد كان عبد الملك كتب الى بشر بن مروان والى الكوفة فأمره أن يمد خالدا بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ففعل فلما قدم عبد الرحمن على خالد أقام قطرى يغاديهم القتال ويراوحهم اربعين يوما فقال المهلب لمولى لأبى عيينة انتبذ الى ذلك الناوس فبت عليه فى كل ليلة فمتى أحسست خبرا من الخوارج أو حركة أو صهيل خيل فأعجل الينا فجاءه ليلة فقال قد تحرك القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعد قطرى سفنا فيها حطب فأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج فى أدبارها حتى خالطهم فجعل لايمر برجل الا قتله ولا بدابة الا عقرها ولا بفسطاط الا هتكه فأمر المهلب يزيد ابنه فخرج فى مائة فارس فقاتل وأبلى يومئذ وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين فى مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثر أثرا جميلا وكان قد صرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن بن الأشعث كذلك فحامى عنهما اصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين فى الخندق فأخذ بيده رجل من الأزد فاستنقذه فوهب له عشرة آلاف درهم قال فأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء فجعل لا يرى الا قتيلا أو صريعا فقال للمهلب يا أبا سعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فالا تفعل عادوا اليك فقال اكفنى أمر الخندق فجمع له الأخماس فلم يبق شريف الا عمل فيه فصاح بهم الخوارج والله لولا هذا المزونى الساحر لكان الله قد دمر عليكم ثم مضى بهم قطرى الى كرمان فانصرف خالد الى البصرة وكانت الخوارج تسمى المهلب الساحر لانهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم . قال أعشى همدان لابن الأشعث فى كلمة طويلة

ويوم أهوازك لا تذمه ليس الثنا والذكر بالداثر

وقد ذكرنا فى قصر الممدود من أن مد المقصور لايجوز مايغنى عن اعادته (١) ونذكر فيروز حصين لما مر من ذكره كان فيروز حصين جيد البيت فى العجم

---

(١) راجع هامش الفهرس . السباعى

كريم المحتد مشهور الآباء فلما أسلم والى حصين بن عبد الله العنبرى من بنى العنبر ابن تميم بن مر ثم من ولد طريف بن تميم وكان فيروز حصين شجاعا جوادا نبيل الصورة جهير الصوت وتروى الرواة ان رجلا من العرب كانت أمه فتاة فقاول بنى عم له فسبوه بالعجمية ومر فيروز حصين فقال الرجل هذا خالى فمن منكم له خال مثله وظن أن فيروز لم يسمعها وسمعها فيروز فلما صار الى منزله بعث الى الفتى فاشترى له منزلا وجارية ووهب له عشرة آلاف درهم . ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما واقف ابن الأشعث «برستقاباذ» فيما بعد فنادى منادى الحجاج من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم فصل فيروز من الصف فصاح بالناس من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالى ووفائى من أتى برأس الحجاج فله مائة الف فقال الحجاج والله لقد تركنى أكثر التلفت وانى لبين خاصتى فلما أتى به الحجاج قال له أأنت الجاعل فى رأس أميرك مائة الف قال قد فعلت فقال والله لامهدنك ثم لأحملنك أين المال قال عندى فهل الى الحياة من سبيل قال لا قال فأخرجنى الى الناس حتى اجمع لك المال فلعل قلبك يرق لى. ففعل الحجاج فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعه واعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد الى الحجاج فقال شأنك الآن فاصنع ما شئت فشد فى القصب النارى ثم سل حتى شرح ثم نضح بالخل والملح فما تأوه حتى مات

٢ لما مضى قطرى الى كرمان وانصرف خالد الى البصرة أقام قطرى بكرمان أشهرا ثم عمد لفارس فخرج خالد الى الأهواز وندب للناس رجلا فجعلوا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذا المصر انى قد وليت أخى قتال الأزارقة فولى أخاه عبد العزيز واستخلف المهلب على الأهواز فى ثلثمائة ومضى عبد العزيز فى ثلاثين الفا والخوارج «بدرابجرد» فجعل عبد العزيز يقول فى طريقه يزعم أهل البصرة ان هذا الامر لايتم الا بالمهلب فسيعملون قال صعب بن زيد فلما خرج عبد العزيز عن الأهواز جاءنى كردوس حاجب المهلب فقال أجب الامير فجئت الى المهلب وهو فى سطح وعليه ثياب هروية فقال يا صعب أنا ضائع كأنى أنظر الى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافينى الازارقة ولا جند معى فابعث

رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا به الي" قال فوجهت رجلا يقال له عمران بن فلان فقلت اصحب عسكر عبد العزيز واكتب الي بخبر يوم يوم فجعلت أورده على المهلب حتى اذا قاربهم عبد العزيز وقف وقفة فقال له الناس هذا يوم صالح فينبغي أن نتركه أيها الامير حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الأمر قريب فنزل الناس على غير أمره فلم يستتم النزول حتى ورد عليهم سعد الطلائع فى خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبد العزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فانا على غير تعبية فأبى فلم يزل فى آثارهم حتى اقتحموا عقبة فاقتحمها وراءهم والناس ينهونه ويأبى وكان قد جعل على بنى تميم عباس بن طلق الصريمي الملقب عبس الطعان وعلى بكر بن وائل مقاتل بن مسمع القيسى وعلى شرطته رجلا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم وكان لهم فى بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءها خرج عليهم الكمين وعطف سعد الطلائع فترجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعى صاحب الشرطة وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج على فرسخين يقتلونهم كيف شاءوا قال رجل حضر ذلك اليوم رأيت عبد العزيز وان ثلاثين رجلا يضربونه بأسيافهم وما تحيك فى جسده وكان العلاء بن مطرف السعدى ابن عم عمرو القنا يحب أن يلقى عمرا فى تلك الحروب مبارزة فلحقه عمرو وهو منهزم فضحك وقال متمثلا .

تمنانى ليلقانى لقيط أعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به انج أبا المصدى وكان عمرو يكنى أبا المصدى أيضا وكان العلاء قد حمل معه امرأتين له احداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل والأخرى بنت عمه وهى فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وتخلص بهما يومئذ وحمل الضبية أولا ففى ذلك يقول

ألست كريما اذ أقول لفتيتى قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل
ولو لم يكن عودى نضارا لاصبحت تجر على المتنين أم جميل

وكان عبد العزيز قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود امرأته

فسبوا النساء يومئذ وأخذوا أسري لا تحصي فقذفوهم فى غار بعد ان شدوهم وثاقاً ثم سدوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه ونودى على النبى يومئذ فغولى بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين الفا وذلك الرجل من مجوس كانوا اسلموا ولحقوا بالخوارج نفرض لكل واحد منهم خمسمائه فكاد يأخذها فشق ذلك على قطرى وقال ما ينبغي لرجل مسلم ان يكون عنده سبعون الفا ان هذه فتنة فوثب اليها أبو الحديد العبدى فقتلها فأتى بها قطرى فقال يا أبا الحديد « مهيم » فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين قد تزايدوا فى هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة فقال قطرى قد أصبت وأحسنت فقال رجل من الخوارج

كفانا فتنة عظمت وجلت بحمد الله سيف أبى الحديد
أهاب المسلمون بها وقالوا على فرط الهوى هل من مزيد
فزاد أبو الحديد بنصل سيف رقيق الحد فعل فتى رشيد

قال الصعب بن زيد بعثنى المهلب لآتيه بالخبر فصرت الى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم فلم أحسس خبرا فصرت مهجرا الى ان أمسيت فلما اظلمنا سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم فقلت ما وراءك قال الشر قلت فأين عبد العزيز قال أمامك فلما كان من آخر الليل لذا أنا بزهاء خمسين فارسامعهم لواء فقلت من هذا فقالوا هذا لواء عبد العزيز فتقدمت اليه فسلمت وقلت أصلح الله الأمير لا يكبرن عليك ما كان فانك كنت فى شرجند وأخبته قال لى أو كنت معنا قلت لا ولكن كانى شاهد أمرك قال كأنك كنت معنا فقلت أرسلنى المهلب لآتيه بخبرك . ثم تركته واقبلت الى المهلب فقال لى ما وراءك قلت ما يسرك قد هزم وفل جيشه فقال ويحك وما يسرنى من هزيمة رجل من قريش وفل جيش من المسلمين قلت قد كان ذاك ساءك أو سرك فوجه رجلا الى خالد يخبره قال الرجل فلما أخبرت خالدا قال كذبت ولؤمت ودخل رجل من قريش فكذبنى وقال لى خالد والله لهممت أن أضرب عنقك قلت اصلح الله الأمير ان كنت كاذباً فاقتلنى وان كنت صادقاً فأعطنى مطرف هذا المتكلف فقال خالد لبئس ما اخطرت به دمك قال فما برحت حتى دخل بعض الفل وقدم عبد العزيز سوق الأهواز فاكرمه

المهلب وكساه وقدم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبا وقال له تحسس عن الاخبار فان أحسست بخبر الأزارقة قريباً منك فانصرف الى البصرة فلم يزل حبيب مقيما والأزارقة تدنو منه حتى بلغوا قنطرة أربك فانصرف الى البصرة على نهرتيرى فلما دخلها أعلم خالد فغضب عليه فاستتر فى بنى هلال بن عامر ابن صعصعة فتزوج هناك فى استتاره الهلالية أم عباد بن حبيب قال الشاعر لخالد يفيل رأيه أى يخطئه

بعثت غلاما من قريش فروقة   وتترك ذا الراى الاصيل المهلبا
أبى الذم واختار الوفاء وأحكمت   قواه وقد ساس الأمور وجربا

وقال الحارث بن خالد المخزومى

فر عبدالعزيز لما رأى الأبـ   ـطال بالسفح نازلوا قطريا

ويروى

فر عبد العزيز اذ راء عيسى   وابن داود نازلا قطـريا
عاهد الله ان نجا مالمنايا   ليعودن بعدها حرميا
يسكن الخل والصفاح فرا   ن وسلما وتارة نجديا
حيث لا يشهد القتال ولا يسـ   ـمع يوما لكر خيل دويا

وكتب خالد الى عبد الملك بعذر عبد العزيز وقال للمهلب ما ترى عبد الملك صانعا بى قال يعزلك قال أتراه قاطعا رحمى قال نعم أتته هزيمة أمية أخيك من البحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس قال أبو العباس فكتب عبد الملك الى خالد أما بعد فانى كنت حددت لك حدا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتى واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الأزارقة فقبح الله هذا رأيا أتبعث غلاماً غرا لم يجرب الحروب وتترك سيدا شجاعاً مدبرا حازماً قد مارس الحروب تشغله بالجباية . أما لو كافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيرى ما لا بقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فلفتتنى عنك وقد جعلت عقوبتك عزلك . قوله وما تحيك فى جسده يقال ما احاك فيه وما يحيك فيه وماحك ذا الأمر فى صدرى وماحكى فى صدرى وما احتكى

فى صدرى ويقال حاك الرجل فى مشيته يحيك اذا تبختر . وهذا البيت الذى تمثل به عمرو القنا ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى يقوله يعنى لقيط بن زرارة وكان يطلبه وقوله أعام لك يريد يا عامر فرخم وانما يريد الحى تعجبا أى لكم أعجب من تمنيه للقائى فدعا بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم لا ابن معاوية وانهم ناقلة فى قيس ولذلك تمنعت بنو سعد من محاربتهم مع بنى تميم يوم جبلة ولذلك أنذرهم كرب بن صفوان وهذا البيت وضعه سيبويه فى باب النداء الذى معناه معنى التعجب وشبيه به قول الصلتان العبدى

فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله ‏ ‏ ‏ ‏ جرير ولكن فى كليب تواضع

على معنى قوله فلله دره شاعرا . وقول قطرى مهيم حرف استفهام معناه ما الخبر وما الأمر فهو دال على ذلك محذوف الخبر وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق فقال مهيم فقال تزوجت يارسول الله فقال أولم ولو بشاة وكان تزوج على نواة وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم وهذا خطأ وغلط فالعرب تقول نواة تعنى بها خمسة دراهم كما تقول النش لعشرين درهما والأوقية لأربعين درهما فانما هو اسم لهذا المعنى . وقول الآخر أهاب يريد أعلن يقال أهبت به اذا دعوته مثل صوت قال الشاعر .

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب ‏ ‏ ‏ ‏ وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقول المخزومى اذ راء عيسى الأصل رأى ولكنه قلب فقدم الألف وأخر الهمزة كما قال كثير

وكل خليل راءنى فهو قائل ‏ ‏ ‏ ‏ من اجلك هذا هامة اليوم أوغد

والقلب كثير فى كلام العرب . وقوله ملمنايا يريد من المنايا ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما ومن كلام العرب ان يحذفوا النون اذا لقيت لام المعرفة ظاهرة فيقولون فى بنى الحارث وبنى العنبر وما أشبه ذلك بلحارث وبلعنبر وبلهجيم كما يقولون

علاء بنو فلان فيحذفون احدى اللامين وقوله ليعودن بعدها حرمياً فالعرب تنسب الى الحرم فيقولون حِرمى وحُرمى على قولهم حُرمة البيت وحِرمة البيت قال النابغة الذبيانى .

من قول حرمية قالت وقد رحلوا هل فى مخفيكم من يشترى أدما

والخل ها هنا موضع وأصله الطريق فى الرمل

٣ ولما عزل عبد الملك خالدا ولى بشر بن مروان وكان بالكوفة وكتب اليه أما بعد فانك أخو أمير المؤمنين يجمعك واياه مروان بن الحكم وان خالدا لا مجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله حرب الأزارقة فانه سيد بطل مجرب فامدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل . فشق عليه ما أمره فى المهلب وقال والله لأقتلنه فقال له موسى بن نصير ان للمهلب حفاظا وبلاء ووفاء وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى وعكرمة الى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل فسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال ما فعل أميركم المهلب قالوا قد تلقاك أيها الأمير وهو شاك فهم بشر ان يولى حرب الأزارقة عمر بن عبيد الله فقال له اسماء بن خارجة انما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك وقال له عكرمة بن ربعى اكتب الى أمير المؤمنين وأعلمه علة المهلب فكتب اليه يعلمه علة المهلب وان بالبصرة من يغنى غناءه ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم اليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعى فلما قرأ عبد الملك الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم فقال ان لك دينا ورأيا وحزما فمن لقتال هؤلاء الأزارقة قال المهلب قال انه عليل قال ليست علته بما نعته فقال عبد الملك أراد بشر ان يفعل ما فعل خالد وكتب يعزم عليه ان يولى المهلب فوجه اليه فقال أنا عليل ولا يمكننى الاختلاف فامر بحمل الدواوين اليه فجعل ينتخب فاعترض بشر عليه فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم الا يقيم بعد ثالثة وقد أخذت الخوارج الأهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج اليهم المهلب حتى صار الى «شهار طاق» فأتاه شيخ من بنى تميم فقال أصلح الله الأمير ان سنى ما ترى فهبنى لعيالى قال على أن تقول للأمير اذا خطب فحثكم

على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا وأهل النجدة منا ففعل الشيخ ذلك فقال بشر ما أنت وذاك قال لا شئ واعطى المهلب رجلا ألف درهم على ان يأتى بشرا فيقول له أيها الأمير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال نصيحة للأمير والمسلمين ولا أعود الى مثلها قال فامده بشر بالشرطة والمقاتلة وكتب الى خليفته بالكوفة ان يعقد لعبد الرحمن بن مخنف الأزدى على ثمانية آلاف من كل ربع الفين ويوجه به مددا الى المهلب فلما أتاه الكتاب بعث الى عبد الرحمن فعقد له واختار له من كل ربع الفين فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير البجلى وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحاق بن الأشعث الكندى وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس المذحجى فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت رأيي فيك وثقتى بك فكن عند ظنى انظر هذا المزونى فخالفه فى أمره وأفسد عليه رأيه فخرج عبد الرحمن وهو يقول ما أعجب ما طمع منى فيه هذا الغلام يأمرنى ان أصغر شيخا من مشايخ أهلى وسيدا من ساداتهم فلحق بالمهلب فلما أحس الأزارقة بدنوه منهم انكشفوا عن الفرات فاتبعهم المهلب الى سوق الأهواز فنفاهم عنها ثم تبعهم الى رام هرمز فهزمهم منها فدخلوا فارس وابلى يزيد ابنه فى وقائعه هذه بلاء حسنا تقدم فيه وهو ابن احدى وعشرين سنة فلما صار القوم بفارس وجه اليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن صبيح أيها الأمير ليس برأى قتل هذه الأكلب ولئن والله قتلتهم لتقعدن فى بيتك ولكن طاولهم وكل بهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برام هرمز الا شهرا حتى أتاه موت بشر فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجه الى ابن اسحاق وابن زحر واستحلفهما الا يبرحا خلفا له ولم يفيا فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الاهواز وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب فخطبهم فقال انكم لستم كأهل الكوفة انما تذبون عن مصركم واموالكم وحرمكم فأقام منهم قوم وتسلل منهم ناس كثير وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان فوجه مولى

له بكتاب منه الى من بالأهواز يحلف فيه بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا الى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم الا قتله فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى فى وجوههم قبوله فقال انى لأرى وجوها ما القبول من شأنها فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما فى الكتاب وانصرف الى صاحبك فانك لا تدرى ما فى أنفسنا وجعلوا يستعجلونه فى قراءته ثم قصدوا قصد الكوفة فنزلوا النخيلة وكتبوا الى خليفة بشر يسألونه ان يأذن لهم فى الدخول فأبى فدخلوها بغير اذن فلم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف فى عدد قليل ولم ينشبوا ان ولى الحجاج العراق .

٤ لما أتى الحجاج العراق بعد ان أخضع الحجاز بقتل ابن الزبير دخل الكوفة قبل البصرة وذلك فى سنة خمس وسبعين فخطبهم وتهددهم . حدثنى التوزى فى اسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثى قال بينا نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق فاذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفاً متنكباً قوساً يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بنى امية حيث تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابىء البرجمى ألا أحصبه لكم فقالوا امهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال

انا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى (١)

ثم قال . يا أهل الكوفة انى لأرى رءوساً قد اينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى ثم قال (٢)

هذا أوان الشد فاشتدى زيم   قد لفها الليل بسواق حطم

---

(١) هو لسحيم بن وثيل الرياحى .

(٢) الشعر لرويشد بن رميض العنبرى

ليس براعى ابل ولا غنم   ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال .

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى * مهاجر ليس باعرابى

وقال .

قد شمرت عن ساقها فشدوا   وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عُرُد   مثل ذراع البكر او أشد (١)

انى والله يا أهل العراق ما يقعقع لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد فُررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرما كم بى لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السَلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وانى والله ما أقول الا وفيت ولا أهم الا أمضيت ولا أخلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه ياغلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم . فلم يقل أحد منهم شيئا فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا هذا أدب ابن نهية (٢) والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن اقرأ ياغلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد احد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام قال أبو العباس ثم نزل فقال لوجوه أهلها ما كانت الولاة تفعل بالعصاة فقالوا كانت تضرب وتحبس فقال الحجاج ولكن ليس لهم عندى

---

(١) *لابد مما ليس منه بد*

(٢) زعم ابو العباس اذ ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج

الا السيف ان المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية لأهلها ما قوتل عدو ولا جبي فيء ولا عز دين ثم جلس لتوجيه الناس واعطائهم اعطياتهم فقال قد أجلتكم ثلاثا واقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور الا قتلته ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه اذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما عصياً فجاءه عمير بن ضابيء البرجمي بابنه فقال أصلح الله الأمير ان هذا أنفع لكم مني هو أشد بني تميم أيدا وأجمعهم سلاحاً وأربطهم جأشا وأنا شيخ كبير عليل واستشهد جلساءه فقال الحجاج ان عذرك لواضح وان ضعفك لبين ولكني أكره ان يجترىء بك الناس علي وبعد فانت ابن ضابيء صاحب عثمان ثم أمر به فقتل فاحتمل الناس وان أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه . وفي رواية ابن عمير انه قال له أيها الأمير اني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الاسفار مني فتقبله بدلا مني فقال له الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدري من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عمير ابن ضابيء البرجمي الذي يقول أبوه

همت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطيء بطنه فكسر ضلعين من اضلاعه فقال ردوه فلما رد قال له الحجاج ايها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ان في قتلك أيها الشيخ لصلاحا للمسلمين يا حرسي اضرب عنقه . فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه ان يلحقه بزاده

قال ابو العباس ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي (١)

أقول لعبد الله يوم لقيته ... أرى الأمر امسى منصباً متشعبا

تخير فاما ان تزور ابن ضابيء ... عميرا واما ان تزور المهلبا

« ويروى تجهز »

هما خطتا خسف نجاؤك منهما ... ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فما ان أرى الحجاج يغمد سيفه ... يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

---

(١) من اسد خزيمة وليس من أسد قريش

فأضحى ولو كانت خراسان دونه(١) رآها مكان السوق أو هي اقربا (٢)

وخرج الناس عن الكوفة وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشد الحاحا وقد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بنى يشكر وكان شيخاً كبيرا أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الأمير ان بى فتقا وقد عذرنى بشر وقد رددت العطاء فقال انك عندى لصادق ثم أمر به فضربت عنقه ففى ذلك يقول كعب الأشقرى أو الفرزدق

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة تقرقر منها بطن كل عريف

ويروى عن ابن ميرة قال انا لنتغدى معه يوماً اذ جاء رجل من سليم برجل يقوده فقال اصلح الله الأمير ان هذا عاص فقال له الرجل انشدك الله أيها الأمير فى دمى فوالله ماقبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا وانى لحائك أخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد قال فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا فقال مالى اراكم صفرت ايديكم واصفرت وجوهكم وحد نظركم من قتل رجل واحد ان العاصى يجمع خلالا يخل بمركزه ويعصى اميره ويغر المسلمين وهو اجيرهم وانما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالى مخير فيه ان شاء قتل وان شاء عفا

ثم كتب الحجاج الى المهلب أما بعد فان بشرا رحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك وأنا أريك حاجتى اليك فأرنى الجد فى قتال عدوك ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فانى قاتل من قبلى ومن كان عندى من ولىّ من هرب عنك فأعلمنى مكانه فانى أرى ان آخذ الولى بالولى والسمى بالسمى

فكتب اليه المهلب ليس قبلى الا مطيع وان الناس اذا خافوا العقوبة كبروا الذنب واذا امنوا العقوبة صغروا الذنب واذا يئسوا من العفوا كفرهم ذلك فهب لى هؤلاء الذين سميتهم عصاة فانما هم فرسان أبطال أرجو ان يقتل الله بهم العدو

---

(١) قال ابو الحسن الهاء فى دونه عائدة على المهلب وسياتى لأبي العباس ارجاعها الى السفر السباعى (٢) اقربا ظرف وقيل مفعول ثان .

و نادم على ذنبه

وقد كان الحجاج فى كل يوم يتفقد العصاة ويوجه الرجال فكان يحبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا فينسل الناس الى ناحية المهلب وكأن الحجاج لا يعلم فأذا رأى اسراعهم تمثل

ان لها لسائقاً عشنزرا اذاونين ونيـة تغشمرا

العشنزر الصلب والتغشمر ركوب الرأس والمتغشمر الجاد على ما خيلت « رجع » قوله أنا ابن جلا انما يريد المنكشف الأمر ولم يصرف جلا لأنه أرادالفعل فحكى والفعل اذا كان فاعله مضمرا أو مظهرا لم يكن الا حكاية كقولك تأبط شرا وكما قال الشاعر .

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها بنى شاب قرناها تصر وتحلب

وتقول قرأت اقتربت الساعة وانشق القمر لأنك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأت الحمد لله رب العالمين وقال الشاعر .

والله ما زيد بنام صاحبه (١)

وقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا لسحيم بن وثيل الرياحى وانما قاله الحجاج مثلا وقوله وطلاع الثنايا الثنايا جمع ثنيه والثنية الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل يقال له الخل وانما أراد به أنه جلد يطلع الثنايافى ارتفاعها وصعوبتها كما قال دريد بن الصمة يعنى أخاه عبد الله .

كميش الأزار خارج نصف ساقه بعيد من السوءات طلاع أنجد

والنجد ما ارتفع من الأرض وقوله انى لأرى رءوسا قـد اينعت يريد ادركت يقال اينعت الثمرة ايناعاً وينعت يَنعاً ويُنعاً ويقرأ انظروا الى ثمره اذا اثمر ويَنعه ويُنعه كلاهما جائز قال أبو عبيدة هذا الشعر يختلف فيـه فبعضهم ينسبه الى الأحوص وبعضهم ينسبه الى يزيد بن معاوية (٢) وهو :

ولهـا بالماطرين اذا أكل النمل الذى جمعا

---

(١) . ولا مخالط الليان جانبه .

(٢) قال أبو الحسن الصحيح انه ليزيد يصف جارية

خرفة حتى اذا ربعت   سكنت من جلق بيعا

فى قباب حول دسكرة   حولها الزيتون قد ينعا(١)

وقوله هذا أوان الشد فاشتدى زيم. يعنى فرسا أو ناقة والشعر للحطم القيسى وقوله قد لفها الليل بسواق حطم. فهو الذى لا يبقى من السير شيئا ويقال رجل حطم للذى يأتى على الزاد لشدة أكله ويقال للنار التى لا تبقى حطمة وقوله على ظهر وضم فالوضم كل ما قطع عليه اللحم قال الشاعر (٢)

وفتيان صدق حسان الوجو   ه لا يجدون لشئ ألم

من ال المغيرة لا يشهدو   ن عند المجازر لحم الوضم

وقوله قد لفها الليل بعصلبي أى شديد وأروع أى ذكى وقوله خراج من الدوى يقول خراج من كل غماء شديدة (٣) ويقال للصحراء دوية وهى التى لا تكاد تنقضى وهي منسوبة الى الدو والدو صحراء ملساء لا علم بها ولا أمارة قال الحطيئة (٤)

وانى اهتدت والدو بينى وبينها   وما خلت سارى الليل بالدو يهتدى

والداوية المتسعة التى تسمع لها دويا بالليل وانما ذلك الدوى من اخفاف الأبل تنفسح أصواتها فيها وتقول جهلة الأعراب ان ذلك عزيف الجن. وقوله والقوس فيها وترعرد فهو الشديد ويقال عرند فى هذا المعنى وقوله انى والله ما يقعقع لى بالشنان واحدها شن وهو الجلد اليابس فاذا قعقع به نفرت الأبل منه فضرب ذلك مثلا لنفسه وقال النابغة الذبيانى

كأنك من جمال بنى أقيش   يقعقع بين رجليه بشن (٥)

---

(١) قال ابو الحسن أول هذه الابيات .

طال هذا الهم فاكتنعا   وامر النوم فامتنعا

وبعد هذا ما انشده ابو العباس ويروى بالماطرون الرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها   (٢) هو عمر بن عبدالله بن أبى ربيعة

(٣) غمى مقصور رواية عاصم (٤) يصف خيلها وانث على معنى المرأة

(٥) أقيش حى من عكل

وقوله ولقد فررت عن ذكاء يعنى تمام السن والذكاء على ضربين احدهما تمام السن والآخر الحدة حدة القلب فمما جاء فى تمام السن قول قيس بن زهير .
جرى المذكيات غلاب (١) وقال زهير (٢)

يفضله اذا اجتهدا عليه تمام السن منه والذكاء

وقوله فعجم عيدانها يقول مضغها لينظر أيها أصلب يقال عجمت العود اذا مضغته وكذلك فى كل شىء قال النابغة

فظل يعجمُ أعلى الروق منقبضا فى حالك اللون صدق غير ذى اود

والمصدر العجم يقال عجمته عجما ويقال لنوى كل شىء عجمٌ مفتوح ومن أسكن فقد أخطأ قال الاعشى (٣) * وجذعانها كلقيط العجَم * وقوله طالما أوضعتم فى الفتنة الايضاع ضرب من السير أماقول ابن الزبير فأضحى ولو كانت خراسان دونه . يعنى دون السفر رآها مكان السوق للخوف والطاعة (٤) وكان من قصة عمير بن ضابىء ان أباه ضابىء بن الحارث البرجمى وجب عليه حبس عند عثمان رحمه الله وأدب وذلك انه استعار من قوم كلبا فأعاروه اياه ثم طلبوه منه وكان فحاشا فرمى أمهم به فقال فى بعض كلامه

وأمكم لا تتركوها وكلبكم فان عقوق الوالدات كبير

فلما دعى به ليؤدب شد سكينا فى ساقه ليقتل بها عثمان فعثر عليه فأحسن أدبه فاضطغن على عثمان ما فعل به وفى ذلك يقول

وقائلة ان مات فى السجن ضابىء لنعم الفتى تخلو به وتواصله

وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى ولا تبعدن أخلاقه وشمائله

وقائلة لا يبعد الله ضائبا اذا الكبش لم يوجد له من ينازله

وقائلة لا يبعد الله ضائبا اذا الخصم لم يوجد له من يقاوله

---

(١) ويروى غلاء (٢) أى فى المعنى الآخر وهو الحدة حدة القلب لانه ذكر تمام السن قبله فى البيت فتعين أن يكون أراد بالذكاء الحدة . السباعى

(٣) غزاتك بالخيل ارض العدو (٤) سبق لأبي الحسن تعويد الضمير على المهلب وأبنا هناك ارجاع ابى العباس له الى السفر . السباعي

فلا تتبعيني ان هلكت ملامة فليس بعار قتل من لا أقاتله
هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله
وما الفتك ما آمرت فيه ولا الذي تخبر من لاقيت انك فاعله

(قال أبو العباس) وشبيه بهذا ما حدثنا به عن أبي شجرة السلمي وكان من فتاك العرب (١) فأتى عمر بن الخطاب رحمه الله يستحمله فقال له عمر ومن أنت فقال أنا أبو شجرة السلمي فقال له عمر أى عَدِىّ نفسه ألست القائل حيث ارتددت

وروّيت رمحي من كتيبة خالد واني لأرجو بعدها أن أعمرا (٢)
وعارضتها شهباء تخطر بالقنا ترى البيض في حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه بالدرة فسعى الى ناقته فحل عقالها واقبلها حرة بني سليم بأحث السير هرباً من الدرة وهو يقول

قد ضن عنها أبو حفص بنائله وكل مختبط يوما له ورق
مازال يضربني حتى خذيت له وحال من دون بعض الرغبة الشفق
ثم التفت اليها وهي حانية مثل الرتاج اذا ما لزه الغلق
اقبلتها الخل من شوران مجتهدا انى لأزرى عليها وهي تنطلق

ويروى ان أبا شجرة هذا كان يرمى المسلمين يوم الردة فلا يغنى شيئا فيقول

ها انّ رمحى عنهم لمعبول فلا صريح اليوم الا المصقول

قوله وكل مختبط يوما له ورق أصل هذا في الشجرة أن يختبطها الراعى وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها فضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله وقال زهير

وليس مانع ذى قربى وذى نسب يوما ولا معدم من خابط ورقا (٣)

---

(١) أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى وأمه الخنساء وقال الطبرى اسمه سليم ابن عبد العزى (٢) ويروى أن أعمرا بكسر الميم ومعناه أن افعل ذلك بكتيبة عمر (٣) قوله ولا معدم بالخفض عطف على توهم الباء في مانع ومثله ما أنشده

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها

على توهم الباء في مصلحين ومن في خابط زائدة

وقوله حتى خـذيت له يقول خضعت له واكثر ما تستعمل العامة هـذه اللفظة بالزيادة تقول اسـتخذيت له وزعم الأصمعى انه شك فيها وانه أحب ان يستثبت أهى مهموزة أم غير مهموزة قال فقلت لأعرابى أتقول استخذيت أم استخذأت قال لا أقولهما قلت ولم فقال لأن العرب لا تستخذى وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم أذن خذواء ويثمة خذواء أى مسترخية (١) قال الأصمعي وقلت لأعرابى أتهمز الفارة قال تهمزها الهرة وقوله انى لأزرى عليها يقول استحثها يقال زرى عليه أى عاب عليه وأزرى به أى قصر به فيقول انها لمجتهدة وانى لأزرى عليها أى أعيب عليها لطلبى النجاء والسرعة وقال الأخطل .

فظل يفديها وظلت كأنها　　　عقاب دعاها جنح ليل الى وكر

وقوله ها ان رميي عنهم لمعبول . يقول مخبول مردود والصريح المحض الخالص يقال ذلك للبن اذا لم يشبه ماء ويقال عربى صريح ومولى صريح أى خالص

٥ لما أخـذ الحجاج يشتد فى ارسال الناس الى المهلب ويطارد من يتشيع للخوارج هرب عنه أناس من هؤلاء وأناس من هؤلاء وانا لذاكرون من كل جملة صالحة ان شاء الله

فمن هرب من غـير الخوارج العُديل بن الفرخ العجلى فجعل لا يحل ببلدة الا ريع لأثر يراه من آثار الحجاج فيهرب حتى أبعد ففى ذلك يقول

يخوّفنى الحجاج حتى كأنما　　　يحرك عظم فى الفؤاد مهيض

ودون يد الحجاج من أن تنالنى　　　بِساط لأيدى اليعملات عريض

فلم ينشب ان أتى به الحجاج ففى ذلك يقول العديل

فلو كنت فى سلمى أجا وشعابها　　　لكان لحجاج علىّ دليل

بنى قبة الأسلام حتى كأنما　　　أتى الناس من بعد الضلال رسول

أجأ وسلمى جبلا طيئ وأجا مهموزا وانما هو أجا مقصور فاعلم قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجأ وسلمى　　　تخب نزائعا خبب الذئاب

---

(١) قال أبو الحسن اليثمة نبت مسترخ على وجه الارض تأكله الأبل فتكثر عنه البانها .

والشاعر اذا احتاج الى قلب الهمزة قلبها فان كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء أو ساكنة جعلها على حركة ما قبلها وان كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها الفا وان كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء وان كانت قبلها ضمة جعلها واوا قال الفرزدق .

راحت بمسلمة البغال عشية   فارعى فزارة لا هناك المربع

وقال حسان بن ثابت

سالت هذيل رسول الله فاحشة   ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الرحمن بن حسان

وكنت أذل من وتد بقاع   يشجج راسه بالفهر واجي

فاما قول الفرزدق فانه يقوله لما عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة الى قربه وولى عمر بن هبيرة قال

راحت بمسلمة البغال عشية   فارعى فزارة لا هناك المربع

ولقد علمت اذا فزارة امرت   أن سوف تطمع فى الامارة اشجع

فارى الأمور تنكرت أعلامها   حتى أمية عن فزارة تنزع (١)

عزل ابن عمرو وابن بشر قبله   وأخو هراة لمثلها يتوقع

ففى جواب هذا يقول الأسدى لما ولى خالد بن عبد الله القسرى

بكت المنابر من فزارة شجوها   فالآن من قسر تضج وتخشع

وملوك خندف أسلمونا للعدى   لله در ملوكنا ما تصنع (٢)

وأما قول حسان فليس من لغته سلت اسال مثل خفت أخاف وهما يتساولان هذا من لغة غيره وكانت هذيل سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحل لها الزنا . ويروى ان اسديا وهذليا تفاخرا فرضيا برجل فقال انى ما اقضى بينكما

---

(١) تنزع رواية عاصم فمن روى تنزع بضم التاء يعنى تعزل ومن روى تنزع بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النزع فى القوس وهو الرمى يشير الى انها محتاجة الى رأيها وانها ترمى عن قوسها

(٢) كانوا كتاركة بنيها جانبا   سفها وغيرهم تصون وترضع

الا ان تجعلا لى عقدا وثيقاً ألا تضربانى ولا تشتمانى فانما لست فى بلاد قومى ففعلا فقال يا أخا بنى اسد كيف تفاخر العرب وانت تعلم انه ليس حي أحب الى الجيش ولا ابغض الى الضيف ولا أقل تحت الرايات منكم وأما أنت يا أخا هذيل فكيف تكلم الناس وفيكم خلال ثلاث كان منكم دليل الحبشة على الكعبة ومنكم خولة ذات النحيين وسألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الزنا ولكن اذا أردتما بيتى مضر فعليكما بهذين الحيين من تميم وقيس قوما فى غير حفظ الله .

أما بيت عبد الرحمن بن حسان فانه يقوله لعبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصى وكان يهاجيه فقال له فى كلمته

وأما قولك الخلفاء منا ... فهم منعوا وريدك من وداج
ولولاهم لكنت كحوت بحر ... هوى فى مظلم الغمرات داجى
وكنت أذل من وتد بقاع ... يشجج راسه بالفهر واجى

ومنهم سوّار بن المضرّب السعدى (١) فى ذلك يقول

اقاتلىَ الحجاج ان لم ازر له ... دراب واترك عند هند فؤاديا
فان كان لا يرضيك حتى تردنى ... الى قطرىّ ما اخالك راضيا (٢)
اذا جاوزت درب المجيزين ناقتى ... فباست أبى الحجاج لما ثنانيا
ايرجو بنو مروان سمعى وطاعتى ... وقومى تميم والفلاة ورائيا

وورائى ها هنا بمعنى أمامى قال الله عز وجل (وانى خفت الموالى من ورائى) وقال جل ثناؤه (وكان من ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)

ومنهم مالك بن الريب المازنى أحد بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وفى ذلك يقول

ان تنصفونا يال مروان نقترب ... اليكم والا فأذنوا ببعاد
فأن لنا عنكم مزاحا ومرحلا ... بعيس الى ريح الفلاة صوادى

---

(١) المضرب بفتح الراء (٢) فاعل يرضيك مضمر أو منوى تقديره فان كان لا يرضيك الأرضاء ولا يجوز ان يكون ما بعد يرضيك الفاعل لأن سيبويه رحمه الله قال الفاعل لا يكون جملة وحتى تردنى جملة قاله ابن الابرش

ففى الارض عن دار المذلة مذهب وكل بلاد او طنت كبلادى (١)
فماذا ترى الحجاج يبلغ جهده اذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبدا من عبيد اياد
زمانَ هو العبد المقر بذلة يراوح صبيان القرى ويغادى

قال ذلك لأن الحجاج كان هو واخوه معلمين بالطائف وكان لقبه كليبا وفى ذلك يقول القائل

أينسى كليب زمان الهذال وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الازهر

يقول خبز المعلمين يأتى مختلفا لأنه من بيوت صبيان مختلفى الاحوال وأنشد ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

أما رأيت بنى بحر وقد حفلوا كانهم خبز بقال وكتّاب
هذا طويل وهذا حنبل جحد يمشون خلف عمير صاحب الباب

وفى لقبه هذا يقول آخر من اهل الطائف .

كليب تمكن فى ارضكم وقد كان فينا صغير الخطر

أما من طاردهم الحجاج من شيعة الخوارج فكان منهم عمران بن حطان أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل وقد كان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم وفقيهم وكان من حديثه فى هربه فيما حدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن سلام انه لما أطرده الحجاج كانَ يتنقل فى القبائل فكان اذا نزل فى حى انتسب نسبا يقرب منه ففى ذلك يقول .

نزلنا فى بنى سعد بن زيد وفى عك وعامر عوثبان
وفى لخم وفى أدد بن عمرو وفى بكر وحى بنى الغدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامى وكان روح يقرى الأضياف

(١) كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء والاصح او طنت بفتح الهمزة وفتح الطاء قاله ش

وكان مسامرا لعبد الملك بن مروان أسيرا عنده فانتمى له من الأزد وفى غير هذا الحديث ان عبد الملك ذكر روحاً فقال من أعطى مثل ما أعطي أبو زرعة أعطى فقه أهل الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشأم . رجع الحديث فكان روح لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريباً عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطان الا عرفه وزاد فيه فذكر ذلك لعبد الملك فقال ان لى جارا من الأزد ما اسمع من أمير المؤمنين خبرا ولا شعرا الا عرفه وزاد فيه فقال عبد الملك خبرنى ببعض أخباره فخبره وانشده فقال ان اللغة عدنانية وانى لأحسبه عمران ابن حطان قال ثم تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله

ياضربة من تقى ما اراد بها	الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لأذكره حينا فاحسبه	أوفى البرية عند الله ميزانا (١)

فلم يدر عبد الملك لمن هو فرجع روح الى عمران فسأله عنه فقال هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب فرجع روح الى عبد الملك فاخبره فقال له عبد الملك ضيفك عمران بن حطان اذهب فجئنى به فرجع اليه فقال ان أمير المؤمنين قد أحب أن يراك قال عمران قد أردت ان اسألك ذلك فاستحييت منك فامض فانى بالاثر فرجع روح الى عبد الملك فاخبره فقال عبد الملك أما انك سترجع فلا تجده فرجع وقد ارتحل عمران وخلف رقعة فيها

ياروح كم من أخى مثوى نزلت به	قد ظن ظنك من لخم وغسان
حتى اذا خفته فارقت منزله	من بعد ما قيل عمران بن حطان

(١) قلبه الفقيه الطبرسى فقال .

ياضربة من شقى ما أراد بها	الا ليهدم من ذى العرش بنيانا
انى لأذكره يوماً فألعنه	ايها وألعن عمران بن حطانا

وقال محمد بن احمد الطبيب يرد عليه

يا ضربة من غدور صار ضاربها	أشقى البرية عند الله انسانا
اذا تفكرت فيه ظلت ألعنه	وألعن الكاب عمران بن حطانا

قد كنت جارك حولا ماتروعنى ... فيه روائع من انس ومن جان
حتى أردت بى العظمى فأدركنى ... ماادرك الناس من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ابن زنباع فان له ... فى النائبات خطوباً ذات ألوان
يوماً يمان اذا لاقيت ذا يمن ... وان لقيت معديا فعدنانى
لو كنت مستغفرا يوماً لطاغية ... كنت المقدم فى سرى واعلانى
لكن أبت لى آيات مطهرة ... عند الولاية فى طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث الكلابى أحد بنى عمرو بن كلاب فانتسب له أو زاعيا وكان عمران يطيل الصلاة وكان غلمان من بنى عامر يضحكون منه فأتاه رجل يوماً ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه زفر فقال من هذا فقال رجل من الأزد رأيته ضيفاً لروح بن زنباع فقال له زفر ياهذا أزديا مرة واوزاعيا مرة ان كنت خائفا أمناك وان كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى هرب وخلف فى منزله رقعة فيها .

ان التى أصبحت يعيا بها زفر ... أعيت عياء على روح بن زنباع
مازال يسألنى حولا لاخبره ... والناس من بين مخدوع وخداع
حتى اذا انقطعت عنى وسائله ... كف السؤال ولم يولع باهلاعى
فاكفف كما كف عنى اننى رجل ... اما صميم واما فقعة القاع
واكفف لسانك عن لومى ومسألتى ... ماذا تريد الى شيخ لاوزاع
أما الصلاة فانى غير تاركها ... كل امرئ للذى يعنى به ساعى
اكرم بروح بن زنباع وأسرته ... قوم دعا أوليهم للعلا داعى
جاورتهم سنة فيما أسر به ... عرضى صحيح ونومى غير تهجاع
فاعمل فانك منعىّ بواحدة ... حسب اللبيب بهذا الشيب من ناعى

ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم يعظمون أمر ابى بلال ويظهرونه فأظهر أمره فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى أهل عمان فارتحل عمران هاربا حتى أتى قوما من الازد فلم يزل فيهم حتى مات وفى ذلك يقول .

نزلنا بحمد الله فى خير منزل ... نسر بما فيه من الأنس والخفر

نزلنا بقوم يجمع الله شملهم وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
من الأزد ان الازد اكرم أسرة يمانية طابوا اذا نسب البشر
فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر
ام الحى قحطان فتلكم سفاهة كما قال لى روح وصاحبه زفر
وما منهما الا يُسر بنسبة تقربنى منه وان كان ذا نفر
فنحن بنو الاسلام والله واحد وأولى عباد الله بالشكر من شكر

ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم فى القرآن والآثار وفى السير والسنن وفى الغريب والشعر وكان بمنزلته فى الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج الرهينُ المرادى ولكنه كان لا يرى القعود عن الحرب وفى ذلك يقول

يا نفس قد طال فى الدنيا مراوغتى لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا
انى لبائع ما يفنى لباقية ان لم يعقنى رجاء العيش تربيصا
وأسأل الله بيع النفس محتسبا حتى ألاقى فى الفردوس حُرقوصا (١)
وابن المنيح ومرداسا واخوته اذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا

وهذه كلمة له وله أشعار كثيرة فى مذاهبهم .

وكان فى جملة الخوارج لدد واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت فمنهم الذى طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى فيه الى قاتله وهو يقول «وعجلت اليك رب لترضى» وذكروا ان عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه فرأى منه ماشاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى ماشاء اربا ودهيا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل قال له قل فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذاهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع فى خاطرى ان الجنة خلقت لهم وانى أولى بالجهاد منهم ثم رجعت الى

(١) قال الاخفش حرقوص ذو الثدية

ماثبت الله على من الحجة وقرر فى قلبى من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطنى الله فى الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تجيب بالقول والله لاقتلنك ان لم تطع فأنا فى ذلك اذ دخل على بابنى مروان قال أبو العباس قال كان مروان اخا يزيد لأمه وامهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان أبيا عزيز النفس فدخل به فى هذا الوقت على عبد الملك باكيا لضرب المؤدب اياه فشق ذلك على عبد الملك فأقبل عليه الخارجى فقال له دعه يبك فانه ارحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى ألا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فأعجب ذلك من قوله عبد الملك فقال له متعجبا أما يشغلك ما أنت فيه ويعرضه عن هذا فقال ماينبغى ان يشغل المؤمن عن قول الحق شىء فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال يعتذر اليه لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتى ماحبستك ثم قال من شككنى ووهمنى حتى مالت بى عصمة الله فغير بعيد ان يستهوى من بعدى وكان عبد الملك من الرأى والعلم بموضع وتزعم الرواة ان رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتب فقال له معاوية اتجد نعتى فى شىء من كتب الله قال اى والله لو كنت فى امة لوضعت يدى عليك من بينهم قال فكيف تجدنى قال أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم قال معاوية فسرى عنى ثم قال لاتقبل هذا منى ولكن من نفسك فاختبر هذا الخبر قال ثم يكون ماذا قال ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجن الاموال ويصطنع الرجال ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تتشعب باقوام حتى يفضى الامر بها الى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لايزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرن لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال شد ما فأراه من بالشام من بنى أمية فقال ما أراه هاهنا فوجه به الى المدينة مع ثقاة من رسله فاذا عبد الملك يسعى مؤتزرا فى يده طائر فقال للرسل هاهو ذا ثم صاح به الى أبو من قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك ماتجعل لى قال وما مقدارها

من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال مالى من مال ولكن أرأيتك ان تكلفت لك جعلا أأنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمتك أتؤخره عن وقته قال لا قال فحسبك ماسمعت . فذكروا ان معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يدا عنده يجازيه بها فى مخلفيه فى وقته . وكان عبد الملك من اكثر الناس علما وابرعهم أدبا وأحسنهم فى شبيبته ديانة فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة فسلم عليه بها أول تسليمة والمصحف فى حجره فأطبقه وقال هذا فراق بينى وبينك قال أبو العباس وحدثنى ابن عائشة عن حماد بن سلمة فى اسناد ذكره ان عبد الملك كان له صديق من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم فقال له عبد الملك يوما وهو فى عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المرى من مرة غطفان تريد المدينة ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم رسول الله اعظم من جيشه فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال معاذ الله قال له يوسف ماقلت شاكا ولا مرتابا وانى لأجدك بجميع أوصافك قال له عبد الملك ثم ماذا قال ثم يتداولها رهطك قال الى متى قال الى أن تخرج الرايات السود من خراسان قال وحدثت عن أبى جعدبة قال كنت عند أمير المؤمنين المنصور فى اليوم الذى أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قال فغمه ذلك حتى امتنع من الغداء فى وقته وطال عليه فكره فقلت يا أمير المؤمنين أحدثك حديثا كنت مع مروان بن محمد وقد قصده عبد الله بن على فأنا لكذلك اذ نظر الى الأعلام السود من بعد فقال ماهذه البخت المجللة قلت هذه أعلام القوم قال فمن تحتها قلت عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس قال وايهم عبد الله فقلت الفتى المعروف الطويل الخفيف العارضين الذى رأيته فى وليمة كذا يأكل فيجيد فسألتنى عنه فنسبته لك فقلت ان هذا الفتى لتلقامة قال قد عرفته والله لوددت أن على بن أبى طالب مكانه قال فقال لى المنصور آلله لسمعت هذا من مروان بن محمد قلت والله لقد سمعته منه قال ياغلام هات الغداء .

« رجع » قال أبو العباس قول عمران . ياروح كم من أخى مثوى نزلت به .

يقال هذا أبو مثواى وللأنثى هذه أم مثواى ومنزل الضيافة وما أشبهه المثوى وكذلك قال المفسرون فى قول الله عز وجل أكرمى مثواه أى اضافته ويقال من هذا ثوى يثوى ثُوِيًا وكذلك مضى يمضى مضيا ويقال ثواء ومضاء كما قال

طال الثواء على رسم بيمئود اودى وكل جديد مرة مودى

وقوله فيه روائع من أنس ومن جان . الواحدة رائعة يقال راعنى يروعنى روعاً أى افزعنى قال الله تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الروع ويكون الرائع الجميل يقال جمال رائع يكون ذلك فى الرجل والفرس وغيرهما وأحسب الأصل فيهما واحدا انه يفرط حتى يروع كما قال الله جل ثناؤه يكاد سنا برقه يذهب بالابصار للأفراط فى ضيائه والرائع مهموز وكذلك كل فعل من الثلاثة مما عينه واو أو ياء اذا كانت معتلة ساكنة تقول قال يقول وباع يبيع وخاف يخاف وهاب يهاب يعتل اسم الفاعل فيهمز موضع العين نحو قائل وبائع وخائف وهائب فان صحت العين فى الفعل صحت فى اسم الفاعل نحو عور الرجل فهو عاور وصيد فهو صايد والصيد داء يأخذ فى الرأس والعينين والشؤون وانما صحت فى عور وحول وصيد لانه منقول من احول واعور واصيد وقد احكمنا تفسير هذا فى الكتاب المقتضب وقوله

يوما يمان اذا لاقيت ذ يمن وان لقيت معديا فعدنان

يريد انا يوما يمان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزا على معنى اتنقل يوما كذا ويوما كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر ينشد نصبا

أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة وفى الحرب أمثال النساء العوارك

العوارك هن الحوائض وكذلك قوله .

أفى الولائم أولادا لواحدة وفى المحافل أولادا لعلات

قال العلات سميت لان الواحدة تعل بعد صاحبتها وهو من العلل وهو الشرب الثانى اى يختلفون ويتحولون فى هذه الحالات ومن كلام العرب أتميميا مرة وقيسيا اخرى وكذلك اذ لم تستفهم واخبرت قلت تميميا مرة علم الله وقيسيا أخرى أى تنتقل ومن ثم قال له زفر بن الحارث ازديا مرة وأوزاعيا مرة والرفع

على أنت جيد بالغ وقوله . لو كنت مستغفرا يوما لطاغية . يكون على وجهين لنفس. طاغية والآخر للمذكر وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة كما يقال رجل راوية وعلامة ونسابة وكلاهما وجه ويقال جاءت طاغية الروم يراد الجماعة الطاغية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية وقوله عند الولاية اذا فتحت فهو مصدر الولى وفى القرآن العظيم مالكم من ولايتهم من شيء والولاية مكسورة نحو السياسة والرياضة والايالة وهى الولاية وأصله من الاصلاح يقال آله يؤله أولا اذا أصلحه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد ألنا وايل علينا تأويل ذاك قد ولينا وولى علينا وهذه كلمة جامعة يقول قد ولينا فعلمنا مايصلح الوالى وولى علينا فعلمنا مايصلح الرعية وقوله . اعيت عياء على روح بن زنباع . أنشدنيه الرياشى . أعيا عياها على روح بن زنباع . وانكره كما انكرناه لأنه قصر الممدود وذلك فى الشعر جائز ولا يجوز مد المقصور . وقوله . حتى اذا انقطعت عنى وسائله . فالوسائل واحدها وسيلة وهى الذريعة والسبب يقال قد توسلت الى فلان قال رؤبة بن العجاج.

والناس ان فصلتهم فصائلا　　كل الينا يبتغى الوسائلا

وقوله ولم يولع بأهلاعى اى بافزاعى وترويعى والهلع من الجبن عند ملاقاة الاقران يقال نعوذ بالله من الهلع ويقال رجل هلوع اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فى كل واحد منهما غير الحق قال الله عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقال الشاعر

ولى قلب سقيم ليس يصحو　　ونفس ما تفيق من الهلاع

وقوله . اما صميم واما فقعة القاع . الصميم الخالص من كل شيء يقال فلان من صميم قومه اى من خالصهم وقال جرير لهشام بن عبد الملك .

وتنزل من أمية حيث تلقى　　شؤون الرأس مجتمع الصميم

وقال بعض القرشيين

. اذا ما كنت متخذا خليلا　　فلا تجعل خليلك من تميم

بلوت صميمهم والعبد منهم　　فما ادنى العبيد من الصميم

وقوله واما فقعة القاع يقال لمن لا أصل له هو فقعة بقاع وذلك لان الفقعة

لاعروق لها ولا أغصان والفقعة الكمأة البيضاء ويقال حمام فقيع لبياضه ومن ذا قول الشاعر

قوم اذا نسبوا يكون أبوهم عند المناسب فقعة فى قرقر

أما قوله . نسر بما فيه من الأنس والخفر . فأصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خفرة اذا كانت مستترة لاستحيائها قال ابن نمير الثقفى .

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب فى نسوة خفرات

وقوله . ان الأزد اكرم اسرة . يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أى اسرة أنت واصل هذا من الاجتماع يقال للقتب مأسور . ويروى .

يمانية قرْبوا اذا نسب البشر . يريد قرُبوا وهـذا جائز فى كل شىء مضموم او مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب تقول فى الاسماء فى فَخِذ فَخْذ وفى عضد عضْـد وتقول فى الافعال كرْم عبد الله اى كرم وقد علْم الله اى علم قال الأخطل

فان أهجه يضجر كما ضجْر بازل من الأبْل دبْرت صفحتاه وكاهله

وقال آخر .

عجبت لمولود وليس له أب وذى ولد لم يلده أبوان

ولا يجوز فى ضرب ولا فى جمل ان يسكن لخفة الفتحة .

وقوله أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر . يقول أمن ربيعـة أم من مضر . ويجوز فى الشعر حذف ألف الاستفهام لأن أم التى جاءت بعدها تدل عليها قال ابن ربيعة

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا بسبع رمين الجمـر أم بثمان

يريد أبسبع وقال التميمى .

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

والرواية على وجهين أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحى قحطان يريد أذا أم ذا أم ذا والأصلح فى الرواية من ربيعة أو مضر أم الحى قحطان لأن ربيعة أخو مضر فأراد من أحد هذين أم من الحى قحطان لأنه اذا قال أزيد عندك أم عمرو

فالجواب نعم أولا لأن أحد هذين عندك ومعنى الأول أيهما عندك . ويروى وحدثنيه المازنى ان صفية بنت عبد المطلب أتاها رجل فقال لها أين الزبير قالت وما تريد اليه قال أريد أن أباطشه فقالت ها هو ذاك فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فمر بها مغلولا فقالت

كيف رأيت زبرا   أأقطا أو تمرا   أم قرشيا صقرا

لم تشكك بين الأقط والتمر فتقول أيهما هو ولكنها أرادت أرأيته طعاماً أم قرشيا صقرا أى أأحد هذين رأيته أم صقرا ولو قالت أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه . وقوله . وما منهما الا يسر بنسبة . معناه وما منهما واحد فحذف لعلم المخاطب قال الله جل اسمه (وانْ من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أى وان احد ومعنى ان معنى ما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما   أموت وأخرى ابتغى العيش أكدح

يريد فمنهما تارة وقوله

فنحن بنو الاسلام والله واحد   وأولى عباد الله بالله من شكر

يقول انقطعت الولاية الا ولاية الاسلام لان ولاية الاسلام قد قاربت بين الغرباء قال الله عز وجل انما المؤمنون أخوة وقال عز وجل فباعد بين القرابة انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وقال نهار بن توسعة اليشكرى .

دعيّ القوم ينصر مدعيه   ليلحقه بذى الحسب الصميم
أبى الاسلام لا أب لى سواه   اذا افتخروا بقيس أو تميم

٦ لما كان من الحجاج ما كان فى الحث على قتال الخوارج كثر الناس على المهلب فقال اليوم قوتل هذا العدو ولما رأى ذلك قطرى قال انهضوا بنا نريد السرَدان فنتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال أو نأتى سابور وخرج المهلب فى آثارهم فأتى ارجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج نحوهم بسابور فعسكر بكازرون واستعدوا لقتاله فخندق على نفسه ثم وجه الى عبد الرحمن بن مخنف أن خندق على نفسك فوجه اليه خنادقنا سيوفنا فوجه اليه المهلب انى لا آمن

عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرطة جمل فأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأى ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادوا المهلب الحرب فبعث الى ابن مخنف يستمده فأمده بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا فجاءوا وعليهم أقبية بيض جُدد فقاتلوا يومئذ حتى عرف مكانهم وحاربهم المهلب وابلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشد . ثم نظر المهلب الى رئيس من الخوارج يقال له صالح بن مخراق وهو ينتخب قوماً من جلة العسكر حتى بلغوا اربعمائة فقال لابنه المغيرة مايعد هؤلاء الاللبيات وانكشف الخوارج والأمر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح . وفى ذلك يقول يزيد بن حبناء من الازارقة .

دعى اللوم ان العيش ليس بدائم ... ولا تعجلى باللوم يا أم عاصم
فإذ عجلت منك الملامة فاسمعى ... مقالة معنىٍّ بحقك عالم
ولا تعذلينا فى الهدية انما ... تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمهد من يكون نهارُه ... جلادا ويمسى ليلُه غيرَ نائم
يريد ثواب الله يوماً بطعنة ... غموس كشدق العنبرى بن سالم
أبيت وسربالى دلاص حصينة ... ومغفرها والسيف فوق الحيازم
حلفت برب الواقفين عشية ... لدى عرفات حلفة غير آثم
لقد كان فى القوم الذين لقيتهم ... بسابور شغل عن بزوز اللطائم
توقدُ فى أيديهم زاعبية ... ومرهفة تفرى شؤون الجماجم

وكان الحجاج كتب الى المهلب من قبل تلك الوقعة . أما بعد فانه بلغنى انك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو وانى وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطى وأخذتك وأنت من أهل عمان ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا فى مكان كذا والا أشرعت اليك صدر الرمح . فشاور المهلب بنيه فقالوا انه أمير فلا تغلظ عليه فى الجواب فكتب اليه ورد على كتابك تزعم انى أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت انك وليتنى وأنت

ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك فى فضلهما وغنائهما وبطشهما واخترتني وأنا رجل من الأزد ولعمري ان شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر فى واحدة منهن وزعمت انى ان لم القهم فى يوم كذا فى مكان كذا أشرعت الى صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن والسلام ثم كانت الوقعة فلما انصرف الخوارج قال المهلب لابنه المغيرة انى أخاف البيات على بنى تميم فانهض اليهم فكن فيهم فاتاهم المغيرة فقال له الحريش بن هلال يا أبا حاتم أيخاف الأمير ان يؤتى من ناحيتنا قل له فليبت آمنا فانا كافوه ماقبلنا ان شاء الله فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة الى أبيه سرى صالح بن مخراق فى القوم الذين أعدهم الى ناحية بنى تميم ومعه عبيدة بن هلال وهو يقول

انى لمذك للشراة نارها . ومانع ممن أتاها دارها وغاسل بالطعن عنها عارها.

فوجد بنى تميم أيقاظا متحارسين وخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول

لقد وجدتم وُقرا أنجادا لا كشفا ميلا ولا أوغادا

هيهات لا تلفوننا رقادا لا بل اذا صيح بنا آسادا

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم الى أين يا كلاب النار فقالوا انما أعدت النار لك ولأصحابك فقال كل مملوك لى حر ان لم تدخلوا النار ان دخلها مجوسى فيما بين سفوان وخراسان فقال بعضهم لبعض نأتى عسكر ابن مخنف فانه لا خندق عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب وقد زعموا انه أهون عليهم من ضرطة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم الا وقد خالطوهم فى عسكرهم وكان ابن مخنف شريفا يقول رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل

تروح وتغدو كل يوم معظما كأنك فينا مخنف وابن مخنف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقتل وقتل معه سبعون من القراء فيهم نفر من أصحاب على بن أبى طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عنده فجاءهم مغيثا فقاتلهم حتى

رث وصرع ووجه المهلب اليهم ابنه حبيبا فكشفهم ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف واصحابه رحمهم الله وصار جنده فى جند المهلب فضمهم الى ابنه حبيب فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن

تركت اصحابنا تدمى نحورهم ... وجئت تسعى الينا خضفة الجمل

فلامهم المهلب وقال بئس ما قلتم والله ما فروا ولا جبنوا ولكنهم خالفوا أميرهم أفلا تذكرون فراركم يوم دولاب وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عنى. قول ابن حبناء . من يكون نهاره جلادا ويمسى ليله غير نائم . يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة وفى القرآن بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكرهم فى الليل والنهار وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص

أما النهار ففى قيد وسلسلة ... والليل فى جوف منحوت من الساج

وقال آخر :

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى ... ونمت وما ليل المطىّ بنائم

ولو قال من يكون نهارَه جلادا ويمسى ليلَه غير نائم لكان جيدا وذلك انه أراد من يكون فى نهاره يجالد جلادا كما تقول انما أنت سيرا وانما أنت ضربا تريد تسير سيرا وتضرب ضربا فأضمر لعلم المخاطب انه لا يكون هو سيرا . ولو رفعه على أن يجعل الجلاد فى موضع المجالد على قوله أنت سير أى أنت سائر كما قالت الخنساء فانما هى اقبال وادبار لجاز . وفى القرآن قل ارأيتم ان أصبح ماؤكم غورا أى غائرا ولو قال ويمسى ليلُه غيرُ نائم لجاز أيضا يصير اسمه فى يمسى ويجعل ليله ابتداء وغير نائم خبره على السعة التى ذكرنا . وقوله غموس يريد واسعة محيطة والعنبرى ابن سالم رجل منهم يقال له الأشدق واللطائم واحدتها لطيمة وهى الأبل التى تحمل البز والعطر وقوله توقد فى أيديهم زاعبية يعنى الرماح والتوقد للأسنة والزاعبية منسوبة الى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح وتفرى تقد يقال فرى اذا قطع وأفرى اذا أصلح . وقول الحريش وجدتم وقرا جمع وقور والنجد ضد البليد وهو المتيقظ الذى لا كسل عنده ولا فتور والأميل فيه قولان

قالوا الذى لا يستقر على الدابة وقالوا هو الذى لا سيف معه والأكشف الذى لا ترس معه والأجمّ الذى لا رمح معه والحاسر الذى لا درع عليه والأعزل الذى لا يتقوم على ظهر الدابة والوغد الضعيف . وقول الآخر خضفة الجمل يريد ضرطة الجمل يقال خضف البعير(١) وأنشدنى الرياشى لأعرابى يذم رجلا اتخذ وليمة

انا وجدنا خلفا بئس الخلف أغلق عنا بابه ثم حلف
لا يدخل البواب الا من عرف عبد اذا ما ناء بالحمل خضف

يقال ناء بحمله اذا حمله فى ثقل وتكلف وفى القرآن ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة والمعنى ان العصبة تنوء بالمفاتيح وقد مضى تفسير هذا (٢)

٧ بعد أن انتهت تلك الوقعة وجه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثه فى مناجزة القوم وكتب اليه انك لتحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلب لاصحابه حركوهم فخرج فرسان من اصحابه اليهم فخرج اليهم من الخوارج جمع فاقتتلوا الى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أما تملون فقالوا لا حتى تملوا قالوا فمن انتم قالوا تميم قالت الخوارج ونحن بنو تميم فلما أمسوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من اصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها فكلما قتل رجل جاء رجل من اصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتموا فقالت لهم الخوارج ارجعوا فقالوا بل ارجعوا انتم فقالوا ويلكم من انتم فقالوا تميم قالوا ونحن تميم فرجع البراء بن قبيصة الى الحجاج فقال له مه قال رأيت قوما لا يعين عليهم الا الله وكتب اليه المهلب انى منتظر بهم احدى ثلاث موت ذريع أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم وكان المهلب لا يتكل فى الحراسة على احد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده وبمن يحل محلهم فى الثقة عنده وقال أبو حرملة العبدى يهجو المهلب

عدمتك يا مهلب من أمير أما تندى يمينك للفقير
بدولاب أضعت دماء قوم وطرت على مواشكة درور

---

(١) وتقول العرب حبج الرجل وحبق وخضف وردم كل ذلك اذا ضرط (٢) بأن الكلام جاء على القلب والقلب كثير فى كلام العرب . السباعى

فقال المهلب ويحك والله انى لأقيكم بنفسى وولدى قال جعلنى الله فداء الامير فذاك الذى نكره منك ما كلنا يحب الموت قال ويحك وهل عنه محيص قال لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تقدم عليه اقداما قال المهلب أما سمعت قول الكلحبة اليربوعى

فقلت لكأس ألجميها فانما نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا

قال بلى والله قد سمعته ولكن قولى أحب الىّ منه

فلما وقفتم غدوة وعدوكم الى مهجتى وليت أعداءكم ظهرى
وطرت ولم أحفل مقالة عاجز يساقى المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب بئس حشو الكتيبة والله أنت فان شئت أذنت لك فانصرفت الى أهلك فقال بل أقيم معك أيها الامير فوهب له المهلب واعطاه فقال يمدحه

يرى حتما عليه أبو سعيد جلاد القوم فى أولى النفير
اذا نادى الشراة أبا سعيد مشى فى رفل محكمة القتير

الرفل الذيل وقال المهلب ما يسرنى ان فى عسكرى الف شجاع بدل بيهس ابن صهيب فقيل له أيها الأمير بيهس ليس بشجاع فقال أجل ولكنه سديد الرأى محكم العقل وذو الرأى حذر سؤل فأنا آمن ان يغتفل فلو كان مكانه الف شجاع قلت انهم يتشامون حتى يحتاج اليهم . ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بسابور وبين المهلب وبين الشراة عقبة فقال المهلب من يكفينا هذه العقبة الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلب سلاحه وقام الى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله دعانا الأمير الى ضبط العقبة والحظ فى ذلك لنا فلم نطعه ثم لبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا اليه فاذا المهلب والمغيرة لا ثالث لهما فقالوا انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك ان شاء الله فلما اصبحوا اذا بالشراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه يزلق وتلقاه مدرك بن المهلب فى جماعة معه حتى ردوهم فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس اذا الشراة قد تألبوا فقال المهلب سبحان الله أفى مثل هذا اليوم يا مغيرة اكفنيهم فخرج اليهم المغيرة وأمامه سعد

ابن نجد القردوسى (١) وكان شجاعا متقدما فى شجاعته وكان المهلب اذا ظن برجل ان نفسه قد أعجبته قال له لو كنت سعد بن نجد القردوسى ما عدا فخرج أمام المغيرة وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كريه الوجه شديد الحملة صحيح الفروسية فأقبل يحمل على الناس وهو يقول .

نحن صبحناكم غداة النحر بالخيل أمثال الوشيج تجرى

فخرج اليه سعد بن نجد ثم تجاولا ساعة فطعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع يومئذ المغيرة فحامى عليه سعد وذبيان السختيانى وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عند سقطته حتى صاروا الى أبيه المهلب فقالوا قتل المغيرة ثم أتاه ذبيان السختيانى فاخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته

٨ وجه الحجاج بعد ذلك الجراح بن عبد الله الى المهلب يستبطئه فى مناجزة القوم وكتب اليه أما بعد فانك جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا واكثر عددا وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا ولكنك اتخذت أكلا وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا انكرتنى والسلام . فقال المهلب للجراح يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة الا احتلتها ولا مكيدة الا اعملتها وما العجب من ابطاء النصر وتراخى الظفر ولكن العجب ان يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال ولا يزالون كذلك الى العصر وينصرف اصحابه وبهم قرح وبالخوارج قرح وقتل فقال له قد أعذرت فكتب المهلب الى الحجاج أتانى كتابك تستبطئنى فى لقاء القوم على أنك لا تظن بى معصية ولا جبنا وقد عاتبتنى معاتبة الجبان وأوعدتنى وعيد العاصى فاسأل الجراح والسلام . فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاك قال والله ما رأيت أيها الأمير مثله قط ولا ظننت ان احدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون الى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتخابطون بالعمد ثم يروحون كانهم

---

(١) وقردوس من الازد

يصنعوا شيئا رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشد ما مدحته أباعقبة قال الحق أولى . وكانت رُكب الناس قديماً من الخشب فكان الرجل يُضرب ركابه فينقطع فاذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد وهو أول من أمر بطبعها وفى ذلك يقول عمران بن عصام العنزى .

ضربوا الدراهم فى امارتهم ... وضربت للحدثان والحرب
حلقا ترى منها مرافقهم ... كمناكب الجمالة الجرب

وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحي من بنى رياح بن يربوع بن حنظلة وهو والى اصبهان يأمره بالمسير الى المهلب وان يضم اليه جند عبد الرحمن ابن مخنف وان كل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه وأنت على أهل الكوفة فاذا دخلتم بلدا فتحه لأهل الكوفة فانت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة فقدم عتاب فى احدى جماديين من سنة ست وسبعين على المهلب وهو بسابور وهى من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس وعتاب على أصحاب ابن مخنف والخوارج فى أيديهم كرمان وهم بازاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحى فوجه الحجاج الى المهلب رجلين يستحثانه مناجزة القوم أحدهما يقال له زياد بن عبد الرحمن من بنى عامر بن صعصعة والآخر من آل أبي عقيل جد الحجاج فضم المهلب زيادا الى ابنه حبيب وضم الثقفى الى يزيد ابنه وقال لهما خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة فغادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبد الرحمن وفقد الثقفى ثم باكروهم فى اليوم الثانى وقد وجد الثقفى فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبا منهم والثقفى يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدى .

الا يا اصبحانى قبل عوق العوائق ... وقبل اختراط القوم مثل العقائق
غداة حبيب فى الحديد يقودنا ... نخوض المنايا فى ظلال الخوافق
حرون اذا ما الحرب طار شرارها ... وهاج عجاج الحرب فوق البوارق
فمن مبلغ الحجاج ان امينه ... زيادا أطاحته رماح الأزارق

فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانيـة أشـهر حتى ظهر شبيب فـكتب الحجاج الى عتاب يأمره بالمصير اليـه ليوجهه الى شبيب وكتب الى المهلب بأن يرزق الجند فرزق أهل البصرة وأبى ان يرزق أهل الـكوفة فقال له عتاب ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الـكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال عتاب للمهلب قد كان يبلغنى انك شجاع فرأيتك جبانا وكان يبلغنى انك جواد فرأيتك بخيـلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لـكنك مَعم مخول فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف ووثب ابن نعيم بن هبيرة بن أخى مصقلة على عتاب فشتمه وقد كان المهلب كارهاً للحلف فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سره الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكده فغضبت تميم البصرة لعتاب وغضبت أزد الـكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب فقال لعتاب يا أبا ورقاء ان الأمير يصير لك الى كل ما تحب وسأل اباه أن يرزق أهل الـكوفة فأجابه فصلح الأمر فـكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب وقال عتاب انى لأعرف فضله على أبيه وقال رجل من الأزد من بنى اياد بن سود

الا أبلغ بنى ورقاء عنا فلولا اننـا كنا غضابا
على الشيخ المهلب اذ جفانا للاقت خيلـكم منا ضرابا

وكان المهلب يقول لبنيه لا تبـدءوهم بقتال حتى يبدءوكم فيبغوا عليـكم فانهم اذا بغوا نصرتم عليهم . قول الصلتان العبدى . وقبل اخترط القوم مثـل العقائق . يعنى السيوف والعقائق جمع عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة برق أى كأنه لمعة برق ويقال انعقّ البرق اذا تبسم وللعقيقة مواضع يقال فلان بعقيقة الصبا أى بالشعر الذى ولد به لم يحلقـه ويقال عققت الشئ أى قطعته ومن ذا فلان يعق أبويه وكذا عققت عن الصبى اذا ذبحت عنه وقال اعرابى

ألم تعلمى يا دار بلجاء أننى اذا أجدبت أو كان خصبا جنابها
أحب بلاد الله ما بين مشرف الىّ وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تميمتى وأول ارض مس جلدى ترابها

٩ لما استدعى الحجاج عتابا ليوجهه الى شبيب شخص اليه سنة سبع وسبعين

فوجهه اليه فقتله شبيب وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا منهم كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بها اصحاب المهلب فرفع ذلك الى المهلب فقال أنا اكفيكموه ان شاء الله فوجه رجلا من اصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر قطرى فقال ألق هذا الكتاب فى عسكر قطرى واحذر على نفسك وكان الحداد يقال له أبزى فضى الرسول وكان فى الكتاب أما بعد فان نصالك قد وصلت الى وقد وجهت اليك بالف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب والدراهم الى قطرى فدعا بابزى فقال ماهذا الكتاب قال لا أدرى قال فهذه الدراهم قال ما أعلم علمها فأمر به فقتل فجاء عبد ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبين فقال له ما حال هذه الدراهم قال يجوز أن يكون امرها كذبا ويجوز أن يكون حقا فقال له قطرى قتل رجل فى صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه فى جماعة ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل انما سجدت لك ففعل النصرانى فقال له قطرى انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا . (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر ذلك عيسى شيئاً فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فانكر ذلك عليه وقال أقتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبلغ ذلك المهلب فوجه اليهم رجلا يسألهم عن شيء تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فمؤمن من أهل الجنة وأما الآخر الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الاختلاف فخرج قطرى الى حدود اصطخر فأقام شهرا والقوم فى اختلافهم ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخراق ياقوم انكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم

فيكم لما ظهر من اختلافكم فعودوا الى سلامة القلوب واجتماع الكلمة وخرج عمرو القنا فنادى يا أيها المحلون هل لكم فى الطراد فقد طال العهد به ثم قال

الم ترأنا مذ ثلاثون ليلة   قريب واعداء الكتاب على خفض

فتهايج القوم وأسرع بعضهم الى بعض فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب وصار فى وسط الأزارقة فجعلت الرماح تحطه وترفعه واعتورت رأسه السيوف وعليه ساعد حديد فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيئاً واستنقذه فرسان من الأزد بعد ان صرع وكان الذى صرعه عبيدة بن هلال وهو يقول

انا ابن خير قومه هلال * شيخ على دين أبى بلال * وذاك دينى آخر الليالى

فقال رجل للمغيرة كنا نعجب كيف تصرع والآن نعجب كيف تنجو وقال المهلب لبنيه ان سرحكم لغارّ ولست آمنهم عليه أفوكلتم به أحدا قالوا لا فلم يستتم الكلام حتى أتاه آت فقال ان صالح بن مخراق قد أغار على السرح فشق ذلك على المهلب وقال كل أمر لا أليه بنفسى فهو ضائع وتذمر عليهم فقال له بشر ابن المغيرة ارح نفسك فان كنت انما تريد مثلك فوالله لا يعدل أحدنا شسع نعلك فقال خذوا عليهم الطريق فثار بشر بن المغيرة ومدرك والفضل ابنا المهلب فسبق بشر الى الطريق فاذا رجل أسود من الازارقة يشلّ السرح أى يطرده وهو يقول .

نحن قمعناكم بشل السرح   وقد نكأنا القرح بعد القرح

ولحقه الفضل ومدرك فصاحا برجل من طيء اكفنا الاسود فاعتوره الطائى وبشر بن المغيرة فقتلاه وأسرا رجلا من الأزارقة فقال له المهلب ممن الرجل قال رجل من همدان قال انك لشين همدان وخلى سبيله وكان عياش الكندى شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك فقال المهلب لاوألت نفس الجبان بعد عياش وقال المهلب ما رأيت كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيد فيهم

قوله بشل السرح الشل الطرد ويقال نكأت القرحة مهموز ونكيت العدوّ غير مهموز من النكاية ونكأت القرحة نكأ قال ابن هرمة

ولا أراها تزال ظالمة   تحدث لى قرحة وتنكؤها

١٠ ثم ان الحجاج وجه الى المهلب رجلين أحدهما من كلب والآخر من سليم يستحثانه بالقتال فقال المهلب متمثلا

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وقال ليزيد حركهم فحركهم فتهايجوا وذلك فى قرية من قرى اصطخر فحمل رجل من الخوارج من بنى تميم ولا أدرى أعمرو القنا هو أو غيره على رجل من اصحاب المهلب فطعنه فشك فخذه بالسرج فقال المهلب للرجلين كيف نقاتل قوما هذا طعنهم وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرقاد وهو من فرسان المهلب وأحد بنى مالك بن ربيعة على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة وقد وضع عليها القطن فلما حمل يزيد ولى الجمع وحماهم فارسان فقال يزيد لقيس الخشنى مولى العتيك من لهذين قال أنا فحمل عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس فصرعه وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا الى الارض فصاح قيس اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا معانقه امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد أما انت فبارزتها على انها رجل فقال أرأيت لو قتلت أما كان يقال قتلته امرأة . وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسى فقال غلام له يقال له خلاج والله لوددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير الى مستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين فقال له مولاه وكيف تمنيت اثنتين قال لأعطيك احداهما وآخذ الأخرى فقال ابن المنجب

أخلاج انك لن تعانق طفلة شرقا بها الجادى كالتمثال
حتى تلاقى فى الكتيبة معلما عمرو القنا وعبيدة بن هلال
وترى المقعطر فى الكتيبة مقدما فى عصبة قسطوا مع الضلال
أو أن يعلك المهلب غزوة وترى جبالا قد دنت لجبال

وكان بدر بن الهذيل شجاعا وكان لحانة فكان اذا أحس بالخوارج نادى ياخيل الله اركبى وله يقول القائل

واذا طلبت الى المهلب حاجة عرضت توابع دونه وعبيد
العبد كردوس وعبد مثله وعلاج باب الاحمرين شديد

وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسنا عرف مكانه فيه وكانت بينه وبين بنى المهلب جفوة فقال لهم يا بنى عم انى قد قصرت عن شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأنى لا موصول ولا محروم فاجعلوا لى فرجة أعش بها هبونى امرأ رجوتم نصره أو خفتم لسانه فرجعوا له ووصلوه وكلموا فيه المهلب فوصله الشعر الذى تمثل به المهلب لأوس بن حجر وقوله زبنته يقول دفعته ولم يترمرم أى لم يتحرك يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم وقول ابن المنجب طفلة يقول ناعمة واذا كسرت الطاء فقلت طفلة فهى الصغيرة والجادى الزعفران والكتيبة الجيش وانما سمى الجيش كتيبة لانضمام اهله بعضهم الى بعض وبهذا سمى الكتاب ومنه قولهم كتبت البغلة والناقة وكتبت القربة اذا خرزت ذلك الموضع منها والمعلم الذى قد شهر نفسه بعلامة اما بعمامة صبيغ واما بشهرة واما بغير ذلك وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه معلما يوم بدر بريشة نعامة فى صدره وكان أبو دجانة وهو سماك بن خرشة الانصارى يوم أحد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ سيفى هذا بحقه قالوا وما حقه يا رسول الله قال أن يضرب به فى العدو حتى ينحنى قال أبو دجانة أنا فدفعه اليه فلبس مشهرة فاعلم بها وكان قومه يعلمون لما بلوا منه انه اذا لبس تلك المشهرة لم يبق فى نفسه غاية ففعل وخرج يمشى بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله عز وجل الا فى مثل هذا الموضع . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليا رضوان الله عليه يقول لفاطمة ورمى اليها بسيفه فقال هاك حميدا فاغسلى عنه الدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقه معك سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وفى بعض الحديث وقيس بن الربيع وكل هؤلاء من الانصار . عاد الحديث الى ذكر الخوارج وعمرو القنا من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكان شجاعا بئيسا قال رجل من عبد القيس من اصحاب المهلب

سائل بنا عمرو القنا وجنوده   وأبا نعامة سيد الكفار

وأبو نعامة قطرى وعبيدة بن هلال من بنى يشكر بن بكر بن وائل وكان

مع تقدمه فى الفروسية خطيبا شاعرا ذا فطنة ويروى أن قاضى قطرى وهو رجل من بنى عبد القيس سمع قوله

علا فوق عرش فوق سبع ودونه   سماء ترى الارواح من دونها تجرى

فقال له العبدى كفرت الا أن تأتى بمخرج قال عبيدة نعم روح المؤمن تعرج الى السماء قال صدقت . وقال يذكر رجلا منهم

يهوى وترفعه الرماح كأنه   شلو تنشب فى مخالب ضارى

فثوى صريعا والرماح تنوشه   ان الشراة قصيرة الاعمار

تنوشه تأخذه وتتناوله قال الله عز وجل وأنى لهم التناوش من مكان بعيد أى التناول ومثل بيته هذا قول حبيب الطائى

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى   افناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

وقال أيضا فى شبيه بهذا المعنى

ان ينتحل حدثان الموت أنفسكم   ويسلم الناس بين الحوض والعطن

فالماء ليس عجيبا ان أعذبه   يفنى ويمتد عمر الآجن الأسن

وقال أيضا

عليك سلام الله وقفا فاننى   رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال القاسم بن عيسى

أحبك يا جنان فأنت منى   مكان الروح من بدن الجبان

ولو انى أقول مكان روحى   لخفت عليك بادرة الزمان

لاقدامى اذا ما الحرب جاشت   وهاب حماتها حر الطعان

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى

أكان الجبان يرى انه   يدافع عنه الفرار الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان   ويسلم منها الشجاع البطل

رجع الحديث والمقعطر من عبد القيس وقوله قسطوا أى جاروا يقال قسط يقسط فهو قاسط اذا جار قال الله جل ثناؤه وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ويقال أقسط يقسط فهو مقسط اذا عدل قال لله تعالى ان الله يحب المقسطين

أما قول الآخر العبد كردوس فهو رجل من الازد وكان حاجب المهلب وقوله وعلاج باب الأحمرين شديد فالعرب تسمى العجم الحمراء وقد فسرنا ذا (١) وقوله توابع ارادبه الرجال فجاز فى الشعر وانما رده الى أصله للضرورة وما كان من النعوت على فاعل فجمعه فاعلون لئلا يلتبس بجمع فاعلة التى هى نعت وقد قلنا فى هذا ولم قالوا فوارس وهالك فى الهوالك . (٢)

١١ لما توغل المهلب وراء الخوارج ولى الحجاج كردما بلاد فارس فوجهه اليها والحرب قائمة فقال رجل من اصحاب المهلب

ولو رآها كردم لكردما كردمة العير أحس الضيغما

الضيغم الاسد والكردمة النفور فكتب المهلب الى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن اصطخر ودراب جرد لأرزاق الجند ففعل وكان قطرى هدم مدينة اصطخر لان أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه أزاذمرد بن الهربذ بمائة الف درهم فلم يهدمها (٣) فواقعه المهلب فهزمه ونفاه الى كرمان واتبعه ابنه المغيرة وقد كان دفع اليه سيفا وجه به الحجاج الى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى ابنه المغيرة بعد ما تقلد به فرجع به المغيرة اليه وقد دماه فسر المهلب بذلك وقال مايسرنى ان أكون كنت دفعته الى غيرك من ولدى اكفنى جباية خراج هاتين الكورتين وضم اليه الرقاد فجعلا يجبيان ولا يعطيان الجند شيئا ففى ذلك يقول رجل منهم واحسبه من بنى تميم فى كلمة له

ولو علم ابن يوسف ما نلاقى من الآفات والكرب الشداد
لفاضت عينه جزعا علينا وأصلح ما استطاع من الفساد
الا قل للأمير جزيت خيرا أرحنا من مغيرة والرقاد
فما رزقا الجنود بها قفيزا وقد ساست مطامير الحصاد

يقال ساس الطعام وأساس اذا وقع فيه السوس وداد واداد من الدود وروى

---

(١) راجع هامش الفهرس السباعى . (٢) راجع هامش الفهرس . السباعى
(٣) تقدمت له حكاية مع الحجاج عن محمد بن المنتشر الهمذانى السباعى

ابو زيد ديد فهو ممدود فى هذا المعنى قال فحاربهم المهلب بالسيرجان حتى نفاهم عنها الى جيرفت واتبعهم فنزل قريبا منهم

١٢ لما نفى المهلب القوم الى جيرفت ونزل قريبا منهم اختلفت كلمتهم وكان سبب ذلك ان عبيدة بن هلال اليشكرى اتهم بامرأة رجل حداد رأوه مرارا يدخل منزله بغير اذن فأتوا قطريا فذكروا ذلك له فقال لهم ان عبيدة من الدين بحيث علمتم ومن الجهاد بحيث رأيتم فقالوا انا لا نقارّه على الفاحشة فقال انصرفوا ثم بعث الى عبيدة فأخبره وقال انا لا نقار على الفاحشة فقال بهتونى يا أمير المؤمنين فما ترى قال انى جامع بينك وبينهم فلا تخضع خضوع المذنب ولا تتطاول تطاول البرىء فجمع بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم الآيات فبكوا وقاموا اليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا ففعل فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بنى قيس ابن ثعلبة والله لقد خدعكم فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة فى اقامة الحد ثبتا وكان قطرى قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطريا فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطرى انى استعملته وله ضياع وتجارات فأوغر ذلك صدورهم وبلغ هذا المهلب فقال ان اختلافهم أشد عليهم منى وقالوا لقطرى ألا تخرج بنا الى عدونا قال لا ثم خرج فقالوا قد كذب وارتد فاتبعوه يوما فاحس بالشر فدخل دارا مع جماعة من أصحابه فصاحوا به يا دابة اخرج الينا فخرج اليهم فقال رجعتم بعدى كفارا فقالوا أولست دابة قال الله عز وجل (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) ولكنك قد كفرت بقولك انا قد رجعنا كفارا فتب الى الله عز وجل قال فشاور عبيدة بن هلال فقال ان تبت لم يقبلوا منك ولكن قل انما استفهمت فقلت أرجعتم بعدى كفارا فقال ذلك فقبلوه منه فرجع الى منزله وعزم ان يبايع المقعطر العبدى فكرهه القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم ابغ لنا غير المقعطر فقال قطرى أرى طول العهد قد غيركم وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله وأقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم فقال صالح ان الناس قبلنا

ساموا عثمان بن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصى ففعل ويجب على الامام أن يعفى الرعيـة مما كرهت فأبى قطرى أن يعزله فقال له القوم انا خلعناك وولينا عبدربه الصغير فانفصل الى عبد ربه اكثر من الشطر وجلهم الموالى والعجم وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القراء ثم ندم صالح فقال لقطرى هـذه نفحـة من نفحات الشيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا الى عدوك فأبى قطرى الا المقعطر فحمل فتى من العرب على صالح فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله ومعنى أجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه . قال عنترة

وآخر منهـم أجررت رمحى ... وفى البجـلى معبـلة وقيع

فنشبت الحرب بينهـم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم الى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديدا فأجلت الحرب عن أمى قتيل فلما كان الغد باكروهم القتال فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة وأقام عبد ربه بها وصار قطرى خارجا منها بازائهم فقال له عبيدة يا أمير المؤمنين أن أقمت لم آمن هذه العبيد عليك الا أن تخندق فخندق على باب المدينة وجعل يناوشهم وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الامير عاجلهم قبل أن يصطلحوا فقال المهلب انهم لن يصطلحوا ولـكن دعهم فأنهم سيصيرون الى حال لا يفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطرى فقل انى لم أزل ارى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذا فبان خطؤه أيقيم بين المهلب وعبد ربه يغاديه هذا القتال ويراوحه هذا فنمى الكلام الى قطرى فقال صدق تنحوا بنا عن هذا الموضع فان اتبعنا المهلب قاتلناه وان اقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون فقال له الصلت بن مرة ياأمير المؤمنين ان كنت تريد الله فأقدم على القوم وان كنت تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا وأنشأ يقول

قل للمحلين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناسا عـلى دين ففيرنا ... طول الجدال وخلط الجد باللعب
ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم ... عن الجدال وأغناهم عن الخطب
انى لاهونكم فى الأرض مضطربا ... مالى سوى فرسى والرمح من نشب

ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه منه فارتحل قطرى هاربا وفى هربهم هذا يقول عبيدة بن هلال .

مازالت الاقدار حتى قذفتني بقومس بين الفرّخان وصول

١٣ لما ارتحل قطرى وبلغ ذلك المهلب قال لهريم بن عدى بن أبى طحمة المجاشعي انى لا آمن ان يكون قطرى كادنا بترك موضعه فاذهب فتعرف الخبر فمضى هريم فى اثنى عشر فارسا فلم ير فى العسكر الاعبدا وعلجا فسألهما عن قطرى وأصحابه فقال مضوا يرتادون غير هـذا المنزل فرجع هريم الى المهلب فأخبره فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطرى ثم جعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشى ففى ذلك يقول رجل من سدوس يقال له المعنق وكان فارسا

ليت الحرائر بالعراق شهدننا ورأيننا بالسفح ذى الاجبال

فيكحن أهل الجزء من فرساننا والضاربين جماجم الابطـال

ووجه المهلب يزيد الى الحجاج يخبره انه قد نزل منزل قطرى وانه مقيم على عبد ربه ويسأله ان يوجه فى اثر قطرى رجـلا جلدا فى جيش فسر ذلك الحجاج سرورا أظهره (حدثنا يموت بن المزرع البصرى قال حدثنا رفيع بن سلمة المنبز بدماذ قال حدثنا ابو عبيدة قال قال الحجاج يوما لعمائر العرب وهم فى مجلسـه ما احسب هذا المزونى يعنى المهلب يناصحنا فى حربنا والرأى مشترك فقالوا الرأى للامير أصلحه الله ان يكتب الى ابن الفجاءة باطعامه بعض الارضين فاذا هو نخع بطاعتـه واظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيـه فقال وفقكم الله وكتب الى ابن الفجاءة وانفـذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى قطرى بن الفجاءة سلام عليك الموحد الله والمصلى عليه محمد عليـه السلام أما بعد فانك كنت اعرابيا بدويا تستطعم الكسرة وتخف الى التمرة ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت عليه بما زين لك وادعنى فقد آن لك . فلما أوصل الغضبان الكتاب الى قطرى قال ياغلام ازبر هـذه الصحيفة فتلا عليـه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء فقال ياغضبان ألفيتنى

محزونا وانشأ يقول

فيا كبدا من غير جوع ولا ظما ... وواكبدا من وجد أم حكيم
فلو شهدتني يوم دولاب أبصرت ... طعان فتى فى الحرب غير لئيم
غداة طفت علماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول جدنا ... وآب عميد الأزد غير ذميم

يعنى المهلب وأم حكيم هذه امرأة من الخوارج قتلت بين يديه ثم قال ياغلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على من اتبع الهدى ذكرت فى كتابك انى كنت بدويا استطعم الكسرة وابدر الى التمرة وبالله لقد قلت زورا بل الله بصرنى من دينه ما اعماك عنه اذ أنت سائح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر وذكرت أن الضرورة طالت بي فهلا برزلى من حزبك من نال الشبع واتكأ فاتدع أما والله لئن ابرزا الله صفحتك وأظهرلى صلعتك لتنكرن شيعتك ولتعلمن أن مقارعة الابطال ليس كتسطير الامثال).
ثم كتب الى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب وفى الكتاب . أما بعد فانك تراخى عن الحرب حتى تأتيك رسلى فترجع بعذرك وذلك انك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ولو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم ولعمرى ما أنت والقوم سواء لان من ورائك رجالا وأمامك أموالا وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير . فقال المهلب لاصحابه ان الله عز وجل قد أراحكم من اقران اربعة قطرى بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع وانما بين أيديكم عبد ربه فى خشار من خشار الشيطان تقتلونهم ان شاء الله فكانوا يتغادون القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون كانما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم الى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قد بان عذرك وأنا مخبر الامير فكتب المهلب اليه . أما بعد فانى لم أعط رسلك على قول الحق أجرا ولم أحتج منهم مع المشاهدة الى تلقين ذكرت انى اجم القوم ولا بد من راحة يستريح فيها

الغالب ويحتال فيها المغلوب وذكرت ان فى ذلك الجمام ماينسى القتلى وتبرأ منه الجراح وهيهات ان ينسى ما بيننا وبينهم تأبى ذلك قتلى لم تجن وقروح لم تتقرف ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ان طمعوا حاربوا وان ملوا وقفوا وان يئسوا انصرفوا وعلينا ان نقاتلهم اذا قاتلوا ونتحرز اذا وقفوا ونطلب اذا هربوا فان تركتنى والرأى كان القرن مقصوما والداء باذن الله محسوما وان اعجلتنى لم أطعك ولم أعص وجعلتُ وجهى الى بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس . ولما اشتد الحصار على عبدربه قال لاصحابه لا تفتقروا الى من ذهب عنكم من الرجال فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره والمسلم اذا صح توحيده عز بربه وقد أراحكم الله من غلظة قطرى وعجلة صالح بن مخراق واختلاط عبيدة بن هلال ووكلكم الى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونية وانتقلوا عن منزلكم هذا من قتل منكم قتل شهيدا ومن سلم من القتل فهو المحروم وقدم فى هذا الوقت على المهلب عبيد بن أبى ربيعة ابن أبى الصلت الثقفى يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال له خالفت وصية الأمير وآثرت المدافعة والمطاولة فقال له المهلب ما تركت جهدا فلما كان العشى خرج الأزارقة وقد حملوا حرمهم واموالهم وخف متاعهم لينتقلوا فقال المهلب لأصحابه الزموا مصافكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب فقال له عبيد هذا لعمرى أيسر عليك فقال للناس ردوهم عن وجهتهم وقال لبنيه تفرقوا فى الناس وقال لعبيد بن أبى ربيعة كن مع يزيد نخذه بالمحاربة أشد الأخذ وقال لأحد الامينين كن مع المغيرة ولا ترخص له فى الفتور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عقرت الدواب وصرع الفرسان وقتلت الرجال فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الخسيس أشد قتال وسقط رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادى يقول

الليل ليل فيه ويل ويل   وسال بالقوم الشراة السيل

ان جاز للاعداء فينا قول

فلما عظم الخطب فيه بعث المهلب الى المغيرة خل عن الرمح عليهم لعنة الله

فخلى لهم عنه ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من « جيرفت » ودخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خلفوه من رقيق وختم عليه هو والثقفى والأمينان .

١٤ لما ارتحل الخوارج عن جيرفت ودخلها المهلب أمر باتباعهم فاذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الا قوى يأتى الرجل بالدلو قد شدها فى طرف رمحه فيستقى بها وهناك قرية فيها أهلها قال فغاداهم القتال وضم الثقفى الى يزيد وأحد الأمينين الى المغيرة واقتتل القوم الى نصف النهار فقال المهلب لأبى علقمة العبدى وكان شجاعا عاتيا أمدد بخيل اليحمد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال له ان جماجمهم ليست بفخار فتعار وليست أعناقهم كرادى فتنبت (١) وقال لحبيب بن اوس كر على القوم فلم يفعل وقال

يقول لى الأمير بغير علم تقدم حين جد به المراس

فمالى ان اطعتك من حياة ومالى غير هذا الرأس راس

نصب غير لأنه استثناء مقدم وقد فسرناه (٢) وقال لمعن بن المغيرة بن أبى صفرة احمل فقال لا الا ان تزوجنى ام مالك بنت المهلب ففعل فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم وقال .

ليت من يشترى الغداة بمال هالكه اليوم عندنا فيرانا

نصل الكر عند ذاك بطعن ان للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج فالتفت عند ذلك المهلب الى المغيرة فقال ما فعل الأمين الذى كان معك قال قتل وكان الثقفى قد هرب وقال ليزيد ما فعل عبيد بن أبى ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الأمين الآخر للمغيرة أنت قتلت صاحبى فلما كان العشى رجع الثقفى فقال رجل من بنى عامر بن صعصعة .

ما زلت يا ثقفى تخطب بيننا وتغمنا بوصية الحجاج

---

(١) قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لأعذاق النخل كراد وهو فارسى اعرب (٢) راجع هامش الفهرس . السباعي

حتى اذا ما الموت أقبل زاخرا ... وسما لنا صرفا بغير مزاج
وليت يا ثقفى غير مناظر ... تنساب بين أحزة وفجاج
ليست مقارعة الكماة لدى الوغى ... شرب المدامة فى اناء زجاج

الاحزة جمع حزيز وهو متن ينقاد من الأرض ويغلظ والفجاج الطرق واحدها فج وقال المهلب للأمين الآخر ينبغى ان تتوجه مع ابنى حبيب فى الف رجل حتى تبيتوا عسكرهم فقال ما تريد أيها الأمير الا ان تقتلنى كما قتلت صاحبى قال ذاك اليك وضحك ولم تكن للقوم خنادق فكان كل حذرا من صاحبه غير ان الطعام والعدة مع المهلب وهم فى زهاء ثلاثين الفا فلما أصبح اشرف على واد فاذا هو برجل معه رمح مكسور قد خضبه بالدماء وهو ينشد

جزانى دوائى ذو الخمار وصنعتى ... اذا باتَ اطواء بنىَّ الأصاغر
أخادعهم عنه ليغبق دونهم ... وأعلم غير الظن أنى مغاور
كأنى وابدان السلاح عشية ... يمر بنا فى بطن فيحان طائر

فدعاه المهلب فقال أتميمى أنت قال نعم قال أحنظلى قال نعم قال أيربوعى قال نعم قال أثعلبى قال نعم قال أمن آل نويرة قال نعم انا من ولد مالك بن نويرة وسبحان الله أيها الأمير أيكون مثلى فى عسكرك لا تعرفه قال عرفتك بالشعر قال فمكثوا اياما على غير خنادق يتحارسون ودوابهم مسرجة ولم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها عبد ربه جمع أصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله فى الدنيا يهبها لكم فى الآخرة فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا نسي به ما كان قبله فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعنى على الموت فبايعه أربعون رجلا من الأزد وغيرهم فصرع بعضهم وقتل بعض وجرح بعض فقال عبد الله بن رزام الحارثى وكان من أهل نجران لأصحاب المهلب احملوا فقال المهلب أعرابى مجنون فحمل وحده فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع ثم كر ثانية ففعل

فعلته الأولى وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو القنا ولم يترجل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء اربعمائة موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا انا اذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب باصحابه الأرض الأرض وقال لبنيه تفرقوا فى الناس ليروا وجوهكم ونادى الخوارج ألا ان العِيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدى أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يا بنى انى أرى موطنا لا ينجو فيه الا من صبر وما مرّ بى يوم مثل هذا منذ مارست الحروب وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا فاجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا فهرب عمرو القنا وأصحابه واستأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج فأمر المهلب بأن يدفع كل جريح الى عشيرته وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف الى جيرفت .

قول الشاعر ذو الخمار يعنى فرسا وكان ذو الخمار فرس مالك بن نويرة قال جرير يهجو الفرزدق .

يربوع فخرتَ وآل سعد فلا مجدى بلغت ولا افتخارى
بيربوع فوارس كل يوم يوارى شمسه رهج الغبار
عتيبة والأحيمر وابن عمرو وعتاب وفارس ذى الخمار

وقوله أطواه يقال رجل طوى البطن أى منطو يخبر انه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم جياع وذلك قوله . أخادعهم عنه ليغبق دونهم . والغبوق شرب آخر النهار وهذا شىء تفتخر به العرب قال الأسعر الجُعْفى

لكن قعيدة بيتنا مجفوة باد جناجن صدرها ولها غنى
تُقفى بعيشة أهلها وثابة أوجُرشعاً نهد المراكل والشوى

١٥ لما عاد المهلب الى جيرفت بعد قتل عبد ربه والقضاء على اصحابه قال الحمد لله الذى ردنا الى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيش ثم نظر الى قوم فى عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولونى درعى فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صير بهم اليه قال ما أنتم قالوا نحن قوم جئنا نطلب غرتك لنفتك بك

فأمر بهم فقتلوا ثم وجه كعب بن معدان الاشقرى ومرة بن تليد الأزدى من أزد شنوءة فوفدا على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فانشده

يا حفص انى عدانى عنكم السفر (١) فقال له الحجاج أشاعر أم خطيب قال كلاهما ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال له اخبرنى عن بنى المهلب قال المغيرة فارسهم وسيدهم . وكفى بيزيد فارسا وشجاعا . وجوادهم وسخيهم قبيصة . ولا يستحيي الشجاع أن يفر من مدرك . وعبد الملك سم ناقع . وحبيب موت زعاف . ومحمد ليث غاب . وكفاك بالمفضل نجدة . قال فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أملوا وأمنوا ماخافوا . قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات . قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفها . قال فكيف كنتم انتم وعدوكم قال كنا اذا أخذنا عفونا واذا أخذوا يئسنا منهم واذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف افلتكم قطرى قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه الى الذى نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان الحد عندنا آثر من الفل قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشا فيهم الأمن وشملهم النفل قال أكنت أعددت لى هذا الجواب قال لايعلم الغيب الا الله قال فقال الحجاج هكذا تكون والله الرجال المهلب كان أعلم بك حيث وجهك وكان كتاب المهلب الى الحجاج . بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله الكافى بالاسلام فقد ما سواه الذى حكم بألا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده . أما بعد فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم اكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا اكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ونوم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة فى وقت امكانها وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . فكتب اليه الحجاج أما بعد فان الله عز وجل قد

---

(١) وقد سهرت فأردى نومى السهر

فعل بالمسلمين خيرا وأراحهم من حد الجهاد وكنت أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابى هـذا فاقسم فى المجاهدين فيئهم ونفل الناس على قدر بلائهم وفضل من رأيت تفضيله وان كانت بقيت من القوم بقية تخلف خيلا تقوم بأزائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهما من ولدك ولا ترخص لأحد فى اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم على وعجل القدوم ان شاء الله. فولى المهلب ابنـه يزيد كرمان وقال له يابنى انك اليوم لست كما كنت انما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج ولن تحتمل الا على ما احتمل عليه أبوك فأحسن الى من معك وان انكرت من انسان شيئا فوجهه الى وتفضل على قومك ثم قدم المهلب على الحجاج

١٦ لما قدم المهلب على الحجاج اجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الأيادى

وقلدوا أمركم لله دركم	رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه	هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده	ولا اذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر أشطره	يكون متبعاً طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته	مستحكم الرأى لا قحما ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير والله لكأنى اسمع الساعة قطريا وهو يقول « المهلب كما قال لقيط الايادى » ثم أنشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى امتلأ سرورا . فقال المهلب انا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أحد ولكن دمغ الحق الباطل وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للتقوى وكان ما كرهناه من المطاولة خيرا مما أحببناه من العجلة فقال له الحجاج صدقت اذكر لى القوم الذين أبلوا وصف لى بلاءهم فأمر المهلب الناس فكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ماذخر الله لكم خير لكم من عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم فى البلاء وتفاضلهم فى الغناء وقدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمدا وقال انه والله لو تقدمهم أحد فى البلاء لقدمته عليهم ولولا أن

أظلمهم لآخرتهم قال الحجاج صدقت وما أنت بأعلم بهم منى وان حضرت وغبت انهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر المهلب معن بن المغيرة بن أبى صفرة والرقاد واشباههما فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذا فارس العرب فقال الرقاد أيها الامير انى كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمنى الصبر ويجعلنى أسوة نفسه وولده ويجازينى على البلاء صرت أنا واصحابى فرسانا فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم وزاد ولد المهلب الفين وفعل بالرقاد وجماعة شبيها بذلك

وقال جيب بن عوف من قواد المهلب

أبا سعيد جزاك الله صالحة — فقد كفيت ولم تعنف على أحد
داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا — وكنت كالوالد الحانى على الولد

وقال المغيرة بن حبناء الحنظلى من أصحاب المهلب

انى امرؤ كفنى ربى واكرمنى — عن الامور التى فى رعيها وخم
وانما أنا انسان أعيش كما — عاشت رجال وعاشت قبلها أمم
ماعاقنى عن قفول الجند اذقفلوا — عنى بما صنعوا عجز ولا بكم
ولو أردت قفولا ما تجهمنى — اذن الأمير ولا الكتاب اذرقموا
ان المهلب ان اشتق لرؤيته — أو امتدحه فان الناس قد علموا
ان الأريب الذى ترجى نوافله — والمستعان الذى تجلى به الظلم
القائل الفاعل الميمون طائره — أبو سعيد اذا ما عدّت النعم
ازمانَ ازمانَ اذعض الحديد بهم — واذ تمنى رجال انهم هزموا

قول الحجاج نفل الناس أى اقسم بينهم والنفل العطية التى تفضل كذا كان الأصل وانما تفضل الله عزوجل بالغنائم على عباده قال لبيد . ان تقوى ربنا خير نفل (١) وقال جل جلاله (يسألونك عن الأنفال) ويقال نفلتك كذا وكذا أى أعطيتك ثم صار النفل لازماً واجباً . وقول الأيادى رحب الذراع فالرحب الواسع وانما هذا مثل يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين والذراعين وليس المعنى

---

(١) وباذن الله ريث وعجل .

على تباعد الخلق ولكن على سهولة الأمر عليه قال الشاعر

رحيب الذراع بالتى لا تشينه　　وان قيلت العوراء ضاق بها ذرعا

وكذا قوله عز وجل (يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله مضطلعا انما هو مفتعل من الضليع وهو الشديد يريد انه قوى على أمر الحرب مستقل بها وقوله . يكون متبعاً طورا ومتبعاً : أى قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس واتبع فعلم ما يصلح الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ألناوايل علينا أى قد اصلحنا أمور الناس وأصلحت أمورنا وقوله على شزر مريرته فهذا مثل يقال شزرت الحبل اذا كررت فتله بعد استحكامه راجعا عليه والمريرة الحبل والضرع الصغير الضعيف والقحم آخر سن الشيخ قال العجاج

رأين قحما شاب واقلحما　　طال عليه الدهر فاسلهما

والمقلحم مثل القحم وهو الجاف ويقال للصبى مقلحم اذا كان سيء الغذاء أو ابن هرمين ويقال رجل انقحل وامرأة انقحلة اذا أسن حتى ييبس والمسلهم الضامر قال الشاعر . لما رأتنى خلقا انقحلا . ويقال فى معنى قحم قحر ويقال بعير قحارية فى هذا المعنى وقوله لا يطعم النوم الا ريث يبعثه هم فريث وعوض مما يضاف الى الأفعال وتأويله انه لا يطعم النوم الا يسيرا حتى يبعثه الهم فمعناه مقدار ذلك . ومما يضاف الى الافعال اسماء الزمان كقوله عز ذكره (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فاسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل نحو قولك آتيك يوم يخرج زيد وجئتك يوم قام عبد الله وما كان منها فى معنى الماضى جاز ان يضاف الى الابتداء والخبر فتقول جئتك يوم زيد أمير ولا يجوز ذلك فى المستقبل وذلك لأن الماضى فى معنى اذ وأنت تقول جئتك اذ زيد أمير والمستقبل فى معنى اذا فلا يجوز ان تقول أجيئك اذا زيد أمير فلذلك لا يجوز اجيئك يوم زيد أمير فاما الأفعال فى اذا واذ فهى بمنزلة واحدة تقول جئتك اذ قام زيد وأجيئك اذا قام زيد فهذا واضح بين . ومما يضاف الى الفعل ذو فى قولك افعل ذاك بذى تسلم وافعلاه بذى تسلمان معناه بالذى يسلمكما . ومن ذلك آية فى قوله

بآية تقدمون الخيل شعثا   كأن على سنابكها مداما

والنحو يتصل ويكثر وانما تركنا الاستقصاء لأنه موضع اختصار

الفصل الثانى فى الموالى

١ كانت قريش تعز الحليف وتكرم المولى وتكاد تلحقه بالصميم وكانت العرب تفعل ذلك ولقريش فيه تقدم

٢ وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش موتة زيدا مولاه وقال ان قتل فأميركم جعفر . وأمر اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا فى امارته وكانت امرته على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار فقال عليه الصلاة والسلام ان طعنتم فى امارته لقد طعنتم فى امارة أبيه قبله ولقد كان لها أهلا وان اسامة لها لاهل . وقالت عائشة لو كان زيد حياً ما استخلف رسول الله غيره . وقال عبدالله بن عمر لأبيه لم فضلت أسامة علىّ وأنا وهو سيان فقال كان أبوه أحب الى رسول الله من أبيك وكان هو أحب الى رسول الله منك . وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أسامة أذى من مخاط أولعاب فكأنها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . وقال له يوماً ولم يكن أسامة من أجمل الناس لو كنت جارية لنحلناك وحليناك حتى يرغب الرجال فيك . وفى بعض الحديث انه قال أسامة من أحب الناس الىّ .

٣ ويروى ان سلمان أخذ من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها فى فيه فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أباعبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا . وكان صلى الله عليه وسلم أدى الى بنى قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولاه ولذا قال على بن أبى طالب سلمان منا أهل البيت .

٤ ودخل سديف مولى أبى العباس على أبى العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف أقبل على ابى العباس وقال

لا يغرنك ما ترى من أناس   ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى   لا ترى فوق ظهرها أمويا

فاقبل عليه سليمان فقال قتلتنى أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فدخل فاذا المنديل قد ألقى فى عنق سليمان ثم جر فقتل .

ودخل شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على وقد أجلس ثمانين رجلا من بنى أمية على سمط الطعام فمثل بين يديه فقال

أصبح الملك ثابت الآساس   بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها   بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا   واقطعن كل رقلة وأواسى
ذلها أظهر التودد منها   وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظنى وغاظ سوائى   قربهم من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها الله   بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدا   وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذى بحران أضحى   ثاويا بين غربة وتناسى
نعم شبل الهراش مولاك شبل   لو نجا من حبائل الأفلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً ثم قال لشبل لولا انك خلطت كلامك بالمسألة لأغنمتك جميع أموالهم ولعقدت لك على جميع موالى بنى هاشم

قوله الآساس واحدها أس وتقديره فعل وأفعال وقد يقال للواحد أساس وجمعه أسس والبهلول الضحاك . وقوله بعد ميل من الزمان وياس يقال فيك ميل علينا وفى الحائط ميل وكذلك كل منتصب . وقوله واقطعن كل رقلة الرقلة النخلة الطويلة ويقال اذا وصف الرجل بالطول كأنه رقلة والأواسى ياؤه مشددة فى الأصل وتخفيفها يجوز ولو لم يجز فى الكلام لجاز فى الشعر لأن القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه فى القوافى جائز كقوله .

. أصحوت اليوم أم شاقتك هر (١) . وواحدها آسية وهي أصل البناء بمنزلة الأساس . وقوله وغاظ سوائى تقول ما عندى رجل سوى زيد فتقصر اذا كسرت أوله فاذا فتحت اوله على هذا المعنى مددت قال الأعشى

تجانف عن جو اليمامة ناقتى   وماقصدت من أهلها لسوائكا

والسواء ممدود فى كل موضع وان اختلفت معانيه فهذا واحد منه والسواء الوسط ومنه قوله عز وجل فاطلع فرآه فى سواء الجحيم   وقال حسان

يا ويح أنصار النبى ورهطه   بعد المغيب فى سواء الملحد

والسواء العدل والاستواء ومنه قوله عز وجل الى كلمة سواء بيننا وبينكم ومن ذلك عمرو وزيد سواء والسواء التمام يقال هذا درهم سواء وأصله من الأول . وقوله عزوجل فى أربعة أيام سواءً للسائلين معناه تماما ومن قرأ سواءٍ فانما وضعه فى موضع مستويات والنمارق واحدتها نمرقة وهى الوسائد قال الفرزدق

وانا لتجرى الكأس بين شروبنا   وبين أبى قابوس فوق النمارق

وقال نصيب .

اذا ما بساط اللهو مد وقربت   للذاته انماطه ونمارقه

وقوله مصرع الحسين وزيدا يعنى زيد بن على بن الحسين كان خرج على هشام بن عبدالملك وقتله يوسف بن عمر الثقفى وصلبه بالكناسة عريانا هو وجماعة من أصحابه ويروى الزبيريون انه كان بين يوسف بن عمر وبين رجل احنة فكان يطلب عليه علة فلما ظفر بزيد بن على واصحابه أحسوا بالصلب فاصلحوا من أبدانهم واستحدوا فصلبوا عراة وأخذ يوسف عدوه ذلك فنحله انه كان من اصحاب زيد فقتله وصلبه ولم يكن استحد لانه كان عند نفسه آمنا . وكان بالكوفة رجل معتوه عقده التشيع فكان يجىء فيقف على زيد واصحابه فيقول صلى الله عليك يا ابن رسول الله فقد جاهدت فى الله حق جهاده وانكرت الجور ودافعت الظالمين ثم يقبل عليهم رجلا رجلا فيقول وأنت يا فلان فجزاك الله خيرا فقد جاهدت فى الله حق جهاده وانكرت الجور ونصرت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ومن الحب جنون مستعر

حتى يقف على عـدو يوسف فيقول فأما أنت يا فلان فوفور عانتـك يدل على انك برىء مما قرفت به . وقال حبيب بن جَدَرة الهلالى ويقال جُدْرة (١) وهى السلعة وهو من الخوارج يعنى زيد بن على

يابا حسـين لو شراة عصابة   صبحوك كان لوردهم اصـدار
يابا حسين والجديد الى بـلى   أولاد دَرْزة اسلموك وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط أولاد درزة وتقول لمن تسبه ابن فرتنى وتقول للصوص بنو غبراء وفى هذا باب . ويروى أن شاعرا لبنى أمية قال معارضا للشيع فى تسميتهم زيدا المهدى والشاعر هو الاعور الكلبى

صلبنا لـكم زيدا على جذع نخلة   ولم نر مهديا على الجذع يصلب

ونظر بعد زمين الى رأس زيد ملقى فى دار يوسف وديك ينقره فقال قائل من الشيعة

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد   طالما كان لاتطاه الدجاج

وقوله وقتيلا بجانب المهراس يعنى حمزة بن عبد المطلب والمهراس ماء بأحد ويروى فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه على فى دَرَقة بماء من المهراس فعافه فغسل به الدم عن وجهه وقال ابن الزبعرى فى يوم أحد

ليت أشياخى ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل
فاسأل المهراس من ساكنه   بعد أبدان وهام كالحجل

وانما نسب شبل قتـل حمزة الى بنى أمية لان أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد والقتيل الذى بحران هو ابرهيم بن محمد بن على وهو الذى يقال له الامام وكان يقال ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن أبى طالب واصحابه ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب واصحابه

---

(١) قال الاخفش الصحيح عندنا ابن خِدرة بالخاء وكسرها وقال المبرد لم اسمعه الا جَدَرة ويقال جُدره

٦ ويروى أن المهدى نظر اليه ويد عمارة بن حمزة فى يده فقال له رجل من هذا يا أمير المؤمنين فقال أخى وابن عمى عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر ذلك المهدى كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت أن تقول ومولاى فأنفض والله يدك من يدى فتبسم أمير المؤمنين المهدى

٧ وقد كان فى قريش من فيه جفوة و نبوة للموالى كان نافع بن جُبَير أحد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشى قال واقوماه وان قيل عربى قال واماداتاه وان قيل مولى أو عجمى قال اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت .

٨ ولم يكن الاكرام للموالى فى جفاة العرب زعم الأصمعي قال سمعت اعرابيا يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا فى الجنة قال أرى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك . ويروى أن ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فأما العجم فهم عبيدك والامر اليك . وزعم الليثى (١) انه كانت بين جعفر ابن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدى مسمع مولى له ذو بهاء ورواء ولسن فوجه جعفر الى مسمع مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان أنصفنى والله جعفر أنصفته وان حضر حضرت معه وان عَنَد عن الحق عندت عنه وان وجه الىّ مولى مثل هذا وأومأ الى مولى جعفر وجهت اليه مولى مثل هذا عاضا لما يكره وأومأ الى مولاه فعجب أهل المجلس من وضعه مولاه ذاك الذى تبهى بمثله العرب وقد قيل الرجل لأبيه والمولى من مواليه وفى بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طينة المعتق

٩ ويروى أن رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هداب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى أذن له فى هدم داره فأدخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحها سافا كف عنه ثم قال يا عمرو قد أريتك القدرة وسأريك العفو

---

(١) هو الجاحظ

١٠ قال أبو العباس قال الليثى أعتق سعيد بن العاصي أبا رافع الا سهما واحدا فيه من اسهم لم يسم عددها لنا فاشترى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ذلك السهم فاعتقـه وكان لأبى رافع بنون أشراف منهم عبيد الله بن أبى رافع وحـديثه أثبت الحديث عن على بن أبى طالب وكان كالكاتب له وكان عبيد الله ابن أبى رافع شريفاً وكان ينسب الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولى عمرو بن سعيد الأشدق المدينة لم يعمل شيئا قبـل ارساله الى عبيد الله بن أبى رافع فقال له مولى من أنت قال مولى رسول الله صلى الله عليه وسـلم فأبرزه فضربه مائة سوط ثم قال له مولى من أنت فقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه مائة أخرى فلما رأى عبد الله اخاه عبيدا غير راجع وأن عمرا قد ألح عليه فى ضربه قام الى عمرو فقال له اذكر الملح فأمسك عنـه والملح هاهنا اللبن يريد الرضاع كما قال أبو الطمحان القينى

وانى لأرجو ملحها فى بطونـكم ... وما بسطت من جلد أشعث أغبرا (١)

وكما قال الآخر

لا يبعد الله رب العباد ... والملح ما ولدت خالده

١١ ويروى ان عبيد الله بن أبى رافع أتى الحسن بن على بن أبى طالب فقال انا مولاك فقال فى ذلك مولى لتمام بن عباس بن عبد المطلب يعذله ويعيره

جحدت بنى العبـاس حق أبيهم ... فما كنت فى الدعوى كريم العواقب

متى كان اولاد البنات كوارث ... يحوز ويدعى والدا فى المناسب

(قال أبو العباس) يريد ان العباس أولى بولاء مولى رسول الله صـلى الله عليه وسلم لأن العم مدعو والدا فى كتاب الله تعالى وهو يحوز الميراث . وقال رجل من الثقفيين أنشدت مروان بن أبى حفصة هذين البيتين فوقع عندى أنه من هذا أخذ قوله .

انى يكون وليس ذاك بكائن ... لبنى البنات وراثة الأعمام

---

(١) كذا وقعت الرواية والصواب أغبر لان قبله

ولو علمت صرف البيوع لسرها ... بمكة أن تبتاع حمضا بأذخر قاله (ش)

الغى سهامهم الكتاب فما لهم   ان يشرعوا فيه بغير سهام

وقال طاهر بن على بن سليمان بن عبد الله بن العباس للطالبين

لو كان جدكم هناك وجدنا   فتنازعا فيها لوقت خصام

كان التراث لجدنا من دونه   لحواه بالقربى و بالاسلام

حق البنات فريضة معروفة   والعم أولى من بنى الاعمام

١٢ وذكر الزبيريون عن ابن الماجشون قال جاءني رجل من لد أبى رافع فقال انى قد قاولت رجلا من موالى بعض العرب فقلت أنا خير منك فقال بل أنا خير منك فما الذى يجب لى عليه فقلت ليس فى هذا شىء فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم انه خير منى قال قلت قد يتصرف هذا على غير الحسب قال فلما رآنى لا أقضى له بشىء قال لى أنت دافع مغرما لان ولائى عنده ليس فى موضع مرضى قال وصدق فى بنى تيم لئيم من هو أشرف ولاء منى

١٣ وحدثت ان اسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان فى أمر ضيعة يدعيها كل واحد منهما فلجت بهما الخصومة فقال عمرو يا اسامة اتأنف ان تكون مولاى فقال اسامة والله ما يسرنى بولائى من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبك ثم ارتفعا الى معاوية فلجا بين يديه فى الخصومة فتقدم سعيد بن العاصى الى جانب عمرو فجعل يلقنه الحجة فتقدم الحسن الى جانب اسامة يلقنه فوثب عتبة بن ابى سفيان فصار مع عمرو ووثب الحسين فصار مع اسامة فقام عبد الرحمن ابن أم الحكم فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن العباس فجلس مع اسامة فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع اسامة فقال معاوية الجلية عندى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اقطع هذه الضيعة أسامة فانصرف الهاشميون وقد قضى لهم فقال الأمويون لمعاوية هلا اذ كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل التحزب أو أخرتها عن هذا المجلس فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس .

١٤ وكان الذى اعتد به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جبير لما أتى به اليه بعد انقضاء امر ابن الاشعث وكان سعيد عبدا لرجل من بنى أسد بن خزيمة

فاشتراه سعيد بن العاصى فى مائة عبد فاعتقهم جميعا أن قال له الحجاج ياشقى ابن كسير أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها الا عربى فجعلتك اماما قال بلى قال أفاوليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء الا عربى فاستقضيت أبا بردة بن ابى موسى الأشعرى وامرته الا يقطع أمرا دونك قال بلى قال اوما جعلتك فى سمارى وكلهم من رءوس العرب قال بلى قال أو ما اعطيتك مائة الف درهم لتفرقها فى أهل الحاجة ثم لم أسألك عن شىء منها قال بلى قال فما أخرجك على قال ببعة كانت لابن الأشعث فى عنقى فغضب الحجاج ثم قال أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك فى عنقك قبل والله لأقتلنك ياحرسى اضرب عنقه .

١٥ ونظر الحجاج فاذا جل من خرج مع عبد الرحمن «من الفقهاء وغيرهم» من الموالى فاحب ان يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ويخلطهم بأهل الفرس والأنباط فقال انما الموالى علوج وانما أتى بهم من القرى فقراهم أولى بهم فأمر بتسييرهم من الأمصار واقرار العرب بها وأمر بان ينقش على يد كل انسان منهم اسم قريته وطالت ولايته فتوالد القوم هناك فخبثت لغات اولادهم وفسدت طبائعهم فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرج من كان فى سجن الحجاج من المظلومين فيقال انه أخرج فى يوم واحد ثمانين الفا ورد المنقوشين فرجعوا فى صورة الأنباط ففى ذلك يقول الراجز

جارية لم تدر ما سوق الأبل   أخرجها الحجاج من كن وظل
لو كان بدر حاضرا وابن حمل   ما نقشت كفاك فى جلد جمل

وقال شاعر لأهل الكوفة لما استقضى عليها نوح بن دراج (١)

يا أيها الناس قد قامت قيامتكم   اذ صار قاضيكم نوح بن دراج
لو كان حياله الحجاج ما سلمت   كفاه ناجية من نقش حجاج

ويروى عن حسان المعروف بالنبطى صاحب منارة حسان فى البطيحة قال أريت الحجاج فيما يرى النائم فقلت أصلح الله الأمير ما صنع الله بك فقال يانبطى أهذا عليك قال فرأيتنا لا نفلت من نقشه فى الحياة ومن شتمه بعد الوفاة

(١) وينسب للفرزدق .

ويروى عن حسان انه قص هـذه الرؤيا على محمد بن سيرين فقال له ابن سيرين لقد رأيت الحجاج بالصحة (قال أبو العباس) وحدثت من ناحية الزبيريين ان الجحاف بن حكيم دخل على عبد الملك والاخطل عنده فلما بصر به الأخطل قال

الا ابلغ الجحاف هل هو ثائر   بقتلى اصيبت من سليم وعامر

فقال الجحاف

بلى سوف نبكيهم بكل مهند   ونبكى عميرا بالرماح الخواطر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترىء على بمثل هذا ولو كنت مأسورا لك فحـم الأخطل خوفا فقال له عبد الملك انا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتنى منه فى اليقظة فمن يجيرنى منه فى النوم ومن هذا أو نحوه أخذ السلمى (١) قوله

وعلى عدوك يا ابن عم محمـد   رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبـه رعتـه واذا هـدا   سلت عليه سيوفك الأحلام

الفصل الثالث ـ فى الشعراء

١ من جميل محاورات العرب ما روى لنا عن يحيى بن محمد بن عروة عن أبيه عن جده قال . أقحمت السنة علينا النابغة الجعدى فلم يشعر به ابن الزبير حين صلى الفجر حتى مثل بين يديه يقول .

حكيت لنا الصديق لما وليتنا   وعثمان والفاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس فى العدل فاستووا   فعاد صباحا حالك اللون مظلم
أتاك أبو ليلى يشق به الدجى   دجى الليل جواب الفلاة عثمثم
لترفع منه جانبا ذعذعت به   صروف الليالى والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليلى فأيسر وسائلك عندنا الشعر أما صفوة أموالنا فلبنى أسد وأما عفوتها فلآل الصديق ولك فى بيت المال حقان حق بصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بحقـك فى المسلمين ثم أمر له

---

(١) قال ابو الحسن هو أشجع السلمي يقوله للرشيد

بسبع قلائص وراحلة رحيل ثم أمر بأن توقر له حبا وتمرا فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستجمع به الحب فيأكله فقال له ابن الزبير لشدما بلغ منك الجهد يا أبا ليلى فقال له النابغة أما على ذلك لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما استرحمت قريش فرحمت وسئلت فأعطت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين .

قوله اقحمت السنة يكون على وجهين يقال اقتحم اذا دخل قاصدا واكثر ما يقال من غير أن يدخل ويكون من القحمة وهى السنة الشديدة وهو أشبه الوجهين والآخر حسن والسنة الجدب يقال اصابتهم سنة أى جدب ومن ذا قوله جل وعز ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أى بالجدب وقوله صفوة فهى فى معنى الصفو واكثر ما يستعمل الكسر والباب فى المصادر للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجلسة والركبة والمشية والنيمة كانها خلقة والعفوة انما هو ما عفا أى ما فضل وخذ العفو قالوا الفضل وكذلك قوله جل اسمه ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله عثمثم يريد الموثق الخلق الشديد وذعذعت أى أذهبت ماله وفرقت حاله وقوله راحلة رحيل أى قوية على الرحلة معودة لها ويقال فحل فحيل أى مستحكم فى الفحلة وفى الحديث أن ابن عمر قال لرجل اشتر لى كبشا لأضحى به أملح واجعله أقرن فحيلا وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين الفارط الذى يتقدم القوم فيصلح لهم الدلاء والارشية وما أشبه ذلك من أمرهم حتى يرووا ومن ذلك قول المسلمين فى الصلاة على الطفل اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض .

٢ وحدثت أن عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة أتى المدينة فأقام بها ففى ذلك يقول

يا خليلىّ قد ملت ثوائى بالمصلى وقد شنئت البقيعا

فلما أراد الشخوص شخص معه الاحوص بن محمد فلما نزلا «ودّان» صار اليهما نصيب فمضى الاحوص لبعض حاجته فرجع الى صاحبيه فقال انى رأيت كثيرا بموضع كذا فقال عمر فابعثوا اليه ليصير الينا فقال الاحوص أهو يصير اليكم هو والله اعظم كبرا من ذلك قال فاذاً نصير اليه فصاروا اليه وهو جالس على جلد كبش

فوالله ما رفع منهم أحدا ولا القرشي ثم أقبل على القرشي فقال يا أخا قريش والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك ولكن خبرني عن قولك

قالت لها أختها تعاتبها لا تفسدن الطواف في عمر (١)
قومي تصدى له ليبصرنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرت تشتد في أثري

والله لو قلت هذا في هرة أهلك ما عدا أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك أهكذا يقال للمرأة انما توصف بالخفر وانها مطلوبة ممتنعة هلا قلت كما قال هذا وضرب بيده على كتف الاحوص.

ادور ولولا ان أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زوّارا ولكن ذا الهوى اذا لم يزر لابد ان سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر واني الى معروفها لفقير

قال فامتلأ الاحوص سرورا فاقبل عليه فقال يا أحوص خبرني عن قولك

فان تصلي أصلك وان تعودي لهجر بعد وصلك لا أبالي

أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت هلا قلت مثل ما قال هذا وضرب بيده على جنب نصيب

بزينب المم قبل أن يرحل الركب وقل ان تملينا فما ملك القلب

قال فانتفخ نصيب ثم أقبل عليه فقال له ولكن خبرني عن قولك يا أسود

أهيم بدعد ماحييت وان أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي

كأنك اغتممت الا يفعل بها بعدك «ولا يكنى» فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت الفرقة. والفرقة لعبة على خطوط فاستواؤها انقضاؤها (٢)

(٣) قال وحدثت ان كثيرا دخل على عبد الملك بن مروان وعنده الاخطل فانشده فالتفت عبد الملك الى الاخطل فقال كيف ترى فقال حجازي مجوّع مقرور

---

(١) كذا وقعت الرواية لا تفسدن على النهي والصحيح لتفسدن على القسم كأنها قالت والله لتفسدن (٢) قال أبو الحسن الطبين هي السدر فاذا زيد في خطوطه سمته العرب الفرقة وتسميه العامة السدر

دعنى أضغمه يا أمير المؤمنين فقال له هذا الاخطل فقال له كثير مهلا فهلا ضغمت الذى يقول

لا تطلبن خؤولة فى تغلب　　فالزنج اكرم منهم أخوالا(١)

والتغلبى اذا تنحنح للقرى　　حك استه وتمثل الامثالا

فسكت الاخطل فما اجابه بحرف قال أبو العباس سمعت من ينشد هذا الشعر . والتغلبى اذا تنبح للقرى . وهو أبلغ

٤ وخبرت أن نصيبا نزل بامرأة تكنى أم حبيب من أهل ملل وكانت تضيف فى ذلك الموضع وتقرى ولا يزال الشريف قد نزل بها فأفضل عليها الفضل الكثير ولا يزال الشريف ممن لم يحلل بها يتناولها بالبر ليعينها على مروتها فنزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش فلما أرادوا الرحلة عنها وصلها القرشيان وكان نصيب لا مال معه فى ذلك الوقت فقال لها ان شئت فلك أن اوجه اليك بمثل ما أعطاك أحدهما وان شئت قلت فيك شعرا فغزلت ام حبيب (٢) فقالت بل الشعر فقال

الاحى قبل البين ام حبيب　　وان لم تكن منا غدا بقريب

وان لم يكن انى احبك صادقا　　فما أحد عندى اذا بحبيب

تهام أصابت قلبه ملية　　غريب الهوى واهالكل غريب

٥ وحدثت ان نصيبا اتى عبد الملك فانشده فاستحسن عبد الملك شعره وسر به فوصله ثم دعا بالغداء فطعم منه فقال له عبد الملك يانصيب هل لك فى يتنادم عليه فقال يا أمير المؤمنين تأمانى قال قدأراك فقال يا أمير المؤمنين جلدى أسود وخلق مشوه ووجهى قبيح ولست فى منصب وانما بلغ بى مجالستك ومؤاكلتك عقلى وأنا أكره يا امير المؤمنين ان ادخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه فأعفاه . وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفدة وفدها عليه وقد اكلا هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما أحللته ولكنى

---

(١) أخوالا منصوب على الحال ومن زعم انه تمييز فقد اخطأ (٢) أى مالت الى ان يتغزل بها

أمنع اهل عملى منه وأكره ان أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فأعفاه .

٦ وقال مسلمة بن عبد الملك يوما لنصيب أمدحت فلانا «لرجل من أهله» فقال قد فعلت قال أوحرمك قال قد فعل قال فهلا هجوته قال لم أفعل قال ولم قال لانى كنت أحق بالهجاء منه اذ رأيته موضعا لمدحى فأعجب به مسلمة فقال اسألنى قال لا أفعل قال ولم قال لان كفك بالعطية أجود من لسانى بالمسألة فوهب له ألف دينار .

٧ وحدثت ان الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له فكان فيما أنشده .

وقد رأينا بها حورا منعمة بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فثنى نصيب خنصره فقال له الكميت ماتصنع فقال أحصى خطأك تباعدت فى قولك . تكامل فيها الدل والشنب . هلا قلت كما قال ذو الرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس وفى اللثات وفى انيابها شنب

ثم أنشده فى أخرى

كأن الغطامط من جريها أراجيز أسلم تهجو غفارا (١)

فقال له نصيب ما هجت أسلم غفارا قط فاستحيا الكميت فسكت

قال ابو العباس والذى عابه نصيب من قوله . تكامل فيها الدل والشنب . قبيح جدا وذلك ان الكلام لم يجر على نظم ولا وقع الى جانب الكلمة مايشا كلها وأول مايحتاج اليه القول ان ينظم على نسق وان يوضع على رسم المشاكلة وخبرت ان عمر بن لجأ قال لابن عم له أنا أشعر منك قال له وكيف قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وأنشد عمرو بن بحر .

وشعر كبعر الكبش فرق بينه لسان دعى فى القريض دخيل

وبعر الكبش يقع متفرقا فمن ذلك قول ابنة الحطيئة له لما نزل فى بنى كليب ابن يربوع تركت الثروة والعدد ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش يقال بعْر وبعَر

---

(١) وقعت الرواية من جريها وصوابه من غليها لانه يصف قدرا فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذى يرتفع .

وشعر وشعر وشمع وشمع ويقال للصدر قص وقصص وكذلك نهر ونهر وزعم الاصمعي انه سأل اعرابيا وهو بالموضع الذي ذكره زهير في قوله

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم ماء بشرقي سلمى فيد أوركك

قال الاصمعي فقلت للاعرابي أتعرف ركَكا فقال لا ولكن قد كان هاهنا ماء يسمى ركا فهذه ليست فيها لغتان ولكن الشاعر اذا احتاج الى الحركة اتبع الحرف المتحرك الذي يليـه الساكن مايشاكله فحرك الساكن بتلك الحركة قال عبد مناف بن ربع الهذلي (١)

اذا تجـاوب نوح قامتـا معه ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

يريد الجلد فهـذا مطرد (٢) ومن مذاهبهم المطردة في الشعر ان يلقوا على الساكن الذي يسكن مابعده للتقييد حركة الاعراب كما قال الراجز (٣)

أنا ابن ماوية اذجد النقُر . يريد النقْر يافتى وهو النقر بالخيل فلما اسكن الراء ألقى حركتها على الساكن الذي قبلها (٤) وشبيه بهذا قوله

عجبت والدهر كثـير عجبه من عنزى سبنى لم اضربُه

اراد لم أضربه يافتى فلما أسكن الهاء التي حركتها على الباء وكان ذلك في الباء أحسن لخفاء الهاء وقال ابو النجم . أقول قرب ذا وهذا أزحلُه . يريد أزحله يافتى (٥) وقال طرفة

حابسي ربـع وقفت به لو أطيـع النفس لم أرُمه

ولم يلزمه رد الياء لما تحركت الميم لان تحركها ليس لها على الحقيقة وانما هي حركة الهاء . (قال أبو العباس) واما قول الشاعر

حديث بني بدر اذا ما لقيتهم كنزو الدبى في العرفج المتقارب

---

(١) ش ربعي (٢) قال ابن القوطية لعج الحب قلبه والصرد جسده أحرقه. (٣) قال ابن السيد أحسبه لعبيد بن ماوية (٤) النقر صويت باللسان يسكن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس .

أخفضـه بالنقر لمـا علوته ويرفع طرفا غير جاف غضيض

(٥) اقول قرب ذا وهذاك ازحله كذا عن ش .

فليس كقوله وشعر كبعر الكبش ولكنه وصفهم بضؤولة الاصوات وسرعة الكلام وادخال بعضه فى بعض والذى يحمد الجهارة والفخامة وأنشدت لرجل قال يمدح الرشيد

جهير الكلام جهير العطاس   جهير الرواء جهير النغم

ويخطو على الاين خطو الظليم   ويعلو الرجال بخلق عمم (١)

ويروى ان الرشيد كان يأتزر فى الطواف فيذنب ازاره ويباعد بين خطاه فاذا رجع بيده كاد يفتن من يراه فعند ذلك مدح بهذا الشعر . ويروى ان عائشة رحمها الله نظرت الى رجل متماوت فقالت ما هذا فقالوا أحد القراء فقالت قد كان عمر بن الخطاب قارئا فكان اذا قال أسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجع

ويروى ان عمر بن الخطاب رحمه الله نظر الى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه بالدرة وقال لا تمت علينا ديننا اماتك الله . ويروى ان عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس أتته وفود من الروم وقام السماطان فأتى برجل منهم وعطس أحد من فى السماطين فاخفى عطسته فقال له عبد الملك لما انقضى أمر الوفد هلا اذ كنت لئيم العطاس أتبعت عطستك صيحة حتى تخلع بها قلب العلج وكان العباس بن عبد المطلب رحمه الله أجهر الناس صوتا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس يوم حنين يا عباس اصرخ بالناس

ويروى ان غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاستسقطت الحوامل لشدة صوته . وقد طعن فى قول النابغة الجعدى (٢)

زجر أبي عروةَ السباعَ اذا   اشفق ان يختلطن بالغنم (٣)

وذلك ان الرواة احتملت هذا البيت على انه كان يزجر الذئاب ونحوها مما يغير على الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه فقال من يطعن فى هذا السبع أشد

(١) الرجل هو العمانى الشاعر وقوله عمم اى جسيم والاين الاعياء ويكون الاين الحية وهو الايم (٢) وأزجر الكاشح العدو اذا اغتابك عندى زجرا على وضم. (٣) ويروى زجر ابى عروة السباع بخفض السباع كما قيل قيس الرقيات فصار على هذا يعرف بابى عروة السباع مثل ذلك

أيدا من الغنم فاذا فعل ذلك بالسبع هلكت الغنم قبله فقال من يحتج له ان الغنم كانت قد أنست بهذا منه والصوت الرائع انس لمن انس به كالرعد القاصف الذي لولا خشية صاعقته لم يفزع كبير فزع ولو جاء أقل منه من جوف الأرض لذعر ولم يبعد أن يقتل اذا أتى من حيث لم يعتد وجملة هذا البيت انه وصف شدة صوت المذكور وتأويله انه من تكاذيب الاعراب . «وفيها باب»

٨ دخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك بن المنذر ابن الجارود ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسرى فقال يا أبت هذا عمر بن يزيد الأسيدى ضرب آنفا ألف سوط فمات فشد على حمار فقال الفرزدق كانك والله يا بنى بمثل هذا الحديث قد تحدث به عن أبيك وكان الحسن اذ ذاك عند محبوس له فقال يا أبا فراس ما عندك ان كان ذلك فقال والله يا أبا سعيد لله أحب الى من سمعى وبصرى ومن مالى وولدى ومن أهلى وعشيرتى أفتراه يخذلنى فقال الحسن لا وكان عمر بن يزيد الأسيدى شريفا حدثنى التوزى عن أبى عبيدة قال كان رجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسيدى ورجل أهل الشام عمر بن هبيرة الفزارى ورجل أهل الكوفة بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى فقيل ذلك لعمر ابن عبد العزيز فقال أجل لولا خب فى بلال فقال بلال لما بلغه ذلك رمتنى بدائها وانسلت وقتله مالك بن المنذر تعصبا فيما تذكره المضرية فلما دخل بمالك على هشام أقبل على أصحابه فقال أما رأيتم عمر بن يزيد اما انى ما تمنيت ان تكون امى ولدت رجلا من العرب غيره ثم قال لمالك قتلت والله خيرا منك حسبا ونسبا ودينا وعقبا فقال وكيف يا أمير المؤمنين ألست ابن المنذر بن الجارود وابن مالك بن مسمع وكان جده لأمه . وجعل عمر والسياط تأخذه ينادى يا هشاماه ففى ذلك يقول الفرزدق

ألم يك مقتل العبدى ظلما   أبا حفص من الكبر العظام
قتيل جماعة فى غير حق   يقطع وهو يدعو ياهشام

٩ والتقى الحسن والفرزدق فى جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد قال وما يقولون قال يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس

وشر الناس فقال الحسن كلا لست بخيرهم ولست بشرهم ولكن ما أعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة وخمس نجائب لا يدركن يعنى الصلوات الخمس فزعم بعض التميمية انه رئى فى النوم فقيل له ما صنع بك ربك فقال غفرلى فقيل له بأى شىء فقال بالكلمة التى نازعنى فيها الحسن .
وماتت بنت عم للمنصور فحضر جنازتها وجلس لدفنها وأقبل أبو دلامة الشاعر فقال له المنصور ويحك ما أعددت لهذا اليوم فقال يا أمير المؤمنين ابنة عمك هذه التى واريتها قبيل قال فضحك المنصور حتى استغرب

١٠ وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى فى اسناد ذكره قال كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم فيسر بذلك ويجذل به ويقول ايه فِدا لكم أبى وأمى كذا والله كان آباؤكم (١)

١١ قال أبو العباس ونظر اليه أبو هريرة الدوسى فقال له مهما فعلت فقنطك الناس فلا تقنط من رحمة الله ثم نظر الى قدميه فقال انى أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقعا صالحا يوم القيامة . يقال قنِط يقنَط وقنَط يقنِط وكلاهما فصيح فاقرأ بايهما شئت وكذلك نقِم ينقَم ونقَم ينقِم .

١٢ والفرزدق يقول فى آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله الا يكذب ولا يشتم مسلما .

ألم ترنى عاهدت ربى واننى … لَبين رتاج قائما ومقام
على حلفة لا اشتم الدهر مسلما … ولا خارجا من فى زور كلام

وفى هذا الشعر

أطعتك يا ابليس تسعين حجة … فلما انقضى عمرى وتم تمامى
رجعت الى ربى وأيقنت اننى … ملاق لأيام المنون حمامى

قوله لَبين رتاج فالرتاج غَلَق الباب ويقال باب مرتج أى مغلق ويقال أرتج على فلان أى أغلق عليه الكلام وقول العامة ارتُجّ عليه ليس بشىء الا ان

(١) قال أبو الحسن انما هو فِداء لكم فمن فتح قصر لا غير ومن كسر مد لكنه قصر الممدود على هذه الرواية .

التوزى حدثنى عن أبى عبيدة قال يقال ارتج عليه ومعناه وقع فى رجة أى فى اختلاط وهذا معنى بعيد جدا وقوله ولا خارجا انما وضع اسم الفاعل فى موضع المصدر أراد لا اشتم الدهر مسلما ولا يخرج خروجا من فى زور كلام لأنه على ذا اقسم والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل يقال ماء غور أى غائر كما قال الله عز وجل (ان أصبح ماؤكم غورا) ويقال رجل عدل أى عادل ويوم غم أى غام وهذا كثير جدا فعلى هذا جاء المصدر على فاعل كما جاء اسم الفاعل على المصدر يقال قم قائما فيوضع فى موضع قم قياما وجاء من المصدر على لفظ فاعل حروف منها فلج فالجا وعوفى عافية واحرف سوى ذلك يسيرة وجاء على مفعول نحو رجل ليس له معقول وخذ ميسوره ودع معسوره لدخول المفعول على المصدر يقال رجل رضا أى مرضى وهذا درهم ضرب الأمير أى مضروبه وهذه دراهم وزن سبعة أى موزونة وكان عيسى بن عمر يقول انما قوله لا اشتم حال فأراد عاهدت ربى فى هذه الحال وأنا غير شاتم ولا خارج من فى زور كلام ولم يذكر الذى عاهد عليه وقال الفرزدق فى أيام نسكه ايضا

أخاف وراء القبر ان لم يعافنى ... أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا قادنى يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى ... الى النار مغلول القلادة موثقا
اذا شربوا فيها الحميم رأيتهم ... يذوبون من حر الحميم تمزقا

١٣ وحدثنى بعض أصحابنا عن الاصمعي عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخزوم عن أبى شفقل راوية الفرزدق قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد ان أطلق النوار فقلت انى أخاف عليك ان تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه فقال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد فقال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال تعلمن ان النوار منى طالق ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا فقال لى الفرزدق يا هذا ان فى قلبى من النوار شيئا فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت منى مطلقة نوار

(١)وكانت جنتي فخرجت منها | كآدم حين اخرجه الضرار
ولواني ملكت يدي ونفسي | لكان على للقدر الخيار

قال الاصمعي ما روى المعتمر هذا الشعر الا من أجل هذا البيت

الفصل الرابع فى المغنين

١ حدثت أن عمر الوادى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى صرد من الارض فسمعت غناء من القرار لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن اليه ولو بذهاب نفسى فانحدرت اليه فاذا عبد اسود فقلت أعد على ما سمعت فقال لى والله لو كان عندى قرى أقريك ما فعلت ولكنى أجعله قراك فأنى ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ثم انبرى يغنينى

وكنت اذا مازرت سعدى بأرضها | أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها | اذا ماقضت أحدوثة لو تعيدها (٢)

قال عمر فحفظته عنه ثم تغنيت به على الحالات التى وصف فاذا هو كما ذكر

٢ وتحدث الزبيريون عن خالد صامة انه كان من أحسن الناس ضربا بالعود قال فقدمت على الوليد بن يزيد وهو فى مجلس ناهيك به مجلسا فألفيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبى السمح وابن عائشة وأبو كامل غزيل الدمشقى فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة الىَّ فغنيته

سرى همى وهم المرء يسرى | وغار النجم الا قيد فتر
أراقب فى المجرة كل نجم | تعرض أو على المجراة يجرى
لهمٍّ ما أزال له قرينا | كأن القلب أبطن حر جمر

---

(١)وكنت كفاقىء عينيه عمدا | فأصبح لا يضيء له النهار
وما فارقتها شبعا ولكن | رأيت الزهد يأخذ ما أعار

(٢) تحمل أحقادى اذا مالقيتها | وتبقى بلا ذنب على حقودها
وكيف يحب القلب من لا يحبه | بلى قد تريد النفس من لا يريدها

على بكر أخي فارقت بكرا وأي العيش يصلح بعد بكر

فقال لى أعد يا صام ففعلت فقال لى من يقول هذا الشعر فقلت هذا يقوله عروة بن أذينة يرثي أخاه بكرا فقال لى الوليد . وأي العيش يصلح بعد بكر . هذا العيش الذى نحن فيه والله قد تحجر واسعا على رغم أنفه . وحدثت أن سكينة بنت الحسين أنشدت هذا الشعر فقالت ومن بكر فوصف لها فقالت أذاك الأسيد الذى كان يمر بنا والله لقد طاب كل شئ بعد ذاك حتى الخبز والزيت

٣ وروى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية واليها كان ينسب ، قال يوما يقال ان الدنيا لم تصف لاحد قط يوما فاذا خلوت يومى هذا فاطووا عنى الاخبار ودعونى ولذتى وما خلوت له ثم دعا بحبابة فقال اسقينى وغنيني نخلوا فى أطيب عيش فتناولت حبابة حبة رمان فوضعتها فى فيها فغصت بها فماتت فجزع يزيد جزعا أذهله ومنع من دفنها حتى قال له مشايخ بنى أمية ان هذا عيب لا يستقال وانما هذه جيفة فأذن فى دفنها وتبع جنازتها فلما واراها قال أمسيت والله فيك كما قال كثير

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل راءنى فهو قائل من اجلك هذا هامة اليوم أو غد

فعد بينهما خمسة عشر يوماً (قال أبو العباس) قوله راءنى يريد رآنى ولكنه قلب فأخر الهمزة ونظير هذا من الكلام قسيّ فى جمع قوس وانما الاصل قووس ولما أخر الواوين أبدل منهما ياءين كما يجب فى الجمع تقول دلو ودُلى وعات وعُتى وان شئت قلت دِلى وعِتى من أجل الياء فان كان فعول لواحد قلت عُتُو ويجوز القلب والوجه فى الواحد اثبات الواو كما تقول مغزو ومدعو ويجوز مغزىّ ومدعىّ وفى القرآن وعتوا عتوا كبيرا وقال أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال ارجعى الى ربك راضية مرضية والأصل مرضوة لانه من الواو من الرضوان . ومن القلب قولهم طأمن ثم قالوا اطمأن فأخروا الهمزة وقدموا الميم ومثل هذا كثير جدا وقوله هذا هامة اليوم أو غد يقول ميت فى يومه أو فى غده يقال انما فلان هامة

أى يصير فى قبره وأصل ذلك شئ كانت العرب تقوله «وقد فسرناه» (١)

؛ وحدثنى عبد الصمد بن المعذل قال سمعت اسحاق بن ابراهيم الموصلى يتحدث قال حججت مع أمير المؤمنين الرشيد فلما قفلنا فنزلنا المدينة آخيت بها رجلا كان له سن ومعرفة وأدب فكان يتمنى فانى ذات ليلة فى منزلى اذا أنا بصوته يستأذن على فظننت أمرا قد فدحه ففزع فيه الى فأسرعت نحو الباب فقلت ما جاء بك فقال اذاً أخبرك . دعانى صديق لى الى طعام عتيد وشراب قد التقى طرفاه وشواء رشراش وحديث ممتع وغناء مطرب فأجبته وأقمت معه الى هذا الوقت فأخذت منى حميا الكأس مأخذها ثم غنيت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب　　وقل ان تملينا فما ملك القلب

فكدت أطير طربا ثم وجدت فى الطرب نقصا اذ لم يكن معى من يفهم هذا كما فهمته ففزعت اليك لأصف لك هذه الحال ثم أرجع الى صاحبى . وضرب نعليه موليا عنى فقلت قف أكلمك فقال مابى الى الوقوف اليك من حاجة

٥ وحدثنى غير واحد من أصحابنا عن ابى زيد سعيد بن أوس الانصارى يسنده قال كانت وليمة فى أخوالنا وهم حى يقال لهم بنو نبيط من الانصار قال فحضر الناس وجاء حسان بن ثابت وقد ذهب بصره ومعه ابنه عبدالرحمن يقوده فلما وضع الطعام وجىء بالثريد قال حسان لابنه يابنى أطعام يد أم طعام يدين فقال بل طعام يد فأكل ثم جىء بالشواء فقال أطعام يد أم طعام يدين فقال بل طعام يدين فأمسك وفى المجلس قينتان تغنيان بشعر حسان

أنظر خليلى بباب جلق هل　　تؤنس دون البلقاء من أحد

قال وحسان يبكي يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب وعبد الرحمن يومئ اليهما أن زيدا قال أبو زيد فلأعجبنى ما أعجبه من أن تبكيا أباه . يقول

---

(١) على زعم أن الرجل كان عندهم اذا قتل فلم يدرك به الثأر يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدى فيصيح على قبره اسقونى اسقونى فان قتل قاتله كف ذلك الطائر قال ذو الاصبع العدوانى

ياعمرو ان لاتدع شتمى ومنقصتى　　أضربك حتى تقول الهامة اسقونى . السباعى

عجبت ما الذى اشتهى من أن تبكيا أباه فقوله أعجبنى أى تركنى أعجب ومثله قول ابن قيس الرقيات

ألا هزئت بنا قرشيـ ة يهتز موكبها
رأت بى شيبة فى الرأ س عنى ما أغيبها
فقالت آبن قيس ذا وبعض الشيب يعجبها

أى تتعجب منه

٦ وحدثنى عبد الصمد بن المعذل قال كان خليلان الاموى يتغنى ويرى ذاك زائدا فى الفتوة وكان خليلان شريفا وذا نعمة واسعة فحضر يوما منزل عقبة ابن سلم الهنائى وهو أمير البصرة وكان عاتيا جبارا فلما طعما وخلوا نظر خليلان الى عود موضوع فى جانب البيت فعلم انه عرض له به فأخذه فتغنى

بابنة الأزدى قلبى كئيب مستهام عندها ما يؤوب
ولقد لاموا فقلت دعونى ان من تلحون فيه حبيب

فجعل وجه عقبة يتغير وخليلان فى سهو عما فيه عقبة يرى أنه محسن ثم فطن لتغير وجه عقبة فعلم أنه لما تغنى به فقطع الصوت وجعل مكانه

ألا هزئت بنا قرشيـ ة يهتز موكبها

فسرى عن عقبة فلما انقضى الصوت وضع خليلان العود ووكد على نفسه الحلف ألا يغنى عند من يجوز أمره عليه أبدا

٧ وحدثت ان رجلا تغنى بحضرة الرشيد بشعر مدح به على بن ريطة وهو على ابن أمير المؤمنين المهدى وتغناه المغنى على جهل وهو

قل لعلى أيا فتى العرب وخير نام وخير منتسب
أعلاك جداك يا على اذا قصر جد فى ذروة الحسب

ففتش عن المغنى فوجده لم يدر فيمن الشعر فبحث عن أول من تغنى فيه فاذا هو عبد الرحيم الرقاص فأمر به فضرب اربعمائة سوط

٨ وحدثت ان معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناء أعجبه فلما أصبح قال ليزيد من كان ملهيك البارحة فقال له ذاك سائب خاثر قال اذا

فأخذ له من العطاء

٩ وحدثت ان معاوية قال لعمرو امض بنا الى هذا الذى قد تشاغل باللهو وسعى فى هدم مروءته حتى نعى عليه « أى نعيب عليه فعله » يريد عبدالله بن جعفر بن أبى طالب فدخلا اليه وعنده سائب خاثر وهو يلقى على جوار لعبدالله فأمر عبد الله بتنحية الجوارى لدخول معاوية وثبت سائب مكانه وتنحى عبدالله عن سريره لمعاوية فرفع معاوية عمرا فأجلسه الى جانبه ثم قال لعبد الله أعد ماكنت فيه فأمر بالكراسى فالقيت وأخرج الجوارى فتغنى سائب بقول قيس ابن الخطيم .

ديار التى كادت ونحن على منى   تحل بنا لولا نجاء الركائب
ومثلك قد أصبيت ليست بكنة   ولا جارة ولا حليلة صاحب

وردده الجوارى عليه فحرك معاوية يديه وتحرك فى مجلسه ثم مد رجليه فجعل يضرب بهما وجه السرير فقال عمرو اتئد يا أمير المؤمنين فان الذى جئت لتلحاه أحسن منك حالا وأقل حركة فقال معاوية أسكت لا ابا لك فان كل كريم طروب

١٠ وحدثت من غير وجه ان سفيان بن عيينة قال لجلسائه يوما انى أرى جارنا هذا السهمى قد أثرى وانفسحت له نعمة وصار ذا جاه عند الأمراء ووافدا الى الخلفاء فم ذاك يعنى يحيى بن جامع فقال له جلساؤه انه يصير الى الخليفة فيتغنى له فقال سفيان يقول ماذا فقال أحد جلسائه يقول

أطوف نهارى مع الطائفين   وأرفع من مئزرى المسبل

فقال سفيان ما أحسن ما قال فقال الرجل

وأسهر ليلى مع العاكفين   وأتلو من المحكم المنزل

قال حسن والله جميل قال ان بعد هذا شيئا قال سفيان وما هو قال .

عسى فارج الكرب عن يوسف   يسخر لى ربة المحمل

فزوى سفيان وجهه واومأ بيده ان كف وقال حلالا حلالا

١١ ولقى ابن أبجر عطاء بن ابى رباح وهو يطوف فقال اسمع صوتا للغريض فقال له عطاء يا خبيث أفى هذا الموضع فقال ابن أبجر ورب هذه البنية لتسمعنه

خفية أو لأشيدن به فوقف له فتغنى

عوجى علينا ربة الهودج   انك الا تفعلى تحرجى
أنى أتيحت لى يمانيـة   احدى بنى الحارث من مذحج
نلبث حولا كاملا كله   لا نلتقى الا على منهج
فى الحج ان حجت وماذا منى   وأهله ان هى لم تحجج

فقال له عطاء الكثير الطيب يا خبيث

١٢ وسمع سليمان بن عبد الملك متغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاءوا به فقال أعد ما تغنيت فتغنى واحتفل وكان سليمان مفرط الغيرة فقال لأصحابه والله لكأنها جرجرة الفحل فى الشول وما أحسب أنثى تسمع هذا الا صبت ثم أمر به فخصى

١٣ وحدثت ان ابن أبى عتيق ذكر له ان المخنثين بالمدينـة خصوا وانه خصى الدلال فيهم فقال انا لله أما والله لئن فعل ذلك به لقد كان يحسن

لمن ربع بذات الجيـ   ـش أمسى دارسا خلقا

ثم استقبل القبلة يصلى فلما كبر سلم ثم التفت الى أصحابه فقال اللهم انه كان يحسن خفيفه فأما ثقيله فلا الله اكبر

١٤ وحدثت ان الفرزدق قدم المدينة فنزل على الأحوص بن محمـد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح فقال له الأحوص ألا أسمعك غناء من غناء القرى فأتاه بمغن فجعل يغنيه فكان مما غناه

أتنسى اذ تودعنا سليمى   بفرع بشامة سقى البشام
ولو وجد الحمام كما وجدنا   بسلمانين لاكتأب الحمام

فقال الفرزدق لمن هذا فقالوا لجرير ثم غناه

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى   شيئا ألذ من الخيال الطارق
ان البلية من تمل حديثه   فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال لمن هذا فقيل لجرير ثم غناه

ان الذين غدوا بلبك غادروا   وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى   ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال لمن هذا الشعر فقيل لجرير فقال الفرزدق ما أحوجه مع عفافه الى خشونة شعرى وأحوجنى مع فسوقى الى رقة شعره

١٥ وقال الأحوص يوما لمعبد امض بنا الى عقيلة حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فضيا فالفيا على بابها معاذا الانصارى ثم الزرقى وابن صائد النجارى فاستأذنوا عليها جميعا فأذنت لهم الا الأحوص فانها قالت نحن غضاب على الأحوص فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم فقال

ضنت عقيلة لما جئت بالزاد	وآثرت حاجة الثاوى على الغادى
فقلت والله لولا ان تقول له	قد باح بالسر أعدائى وحسادى
قلنا لمنزلها حييت من طلل	وللعقيق ألا حييت من واد
انى جعلت نصيبى من مودتها	لمعبد ومعاذ وابن صياد
لابن اللعين الذى يخبأ الدخان له	وللمغنى رسول الزور قوادى
أما معاذ فانى لست ذاكره	كذاك أجداده كانوا لأجدادى

قال الزبيرى وكان معاذ جلدا فخاف الأحوص أن يضربه فخلف معبد الا يكلم الأحوص ولا يتغنى فى شعره فشق ذلك على الأحوص فلما طالت هجرته اياه رحل نجيبا له وجعل طلاء فى مِذرَع (١) فى حقيبة رحله وأعد دنانير ومضى نحو معبد فأناخ ببابه ومعبد جالس بفنائه فنزل اليه الأحوص فكلمه فلم يكلمه معبد فقال يا أبا عباد أتهجرنى فخرجت اليه امرأته أم كردم فقالت أتهجر أبا محمد والله لتكلمنه قال فاحتمله الأحوص فادخله البيت وقال والله لا رمت هذا البيت حتى آكل الشواء وأشرب الطلاء واسمع الغناء فقال له معبد قد أخزى الله الأبعد هذا الشواء أكلته والغناء سمعته فانى لك بالطلاء قال قم الى ذلك المِذرع ففيه طلاء ومعه دنانير فاصلح بها ما تريد من أمرنا ففعل كل ما قال فقالت أم كردم لمعبد أتهجر من اذ زارنا أغدر فينا فضلا ونيلا وان فارقنا خلف فينا عقلا ونبلا فانصرف الأحوص مع العصر فر بين الدارين وهو يميل بين شعبتى رحله وحدثت ان سعد بن مصعب بن الزبير اتهم بامرأة فى ليلة مناحة أو عرس

(١) والمذرع زق سلخ حين سلخ مما يلى الذراع

وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير فقال الأحوص وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار

ليس بسعد النار من تذكرونه ... ولكن سعد النار سعد بن مصعب
ألم تر أن القوم ليلة جمعهم ... بغوه فألفوه لدى شر مركب
فما يبتغى بالشر لادر دره ... وفى بيته مثل الغزال المربب

فأمر سعد بن مصعب بطعام فصنع ثم حمل الى قباب العرب وقال للأحوص وكان له صديقا تعال نمض فنصيب منه فلما خلا به أمر به فأوثق وأراد ضربه فقال له الأحوص دعنى فلا والله لا أهجو زبيريا أبدا فخله ثم قال انى والله ماملتك على مزحك ولكنى انكرت قولك . وفى بيته مثل الغزال المربب .

١٦ وحدثت ان مدنيا كان يصلى مذ طلعت الشمس الى ان قارب النهار ان ينتصف ومن ورائه رجل يتغنى وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من الشرط قد قبض على المغنى فقال أترفع عقيرتك بالغناء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه فانفتل المدنى من صلاته فلم يزل يطاب اليه فيه حتى استنقذه ثم أقبل عليه فقال أتدرى لم شفعت فيك قال لا ولكنى أخالك رحمتنى قال اذا فلا رحمنى الله قال فاحسبك عرفت قرابة بيننا قال اذا فقطعها الله قال فليد تقدمت منى اليك قال لا والله ولا عرفتك قبلها قال فخبرنى قال لأنى سمعتك غنيت آنفا فأقمت واوات معبد أما والله لو أسأت التأدية لكنت أحد الاعوان عليك « قال ابو العباس » والصوت الذى ينسب الى واوات معبد شعر الاعشى الذى يعاتب فيه يزيد بن مسهر الشيبانى وهو قوله

هريرة ودعها وان لام لائم ... غداة غد أم أنت للبين واجم
لقد كان فى حول ثواء ثويته ... تقضى لبانات ويسأم سائم

قوله. هريرة ودعها وان لام لائم منصوب بفعل مضمر تفسيره ودعها كأنه قال ودع هريرة فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه وكان ذلك أجود من ألا يضمر لأن الامر لا يكون الا بفعل فاضمر الفعل اذ كان الامر أحق به وكذلك زيدا اضربه وزيدا فاكرمه وان لم تضمر ورفعت جاز وليس فى حسن الأول ترفعه على

الابتداء وتصير الأمر فى موضع خبره فأما قول الله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) وكذلك (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) فليس على هذا والرفع الوجه لأن معناه الجزاء فقوله والسارق أى الذى يسرق كقوله الزانية أى التى تزنى فانما وجب القطع للسرق والجلد للزنا فهذا مجازاة ومن ثم جاز الذى يأتينى فله درهم فدخلت الفاء لأنه استحق الدرهم بالاتيان فان لم ترد هذا المعنى قلت الذى يأتينى له درهم ولا يجوز زيد فله درهم على هـذا المعنى ولـكن لو قلت زيد فله درهم على معنى هذا زيد فله درهم أو هذا زيد فحسن جميل جاز على أن زيدا خبر وليس بابتداء وللأشارة دخلت الفاء وفى القرآن (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) ودخلت الفاء لأن الثواب دخل للانفاق وقد قرأت القراء (الزانيةَ والزانىَ فاجلدوا . والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا) بالنصب على وجه الامر والوجه الرفع والنصب حسن فى هاتين الآيتين وما لم يكن فيه معنى جزاء فالنصب الوجه

١٧ ويروى أن معبدا بلغه أن قتيبة بن مسلم فتح خمس مدائن فقال لقد غنيت خمسة أصوات هن أشد من فتح المدائن التى فتحها قتيبة بن مسلم . والاصوات هى

ودع هريرة ان الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقوله .

هريرة ودعها وان لام لائم ... غداة غد أم انت للبين واجم

وقوله .

رأيت عرابة الأوسىّ يسمو ... الى الخيرات منقطع القرين

وقوله .

ودع لبابة قبل أن تترحلا ... واسأل فان قليلة أن تسألا

وقوله .

لعمرى لئن شطت بعثمة دارها ... لقد كنت من خوف الفراق أليح

أما قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل . وقوله . هريرة ودعها وان لام لائم . فللأعشى يعاتب فيهما يزيد بن مسهر الشيبانى يقول فى الأولى

أبلغ يزيد بنى شيبان ألكة   أبا ثبيت أما تنفك تأتكل
ألست منتهياً عن نحت أثلتنا   ولست ضائرها ما أطت الأبل
كناطح صخرة يوماً ليفلقها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ويقول فى الأخرى .

يزيد يغض الطرف دونى كأنما   زوى بين عينيه علىّ المحاجم
فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى   ولا تلقنى الا وأنفك راغم
فأقسم ان جد التقاطع بيننا   لتصطفقن يوما عليك المآتم
وتلقى حصان تنصف ابنة عمها   كما كان يلقى النائفات الحوادم
اذا اتصلت قالت أبكر بن وائل   وبكر سبتها والأنوف رواغم

فاما الشعر الثالث فللشماخ بن ضرار بن مرة بن غطفان يقوله لعرابة بن أوس ابن قيظى الانصارى

رأيت عرابة الأوسى يسمو   الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين
اذا بلغتنى وحملت رحلى   عرابة فاشرقى بدم الوتين

والرابع لعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة يقوله فى بعض الروايات

ودع لبابة قبل أن تترحلا   واسأل فأن قليلة أن تسألا
أمكث لعمرك ساعة فتأنها   فعسى الذى بخلت به أن يبذلا
اسنا نبالى حين ندرك حاجة   ان بات أو ظل المطى معقلا

والشعر الخامس لا أعرف قائله (١)

ولم يتغن معبد فى مدح قط الا فى ثلاثة أشعار منها ماذكرنا فى عرابة ومنها قول عبد الله بن قيس الرقيات فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

تقدت بى الشهباء نحو ابن جعفر   سواء عليها ليلها ونهارها

---

(١) رأيته فى الاغانى لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه وبعد البيت السابق بيت آخر من الصوت وهو

أروح بهم ثم أغدو بمثله   ويحسب انى فى الثياب صحيح . السباعى

والثالث قول موسى شهوات فى حمزة بن عبد الله بن الزبير

حمزة المبتاع بالمال الثنا　　ويرى فى بيعه أن قد غبن
وهو ان أعطى عطاء كاملا　　ذا اخاء لم يكدره بمن

ونحن ذاكرو قصص هذه الاشعار التى جرت فى عقب ما وصفنا ان شاء الله تعالى (قال أبو العباس) كان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعا الى مصعب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان يقاتل معه وفيه يقول.

انما مصعب شهاب من اللـــه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك قوة ليس فيـه　　جبروت منـه ولا كبرياء
يتقى الله فى الامور وقد أفـــلح من كان همـه الاتقاء

قال أبو العباس وله فيه أشعار كثيرة فلما قتل مصعب كان عبد الملك على قتل عبد الله بن قيس فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر فشفع فيه الى عبد الملك فشفعه فى أن ترك دمـه فقال ويدخل اليك يا أمير المؤمنين فتسمع منه فأبى فلم يزل به حتى أجابه ففى ذلك يقول لعبد الله بن جعفر

أتيناك نثنى بالذى أنت أهله　　عليك كما أثنى على الارض جارها
تقدت بى الشهباء نحو ابن جعفر　　سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتى قد يعلم الناس أنه　　تجود له كف قليـل غرارها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر　　لكان قليلا فى دمشق قرارها

والشعر الذى مدح به عبد الملك

عاد له من كثيرة الطرب　　فعينه بالدموع تنسكب
كوفيـة نازح محلتها　　لا أمم دارها ولا صقب
والله ما ان صبت الى ولا　　يعلم بينى وبينها نسب
الا الذى أورثت كثيرة فى القلـــب وللحب سورة عجب

وفيها يقول

ما نقموا من بنى أمية الا　　أنهم يحلمون ان غضبوا
وأنهم سادة الملوك فلا　　تصلح الا عليهم العرب

ان الفنيق الذى أبوه أبو ال ... عاصى عليه الوقار والحجب
خليفة الله فى رعيته ... جفت بذاك الاقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك أتقول لمصعب

انما مصعب شهاب من الله ... ه تجلت عن وجهه الظلماء

وتقول لى

يعتدل التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

واما الشعر فى حمزة بن عبد الله بن الزبير فأنه لموسى شهوات وكان موسى قال لمعبد أقول شعرا فى حمزة وتتغنى أنت به فما اعطاك من شئ فهو بيننا فقال هذا الشعر

حمزة المبتاع بالمال الثنا ... ويرى فى بيعه أن قد غبن
وهو ان أعطى عطاء كاملا ... ذا اخاء لم يكدره بمن
واذا ما سنة مجحفة ... برت المال كبرى بالسفن
حسرت عنه نقيا لونه ... طاهر الاخلاق ما فيه درن

فأعطاه مالا فقاسمه موسى
أما شعر الشماخ فى عرابة فقد ذكر فى موضعه بحديثه (١)

الفصل الخامس فى الاجواد

١ قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادف موضعا

(١) اصبح الآن فى قسم الحكم الخاص بالمروءة والسؤدد وقد تقدم . السباعى

فهو الذى قصدت له والا كنت أحق به (١)

٢ وامتدح نصيب عبد الله بن جعفر فأمر له بخيل وابل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال له عبدالله بن جعفر ان كان أسود فان شعره لأبيض وان ثناءه لعربي ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى ومطايا تنضى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى .

٣ وقيل لعبد الله بن جعفر انك لتبذل الكثير اذا سئلت وتضيق فى القليل اذا توجرت فقال انى أبذل مالى وأضن بعقلى .

٤ وافتقد عبدالله بن جعفر صديقا له من مجلسه ثم جاءه فقال له أين كانت غيبتك فقال خرجت الى عرض من أعراض المدينة مع صديق لى فقال له ان لم تجد من صحبة الرجال بدا فعليك بصحبة من ان صحبته زانك وان خففت له صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خلة سدها أوحسنة عدها وان وعدك لم يحرضك وان كثرت عليه لم يرفضك وان سألته أعطاك وان أمسكت عنه ابتداك . وقيل لخالد بن صفوان اى اخوانك أحب اليك فقال الذى يسد خللى ويغفر زللى ويقبل عللى .

٥ وخبرت عن رجل من الانصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف ماترك لك أبوك قال ترك لى مالا كثيرا فقال ألا أعلمك شيئا هو خير لك مما ترك أبوك انه لامال لعاجز ولا ضياع على حازم والرقيق جمال وليس بمال فعليك من المال بما يعولك ولا تعوله .

٦ وقيل ليزيد بن معاوية ما الجود فقال اعطاء المال من لا تعرف فانه لا يصير اليه حتى يتخطى من تعرف .

---

(١) قال أبو الحسن الاخفش وحدثنا المبرد فى غير الكامل قال . قال الحسن والحسين رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت فى بذل المال قال بأبى أنتما وأمى ان الله عودنى ان يفضل على وعودته أن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى .

٧ ومر يزيد بن المهلب باعرابية فى خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقرته عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية مامعك من النفقة فقال ثمانمائة دينار قال فادفعها اليها قال له ابنه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهى بعد لا تعرفك فقال ان كانت ترضى باليسير فأنا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى ادفعها اليها

٨ وقال المهلب بن أبى صفرة العجب لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه . وكان يقول لبنيه اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا .

وقال خالد بن عبد الله القسرى محض الجود مالم تسبقه مسألة ومالم يتبعه منّ ولم يزر به قصر ووافق موضع الحاجة .

وقال بعض المحدثين وهو (١) الطائى .

أسائل نصر لا تسله فانه ... أحن الى الارفاد منك الى الرفد

وقال آخر وهو أبو العتاهية .

لا تسألن المرء ذات يديه ... فليحقرنك من رغبت اليه
المرء مالم ترزه لك مكرم ... فاذا رزأت المرء هنت عليه
وكما يكون لديك مَن عاشرته ... فكذاك فارض بأن تكون لديه

٩ ودخل النخار العذرى على معاوية فى عباءة فاحتقره فرأى ذلك النخار فى وجهه فقال يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فملأ سمعه ثم نهض ولم يسأله فقال معاوية مارأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه .

١٠ ودخل محمد بن كعب القرظى على سليمان بن عبد الملك فى ثياب رثة فقال له سليمان ما يحملك على لبس مثل هذه الثياب فقال أكره أن أقول الزهد فأطرى نفسى أو أقول الفقر فأشكو ربى .

١١ وحدثنى التوزى قال دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على

---

(١) حبيب

هشام بن عبد الملك فى ثياب وعليه عمامة تخالفها فقال له هشام كأن العمامة ليست من الثياب قال انها مستعارة فقال له كم سنك قال ستون سنة قال مارأيت ابن ستين أبقى كِدنة منك (١) ماطعامك قال الخبز والزيت قال أما تأجمهما قال اذا أجمتهما تركتهما حتى اشتهيهما ثم خرج من عنده وقد صدع فقال أترون الاحول لقعنى بعينه فمات من تلك العلة (٢) ونظر اعرابى الى رجل جيد الكِدنة فقال ياهذا انى لارى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك .

١٢ ودخل أبو الاسود الدؤلى (٣) على عبيد الله بن زياد فى ثياب رثة فكساه ثيابا حسانا فخرج وهو يقول .

كساك وما استكسيته فشكرته ... أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وان أحق الناس ان كنت مادحا ... بمدحك من اعطاك والعرض وافر

١٣ وزعم الاصمعى ان حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا فى المسجد الجامع قال فبعثت وأناغلام الى ضرار بن القعقاع من بنى دارم فاستأذنت عليه فاذن لى فدخلت فاذا به فى شملة يخلط بزرا لعنز له حلوب فخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصحفة وصاح ياجارية غدينا قال فأتته بزيت وتمر قال فدعانى فقذرته أن آكل معه حتى اذا قضى من اكله حاجة وثب الى طين ملقى فى الدار فغسل به يده ثم صاح ياجارية اسقينى ماء فأتته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدى شكر هذه النعم ثم قال يا جارية

---

(١) الكدنة قوة الجسم قال ابن القوطية فى الافعال كدن الشفة كدونا اسودت وأكدن البعير كثر لحمه وشحمه . (٢) قال ابن الاعرابى لقع فلان فلانا بعينه وزلقه وزلّقه وأزلقه وشقذه وشوّهه ويقول الرجل اذا أجاد فى عمله لا تشوه على أى لا تقل لى أجدت فتصيبنى بالعين ورجل معين اذا أصيب بالعين وشاه وشائه وشقذ وشقذان (٣) اسم أبى الاسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل ابن عمرو بن جندل بن سفيان وأمه من بنى عبد الدار بصرى تابعى ثقة من أصحاب على من كتابه

على بردائى فأتتـه برداء عدنى فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعى فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حلت اعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الاحياء فى ماله وانصرف . (١)

١٤ وحدثنى أبو عثمان المازني قال حدثنى أبو زيد قال وقف علينا أعرابى فى حلقة يونس النحوى فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله ان أذكر به وانساه خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه لا يمرضون مريضهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه والله يا قوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمىّ بخص ولحم كثير أفلا رجل يرحم ابن سبيل وفلّ طريق ونضو سفر فانه لا قليل من الاجر ولا غنى عن ثواب الله عز وجل ولا عمل بعد الموت وهو الذى يقول جل ثناؤه (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) ملىّ وفىّ ماجد واجد جواد لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو الاخيار قال فبلغنى انه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا .

قوله بخص يريد اللحم الذى يركب القدم هذا قول الاصمعى وقال غيره هو لحم يخلطه بياض من فساد يحل فيه ويقال بخصت عينه بالصاد ولا يجوز الا ذلك ويقال بخسته حقه بالسين اذا ظلمته ونقصته كما قال الله عز وجل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) وفى المثل (تحسبها حمقاء وهى باخس) ويدل على انه اللحم الذى قد خالطه الفساد قول الراجز (٢)

يا قدمىّ لا أرى لى مخلصا   مما اراه أو تعودا بخصا

وقوله فل فالفل فى أكثر كلامهم المنهزم الذاهب وفى خبر كعب بن معدان

---

(١) وقد قدمنا باخبار الخوارج فى حرب البادية التى وقعت بسبب ضعف ابن زياد أخذ الاحنف بن قيس من شيخ بدوى لا يعرفه الف بعير اعانة له على الديات وتركه الفا أخرى أراحها عليه . السباعى

(٢) قال أبو الحسن على بن سليمان الاخفش الراجز هو أبو شراعة

الاشقرى (١) « انا آثرنا الحد على الفل » يعنى مجاهدتهم عبد ربه الصغير لانه كان مقبلا على حربهم وتركهم قطريا لانه كان منهزما . وفى حديث الحجاج بن علاط السلمى وكان قد أسلم ولم تعلم قريش باسلامه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فى ان يصير الى مكة فيأخذ ما كان له من مال وكانت له هناك أموال متفرقة وهو رجل غريب بينهم انما هو أحد بنى سليم بن منصور ثم أحد بنى بهز فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أحتاج ان أقول قال فقل قال أبو العباس وهذا كلام حسن ومعنى حسن يقول أقول على جهة الاحتيال غير الحق فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تقوّل كما قال الله عز وجل (أم يقولون تقوله) قال فصار الى مكة فقالت قريش هذا لعمر الله عنده الخبر قال فقولوا فقالوا بلغنا ان القاطع قد خرج الى أهل خيبر فقال الحجاج نعم فقتلوا أصحابه قتلا لم يسمع بمثله وأخذوه أسيرا وقالوا نرى ان نكادم به قريشا فندفعه اليهم فلا تزال لنا هذه اليد فى رقابهم وانما بادرت لجمع مالى لعلى أصيب به من فل محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى اليه التجار ويتصل بهم الحديث قال فاجتهدوا فى ان جمعوا الىّ مالى أسرع جمع وسروا اكثر السرور وقالوا بلا رغم . وأتانى العباس وهو كالمرأة الواله فقال ويحك يا حجاج ماتقول قال فقلت أكاتم أنت على خبرى فقال أى والله قال فقلت فالبث على شيئا حتى يخف موضعى قال فسرت اليه فقلت الخبر والله على خلاف ما قلت لهم خلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح خيبر وخلفته والله مُعْرسا بابنة ملكهم وما جئتك الا مسلما فاطو الخبر ثلاثا حتى أعجز القوم ثم أشعه فانه والله الحق فقال العباس ويحك أحق ما تقول قلت اى والله قال فلما كان بعد ثلاثة تخلق العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت قال فقالت قريش يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة فقال كلا ومن حلفتم به لقد فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرس بابنة ملكهم فقالوا من أتاك بهذا الحديث فقال الذى أتاكم بخلافه ولقد جاءنا

---

(١) الاشقرى بالقاف لا غير وقد تقدم باخبار الخوارج . السباعى

مسلما ثم أتت الاخبار من النواحي بذلك فقالوا أفلتنا الخبيث أولى له . وأصل الفل مأخوذ من فللت الحديدة اذا كسرت حدها . والنضو البالى المجهود ويقال ناقة نضو اذا جهدها السير وجمعه انضاء وفلان نضو من المرض . وقوله لا يستقرض من عوز فالعوز تعذر المطلوب يقال أعوز فلان فهو معوز اذا لم يجد والمعاوز فى غير هذا الموضع الثياب التى تبتذل ليصان بها غيرها وقوله ولكن ليبلو الأخيار . يقال الله يبلوهم ويبتليهم ويختبرهم فى معنى وتأويله يمتحنهم وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان قال الله جل ثناؤه (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) .

١٥ وحدثنى أبو عثمان المازنى أيضا قال رأيت أبا فرعون العدوى ومعه ابنتاه وهو فى سكة العطارين بالبصرة يقول

بنيتىّ صابرا ابا كما انكما بعين من يراكما
الله ربى سيدى مولاكما ولو يشاء عنهم أغناكما

وكان أبو فرعون وهو من بنى عدى الرباب بن عبدمناة بن أد وقال اليزيدى هو مولاهم كان فصيحا وقدم قوم من الأعراب البصرة من أهله فقيل له تعرض لمعروفهم فقال

ولست بسائل الاعراب شيئا حمدت الله اذ لم يأكلونى

١٦ وروى الاسدى انه افتقر رجل من الصيارفة بالحاح الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لديه وتعذر أمواله التى كانت له عند الناس فسأل جماعة من الجيران أن يسيروا معه الى رجل من قريش كان موسرا من أولاد أجوادهم ليسد من خلته فساروا اليه فجلسوا فى الصحن فخرج اليهم يخطر بقضيب فى يده حتى ثنى وسادة فجلس عليها فذكروا حاجتهم وخلة صاحبهم مع قديم نعمته وقريب جواره فخطر بالقضيب ثم قال متمثلا (١)

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة تقوى أو صديق توامقه
بخلت وبعض البخل حزم وقوة فلم يفتلذك المال الا حقائقه

---

(١) الشعر لنصيب وقيل لكثير والاول أثبت .

ثم أقبل على القوم فقال اما والله ما نجحد عن الحق ولا نتدفق فى الباطل وان لنا لحقوقا تشغل فضول أموالنا وما كل من أفلس من الصيارفة احتملنا لجبره قوموا ارحمكم الله قال فابتدر القوم الابواب . قوله فلم يفتلذك المال يقول لم يقتطع منك يقال فلذ له من العطاء اى قطع له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين قال الغلامان فى القوم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم ابن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها وقال أبو قحافة أعشى باهلة يعنى المنتشر ابن وهب الباهلى « فى قصيدة ستأتى »

تكفيه فلذة كبد ان ألم بها من الشواء ويكفى شربه الغمر

الفصل السادس فى الجازعين والمتجلدين

١ حدثنى العباس بن الفرج الرياشى فى اسناد ذكره آخره ابن عباس قال دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له ياعبد الله خذ ذاك الصندوق فقال لا حاجة لى فيه قال انه مملوء مالا قال لاحاجة لى به فقال عمرو ليته مملوء بعرا قال فقلت يا أبا عبد الله انك كنت تقول أشتهى أن أرى عاقلا يموت حتى اسأله كيف يجد فكيف تجدك قال أجد السماء كأنها مطبقة على الارض وأنا بينهما وأرانى كأنما أتنفس من خرت أبرة ثم قال اللهم خذ منى حتى ترضى ثم رفع يديه فقال اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلا برىء فاعتذر ولاقوى فأنتصر ولكن لا اله الا الله يقولها ثلاثا ثم فاظ وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشى بأتم من هذا ولكن اقتصرنا على هذا لثقة اسناده قوله من خرت ابرة يعنى من ثقب ابرة يقال للدليل خرّيت وزعم الاصمعى انه أريد به أن يهتدى لمثل خرت الابرة وقوله فاظ أى مات يقال فاظ وفاد وفطس وفاز وفوّز كل ذلك فى معنى الموت ولا يقال فاض بالضاد الا للأناء قال رؤبة . لا يدفنون منهم من فاظا . وقال ابن جريج . أما رأيت الميت حين فوظه . ومن قال ذلك للنفس قال فاضت نفسه شبهها بالأناء وحدثنى أبو عثمان المازنى أحسبه

عن أبي زيد قال كل العرب يقولون فاضت نفسه الا بني ضبة فأنهم يقولون فاظت نفسه وانما الكلام الفصيح فاظ بالظاء اذا مات وفي الحديث ان امرأة سلام بن أبي الحقيق قالت فاظ واله يهود .

٢ ودخل عمر بن ذَرّ على ابنه ذر وهو يجود بنفسه فقال يابني انه ماعلينا من موتك غضاضة ولا بنا الى أحد سوى الله حاجة فلما قضى وصلى عليه وواراه وقف على قبره فقال يا ذر انه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك لأنا لا ندري ماقلت ولا ماقيل لك اللهم اني قد وهبت لك ماقصر فيه مما افترضت عليه من حق فهب له ما قصر فيه من حقك واجعل ثوابي عليه له وزدني من فضلك اني اليك من الراغبين. وسئل عمر ما بلغ من بره بك فقال ما مشى معي بنهار قط الا قدمني ولا بليل قط الا تقدمني ولا رقي سطحا وأنا تحته (١)

٣ ولما احتضر ابراهيم النخَعي رحمه الله جزع جزعا شديدا فقيل له في ذلك فقال وأي خطر أعظم من هذا انما أتوقع رسولا يرد علي من ربي اما بالجنة واما بالنار ويروى انه قال في هـذا الحديث والله لوددت انها تلجلج في حلقي الى يوم القيامة .

٤ ولما احتضر ابن سيرين جعل يقول نفسي والله أعز الانفس عليّ

٥ ولما أحضر حجرُ بن عدي ليقتل سأل أن يمهل حتى يصلي ركعتين وظهر منه جزع شديد فقال له قائل أتجزع فقال وكيف لا أجزع سيف مشهور وكفن منشور وقبر محفور ولست أدري أيؤديني الى جنة أم الى نار (٢)

٦ وممن ظهرت منه عند الموت قسوة حلحلة الفزاري وسعيد بن أبان بن عيينة بن حصن الفزاري فأن عبد الملك لما أحضرهما ليقيد منهما قال لحلحلة صبرا حلحل فقال اي والله .

أصبر من ذي ضاغط عركرك   القى بواني زوره للمبرك

---

(١) سيأتي في المتفرقات شيء عن بر الأولاد وعقوقها . السباعي

(٢) قال أبو الحسن مايقوم بقتل حجر بن عـدي شيء واني لأعجب من قوله . ولست ادري أيؤديني الى جنة او الى نار . وهوشهيد الشهداء رحمه الله .

ثم قال لابن الاسود الكلبي أجد الضربة فاني والله ضربت أباك ضربة أسلحته فمددت النجوم فى سلحته ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان صبرا سعيد فقال اى والله

أصبر من عود بجنبيه الجلب ... قد أثر البطان فيه والحقب

٧ ومنهم وكيع بن أبي سود أحد بنى غدانة بن يربوع فأنه لما يئس منه خرج الطبيب من عنده فقال له محمد ابنه ما تقول قال لا يصلى الظهر وكان محمد ناسكا فدخل الى أبيه فقال له أبوه ما قال لك المعلوج قال وعد انك تبرأ قال اسألك بحقي عليك قال ذكر انك لا تصلى الظهر قال ويلى على ابن الخبيثة والله لو كانت فى شدقى للكتها الى العصر وفى وكيع بن سود يقول الفرزدق

لقد رزئت بأسا وحزما وسوددا ... تميم بن مر يوم مات وكيع

وما كان وقافا وكيع اذا دنت ... سحائب موت وبلهن نجيع

اذا التقت الابطال أبصرت لونه ... مضيئا واعناق الكماة خضوع

فصبرا تميم انما الموت منهل ... يصير اليه صابر وجزوع

وقال أيضا .

لتبك وكيعا خيل ليل مغيرة ... تساق المنايا بالردينية السمر

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة ... دعوها وكيعا والجياد بهم تجرى .

٨ ومن الجفاة عند الموت هدبة بن خشرم العذرى وكان قتل زيادة بن زيد العذرى فاما حمل الى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادعى عليه فقال له معاوية ماتقول قال أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا قال بل شعرا فانه أمتع فقال هدبة

فلما رأيت انما هى ضربة ... من السيف أو اغضاء عين على وتر

عمدت لأمر لا يعير والدى ... خزايته ولا يسب به قبرى

رُمينا فرامينا فصادف سهمنا ... منية نفس فى كتاب وفى قدر

وأنت أمير المؤمنين فما لنا ... وراءك من معدى ولا عنك من قصر

فان تك فى أموالنا لا نضق بها ... ذراعا وان صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية أراك قد أقررت يا هدبة قال هو ذاك فقال له عبد الرحمن

أقدنى فكره ذاك معاوية وضن بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيرا فقال له معاوية أوما عليك أن تشفى صدرك وتحرم غيرك ثم وجه بهدبة الى المدينة فقال يحبس الى ان يبلغ ابن زيادة فبلغ وكان والى المدينة سعيد بن العاصى

فمما وقف عليه من قسوته قوله

ولما دخلت السجن يا أم مالك ذكرتك والاطراف فى حلق سمر
وعند سعيد غير أن لم أبح به ذكرتك ان الامر يذكر بالأمر

فسئل عن هذا القول فقال لما رأيت ثغر سعيد وكان سعيد حسن الثغر جدا ذكرت به ثغرها ويقال انه عرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه ممن ذكر لنا الحسين بن على وعبد الله بن جعفر عليهما السلام وسعيد بن العاصى ومروان بن الحكم وسائر القوم من قريش والانصار فلما خرج به ليقاد بالحرة جعل ينشد الاشعار فقالت له حبى المدينية مارأيت أقسى قلبا منك أتنشد الاشعار وأنت يمضى بك لتقتل وهذه خلفك كأنها ظبى عطشان تولول تعنى امرأته نوقف هدبة ووقف الناس معه ثم أقبل على حبى فقال

ما وجدت وجدى بها أم واحد ولا وجد حبى بابن ام كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلا كما أنعتت من قوة وشباب

فأغلقت حبى الباب فى وجهه وسبته . وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدنى فقال له أعلى هذه الحال قال نعم فأنشده

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا ابتغى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب
وحربنى مولاى حتى غشيته متى ما يحربك ابن عمك تحرب

فلما قدم نظر الى امرأته فدخلته غيرة وقد كان جدع فى حربهم فقال

فأن يك أنفى بان منه جماله فما حسبى فى الصالحين بأجدعا
فلا تنكحى اذ فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت قفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلمت أنفها فقالت أهذا

فعل من له فى الرجال حاجة فقال الآن طاب الموت ثم أقبل على أبويه فقال

ابليانى اليوم صبرا منكما ... ان حزنا منكما اليوم لشر
ما أظن الموت الا هينا ... ان بعد الموت دار المستقر

ثم قال .

أذا العرش انى عائذ بك مؤمن ... مقر بزلاتى اليك فقير
وانى وان قالوا أمير مسلط ... وحجاب أبواب لهن صرير
لأعلم ان الامر أمرك ان تدن ... فرب وان تغفر فانت غفور

ثم قال لابن زيادة أثبت قدميك وأجد الضربة فانى أيتمتك صغيرا وارملت أمك شابة . ويزعم بعض أصحاب الاخبار أنه قال ما أجزع من الموت وآية ذلك انى أضرب برجلى اليسرى بعد القتل ثلاثا وهو باطل موضوع ولكن سأل فك قيوده ففكت فذلك حيث يقول

فان تقتلونى فى الحديد فاننى ... قتلت أخا كم مطلقا لم يقيد

٩ وقف حبار بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل ولم يكن حضره فقال أنعم صباحا أبا على فوالله لقد كنت سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بايعادك ولقد كنت أهدى من النجم وأجرى من السيل ثم التفت اليهم فقال كان ينبغى ان تجعلوا قبر أبى على ميلا فى ميل

١٠ وذكر الحرمازى ان الأحنف بن قيس لما مات وكان موته بالكوفة مشى المصعب بن الزبير فى جنازته بغير رداء وقال اليوم مات سيد العرب فلما دفن قامت امرأة على قبره أحسبها من بنى منقر فقالت لله درك من مُجن فى جَنَن ومدرج فى كفن فنسأل الذى فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك فى قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا وعلى الأرامل عطوفا ولقد كنت فى الحى مسوّدا والى الخليفة موفدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها

١١ وحدثنى رجل من أصحابنا قال شهدت رجلا فى طريق مكة معتكفا

على قبر وهو يردد شيئا ودموعه تكف من لحيته فدنوت اليه لأسمع ما يقول فجعلت العبرة تحول بينه وبين الابانة فقلت له يا هذا فرفع رأسه الى وكأنما هب من رقدة فقال ما تشاء فقلت أعلى ابنك تبكى قال لا قلت فعلى أبيك قال لا ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخص منهما قلت أو يكون أحد أخص ممن ذكرت قال نعم من أخبرك عنه ان هذا المدفون كان عدوا لى من كل باب يسعى على فى نفسى وفى مالى وفى ولدى فخرج الى الصيد أيأس ما كنت من عطبه وأكمل ما كان من صحته فرمى ظبيا فاقصده فذهب ليأخذه فاذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبى فعثر فتلقى بفؤاده ظُبَة السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبى ميتان فنمى الىّ خبره فاسرعت الى قبره مغتبطا بفقده فانى لضاحك السن اذ وقعت عينى على صخرة فرأيت عليها كتابا فهلم فاقرأه وأومأ الى الصخرة فاذا عليها

وما نحن الا مثلهم غير اننا أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

قلت أشهد انك تبكى على من بكاؤك عليه أحق من النسيب

١٢ ووقف رجل على قبر النجاشى فترحم وقال لولا ان القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لأطنبت بل لأسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشى ناقتى بابيض عضب أخلصته صياقله

على قبر من لو اننى مت قبله لهانت عليه عند قبرى رواحله

١٣ وروى ابن دَأب ان حسان بن ثابت الأنصارى اجتاز بقبر ربيعة بن مكدم فانشد .

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادى قبره بذنوب

نفرت قلوصى من حجارة حرّة نصبت على طلق اليدين وهوب

لا تنفرى يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وطول قفر مهمه لتركتها تحبو على العرقوب

نعم الفتى أدى نُبيشة رحله يوم الكديد نبيشة بن حبيب

وربيعة بن مكدم رجل من بنى كنانة وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعى

وقيس تقول قتله نبيشة بن حبيب السلمى وكان أهبان أخا نبيشة لأمه وكان أتاه زائرا وأغار ربيعة بن مكدم على بنى سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان ففاته فلأنه فى بنى سليم قال حسان نفرت قلوصى من حجارة حرة . لأن الحرة هناك لبنى سليم

وفى مصداق ماتدعيه خزاعة يقول اهبان

ولقد طعنت ربيعة بن مكدم　　يوم الكديد فخر غير موسد
فى عارض شرق بنات فؤاده　　منه باحمر كالنقيع المجسد
ولقد وهبت سلاحه وجواده　　لأخى نبيشة قبل لوم الحسد

وقال اخو ربيعة يجيبه

فات ابن غادية المنية بعد ما　　رفعت أسفل ذيله بالمطرد
قل لابن غادية المتاح لقتلنا　　ما كان يقتلنا الوحيد المفردُ

يريد أن اهبان مفرد من قومه فى أخواله وقال أيضا

فان تذهب سليم بوتر قومى　　فاسلم من منازلنا قريب

وقالت ليلى الاخيلية (١)

آليت أبكى بعد توبة هالكا　　وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عار على الفتى　　اذا لم تصبه فى الحياة المعاير
فلا يبعدنك الله يا توب انما　　لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

ويروى .

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا　　أخا الحرب ان دارت عليه الدوائر
فكل جديد أو شباب الى بلى　　وكل امرىء يوما الى الله صائر

الفصل السابع فى القضاة

١ كان يقال ان أول من اظهر الجور من القضاة فى الحكم بلال بن أبى بردة وكان أمير البصرة وقاضيها وفى ذلك يقول رؤبة

---

(١) ذكر قول ليلى هنا لأنه يماثل قول أخى ربيعة الاول فى الاقواء . السباعى

وأنت يا ابن القاضيين قاضي . (١) وكان بلال يقول ان الرجلين ليتقدمان الى فأجد احدهما على قلبي أخف فأقضي له (٢)

٢ ويروى أن بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بخناصرة فسدك(٣) بسارية من المسجد فجعل يصلى اليها ويديم الصلاة فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البندار ان يكن سر هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع فقال العلاء أنا آتيك بخبره فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء فقال اشفع صلاتك فان لى اليك حاجة ففعل فقال له العلاء قد عرفت حالى من أمير المؤمنين فان أنا اشرت بك على ولاية العراق فما تجعل لى قال لك عمالتى سنة وكان مبلغها عشرين الف الف درهم (٤) قال فاكتب لى بذلك قال فارقدّ (٥) بلال الى منزله فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك فأتى العلاء عمر بالكتاب فلما رآه كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان والى الكوفة . أما بعد فان بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر فسبكناه فوجدناه خبثا كله والسلام . ويروى انه كتب الى عبد الحميد اذا ورد عليك كتابى هذا فلا تستعن على عملك بأحد من آل أبي موسى

٣ قال أبو العباس . وكان بلال داهية لقناً أديباً ويقال اذ ذا الرمة لما أنشده

سمعت الناسُ ينتجعون غيثا　　فقلت لصيدح انتجعى بلالا

تناخى عند خير فتى يمان　　اذا النكباء ناوحت الشمالا

فلما سمع قوله . فقلت لصيدح انتجعى بلالاً . قال ياغلام مر لها بقت ونوى أراد ان ذا الرمة لايحسن المدح قوله سمعت الناسُ ينتجعون غيثا حكاية والمعنى اذا حقق انما هو سمعت هذه اللفظة أى قائلا يقول الناس ينتجعون غيثاً

ومثل هذا قوله

وجدنا فى كتاب بنى تميم　　احق الخيل بالركض المعار

---

(١) معتزم على الطريق ماضى (٢) ستأتى بالباب الثالث من الذيل حادثة تحامل فيها على رجل لتمثله ببيت شعر فيه اسمه على غير علم　السباعى

(٣) ش معناه لصق (٤) العُمالة بضم العين أجرة العامل (٥) معناه اسرع

فمناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة فقوله أحق الخيل ابتداء والمعار خبره وكذلك الناس ابتداء وينتجمون خبره ومثل هذا فى الكلام قرأت الحمدُ لله رب العالمين انما حكيت ما قرأت وكذلك قرأت على خاتمه الله اكبر يافتى فهذا لايجوز سواه وقوله اذا النكباء ناوحت الشمالا فان الرياح أربع ونكباواتها أربع وهى الريح التى تأتى من بين ريحين فتكون بين الشمال والصبا أو الشمال والدبور أو الجنوب والدبور أو الجنوب والصبا فاذا كانت النكباء تناوح الشمال فهى آية الشتاء ومعنى تناوح تقابل يقال تناوح الشجر اذا قابل بعضه بعضا وزعم الاصمعى ان النائحة بهذا سميت لانها تقابل صاحبتها .

ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمة بلالا قوله

تقول عجوز مَدْرجى مترَوحا ... على بيتها من عند أهلى وغاديا
أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة ... أراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا ان أهلى لجيرة ... لأكثبة الدهنا جميعا وماليا (١)
وما كنت مذ أبصرتنى فى خصومة ... أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا
ولكننى أقبلت من جانبي قسا ... أزور فتى نجدا كريما يمانيا
من ال أبى موسى ترى القوم حوله ... كأنهم الكِروان أبصرن بازيا
مُرمّين من ليث عليه مهابة ... تفادى أسود الغاب منه تفاديا
وما الخرق منه يرهبون ولا الخنا ... عليهم ولكن هيبة هى ماهيا

قوله مدرجى يقول مرورى فاما قولهم فى المثل خير من دب ومن درج فمناه من حي ومن مات يريدون من دب على وجه الارض ومن درج عنها فذهب وقوله أراك لها بالبصرة العام ثاويا . فانه يقال فى هذا المعنى ثوى الرجل فهو ثاو يافتى اذا أقام وهى اكثر ويقال أثوى فهو مثو يافتى وهى أقل من تلك قال الاعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا ... فمضى واخلف من قتيلة موعدا

وقوله قسا فهو موضع من بلاد بنى تميم وقوله لأكثبة الدهنا فأكثبة

---

(١) قوله .لا. لحن وهذا اللحن راجع على المرأة لان لا لاتقع الا فى جواب أو وانما سألته بأم وهى لم يستقر عندها علم

جمع كثيب وهو أقل العدد والكثير كثب وكثبان والدهنا من بلاد بنى تميم ولم أسمع الا القصر من أهل العلم والعرب وسمعت بعد من يروى مدها ولا أعرفه قال ذو الرمة

حنت الى نعم الدهنا فقلت لها   أمى هلالا على التوفيق والرشد

يعنى هلال بن أحوز المازني وقال جرير . باز يصعصع بالدهنا قطاجونا . وقوله كانهم الكروان أبصرن بازيا فالكروان جماعة كروان وهو طائر معروف وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة فالتقدير كرا وكروان كما تقول أخ واخوان وورل وورلان وبرق وبرقان والبرق أعجمى ولكنه قد أعرب وجمع كما تجمع العربية واستعمل الكروان جماعا على حذف الزيادة واستعمل فى الواحد كذلك تقول العرب فى مثل من أمثالها

أطرق كرا أطرق كرا   ان النعام فى القرى

يريدون الكروان وقوله من ال ابى موسى ترى القوم حوله فقال ترى ولم يقل ترين وكانت المخاطبة أولا لامرأة الا تراه يقول

وما كنت مذ أبصرتنى فى خصومة   أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا

ثم حول المخاطبة الى رجل والعرب تفعل ذلك قال الله عز وجل (حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) فكان التقدير والله اعلم كان للناس ثم حولت المخاطبة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عنترة بن شداد

شطت مزار العاشقين فأصبحت   عسرا علىّ طلابك ابنة مخرم

وقال جرير .

ما للمنازل لا تجيب حزينا   أصممن أم قدم المدى فبلينا

وترى العواذل يبتدرن ملامتى   واذا أردن سوى هواك عصينا

قال اولا لرجل ثم قال سوى هواكِ وقال آخر

فدى لك والدى وسراة قومى   ومالى انه منه أتانى

على تحويل المخاطبة وقوله مرمين يريد سكوتا مطرقين يقال أرمّ اذا أطرق ساكتا وقوله تفادى أسود الغاب معناه تفتدى منه بعضها ببعض وفى الخبر أن

سليمان بن عبد الملك أمر بدفع عيال الحجاج ولحمته الى يزيد بن المهلب فتفادى منهم تاويله فدى نفسه من ذلك المقام بغيره . وقوله .

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنا　　عليهم ولكن هيبة هى ماهيا

اذا رفعت هيبة فالمعنى ولكن امره هيبة كما قال الله عز وجل (لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ) اى ذلك بلاغ ومثله قوله عز وجل (طاعة وقول معروف) يكون رفعه على ضربين أحدهما أمرنا طاعة وقول معروف والوجه الآخر طاعة وقول معروف أمثل ومن نصب هيبة أراد المصدر اى ولكن يهاب هيبة وأحسن ماقيل فى هذا المعنى .

يغضى حياء ويغضى من مهابته　　فما يكلم الا حين يبتسم

وقال الفرزدق يعنى يزيد بن المهلب

فاذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم　　خضع الرقاب نواكس الابصار

وفى هذا البيت شىء يستطرفه النحويون وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتا على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث لا يقولون ضارب وضوارب وقاتل وقواتل لانهم يقولون فى جمع ضاربة ضوارب وقاتلة قواتل ولم يأت ذلك الا فى حرفين أحدهما فى جمع فارس فوارس لأن هذا مما لا يستعمل فى النساء فأمنوا الالتباس ويقولون فى المثل هو هالك فى الهوالك فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال لانه مثل فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال نواكس الابصار ولا يكون مثل هذا ابدا الا فى ضرورة .

٤ وقال يحيى بن نوفل الحميرى ويقال انه لم يمدح أحدا قط .

فلو كنت ممتدحا للنوال　　فتى لا متدحت عليه بلالا

ولكننى لست ممن يريد　　بمدح الرجال الكرام السؤالا

سيكفى الكريم اخاه الكريم　　ويقنع بالود منه نوالا

٥ وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن ابى بردة يحدثه فيلحن فلما أكثر ذلك على بلال قال له أتحدثنى أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاءات قال التوزى فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتى المسجد ويتعلم الاعراب وكف بصره

فكان اذا مر به موكب بلال يقول ماهـذا فيقال له الامير فيقول سحابة صيف عن قليل تقشع فقيل ذلك لبلال فأجلس معه من يأتيه بخبره ثم مر به فقال خالد كما كان يقول فقيل ذلك لبلال فأقبل على خالد فقال لا تقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب برد فضربه مائتي سوط وقال بعضهـم بل أمر به فديس بطنـه . قوله بشؤبوب مهموز وهو الدفعة من المطر بشـدة وجمعه شآبيب قال النابغة يخاطب القبيلة

ولا تلاق كما لاقت بنو أسد فقد أصابتهم منهـا بشؤبوب

يريد مانال بنى أسد من غارة النعمان عليهم وضرب الشؤبوب مثلا للغارة والغارة تضرب لذلك مثلا كما يقال شن عليهم الغارة أى صبها عليهم قال ابن هرمة .

كم بازل قد وجأت لبتها بمستهل الشؤبوب أوجمل

يريد ماوجأها به من حـديدة يقول لما وجأتها دفعت بشؤبوب من الدم فكأنه قال بسنان مستهل الشؤبوب أو ما أشـبه ذلك . قال أبو العباس . وكان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة قال سحابة ثم تنقشع وكان يقال أربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة وكتمان الوجع . وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لو كان الصبر والشكر بعيرين مابا ليت أيهما ركبت وقال العتبي محمد بن عبيد الله يذكر ابنا له مات .

أضحت بخدى للدموع رسوم أسفا عليـك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المصائب كلهـا الا عليـك فانه مـذموم

قال ابوا العباس وأحسب ان حبيبا الطائى سمع هذا فاسترقه فى بيتين أحدهما قوله فى ادريس بن بدر الشامى .

دموع أجابت داعى الحزن همع توصل منـا عن قلوب تقطع
وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فأصبح يدعى حازما حين يجزع

والآخر قوله .

قالوا الرحيل فـما شككت بأنهـا نفسى عن الدنيـا تريد رحيـلا
الصبر أجـل غير انـ تلددا فى الحب أحرى أن يكون جميلا

وقال سابق البربرى

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه   فلا تجزعا ممـا قضى الله واصبرا

وقال آخر أيضاً

اصبر على القدر المجلوب وارض به   وان اتاك بما لا تشتهى القـدر (١)

٦ ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال ادن فكل يا ابا صفوان فقال أصلح الله الامير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت قال أتيت ضيعتى لابّان الغراس وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى اذا صخدت الشمس وأزمعت بالركود ملت الى غرفة لى هفافة فى حديقة قد فتحت ابوابها ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافح وسُمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرزكانه قطع العقيق وسمك بُنانى بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر غلاظ القصر ودُقة وخلول ومُرى وبقول ثم اتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الأيدى ولم يهشمه كيل المكاييل فأكلت هذا ثم هذا فقال يزيد يا ابن صفوان لألف جريب من كلامك مزروع خير من الف جريب مذروع

٧ وكان خالد بن صفوان أحد من اذا عرض له القول قال فيقال ان سليمان بن على سأله عن ابنيه جعفر ومحمد فقال كيف احمـادك جوارهما يا أبا صفوان فقال .

أبوما لك جار لها وابن برثن   فيالك جارى ذلة وصغار (٢)

فاعرض عنه سليمان وكان سليمان من أحلم الناس وأكرمهم وهو فى الوقت الذى أعرض فيه عنه والى البصرة وعم الخليفة المنصور وخالد لم يكن يقول الشعر والشعر الذى تمثل به ازيد بن مفرغ الحميرى قال .

سقى الله دارا لى وارضا تركتها   الى جنب دارى معقل بن يسار

---

(١) فما صفا لامرىء عيش يسر به   الا سيتبع يوما صفوه كدر

(٢) ش قوله ابو مالك صوابه أبو نافع وهو مولى لعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه

أبو مالك جار لها وابن برثن فيالك جارىْ ذلة وصغار

وكان الحسن يقول لسان العاقل من وراء قلبه فان عرض له القول نظر فان كان له ان يقول قال وان كان عليه القول أمسك ولسان الأحمق أمام قلبه فاذا عرض له القول قال كان عليه أوله .

ويروى أن خالدا وعد الفرزدق شيئا فأخره عنه وكان أحد البخلاء فمر به الفرزدق فهدده فأمسك عنه حتى جاز الفرزدق ثم أقبل على أصحابه فقال ان هذا قد جعل احدى يديه سطحا وملأ الأخرى سلحا وقال ان عمرتم سطحى والا نضحتكم بسلحى

وقال اياس بن معاوية المزنى أبو واثلة وكان أحد العقلاء الدهاة الفضلاء لخالد لا ينبغى ان نجتمع فى مجلس فقال له خالد وكيف يا أبا واثلة فقال لأنك لا تحب ان تسكت وانا لا أحب ان أسمع

٨ وخاصم الى اياس رجل رجلا فى دين وهو قاضى البصرة فطلب منه البينة فلم يأته بمقنع فقيل للطالب استجر وكيع بن أبى سود حتى يشهد لك فان اياسا لا يجترىء على رد شهادته ففعل فقال وكيع والله لاشهدن لك فان رد شهادتى لأعممنه السيف فلما طلع وكيع فهم اياس عنه فاقعده الى جانبه ثم سأله عن حاجته فقال جئت شاهدا فقال له يا أبا المطرف أتشهد كما تفعل الموالى والعجم أنت تجل عن هذا فقال اذاً والله لا أشهد فقيل لوكيع بعد انما خدعك فقال أولى لابن اللخناء .

٩ وشهد رجل من جلساء الحسن بشهادة عند اياس فرده فشكا الرجل ذلك الى الحسن فأتاه الحسن فقال يا أبا واثلة لم رددت شهادة فلان فقال يا أبا سعيد ان الله تعالى يقول (ممن ترضون من الشهداء) وليس فلان ممن ارضى

١٠ واختلف نصرانى الى أبى دلامة مولى بنى أسد يتطبب لابن له فوعده ان برأ على يديه أن يعطيه الف درهم فبرأ ابنه فقال للمتطبب ان الدراهم ليست عندى ولكن والله لأوصلنها اليك ادّع على جارى فلان هذه الدراهم فانه موسر وأنا وابنى نشهد لك فليس دون أخذها شىء فصار النصرانى بالجار الى ابن

شبرمة فسأله البينة فطلع عليه أبو دلامة وابنه ففهم القاضي فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة .

إن الناسُ غطوني تغطيت عنهم وان بحثوني كان فيهم مباحث(١)

فقال ابن شبرمة من ذا الذي يبحثك يا أبا دلامة ثم قال للمدعي قد عرفت شاهديك نخل عن خصمك ورح العشية الىّ فراح اليه فغرمها من ماله .

١١ وشهد أبو عبيدة عند عبيد الله بن الحسن العنبري ورجل عدل على شهادة فقال عبيد الله للمدعي أما أبو عبيدة فقد عرفته فزدني شاهدا

١٢ وكان عبيد الله أحد الادباء الفقهاء الصلحاء زعم ابن عائشة قال عتبت عليه مرة في شيء قال فلقيني يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم وأنا أخرج فقلت معرضا به (٢)

طمعت بليلى ان تريع وانما تقطع أعناق الرجال المطامع

فانشدني معرضا تاركا لما قصدت له

وبايعت ليلى في خلاء ولم يكن شهود على ليلى عدول مقانع

١٣ وكان ابن عائشة يتحدث عنه حديثا عجيبا ثم عرف مخرج ذلك الحديث ذكر ابن عائشة وحدثني عنه جماعة لا أحصيهم كثرة أن عبيد الله بن الحسن شهد عنده رجل من بني نهشل على أمر أحسبه دينا فقال له أتروى قول الأسود بن يعفر . نام الخلي فما أحس رقادي . فقال له الرجل لا فرد شهادته وقال لو كان في هذا خير لروى شرف أهله فحدثني شيخ من الأزد حديثا ظننت ان عبيد الله اياه قصد قال تقدم رجل الى سوار بن عبد الله «وسوار ابن عم عبيد الله بن الحسن» يدعي دارا وامرأة تدافعه وتقول لسوار انها والله خطة ما وقع فيها كتاب قط فأتى المدعي بشاهدين يعرفهما سوار فشهدا له بالدار وجعلت المرأة تنكر انكارا يعضُده التصديق ثم قالت سل عن الشهود فان الناس يتغيرون فرد المسألة فحمد الشاهدان فلم يزل يريّث أمورهم ويسأل الجيران فكل يصدق المرأة والشاهدان

---

(١) وان حفروا بئرى حفرت بئارهم ليعلم قوم كيف تلك النبائث

(٢) الشعر للبعيث

قد ثبتا فشكا ذلك الى عبيد الله فقال له عبيد الله أنا أحضر مجلس الحكم معك فآتيك بالجلية ان شاء الله تعالى فقال للشاهدين ليس للقاضى ان يسألكما كيف شهدتما ولكن أنا أسألكما قال فقالا أراد هذا ان يحج فأدارنا على حدود الدار من خارج وقال هذه دارى فان حدث بى حادث فلتبع ولتقسم على سبيل كذا قال أفعندكما غير هذه الشهادة قالا لا فقال الله أكبر وكذا لو ادرتكما على دار سوار وقلت لكما مثل هذه المقالة أكنتما تشهدان بها لى ففهما أنهما قد اغترا . فكان سوار اذا سأل عن عدالة الشاهد يتبع المسألة ان يقول أتجائز العدالة هو قال فظننت ان عبيد الله رأى فى الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبه

١٤ وحدثنى أحد أصحابنا ان رجلا من الأعراب تقدم الى سوار فى أمر فلم يصادف عنده ما يحب فاجتهد فلم يظفر بحاجته قال فقال الأعرابى وكانت فى يده عصا

رأيت رؤيا ثم عبرتها　　وكنت للأحلام عبارا

بأننى أخبط فى ليلتى　　كلبا فكان الكلب سوارا

ثم انحنى على سوار بالعصا فضربه حتى منع منه قال فما عاقبه سوار بشئ

١٥ وحدثت ان اعرابياً من بنى العنبر سار الى سوار فقال ان أبى مات وتركنى وأخا لى وخط خطين فى الارض ثم قال وهجينا وخط خطا ناحية فكيف نقسم المال فقال أهاهنا وارث غيركم قال لا قال المال بينكم أثلاثا فقال لا أحسبك فهمت عنى انه تركنى وأخى وهجينا لنا فقال سوار المال بينكم أثلاثا قال فقال الاعرابى أيأخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخى قال أجل فغضب الاعرابى ثم أقبل على سوار فقال تعلّم والله انك قليل الخالات بالدهنا فقال سوار اذاً لا يضيرنى ذلك عند الله شيئا (١)

وكان عقيل بن علفة من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد علمناه فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه وكانت لعقيل اليه حاجات فقال اما اذ كنت فاعلا فجنبنى هجناءك . وخطب اليه ابنته ابراهيم بن هشام بن اسماعيل

(١) قيل انه ليس بالدهنا أمة وانما كان فيها الحرائر

ابن هشام بن الوليد بن المغيرة وهو خال هشام بن عبد الملك ووالى المدينة وكان أبيض شديد البياض فرده عقيل وقال

رددت صحيفة القرشي لما … أبت اعراقه الا احمرارا

وكانت حفصة بنت عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قدميت عنها فخطبها جماعة من قريش أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وأحدهم ابراهيم بن هشام فكان أخوها محمد بن عمران اذا دخل الى ابراهيم بن هشام أوسع له وانشده

وقالوا يا جميل اتى أخوها … فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

أحبك أن نزلت جبال حسمى … وان ناسبت بثنة من قريب

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العذرى فأما جميل بن معمر الجمحى فلا نسب بينه وبين معمر أى ليس بينه وبينه أب آخر وكانت له صحبة وكان خاصا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ويروى عن عبد الرحمن بن عوف انه قال اتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله فسمعته ينشد بالركبانية

وكيف ثوائى بالمدينة بعد ما … قضى وطرا منها جميل بن معمر

فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ما قلت فقلت نعم فقال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم (١)

وكان جميل بن معمر الجمحى قتل أخا لأبى خراش الهذلى يوم فتح مكة أتاه من ورائه وهو موثق فضربه ففى ذلك يقول أبو خراش

فأقسم لو لاقيته غير موثق … لآبك بالعرج الضباع النواهل

لكان جميل اسوأ الناس صرعة … ولكن أقران الظهور مقاتل

فليس كعهد الدار يا أم مالك … ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل … سوى الحق شيئا فاستراح العواذل

قوله اسوأ الناس صرعة أى الهيئة التى يصرع عليها تقول جلست جلسة

---

(١) قال .ش . وهم أبو العباس رحمه الله فى هذا وانما القصة ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف ينشد

وركبت ركبة وهو حسن الجلسة والركبة أى الهيئة التى يجلس عليها ويركب عليها وكذلك القِعدة والنيمة وقوله لآبك أى لعادك وأصل هذا من الاياب والرجوع قال الله تبارك وتعالى ان الينا ايابهم وقال عبيد بن الابرص

وكل ذى غيبة يؤوب (١) وقوله بالعرج فهو ناحية من مكة به وُلد عبدالله ابن عمرو بن عثمان بن عفان فسمي العرجى ويقال بل كان له مال بذلك الموضع فكان يقيم فيه (٢) والنواهل فيه قولان أحدهما العطاش وليس بشيء والآخر الذى قد شرب شربة فلم يرو فاحتاج الى أن يُعل كما قال امرؤ القيس

اذ هن أقساط كرجل الدّبى أو كقطا كاظمة الناهل

وقوله أحاطت بالرقاب السلاسل يقول جاء الاسلام فمنع من الطلب بالاوتار الا على وجهها .

الفصل الثامن فى تكاذيب الاعراب

١ وهذا باب من تكاذيب الاعراب قال ابو العباس حدثنى التوزى قال سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الاخبار من أخبار العرب فقال لى ان العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه .

٢ وحدثنى سليمان بن عبد الله عن أبى العميثل مولى العباس بن محمد قال تكاذب أعرابيان فقال أحدهما خرجت مرة على فرس لى فاذا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلت اليها فاذا قطعة من الليل لم تنتبه فما زلت أحمل بفرسى عليها حتى أنبهتها فانجابت وقال الآخر لقد رميت ظبيا مرة بسهم فعدل الظبي يمنة فعدل السهم خلفه فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه ثم علا الظبي فعلى السهم خلفه فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه .

---

(١) وغائب الموت لا يؤوب (٢) قال ش . هذا وهم من أبى العباس رحمه الله وأما صوابه فعبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه

٣ وحدثني أبو عمر الجرمي قال سألت أبا عبيدة عن قول الراجز

أهدموا بيتك لا ابا لكا   وأنا أمشي الدألى حوالكا

فقلت لمن هذا الشعر فقال هذا يقوله الضب للحسل أيام كانت الاشياء تتكلم. (قال ابو العباس) الدألى مشي كمشي الذئب يقال هو يدأل في مشيه اذا مشى كمشية الذئب من ذلك قول امرىء القيس . أقبّ حثيث الركض والدألان . ومن قال في بيت ابن عنمة الضبي (١) تعارضه مربية دءول . فانما أراد هذا ومن قال ذءول فأنما أراد السرعة يقال مر يذأل اذا مر يسرع وقوله حوالكا يقال هو يطوف حواله وحوله وحَواليه ومن قال حواليه بالكسر فقد أخطأ وفى القرآن نودى أن بورك من في النار ومن حولها وحواليه تثنية حوال كما تقول حنانيه الواحد حنان قال الشاعر

فقالت حنان ما أتى بك هاهنا   أذو نسب أم أنت بالحي عارف (٢)

والحنان الرحمة قال الله عز وجل وحنانا من لدنا وقال الشاعر (٣) لعمر بن الخطاب رحمه الله

تحنن عليّ هداك المليك   فأن لكل مقام مقالا

وقال طرفة .

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر أهون من بعض

٤ وحدثني غير واحد من أصحابنا قال قيل لرؤبة ماقولك

. لو انني عمرت سن الحسل   اوعمر نوح زمن الفطحل   والصخر مبتل كمثل الوحل .

مازمن الفطحل قال أيام كانت السلام رطابا (٤) قوله سن الحسل مثل تضربه العرب في طول العمر (٥) وأنشدني رجل من بني العنبر أعرابي فصيح لعبيد ابن أيوب العنبري

---

(١) . حقيبة رحلها بدن وسرج . (٢) فاعل قالت هي وحنان خبر لمبتدا محذوف . السباعي (٣) وهو الحطيئة . (٤) عدت العرب ذلك اكذوبة على اعتقادها والواقع لايكذبه كما هو المعروف عن تكوين الارض . السباعي

(٥) ذكر ابن جني ان الحسل يعيش ثلثمائة سنة .

كأنى وليلى لم يكن حل أهلنا بواد خصيب والسلام رطاب

٥ وتزعم الرواة ان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب قال لابنى الجون الكنديين يوم جبلة ان لى عليكما حقا لرحلتى ووفادتى فدعونى أنذر قومى من موضعى هذا فقالا شأنك فصرخ بقومه فاسمعهم على مسيرة ليلة .

٦ ويروى عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها أرأيت قول أبيك

بنى عامر هل تعرفون اذا غدا أبو مكنف قد شد عقد الدوابر
بجيش تضل البلق فى حجراته ترى الاكم منه سجدا للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البوادر
أبت عادة للورد أن يكره الوغى وحاجة رمحى فى نمير بن عامر

أحضرت هذه الوقعة فقال نعم قلت فكم كانت خيلكم قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه . قال فذكرت هذا لابن أبى بكر الهذلى قال وكان قد بلغ مائة سنة وكان قد أدرك أيام الحجاج قال فحدثنى عن أبيه قال حضرت يوم جبلة فكانت الخيل فى الفريقين مع ما كان مع ابنى الجون ثلاثين فرسا . قال فحدثت بهذا الحديث الخثعمى وكان راوية أهل الكوفة فحدثنى ان خثعم قتلت رجلا من بنى سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه

لعمرى وما عمرى علىّ بهين لنعم الفتى غادرتمُ آل خثعما
وكان اذا ما أورد الخيل بيشة الى جنب أشراج أناخ فألجما
فأرسلها رهوا رعالا كأنها جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك فقالت اللهم انى لاأعرف الا فرسه .

قوله قد شد عقد الدوابر يريد عقد دوابر الدرع فان الفارس اذا حمى فعل ذلك وقوله تضل البلق فى حجراته يقول لكثرته لايرى فيه الابلق والابلق مشهور المنظر لاختلاف لونيه من ذلك قوله

فلئن وقفت لتخطفنك رماحنا ولئن هربت ليعرفن الابلق

وحجراته نواحيه وقوله . ترى الأكم منه سجدا للحوافر . يقول لكثرة

الجيش تطحن الا كم حتى تلصقها بالارض وقوله كمثل الليل يقول كثرة فيكاد يسد سواده الأفق ولذلك يقال كتيبة خضراء أى سوداء وكانت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هو فيها والمهاجرون والانصار يقال لها الخضراء والمرتجس الذى يسمع صوته ولا يبين كلامه يقال ارتجس الرعد من هذا والوغى الاصوات والتوالى اللواحق يقال تلاه يتلوه اذا اتبعه و تلوت القرآن اى أتبعت بعضه بعضا والمتلية التى معها أولادها . وقوله فأرسلها رهوا يقول ساكنة قال الله جل وعز واترك البحر رهوا ويقال عيش راه يافتى أى ساكن ورعال جمع رعيل وهو ماتقدم من الخيل يقال جاء فى الرعيل الاول قال عنترة

اذلا أبادر فى المضيق فوارسى ولا أوكل بالرعيل الأول

وقوله زهته ريح نجد فاتهما يقول رفعته واستخفته قال ابن أبى ربيعة

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

ومعنى أتهم أتى تهامة

٧ وتحدث الرواة بان الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى وكان ينسب بزينب بنت يوسف فارتاع من نظر الحجاج فدعا به فلما عرفه قال مبتدئا

هاك يدى ضاقت بى الارض رحبُها وان كنت قد طوفت كل مكان
ولو كنت بالعنقاء أو بأسومها لخلتك الا ان تصد ترانى (١)

ثم قال والله ان قلت الا خيرا انما قلت

يخبئن اطراف البنان من التقى ويخرجن جنح الليل معتجرات (٢)

قال أجل ولكن أخبرنى عن قولك

ولما رأت ركب النميرى اعرضت وكن من ان يلقينه حذرات

فى كم كنت قال والله ان كنت الا على حمار هزيل ومعى رفيق على أتان مثله

٨ وزعم أبو عبيدة عمن حدثه ان بكر بن وائل أرادت الغارة على قبائل

---

(١) قال الاخفش من رفع رحبها فعلى البدل ومن نصب فعلى الظرف وأسومها بفتح الهمزة وبالضم والفتح أحسن (٢) هذا البيت من قطعة حسنة ستأتى فى باب الغزل بالجزء الثانى السباعى

بنى تميم فقالوا ان علم بنا السليك أنذرهم فبعثوا فارسين على جوادين يريغان السليك فبصرا به فقصداه وخرج يمحص كأنه ظبى فطارداه سحابة يومهما ثم قالا هذا النهارُ ولوجن عليه الليل لقد فتر فجدا فى طلبه فاذا به قد بال فرغا فى الأرض وخدها فقالا قاتله الله ما أشد متنيه ولعل هذا كان من أول الليل فلما امتد به الليل فتر فاتبعاه فاذا به قد عثر بأصل شجرة فندرمنها كنكان تلك وانكسرت قوسه فارتزت قصدة منها فى الارض فنشبت فقالا قاتله الله والله لا نتبعه بعد هذا فرجعا عنه وأتم الى قومه فأنذرهم (١) فلم يصدقوه لبعد الغاية ففى ذلك يقول .

يكذبنى العمران عمرو بن جندب ... وعمرو بن كعب والمكذب اكذب
ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها ... كراديس يهديها الى الحى موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله ... فوارس همام متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه قوم فورد عليهم الجيش فاكتسحهم

٩ ومن ذلك قول مهلهل بن ربيعة

فلو نشر المقابر عن كليب ... فتخبر بالذنائب أى زير (٢)
بيوم الشعثمين لقر عينا ... وكيف لقاء من تحت القبور
كأنا غدوة وبنى أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير
كأن رماحهم أشطان بئر ... بعيد بين جاليها جرور
فلولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

١٠ وحدثنى عمرو بن بحر قال أتيت أبا الربيع الغنوى وكان من أفصح الناس وأبلغهم ومعى رجل من بنى هاشم فقلت أأبو الربيع هاهنا فخرج الىّ

(١) «ش» يروى اتم بالف وتم بغير الف ونم بالنون ومعنى تم الى قومه نفذ (٢) قال أبو الحسن يقال فلان زير نساء وطلب نساء وتبع نساء وخلب نساء اذا كان صاحب نساء وذلك ان مهلهلا كان صاحب نساء فكان كليب يقول ان مهلهلا زير نساء ولا يدرك بثأر فلما أدرك مهلهل بثأر كليب قال أى زير فرفع أيا بالابتداء والخبر محذوف فكأنه قال أىّ زير أنا فى هذا اليوم

وهو يقول خرج اليك رجل كريم فلما رأى الهاشمى استحيا من فخره بحضرته فقال أكرم الناس رديفا وأشرفهم حليفا فتحدثنا مليا ثم نهض الهاشمى فقلت لابى الربيع يا أبا الربيع من خير الخلق فقال الناس والله فقلت من خير الناس قال العرب والله قلت فمن خير العرب قال مضر والله قلت فمن خير مضر قال قيس والله قلت فمن خير قيس قال يعصر والله قلت فمن خير يعصر قال غنى والله قلت فمن خير غنى قال المخاطب لك والله قلت أفأنت خير الناس قال نعم اى والله قلت أيسرك ان تحتك بنت يزيد بن المهلب قال لا والله قلت ولك الف دينار قال لا والله قلت فالفا دينار قال لا والله قلت ولك الجنة فاطرق ثم قال على ألا تلدمنى وأنشد

تأبى لاعصر أعراق مهذبة   من أن تناسب قوما غير أكفاء
فان يكن ذاك حتما لا مرد له   فاذكر حذيف فانى غير أباء

قوله أكرم الناس رديفا فان أبا مرثد الغنوى كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأشرفهم حليفا كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وقوله فاذكر حذيف أراد حذيفة بن بدر الفزارى وانما ذكره من بين الاشراف لأنه أقربهم اليه نسبا وذاك ان يعصر بن سعد بن قيس وهؤلاء بنو ريث بن غطفان بن سعد بن قيس .

وقد قال عيينة بن حصن يهجو ولد يعصر وهم غنى وباهلة والطفاوة

أباهل ما أدرى أمن لؤم منصبى   أحبكم أم بى جنون وأولق
أسيد أخوالى ويعصر أخوتى   فمن ذا الذى منى مع اللؤم احمق

فقال الباهلى يجيبه

وكيف تحب الدهر قوما هم الألى   نواصيكم فى سالف الدهر حلقوا
ألست فزاريا عليك غضاضة   وان كنت كنديا فانك ملصق

١١ ومن ذلك ما يحكون فى خبر لقمان بن عاد فانهم يصفون ان جارية له سئلت عما بقى من بصره لدخوله فى السن فقالت والله لقد ضعف بصره ولقد بقيت منه بقية يفصل بها بين أثر الأنثى والذكر من الذر اذا دب على الصفا فى أشياء تشاكل هذا من الكذب

١٢ وحدثت ان امرأة عمران بن حطان السدوسى قالت له أما حلفت أنك لا تكذب فى شعر فقال لها أو كان ذلك قالت نعم قلت

فكذاك مجزأة بن ثو ... ركان اشجع من أسامه

أيكون رجل أشجع من أسد فقال لها ما رأيت أسدا فتح مدينة قط ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة (١)

١٣ ومر عمران بن حطان بالفرزدق وهو ينشد فوقف عليه فقال

أيها المادح العباد ليعطى ... ان لله ما بأيدى العباد

فاسأل الله ما طلبت اليهم ... وارج فضل المقسم العواد

لا تقل للجواد ما ليس فيه ... وتسم البخيل باسم الجواد

وأنشدنى الحسن بن رجاء لرجل من المحدثين لم يسمه (٢)

أبا دلف يا اكذب الناس كلهم ... سواى فانى فى مديحك أكذب

وأنشدنى آخر لرجل من المحدثين (٣)

انى امتدحتك كاذبا فأثبتنى ... لما امتدحتك ما يثاب الكاذب

١٤ وخبرت ان قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان (٤) فاتفق هرم معه فى مسجد وهو يقول حدثنا هرم بن حيان مرة بعد مرة بأشياء لا يعرفها هرم فقال له ياهذا أتعرفنى أنا هرم بن حيان ماحدثتك من هذا بشىء قط فقال له القاص وهذا أيضا من عجائبك انه ليصلى معنا فى مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان كيف توهمت أنه ليس فى الدنيا هرم بن حيان غيرك.

---

(١) مجزأة بن ثور جعل له عمر رحمه الله رياسة بكر فلما أسن فعل عثمان بن عفان رضى الله عنه ذلك مع ابنه شقيق بن مجزأة وقتل رحمه الله على شستر هو والبراء بن مالك وكانا من أبطال المسلمين (٢) هو بكر بن النطاح فى أبى دلف

(٣) أيضا قال أبو الحسن هو بكر بن النطاح

(٤) الهرم الضب يقال انه فى الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج قال الشاعر.

كما أكب على ذى بطنه الهرم * وقيل ان هرم بن حيان حملته أمه اربع سنين ولذلك سمي هرما

١٥ وكان بالرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر التحدث عن بنى اسرائيل فيظن به الكذب فقال له يوما الحجاج بن حنتمة ما كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنتمة فقال له رجل من ولد أبى موسى الاشعرى فى أى الكتب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن العاص .

١٦ ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتهن وكان واجداعليه فقال معاوية هات فأنشده .

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ثم لم ينشب معاوية أن دخل عليه معن بن أوس المزنى فقال له معاوية أقلت بعد ناشيئا قال نعم يا أمير المؤمنين فأنشده .

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل على أينا تغدو المنية أول

حتى صار الى الابيات التى أنشدها ابن الزبير فقال له معاوية يا أبا بكر أما ذكرت آنفا أن هذا الشعر لك قال أنا أصلحت معانيه وهو ألف الشعر وهو بعد ظئرى فما قال من شىء فهو لى (قال أبو العباس) وكان عبد الله بن الزبير مسترضعا فى مزينة . وشهد اعرابى عند معاوية بشهادة فقال له معاوية كذبت فقال له الاعرابى الكاذب متزمل فى ثيابك فقال معاوية هذا جزاء من عجل . وقال معاوية يوما للاحنف وحدثه حديثا أتكذب فقال والله ما كذبت مذ علمت ان الكذب يشين أهله .

١٧ وقال الاصمعى قلت لاعرابى كنت أعرفه بالكذب أصدقت قط قال لولا انى أخاف أن أصدق فى هذا لقلت لك .

١٨ وقال القينى أنا اصدق فى صغير مايضرنى ليجوز كذبى فى كبير ماينفعنى وأنشد المازنى للأعشى وليس مما روت الرواة متصلا بقصيدة .

فصدقتهم وكذبتهم والمرء ينفعه كذابه

١٩ وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معد يكرب كان معروفا بالكذب وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان عمرو بن معد يكرب يكذب

فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال وذكروا من غير وجه ان أهل الكوفة من الاشراف كانوا يظهرون بالكناسة فيتحدثون على دوابهم الى أن يطردهم حر الشمس فوقف عمرو بن معد يكرب وخالد بن الصقعب النهدى فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال له خالد حلاً أبا ثور ان قتيلك هو المحدث فقال ياهذا اذا حدثت فاستمع فانما نتحدث بمثل ماتسمع لترهب به هذه المعدية قوله حلا أبا ثور يقول استثن يقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن وقوله مسترعفين يقول مقدمين له يقال جاء فلان يرعُف الجيش ويوم الجيش اذا جاء متقدماً لهم ويقال فى الرعاف رعَف يرعُف لا يقال غير رعَف ويجوز يرعَف من أجل العين وليس من الوجه وسنذكر هذا الباب .

اعلم أن كل فعل على فعُل فهو غير متعد الى مفعول لانه فعل الفاعل فى نفسه وتأويله الانتقال وذلك قولك كرم عبد الله وظرف عبد الله وتأويل قولى الانتقال انما هو انتقال من حال الى حال تقول ماكان كريما ولقد كرم وما كان شريفاً ولقد شرف فهذا تأويله فأما قولهم كدت أكاد فانما كدت معترضة على أكاد . وما كان من فعِل الصحيح فانه يفعَل نحو شرب يشرب وعلم يعلم وفرق يفرق ويكون متعديا وغير متعد تقول حذرت زيدا وعلمت عبد الله ويكون فيه مثل سمنت وبخلت غير متعد وكله على يفعل نحو يسمن ويبخل ويعلم ويحذر فأما قولهم فى الأربعة من الافعال يحسب وييئس وينعم وييبس فهى معترضة على يفعل تقول فى جميعها يحسب وينعم وييأس وييبس . وما كان على فعل فبابه يفعُل ويفعِل نحو قتل يقتل وضرب يضرب وقعد يقعد وجلس يجلس فقد انبأتك انه يكون متعديا وغير متعد فأما يأبى ويقلى فلهما علة تبين عند ما اذكره لك ان شاء الله ولا يكون فعَل يفعَل الا أن يكون يعرض له حرف من حروف الحلق الستة فى موضع العين أو موضع اللام فان كان ذلك الحرف عيناً فتح نفسه وان كان لاماً فتح العين وحروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك قولهم قرأ يقرأ قرءا يافتى وقراءة وسأل يسأل وجبه يجبه وذهب يذهب وتقول صنع يصنع

وظعن يظعن وضبح يضبح وكذلك فرغ يفرغ وسلخ يسلخ وقد يجوز أن يجئ الحرف على أصله وفيه أحد الستة يجوز زأر يزئر وفرغ يفرُغ وصبغ يصبُغ الا أن الفتح لا يكون فيما ماضيه فَعل الا وأحد هذه الحروف فيه وأما يأبى فله علة وأما يقلى فليس يثبت وسيبويه يذهب فى يأبى الى انه انما انفتح من أجل ان الهمزة فى موضع فائه والقول عندى على ماشرحت لك من انه اذا فتح حدث فيه حرف من حروف الحلق فانما انفتح لانه يصير الى الالِف وهى من حروف الحلق ولكن لم تذكر هنا لانها لاتكون أصلا انما تكون زائدة أو بدلا ولا تكون متحركة فانما هى حرف ساكن ولا يعتمد اللسان به على موضع فهذا الذى ذكرت لك من أن يسع ويطأ أحدهما فِعل يفعِل فى المعتل كحسب يحسب من الصحيح ولكن فتحتهما العين والهمزة كما تقول ولغ الكلب يلَغ والاصل يلِغ لحرف الحلق فتحه

٢٠ ويروى ان أخا اياس بن معاوية المزنى صار الى ابن هبيرة فقال طرقنى اللصوص لحاربتهم فهزمتهم وظفرت منهم بهذا المغول (١) فجعله ابن هبيرة تحت مصلاه ثم بعث الى الصياقلة فأحضرهم فقال أيعرف منكم الرجل عمله قالوا نعم فأخرج المغول فقال مِن عمل أيكم هذا فقال قائل منهم أنا عملت هذا واشتراه منى هذا أمس .

٢١ وحدثت أن عمر بن عبد العزيز كتب فى اشخاص اياس بن معاوية المزنى وعدى بن أرطأة الفزارى أمير البصرة وقاضيها يومئذ فصار اليه عدى فقرب ان يمزنه عند الخليفة فقال يا أبا واثلة ان لنا حقا ورحما فقال اياس أعلى الكذب تريدنى والله مايسرنى انى كذبت كذبة يغفرها الله لى ولا يطلع عليها الا هذا «وأومأ الى أبيه» ولى ماطلعت عليه الشمس (٢)

---

(١) المغول سيف صغير . (٢) قال أبو الحسن التمزين المدح ولم أسمع هذه اللفظة الا من ابى العباس وهى عندى مشتقة من المازن وهو النمل وبهذا سميت مازن كأنه أراد منه أن يكبره ويروى يكثره قال العتبي المازن بيض النمل وقال الشيخ قوله أن يمزنه عند الخليفة اى كأنه يجعله سيد مزينة لانه كان

٢٢ ويروى ان رجلا وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فكذبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك فتكذبنى لولا سخاء فيك ومقك الله عليه لشردت بك من وافد قوم . معنى ومقك أحبك يقال ومقته أمقه وهو على فعِلت أفعِل ونظيره من هذا المعتل ورم يرم وولى يلى وكذلك وسع يسع كانت السين مكسورة وانما فتحت للعين ولو كان أصلها الفتح لظهرت الواو نحو وجل يوجل ووحل يوحل والمصدر مقة كقولك وعد يعد عدة ووجد يجد جدة .

٢٣ ويروى ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم قال يارسول الله انما أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا أستسر بخلال أربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركت لك سرا فقال رسول الله دع الكذب فاما ولى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هم بالزنا فقال يسألنى رسول الله فان جحدت نقضت ماجعلت له وان أقررت حددت فلم يزن ثم هم بالسرق ثم هم بشرب الخمر ففكر فى مثل ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قد تركتهن جمع

الفصل التاسع فى المتفرقات

١ ذكر الأذواء من اليمن فى الاسلام

فأما فى الجاهلية فيكثرون نحو ذى يزن وذى كلاع وذى نواس وذى رعين وذى أصبح وذى المنار وذى القرنين وأما فى الاسلام فمنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنصارى . ومنهم قتادة ابن النعمان الانصارى ذو العين كانت عينه أصيبت فردها رسول الله صلى الله عليه

مزنيا والصواب يعزره قال الموصلى . وانى مع ذا الشيب حلو مزير . ولم يكن فى القضاة وانما كان أميرا على البصرة الى أن مات عمرو وكان كتب عمر الى عدى اجمع ناسا ممن قبلك وشاورهم فى أياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة واستقض أحدهما فولى عدى اياسا .

وسلم فكانت أحسن عينيه وكانت تعتل عينه الصحيحة فلا تعتل المردودة معها. ومنهم أبو الهيثم بن النيهان الانصارى ذو السيفين كان يتقلد سيفين فى الحرب. ومنهم حباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأى وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ برأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له آراء فى الجاهلية مشهورة . ومنهم سعد بن صفيح ذو السبال . ومنهم ذو المشهرة وهو أبو دجانة سماك بن خرشة وكانت له مشهرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر وكل هؤلاء من الانصار . ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطفيل الأزدى ثم الدوسى ذو النور أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا فى جبينه ليدعو به قومه فقال يارسول الله هذه مثلة فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوطه فلما ورد على قومه بالسراة جعلوا يقولون ان الجبل ليلتهب وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة. ومنهم ثم من خزاعة ذو اليدين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين وكان قبل يدعى ذا الشمالين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فسلم فى الركعة الثانية فقال ذو اليدين يارسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ما كان ذاك فقال بلى يارسول الله فالتفت الى أصحابه فقال مايقول ذو اليدين فقالوا صدق يارسول الله فنهض فأتم ثم قال انى لأنسى او أنسّى لأستن.

٢ تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية

منهم سعد بن معاذ الانصارى وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجليه فى المشى لئلا يطأ على جناح ملك واهتز لموته عرش الله جل وعز وفى ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به الا لسعد أبى عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب وشم من تراب قبره رائحة المسك . ومنهم حسان بن ثابت الانصارى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك وقال فى حديث آخر ان الله مؤيد حسانا بروح القدس مانافح عن نبيه وقالت عائشة كان يوضع لحسان منبر فى مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم حنظلة

ابن أبى عامر الانصارى غسلته الملائكة وذاك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبكم هذا قد غسلته الملائكة فسئل عن ذلك فقالت امرأته كان معى على مايكون الرجل مع امرأته فاعجلته حطمة بلغته فى المسلمين فخرج فاصيب ففى ذلك يقول الاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح حمى الدبر وكان خال أبيه

غسلت خالى الملائكة الابـ رار ميتاً أكرم به من صريع
وأنا ابن الذى حمت ظهره الدبـ ر قتيل اللحيان يوم الرجيع

ومنهم حارثة بن النعمان رأى جبريل صلى الله عليه وسلم مرتين وأقرأه جبريل السلام ومنهم ثم من خزاعة عمران بن حصين كانت تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان رجالا كانوا يأتوننى لم أر أحسن منهم وجوها ولا أطيب أرواحا ثم قد انقطعوا عنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابك جرح فكنت تكتمه فقال أجل قال ثم أظهرته قال قد كان ذلك قال أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت . ومنهم جرير بن عبد الله البجلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن عليه مسحة ملك ومنهم دحية بن خليفة الكلبى كان جبريل صلى الله عليه وسلم يهبط فى صورته فمن ذلك يوم بنى قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يامحمد أقد وضعتم سلاحكم ماوضعت الملائكة أسلحتها بعد ان الله يأمرك أن تسير الى بنى قريظة وهاأنذا سائر اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا يصلوا العصر الا فى بنى قريظة فجعل يمر بالناس فيقول أمر بكم أحد فيقولون مر بنا دحية بن خليفة على بغلة عليها قطيفة خز نحو بنى قريظة فيقول ذاك جبريل ثم مر دحية بعد ذلك وكان لايزال عليه السلام فى غير هذا اليوم ينزل فى صورته كما ظهر ابليس فى صورة الشيخ النجدى .

٣ بر الاولاد وعقوقها

قيل لعمر بن ذر حيث نظر الى تعزيه عن ابنه كيف كان بره بك فقال

مامشيت بنهار معه قط الا مشى خلفى ولا بليل الا مشى أمامى ولا رقى سطحا وأنا تحته .

وقيل لعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم انك من أبر الناس بأمك ولسنا نراك تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى الى ماقد سبقت عينها اليه فأكون قد عققتها .

وقال أبو المخش كانت لى ابنة تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة فى ذراع كأنها جمارة فلا تقع عينها على أكلة نفيسة الاخصتنى بها فزوجتها وصار يجلس معى على المائدة ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة فى ذراع كأنها كربة فوالله ان سبقت عينى الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها .

وقال الاصمعى قيل لابى المخش أما كان لك ابن فقال المخش وما كان المخش كان والله أشدق خرطمانيا اذا تكلم سال لعابه كأنما ينظر من قلتين وكأن ترقوته بوان أو خالفة وكأن مشاش منكبيه كركرة جمل ففقأ الله عينى هاتين ان كنت رأيت بهما أحسن منه قبله ولا بعده . قوله بوان أو خالفة فهما عمودان من عمد البيت البوان فى مقدمه والخالفة فى مؤخره والكرنافة طرف الكربة العريض الذى يتصل بالنخلة كأنه كتف حدثنى بهذا الحديث العباس ابن الفرج الرياشى عن الاصمعى وحدثنى عمن حدثه قال مر بنا اعرابى ينشد ابناً له فقلنا صفه فقال دنينير قلنا لم نره فلم نلبث أن جاء بجعل على عنقه فقلنا لو سألت عن هذا لارشدناك مازال منذ اليوم بين أيدينا . وأنشدنى منشد وأنشدنى الرياشى أحد البيتين

نعم ضجيع الفتى اذا برد الليـ ـل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله فى الفؤاد كما زين فى عين والد ولد

وقالت أم ثواب الهزانية من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار تعنى ابنها

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه أم الطعام ترى فى ريشه زغبا
حتى اذا آض كالفحال شذبه أباره ونفى عن متنه الكربا
أنشا يخرق أثوابى ويضربنى أبعد ستين عندى تبتغى الأدبا

انى لأبصر فى ترجيل لمته   وخط لحيته فى وجهه عجبا
قالت له عرسه يوما لتسمعنى   رفقاً فان لنا فى أمنا أربا
ولو رأتنى فى نار مسعرة   من الجحيم لزادت فوقها حطبا

قوله أباره فهو الذى يصلحه يقال أبرت النخل وأبرته خفيفة اذا لقحته ويروى أن مالك بن العجلان أو غيره من الانصار كان يتحف أبا جبيلة الملك حيث نزل بتمر من نخلة لهم شريفة فغاب يوماً فقال أبو جبيلة ان مالكا كان يقوت علينا جنى هذه النخلة فجدوها فجاء مالك وقد جدت فقال من سعى على عذق الملك فجده فأعلموه أن الملك أمر بذلك فجاء حتى وقف عليه فقال

جددت جنى نخلتى ظالما   وكان الثمار لمن قد أبر

فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة أطرفوه بهذا الحديث فقال صلى الله عليه وسلم الثمر لمن أبر الا أن يشترطه المشترى والفحال فحل النخل ولا يقال لشئ من الفحول فحال غيره وأنشدنى المازنى .

يطفن بفحال كأن ضبابه   بطون الموالى يوم عيد تغدت

وضبابه طلعه وآض عاد ورجع وقولها شذبه تقول قطع عنه الكرب والعثاكيل وكل مشذب مقطوع ويقال للرجل الطويل النحيف مشذب يشبه بالجذع المحذوف عنه الكرب وأصل التشذيب القطع قال الفرزدق

عضت سيوف تميم حين أغضبها   رأس ابن عجلى فأضحى رأسه شذبا

أراد عضت سيوف تميم رأس ابن عجلى حين أغضبها وابن عجلى عبد الله ابن خازم السلمى وأمه عجلى وكانت سوداء وهو أحد غربان العرب فى الاسلام وسئل المهلب مَن أشجع الناس فقال عباد بن حصين وعمر بن عبيد الله بن معمر والمغيرة ابن المهلب فقيل له فأين ابن الزبير وابن خازم وعمير بن الحباب فقال انما سئلت عن الأنس ولم أسأل عن الجن

٤ اكرام رسول الله لعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب

قال أبو العباس حدثنى مسعود بن بشر قال حدثنى محمد بن حرب قال أتى عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلة

وأقعده الى جانبه ثم قال انه ابن أمى وكان أبوه يرحمنى (١)

وأنشدنى مسعود قال أنشدنى طاهر بن على بن سليمان قال أنشدنى منصور ابن المهدى لرجل من بنى ضبة بن أد يقوله لبنى تميم بن مر بن أد .

أبنى تميم اننى أنا عمكم ... لا تحرمُن نصيحة الاعمام
انى أرى سبب الفناء وانما ... سبب الفناء قطيعة الارحام
فتداركوا بأبى وأمى أنتم ... ارحامكم برواجح الاحلام (٢)

٥ زهد عمر بن الخطاب وتفقده لعماله

قال الربيع بن زياد الحارثى كنت عاملا لأبى موسى الاشعرى على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعاً قال فلما قدمنا أتيت يرفأ فقلت يا يرفأ مسترشد وابن سبيل أىّ الهيئات أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الىّ بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتى على رأسى فدخلنا على عمر فصفنا بين يديه فصعد فينا وصوّب فلم تأخذه عينه أحدا غيرى فدعانى فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثى قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترتزق قلت الفاً قال كثير فما تصنع به قلت أتقوّت منه شيئا وأعود به على أقارب لى فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعى من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا علىّ فدعانى فقال كم سنك قلت خمس واربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابى حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعت له فأتى بخبز وأكسار بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت أنظر اليه يلحظنى من بينهم ثم سبقت منى كلمة تمنيت انى سخت فى الارض فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى ألين من هذا فزجرنى ثم قال كيف قلت فقلت أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك

---

(١) الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقه (٢) كذا أنشد ارحامكم ويروى أحسابكم

اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليناً واللحم غريضاً فسكن من غربه وقال أهاهنا غرت قلت نعم فقال ياربيع انالو نشاء ملأ نا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكنى رأيت الله عزوجل نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ثم أمر أبا موسى باقرارى وان يستبدل بأصحابى قوله فاشتها على رأسى يقول أدرت بعضها على بعض على غير استواء يقال رجل ألوث اذا كان شديدا وذلك من اللوث ورجل الوث اذا كان أهوج وهو مأخوذمن اللوثة . وحدثنى عبد الصمد بن المعذل قال سئل الاصمعى عن المجنون المسمى قيس بن معاذ فثبته وقال لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبى حية الشاعر . وقيل للأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى بم كنتم تعرفون السودد فى الصبى منكم قال اذا كان ملوث الأزرة طويل الغرلة سائل الغرة كان به لوثة فلسنا نشك فى سودده وقوله تؤتى باللحم غريضا يقول طريا يقال لحم غريض وشواء غريض يراد به الطراء قال الغسانى (١)

اذا ما فاتنى لحم غريض ضربت ذراع بكرى فاشتويت

وقوله صلائق فمعناه ما عمل بالنار طبخاً وشيا يقال صلقت الجنب اذا شويته وصلقت اللحم اذا طبخته على وجهه وقوله سبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحوارى وكانت العرب تسمى الرقاق السبائك وأصله ماذكرنا والصناب يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابى اذا كان فى ذلك اللون وكان جرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ففركت جريرا وجعلت تحن الى زيد فقال جرير

تكلفنى معيشة آل زيد ومن لى بالمرقق والصناب
وقالت لا تضم كضم زيد وما ضمى وليس معى شبابى

فقال الفرزدق يجيبه .

فان تفركك علجة آل زيد ويعوزك المرقق والصناب
فقدما كان عيش أبيك مرا يعيش بما تعيش به الكلاب

---

(١) هو السموأل .

وأما قوله اكسار بعير فان الكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليه من اللحم وأما قوله نعى على قوم شهواتهم فمعناه أنه عابهم بها ووبخهم قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على ان فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحارث بن شهاب أحد بنى ثعلبة بن يربوع بن حنظلة صياد الفوارس وسم الفرسان وفارس قيس عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وفارس ربيعة بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد أحد بنى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على بن بكر بن وائل قال ثم اختلفوا بينهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم وأما قوله أهينا غرت يقول ذهبت يقال غار الرجل اذا أتى الغور وناحيته مما انخفض من الأرض وأنجد اذا أتى نجدا وناحيته مما ارتفع فى الارض ولا يقال أغار انما يقال غار وانجد وبيت الاعشى ينشد على هذا

نبى يرى ما لا ترون وذكره لعمرى غار فى البلاد وانجدا

وقوله سكن من غربه يقول من حده وكذلك يقال فى كل شىء فى السيف والسهم والرجل وغير ذلك وقوله خفين مطارقين تأويله مطبقين يقال طارقت نعلى اذا أطبقتها ومن قال طرقت وأطرقت فقد أخطأ ويقال لكل ما ضوعف قد طورق قال ذو الرمة (١)

طراق الخوافى واقع فوق ريعة ندى ليله فى ريشه يترقرق

قوله ريعة موضع ارتفاع قال الله عز وجل (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) وهو جمع ريعة وقال الشماخ

تعن له بمذنب كل واد اذا ما الغيث أخضل كل ريع

٦ هيبة المرزبان من تقواه (٢)

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يلتف فى كسائه وينام فى ناحية المسجد فلما ورد بالمرزبان عليه جعلوا يسألون عنه فيقال مر ههنا آنفا فيصغر فى قلب المرزبان اذ رآه كبعض السوق حتى انتهى اليه وهو نائم فى ناحية المسجد فقال

---

(١) يصف صقرا (٢) كذا وقعت الرواية المرزبان والصواب الهرمزان وكان صاحب تسترا

المرزبان هذا والله الملك الهنيء يقول لا يحتاج الى أحراس ولا عدد فلما جلس عمر امتلأ قاب العلج منه هيبة لما رأى عنده من الجد والاجتهاد وألبس من هيبة التقوى وقال الكلبي قال لى خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز القسرى ما تعدون السؤدد فقلت اما فى الجاهلية فالرياسة وأما فى الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لى صدقت كان أبى يقول لم يدرك الأول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدرك به الأول قال فقلت صدق أبوك ساد الأحنف بحلمه وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له وساد قتيبة بدهائه وساد المهلب بجميع هذه الخلال فقال لى صدقت كان أبى يقول خير الناس للناس خيرهم لنفسه وذلك انه اذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع ومن القتل لئلا يقاد ومن الزنا لئلا يحد فسلم الناس منه باتقائه على نفسه قال أبو العباس وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال قال له عبد الملك يوما ما مالك فقال شيئان لا عيلة على معهما الرضا عن الله والغنى عن الناس فلما نهض من بين يديه قيل له هلا خبرته بمقدار مالك فقال لم يعد ان يكون قليلا فيحقرنى أو كثيرا فيحسدنى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون أعز الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله

وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه من سره الغنى بلا مال والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته فانه واجد ذلك كله .

٧ وقف على لضيعتى ابى نَيْزَر والبُغيبغة

رووا ان عليا رضى الله عنه لما أوصى الى الحسن فى وقف أمواله وان يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين ابى نيزر والبغيبغة وهذا غلط لأن وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته حدثنا أبو محلم محمد بن هشام فى اسناد ذكره آخره أبو نيزر وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الاعاجم قال وصح عندى

بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الاسلام صغيرا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام قال أبو نيزر جاءني علي بن أبي طالب وأنا اقوم بالضيعتين عين ابي نيزر والبغيبغة فقال لي هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعته باهالة سنخة فقال عليّ به فقام الى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئا ثم رجع الى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى انقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما الى أختها وشرب بهما حسىً من ماء الربيع ثم قال يا أبا نيزر ان الأكف أنظف الآنية ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم اخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وابطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا فقال أشهد الله أنها صدقة عليّ بدواة وصحيفة . قال فعجلت بهما اليه

فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله عليّ أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين الا أن يحتاج اليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما

قال محمد بن هشام فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي الف دينار فأبى أن يبيع وقال انما تصدق بها أبي ليقي الله بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء . وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة أما بعد فان أمير المؤمنين أحب ان يرد الألفة ويسل السخيمة ويصل الرحم فاذا وصل اليك كتابي فاخطب الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق فوجه مروان الى عبد الله ابن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية واعلمه بما في رد الألفة من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة فقال عبد الله ان خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر

فأنظرني الى أن يقدم وكانت أمها زينب بنت على بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر فقام من عنده فدخل الى الجارية فقال يا بنية ان ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ولعلك ترغبين فى كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات فلما حضر القوم للأملاك تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة فتكلم الحسين فزوجها من القاسم فقال له مروان أغدرا ياحسين فقال انت بدأت خطب أبو محمد الحسن بن على عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا لذلك فتكلمت انت فزوجتها من عبد الله بن الزبير فقال مروان ما كان ذلك فالتفت الحسين الى محمد بن حاطب فقال أنشدك الله أكان ذاك قال اللهم نعم . فلم تزل هذه الضيعة فى يدى بنى عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك له فقال كلا هذا وقف على بن أبي طالب صلوات الله عليه فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردها الى ما كانت عليه

٨ — تواضع عمر بن عبد العزيز وزهده

روى ان عمر بن عبد العزيز كان يدخل اليه سالم مولى بنى مخزوم وقالوا بل زياد وكان عمر أراد شراءه وعتقه فاعتقه مواليه وكان عمر يسميه أخى فى الله فكان اذا دخل وعمر فى صدر مجلسه تنحى عن الصدر فيقال له فى ذلك فيقول اذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس . وهم السراج ليلة بأن يخمد فوثب اليه رجاء بن حيوة ليصلحه فأقسم عليه عمر فجلس ثم قام فأصلحه فقال له رجاء أتقوم يا أمير المؤمنين قال قمت وأنا عمر ابن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا ترفعونى فوق قدرى فتقولوا فىّ ما قالت النصارى فى المسيح فان الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا .

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مرضته التى مات فيها فقال الا توصى يا أمير المؤمنين قال فيم اوصى فوالله ان لى من مال فقال هذه مائة ألف فمر فيها بما أحببت فقال أو تقبل قال نعم قال ترد على من أخذت منه

ظلما فبكى مسلمة ثم قال يرحمك الله لقد ألنت منا قلوبا قاسية وأبقيت لنا فى الصالحين ذكرا .

٩ — رسولاه الى أليون النصرانى بطلب هدايته

وحدثت أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وجه عبد الله بن عبد الأعلى ومعه رجل من عَنَس الى أليون قال العنسى فخلا بى عمر دونه وقال لى احفظ كل ما يكون منه فلما صرنا اليه صرنا الى رجل عربى اللسان انما نشأ بمرعش فذهب عبد الله ليتكلم فقلت على رسلك فحمدت الله وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قلت انى وجهت بالذى وجه به هذا وان أمير المؤمنين يدعوك الى الاسلام فان تقبله تصب رشدك وانى لأحسب ان الكتاب قد سبق عليك بالشقاء الا أن يشاء الله غير ذلك فان قبلت والا فاكتب جواب كتابنا قال ثم تكلم عبد الله فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب فى القول وكان مفوّها فقال له أليون ياعبد الله ماتقول فى المسيح فقال روح الله وكلمته فقال أيكون ولد من غير فحل فقال عبد الله فى هذا نظر فقال أى نظر فى هذا اما نعم واما لا فقال عبد الله آدم خلقه الله من تراب فقال ان هذا أخرج من رحم قال فى هذا نظر قال له اليون بالرومية انى أعلم انك لست على دينى ولا على دين الذى أرسلك « قال وأنا أفهم بالرومية » ثم قال أتعظمون يوما غير يوم الجمعة فقال نعم فقال وما ذلك اليوم أمن أعيادكم هو فقال لا قال فلم تعظمونه قال عيد لقوم كانوا صالحين قبل أن يصير اليكم قال فقال له اليون بالرومية قد علمت انك لست على دينى ولا على دين الذى أرسلك فقال له عبدالله أتدرى ما يقول أهل السفه قال وما يقولون قال يقولون قال ابليس أمرت ألا أسجد الا لله ثم قيل لى اسجد لآدم قال فقال له بالرومية الأمر فيك أبين من ذلك . قال ثم كتب جواب كتابنا قال فرجعنا الى عمر بها قال فخبرناه بما أردنا ثم نهضنا فردنى اليه من باب الدار فخلا بى فأخبرته فقال لعنه الله لقد كانت نفسى تأباه ولم أحسبه يجترىء على مثل هذا قال فلما خرجت قال لى عبد الله ما الذى قال لك قال قلت قال لى أتطمع فيه قلت لا .

١٠ علی بن عبد الله بن العباس وتوقعه الخلافة فی بنیه

یروی عن علی بن أبی طالب رحمة الله علیه أنه افتقد عبد الله بن العباس رحمه الله فقال ما بال أبی العباس لم یحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلی علیّ رحمه الله قال امضوا بنا الیه فأتاه فهنأه فقال شکرت الواهب وبورک لك فی الموهوب ما سمیته قال أویجوز لی أن أسمیه حتی تسمیه فأمر به فأخرج الیه فأخذه وحنکه ودعا له ثم رده الیه وقال خذه الیك أبا الاملاك قد سمیته علیا وکنیته أبا الحسن فلما قام معاویة قال لابن عباس لیس لکم اسمه وکنیته قد کنیته أبا محمد فجرت علیه .

وکان علیّ سیدا شریفا بلیغا وکان له خمسمائة أصل زیتون یصلی فی کل یوم الی کل أصل رکعتین فکان یدعی ذا الثفنات وضرب بالسوط مرتین کلتاهما ضربه الولید احداهما فی تزوجه لبابة بنت عبد الله بن جعفر وکانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمی بها الیها وکان أبخر فدعت بسکین فقال ماتصنعین به قالت أمیط عنها الاذی فطلقها فتزوجها علی بن عبد الله فضربه الولید وقال انما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منها لأن مروان بن الحکم تزوج أم خالد بن یزید بن معاویة لیضع منه فقال علی بن عبد الله انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها لاکون لها محرجا وأما ضربه ایاه فی المرة الثانیة فانا نرویه من غیر وجه ومن أتم ذلك ما حدثنیه أبو عبد الله محمد بن شجاع البلخی(١) فی اسناد له متصل لست أحفظه یقول فی آخر ذلك الاسناد رأیت علیا مضروبا بالسوط یدار به علی بعیر ووجهه مما یلی ذنب البعیر وصائح یصیح هذا علی بن عبد الله الکذاب قال فأتیته فقلت ما هذا الذی نسبوك فیه الی الکذب قال بلغهم قولی ان هذا الامر سیکون فی ولدی والله لیکونن فیهم حتی یملکهم عبیدهم الصغار العیون العراض الوجوه الذین کأن وجوههم المجان المطرقة ومع هذا الحدیث آخر فی شبیه باسناده أن علی بن عبد الله دخل علی سلیمان بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخلیفتان أبو العباس وأبو جعفر قال أبو العباس وهذا غلط لما أذکره لك انما

(١) محمد بن شجاع الثلجی کذا صوابه

ينبغى أن يكون دخل على هشام فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم على دين فأمر بقضائها قال له وتستوصى بابنى هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصلتك رحم فلما ولى على قال الخليفة لأصحابه ان هـذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمع ذلك على فالتفت اليه فقال والله ليكونن ذاك وليملكن هذان. قال أبو العباس أما قولى ان الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمان فلأن محمد بن على بن عبد الله كان يمنع من تزوج الحارثية للحديث المروى فلما قام عمر بن عبد العزيز جاء محمد فقال له انى أردت أن أتزوج بنت خالى من بنى الحارث بن كعب أفتأذن لى فقال عمر تزوج رحمك الله من أحببت فتزوجها فأولدها أبا العباس أمير المؤمنين وعمر بعد سليمان فلا ينبغى أن يكون تهيأ له أن يدخل على خليفة حتى يترعرع (١) فلا يتم مثل هذا الا فى أيام هشام

وكان عبد الملك يكرم عليا ويقدمه فحدثنى التوزى قال قال على بن عبد الله سايرت يوما عبد الملك فما جاوزنا الا يسيرا حتى لقيه الحجاج قادما عليه فلما رآه ترجل ومشى بين يديه فخب عبد الملك فأسرع الحجاج فزاد عبد الملك فهرول الحجاج فقلت لعبد الملك أبك موجدة على هذا فقال لا ولكنه رفع من نفسه فأحببت أن أغض منه . وحدثنى جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمى قال حضر علىّ عبد الملك وقد أهدى له من خراسان جارية وفص وسيف فقال يا أبا محمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدى وهى من سبى الصغد من رهط عجيف بن عنبسة فأولدها سليمان وصالحا ابنى على وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه فمرض سليمان من جدرى خرج عليه فانصرف علىّ من مصلاه فاذا بها على فراشه فقال مرحبا بك يا أم سليمان فوقع بها فأولدها صالحا فاجتنبت بعد فسألها عن ذلك فقالت خفت أن يموت سليمان فينقطع النسب بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن اذ ولدت صالحا فبالحرى ان ذهب أحدهما أن يبقى الآخر وليس مثلى اليوم من وطئه

---

(١) ش كذا وقع فى الام والرواية والصحيح ه‍ لهما أن يدخلا على خليفة حتى يترعرعا ه

الرجال . وزعم جعفر أنه كانت فيها رتة فالرتة تعذر الكلام اذا أراده الرجل فهى الآن معروفة فى ولد سليمان وولد صالح . وكان على يقول أكره أن أوصى الى محمد «وكان سيد ولده» خوفا من أن أشينه بالوصية فأوصى الى سليمان فلما دفن على جاء محمد الى سعدى فقال أخرجى الى وصية أبى فقالت ان أباك أجل من أن تخرج وصيته ليلا ولكنها تأتيك غدا فلما أصبح غدا بها عليه سليمان فقال يا أبى ويا أخى هذه وصية أبيك فقال محمد جزاك الله من ابن وأخ خيرا ما كنت لأثرب على أبى بعد موته كما لم أثرب عليه فى حياته

قال أبو العباس التمتمة التردد فى التاء والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة التواء اللسان عند ارادة التكلم والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والرتة كالرتج تمنع أول الكلام فاذا جاء منه شىء اتصل والغمغمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف والطمطمة أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم واللكنة أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية واللثغة أن يعدل بحرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها والترخيم حذف الكلام . وسنفسر هذا بحججه حرفا حرفا وما قيل فيه ان شاء الله

يقال رجل فافاء يافتى تقديره فاعال (١) ونظيره من الكلام ساباط وخاتام (٢) قال الراجز

يامىّ ذات الجورب المنشق　　أخذت خاتامى بغير حق

وقال ربيعة الرقى فى مدحه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وذمه يزيد بن أسيد السلمى وربيعة احتج به الاصمعى

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى　　يزيد سليم والأغر بن حاتم

---

(١) كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الاولى والصحيح انه بالهمز على فعلال مثل خضخاض وقمقام فالذى حكى أبو العباس غلط لان سيبويه رحمه الله قال ليس فى الصفات فاعال . (٢) قال أبو الحسن يقال خاتم على وزن دانق وخاتم على وزن ضارب وخيتام على وزن ديان وخاتام على وزن ساباط

فهم الفتى الأزدى اتلاف ماله ... وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام انى هجوته ... ولكننى فضلت أهل المكارم

وقال آخر أيضا

ليس بفافاء ولا تمتام ... ولا مُحِثّ سقط الكلام

وقال الشاعر

وقد تعتريه عقلة فى لسانه ... اذا هز نصل السيف غير قريب

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال أقبلت على الفكر فى أيام محاربة الزّط فاعترتنى حبسة فى لسانى وهذا يكون لان اللسان يحتاج الى التمرين على القول حتى يخف له كما تحتاج اليد الى التمرين على العمل والرجل الى التمرين على المشى وكما يعانيه مُوَتِّر القوس ورافع الحجر ليصلب ويشتد قال الراجز

كأن فيه لففا اذا نطق ... من طول تحبيس وهم وأرق

وقال ابن المقفع اذا كثر تقليب اللسان رقت جوانبه ولانت عذبته وقال العتابى اذا حبسُ اللسان عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف . وأما الرتة فانها تكون غريزة قال الراجز . يا أيها المخلط الأرت . ويقال انها تكثر فى الاشراف ولم توجد تختص واحداً دون واحد . وأما الغمغمة فقد تكون من الكلام وغيره لانه صوت لا يفهم تقطيع حروفه وحدثنى من لا أحصى من أصحابنا عن الاصمعى عن شُعبة عن قتادة قال قال معاوية يوماً من أفصح الناس فقام رجل من السماط فقال قوم تباعدوا عن فُراتية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طُمْطُمانية حمير فقال له معاوية من أولئك فقال قومى يا أمير المؤمنين فقال له معاوية من أنت قال أنا رجل من جرم قال الاصمعى وجرم من فصحاء الناس

قوله تيامنوا عن كشكشة تميم فان بنى عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف فى المخرج وانها مهموسة مثلها فأرادوا البيان فى الوقف لان فى الشين تفشياً فيقولون للمرأة جعل الله لك البركة فى دارش ويحك مالش فالتى يدرجونها يدعونها كافا والتى يقفون عليها

يبدلونها شينا . وأما بكر فتختلف فى الكسكسة فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما يفعل التميميون فى الشين وهم أقلهم وقوم يبينون حركة كاف المؤنث فى الوقف بالسين فيزيدونها بعدها فيقولون أعطيتكس . وأما الغمغمة فما ذكرت لك وقال الهارب لامرأته يوم الخندمة وذاك انها نظرت اليه يحد حربة فى يوم فتح مكة فقالت ماتصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت والله ان أراه يقوم لمحمد وأصحابه شئ فقال لها انى لأرجو أن أخدمك بعضهم وانشأ يقول (١)

ان تقبلوا اليوم فما بى عله * هذا سلاح كامل وأله * وذو غرارين سريع السله .

الألة الحربة والغرار ها هنا الحد يعنى بذى غرارين السيف فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل فلامته امرأته فقال

انك لو شهدت يوم الخندمه   اذ فر صفوان وفر عكرمه
ولحقتنا بالسيوف المسلمه   يفلقن كل ساعد وجمجمه
ضربا ولا تسمع الا غمغمه   لهم نهيت حولنا وجمجمه
لم تنطق فى اللوم أدنى كلمه

وأما الطمطمانية ففيها يقول عنترة

تبرى له حول النعام كأنها   حزق يمانية لأعجم طمطم

وكان صهيب أبو يحيي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتضخ لكنة رومية ويذكرون أن نسبه فى النمر بن قاسط صحيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة وقال عمر لصهيب فى قوله انه من النمر بن قاسط قد سمعت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انتمى الى غير نسبه فقال صهيب أنا من القوم ولكن وقع على سباء. وكان عبد بنى الحسحاس يرتضخ لكنة حبشية فلما أنشد عمر بن الخطاب .

---

(١) الهارب هو أبو عثمان الهذلى ويقال له الرعاش ويقال ان الرجز المذكور بعد هذا لحماس بن قيس أخى بنى بكر بن عبد مناة أنشده له أبو اسحاق والخندمة جبل دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وقيل الخندمة مشى فيه اسراع فأضيف الى اليوم لما كثر فيه

عميرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال عمر لو كنت قدمت الاسلام على الشيب لأجزتك فقال ماسعرت يريد ماشعرت . وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية وانما أتته من قبل زوج أمه شيرويه الاسوارى ويقال ان علياً عليه السلام عاد زيادا فى منزل شيرويه فقال عبيد الله يوماً لرجل كلمه فظن به رأى الخوارج (١) أهرورى منذ اليوم يريد أحرورى وهذه الهاء تشترك فى قلبها من الحاء أصناف من العجم . وكان زياد الأعجم وهو رجل من عبد القيس يرتضخ لكنة أعجمية يذهب فيها الى مذهب قوم بأعيانهم من العجم وأنشد المهلب بن أبى صفرة فى مدحه اياه .

فتى زاده السلتان فى المدح رغبة اذا غير السلتان كل خليل

يريد السلطان وذلك أن بين التاء والطاء نسبا فلذلك قلبها تاء لان التاء من مخرج الطاء فقال السلتان . وأما الغنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن لانها مالم تفرط تميل الى ضرب من النغمة قال ابن الرقاع العاملى يصف الظبية وولدها

تزجى أغن كان ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

١١ قول عمرو بن العاص وقد رئى على بغلة شمطاء

حدثنى العباس بن الفرج فى اسناد ذكره قال نظر الى عمرو بن العاص على بغلة قد شمط وجهها هرما فقيل له أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر فقال لا ملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى ولا لصديق ماحفظ سرى ان الملل من كواذب الاخلاق . قوله على اكرم ناخرة يريد الخيل يقال للواحد ناخر وقيل ناخرة يراد جماعة كما تقول رجل بغال وحمار والجماعة البغالة والحمارة وكذلك تقول أنتى عصبة نبيلة وقبيلة شريفة والواحد نبيل وشريف

١٢ وده لعائشة القتل يوم الجمل وقوله لها ذلك

وقال عمرو لعائشة رضى الله عنها لوددت انك كنت قتلت يوم الجمل فقالت ولم لا أبالك فقال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك اكبر التشنيع على على

---

(١) الرجل الذى كلمه عبيد الله بن زياد وظن انه من الخوارج هانئ بن قبيصة

١٣ بينه وبين معاوية فى عبد الله بن هاشم

وشاور معاوية عمرا فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك بن أبى وقاص وكان هاشم بن عتبة أحد فرسان على رضى الله عنه(١) فأتى بابنه معاوية فشاور عمرا فيه فقال أرى أن تقتله فقال له معاوية انى لم أر فى العفو الا خيرا فمضى عمرو مغضبا وكتب اليه

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى ... وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذى ... أعان علينا يوم حز الغلاصم
فقتلنا حتى جرى من دمائنا ... بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه عيصه ... ويوشك أن تلقى به جد نادم

فبعث معاوية بأبياته الى عبد الله بن هاشم فكتب اليه عبد الله بن هاشم

معاوى ان المرء عمرا أبت له ... ضغينة خب غشها غير نائم
يرى لك قتلى يا ابن هند وانما ... ترى ما يرى عمرو وملوك الاعاجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم ... اذا كان منه بيعة للمسالم
فان تعف عنى تعف عن ذى قرابة ... وان تر قتلى تستحل محارمى

فصفح عنه

١٤ بين معاوية والاحنف وبين الاحنف وآخر فى العهد الى يزيد

ويروى ان معاوية بن أبى سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف جالس فقال له معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه الرجل بالباب فقال يا أبا بحر انى لأعلم ان شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى استخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان

(١) وهو المرقال

ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها .

١٥ بين معاوية وابنه يزيد فى الخديعة يوم بويع له على عهده

ويروى ان يزيد بن معاوية قال لمعاوية فى يوم بويع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه(١) يا أمير المؤمنين والله ما ندرى أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال له معاوية كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته

١٦ بين معاوية ومن كان يكيد للاسلام من البطارقة

وحدثت ان معاوية كان اذا أتاه عن بطريق من بطارقة الروم كيد للأسلام احتال له فاهدى اليه وكاتبه حتى يغرى به ملك الروم فكانت رسله تأتيه فتخبره بان هناك بطريقا يؤذى الرسل ويطعن عليهم ويسيء عشرتهم فقال معاوية أى ما فى عمل الاسلام أحب اليه فقيل له الخفاف الحمر ودهن البان فألطفه بهما حتى عرفت رسله باعتياده ثم كتب كتابا اليه كأنه جواب كتاب منه يعلمه فيه انه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم وأمر الرسول بان يتعرض لان يظهر على الكتاب فلما ذهبت رسله فى أوقاتها ثم رجعت اليه قال ما حدث هناك قالوا فلان البطريق رأيناه مقتولا مصلوبا فقال وأنا أبو عبد الرحمن

١٧ بين معاوية وملك الروم فى الالغاز بقارورة

وحدثنى أحد الهاشميين ان ملك الروم وجه الى معاوية بقارورة فقال ابعث الى فيها من كل شيء فبعث الى ابن عباس فقال لتملأ له ماء فلما ورد بها على ملك الروم قال لله أبوه ما أدهاه فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك فقال لقول الله عز وجل (وجعلنا من الماء كل شيء حى) وقيل لرجل من بنى هاشم وهو جعفر ابن محمد بن على بن الحسين وكان يقدم فى معرفته ما طعم الماء فقال طعم الحياة

١٨ بين معاوية وملك الروم فى الاغراب بالطول والايد

وحدثت ان ملك الروم فى ذلك الأوان وجه الى معاوية ان الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ويجهد بعضهم فى ان يغرب على بعض أفتأذن فى ذلك

---

(١) تقدم فى خطبة لمعاوية مدح شاعر ليزيد اذ سلم عايه بالخلافة . السباعى

فأذن له فوجه اليه برجلين أحدهما طويل جسيم والآخر أيد فقال معاوية لعمرو أما الطويل فقد اصبنا كفأه وهو قيس بن سعد بن عبادة وأما الآخر الأيد فقد أحتجنا الى رأيك فيه فقال هاهنا رجلان كلاهما اليك بغيض محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير فقال معاوية من هو أقرب الينا على حال فلما دخل الرجلان وجه الى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه فدخل قيس فلما مثل بين يدى معاوية نزع سراويله فرمى بها الى العلج فلبسها فنالت ثندوته (١) فاطرق مغلوبا فحدثت ان قيسا ليم فى ذلك فقيل له لم تبذلت هذا التبذل بحضرة معاوية هلا وجهت الى غيرها فقال

اردت لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس والوفود شهود

والا يقولوا غاب قيس هذه سراويل عادى نمته ثمود

وانى من القوم اليمانين سيد وما الناس الا سيد ومسود

وبذ جميع الخلق أصلى ومنصبى وجسم به أعلو الرجال مديد

وكان قيس سناطا (٢) فكانت الانصار تقول لوددنا انا اشترينا له لحية بأنصاف أموالنا وسنذكر خبره بعد انقضاء هذا الخبر ان شاء الله « أما عبد الله ابن الزبير فيذكر أهله انه قال عالجت لحيتى لتتصل لى الى ان بلغت ستين سنة فلما أكدتها يئست منها » ثم وجه الى محمد بن الحنفية فدخل فخبر بما دعى له فقال قولوا له ان شاء فليجلس وليعطنى يده حتى أقيمه أو يقعدنى وان شاء فليكن القائم وأنا القاعد فاختار الرومى الجلوس فأقامه محمد وعجز هو عن اقعاده ثم اختار ان يكون محمد هو القاعد فجذبه فأقعده وعجز الرومى عن اقامته فانصرفا مغلوبين .

وكان قيس بن سعد شجاعا جوادا سيدا وجاءته عجوز قد كانت تألفه فقال لها كيف حالك فقالت ما فى بيتى جرذ فقال ما أحسن ما سألت اما والله لا كثرن جرذان بيتك . وكان سعد بن عبادة حيث توجه الى حوران قسم ماله بين ولده

---

(١) الثندوة ما اسود حول الحلمة (٢) السناط والسنوط ان يكون فى الذقن شىء من الشعر ولا يكون فى العارضين شىء فان لم يكن فيهما جميعا شىء فهو الثط .

وكان له حمل لم يشعر به فلما ولد له قال عمر بن الخطاب لا نقضن ما فعل سعد فجاءه قيس فقال يا أمير المؤمنين نصيبى لهـذا المولود ولا تنقض ما فعل سعد قال أبو العباس حدثت بهذا الحديث من حيث أثق به ان أبا بكر وعمر رحمهما الله مشيا الى قيس بن سعد يسألانه فى أمر هذا المولود فقال نصيبى له ولا أغير ما فعل سعد .

وكان معاوية كتب الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلى بن أبى طالب رحمه الله . أما بعد فانك يهودى ابن يهودى ان غلب أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان غلب أبغضهما اليك قتلك ومثل بك وقد كان أبوك فوق سهمه ورمى غرضه فاكثر الحز وأخطأ المفصل حتى خذله قومه وادركه يومه فمات غريبا بحوران والسلام . فكتب اليه قيس . أما بعد فانك وثن ابن وثن لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك دخلت فى الدين كرها وخرجت منه طوعا وقد كان أبى فوق سهمه ورمى غرضه فسعيت عليه أنت وأبوك ونظراؤك فلم تشقوا غباره ولم تدركوا شأوه ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى خرجت اليه والسلام .

وكان قيس موصوفا مع جماعة قد بذوا الناس طولا وجمالا منهم العباس ابن عبد المطلب رحمه الله وولده وجرير بن عبد الله البجلى والأشعث بن قيس الكندى وعدى بن حاتم الطائي وابن جذل الطعان الكنانى وأبو زبيد الطائى وزيد الخيل بن مهلهل الطائى وكان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل منهم مقبل الظعن وكان طلحة بن عبيد الله موصوفا بالتمام

١٩ محاورة بين عتبة بن أبى سفيان وبين أعرابى

قال عبد الملك بن عمير استعمل عتبة بن أبى سفيان رجلا من آله على الطائف فظلم رجلا من أزد شنوأة فأتى الازدى عتبة فمثل بين يديه فقال

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم　　فقد أتاكم غريب الدار مظلوم

ثم ذكر ظلامته فقال له عتبة انى أراك أعرابيا جافيا والله ما أحسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم وليلة فقال أرأيت ان أنبأتك ذلك أتجعل لى عليك مسألة فقال

نعم فقال الاعرابى .

ان الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع ثم صلاة الفجر لا تضيع

فقال صدقت فاسأل فقال كم فقار ظهرك فقال لا أدرى فقال أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك قال ردوا عليه غنيمته . قوله فقار انما هو جمع فقارة ويقال فقرة فمن قال فى الواحد فقرة قال فى الجميع فقر كقولك كسرة وكسر ومن قال للواحدة فقارة قال للجميع فقار كقولك دجاجة ودجاج وحمامة وحمام.

٢٠ منافرة بين عبد الملك بن مروان وخالد بن يزيد

يروى ان عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدا فقال يا أخى لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس والله ماهممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال ان خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى فقال له خالد أنا أكفيك فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون فقال خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك أفى عبد الله تكلمنى والله لقد دخل علىّ فما أقام لسانه لحنا فقال له خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد أسكت يا خالد فوالله ماتعد فى العير ولا فى النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه وقال ويحك فمن العير والنفير غيرى جدى أبو سفيان صاحب العير وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت .

أما قوله فى العير فهى عير قريش التى أقبل بها أبو سفيان من الشام فنهد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وندب اليها المسلمين وقال لعل الله ينفلكموها فكانت وقعة بدر وساحل أبو سفيان بالعير فكانت الغنيمة ببدر كما قال الله

عزوجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم أى غير الحرب فلما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل بدر قال المسلمون انهد بنا يارسول الله الى العير فقال العباس رحمه الله انما وعدكم الله احدى الطائفتين وأما النفير فمن نفر من قريش ليدفع عن العير فجاءوا فكانت وقعة بدر وكان شيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو جد خالد من قبل جدته هند ام معاوية بنت عتبة ومن أمثال العرب

لست فى العير يوم يحدون بالعيـــر ولا فى النفير يوم النفير

ثم اتسع هـذا المثل حتى صار يقال لمن لا يصلح لخير ولا لشر ولا يحفل به لا فى العير ولا فى النفير . وقوله غنيمات وحبيلات يعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطرد الحكم بن أبى العاصى بن أميـة وهو جد عبد الملك بن مروان لجأ الى الطائف فكان يرعى غنيمات ويأوى الى حبيلة وهى الكرمة وقوله رحم الله عثمان أى لرده اياه وقولنا أطرده أى جعله طريدا وطرده نحاه كما تقول حمدته أى شكرته وأحمدته أى صادفته محمودا وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده متى أفضى الأمر اليه روى ذلك الفقهاء

٢١ فطنة عبد الملك الى ما أراده صاحب الروم بالشعبي

لـما وجه عبد الملك الشعبى الى صاحب الروم فـكلمه قال له صاحب الروم بعد انقضاء ما بينهما أمن أهل بيت المملـكة أنت قال قلت لا ولـكنى رجل من العرب قال فكتب معى رقعة وقال لى اذا أديت جواب ماجئت له فأد هذه الرقعة الى صاحبك قال فلما رجعت الى عبد الملك فأعطيته جواب كتابه وخبرته بما دار بيننا نهضت ثم ذكرت الرقعة فرجعت فدفعتها اليه فلما وليت دعانى فقال لى أتدرى ما فى هذه الرقعة قلت لا قال فيها « العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف ولوا أمورهم غـيره » قال فلما وليت دعانى فقال لى أفتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك قال فقلت انمـا كثرت عنده يا أمير المؤمنين لأنه لم يرك قال فرجع الـكلام الى ملك الروم فقال لله أبوه ماعدا مافى نفسى .

٢٢ أدب عبد الملك ومساجلاته

قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الادباء أى المناديل أفضل فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقىء البيض (١) وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبد الملك ماصنعتما شيئا أفضل المناديل ماقال أخو تميم يعنى عبدة بن الطبيب (٢)

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية ... وفار للقوم باللحم المراجيل
ورد وأشقر مايؤنيه طابخه ... ماغير الغلى منه فهو مأكول
ثمت قمنا الى جرد مسومة ... أعرافهن لأيدينا مناديل

قوله غرقىء البيض يعنى القشرة الرقيقة التى تركب البيضة دون قشرها الاعلى وقشرها الاعلى يقال له القيض وقوله المراجيل انما حده المراجل ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها للضرورة كما قال .

. نفى الدراهيم تنقاد الصياريف . (٣) وقد فسرنا هذا وقوله ورد وأشقر مايؤنيه طابخه يقول ماتغير من اللحم قبل نضجه فقوله مايؤنيه طابخه يقول مايؤخره لانه لو آناه لأنضجه لان معنى آناه بلغ به اناه اى ادراكه قال الله عز وجل الى طعام غير ناظرين اناه وتقول أنى يأنى انى اذا أدرك وآن يئين مثله وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن أى قد بلغ اناه وقوله ماغير الغلى منه فهو مأكول يقول نحن أصحاب صيد وهذا من فعلهم (٤) وقوله مسومة تكون على ضربين أحدهما أن تكون معلمة والثانى أن تكون قد أسيمت فى المرعى وهى هاهنا معلمة وقد ذكرنا هذا التفسير * وانما أخذ مافى هذه الابيات من بيت امرىء القيس فانه جمع مافى هذه الأبيات فى بيت واحد مع فضل التقدم

نمش باعراف الجياد اكفنا ... اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

---

(١) الغرقىء يهمز ولا يهمز وكذلك فعله (٢) عبدة باسكان الباء (٣) الحجة فى الصياريف (٤) العرب لاتنضج اللحم اما لاستعجالها للضيف واما لأن ذلك مستحب عندها فلذلك قال لايؤنيه وقيل لتعجيل القرى (٥) فى خطبة على بن أبى طالب وقد قتلت خيل معاوية عامله على الانبار . السباعى

وهو الذى لم يدرك وغش نمسح ويقال للمنديل المشوش وكانت العرب تألف الطيب وتطرح ذلك فى حالتين فى الحرب والصيد قال النابغة

سهكين من صدا الحديد كأنهم تحت السنوّر جنة البقار

وقال آخر

وأسيافكم مسك محل أكفكم على انها ريح الدماء تضوع (١)

معنى تضوع تفوح وروى عن ابنة هانئ بن قبيصة (٢) انه لما قتل عنها لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة فتزوجها رجل من أهلها فكان لايزال يراها تذكر لقيطا فقال لها ذات مرة ما استحسنت من لقيط فقالت كل أموره كانت حسنة ولكنى أحدثك أنه خرج مرة الى الصيد وقد انتشى فرجع وبقميصه نضخ من دم صيده والمسك يضوع من أعطافه ورائحة الشراب من فيه فضمنى ضمه وشمنى شمه فليتنى كنت مت ثمه قال ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها اليه وقال أين أنا من لقيط فقالت ماء ولا كصداء مثل حمراء ووزنها فعلاء وموضع اللام همزة وهى بئر مقدمة واسمها ماذكرنا عن الاصمعى وأبى عبيدة وكذلك سمعنا العرب تقوله ومن ثقل فقد أخطأ ومثل ذلك رجل ولا كمالك (٣) «يعنون مالك بن نويرة» ومرعى ولا كالسعدان

٢٣ بنات ذى الاصبع وحديثهن فى الزواج

وحدثنى على بن عبد الله عن ابن عائشة قال كان ذو الاصبع العدوانى رجلا غيورا وكانت له بنات أربع وكان لايزوجهن غيرة فاستمع عليهن يوما وقد خلون يتحدثن فقالت قائلة منهن لتقل كل واحدة منكن مافى نفسها ولنصدق جميعا قال فقالت كبراهن

ألاليت زوجى من أناس ذوى غنى حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق بأكباد النساء كأنه خليفة جان لايقيم على هجر

قال وقالت الثانية

---

(١) تضوّع رواية (٢) ذكر يعقوب أنها ابنة قيس بن خالد الشيبانى ش
(٣) ما يقال .فتى ولا كمالك .وقد تقدم لابى العباس فتى وهو الصواب

الا ليتـه يعطى الجمـال بديئـة ... له جفنة تشقى بهـا النيب والجزر
له حكمـات الدهر من غير كبرة ... تشين فلا فان ولا ضرع غمر (١)

فقلن لها أنت تريدين سيدا فقالت الثالثة .

الا هل تراها مرة وحليلهـا ... أشم كنصل السيف عين المهند (٢)
عليما بأدواء النساء ورهـطه ... اذاما انتمى من أهل بيتى ومحتـدى

فقلن لها أنت تريدين ابن عم لك فقد عرفته وقلن للصغرى ماتقولين فقالت لا أقول شيئا فقلن لا ندعك وذلك انك اطلعت على أسرارنا وتكتمـين سرك فقالت زوج من عود خير من قعود قال فخطبن فزوجهن جمع ثم أمهلهن حولا ثم زار الكبرى فقال لها كيف رأيت زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال لها فما مالكم قالت الابل قال وما هى قالت نأكل لحمانها مُزعا ونشرب ألبانها جُرعا وتحملنا وضعفتنا معا فقال زوج كريم ومال عميم ثم زار الثانية فقال لها كيف رأيت زوجك قالت يكرم الحليلة ويقرب الوسيلة قال فـما مالكم قالت البقر قال وما هى قالت تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء قال لها رضيت وحظيت ثم زار الثالثة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت لاسمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وماهى قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال لها جذو مغنية ثم زار الرابعة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال لها فما مالكم قالت شر مال الضأن قال لها وما هن قالت جوف لايشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أشبه امرؤ بعض بزه (٣) فأرسلها مثلا .

قال على بن عبد الله قلت لابن عائشة ماقولها وأمر مغويتهن يتبعن فقال أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه .

قول الثانيـة له جفنة تشقى بهـا النيب والجزر فالنيب جمع ناب وهى المسنـة وانما قيل لها ناب لطول نابها قال اوس بن حجر تشبه نابا وهى فى السن بكرة .

---

(١) أخذ التجارب وهو مأخوذ من حكمة اللجام . ش (٢) حليلها بفتح اللام وبالضم وأشم مثله . (٣) أشبه امرأ بعض بزه رواية

وتقدير نيب من الفعل فُعل ولكن ما كان من ذوات الياء كسر له موضع الفاء من الفعل لتصح الياء لان الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها كانت واوا فى الاصل نحو موقن وموسر وان فارقتها الضمة عادت الى أصلها نحو قولك مياسير ومثل ذلك أبيض وبيض وانما بيض فعل كأحمر وحمر واصفر وصفر . ولكن كسرت النون لتصح الياء ولو كانت واوا فى الأصل لم تغير نحو أسود وسود وقوله ناب تقديرها فعل متحركة العين ولا تنقلب الياء ولا الواو الفا الا وهما فى موضع حركة وما قبلهما مفتوح نحو باع وقال ورمى وغزا لان التقدير فعل ولو كان على فعل اصحت الياء والواو كما تقول بيع وقول وفعل قد يجمعونه على فعل كقولهم أسد وأسد ووثن ووثن وقولها تشق بها النيب والجزر فانما عطفت أحدهما على الآخر لان من الابل ما يكون جزورا للنحر لا غير وأما قولها ولا ضرع غمر فالضرع الضعيف والغمر الذى لم يجرب الأمور ويروى أن الحجاج لما ورد عليه ظفر المهلب بن أبي صفرة وقتله عبد ربه الصغير وهرب قطرى عنه تمثل فقال لله در المهلب والله لكأنه ما وصف لقيط الايادى حيث يقول

وقلدوا امركم لله دركم ... رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب هذا الدهر اشطره ... يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته ... مرّ العزيمة لا رثا ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أيها الأمير والله لكأنى اسمع هذا التمثيل من قطرى فى المهلب فسر الحجاج بذلك سرورا تبين فى وجهه . وقولها كنصل السيف عين المهند فالمهند المنسوب الى الهند وقولها من أهل بيتى ومحتدى فالمحتد الاصل قال الشاعر .

وفى السر من قحطان اولاد حرة ... عظام اللهابيض كرام المحاتد

وقوله مال عميم يقول جامع أخذه من عم يعم وقوله جذو مغنية فالجذو جمع جذوة وهى القطعة وأصل ذلك فى الخشب ما كان منه فيه نار قال الله عز وجل أو جذوة من النار وتجمع أيضا جِذاً قال ابن مقبل

باتت حواطب سلمى يلتمسن لها جزل الجذا غير خوار ولا دعر

الخوار الضعيف والدعر الكثير الثقب يقال عود دعر . وقولها جوف لا يشبعن تقول عظام الأجواف وهيم لا ينقعن الهيم العطاش يكون الواحد من هيم أهيم ويقال فى هذا المعنى هيمان وقال بعض المفسرين فى قول الله عز وجل (فشاربون شرب الهيم) قال هى الابل العطاش وقال ذو الرمة (١)

فراحت الحُقْب لم تقصع صرائرها وقد نشحن فلارى ولا هيم (٢)

ويقال قصع صارّته اذا روى والصارة شدة العطش والنشوح ان تشرب دون الرى يقال نشح ينشح ومثله تغمر اذا لم يرو ويقال للقدح الصغير الغمر من هذا وقال بعض المفسرين الهيم رمال بعينها واحدتها هيماء يا فتى وقولها لا ينقعن أى لا يروين يقال نقعت ماشية بنى فلان برى اذا لم تبلغ من الماء حقها ويقال للماء النقع ويقال النقع فى غير هذا الموضع للغبار يقال أثاروا النقع بينهم والنقع اسم موضع بعينه قال الشاعر

لقد حببت نعم الينا بوجهها مساكن ما بين الوتائر والنقع (٣)

والنقع الصراخ قال لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوه ذات جرس وزجل

وقولها وصم لا يسمعن طريف من كلام العرب وذلك انه يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره أعمى وانما يراد به أنه قد حل محل من لا يبصر ألبتة اذا لم يعمل بصره وكذلك يقال للسميع الذى لا يقبل أصم قال الله جل ذكره (صم بكم عمى) كما قال جل ثناؤه (أم على قلوبٍ اقفالها) وكذلك انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله عز وجل (كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) وتقول العرب أبله ما يرعى الضأن ويقال أحمق من راعى ضأن ثمانين (٤) وتحدث عمرو بن بحر قال كان يقال لا ينبغى لعاقل ان يشاور واحدا

---

(١) يصف حميرا (٢) الحُقب البيض الأعجاز من الحمير (٣) الوتائر بالتاء منقوطة باثنتين من فوق (٤) قوله أحمقُ من راعى ضأن ثمانين المثل لكسرى فى أعرابى خيره فاختار ذلك ذكره أبو عبيد وهذا غير ما أشار اليه أبو العباس

من خمسة القطان والغزال والمعلم وراعى الضأن والرجل الكثير المحادثة للنساء وقيل فى مثل هذا لا تدع أم صبيك تضرب به فانه أعقل منها وان كان طفلا وقال الأحنف بن قيس انى لأجالس الاحمق الساعة فأتبين ذلك فى عقلى وقال جل ثناؤه فى صفة النساء (أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين)

٢٤ مناكح خالد بن يزيد وتحريض عبد الملك عليه من أجلها

قال أبو العباس تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءهن شرف من هن منه منهن أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وآمنة بنت سعيد بن العاصى ابن أمية ورملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى ففى ذلك يقول بعض الشعراء يحرض عليه عبد الملك

عليك أمير المؤمنين بخالد ففى خالد عما تحب صدود
اذا ما نظرنا فى مناكح خالد عرفنا الذى ينوى واين يريد

فطلق آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك ففى ذلك يقول خالد

فتاة أبوها ذو العصابة وابنه وعثمان ما أكفاؤها بكثير
فان تفتلتها والخلافة تنقلب باكرم علق منبر وسرير

قوله أبوها ذو العصابة يعنى سعيد بن العاصى بن أمية وذلك ان قومه يذكرون انه كان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له وينشدون

أبو أحيحة من يعتم عمته يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

ويزعم الزبيريون ان هذا البيت باطل موضوع وقوله فان تفتلتها يقول تأخذها فجاءة ومن ذلك قول الشاعر

من يأمن الايام بعـ ـد صبيرة القرشى ماتا (١)
سبقت منيته المشيـ ـب وكان ميتته افتلاتا

وفى الحديث أن رجلا قال يارسول الله ان أمى افتلتت أى ماتت فجاءة . ويروى ان آمنة لبثت عند الوليد فلما هلك عبد الملك سعى بها ساع الى الوليد قال

---

(١) صبيرة بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة و بالضاد معجمة . رواية عاصم على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين ورواية ابن سراج برفع يأمن على الاستفهام

أبو العباس و بلغنى انها سعت بها احدى ضراتها الى الوليد بأنها لم تبك على عبد الملك كما بكى نظائرها فقال لها الوليد فى ذلك فقالت صدق القائل أ كنت قائلة ماذا أقول ياليته كان بقى حتى يقتل أخا لى كعمرو بن سعيد . وفى رملة بنت الزبير يقول خالد .

تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالا يجول ولا قلبا
فلا تكثروا فيها الملام فاننى تخيرتها منهم زبيرية قلبا
أحب بنى العوام طرا لحبها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وزيد فيها .

فان تسلمى أسلم وان تتنصرى يعلق رجال بين أعينهم صلبا

فيروى أن عبد الملك ذكر له هذا البيت فقال له ياخالد أتروى هـذا البيت فقال يا أمير المؤمنين على قائله لعنة الله

٢٥ عزم عبد الملك على الحجاج أن يطلق بنت عبد الله بن جعفر قبل الدخول بمشورة خالد

وذكر العتبى أن الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى لما أكره عبد الله بن جعفر على أن زوجه ابنته استأجله فى نقلها سـنة ففكر عبـد الله بن جعفر فى الانفـكاك منه فألقى فى روعه خالد بن يزيد فـكتب اليه يعلمه ذلك وكان الحجاج تزوجها بأذن عبد الملك فورد على خالد كتابه ليلا فاستأذن من ساعته على عبد الملك فقيل له أفى هذا الوقت فقال انه أمر لا يؤخر فأعلم عبد الملك بذلك فأذن له فلما دخل عليه قال له عبد الملك فيم السرى يا أبا هاشم قال أمر جليل لم آمن أن أؤخره فتحدث على حادثة فلا أكون قضيت حق بيعتـك قال وما هو قال أتعلم انه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سفيان قال لا قال فان تزويجى الى آل الزبير حلل ما كان لهم فى قلبى فما أهل بيت أحب الى منهم قال فان ذلك ليـكون قال فـكيف أذنت للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم وأنت تعلم مايقولون ويقال فيهم والحجاج من سلطانك بحيث علمت قال فجزاه خيرا وكتب الى الحجاج بعزمة أن يطلقها فطلقها فغدا الناس عليه يعزونه

عنها فكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان فأوقع الحجاج بخالد فقال كان الامر لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه فقال له عمرو بن عتبة لا تقل ذا أيها الامير فان لخالد قديما سبق اليه وحديثاً لم يغلب عليه ولو طلب الامر لطلبه بجد وجد ولكنه علم علما فسلم العلم الى أهله فقال الحجاج يا آل أبي سفيان أنتم تحبون أن تحلموا ولا يكون الحلم الا عن غضب فنحن نغضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل ثم قال الحجاج والله لأتزوجن من هو أمس به رحما ثم لا يمكنه فيه شيء فتزوج أم الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد

أما قوله ألقى في روعه فان العرب تقول ألقى في روعي وفي قلبي وفي جخيفي وفي تاموري كذا وكذا ومعناه كله واحد الا أن لهذه الاشياء مواضع مختصة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي فالروع والجخيف غير مختلفين والعرب تقول اذهب الله قلبه ولا قلب له ولا تقول لا روع له فكأن الروع هو متصل بالقلب وعنه يكون الفهم خاصة ويقال رأيت قلب الطائر ولا يقال رأيت روع الطائر والتامور عند العرب بقية النفس عند الموت وبعضهم يفصح عنه فيجعله دم القلب خاصة الذي يبقى للانسان مابقى يقال ضعه في تامورك وفي قلبك وفي روعك وفي جخيفك والذماء ممدود مثل التامور سواء تقول العرب ليس في الحيوان أطول ذماء من الضب وذلك انه يذبح ثم يطرح في النار بعد أن ظن انه قد برد فربما سعى من النار

٢٦ بعض سمات الحجاج بن يوسف الثقفي

يقال كان الحجاج اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار. وكان اذا صعد المنبر تلفع بمطرفه ثم تكلم رويداً فلا يكاد يسمع ثم يتزيد في الكلام حتى يخرج يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من في المسجد. وكان يطعم في كل يوم على الف مائدة على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية ويطاف به في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس وعلى كل مائدة عشرة ثم يقول يا أهل الشأم اكسروا الخبز لئلا يعاد عليكم وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسل والآخر يسقي اللبن

٢٧ عصبيته لمحمد بن عمير بن عطارد على حجار بن أبجر

جلس الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة وحجار بن أبجر بن بجير العجلى فأقبل فى وسط من الطعام على محمد بن عمير بن عطارد فقال يا محمد أيدعوك قتيبة بن مسلم الى نصرتى يوم «رستقباذ» فتقول هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل لاجعل اللّٰه لك فيه ناقة ولا جملا يا حرسى خذ بيده وجرد سيفك فاضرب عنقه فنظر الى حجار بن أبجر وهو يتبسم فدخلته العصبية وكان مكان حجار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مضر وأتى الخباز بفرنية فقال اجعلها مما يلى محمدا فان اللبن يعجبه يا حرسى شم سيفك وانصرف . وكان محمد شريفاً وله يقول الشاعر

علم القبائل من معد وغيرها ان الجواد محمد بن عطارد

وذكرت بنو دارم يوماً بحضرة عبد الملك فقالوا قوم لهم حظ فقال عبد الملك أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولا عقب له ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له ومضى محمد بن عمير بن عطارد ولا عقب له والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا

قوله شم سيفك يقول اغمده ويقال شمت السيف اذا سللته وهو من الاضداد ويقال شمت البرق اذا نظرت من أى ناحية يأتى قال الأعشى

فقلت للشرب فى درنى وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

وقال الفرزدق .

بايدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى وتأويله لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى أى لم يغمدوا سيوفهم الا وقد كثرت القتلى حين سلت

وحدثنى الحسن بن رجاء قال قدم علينا على بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك بانيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران فقال الحسن ونحن اذ ذاك نجرى على نيف وسبعين ألف ملاح وكان الحسن بن سهل يسهر مع المأمون وكان المأمون يصبح فيجلس الحسن للناس الى وقت انتباهه قال فلما ورد على

قلت قد ترى شغل الامير قال اذا لا أضيع معك قلت أجل فدخلت على الحسن ابن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال ألا ترى ما نحن فيه قلت لست بمشغول عن الأمر له فقال يعطى عشرة آلاف درهم الى أن نتفرغ له فأعلمت ذلك على بن جبلة فقال فى كلمة له

أعطيتنى ياولى الحق مبتدئا عطية كافأت مدحى ولم ترنى
ماشمت برقك حتى نلت ريقه كانما كنت بالجدوى تبادرنى

٢٨ استطلاعه آراء السلف فى الفريضة المخمسة .

وروى عن بعض الفقهاء (١) قال دعانى الحجاج فسألنى عن الفريضة المخمسة وهى أم وجد وأخت فقال لى ماقال فيها الصديق رحمه الله قلت أعطى الأم الثلث والجد مابقى لأنه كان يراه أبا قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعنى عثمان رحمه الله قلت جعل المال بينهم أثلاثا قال فما قال فيها ابن مسعود قال قلت اعطي الاخت النصف والأم ثلث ما بقى والجد ثلثيه لانه كان لا يفضل أما على جد قال فما قال فيها زيد بن ثابت قال قلت أعطى الأم الثلث وجعل مابقى بين الأخت والجد للذكر مثل حظ الانثيين لانه كان يجعل الجد كاحد الاخوة الى الثلاثة قال فزم بأنفه ثم قال فما قال فيها أبو تراب قال قلت أعطى الام الثلث والاخت النصف والجد السدس فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال فانه المرء يرغب عن قوله

٢٩ . مدح ليلى الاخيلية له .

وروى ان ليلى الاخيلية قدمت عليه فأنشدته

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العقام الذى بها غلام اذا هز القناة ثناها (٢)

فقال لها لا تقولى غلام قولى همام ثم قال لها أى نسائى أحب اليك ان أنزلك عندها الليلة قالت ومن نساؤك أيها الامير قال أم الجلاس بنت سعيد بن العاصى الاموية وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية وهند بنت المهلب بن أبى صفرة العتكية فقالت القيسية أحب الىّ فلما كان الغد دخلت عليه فقال ياغلام أعطها

(١) هو الشعبي (٢) العقام بالفتح والضم والضم أفصح .

خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها أدما فقال قائل انما أمر لك بشاء قالت الامير أكرم من ذلك فجعلها ابلا اناثا استحياء وانما كان أمر لها بشاء أولا . والأدم البيض من الابل وهى أكرمها .

٣٠ رؤيته اقتلاع عينيه وتأويل ذلك

وكان الحجاج رأى فى منامه أن عينيه قلعتا فطلق الهندين هندا بنت المهلب وهندا بنت أسماء بن خارجة فلم يلبث أن جاءه نعى أخيه من اليمن فى اليوم الذى مات فيه ابنه محمد فقال هذا والله تأويل رؤياى ثم قال انا لله وانا اليه راجعون محمد ومحمد فى يوم واحد

حسبى بقاء الله من كل ميت   وحسبى رجاء الله من كل هالك
اذا كان رب العرش عنى راضيا   فان شفاء النفس فيما هنالك (١)

وقال من يقول شعرا يسلينى به فقال الفرزدق

ان الرزية لا رزية مثلها   فقدان مثل محمد ومحمد
ملكان قد خلت المنابر منهما   أخذ الحمام عليهما بالمرصد

فقال لو زدتنى فقال الفرزدق

انى لباك على ابنى يوسف جزعا   ومثل فقدهما للدين يبكينى
ماسد حىّ ولا ميت مسدهما   الا الخلائف من بعد النبيئين

فقال له ماصنعت شيئا انما زدت فى حزنى فقال الفرزدق

لئن جزع الحجاج ما من مصيبة   تكون لمحزون أجل وأوجعا
من المصطفى والمصطفى من خيارهم   جناحيه لما فارقاه فودعا
أخ كان أغنى أيمن الارض كله   وأغنى ابنه أهل العراقين أجمعا
جناحا عقاب فارقاه كلاهما   ولو نزعا من غيره لتضعضعا

فقال الآن .

أما قوله الا الخلائف من بعد النبيئين نخفض هذه النون وهى نون الجمع وانما فعل ذلك لانه جعل الاعراب فيها لا فيما قبلها وجعل هذا الجمع كسائر الجمع نحو

(١) ويروى فان سرور النفس

أفلس ومساجد وكلاب فان اعراب هذا كاعراب الواحد وانما جاز ذلك لان الجمع يكون على أبنية شتى وانما يلحق منه بمنهاج التثنية ما كان على حد التثنية لا يكسر الواحد عن بنائه والا فلا فان الجمع كالواحد لاختلاف معانيه كما تختلف معاني الواحد والتثنية ليست كذلك لانها ضرب واحد ولا يكون اثنان أكثر من اثنين عددا كما يكون الجمع أكثر من الجمع فما جاء على هذا المذهب قولهم هذه سنين فاعلم وهذه عشرين فاعلم قال العدواني

انى أبيّ أبيّ ذو محافظة	وابن أبيّ أبيّ من أبيين
وانتم معشر زيد على مائة	فأجمعوا كيدكم طرا فكيدوني

وقال سحيم بن وثيل

وماذا يدرى الشعراء منى	وقد جاوزت حد الأربعين
أخو خمسين مجتمع أشدى	ونجذني مداورة الشؤون

وفى كتاب الله عز وجل ولا طعام الامن غسلين فان قال قائل فان غسلينا واحد فانه كل ما كان على بناء الجمع من الواحد فاعرابه كاعراب الجمع الا ترى ان عشرين ليس لها واحد من لفظها واعرابها كاعراب مسلمين واحدهم مسلم وكذلك جميع الاعراب وتقول هذه فلسطون يا فتى ورأيت فلسطين يا فتى هذا القول الاجود وكذلك يبرين وفى الرفع يبرون يافتى وكل ما أشبه هذا فهو بمنزلته تقول قنسرون ورأيت قنسرين والأجود فى هذا البيت (١)

وشاهدنا الجل والياسمو	ن والمسمعات بقصابها (٢)

وفى القرآن مايصدق ذلك قول الله عز وجل كلا ان كتاب الأبرار لفى عليين وما أدراك ما عليون فمن قال هذه قنسرون ويبرون فنسب الى واحدة منهما رجلا أو شيئاً قال هذا رجل قنسرى ويبرى بحذف النون والواو لمجىء حرف النسب ولو أثبتهما لكان فى الاسم رفعان ونصبان وجران لأن الياء مرفوعة والواو علامة الرفع ومن قال هذه قنسرينُ كما ترى قال فى النسب قنسرينى لان الاعراب فى حرف النسب وانكسرت النون كما ينكسر كل ما لحقه النسب . واما قوله

---

(١) هو للأعشى (٢) الجل الورد والقصاب الاوتار وقيل الزمار

ونجذني مداورة الشؤون فمعناه فهمني وعرفني كما يقال حنكته التجارب والناجذ آخر الاضراس من ذلك قولهم ضحك حتى بدت نواجذه والشؤون جمع شأن مهموز وهو الأمر وقال المفسرون من أهل الفقه وأهل اللغة في قول الله تبارك وتعالى ولا طعام الا من غسلين هو غسالة أهل النار وقال النحويون هو فعلين من الغسالة .

٣١ مخادعة الحجاج للوليد وملقه لعبد الملك

وكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك بعد وفاة محمد بن يوسف . أخبر أمير المؤمنين اكرمه الله انه أصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة الف دينار فان يكن اصابها من حلها فرحمه الله وان تكن من خيانة فلا رحمه الله فكتب اليه الوليد أما بعد فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلف محمد بن يوسف وانما أصاب ذلك المال من تجارة أحللنا هاله فترحم عليه رحمه الله . ويروى ان يزيد ابن معاوية قال لمعاوية في يوم بويع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه يا أمير المؤمنين ما ندري أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال له معاوية كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته ،

ويروى ان الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان وبلغني ان أمير المؤمنين عطس عطسة فشمته قوم فقال يغفر الله لنا ولكم فياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما .

٣٢ تفجع الوليد على وفاة الحجاج وقرة بن شريك

وأنين عمر بن عبد العزيز من جور الولاة

وزعم الأصمعي قال خرج الوليد يوماً على الناس وهو مشعانّ الرأس فقال مات الحجاج بن يوسف وقرة بن شريك وجعل يتفجع عليهما .

قوله مشعان الرأس يعني منتفخ الشعر متفرقه (١) ومثل هذا الا يكون في شعر لان في هذا التقاء ساكنين ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر الا فيما تقدم ذكره في المتقارب وليس ذا على ذلك الوزن .

---

(١) الرواية منتفخ والصحيح منتفش قاله ابن سراج .

ويروى ان عمر بن عبد العزيز خرج يوما فقال الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز ومحمد بن يوسف باليمن امتلأت الأرض والله جورا .

٣٣ رأى سليمان بن عبد الملك فى الحجاج وردّ يزيد بن أبى مسلم عليه

دخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما فلما رآه قال قبح الله رجلا أجرك رسنه وأشركك فى أمانته فقال له يزيد يا أمير المؤمنين رأيتنى والأمر لك وهو عنى مدبر ولو رأيتنى والأمر على مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت واستعظمت منى ما استحقرت فقال أترى الحجاج استقر فى قعر الجحيم بعد فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذاك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابر وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان .

٣٤ عفو الحجاج عن اثنين من أصحاب ابن الأشعث وقد جلس لقتلهم

يروى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقام رجل منهم فقال أصلح الله الامير ان لى عليك حقاً قال وما حقك قال سبك عبد الرحمن يوماً فرددت عليه قال من يعلم ذاك قال أنشد الله رجلا سمع ذاك الا شهد به فقام رجل من الاسراء فقال قد كان ذاك أيها الامير قال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك أن تنكر كما أنكر قال لقديم بغضى اياك قال ويخلى عنه لصدقه . وقال عمر بن الخطاب لرجل وهو أبو مريم السلولى (١) والله لا أحبك حتى تحب الارض الدم قال أفتمنعنى حقاً قال لا قال فلا بأس انما يأسف على الحب النساء وقال الحجاج لرجل من الخوارج والله انى لأبغضكم فقال له الخارجى أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة

---

(١) وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله أبو مريم السلولى انما هو أبو مريم الحنفى وكان سبب بغضه اياه انه قتل أخاه زيد بن الخطاب وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب واسم أبى مريم الحنفى اياس بن صبيح ثقة كوفى واسم أبى مريم السلولى مالك بن ربيعة من الصحابة روى عنه ابنه يزيد وغيره .

٣٥ اعتذاره لاهل مكة عن قلة صلاته لهم

ولما دخل الحجاج مكة اعتذر الى أهلها لقلة ما وصلهم به فقال قائل منهم اذاً والله لا نعذرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وذلك أن عروة بن مسعود ولده من قبل أمه وتأويل قول الله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم مجازه فى العربية على رجل من رجلين من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف والرجلان عروة بن مسعود والآخر الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويروى ان أبا بكر الصديق رحمه الله مر بقبره ومعه خالد ابنه فقال أصبح جمرة فى النار فأجابه خالد فى ذلك بجواب غير مرضى وأما عروة بن مسعود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فرَقِىَ سطحه فرماه رجل بسهم فقتله فلما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رحمه الله الى أهل مكة ابطأ عليه فقال ردوا على أبى أما لئن فعلت به قريش ما فعلت ثقيف بعروة ابن مسعود لأضرمنها عليهم ناراً .

يقال رقِيت السطح وما كان مثله ارقاه مثل خشيته أخشاه كما قال الله تبارك وتعالى أو ترقى فى السماء ويقال رقيت اللديغ ارقيه مثل رميته أرميه ويقال مارقأت عينه من الدمع مهموز ترقأ يافتى مثل قرأت تقرأ يا فتى .

« تم الجزء الأول فى المنثور ويليه الثانى فى المنظوم »

السباعى بيومى

تهذيب الكامل

فى اللغة والأدب

عمل

علي بن حسين السنباوي

المتخرج فى مدرسة دار العلوم

الجزء الثانى في المنظوم

قال العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن كتاب الكامل ما نصه

« وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهى « كتاب الكامل للمبرد » وأدب الكاتب لابن قتيبة . وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اهـ »

الطبعة الاولى سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

باب التشبيه والوصف

(١) كل عنوان أمامه رقم يكون أبو العباس قد استطرد فيه الى ما ينبغى التنبيه عليه ولذا رأينا بيان هذا المستطرد اليه أمام رقم يماثل الرقم المذكور بهامش الفهرس

(٢) رد اعتراض بعض الجهلة الملحدين على التشبيه فى هذه الآية

(٣) حديث هشام مع أبى النجم فى غضبه عليه ورضاه عنه ووصفه لابنتيه. صلة الفعل باللام . ابدال حروف الخفض بعضها من بعض . العطف على معمولى عاملين .

(١) بيتان لليلى الاخيلية فى رثاء توبة بن الحمير
(٢) ابدال الياء من أحد التضعيفين وكثرة ذلك .

(١) عادة العرب فيما يعمل الملدوغ وتسميتهم له بالسليم

(٢) أخذ رسول الله بقول عمر فى تشديد عقوبة عملا باشارة جبريل

(٣) اللف والنشر المرتب

(٤) تبرم المهلهل على تزويج ابنته من غير كفء وهو غريب

(١) الانواء وامساك الاصمعى عن تفسير مافيه ذكر لها

(٢) لذى الرمة فى لون الوجه وله وللشماخ والراعى والمثقب العبدى فى الناقة ثم لعاقمة وأبى الهندى فى ابريق الشراب جر الى ذلك الكلام على النعت المقطوع وذكر شواهد عليه كما جر أيضا الى غالبة الشراب على أبى الهندى وجوابه المسكت والخرابة وأقوال الرجاز فيها

(٣) معه بيتان مستحسنان من القصيدة

(٤) الجنجاث والعرار . هجو جرير لخالد عينين . أسماء الاشارة وتصغيرها . المها والمهاة ومعانيهما

(١) فى الهجو بالبخر لابن عبدل وأبى الشمقمق ولابن عائشة فى هجو مصعب الزبيرى وصباح المنقرى ثم لاسحاق الموصلى فيهما وفى احمد بن هشام .

(٢) ما ساقه الشماخ فى قوله هذا من معنى غزلى رقيق كشفه ابن أبى ربيعة بعد

(٣) قد وضحت هذه الاشعار وشروحها كثيرا من محاسن الخيل ومعايبها .

(٤) القعو والخطاف والدرك . قولهم فلان يصرف نابه وفلان يعض الأرّم ومعانيهما

(١) معنى المقنع . قصد العرب من المطوقة . الجنس وواحده . التأثر من حسن التوقيع وان لم تفهم المعانى مع ذكر حكايات على ذلك . حكمة لحميد بن ثور

(٢) شرح الشباب ومأخذه وتفسير ذلك

(٣) الطنف والحيد والافريز . معدن ذى قساس واستخراج العرب لجيد الحديد منه

(٤) الجد والجذ ومعانيهما . السنا والسناء . التمدح بالطول وما أثر فى ذلك

(٥) ابدال الحاء هاء . تشبيه يشبه قول الحسن لعمرو بن معديكرب . بيتان جيدان من قصيدة الحسن هذه

(٦) معنى العسجد وأنه لذهب وأبيات للمثقب العبدى شاهدا على ذلك

(١) اصلاح الرشيد دون الجالسين معه لهذا اللحن

(٢) هانئ بن عروة وشعر أبيه عند معاوية وابنه يزيد ثم قتل يزيد له .

---

(١) أبيات فى الفسوق لرجل وأخرى فى العفة لآخر

(٢) وصاة عبد الملك لمؤدب ولده . حديث لرسول الله . جزم المضارع أو رفعه فى جواب الشرط . ولد الفارك والمبغضة . الاسناد على سبيل المجاز . الغيلة وقول رسول الله فيها . قول أم تأبط شرا فى ابنها وشرحه . قولهم أنا مئق وصاحبي مئق فتى نتفق .

(٣) تغزل ابن الرقاع فى أم القاسم . قولهم من عز بز . التومة ومنع الفصيل بها من الرضاع

(٤) زيادة ان مغيرة للاعراب وزيادتها مؤكدة ومواضع ذلك زيادة ما كذلك

ملاحظة :

كثير مما ورد فى باب الغزل والشوق وكل ماورد بهذا الجزء فى آخر باب

معنى العبيط وحكاية . الاعرابى وقد نزل ضيفا على طائى وفيه مهارة العرب فى الرمى . الاضافة على جهة المجاورة . أشجار القسى وأسماؤها باعتبار منابتها . قلب الكسرة فتحة فى النسب . بين عبدالملك وعروة ابن الزبير فى سيف أخيه عبد الله بن الزبير

(١) استعمال الواو فى معنى رب وفى القسم والخفض وسبب ذلك . القلب المعنوى فى الكلام وشواهد عليه . العطف على جهه الاشتراك . مراعاة لفظ من أو معناها فى الاستعمال .

---

(١) مجن ابن أبى ربيعة ومسلم بن عقبة المرى

(٢) الوجد بالماء على الظمأ واعتوار الشعراء لهذا المعنى . تشبيه المرأة بالبقر حذف همزة الاستفهام . معنى بهر وشواهد عليه .

(٣) قول عمر فى زواج الثريا بنت عبد الله من سهل بن عبد الرحمن . عتق الثريا هى واختها للغريض . ابن أبى عتيق وطرائف أخباره مع ابن أبى ربيعة وعائشة بنت طلحة ومروان بن الحكم وعثمان بن حيان

(٤) باء وأباء . دخول الحارث بن عباد حرب وائل . جمرات العرب وما قيل فى نمير من أجلها

(٥) السرب بفتح السين وكسرها تخفيف الهمز مدح أحد الشعراء لقثم بن العباس

بعض ما تمثل به عمر بن عبد العزيز

(١) الرماح الزاعبية . فعيل بمعنى فاعل وبمعنى مفعول . ابدال الياء من أحد المضعفين . أن بعد أوشك وأبيات لاحد الخوارج فى الزهد . أبيات لابى حية مقاربة لقول جميل هذا . منازعة امرأة لزوجها أمام يحيى بن يعمر

(٢) حاجة وجمعها . النجى مصـدرا . فُعل الاجوف اليائى جمعاً . قولهم رجع عوده على بدئه واعرابه .

(٣) الشعر المتنازع فيه بين عبد الرحمن بن حسان وأبى دهبل الجمحى وما كان من يزيد بن معاوية لابيه بشأنه .

(٤) عدم جزم المضارع بعد الطلب اذا لم يكن فى معنى الجواب .

(٥) بيت هذا الشعر وعجيبه فى باب النحافة . أبيات ثانية لقيس وأخرى لابن ابى ربيعة وبيت وشطر لآخرين فى النحافة أيضاً . كلمة لابى العباس فى أحسن الشعر

(٦) معه مثله لذى الرمة . العطف على معمولى عاملين . أما وإما واستعمالهما زيادة ما بعد أدوات الشرط

---

(١) قد أتى أبو الحسن بابيات حسنة لبعض العرب المحدثين فى معنى هذا الشعر

(٢) المصدر المؤول من أنْ وأنّ وصلة الفعل به .

(٣) تبادل الميم والباء . فعيل بمعنى مُفعل . المصدر الميمى من غير الثلاثى حكايات مأثورة عن اعرابى والربيع بن خثيم وروح بن حاتم فى معنى التعب لتستريح ومعها أشعار فى ذلك أيضا .

(٤) معه قطعة حسنة فى تطاول الدهر على الانسان وأثر ذلك فى بياض الشعر .

(١) الروائم وتفسيرها . بيتان فى سوء المجازاة

(٢) تهم تثنيتى أبى عبيدة بنزع حلقتى درع من جبين رسول الله . بيت فى بقاء الخير . قول جرير فى الشعراء اذ تجمعوا عليه

(٣) المنصوب على الاختصاص . أخذ أبى مخزوم فى هذه القصيدة كثيرا من المعانى لمتقدمى الشعراء

(٤) قوله وتحت الرغوة اللبن الصريح وقول العرب انه ليسرحسوا فى ارتغاء

(٥) تكملة ابى الحسن لهذه القصيدة . قلب الواو ياء فى الجمع . تمدح العرب بالطول ووضعها من القصر وما أثر فى ذلك عن عنترة وجرير وحسان وبنى العباس بن عبد المطلب وحال رسول الله فى ذلك ثم ذكر شىء عن قصير وهجو أعرابى لمغنية لآل سليمان بذلك

(٦) الفارض والبكر والعوان . وصف الشماخ لرجل . الاضمار قبل الذكر .

(١) بيتان لابن أحمر فى معنى من معانى السليك . بين رجل من قريش وسعيد ابن المسيب فى اولاد الفتيات . الخير تان .

(٢) وفادة جرير على الحكم بن عم الحجاج والى البصرة وأرجوزته فى ذلك ثم اتصاله بعد بالحجاج . وصفه لامامة جارية الحجاج وأخذها منه بذلك ثم ضنه بها على أهلها . بين بلال والحمانى فى تلك الجارية

(٣) رأى عمر بن الخطاب فى أولاد السرارى . وضع محمد بن عبد الله بن حسن من أولاد السرارى فى رسالته الى المنصور ورد المنصور عليه .

(٤) الهجين والمذرع وما أثر من الاقوال فيهما .

الصفحة | الموضوع | العنوان

باب المدح والهجاء

(١) هجو جرير لبنى هزان بالبخل . هجو دعبل لرجل يدعى عبدالله بالبخل هجاء رجل لابن دعلج بالبخل . غدر قيس بن عاصم بجاره الخمار . ذم النمر بن تولب لبنى سعد . توزيع قيس بن عاصم صدقات بنى سعد على قومه وقوله فى ذلك .

(٢) أسر ثمالة لخراش بن أبى خراش وتخليص رجل لا يعرفه له . مدح ابى خراش لهذا الرجل على غير معرفة وهو مالم تعرف له الرواة نظيراً استعمال الفعّيلى فى الكثرة .

(٣) وفى وأوفى . المرى والابساس ومعانيهما . الأسى والأسى ومعانيهما استعطاف الحطيئة لعمر اذ حبسه فى قصة الزبرقان وهجوه لابيه وامرأته ونفسه . خشية حسان بن ثابت لسان الحطيئة

(٤) تكلمة ابى الحسن لقصيدة الكلابى مع شرحها وذكر السبب فيها

---

(١) شط وأشط . القرشى ومخفى ابنه وقول العرب فى الثأر المنيم . معنى القسمات . عطا وأعطى اعراب كأن ظبية على أوجه ثلاثة . جماع فِعال مؤنثاً ومذكراً . الغثاء وباقى اسماء النبت اذا ذوى .

(٢) ابن بين العلمين. النسىء والفسأة . الاشابة والاوشاب . احتقار العرب الموالى وما ورد فى ذلك وهو كثير . تحقيق القول فى نسب بنى العنبر ابن عمرو بن تميم . قولهم أسرع من نكاح أم خارجة.

(٣) نسب مذحج واياد وتحقيق القول فى نسب النخع وثقيف . الكفء ومرادفه . الفرزدق ورجل من الحبطات . الكلام على فِعال بكسر اللام وشرح ضرر به الاربعة .

(١) التعريف باشراف بنى دارم وبخاصة حاجب . وأد العرب للبنات وتحقيق القول فى أسبابه مع ذكر كتائب النعمان بن المنذر وغزوه تميما . احياء صعصعة جد الفرزدق لثمانين ومائتى موءودة بشراء حياتهن . سؤال الموءودة وما روى فيه . جود أبى الفرزدق وشرفه . اجارة الفرزدق من استجار بقبر أبيه وأحاديثه فى هذا مع امرأة من بنى جعفر وعجوز بالبصرة ومكاتب لبنى منقر . أنواع الشجاج واسماؤها . رد ابن غلفاء على ابن الصعق فى هجائه بنى تميم . اللهازم . مقتل بعض بنى دارم واضراب معبد عن الطعام حتى مات . ماورد من الاسماء على فِعِل : الافعال التى يعبر بها عن أنواع الطرح على الارض . مادة حرد . حكم المتنى بألا . لسان الحال ودلالته وحكايات فى ذلك . اعراب حكمك مسمطا

(٢) أشعار مأثورة لعبد الله بن معاوية وعامر بن الطفيل وآخر فى معنى «ان مجد الآباء اذا لم يعمره الأبناء خرب وذهب»

(٣) أكرم النتاج . رأى دغفل النسابة فى بنى عامر وبنى نمير واليمن وقد سأله معاوية عن ذلك .

(٤) القارظان وخبرهما . تسمية عمرو بن هند محرقا وسببه . خبر وافد البراجم وتعيير بنى تميم بحب الطعام

(٥) حكايات عن التعصب للقبيل . مضعف الثلاثى وبابه وحكمه اذا سكن آخره لبناء الامر أوجزم المضارع

(١) نسب كثير من أشراف قريش . مفخرة شعرية لقرشى . حذف التنوين لالتقاء الساكنين ووجه ذلك . زيادة الياء فى صيغة منتهى الجموع . استعمال المفاعلة للواحد . جود طلحة بن عبيد الله

(٢) عدم الجمع بين تنوين الاسم واتصاله بمضمر وشرح ذلك . سبل الازار وما ورد فيه عن رسول الله وعمر بن عبد العزيز

(٣) حركة اللام الخافضة مع الظاهر والمضمر

(٤) تفضيل عبد الملك بيتا لابن الاسلت على أحد أبيات هذا المدح . بيت هذا الشعر وبيتان لنصيب فى معناه وآخر لجرير ضده . بيت سائر لنصيب ثم بيت آخر مأخوذ عليه مع ذكر رأى عبد الملك فى اصلاحه

(٥) بيتان لهمدانى مثل قول نصيب فصاحة . حكم الظرف المضاف الى معرب أو مبنى . موضع النصب بفعل مضمر يقوم مصدره مقامه . معنيان قريبان من قول نصيب للاعشى ولابى وجزة السلمى .

(٦) الاهتزاز للكرم وما ورد فيه عن كثيرين . هاء المبالغة وتأكيدها ومعها حديث للرسول وأبيات لصخر بن الشريد . أبيات أخرى فى الجرب . أصل المساجلة وحكاية فى ذلك . أن فى خبر أفعال

المقاربة والرجاء . مقدار الوسق . أسما السوط

(١) قول العرب سألنى بيض الانوق لمن يطلب عسيرا وسألنى الابلق العقوق لمن يطلب محالا

(٢) معه مناظر لابن همام السلولى . عزل عمر لاحد عماله ثم رده اياه . حكمة للحسن فى المرائين

(٣) اثبات الهاء وحذفها فى الندبة . أوجه الاعراب الكثيرة فى بيت جرير « فالشمس طالعة الخ »

قولهم ما يوم حليمة بسر وسببه . مدحة أحد الشعراء بما يشبه الشعر لابى نصر بن شبث

(٤) صحة الواو أو قلبها ياء بعد الكسرة ومواضع كل

(٥) معه نظير لعمارة فى مدح خالد بن يزيد بن مزيد وفيه مأخذ للطائى فى مرثية له

(٦) معانى العق وشـواهد عليها وفيها أبيات للحنين الى أول موطن .

أسماء الماء عذبا وملحا. فعل جمع فاعل ومعه أبيات فى الشوق أوجه الاعراب فى التركيب «له صوت صوت كذا» ونحوه ومعه أبيات بن الخياط فى مدح مالك بن أنس

الصفحة	الموضوع	العنوان
		ثالثاً — فى ذيل الجزء الثانى
٢٧٣	٢	هجو بشار بن برد لعبيد الله بن قزعة ومعه بيت مماثل لجرير
٢٧٥	٦	مدح ابى نواس للفضل بن الربيع وقد عفا عنه فى ذنب
٢٧٧	١١	لابى نواس مادحا مستجديا
٢٧٧	١٢	له معترفا بضعفه عن شكر
٢٨٢	٢٤	له من قصيدة فى مدح الفضل أيضاً
٢٨٣	٢٥	قصيدة اسحاق بن خلف فى مدح على بن عيسى
٢٨٦	٢٦	هجو اسحاق بن خلف للحسن بن سهل بالبخل
٢٨٧	٢٩	بيتان لشاعر من أهل الرى مدح بهما عبد الله بن طاهر ناسجا على منوال أمية بن أبى الصلت والاعشى
٢٨٨	٣٠	معاتبة عبد الله بن محمد بن أبى عيينة لرجل من الاشراف
٢٨٨	٣١	تلدده على من فات من سلفه وتبرمه ممن خلفهم فى شكواه الزمان
٢٨٩	٣٢	هجوه لثلاثة من آله واثنين معهم لترددهم على اسماعيل بن جعفر
٢٨٩	٣٣	معاتبته طاهر بن الحسين على تقريبه أمثال هؤلاء
٢٩٠	٣٤	قوله فى التصبر وتهديده اسماعيل بن جعفر
٢٩٠	٣٥	تشفيه فى اسماعيل وقد مر به مقيدا ومعه ابناه
٢٩٠	٣٦	ما كان قد تطير عليه به قبل العزل مع ذكر شعر اعترض له به عمرو بن زعبل واجابة السواق له
٢٩٢	٣٧	قصيدة له فى معاتبة ذى اليمينين
٢٩٢	٣٨	أخرى له فى معاتبته أيضا
٢٩٣	٣٩	هجوه عيسى بن سليمان العباسى وقد تزوج امرأة من آل المهلب يقال لها فاطمة
٢٩٤	٤٠	هجوه على بن محمد العلوى وكان قد دعاه الى نصرته فلم يجبه فتوعده

باب التأبين والرثاء

(١) واجب الانسان عند المصيبة . آية الجدب وما كانت العرب تفعل فى السنة الجديبة . قول العرب من عزبز . مفاخرة بين غنوى متمكن وفزارى بكىّ . وصاة لزياد . وصاة شعرية لعمارة بن عقيل . انقلاب الوضيع الى الشريف وسببه واعراض الشريف عنه مع ذكر كثير من المهاجى والحكايات فى ذلك ما يتصل بهذا الباب من الرغبة برجل عن إرث رجل لايشبهه أو ولاية رجل لايشاكله وأشعار الفرزدق وغيره فى هذا مع خالد بن عبد الله القسرى وغيره

(٢) مقتل المنتشر . تمثل معاوية بشعر ابن الاطنابة . امساك الاصمعى عن تفسير ما فيه ذكر الانواء

(٣) مقتل مالك . ما كان بين متمم أخيه وبين أبى بكر وعمر فى هذا

(٤) تقدم الخنساء وليلى الاخيلية فى الشعر . بعض النساء الاشراف . مقتل معاوية والاخذ بثاره . جرح صخر وأخباره فى مرضه

(٥) اعراب أى وأية . الثأر المنيم . قول ابن ظبيان فى قتل مصعب وقول

أبى الاسد فى قتل الوليد بن يزيد وقول خزاعى يناظره . أنواع الرياح وأسماؤها . استعمالها أسماء ومصادر ونعوتا . رثاء السليك لفرسه . هجو جرير لبنى مجاشع فى مدحه ابن الزبير . هجو رجلين لآخرين . عمل الوليد ابن عقبة فى نذر لبيد العامرى واجابة ابنة لبيد له ، صرف الرياح أو منعها . الفا التأنيث فى المنع من الصرف وعدمه .

(١) التعريف بكثير من الاشراف الذين تأسى بهم الفرزدق . منام فاطمة الانمارية وتأويله . مدح جرير لعمر بن عبد العزيز . وفود أوس بن حارثة وحاتم الطائى على عمرو بن هند . منزلة أوس بن حارثة لدى النعمان بن المنذر

(٢) حذف واو المثال فى المضارع . مدح اعرابى لسوار القاضى . قولهم رو تحزم فاذا استوضحت فاعزم وآخر يشبهه .

(٣) سبب قتلهما . قصر البكاء ومده وشئ عن مصاور الاصوات

(٤) قول يفضله لرجل من المحدثين فى ابنين لعبد الله بن طاهر أصيبا فى يوم واحد

(٥) قول يشبهه لابى الشغب فى ابنه .

(١) الجليد وما يرادفه . جمع فُعال على فِعلان . قولهم أمر لا ينادي وليده .

(٢) همز الواو المضمومة . منع المزيد بألف ونون من الصرف . ما يجوز صرفه فى الشعر ومالا يجوز

(٣) زيادة الهاء فى الجمع لتحقيق التأنيث فى العربى والعجمى . أبيات مناظرة لقول السعدى فى عدم الاغتباط بالارث . الجلل والنبل ومعانيهما . بيت ومثل فى معنى قو السعدى أيضا .

(٤) بيتان لحسان بن ثابت فيمن يحسد العشيرة . أبيات لابن حبناء فى الاخاء الا يراء والا كباء ومعناهما . بيتان للاعشى فى مدح هوذة . قولهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ، قولهم أرخ يديك واسترخ ان الزناد من مرخ . أبيات عبد الله بن معاوية بن جعفر فى عتاب صديقه فضيل خروج الاستفهام الى التقرير أو التوبيخ . بيتان

لعبد الله وثلاثة أبيات لآخر فى الاخاء أيضا . قول على فى الاخوان . تصفحه القتلى يوم الجمل وما قاله اذ وجد طلحة . ماتمثل به فيه وما تمثل به عند قبر فاطمة . تمثل عائشة عند قبر أخيها عبد الرحمن . تمثل معاوية لما أتاه موت عتبة وتمثله اذ أتاه موت زياد . تمثل سليمان بن عبد الملك فى صديقه شراحيل .

(١) ترصد أربد وعامر بن الطفيل لرسول الله كى يقتلاه وما كان لهما من دعائه عليهما . بين رجل ومعن بن زائدة فى مرض موته .

(٢) حزم هشام هذا وبعض ما أثر عنه

(٣) فضل العشيرة وشواهد على ذلك من أشعار على بن عبد الله بن العباس وحسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وجرير . عزة على بن الحسين بن على وعلى بن عبد الله بن العباس . فَعَل و فعالِ فى الذم . المهاجاة بين عبدالرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم وتأديب مروان بن الحكم لهما . بداهة الصبية فى الشعر . عراقة بيت حسان وبيت أبى حفصة فيه .

(٤) منزلة ابن مناذر فى الشعر عن ابى العباس المبرد

---

(١) معاتبة مطيع ليحيى شعرا لنبوة كانت بينهما

(٢) مآخذ بعض هـذه المراثى من قول قائل ومن أبيات أخرى تشبهها لامرأة شريفة مات زوجها قبيل الدخول .

باب الادب والحكمة

(١) المعانى الستة لكلمة الصدى . مايتعدى ويلزم من الافعال . بيتان فى معنى قول النمر

(٢) أقاويل مأثورة فى معنى قولهم « ان الثناء هو الخلد » حذف القول وبقاء المقول

(٣) بيتان لمهلهل فى المعنى . العروس التى نصت على رجلين فى ليلتين ولاء

.حديث المصعب مع ابنه عيسى منها قبيل قتلهما وكذا مع زوجته سكينة بنت الحسين . مدح بلال بن جرير لابن الزبير . شرح قول العرب ان العضاه تروح وذكر كثير مما يماثله نثرا ونظما وحكايات فى المعنى . هجول عائذ الكلب لعبد الله بن حسن بن حسن وقصيدة جرير فى مدح هشام بن عبد الملك . جمع فاعل على فَعْل . اكتساب المضاف التأنيث من المضاف اليه والاقحام فى الكلام . هشام بن المغيرة والتأريخ بموته . وضع التاريخ الهجرى . أم قريش .

(١) بيتان لعنترة فى الشجاعة . معنى الردى . قول يزيد بن المهلب فى مقتله ومقتل عبد الرحمن بن الاشعث . زيادة اللام فى المفعول على معنى زيادتها فى الاضافة . فُعْل الاجوف . وصف شيخ من الاعراب لامرأته . مدح عمارة بن عقيل لخالد بن يزيد بن مزيد . الغمم وكراهة العرب له . قول العرب قد تحلب الضجور العلبة

(٢) معه أبيات فى فضل العشيرة والاعتزاز بها

(٣) استهتار حارثة هذا بالشراب ومنزلته لدى كل من زياد وابنه عبيد الله رثاؤه لزياد وله نظير من رثاء مهلهل لكليب . حذف الياء الثالثة فى التصغير وحكم الياء المشددة جملة . الاسناد المجازى . زف وأزف . الحاق زياد بأبى سفيان ومنزلة أبى سفيان فى الجاهلية والاسلام . قول العرب

كل الصيد فى بطن الفرا ٥ أنكحنا الفرا فسنرى ثم قولهم ان كنت ريحا فقد لاقيت أعصارا .

(١) العطف على منصوب انّ رفعا ونصبا وتخريج ذلك وما يشبهه . زجر الطير عند العرب . حكم فى فائدة الصبر على المكاره وأنها قد تكون خيرا

(٢) أدلج وادّلج . سرى وأسرى . كيفية الاخبار عن الحيوان والحاجة فى ذلك الى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكره ومؤنثه

(٣) قصر الممدود ومد المقصور . تفسير مادة جن وما أخذ منها . القلب المعنوى . حديث لرسول الله

(٤) قول العرب أكل الدهر عليه وشرب وما فى معناه

(٥) التمائم وقول ابن قيس الرقيات وأبى ذؤيب فيها

(٦) معه شبيه لابى تمام . جوابان مسكتان لاعرابيين فى الخضاب

(١) حكمتان لمالك بن دينار وبيتان لآخر فى أن المعالجة على الكبر لاتجدى

(٢) اعفاء اللحى واحفاء الشوارب وما ورد فى ذلك عن رسول الله ومسلمة ابن عبد الملك . معنى المهيرة ومعنى النكاح لغة واصطلاحا . الكناية عن النكاح خاصة وعن أشياء أخر عامة .

الصفحة	الموضوع	العنوان

ثالثاً – فى ذيل الجزء الثانى

رابعاً ـ فى الخاتمة

الصفحة	الموضوع	العنوان	
		وهذا فهرس متلاحق لذيل الجزء الثانى وهو أربعة أبواب	
		الباب الاول	
		. فى أشعار مختارة من أشعار المولدين الحكيمة المستحسنة .	
٢٧٣	١	لعبد الصمد بن المعذل فى القناعة وعزة النفس	
٢٧٣	٢	هجو بشار بن برد لعبيد الله قزعة	(١)
٢٧٤	٣	لابى العتاهية فى طاعة الله	
٢٧٤	٤	لمحسود الوراق فى طاعة الله « قطعتان »	
٢٧٤	٥	« « فى العفو والصفح	(٢)
٢٧٥	٦	لابى نواس فى مدح الفضل بن الربيع	
٢٧٥	٧	لصالح بن عبد القدوس فى الامتثال للقضاء	
٢٧٥	٨	لابن ابى عيينة « «	
٢٨٦	٩	أبيات حكيمة قائمة بنفسها للتمثل	
٢٧٦	١٠	لعبد الصمد بن المعذل فى الافتخار بالجود وعدم التعالى « قطعتان »	
٢٧٧	١١	لابى نواس فى الاستجداء والمدح	
٢٧٧	١٢	« « فى الشكر والتعفف	
٢٧٧	١٣	لدعبل فى فضل العشيرة وخلود الشعر	
٢٨٧	١٤	« فى الفرق بين ردئ الشعر وجيده	
٢٧٨	١٥	لابى العتاهية فى التحذير من التماس المعايب	

(١) معه بيت مماثل لجرير

(٢) قد ورد فى شرحه كثير من الحكايات فى العفو والصفح عن رجل من قريش وأبى بكر الصديق وابن مسعود والشعبي ثم عن الحسن بن على

---

(١) مأخذ بعض أقواله من حكم المتقدمين

(٢) « « « « «

(٣) ما أخذه الطائى من قوله هذا

(٤) محاسن هذه القصيدة وما أخذ على أبى نواس فى بعض أبياتها ثم ذكر شئ فى تخريجه عن الاضافة والعطف بالواو

(٥) الحزف للتخفيف وعيب بعض الحكماء له وضرورة معالجة اللسان وما ورد فيها . بعض تشبيهات مستحنة فيها وأخرى تشبهها للقاسم بن عيسى فى ابى دلف مدحا

(٦) مأخذ هذا الوصف من حديث ذكره الاصمعى

---

(١) ذكر كلمة عن هوذة بن على وتتويجه

(٢) اعتراض عمرو بن زعبل له فى هذا الشعر واجابة ابراهيم السواق له ثم ذكر كلمة عن ابراهيم هذا وبعض ما أثر عنه

(٣) نسيب أبى عيينة اخيه فى هذه المرأة المدعوة فاطمة والمكناة دنيا وهى

(٤) ذكر شىء عن محمد هذا وعن جده قبيصة وصحبته للنبى . أبيات له أخرى فخر فيها بقومه ذاما محمدا هذا وسهل بن عكابة

---

(١) قصيدة أخرى لاخيه فاخراً بأبيه وفيها من النسيب ماحسن ولطف . ذكر شيء عن اثبات المد أو حذفه فى الشعر

(٢) قبح الاستعانة فى الكلام وبم تكون . عيب شاعر لبعض الخطباء . عيب رجل من الخوارج لخطيب منهم . تعيير يحيى بن نوفل وآخر لخالد القسرى باضطرابه فى خطبة . وصف رجل لرجل من ايادبالعى عن ابى الحسن .

(٣) تعدى اللازم الى المفعول والنصب على نزع الخافض وشرح ذلك بافاضة

(٤) الكلام على ضرورة تأخير الصلة عن الموصول بسعة . قولهم ذهب فى حاجتى فارتدع عنها معانى كلمة الغرار . قطعة غزلية لاعرابى

(١) افضال الازار وما ورد فيه . فكاهة عن ابن ابى عتيق .

(٢) الكلام على التركيب «شعرى شعرى ونحوه» . وصف عمرو بن العاص لعبد الملك بن مروان .

(٣) التعريف بابن ميادة وعقوقه لامه وقوله فيهاثم كلمة غزلية له .

(٤) بيتان لرجل يهجو قوما لم يعمروا أوليتهم

(٥) الذرا . صفات الارض . مدحةذى الرمة لهلال بن أحوز المازنى . جموع أفعل اسما وصفة . مادة حرد

(٦) جمع أمة على إموان ونحوه . مادة رضع ضبطا ومعنى . بيوتات العرب فى الجاهلية . الكناية عن الطول

(٧) قلب الواو المضمومة همزة ومواضع ذلك

(٨) بيتان يشبهان ذلك فى الفصاحة للقطامى . ما ورد فى هـذا الشعر من

روايات . تبادل أفعُل وأفعال فى جمع فعَل وفعْل . بناء الظروف المبهمة على الضم .

(١) البادى والحاضر ومعناهما

---

(١) نقد الوليد بن عبد الملك أو أبيه بيتا فى هذا الشعر

(٢) مادة حسر . بعض ما أثر فى الابل والغربان من حيث النوى . المشية الفضل والاختيال فى المشى وبعض ما ورد في ذلك وفى اسبال الازار عن رسول الله وقيس بن الخطيم وأبى قيس بن الأسلت ثم الوليد بن يزيد

(١) مأثورات للنابغة الجعدى وذى الرمة ومحمد بن نمير وابن أبى ربيعة وابن أبى عتيق فى ذلك . الكناية بالمس والغائط والجلود . دعوة الرجل بولده ودعوة الوالد بولد يكون له . كناية خالد القسرى فى لعن على

(٢) حذف فاء المثل ولام الناقص . معنى ضُمّن . المقصود من الحور . كناس الظبية وطيب رائحته وفيه بيتان لذى الرمة . التبل . الخريدة .

(٣) قيافة عمر بن الخطاب البرى والخشاس والعاج والعبس والوذح ومعانيها

(٤) تسمية الخمر بالشمول تشبيه المرأة بالأباءة لهذا الاعرابى ولحميد بن ثور .

الغَيْل والغِيل . باباطل ومعناها . هجو جرير للزنج ورد رياح الزنجى عليه

(١) حذف الجار والمجرور بعد اسم التفضيل ونحوه . المقصود من التفضيل فى قوله تعالى وهو أهون عليه وشرح ذلك بإفاضة

(٢) معه بيت للاخطل فى بقاء العداوة

(٣) قِرن وقَرن وقمين . حديث لرسول الله فى ذلك

---

(١) معه حكمتان في أقرب الاختصار وفي خير الكلام.

(٢) بعض ما أثر عن الحطيئة والاعشى في حسن الجوار والعفة عن الجار وعن لقيط بن زرارة في تكريم الشجعان.

(٣) بيتان ليزيد المهلبي في الجدود والحدود . اكبار عبدالله بن الزبير لشجاعة المهلب واثنين معه . بين همام بن مرة وابنة جارية له

(١) لاحداها مثيل عن ابى الحسن

(٢) تصغير الترخيم . كلمتا جانب وجُنُب واستعمالهما . جمع أفعل اسما وصفة ضروب البدل الاربعة . أصفد وصفد . مادة برأ . تخفيف الهمز فى البرية وما يشبهها . تحويل الخطاب وكثرته . كلمة عن هوذة بن على

(٣) التبادل فى الاستعمال بين المصدر واسم الفاعل . غل وأغل . استعمال الاصبع مكان اليد وما فيهما من لغات . استعمال ضمير الجمع للواحد وذكر

فهرس الخاتمة

مايذبغى فيه ومالا يذبغى ثم كلمة عما انفرد به المولى جل شأنه من صفات تستقبح فى المخلوقين .

(١) كلمة برك وتسمية الوليد بن عقبة أشعر بركا .

(٢) براءة على من دم عثمان وقول عروة بن الزبير فى ذلك .

صواب ما وقع فى هذا الجزء من خطأ مطبعى

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه	صفحة	السطر	الخطأ	صوابه
١١	٧	اذا كسر	اذا البازي كسر	٢٠١	١٦	لنبيحه	لتجبيبه
١٢	١٧	عدا	غدا	٢٠٥	٢١	صبوبا	صبوا
١٥	١٢	عيسان	عيسان	٢٠٧	٩	واستد فالسكاب	واستد فاالسكاب
٤٤	٢٠	فى مخرقة	فى جبة مخرقة	٢١٦	٥	الزباب	الذباب
٦١	١٩	المهات	المهاة	٢١٧	١٦	جزم	جذم
٦٢	١٥	توب	توبا	٢٢٧	٧	قوله	قول
٩١	٨	فتباك	فتبارك	٢٣٢	٢٣	ابن	بنى
٩٩	٦	الخيريتين	الخبرتين	٢٥٢	١٢	جيب	حبيب
١٠٣	٥	النقضى	القصى	٢٥٦	٨	ياصوت	صوت
١٠٨	٥	ابساس	ابساسى	٢٧٠	٤	٢٤	٣٤
١٠٨	٩	اطاروا	اطالوا	٢٧١	٢٣	عمر	عمرو
١٣١	٢٠	الجاجم	الجماجم	٢٧٩	٢٠	العاصى	العاص
١٣٢	٢	قتلوا .	تقتلوا	٢٨٠	١٨	فأخذا	فأخذ
١٤٣	١٥	من خلف	من بنى خلف	٣١٢	٨	سالح	سالخ
١٥١	٢٥	عشرة	عشر	٣١٨	٦	بن	ابن
١٦٩	٢٤	عركنا	عركتنا	٣٢٧	٢١	كشير	كثير
١٧١	١١	سيد	أسيد	٣٣٢	٧	طول	طول
١٧٦	٨	البطى	البطىء	٣٣٤	١٢	اليه فلا	عليه فلا
١٩٠	١٥	صاجتها	صاحبتها	٣٣٥	٦	قمن	قمن
١٩٣	١٣	أستطمه	أستطيمه	٣٤٥	١٥	واذا	اذا
١٩٤	١	نشتوا	نشتو	٣٤٩	٤	عنيفة	حنيفة
١٩٥	١٢	زخرا	ذخرا	٣٤٩	١٠	زعم بن	زعم ابن
٢٠٥	١٤	وكال	وكا	٣٥٠	٧	والا	الا

تهذيب الكامل

فى اللغة والأدب

عمل

محمد علي بسيوني السنباطي

المتخرج فى مدرسة دار العلوم

الجزء الثانى في المنظوم

قال العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن كتاب الكامل ما نصه « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهى « كتاب الكامل للمبرد » وأدب الكاتب لابن قتيبة . وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اهـ »

الطبعة الاولى سنة ١٣٤١ هـ – ١٩٢٣ م

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

باب التشبيه و الوصف

أولا – مجرى التشبيه وكثرته فى كلام العرب

١ التشبيه جار كثير فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو اكثر كلامهم لم يبعد قال الله عز وجل وله المثل الأعلى فى الزجاجة «كأنها كوكب درى»

٢ وقال فى شجرة الزقوم «طلعها كانه رءوس الشياطين» وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين فى هذه الآية فقال انما يمثل الغائب بالحاضر ورءوس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله عز وجل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهذه الآية قد جاء تفسيرها فى ضربين أحدهما أن شجرا يقال له الأستن منكر الصورة يقال لثمره رءوس الشياطين وهو الذى ذكره النابغة فى قوله . تحيد من أستن سود أسافله . وزعم الأصمعى أن هذا الشجر يسمى الصوم والقول الآخر وهو الذى يسبق الى القلب ان الله جل ذكره شنع صورة الشياطين فى قلوب العباد وكان ذلك أبلغ من المعاينة ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس

٣ وحدثت فى اسناد متصل ان أبا النجم العجلى أنشد هشام بن عبد الملك
. والشمس قد صارت كعين الأحول . لما ذهب به الروى عن الفكر فى عين هشام فأغضبه فأمر بطرده فأمل أبو النجم رجعته وكان يأوى المساجد فأرق هشام ليلة فقال لحاجبه ابغنى رجلا عربيا فصيحا يحادثنى وينشدنى فطلب له ما طلب فوقف على أبى النجم فأتى فلما دخل به اليه قال أين تكون منذ أقصيناك

قال بحيث ألفتني رسلك قال فمن كان أبا مثواك قال رجلين كلبيا وتغلبيا أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر فقال له مالك من الولد قال ابنتان قال أزوجتهما قال زوجت احداهما قال فبم أوصيتها قال قلت لها ليلة أهديتها .

سبي الحماة وابهتي عليها　　وان أبت فازدلفي اليها
ثم اقرعي بالود مرفقيها　　وجددي الحلف به عليها
لا تخبري الدهر بذاك ابنيها

قال أفأوصيتها بغير هذا قال نعم قلت

أوصيت من برّة قلبا حرا　　بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي نهكا لها وضرا　　والحيّ عميهم بشر طرا
وان كسوك ذهبا ودرا　　حتى يروا حلو الحياة مرا

فقال هشام ماهكذا أوصى يعقوب ولده قال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولا بني كولده قال فما حال الاخرى قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة قال فما قلت فيها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان　　يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان　　وليس في الرجلين الا خيطان
فهي التي يذعر منها الشيطان

قال فقال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها قال ها هي عندي ووزنها خمسمائة قال فادفعها الى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين . أفلا تراه قال فهي التي يذعر منها الشيطان وان لم يره لما قرر في القلوب من نكارته وشناعته . وقال آخر

وفي البقل ان لم يدفع الله شره　　شياطين يعدو بعضهن على بعض

وزعم أهل اللغة ان كل متمرد من جن أو انس يقال له شيطان وان قولهم تشيطن انما معناه تخبث وتنكر وقد قال الله عز وجل شياطين الانس والجن وقال الراجز .

أبصرتها تلتهم الثعبانا　　شيطانة تزوجت شيطانا

وقال امرؤ القيس

أتوعدني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والغول لم يخبر صادق قط أنه رآها .

ثم نرجع الى تفسير قول أبي النجم قوله سبي الحماة وابهتي عليها . انما يريد ابهتيها فوضع ابهتي في موضع اكذبي فمن ثم وصلها بعلى والذي يستعمل في صلة الفعل اللام لأنها لام الاضافة تقول لزيد ضربت ولعمرو اكرمت والمعنى عمرا اكرمت وزيدا ضربت فانما تقديره اكرامي لعمرو وضربي لزيد فاجرى الفعل مجرى المصدر وأحسن ما يكون ذلك اذا تقدم المفعول لان الفعل انما يجيء وقدعملت اللام كما قال الله عز وجل (ان كنتم للرؤيا تعبرون) وان أخر المفعول فمربى حسن والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال الله جل وعز (وأمرت لان أكون أول المسلمين) والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه (قل عسى ان يكون ردف لكم) انما هو ردفكم وقال كثير

أريد لا نسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض اذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع قال الله جل ذكره (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي عليها ولكن الجذوع اذا أحاطت دخلت في لأنها للوعاء يقال فلان في النخل أي قد أحاط به قال الشاعر .

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان الا بأجدها

وقال الله جل وعز (ام لهم سلم يستمعون فيه) أي عليه وقال تبارك وتعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) أي بأمر الله وقال ابن الطثرية .

غدت من عليه تنفض الطل بعد ما رأت حاجب الشمس استوى فترفعا

وقال الآخر ،

غدت من عليه بعد ما تم خمسها تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

أي من عنده وقال العامري .

اذا رضيت على بنو قشير　　لعمر الله اعجبني رضاها

وهذا كثير جدا وقوله وان أبت فازدلفي اليها يقول تقربي ومن ذا سميت المزدلفة قال العجاج .

ناج طواه الأين مما وجفا * طي الليالي زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

تقول زلفة وزلف كقولك غرفة وغرف وقوله بالكلب خيرا والحماة شرا كلام معيب عند النحويين وبعضهم لا يجيزه وذاك أنه عطف على عاملين بالباء وعلى الفعل ومن قال هذا قال ضربت زيدا في الدار والحجرة عمرا وكان أبو الحسن الأخفش يراه ويقرأ واختلافِ الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آياتٍ فعطف على ان وعلى في . وقال عدي بن زيد .

اكل امرىء تحسبين امرأ　　ونار توقد بالليل نارا

فعطف على كل وعلى الفعل . وأما قوله غدت من عليه بعد ما تم خمسها . فالخمس ظمء من اظمائها وهو أن ترد ثم تغب ثلاثا ثم ترد فيعتد بيومي وردها مع ظمئها فيقال خمس والربع كحمى الربع وقوله تصلّ أي تسمع لأجوافها صليلا من يبس العطش يقال المسمار يصل في الباب اذا اكره فيه قال جرير يخاطب الزبير بمرثيته في هجائه الفرزدق .

لو كنت حين غررت بين بيوتنا　　لسمعت من وقع الحديد صليلا

ويقال للحمار المصلصل اذا أخرج صوته من جوفه حادا خفيفا قال الاعشى

عنتريس تعدو اذا حرك السو　　ط كعدو المصلصل الجوال

وقال المفسرون في قول الله عز وجل (من صلصال من حمأ مسنون) قالوا هو الطين الذي قد جف فاذا قرعه شيء كان له صليل وتفسير ذلك عند العرب التقن الذي يذهب عنه الماء في الغدران فيتشقق ثم ييبس والقيض قشر البيضة الأعلى والذي يلبس البيضة فيكون ما بينها وبين قشرها الأعلى يقال له الغِرقِئ يقال ثوب كأنه غرقىء بيض والزيزاء ما ارتفع من الارض وهو ممدود منصرف في المعرفة والنكرة اذا كان لمذكر كالعلباء والحرباء وسنذكر هذا في غير هذا

الموضع مفسرا ان شاء الله تعالى (١) على انا قد استقصيناه فى الكتاب المقتضب والمجهل الصحراء التى يجهل فيها فلا يهتدى لسبيلها ويقال للشىء اذا غب وتغيرت رائحته صل وأصل فهو صال ومصل ويقال تن وأتن ويقال خم وأخم وذاك اذا كان مستورا حتى يفسد ويقال اذا عتق اللحم فتغير خنز وخزن وبيت طرفة أحسن ما ينشد عليه . ثم لا يخنز فينا لحمها انما يخنز لحم المدخر .

ويقال لرب البيت وربة البيت اللذين ينزل بهما الضيف هى أم مثواه وهو أبو مثواه وأنشد أبو عبيدة

من أم مثوى كريم قد نزلت بها ان الكريم على علاته يسع

وفى كتاب الله جل وعز (أكرمى مثواه) معناه عند العرب اضافته

٤ والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبى أو البقرة الوحشية والأنف بحد السيف والفم بالخاتم والشعر بالعناقيد والعنق بابريق فضة والساق بالجمار فهذا كلام جار على الالسن . وقد قال سراقة ابن مالك بن جعشم . فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه باديتان فى غزوة كأنهما جمارتان فأردته فوقعت فى مقنب من خيل الانصار فقرعونى بالرماح وقالوا أين تريد . وقال كعب بن مالك الانصارى . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر تبلج وجهه فصار كأنه البدر وعين الانسان مشبهة بعين الظبى والبقر فى كلامهم المنثور وشعرهم المنظوم من جارى ما تكلمت به العرب وكثر فى أشعارها قال

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق (٢)

وقال الآخر

---

(١) سيأتى هذا فى شرح قصيدة ليلى الاخيلية فى رثاء زوجها توبة بن الحمير بباب المراثى السباعى (٢) وقال ذو الرمة

أرى فيك من خرقاء ياظبية اللوى مشابه جنبت اعتلاق الحبائل

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولونك الا أنها غير عاطل

فلم تر عينى مثل سرب رأيته خرجن علينا من زقاق ابن واقف
طلعن بأعناق الظباء وأعين الـ جآذر وامتدت بهن الروادف

ويقال للخطيب كأن لسانه مبرد فهذا الجارى فى الكلام كما يقال للطويل كأنه رمح ويقال للمهتز للكرم كأنه غصن تحت بارح .

ومن مليح التشبيه قول القائل

لعيناك يوم البين أسرع واكفا من الفنن الممطور وهو مروح

وذاك ان الغصن يقع المطر فى ورقه فيصير منها فى مثل المداهن فاذا هبت به الريح لم تلبثه أن تقطره .

ثانيا — حده ووجهه .

١ واعلم ان للتشبيه حدا فالاشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه فانما ينظر الى التشبيه من حيث وقع .

٢ فاذا شبه الوجه بالشمس فانما يراد الضياء والرونق ولا يراد العظم والاحراق

٣ وقال الله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاءه ونعمة لونه قال الراعى

كأن بيض نعام فى ملاحفها اذا اجتلاهن قيظ ليله ومد

٤ وقيل للأوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله أى منظر أحسن فقالت قصور بيض فى حدائق خضر فأنشد عمر بن الخطاب لعدى بن زيد .

كدمى العاج فى المحاريب اوكالـ ـبيض فى الروض زهره مستنير

وقال الآخر

كالبيض فى الادحى يلمع بالضحى فالحسن حسن والنعيم نعيم

٥ وقال جرير

ما استوصف الناس عن شئ يروقهم الا رأوا ام نوح فوق ما وصفوا
كأنها مزنة غراء رائحة أو درة لا يوارى لونها الصدف

المزنة السحابة البيضاء خاصة وجمعها مزن قال الله جل وعز (أأنتم أنزلتموه

من المزن) فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها قال الاعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لاريث ولاعجل

الريث الابطاء فهذا ماتلحقه العين منها فأما الحقيقة فهى كأسرع مار وان خفى ذلك عن البصر قال الله جل وعز (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب)

٦ والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرة والبيضة وانما تقصد من كل شىء الى شىء وقال ذو الرمة

ومية أحسن الثقلين جيدا وسالفة وأحسنهم قذالا

فلم أر مثلها نظرا وعينا ولا أم الغزال ولا الغزالا

تريك بياض غرتها ووجها كقرن الشمس أفتق ثم زالا

أصاب خصاصة فبدا كليلا كلا وانغل سائره انغلالا

الجيد العنق والسالفة ناحية العنق والقذالان ناحيتا القفا من الرأس وقوله أفتق ثم زالا يقال أفتق السحاب اذا انكشف انكشافة فكانت فيه فرجة يسيرة بين السحابتين تقول العرب دام علينا الغيم ثم افتقنا واذا نظر الى الشمس والقمر من فتق السحاب فهو أحسن مايكون وأشده استنارة وقوله كلا يريد من سرعة مابدا ثم غاب . وقال الله عزوجل (كأنهن الياقوت والمرجان) وقال تبارك وتعالى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) والمكنون المصون يقال كننت الشىء اذا صنته واكننته اذا أخفيته فهذا المعروف قال الله تبارك وتعالى (أو أكننتم فى انفسكم) وقد يقال كننته أخفيته .

٧ وقد قال جرير فى يزيد بن عبد الملك وامه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان

الحزم والجود والايمان قد نزلوا على يزيد امين الله فاحتلفوا

ضخم الدسيعة والايمان غرته كالبدر ليلة كاد الشهر ينتصف

٨ وقال ذو الرمة

فياظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم ام سالم

٩ وقال ابن أبى ربيعة

أبصرتها ليلة ونسوتها يمشين بين المقام والحجر
يرفلن فى الريط والمروط كما تمشى الهوينا سوا كن البقر

فهذه تشبيهات غريبة مفهومة

١٠ وقال أبو عبد الرحمن العطوى

قد رأينا الغزال والغصن والنجـ ـمين شمس الضحى وبدر الظلام
فوحق البيان يعضده البر هان فى مأقط ألد الخصام
ما رأينا سوى المليحة شيئا جمع الحسن كله فى نظام
فهى تجرى مجرى الأصالة فى الرأ ى ومجرى الأرواح فى الأجسام

البرهان الحجة قال الله عز وجل (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) أى حجتكم والمأقط موضع الحرب فضرب به مثلا لموضع المناظرة والمحاجة والألد الشديد الخصومة قال الله تبارك وتعالى (لتنذر به قوما لدا . وقال . وهو ألد الخصام) وقالت ليلى الأخيلية

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يقدع الخصم الألد ويملأ الـ ـجفان سديفا يوم نكباء صرصر

السديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين لان الرياح اربع وما بين كل ريحين نكباء فهى ثمان فى المعنى (١)

ثالثاً — ضروبه الاربعة

١ والعرب تشبه على اربعة أضرب فتشبيه مفرط وتشبيه مصيب وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو أخشن الكلام

---

(١) قد أفاض أبو العباس عقب هذا فى الكلام على الرياح من جملة وجوه وقد نقلناه الى حيث يشرح هذين البيتين فى قصيدتهما من باب المراثى ثم أتى عقب ذلك اذ ذكر قول أوس بن حجر . وعزت الشمأل الرياح . بكثير مما يتعلق بالعزة والذلة والاعراض عن مقاولة اللئيم وغير الكفء فنقلناه أيضا حيث يشرح ذلك البيت من قصيدته فى الباب المذكور . السباعى

٢ فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخى هو كالبحر وللشجاع هو كالاسد وللشريف سما حتى بلغ النجم ثم زادوا فوق ذلك

٣ فمن ذاك قول بعضهم (١)

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر
ولو أن خلق الله فى مسك فارس وبارزه كان الخلىّ من العمر

٤ وقد قيل ان امرأة عمران بن حطان قالت له اما زعمت انك لم تكذب فى شعر قط قال أو فعلت قالت أنت القائل

فهناك مجزأة بن ثور كان أشجع من أسامه

أفيكون رجل أشجع من الأسد فقال انا رأيت مجزأة فتح مدينة والاسد لايفتح مدينة .

٥ ومن عجيب التشبيه فى افراط غير انه خرج فى كلام جيد وعنى به رجل جليل فخرج من باب الاحتمال الى باب الاستحسان ثم جعل لجودة الفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه فى غاية ما يستحسن قول النابغة يعنى حصن بن حذيفة (٢)

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والأديم صحيح
فعما قليل ثم جاء نعيه فظل ندىّ الحي وهو ينوح

٦ ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ماذكرناه وهو قول أبى الطمحان (٣)

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

٧ ويروى عن الأصمعي انه رأى رجلا يختال فى أزير فى يوم قر فى مشيته فقال له ممن أنت يامقرور فقال ابن الوحيد أمشى الخيزلى ويدفئنى حسبى . وقيل لآخر فى هذه الحال أما يوجعك البرد فقال بلى والله ولكنى اذكر حسبى فأدفأ .

---

(١) وهو بكر بن النطاح يقوله لأبى دلف القاسم بن عيسى

(٢) ابن بدر بن عمرو الفزارى (٣) من قطعة حسنة مثبتة له بباب المقطعات من الذيل . السباعى

وأصوب منهما قول العريان الذى سئل فى يوم قر عما يجد فقال ما على منه كبير مؤونة فقيل وكيف فقال دام بى العرى فاعتاد بدنى ما تعتاده وجوهكم .

٨ ومن التشبيه المتجاوز المفرط قول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به … كأنه علم فى رأسه نار

فجعلت المهتدى يأتم به وجعلته كنار فى رأس علم والعلم الجبل . قال جرير اذا قطعن علما بدا علم * وقال الله جل ثناؤه (وله الجوارى المنشئات فى البحر كالأعلام) . ومن هذا الضرب من التشبيه قول العجاج تقضى البازى اذا كسر . والتقضى الانقضاض وانما أراد سرعتها والعرب تبدل كثيرا الياء من أحد التضعيفين فيقولون تظنيت والأصل تظننت لانه تفعلت من الظن وكذلك تقضيت من الانقضاض أى تقضضت وكذلك تسريت ومثل هذا كثير

٩ ومن افراط التشبيه قول ابى خراش الهذلى يصف سرعة ابنه فى العدو

كأنهم يسعون فى اثر طائر … خفيف المشاش عظمه غير ذى نحض

يبادر جنح الليل فهو مهابذ … يحث الجناح بالتبسط والقبض

١٠ ومن التشبيه القاصد الصحيح قول النابغة

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه … أتانى ودونى راكس فالضواجع

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة … من الرقش فى انيابها السم ناقع

يسهد من نوم العشاء سليمها … لحلى النساء فى يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها … تطلقه طورا وطورا تراجع

فهذه صفة الخائف المهموم ومثل ذلك قول الآخر

تبيت الهموم الطارقات يعدننى … كما تعترى الاوصاب رأس المطلق

والمطلق هو الذى ذكره النابغة فى قوله . تطلقه طورا وطورا تراجع . وذاك أن المنهوش اذا ألح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه وانما ذكر خوفه من النعمان وما يعتريه من لوعة فى اثر لوعة والفترة بينهما والخائف لا ينام الا غرارا فلذلك شبهه بالملدوغ المسهد وقوله لحلى النساء فى يديه قعاقع لأنهم كانوا يعلقون حلى النساء على الملدوغ يزعمون أن ذلك من اسباب

البرء لانه يسمع تقعقعها فيمنعه النوم فلا ينام فيدب فيه السم ويسهد لذلك .
وقال الآخر

كأن فجاج الارض وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل
يؤتى اليه ان كل ثنية تيممها ترمى اليه بقاتل

يقال لكل مستطيل كفة يقال كفة الثوب لحاشيته وكفة الحابل اذا كانت مستطيلة ويقال لكل شئ مستدير كفة يقال ضعه فى كفة الميزان فهذه جملة هذا والحابل صاحب الحبالة التى ينصبها للصيد

١١ وأما التشبيه البعيد الذى لايقوم بنفسه فكقوله

بل لو رأتنى أخت جيراننا اذ أنا فى الدار كانى حمار

فانما أراد الصحة فهذا بعيد لان السامع انما يستدل عليه بغيره وقال الله جل وعز وهذا البين الواضح كمثل الحمار يحمل أسفارا والسفر الكتاب وقال (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار) فى أنهم قد تعاموا عنها واضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا كالحمار الذى يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها . وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة قوما من رواة الشعر بانهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم روايته فقال .

زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا عدا باوساقه أو راح ما فى الغرائر

١٢ والعرب تختصر فى التشبيه وربما أومأت به ايماء قال أحد الرجاز

بتنا بحسان ومعزاه تئط مازلت أسعى بينهم وألتبط
حتى اذا كاد الظلام يختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

يقول فى لون الذئب واللبن اذا جهد وخلط بالماء ضرب الى الغبرة وأنشد الاصمعى

وتشربه محضا وتسقى عيالها سجاجا كأقراب الثعالب أورقا

السجاج الرقيق الممذوق والقربان الجنبان والواحد قرب من ذلك قول عمر ابن الخطاب رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شاور فى رجل جنى جناية وجاء قومه يشفعون له فشفع له قوم آخرون فقال له عمر يا رسول الله أرى

ان توجع قريبه فقال القوم يا رسول الله انك لن تشتد على أمتك بقول عمر فنزل اليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثا يا محمد القول قول عمر شد الاسلام بعمر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الرجل . والاورق لون بين الخضرة والسواد يقال جمل أورق بين الورقة وهو ألأم الوان الأبل عند العرب وأطيبها لحما .

رابعا . تشبيهات مختارة لمتقدمى الشعراء

امرىء القيس وزهير والنابغة وذى الرمة

١ أحسن ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم باجماع الرواة ما مر لامرىء القيس فى كلام مختصر أى بيت واحد من تشبيه شىء فى حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالى

فهذا مفهوم المعنى فان اعترض معترض فقال فهلا فصل فقال كأنه رطبا العناب وكأنه يابسا الحشف قيل له العربى الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهوما ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا قال الله جل وعز وله المثل الأعلى (ومن رحمته أن جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) علما بان المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب

٢ ومن تمثيل امرىء القيس العجيب قوله

كأن عيون الوحش حول خبائنا   وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

٣ ومن ذلك قوله

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت   تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقد اكثر الناس فى الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ .

٤ ثم نرجع الى التشبيه المصيب قال امرؤ القيس فى طول الليل

كأن الثريا علقت فى مصامها   بامراس كتان الى صم جندل

فهذا فى ثبات الليل واقامته والمصام المقام وقيل للممسك عن الطعام صائم

لثباته على ذلك ويقال صام النهار اذا قامت الشمس قال امرؤ القيس

فدعها وسل الهم عنك بجسرة　　ذمول اذا صام النهار وهجرا

وقال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة　　تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والامراس جمع مَرَس وهو الحبل قال أبو زبيد يرثى غلامه وتعرض للحرب فقتل

اما تعلق بك الرماح فلا　　أبكيك الا للدلو والمرس

٥ وقال امرؤ القيس فى ثبات الليل

فيالك من ليل كأن نجومه　　بكل مغار الفتل شدت بيذبل

المغار الشديد الفتل يقال أغرت الحبل اذا شددت فتله ويذبل جبل بعينه .

٦ وقال أيضا

كأن أبانًا فى افانين ودقه　　كبير اناس فى بجاد مزمل

أبان جبل وهما أبانان أبان الأسود وأبان الابيض قال مهلهل وكان نزل فى آخر حربهم حرب البسوس فى جنب ابن عمرو بن علة بن جلد بن مالك وهو مذحج وجنب حى من أحيائهم وضيع فخطبت ابنته ومهرت أدما فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال

أنكحها فقدها الاراقم فى　　جنب وكان الحباء من أدم

لو بأبانَين جاء يخطبها　　ضرج ما أنف خاطب بدم

وقوله فى أفانين ودقه يريد ضروبا من ودقه والودق المطر قال الله تبارك وتعالى فترى الودق يخرج من خلاله وقال عامر بن جوين الطائي

فلا مزنة ودقت ودقها　　ولا أرض أبقل ابقالها

وقوله كبير أناس فى بجاد مزمل يريد مزملا بثيابه قال الله تبارك وتعالى يأيها المزمل قم الليل الا قليلا وهو المتزمل والتاء مدغمة فى الزاى وانما وصف امرؤ القيس الغيث فقال قوم أراد ان المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل وقال آخرون انما أراد ما كساه المطر من خضرة النبت وكلاهما حسن وذكر الودق لان تلك الخضرة من عمله . قال الراجز يصف غيثا

أقبل فى المستن من ربابه أسنمة الآبال فى سحابه

أراد ان ذلك السحاب ينبت ما تأكله الأبل فتصير شحومها فى أسنمتها والرباب سحاب دوين المعظم من السحاب قال المازنى

كان الرباب دوين السحاب نعام يعلق بالأرجل

وقوله جل وعز (انى أرانى أعصر خمرا) أى أعصر عنباً فيصير الى هذه الحال

٧ وقال زهير

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

الفنا شجر بعينه يثمر ثمرا أحمر ثم يتفرق فى هيئة النبق الصغار فهذا من أحسن التشبيه وانما وصف ما يسقط من أنماطهن اذا نزلن والعهن الصوف الملون فى قول اكثر أهل اللغة . وأما الاصمعى فقال كل صوف عهن . وكذلك قال أهل اللغة الحنتم الخزف الاخضر وقال الاصمعي كل خزف حنتم قال القرشى

من مبلغ الحسناء أن حليلها ميسان يسقى فى زجاج وحنتم

وقال جرير .

ما فى مقام ديار تغلب مسجد وبها كنائس حنتم ودنان

٨ ومن أعجب التشبيه قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المنتأى عنك واسع

٩ وقوله

خطاطيف حجن فى حبال متينة تمد بها أيد اليك نوازع

١٠ وقوله

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

١١ قال أبو العباس ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح الكلام قول ذى الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس

الحِندس اشتداد الظلمة وهو توكيد لها يقال ليل حندس وليل أليل مظلم .

١٢ ومن عجيب التشبيه قوله

وردت اعتسافا والثريا كأنها　　على قمة الرأس ابن ماء محلق

١٣ وقوله

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه　　على عصويها سابرى مشبرق

وتأويل هذا انه يصف ماء قديماً لا عهد له بالواردة فقد اصفر واسود فقال

وماء قديم العهد بالانس آجن　　كأن الدبى ماء الغضا فيه تبصق

وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل فى وصف الماء الآجن حيث يقول .

اذا وردت ماء كأن جمامه　　من الأجن حناء معا وصبيب

فقال ذو الرمة فى وصف هذا الماء فقرن بتغيره بعد مطلبه

فأدلى غلامى دلوه يبتغى بها　　شفاء الصدى والليل أدهم أبلق

يريد ان الحجر قد نجم فيه فجاءت يعنى الدلو بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابرى مشبرق والسابرى الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق الممزق وأنشد أبو زيد

لهو نا بسربال الشباب ملاوة　　فأصبح سربال الشباب شبارقا

١٤ ومن التشبيه العجيب قوله فى صفة الظليم

شخت الجزارة مثل البيت سائره　　من المسوح خدبٌ شوقب خشب

الشخت الضئيل اليابس الضعيف والجزارة القوائم وقوله مثل البيت سائره من المسوح يعنى اذا مد جناحيه وانما أخذه من قول علقمة بن عبدة

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه　　بيت أطافت به خرقاء مهجوم

الصعل الصغير الرأس والخرقاء التى لا تحسن شيئا فهي تفسد ماعرضت له قال الحطيئة

هم صنعوا لجارهم وليست　　يد الخرقاء مثل يد الصناع

والمهجوم المهدوم وفى الخبر انه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت فى بكر بن وائل الا هجم أى هدم والخدب الضخم والشوقب الطويل والخشب الذى ليس يلين على من نزل به

١٥ ومن التشبيه المصيب قوله فى صفة روضة

قرحاء حواء اشراطية وكفت　　فيها الذهاب وحفتها البراعيم

قرحاء يريد الانوار وقوله حواء يقول تضرب الى السواد لشدة ريها وخضرتها وكذلك المفسرون يقولون فى قول الله جل وعز (مدهامتان) تضربان الى الدهمة لشدة خضرتهما وريهما وقوله أشراطية ليس مما قصدنا له ولكنه مما يجرى فيفسر ومعناه أنها مطرت بنوء الشرطين . وحدثنى الزيادى قال سمعت الاصمعى وسئل بحضرتى أو سألته عن قوله أشراطية فقال باسته واست عرسه وذاك أن الاصمعى كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الانواء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرت النجوم فأمسكوا لان الخبر فى هذا بعينه مطرنا بنوء كذا وكذا وكان لا يفسر ولا ينشد شعرا فيه هجاء وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره شيئا من القرآن هكذا يقول أصحابه وسئل عن قول الشماخ

طوى ظمأها فى بيضة الصيف بعدما جرى فى عنان الشعريين الأماعز

فأبى أن يفسر فى عنان الشعريين . وأما قوله الذهاب فهى الأمطار اللينة الدائمة ويقال انها أنجع المطر فى النبت وكذلك العهاد وأنشد الاصمعى

أمير عم بالنعماء حتى كأن الأرض جللها العهاد

والبراعيم واحدتها برعومة وهى أكمة الروض قبل ان تنفتق يقال لواحدها كم وكمام فمن قال كمام فجمعه أكمة مثل صمام وأصمة وزمام وأزمة ومن قال كم فالجماع أكمام قال الله عز وجل والنخل ذات الاكمام .

خامسا — فى اضطراب القلب والجبن .

١ ومن التشبيه المصيب قول الآخر أحسبه توبة بن الحمير (١)

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت تعالجه وقد علق الجناح (٢)

ويروى تجاذبه فهذا غاية الاضطراب وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار .

---

(١) قال أبو الحسن يقال انه لمجنون بنى عامر وهو الصواب

(٢) لها فرخان قد غلقا بوكر فعشهما تصفقه الرياح

فلا بالليل نالت ماترجى ولا بالصبح كان لها براح

٢ وقال الشيباني للحجاج

هلا برزت الى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

فهذا يجوز أن يكون في الخفقان وفي الذهاب ألبتة

٣ ومن التشبيه المحمود قول الشاعر .

طليق الله لم يمنن عليه أبو داود وابن أبي كثير

ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذر الصقور

وهذا غاية في صفة الجبان ونصب عيني بنت ماء على الذم وتأويله أنه اذا قال جاءني عبد الله الفاسقَ الخبيثَ فليس يقول الا وقد عرفه بالخبث والفسق فنصبه بأعني وما أشبهه من الافعال نحو أذكر وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح وقول الله تبارك وتعالى والمقيمين الصلاة بعد قوله لكن الراسخون في العلم منهم انما هو على هذا ومن زعم انه أراد ومن المقيمين الصلاة فمخطىء في قول البصريين لانهم لايعطفون الظاهر على المضمر المخفوض ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح كالضرورة والقرآن انما يحمل على أشرف المذاهب وقرأ حمزة الذي تساءلون به والارحام وهذا مما لايجوز عندنا الا أن يضطر اليه شاعر كما قال

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب

وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالةَ الحطب أراد وامرأته في جيدها حبل من مسد فنصب حمالة على الذم ومن قال ان امرأته مرتفعة بقوله سيصلى نارا ذات لهب فهو يجوز وليس بالوجه أن يعطف المظهر المرفوع على المضمر حتى يؤكد نحو اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة فأما قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانه لما طال الكلام وزادت فيه لا احتمل الحذف وهذا على قبحه جائز أعني ذهبت وزيد وأذهب وعمرو قال جرير

ورجا الاخيطل من سفاهة رأيه ما لم يكن وأب له لينالا

وقال ابن أبي ربيعة

قلت اذ أقبلت وزهر تهادى كنعاج الملا تعسفن رملا

ومما ينصب على الذم قول النابغة

لعمرى وما عمرى علىّ بهين لقد نطقت بطلا على الاقارع
اقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قَرود تبتغى من تخادع

وقال عروة بن الورد العبسى

سقونى الخمر ثم تكنفونى عداةَ الله من كذب وزور

والعرب تنشد قول حاتم الطائى رفعا ونصبا

ان كنت كارهة معيشتنا هاتا فحلى فى بنى بدر
الضاربين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى

وانما خفضوهما على النعت وربما رفعوهما على القطع والابتداء وكذلك قول الخرنق بنت هفان القيسية من بنى قيس بن ثعلبة

لا يبعدن قومى الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الأزر

وكل ما كان من هذا فعلى هذا اكثر انشاده . وان لم يرد مدحاً ولا ذماً قد استقرله فوجه النعت وقرأ بعض القراء « فتبارك الله أحسنَ الخالقين » واكثر ماتنشد العرب بيت ذى الرمة نصباً لانه لما ذكر ما يحن اليه ويصبو الى قربه أشاد بذكر ما قد كان يبغى فقال

ديارَ ميــة اذ مىّ تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

وفى هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله

بيضاء فى دعج صفراء فى نعج كأنها فضة قد مسها ذهب

وفيها من التشبيه المصيب ايضا

تشكو الخشاش ومجرى النسعتين كما أن المريضُ الى عواده الوصب

الخشاش ما كان فى عظم الانف وماكان فى المارن فهو برة يقال ابريت الناقة فهى مبراة قال الشماخ وهذا من التشبيه العجيب

فقربت مبراة تخال ضلوعها من الماسخيات القسى الموترا

وماسخة من بنى نصر من الأزد واليهم نسبت القسى الماسخية

وأحسن ما قيل فى صفة الضلوع واشتباكها قول الراعى

وكأنما انتطحت على اثباجها فُدُرٌ بشابة قد تممن وعولا

الفادر المسن من الوعول وذو الرمة أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدى

اذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة

كأن ابريقهم ظبى على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

فهذا حسن جدا . وقال أبو الهندى وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث ابن ربعى الرياحى من بنى رياح بن يربوع وكان شبث سيد بنى يربوع بالكوفة

مفدمة قزا كأن رقابها رقاب بنات الماء أفزعها الرعد

وكان أبو الهندى قد غلب عليه الشراب على كرم منصبه وشرف أسرته حتى كاد يبطله وكان عجيب الجواب فجلس اليه رجل مرة يعرف ببرز بن المناقير وكان أبوه صلب فى خرابة والخرابة عندهم سرق الابل خاصة فأقبل يعرض لأبى الهندى بالشراب فلما أكثر عليه قال أبو الهندى أحدهم يرى القذاة فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى است أبيه . وفى الخرابة يقول الراجز

والخارب اللص يحب الخاربا وتلك قربى مثل أن تناسبا

أن تشبه الضرائب الضرائبا

وقال الآخر .

ائت الطريق واجتنب أرماما ان بها أكتل أو رزاما

خويربين ينقفان الهاما (١)

نصب خويربين على أعنى لا يكون غير ذلك لانه نما أثبت أحدهما بقوله أو (٢) ومر نصر بن سيار الليثى بأبى الهندى وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال أبو الهندى لولم أفسد شرفى لم تكن أنت والى خراسان . وحج به نصر ابن سيار مرة فلما ورد الحرم قال له نصرانك بفناء بيت الله وبمحل وفوده فدع

(١) زاد أبو الحسن . لم يتركا لمسلم طعاما (٢) ولهذا الشاهد أبقيت ما ورد عن أبى الهندى وغيره متصلا بما قبله عن النعت المنقطع . السباعى

لى الشراب حتى ينفر الناس واحتكم علىّ ففعل فلما كان يوم النفر أخذ الشراب فوضعه بين يديه وأقبل يشرب ويبكى ويقول .

رضيع مدام فارق الراح روحه   فظل عليها مستهل المدامع
أديرا على الكأس انى فقدتها   كما فقد المفطوم در المراضع

وكان يشرب مع قيس بن أبى الوليد الكنانى وكان أبو الوليد ناسكا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه وقال أبو الهندى

قل للسرى ابى قيس أتوعدنا   ودارنا أصبحت من داركم صددا
أبا الوليد أما والله لو عملت   فيك الشمول لما حرمتها أبدا
ولا نسيت حمياها ولذتها   ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

٤ قال أبو العباس ثم نرجع الى التشبيه وربما عرض الشىء والمقصود غيره فيذكر للفائدة تقع فيه ثم يعاد الى أصل الباب . قال عروة بن حزام العذرى

كأن قطاة علقت بجناحها   على كبدى من شدة الخفقان

٥ ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار

كأن فؤاده كرة تنزى   حذار البين ان نفع الحذار (١)

وفى هذه القصيدة

جفت عينى عن التغميض حتى   كأن جفونها عنها قصار
أقول وليلتى تزداد طولا   أما لليل بعدهم نهار

سادسا — فى المرأة من وجوه

١ يقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فآية ذلك ان تكون عند قربه منها مرتدة النظر عنه كأنما تنظر الى انسان من ورائه واذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه واذا نهض نظرت من ورائه الى شخصه حتى يزول عنها قال رجل أردت أن أعلم كيف حالى عند امرأتى فالتفت وقد نهضت من بين يديها فاذا هى تكلّح فى قفاى . وقال الفرزدق فى هذا المعنى والنوار تخاصمه عند عبد الله ابن الزبير .

---

(١) يروعه السرار بكل ارض   مخافة ان يكون به السرار

قدونكها يا ابن الزبير فانها مولعة يوهى الحجارة قيلها
اذا جلست عند الامام كأنها ترى رُفقة من خلفها تستحيلها

وقوله مولعة يقول مولعة بالنظر مرة ها هنا ومرة ها هنا وقوله ترى رُفقة يقال رِفقة ورُفقة ومعنى تستحيلها تتبين حالاتها قال حميد بن ثور

مروعة تستحيل الشخوص من الخوف تسمع مالا ترى(١)

٢ ومن عجيب التشبيه قول جرير فيما يكنى عن ذكره

ترى الصبيان عاكفة عليها كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويقال ان الفرزدق حين أنشد النصف الاول ضرب بيده الى عنفقته توقعا لعجز البيت

٣ فاما قول الشنفرى .

كأن لها فى الارض نسيا تقصه على امها وان تحدثك تبلت

فانما أراد شدة استحيائها يقول لا ترفع رأسها كانها تطلب شيئا فى الارض والنسى على ضربين أحدهما ما تقادم عهده حتى ينسى والآخر ما أضله أهله فيطلب ويطمع فيه وتقصه تتبعه قال الله جل وعز « وقالت لأخته قصيه » أى اتبعى أثره والأم القصد وقوله وان تحدثك تبلت تقطع الحديث لاستحيائها

٤ وأنشد بشار بن بُرْد الأعمى قول كثير

الا انما ليلى عصا خيزرانة اذا غمزوها بالاكف تلين

قال فقال لله أبو صخر جعلها عصا ثم يعتذر لها والله لو جعلها عصا من مخ أو زبد لكان قد هجنها بالعصا الا قال كما قلت

وبيضاء المحاجر من معد كأن حديثها قطع الجمان
اذا قامت لسبحتها تثنت كأن عظامها من خيزران

والخيزرانة كل غصن لين يتثنى ويقال للمردىّ خيزرانة اذا كان يتثنى اذا اعتمد عليه قال النابغة

يظل من خوفه الملاح معتصما بالخيزرانة بعد الأين والنجد

---

(١) قوله مروعة يقول كل شيء يدنينى من الظفر بها يروعها وينفرها

الا ين الاعياء والنجد العرق

٥ وقد عاب بعض الناس قول كثير

فما روضة بالحزن طيبة الثرى　　يمج الندى جثجاثها وعرارها
بمنخرق من بطن واد كأنما　　تلاقت به عطارة وتجارها
بأطيب من أردان عزة موهنا　　وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

وحكى الزبيريون ان امرأة مدينية عرضت لكثير فقالت أأنت القائل هذين البيتين قال نعم قالت فض الله فاك أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم تر انى كلما جئت طارقا　　وجدت بها طيبا وان لم تطيب

قوله جثجاثها وعرارها الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل .
قال جرير يهجو خالد عينين العبدى

كم عمة لك يا خليد وخالة　　خضر نواجذها من الكراث
نبتت بمنبته فطاب لريحها　　ونأت عن القيصوم والجثجاث

وانما هجاه بالكراث لأن عبد القيس يسكنون البحرين والكراث من أطعمتهم والعامة يسمونه الركل والركال قال أحد العبديين

ألا حبذا الاحسا وطيب ترابها　　وركالها غاد علينا ورائح

وقول كثير وعرارها فالعرار البهار البرى وهو حسن الصفرة طيب الريح قال الأعشى .

بيضاء ضحوتها وصفـ　　ـراء العشية كالعراره

وقوله موهنا يريد بعد هدء يقال أتانا بعد هدء من الليل وبعد وهن أى بعد دخولنا فى الليل أنشد أبو زيد

هبت تلومك بعد وهن فى الندى　　بسل عليك ملامتى وعتابى

والمندل العود يقال له المندل والمندلى قال الشاعر

أمن زينب ذى النار　　قبيل الصبح ما تخبو
اذا ما خمدت يلقى　　عليها المندل الرطب

قال أبو العباس ذى معناه ذه يقال ذا عبد الله وذى أمة الله وذه أمة الله وته أمة الله وتا أمة الله فاذا قلت هذا عبد الله فالاسم ذا وها للتنبيه وعلى هذا تقول هذى أمة الله وان شئت أسكنت فى الوصل فقلت هذه أمة الله واذا قلت هذهى أمة الله فالياء زائدة لان هذه الهاء لما كانت فى لفظ المضمر شبهوها به فى زيادة الياء نحو مررت بهى يافتى ولا يجوز أن تضم الهاء فى هـذه على قول من قال مررت بهو لان هاء الضمير أصلها الضم تقول رأيتهو يافتى ورأيتهم يافتى وهذه الهاء ليست من هذه انما هى مشبهة وتقول هاته هند وهاتى هند وهاتا هند على زيادة ها للتنبيه قال جرير

هذي التى جدعت تيما معاطسها   ثم اقعدى بعدها ياتيم أو قومى

وقال عمران بن حطان

وليس لعيشنا هذا مهاهٌ   وليست دارنا هاتا بدار

قال أبو العباس النحويون يثبتون الهاء فى الوصل فيقولون مهاهُ وتقديره فعال ومعناه اللمع والبهاء يقال وجه له مهاه يافتى والاصمعى يقول مهاة تقديرها حصاة يجعل الهاء زائدة وتقديرها فى قوله فعلة والمهاة البلورة والمهاة البقرة الوحشية وجمعها المها (١) فاذا صغرت ذه قلت تيّا كأنك صغرت تا ولا تصغر ذه على لفظها لأنك اذا صغرت ذا قلت ذيًّا فلو صغرت ذى فقلت ذيا لالتبس المؤنث بالمذكر فصغروا ما يخالف فيه المؤنث المذكر وهذه المبهمة يخالف تصغيرها تصغير سائر الاسماء

٦ وقال أوس بن حجر (٢)

كأن ريقتها بعد الكرى اغتُبقت   من ماء أدكن فى الحانوت نضاح
أو من معتقة ورهاء نشوتها   أو من أنابيب رمان وتفاح

قال ابن عبدل يهجو رجلا بالبخر

---

(١) حكى يعقوب بن السكيت مهاة من اسماء الشمس وأنشد

ثم يجلو الظلام رب رحيم   بمهاة ضياؤها منشور

(٢) قال أبو الحسن أهل الكوفة يروونها لعبيد بن الابرص .

نكهت على نكهة أخدرى   شتيم شابك الانياب ورد

وفى هذا الشعر

فما يدنو الى فيه ذباب   ولو طليت مشافره بقند
يرين حلاوة ويخفن موتا   وشيكا ان هممن له بورد

الذباب الواحد من الذبان وأدنى العدد فيه أذبة والكثير الذبان ولكنه ذكر واحدا ثم خبر عن سائر الجنس. والاسد أنتن السباع فما كما أن الصقر أنتن الطير فما قال بعض المحدثين فى رجل يهجوه والمهجو داود بن بكر وكان ولى الأهواز وفارس والشعر لأبى الشمقمق

وله لحية تيس * وله منقار نسر * وله نكهة ليث * خالطت نكهة صقر

وقال عبدالرحمن بن أبى عبد الرحمن بن عائشة

من يكن ابطه كآباط ذا الخلـ   ـق فابطاى فى عداد الفقاح
لى ابطان يرميان جليسى   بشبيه السلاح أو بالسلاح
فكانى من نتن هذا وهذا   جالس بين مصعب وصباح

يعنى مصعب بن عبد الله الزبيرى وصباح بن خاقان المنقرى وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان فحدثت أن احمد بن هشام لقيهما يوما فقال أما سمعتما ما قال فيكما هذا يعنى اسحاق بن الموصلى فقالا ما قال فينا الاخيرا قال قال

لام فيها مصعب وصباح   فعصينا مصعبا وصباحا
وأبينا غير سعى اليها   فاسترحنا منهما واستراحا

قالا ماقال الا خيرا والمكروه ماقال فيك اذ يقول

وصافية تعشى العيون رقيقة   رهينة عام فى الدنان وعام
أدرنا بها الكأس الروية موهنا   من الليل حتى انجاب كل ظلام
فما ذر قرن الشمس حتى كأننا   من العى نحكى احمد بن هشام

سابعاً فى الابل والخيل والحمر الوحشية

ومن التشبيه المطرد على ألسنة العرب ماذكروا فى سير الناقة وحركة قوائمها.

١ قال الراجز

كأنها ليلة غب الازرق وقد مددنا باعها للسوق خرقاء بين السلمين ترتقى

قوله ليلة غب الازرق انما يعنى موضعا وأحسبه ماء لانهم يقولون نطفة زرقاء وهى الصافية قال زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم

وقال آخر

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت بأرجاء عذب الماء زرق محافره

وقوله وقد مددنا باعها للسوق يقول استفرغنا ما عندها من السير يقال تبوعت وانباعت اذا مدت باعها وقوله خرقاء بين السلمين ترتقى يقول لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذقها بالصعود .

٢ وقال الآخر .

كأنها نائحة تفجع تبكى لشجو وسواها الموجع

٣ وقال الشماخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة بعيد السباب حاولت أن تعذرا

من البيض أعطافا اذا اتصلت دعت فراس بن غنم أو لقيط بن يعمرا

بها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

تقول وقد بل الدموع خمارها أبى عفتى ومنصبى أن أعيرا

كأن بذفراها مناديل فارقت أكف رجال يعصرون الصنوبرا

كأن ابن آوى موثق تحت غرضها اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

شبه يديها بيدى مدلة بجمال ومنصب قدسابت وأقبلت تعتذر وتشير بيديها فوصف جمالها الذى به تدل ومنصبها المتصل بمن ذكرته وقوله أطارت من الحسن الرداء المحبرا . يقول هي مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيئاً عن الناظر لانها تبتهج بكل ما فى وجهها ورأسها وقد كشف هذا المعنى عمر بن أبى ربيعة المخزومى حيث يقول

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تباهلن بالعرفان لما عرفننى وقلن امرؤ باغ أكلّ فأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمقتّل يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا (١)

قوله . كأن بذفراها مناديل فارقت أكف رجال يعصرون الصنوبرا . يقول لسواد الذفرى وهذا من كرمها . قال أوس بن حجر

كأن كحَيْلا معقدا أو عَنيّة على رجع ذفراها من الليت واكف (٢)

وهذا معنى يسأل عنه لان الليتين صفحتا العنق والذفرى فى أعلى القفا فكيف يكف على الذفرى من الليت والمعنى انما هو كأن كحيلا معقدا أو عنية واكف على رجع ذفراها وقوله من الليت كقولك كموضع دجلة من بغداد انما هو للحد بينهما لا أنه وكف من شىء على شىء وأما قوله

كأن ابن آوى موثق تحت غَرضها اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

يقول ليست تستقر فكأن ابن آوى يكلمها بنابيه أو يخلبها بظفره فهى لا تستقر . وقال اوس بن حجر

كأن هرا جنيبا تحت غُرضتها والتف ديك بحقويها وخنزير

والغرض والغرضة واحد وهو حزام الرحل

٤ وقال آخر

كأن ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت خلائل عن عفر
سمعن لها واستفرغت فى حديثها فلا شىء يفرى باليدين كما تفرى (٣)

ولو قيل ان هذا من أبلغ ما قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بعيدا وصفها بانها بذية وقد فجعت بما أسمعت و نيل منها ولقيت خلائلها بعد زمان و تلك الشكوى كامنة فيها و أصغين اليها يتسمعن والفرى الشق يقال فرى أوداجه أى قطع وفريت لأديم واذا قلت أفريت فمعناه أصلحت وقول الحجاج انى واللّٰه ما أهم الا مضيت ولا أخلق الا فريت يقول اذا قدّرت قطعت يقال فريت القربة والمزادة فهما

(١) فقلت لمطريهن ويحك انما ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا
(٢) الكحيل القطران والعنيّة ضرب منه (٣) قال أبو العباس أنشدنيهما عبد الصمد بن المعذل وأنشدنيهما سعيد بن سلم

مفريتان قال ذو الرمة . كأنه من كلى مفرية سرب

٥ وقال امرؤ القيس

كأن الحصى من خلفها وأمامها   اذا نجلته رجلها خذف أعسرا
كأن صليل المرو حين تشذه   صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

قوله خذف أعسرا يريد أنه يذهب على غير قصد وقوله صليل زيوف يقال ان الزيف شديد الصوت صافيه

٦ وقال آخر .

كأن يديها يدا ماتح   أتى يوم ورد لغب زرودا
يخاف العقاب وفى نفسه   اذا هو أنهل الا يعودا

يقول هذا الساق يخاف العقاب ان قصر ولا عودة له اليه ثانية فهى تسقى سقية فى مرة واحدة

٧ وقد اكثروا فى هذا من الافراط فى السرعة قول ذى الرمة

كأنه كوكب فى اثر عفرية   مسوم فى سواد الليل منقضب

يقال عفريت وعفرية فى معنى واحد والتاء فى عفريت زائدة وهو ملحق بقنديل ويقال فلان (١) عفرية نفرية على التوكيد (٢)

٨ ومن الافراط قول الحطيئة

وان نظرت يوما بمؤخر عينها   الى علم بالغور قالت له ابعد

ومن الافراط قوله

بارض ترى فرخ الحبارى كأنه   بها راكب موف على ظهر قردد

ومن ذلك قوله .

وكادت على الاطواء أطواء ضارج   تساقطنى والرحل من صوت هدهد

٩ وقال آخر .

مروح برجليها اذا هى هجرت   ويمنعها من أن تطير زمامها

---

(١) عفرية زبنية والزبنية المنكر وجمعه زبانية وأصله من الحركة يقال زبنه اذا دفعه ويقال (٢) وعفريت نفريت ويقال عُفارية ولم يتبع بنفارية

١٠ وقال الشماخ .

مروح تغتلى فى البيد حرف　　تكاد تطير من رأى القطيع

وكذلك الاعرابى الذى يقول . لو ترسل الريح لجئنا قبلها . وقد ذكرنا خبره

١١ وأملح ما قيل فى هذا المعنى وأجوده قول امرئ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها　　بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فجعله للوحش كالقيد. وحدثت أن رجلا نظر الى ظبية ترود فقال له اعرابى أتحب أن تكون لك قال نعم قال فأعطنى اربعة دراهم حتى أردها اليك ففعل فخرج يفحص فى أثرها فجدت وجد حتى أخذ بقرنيها فجاء بها وهو يقول وهى على البعد تلوى خدها * تريغ شدى وأريغ شدها * كيف ترى عدو غلام ردها

١٢ وقال الشماخ فى صفة الفرس

مفج الحوامى عن نسور كأنها　　نوى القسب ترت عن جريم ملجلج

قوله مفج الحوامى يريد مفرق الحوامى فالحوامى نواحى الحافر والنسور واحدها نسر وهى نكتة فى داخل الحافر ويحمد الفرس اذا صلب ذلك منه ولذلك شبه بنوى القسب وترت سقطت والجريم المصروم والملجلج الذى قد لجلج مضغاً فى الفم ثم قذف لصلابته وقوله مفج ليس يريد الذى هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن النسر فانه ان اتسع واستوى أسفله فذلك الرحح وهو مذموم فى الخيل وكذلك ان ضاق وصغر قيل له مصطر وكان عيباً قبيحاً قال حميد الارقط

لا رحح فيها ولا اصطرار　　ولم يقلم أرضها البيطار (١)

ويروى ولم يقلب وتأويل ذلك أن حوافرها لا تتشعث فيقلمها البيطار لانها اذا كانت كذلك ذهب منها شئ بعد شئ فحفها وقال علقمة بن عبدة

لا فى شظاها ولا أرساغها عنت　　ولا السنابك أفناهن تقليم

وانما يحمد الحافر المقعب وهو الذى هيئته كهيئة القعب وان كان كذلك قيل حافر وأب قال ابن الخرع

لها حافر مثل قعب الوليـــد يتخذ الفأر فيه مغارا

---

(١) . ولا لحبليه بها حبار . الحبار الأثر

يريد لو دخل الفأر فيه لصلح كقول القائل فأتى بجفنة يقعد عليها عشرة أى لو قعد عليها عشرة لصلح وقال الراجز . وأب حمت نسوره الاوقارا (١) وفى كل حافر حاميتان وهما حرفاه عن يمين وشمال ومقدمه السنبك ومؤخره الدابرة . ومثل قوله عن جريم ملجلج . قول علقمة بن عبدة

سلاءة كعصا النهدى غل بها ذو فيئة من نوى قران معجوم

شبهها بالشوكة من شوك النخل لان الفرس الانثى يحمد منها أن يدق صدرها ثم ينخرط على امتلاء الى مؤخرها والحمام يحمد منهن أن يعرض الصدر ثم ينخرط الى ذنبه ضمورا فيقال فى صفته كأنه جلم . وقوله كعصا النهدى يريد فى الصلابة كما قال . وكل كميت كالهراوة صلدم . وقوله ذو فيئة من نوى قران يقول ذو رجعة يقول مضغته الأبل فلم تكسره ثم بعرته صحاحا ومعجم ممضوغ يقال عجمته أعجمه اذا مضغته فالعجم المضغ ويقال للنوى من كل شيء العجم متحرك العين قال الأعشى . وجذعانها كلقيط العجم . وقال النابغة

وظل يعجم أعلى الروق منقبضا فى حالك اللون صدق غير ذى اود

ومثل البيت الاول قول عقبة بن سابق العنبرى

له بين حواميه نسور كنوى القسب

فهذا تشبيه مقارب جدا .

١٣ ومن التشبيه الحسن قول جرير فى صفة الخيل .

يشتفن للنظر البعيد كأنما ارنانها ببوائن الاشطان

قوله يشتفن ويتشوفن فى معنى واحد وقوله كأنما ارنانها ببوائن الاشطان أراد شدة صهيلها يقول كأنما يصهلن فى آبار واسعة تبين أشطانها عن نواحيها ونظير ذلك قول النابغة الجعدى

ويصهل فى مثل جوف الطوى صهيلا يبين للمعرب

المعرب العالم بالخيل العراب

١٤ ومن حسن التشبيه قول عنترة

---

(١) يقال حافر موقور وهو أن يصيبه داء يشبه الرهصة

غادرن نضلة فى معرك يجر الاسنة كالمحتطب

يقول طعن وغودرت الرماح فيه فظل يجرها كأنه حامل حطب

١٥ وأنشدتنى أم الهيثم فى صفة جمل .

كأن صوت نابه بنابه صرير خطاف على كلابه

أرادت الصريف وهو أن يحك أحد نابيه بالآخر وقوله صرير خطاف على كلابه فالخطاف ماتدور عليه البكرة والكلاب ماوليه وقد قال النابغة :

مقذوفة بدخيس النحض بازلها له صريف صريف القعو بالمسد

القعو ما تدور عليه البكرة اذا كان من خشب فان كان من حديد فهو خطاف وان دارت على حبل فذاك الحبل يسمى الدرك وقوله مقذوفة يقول مرمية باللحم والدخيس الذى قد ركب بعضه بعضا والنحض اللحم وبازلها نابها ومعنى بزل وفطر واحد وهو أن ينشق الناب قال ذو الرمة .

كأن على أنيابها كل سدفة صياح البوازى من صريف اللوائك

يقول مما تلوكه ويقال فى الغضب تركت فلانا يصرف نابه عليك ويحرُق ورأيته يعض عليك الأرَّم قال زهير فى مدحه حصن بن حذيفة (١)

أبى الضيم والنعمان يحرُق نابه عليه فأفضى والسيوف معاقله

وقال آخر :

نبئت أحماء سليمى أنما ظلوا غضابا يعلكون الأرُّما

قال بعض النحويين يعنى الشفاه وقال بعضهم يعنى الاصابع فأما قولهم عض على ناجذه وهو آخر الاسنان فيكون على وجهين أحدهما أنه قال قد احتنك وبلغ والآخر أن يكون للاطراق والتشدد وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول اذا لقيتم القوم فاجمعوا القلوب وعضوا على النواجذ فان ذلك ينبى السيوف عن الهام .

١٦ وقال العجاج يصف حمارا

كأن فى فيه اذا ما سحجا عودا دوين اللهوات مولجا

---

(١) ابن بدر الفزارى

وهذا يوصف به العير الوحشى اذا أسن تراه لا يشتد نهيقه وكأنه يعالجه علاجاً
قال الشماخ

اذا رجّع التعشير عجى كأنه　　بناجذه من خلف قارحه شجى

١٧ فأما قول عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما　　بركت على قصب أجش مهضم

فانما يصف الناقة ويذكر حنينها يقال انه يخرج منها كأشجى صوت فانما شبهه بالزمير وأراد القصب الذى يزمر به قال الاصمعى هو الذى يقال له بالفارسية ناى قال الراعى يصف الحادى

زجل الحُداء كأن فى حيزومه　　قصبا ومقنعة الحنين عجولا

المقنع الرافع رأسه فى هذا الموضع ويقال فى غيره الذى يحط رأسه استخذاء وندما قال الله جل وعز مقنعى رؤسهم ومن قال هو الرافع رأسه فتأويله عندنا انه يتطاول فينظر ثم يطأطىء رأسه فهو بعد يرجع الى الاغضاء والانكسار . والبعير يحن كأشد الحنين الى الآلفه اذا أخذ من القطيع قال واكثر ما يحن عند العطش قال الشاعر (١)

لا تصبر الابل الجلاد تفرقت　　بين الجميع ويصبر الانسان

وقال آخر

وهل ريبة فى ان تحن نجيبة　　الى الفها أو أن يحن نجيب

واذا رجعت الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون كما يهتاجون لنوح الحمام ولا لتياح البروق . قال عوف بن محلم وسمع نوح حمامة

ألا يا حمام الأيك الفك حاضر　　وغصنك ميال ففيم تنوح

أفق لا تنح من غير شىء فاننى　　بكيت زمانا والفؤاد صحيح

ولوعاً فشطت غربة دار زينب　　فها أنا أبكى والفؤاد قريح

وكل مطوقة عند العرب حمامة كالدبسى والقمرى والورشان وما أشبه ذلك

---

(١)　وتفرقوا بين الجميع لنية　　لابد ان يتفرق الجيران

وقال ابن الرقاع وذكر حمامة (١)

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وقال حميد بن ثور

وما هاج هذا الشوق الا حمامة دعت ساق حر ترحة وترنما
اذا شئت غنتنى بأجزاع بيشة أو النخل من تثليث أو بيلملما
مطوقة خطباء تسجع كلما دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما
محلاة طوق لم تكن من تميمة ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع لنائحة فى شجوها متلوما
اذا حركته الريح أو مال ميلة تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها انى يكون غناؤها فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها ولا عربياً شاقه صوت أعجما

أما قول حميد دعت ساق حر فانما حكى صوتها ويقال للواحد ذكرا كان أو أنثى حمامة والجمع الحمام والحمامات فاذا كان ذكرا قلت هذا حمامة واذا كان انثى قلت هذه حمامة وكذلك هذا بطة وهذه بطة ويقال بقرة للذكر والانثى ودجاجة لهما فاذا قلت ثور أو ديك بينت الذكر واستغنيت عن تقديم التذكير .

ويقال للحمامة تغنت وناحت وذلك انه صوت حسن غير مفهوم فيشبه مرة بهذا ومرة بهذا . قال قيس بن معاذ

ولو لم يشقنى الظاعنون لشاقنى حمائم ورق فى الديار وقوع
تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى نوائح ما تجرى لهن دموع

وقوله وانجال الربيع يقال انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجم عنا وان قلت أنجم فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم وان قلت انجاب فمعناه انشق يقال المجوب للحديدة التى يثقب بها العسيب ويقال جبت البلاد أى دخلتها وطوفتها وفى

---

(١) ومما شجانى اننى كنت نائما أعلل من برد الكرى بالتنسم
الى ان بكت ورقاء فى غصن ايكة تردد مبكاها بحسن الترنم

القرآن وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أى شقوه وقوله لم يكن من تميمة التميمة المعاذة وقوله ولم تفغر بمنطقها فما يقول لم تفتح يقال فغرفاه اذ فتحه (١) وقوله ولا عربياً شاقه صوت أعجماء يقول لم أفهم ما قالت ولكنى استحسنت صوتها واستحزنته فحننت له . وروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدرى ما تقول فيبكيه ذلك ويرققه ويذكر به غير ماقصدت له . وحدثت أن بعض المحدثين سمع غناء بخراسان بالفارسية فلم يدر ماهو غير انه شوقه لشجاه وحسنه فقال فى ذلك

حمدتك ليلة شرفت وطابت ... أقام سهادها ومضى كراها
سمعت بها غناء كان أولى ... بان يقتاد نفسى من غناها
ومسمعة يحار السمع فيها ... ولا تصممه لايصمم صداها
مرت أوتارها فشفت وشاقت ... فلو يسطيع حاسدها فداها
ولم أفهم معانيها ولكن ... ورت كبدى فلم أجهل شجاها(٢)
فكنت كأننى أعمى معنى ... يحب الغانيات وما يراها

الغناء الأول الممدود من الصوت والذى ذكره بعد فى القافية من المال مقصور

قال أبو العباس والشئ يذكر بالشئ وان كان دونه فيجرى لاحتواء الباب والمعنى عليهما وفى شعر حميد هذا ماهو أحكم مما ذكرنا وأوعظ وأجرى أن يتمثل به الاشراف وتسود به الصحف وهو قوله

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما
ولا يلبث العصران يوم وليلة ... اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كفى بالسلامة داء

ثامناً — فى آلات القتال وغيره

---

(١) حكى ثعلب فغرفاه وفغر نفسه وكذلك شحا فاه وشحا نفسه (٢) وقال عبد بنى الحسحاس

وراهن ربى مثل ماقد ورينى ... وأحمى على اكبادهن المكاويا

١ ومن التشبيه الحسن قول الشاعر (١)

كأن المتن والشرخين منه   خلاف النصل سيط به مشيج

يريد سهما رمى به فأنفذ الرمية وقد اتصل به دمها والمتن متن السهم وشرخ كل شيء حده فأراد شرخى الفوق وهما حرفاه والمشيج اختلاط الدم بالنطفة هذا أصله قال الشماخ . طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين . وقال الله جل وعز من نطفة أمشاج نبتليه وفى الحديث اقتلوا مسان المشركين واستبقوا شرخهم أى الشباب لأن الشرخ الحد قال حسان

ان شرخ الشباب والشعر الأسـ   ـود مالم يعاص كان جنونا

وأنشدنا عمرو بن مرزوق قال أنشدنا شعبة قال أنشدنا سماك بن حرب فى هذا الحديث   ان شرخ الشباب تألفه البيـ   ـض وشيب القذال شيء زهيد

٢ وقال الراجز (٢)

كأنها حين تناهى الباس   جنية فى رأسها أمراس

بها سكون وبها شماس   يخرج منها الحجر الكباس

يمر لا يحبسه حباس   لا نافذ الطعن ولا تراس

يصف المنجنيق والأمراس الحبال الواحد مَرَسة والكُبّاس الضخم يقال هامة كبساء يافتى ورأس اكبس والحباس الذى من شأنه أن يحبس يقال رجل ضارب للذى يضرب كثيرا كان منه ذلك أو قليلا فاذا قلت ضراب وقتال فانما يكثر الفعل ولا يكون للقليل

٣ وقال الراجز

أخضر من معدن ذى قساس   كأنه فى الحَيْد ذى الأضراس

يرمى به فى البلد الدهاس

يصف معولا وذو قُساس معدن للحديد الجيد وهو يقرب من بلاد بنى أسد والحيد ما أشرف من الجبل أو غير ذلك يقال للطُنف حيد وهو الذى يسميه أهل الحضر الأفريز يقال طنّف حائطك ويقال للناتىء وسط الكتف حيد وغير

---

(١) هو الشماخ (٢) وهو أبو النجم .

وكذا الناتئ فى القدم وقوله ذى الأضراس يريد الموضع الضرس الخشن ذا الحجارة فيقول هذا المعول لحدته يقع فى الخشونة فيهدمها كما يهدم الدهاس والدهاس ما لان من الرمل قال دريد بن الصمة فى يوم حنين . أين مجتلد القوم فقالوا باوطاس فقال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا لين دهس

تاسعا — طرائف من تشبيه المحدثين وملاحاتهم وهى متنوعة ولكثيرين .

١ قال ابو العباس ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المحدثين وملاحاتهم فقد شرطناه فى أول الباب ان شاء الله . فمن أكثرهم تشبيها لاتساعه فى القول وكثرة تفننه واتساع مذاهبه الحسن بن هانىء .

٢ قال فى مديحه الفضل بن يحيي بن خالد بن برمك

وكنا اذا ما الحائن الجد غره ... سنا برق غاو أو ضجيج رعاد
تردى له الفضل بن يحيي بن خالد ... بماضى الظبى ازهاه طول نجاد
أمام خميس أرجوان كأنه ... قميص محوك من قنا وجياد
فما هو الا الدهر يأتى بصرفه ... على كل من يشقى به ويعادى

قوله الحائن الجد يقال حان الرجل اذا دنا موته ويقال رجل حائن والمصدر الحين والجد الحظ والجد والجدة مفتوحان فاذا أردت المصدر من جددت فى الأمر قلت أجد جدا مكسور الجيم ويقال جددت النخل أجُده جدا اذا صرمته ويقال جذذته جذا وتركت الشيء جذاذا اذا قطعته قطعا ويروى هذا البيت لجرير على وجهين

آل المهلب جد الله دابرهم ... أضحوا رمادا فلا أصل ولا طرف

ويروى جذ وقرأ بعض القراء عطاء غير مجدود فأما قوله فجعلهم جذاذا فلم يقرأ بغيره ويقال كم جذاذ نخلك أى كم تصرم منها ويروى فى قول الله جل وعز وأنه تعالى جد ربنا عن أنس بن مالك غنى ربنا وقرأ سعيد بن جبير جَدا ربنا ولو قرأ قارىء جدا ربنا على معنى جد ربنا لم يقرأ به لتغير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط وهذا الشعر ينشد بالكسر

أجدك لم تغتمض ليلة ... فترقدها مع رقادها

ومثله (١)

أجـدك لم تسمع وصاة محمـد رسول الا له حين أوصى وأشهدا

لأن معناه أجدا منك على التوقيف وتقديره فى النصب اتجد جدا ويقال امرأة جداء اذا كانت لا ثدى لها فكانه قطع منها لأن أصل الجد القطع ويقال بلدة جداء اذا لم تكن بها مياه قال الشاعر

وجداء ما يرجى بها ذو هوادة لعرف ولا يخشى السماة ربيبها (٢)

وينشد هذا البيت

أبى حبى سليمى أن يبيدا وأصبح حبلها خلقا جديدا

يقول أصبح خلقا مقطوعا لأن جديدا فى معنى مجدود أى مقطوع كما تقول قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال فى غير هذا المعنى رجل مجدود اذا كان ذا خطر أى حظ وفى الدعاء ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى من كان له حظ فى دنياه لم يدفع ذلك عنه ما يريد الله به ولو قال قائل ولا ينفع ذا الجد منك الجد يريد الاجتهاد لكان وجها . وقوله سنا برق غاو السـنا من الضياء مقصور قال الله جل وعز يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار والسناء من المجد ممدود قال الشاعر

وهم قوم كرام الحى طرا لهم خول اذا ذكر السناء

وضربه الحسن ها هنا مثلا وجمع الرعد فقال رعاد كقولك كلب وكلاب وكعب وكعاب وقوله بماضى الظبى ظبة كل شىء حده يقال وخزه بظبة السيف يراد بذلك حد طرفه وقوله ازهاه طول نجاد النجاد حمائل السيف وأزهاه رفعه وأعلاه والرجل يمدح بالطول فلذلك يذكر طول حمائله قال مروان بن أبى حفصة يمدح المهدى

قصرت حمائله عليه فقلصت ولقد تأنق قينها فأطالها

وقال الحسن بن هانىء يمدح محمد الامين

---

(١) قول الاعشى (٢) القرابة والهوادة فى المعنى واحد قال أبو الحسن والسماة الصادة نصف النهار وروى عن بعض أصحابنا عن المازنى قال انما سمى ساميا بالسماة وهو خف يلبسه لئلا يسمع الوحش وطأه وهو عندى من سما للصيد

سبط البنان اذا احتبى بنجاده   غمر الجماجم والسماط قيام

وقال جرير للفرزدق

تعالوا ففاتونا ففى الحكم مقنع   الى الغر من أهل البطاح الأكارم
فأنى لأرضى عبد شمس وما قضت   وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال الآخر

لما التقى الصفان واختلف القنا   نهالا وأسباب المنايا نهالها
تبين لى أن القماءة ذلة   وأن أشداء الرجال طوالها

وقوله أمام خميس الخميس ها هنا الجيش وكذلك قال ربيئة أهل خيبر لما أطل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . محمد والخميس أى والجيش وقال الشاعر وهو طرفة

وأى خميس لا أفأنا نهابه   وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

أفأنا رددنا يقال أفاء ويفىء اذا رد والأرجوان الأحمر قال الشاعر

عشية غادرت خيلى حميدا   كأن عليه حلة أرجوان

والجياد الخيل وفى القرآن اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد .
ومن تشبيهه الجيد فى هذا الشعر الذى ذكرنا قوله

ترى الناس أفواجا الى باب داره   كأنهم رجلا دبى وجراد
فيوم لالحاق الفقير بذى الغنى   ويوم رقاب بوكرت لحصاد

٣ وقال الحسن بن هانىء

ماحطك الواشون من رتبة   عندى ولا ضرك ما اغتابوا
كأنهم اثنوا ولم يعلموا   عليك عندى بالذى عابوا

وهذا المعنى عندى مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لحجل بن نضلة وف
ذكر معاوية بن شكل فقال أبيت اللعن انه لقعو الاليتين مقبل النعلين خج الفخذ
مشاء بأقراء تباع اماء قتال ظباء فقال النعمان ان أردت أن تذيمه فمدحته . قوله مق
النعلين يقول لنعله قبال ينسبه الى الترفه وتباع اماء وقتال ظباء من ذلك والقع
ما تدور فيه البكرة اذا كان من خشب وقوله تذيمه معناه تذمه يقال ذمه يذمه

وذامه يذيمه ذيما وذأمه يذأمه ذأما والمعنى واحد قال الله تبارك وتعالى. اخرج منها مذءوما مدحورا . وقال الحارث بن خالد المخزومى لعبد الملك .

صحبتك اذ عينى عليها غشاوة　　فلما انجلت قطعت نفسى أذيمها

وقوله فمدهته يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم كذلك تقول ولحم ومن قاربها . قال رؤبة

لله در الغانيات المدّه　　سبحن واسترجعن من تألهى

يريد المدّح وفى هذه الأرجوزة . براق اصلاد الجبين الأجله . يريد الأجلح والعرب تقول جلح الرجل يجلح جلحا وجلِه يجله جلها وجلى يجلى جلا والمعنى واحد قال العجاج . مع الجلا ولائح القتير .

ومثل بيت الحسن وكلام النعمان قول عمرو بن معديكرب .

كأن محرشا فى بيت سعدى　　يُعل بعيبها عندى شفيع

وفى قصيدة الحسن هذه

ان جئتُ لم تأت وان لم أجئ　　جئتَ فهذا منك لى داب
كأنما أنت وان كنت لا　　تكذب فى الميعاد كذاب

وهذا كلام طريف .

٤ وقال الحسن بن هانئ فى صفة السفينة

بنيت على قدر ولاءم بينها　　طبقان من قير ومن ألواح
فكأنها والماء ينطح صدرها　　والخيزرانة فى يد الملاح
جون من العقبان يبتدر الدجى　　يهوى بصوت واصطفاق جناح

٥ وقال فى شعر آخر يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقتها وضياءها واشراقها

اذا عب فيها شارب القوم خلته　　يقبل فى داج من الليل كوكبا

فأما قوله

بنينا على كسرى سماء مدامة　　جوانبها محفوفة بنجوم
فلو رد فى كسرى بن ساسان روحه　　اذا لاصطفانى دون كل نديم

فانما كانت صورة كسرى فى الأناء وقوله جوانبها محفوفة بنجوم فانما يريد

ماتطوق به من الزبد

وقد قال فى أخرى (١)

أقمنا بها يوماً ويوماً وليلة ... ويوماً له يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح فى عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفى إجنباتها ... مها تدّريها بالقسى الفوارس

فللخمر ماذرت عليه جيوبها ... وللماء مادرات عليه القلانس

العسجدية منسوبة الى العسجد وهو الذهب قال المثقب العبدى

قالت ألا لا تشترى ذاكم ... الا بما شئنا ولم يوجد

الا ببدرى ذهب خالص ... كل صباح آخر المسند

من مال من يجبى ويجبى له ... سبعون قنطارا من العسجد

وقوله تدريها أى تختلها يقال دريت الصيد اذا ختلته قال الأخطل

وان كنت قد اقصدتنى اذ رميتنى ... بسهمك والرامى يصيد ومايدرى

ومن التشبيه الجيد قوله (٢)

فكأنى بما أزين منها ... قعدىّ يزين التحكيما

وكان سبب هذا الشعر أن الخليفة تشدد عليه فى شرب الخمر وحبسه من أجل ذلك حبسا طويلا فقال

أيها الرائحان باللوم لوما ... لا أذوق المدام الا شميما

نالنى بالملام فيها امام ... لا أرى لى خلافه مستقيما

فاصرفاها الى سواى فانى ... لست الا على الحديث نديما

---

(١) أول الشعر من غير الأم

ودار ندامى خلفوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى ... واضغاث ريحان جنىّ ويابس

حبست بها صحبى فألفت شملهم ... وانى على أمثال تلك لحابس

(٢) أى ابى نواس الحسن بن هانى ٔ

كبر حظى منها اذا هى دارت   أن أراها وان أشم النسيما
فكأنى بما أزين منها   قعدى يزين التحكيما
لم يطق حمله السلاح الى الحر   ب فأوصى المطيق ألا يقيما

فهذا المعنى لم يسبقه اليه أحد .

وقال الحسن بن هانئ فى صفة الخمر ايضا .

فاذا ما لمستها فهباء   تمنع اللمس ماتبيح العيونا
درس الدهر ماتجسم منها   وتبقى لبابها المكنونا
فهى بكر كأنها كل شئ   يتمنى مخير أن يكونا
فى كؤوس كأنهن نجوم   جاريات بروجها أيدينا
طالعات مع السقاة علينا   فاذا ماغربن يغربن فينا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على سخف كلام المحدثين .

٦ ويروى أن جريرا دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملى عنده ينشده القصيدة التى يقول فيها

غلب المساميح الوليد سماحة   وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد فى صفة الظبية

. تزجى أغن كأن ابرة روقه . قال فقلت فى نفسى والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال . قلم أصاب من الدواة مدادها . قال فما قدرت حسدا له أن أقيم حتى انصرفت

٧ ومن تشبيهه الحسن الذى نستطرفه قوله

تعاطيكها كف كأن بنانها   اذا اعترضتها العين صف مدارى

٨ ومن التشبيه المليح قوله

وكأن سعدى اذ تودعنا   وقد اشرأب الدمع ان يكفا (١)
رشأ تواصين القيان به   حتى عقدن باذنه شنفا

وفى هذا الشعر من التشبيه

(١) اشرأب لأن يكلمنى اذا تهيأ لكلامك واشرأب الدمع اذا تهيأ للوكف

خبر فؤادك أو ستخبره　　قسما لتنتهين أو حلفا

الحب ظهر أنت راكبه　　فاذا صرفت عنانه انصرفا

٩　ومن التشبيه الجيد قوله

اليك رمت بالقوم خوص كأنما　　جماجمها فوق الحجاج قبور

وله أيضا

سأرحل من قود المهارى شملة　　مسخرة ما تستحث بحادى

مع الريح ما راحت فان هى أعصفت　　نهوز برأس كالعلاة وهادى

العلاة السندان قال جرير

ايفخر بالمحمم قين ليلى　　وبالكير المرقع والعلاة

١٠　وحدثت ان العمانى الراجز أنشد الرشيد فى صفة فرس

كأن أذنيه اذا تشوفا　　قادمة أو قلما محرفا

فعلم القوم كلهم انه قد لحن ولم يهتد منهم أحد لاصلاح البيت الا الرشيد فانه قال له قل . تخال أذنيه اذا تشوفا . والراجز وان كان قد لحن فقد أحسن التشبيه

١١　ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار (١)

وكأن تحت لسانها　　هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ما جمعت عليه بنانها ذهبا وعطرا

وهذا التشبيه الجامع . ونظيره فى جمع شيئين لمعنيين قول مسلم بن الوليد الانصارى فى مدحه يزيد بن مزيد

تمضى المنايا كما تمضى أسنته　　كأن فى سرجه بدرا وضرغاما

١٢　ومن حسن التشبيه من قول المحدثين قول عباس بن الاحنف

أحرم منكم بما أقول وقد　　نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأنى ذبالة نصبت　　تضىء للناس وهى تحترق

فهذا حسن فى هذا جدا

١٣　ومن حسن ما قالوا فى التشبيه قول اسماعيل بن القاسم أبى العتاهية للرشيد

(١) تقدم لبشار تشبيه فى اضطراب القلب وحركته ـ السباعى

أمين الله امنك خير أمن　　عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكل فضل　　وانت به تسوس كما تساس
كأن الخلق ركب فيه روح　　له جسد وانت عليه راس

وقد أخذ هذا المعنى ابن جبلة فقال فى مدحه حميد بن عبد الحميد وزاد فى الشرح والترتيب فقال

يرتق ما يفتق اعداؤه　　وليس يأسو فتقه آسى
فالناس جسم وامام الهدى　　رأس وانت العين فى الراس

١٤ وقال الحنفى وهو اسحق بن خلف فى صفة السيف

ألقى بجانب خصره　　أمضى من الاجل المتاح
فكأنما ذر الهبا　　ء عليه أنفاس الرياح

وقد تقدم قول مسلم بن الوليد. تمضى المنايا كما تمضى اسنته.

١٥ وقال دعبل بن على فى صفة مصلوب

لم أر صفا مثل صف الزط　　تسعين منهم صلبوا فى خط
من كل عال جذعه بالشط　　كأنه فى جذعه المشتط
أخو نعاس جد فى التمطى　　قد خامر النوم ولم يغط (١)

١٦ وقال اعرابى (٢) فى صفة مصلوب

كأنه عاشق قد مد صفحته　　يوم الفراق الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته　　مواصل لتمطيه من الكسل (٣)

---

(١) وقال آخر فى صفة مصلوب وهو يزيد المهلبى

. قام ولما يستعن بساقه * الف مثواه على فراقه * كأنما يضحك فى أشداقه .

أراد بياض الشريط فيه (٢) وهو الأخطل قال أبو الحسن الأخطل الذى يعنى رجل محدث من أهل البصرة ويعرف بالأخيطل ويلقب ببرقوقى وذكر أبو الحسن ان أبا العباس كان يدلس به (٣) وقال مسلم بن الوليد

وضعته حيث ترتاب الرياح به　　ويحسد الطير فيه أضبع البلد

١٧ وقال حبيب بن اوس (١)

قد قلصت شفتاه من حفيظته   فخيل من شدة التعبيس مبتسما

١٨ وقال فى رجل ينسبه الى الدعوة (٢)

وتنقل من معشر فى معشر   فكأن أمك أو أباك الزئبق

يقال زئبق وزئبر مهموزان ودرهم مزأبق وثوب مزأبر

١٩ ومن مليح التشبيه قول عبد الصمد بن المعذل فى صفة العقرب

تبرز كالقرنين حين تطلعه   ترحله مرا ومرا ترجعه
فى مثل صدر السبت خلق تفظمه   أعصل خطار تلوح شنعه
أسود كالسبجة فيه مبضعه   لا تصنع الرقطاء مالا يصنعه

وفى هذه الارجوزة أيضاً

بات بها حين حبيش يتبعه   وبات جذلان وثيرا مضجعه
ذا سنة آمن ما يروعه   حتى دنت منه لحتف تزمعه
فاظلت تجم سمها وتجمعه   يا بؤس للمودعه ما يودعه
فشرعت أم الحمام أصبعه   أنحت عليه كالشهاب تلذعه
عطك سربال حرير تخلعه   فكل خل ظاهر تفجعه
يزداد من بغت الحمام جزعه   واليأس من تيسيره توقعه

وكذلك قال يزيد بن ضبة او العرجم (٣)

ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة   وأفظع شىء حين يفجؤك البغت

٢٠ ومن حسن التشبيه ومليحه قول رجل يهجو رجلا برثاثة الحال

يأتيك فى مخرقة   أطول أعمار مثلها يوم
وطيلسان كالآل يلبسه   على قميص كأنه غيم

---

(١) قال أبو الحسن يعنى به اسحاق بن ابراهيم الطاهرى (٢) وهو اسحاق ابن ابراهيم الطاهرى ايضا (٣) قال ابو الحسن شك أبو العباس فى أنه لأحدهما أعنى هذا البيت .

عاشرا — خاتمة أبي العباس لما أتى به فى باب التشبيه (١)

قال ابو العباس والتشبيه كثير وهو باب كأنه لا آخر له وانما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هـذا الـكتابُ من شيء من المعانى ونختم ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين اوثلاثة من الشعر الجيد ثم نأخذ فى غير هذا الباب ان شاء الله.

١ قال طفيل

تقريبه المرطى والجون معتدل كأنه سُبد بالماء مغسول

السبد طائر بعينه وقد قالوا الخصفة التى توضع عند البئر وهو بالطائر أشبه وانما أراد العرق فى هذا الوقت وخير الخيل ما لم يسرع عرقه ولم يبطىء فاذا جاء فى وقته شمله

٢ وقال الراجز

كأنه والطرف منه سام مشتمل جاء من الحمام

٣ وقال الأعشى

يعادى النحوص ومسحلها وعفوهما قبـل أن يستحم

النحوص جماعها نحُص وهى التى لم تحمل فى عامها والمسحل العَير والعِفو الولد وجمعه عفاء فاعلم وهو أسعى له اذا لم يكن لعامه ويستحم يعرق

حادى عشر ـ فى الشراب وأثره (٢)

١ قال لقيط بن زرارة

شربت الخمر حتى خلت أنى أبو قابوس أو عبد المدان

أمشى فى بنى عُدس بن زيد رخى البال منطلق اللسان

وحدثنى أبو عثمان المازنى قال أسر رجل يوم الحسين بن على رضى الله عنه فأتى به يزيد بن معاوية فقال له أليس أبوك القائل

أرجل جمتى وأجر ذيلى وتحمل شكتى أفق كميت

---

(١) انما أتينا بالخاتمة وفى الباب بقية لتكون فاصلا بين ما أتى به أبو العباس من التشبيه والوصف فى الباب الذى عقده لذلك فى الـكتاب بعد ترتيبه وتهذيبه وبين ماضممناه اليه من سائره ـ السباعى ـ (٢) قد تقدم لأبى نواس فيه الشئ الحسن الـكثير مع تشبيه المحدثين ـ السباعى

أمشي في سراة بني غطيف   اذا ما سامني ضيم أبيت

قال بلى فأمر به فقتل قال أبو العباس ونمى الىّ أن معاوية ولى كثير بن شهاب المذحجى خراسان فاختان مالا كثيرا ثم هرب فاستتر عندهانىء بن عروة المرادى فبلغ ذلك معاوية فنذر دم هانئ فخرج هانئ فكان فى جوار معاوية ثم حضر مجلسه ومعاوية لا يعرفه فلما نهض الناس ثبت مكانه فسأله معاوية عن أمره فقال أنا هانئ بن عروة فقال ان هذا اليوم ليس بيوم يقول فيه أبوك ارجل جمتى «الشعر» فقال له هانئ انا اليوم أعز منى ذلك اليوم فقال له بم ذاك فقال بالاسلام يا أمير المؤمنين فقال له أين كثير بن شهاب قال عندى فى عسكرك يا أمير المؤمنين فقال له معاوية انظر ما اختانه نخذ منه بعضا وسوغه بعضا

٢ وقال اعرابى

ولقد شربت الراح حتى خلتنى   لما خرجت أجر فضل المئزر
قابوس أو عمرو بن هند ماثلا   يجبى له ما بين دارة قيصر

٣ وقال آخر .

شربنا من الداذى حتى كأننا   ملوك لهم بر العراقين والبحر
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا   تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

٤ وقال عبد الرحمن بن الحكم

وكاس ترى بين الاناء وبينها   قذى العين قد نازعت أم ابان
ترى شاربيها حين يعتورانها   يميلان أحيانا ويعتدلان
فاظن ذا الواشي باروع ماجد   وبدّاء خود حين يلتقيان

وقال آخر .

دعتنى أخاها أم عمرو ولم أكن   أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتنى أخاها بعد ما كان بيننا   من الأمر ما لا يفعل الاخوان

وقال آخر (١)

فبتنا فويق الحى لانحن منهم   ولا نحن بالاعداء مختلطان

---

(١) أنشده أبو على لأم ضيغم البلَوية

وبات يقينا ساقط الطل والندى　　من الليل بردا يمنة عطران
نعدى بذكر الله فى ذات بيننا　　اذا كان قلبانا بنا يردان (١)

قال أبو العباس نعدى أى نصرف الشر بذكر الله يقال فعد عما ترى أى فانصرف عنه الى غيره ويقال لا يعدونك هذا الحديث أى لا يتجاوزنك الى غيرك

٥ قال أبو العباس وقال رجل من قريش

من تقرع الكأس اللئيمة سنه　　فلا بد يوما أن يسيء ويجهلا
ولم أر مطلوبا أخس غنيمة　　وأوضع للأشراف منها وأخملا
وأجدر أن تلقى كريما يذمها　　ويشربها حتى يخر مجدلا
فوالله ما أدرى أخبل اصابهم　　أم العيش فيها لم يلاقوه أشكلا

٦ وقال آخر .

اذا صدمتنى الكأس أبدت محاسنى　　ولم يخش ندمانى أذاتى ولا بخلى
ولست بفحاش عليه وان أسا　　وما شكل من آذى نداماه من شكلى

٧ وقال آخر .

كل هنيئا وما شربت مريئا　　ثم قم صاغراً فغير كريم
لا أحب النديم يومض بالعيـ　　ـن اذا ما انتشى لعرس النديم

الايماض تفتح البرق ولمحه يقال أومضت المرأة اذا ابتسمت وانما ذلك تشبيه للمع ثناياها بتبسم البرق فأراد انه فتح عينه ثم غمضها بغمز

٨ وقال حسان بن ثابت

كأن سبيئة من بيت رأس　　يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الاشربات ذكرن يوما　　فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان ألمنا　　اذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا　　وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

المغث المماغثة باليد واللحاء الملاحاة باللسان يقول يعتذر المسيء بأن يقول كنت

---

(١) قال أبو الحسن وزادنى فيه غير أبى العباس

ونصدر عن ذى العفاف وربما　　نقعنا غليل النفس بالرشفان

سكران فيعذر وقوله كانّ سابيئة يقال سبأتها اذا اشتريتها سباء يعنى الخمر والسابئ الخمار وقوله من بيت رأس يعنى موضعا كما يقال حارث الجولان

ثانى عشر — فى كرم العرق وتأثيره فى الولد

١ قال أبو العباس أنشدنى التوزى لرجل من رجاز بنى تميم فى وقعة الجفرة

نحن ضربنا الأزد بالعراق والحى من ربيعة المراق

وابن سهيل قائد النفاق بلا معونات ولا أرزاق

الا بقايا كرم الاعراق لشدة الخشية والاشفاق

من المخازى والحديث الباق

الأعراق جمع عرق يقال فلان كريم العرق ولئيم العرق أى الاصل

٢ وقال آخر يصف ابنه .

أعرف منه قلة النعاس * وخفة فى رأسه من راسى * كيف ترين عنده مراسى يخاطب أم ابنه. فقوله أعرف منه قلة النعاس أى الذكاء والحركة وكان عبد الملك ابن مروان يقول لمؤدب ولده علمهم العوم وهذبهم بقلة النوم وكذا قال أبو كبير الهذلى.

فأتت به حوش الجنان مبطنا سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

وقال الآخر

فجاءت به حوش الفؤاد مسهدا وأفضل أولاد الرجال المسهد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان عينىّ تنامان ولا ينام قلبى . وقال عروة بن الورد العبسى وهو عروة الصعاليك

لحا الله صعلوكا اذا جن ليله مصافى المشاش آلفا كل مجزر (١)

ينام ثقيلا ثم يصبح قاعدا يحت الحصى عن جنبه المتعفر

يعين نساء الحى ما يستعنه فيضحى طليحا كالبعير المحسر

ولكن صعلوكا صفيحة وجهه كضوء سراج القابس المتنور

مطلا على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر

---

(١) يعد الغنى من نفسه كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر

وان بعدوا لا يأمنون اقترابه   تشوف أهل الغائب المتنظر
فذلك ان يلق المنية يلقها   حميدا وان يستغن يوما فأجدر (١)

قوله يحت الحصى عن جنبه المتعفر يريد المترب والعفر والعفَر اسمان للتراب من ذلك قولهم عفر الله خده ويقال للظبية عفراء اذا كانت يضرب بياضها الى حمرة وكذلك الكثيب الاعفر وقوله كالبعير المحسر هو المعيى يقال جمل حسير وناقة حسير قال الله عز وجل «ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير» وقوله وان بعدوا لا يأمنون اقترابه . على التقديم والتأخير أراد لا يأمنون اقترابه وان بعدوا وهذا حسن فى الاعراب اذا كان الفعل الاول فى المجازاة ماضياً كما قال زهير

وان أتاه خليل يوم مسألة   يقول لا غائب مالى ولا حرم

فان كان الفعل الاول مجزوما لم يجز رفع الثانى الا ضرورة فسيبويه يذهب الى انه على التقديم والتأخير وهو عندى على ارادة الفاء لعلة تلزمه فى مذهبه نذكرها فى باب المجازاة اذا جرى فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله

يا أقرع بن حابس يا أقرع   انك ان يصرع أخوك تصرع

أراد سيبويه انك تصرع ان يصرع أخوك وهو عندى على قوله ان يصرع أخوك فأنت تصرع يافتى ونستقصى هذا فى بابه ان شاء الله تعالى «رجع» وقوله كيف ترين عنده مراسى . يقول للمرأة عزتك على شبهه ويقال أنجب الاولاد ولد الفارك وذلك لأنها تبغض زوجها فيسبقها بمائه فيخرج الشبه اليه فيخرج الولد مذكرا وكان بعض الحكماء يقول اذا أردت أن تطلب ولد المرأة فأغضبها ثم قع عليها فانك تسبقها بالماء وكذلك ولد الفزعة كما قال أبو كبير الهذلى .

ممن حملن به وهن عواقد   حبك النطاق فشب غير مهبل (٢)

(١) يريح على الليل أضياف ماجد   كريم ومالى سارحا مال مقتر

قال أبو الحسن كذا أنشده فذلكَ لانه لم يرو أول الشعر والصواب كسر الكاف لانه يخاطب امرأة الا تراه قال

أقلى علىَّ اللوم يا ابنة مالك   ونامى وان لم تشتهى ذاك فاسهرى

(٢) المهبل الكثير اللحم ومهبل غير مدعو عليه بالهبل

حملت به فى ليـلة مزءودة   كرهاً وعقد نطاقها لم يحلل

مزءودة ذات زءود وهو الفزع فمن نصب مزءودة فانما أراد المرأة ومن خفض فانه أراد الليلة وجعل الليلة ذات فزع لانه يفزع فيها قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال جرير .

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى   ونمت وما ليل المطى بنائم

وقال آخر . فنام ليلى وتجلى همى .

قال أبو العباس وهذا الرجز ضد ما قال الآخر فى ولده فانه أقر بأن امرأته غلبته على شبهه وذلك قوله

والله ما أشبهنى عصام * لا خلق منه ولا قوام * نمت وعرق الخال لا ينام

يقول عزتنى أمه على الشبه فذهبت به الى أخواله . وقال آخر

لقـد بعثت صاحبا من العجم   بين ذوى الاحلام والبيض اللمم

كان أبوه غائبا حتى فطم

يقول لم يسق غيلا وقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم هممت أن أنهى أمتى عن الغيلة حتى علمت أن فارس والروم تفعل ذلك بأولادها فلا تضير أولادها والغيلة ان ترضع المرأة وهى حامل أو ترضع وهى تغشى ويزعم أهل الطب من العرب والعجم ان ذلك اللبن داء . وقالت أم تأبط شرا والله ما حملته تُضعا «ووُضعا أيضا» ولا وضعته يتنا ولا سقيته غيلا ولا أبتّه مئقا وقال الاصمعى ولا أبته على مأقة . قولها ما حملته تضعا يقال اذا حملت المرأة عنـد مقبل الحيض حملته وضعا وتضعا واذا خرجت رجلا المولود من قبل رأسه قيل وضعته يتنا قال الشاعر

فجاءت به يتنا يجر مشيمة   تسابق رجلاه هناك الأناملا

ويقال للرجل اذا قلب الشئ عن جهته جاء به يتنا قال عيسى بن عمر سألت ذا الرمة عن مسألة فقال لى أتعرف اليتن قلت نعم قال فسألتك هذه يتن قال وكنت قد قلبت الـكلام والغيل ما فسرناه وأما قولها ولا أبتـه مئقا تقول لم أبته مغيظا وذلك أن الخرقاء تبيت ولدها جائعا مغموما لحاجته الى الرضاع ثم تحركه فى مهده حتى يغلبه الدوار فينومه والـكيسة تشبعه وتغنيه فى مهده فيسرى ذلك الفرح

فى بدنه من الشبع كما سرى ذلك الغم والجوع فى بدن الآخر ومن أمثال العرب. أنا تئق وصاحبي مئق فكيف نتفق التئق المملوء غيظا وغضبا والمئق القليل الاحتمال فلا يقع الاتفاق .

ثالث عشر — فى اليقظة والخفة

١ قال رجل أنشدنيه التوزى عن أبى زيد الانصارى

وصاحب نبهته لينهضا ... اذا الكرى فى عينه تمضمضا
فقام عجلان وما تأرضا ... يمسح بالكفين وجها أبيضا

قوله وما تأرضا أى لم يلزم الارض .

٢ وأنشدنى التوزى عن أبى زيد الانصارى أيضا(١)

لقد علمت أم الصبيين اننى ... الى الضيف قوام السنات خروج
اذا المُرغث العوجاء بات يعزها ... على ضرعها ذو تومتين لهوج
وانى لأغلى للحم نيّاً واننى ... لمن يهين اللحم وهو نضيج

قوله قوام السنات يريد سريع الانتباه والسنة شدة النعاس وليس بالنوم بعينه قال الله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم وقال ابن الرقاع العاملى

لولا الحياء وأن رأسى قد عسا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها بين النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر عاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت ... فى عينه سنة وليس بنائم

معنى رنقت تهيأت يقال رنق النسر اذا مد جناحيه ليطير قال ذو الرمة (٢) . وقوله المرغث يعنى التى ترضع ترغث ولدها ويقال لها رغوث قال طرفة

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور

وقوله يعزها أى يغلبها قال الله عز وجل وعزنى فى الخطاب يقول غلبنى فى المخاطبة وأصله من قوله كان أعز منى فيها ومن أمثال العرب من عز بز وتأويله من غلب استلب وقال زهير . وعزته يداه وكاهله . يقول كان ذلك أعز ما فيه . ويقال

---

(١) قال أبو الحسن هو لشبيب بن البرصاء (٢) . اذا ضربته الريح رنق فوقنا . على حد قوسينا كما رنق النسر .

لهج الفصيل فهو لهوج اذا لزم الضرع ويقال رجل ملهج اذا لهجت فصاله فيتخذ خلالا فيشده على الضرع أو على أنف الفصيل فاذا جاء ليرضع أوجعها بالخلال فضرحته عنها برجلها قال الشماخ يصف الحمار .

رعى بارضَ الوسمي حتى كأنما ... يرى بسفا البُهمى أخلة ملهج

البارض أول ما يبدو من النبت والبُهمى يشبه السنبل يقول فهو لما اعتاد هذا المرعى اللدن استخشن البهمى وسفاها شوكها فيقول كأنه مخلول عن البهمى أى يراها كالاخلة وقوله ذو تومتين فالتومة فى الأصل الحبة(١) ولكنها فى هذا الموضع التى تعلق فى الأذن . وكالبيت الاخير قوله

وانى لأغلى لحمها وهي حية ... ويرخص عندى لحمها حين تذبح

بذا فاندبيني وامدحيني فانني ... فتى تعتريه هِزة حين يمدح

رابع عشر فى الصعلكة والعزلة

١ قال رجل أحسبه من لصوص بنى سعد (٢)

فأبى وتركى الأنس من بعد حبهم ... وصبرى عمن كنت ما ان ازايله

لكالصقر جلى بعدما صاد فتية ... قديرا ومشويا عبيطا خرادله

أهابوابه فازداد بعدا وصده ... عن القرب منهم ضوء برق ووابله

ألم ترنى صاحبت صفراء نبعة ... لها رَبَذى لم تفلل معابله

وطال احتضانى السيف حتى كأنما ... يلاط بكشحى جفنه وحمائله

أخو فلوات صاحب الجن وانتحى ... عن الانس حتى قد تقضت وسائله

له نسب الأنسى يعرف نجره ... وللجن منه شكله وشمائله

وقوله وصبرى عمن كنت ما ان ازايله . ان زائدة وهى تزاد مغيرة للاعراب وتزاد توكيدا وهذا موضع ذلك والموضع الذى تغير فيه الاعراب هو وقوعها بعد ما الحجازية تقول ما زيد أخاك وما هذا بشرا فاذا ادخلت ان هذه بطل

---

(١) قوله الحبة انما معناه من حبات النظم (٢) قال ابو الحسن هو عبيد ابن ايوب العنبرى وأنشد هذا الشعر ثعلب .

النصب بدخولها فقلت ما ان زيد منطلق قال الشاعر (١)

وما ان طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

فزعم سيبويه انها منعت ما العمل كما منعت ما ان الثقيلة ان تنصب تقول ان زيدا منطلق فاذا أدخلت ما صارت من حروف الابتداء ووقع بعدها المبتدا وخبره والأفعال نحو انما زيد أخوك وانما يخشى الله من عباده العلماء ولولا ما لم يقع الفعل بعد ان لأن ان بمنزلة الفعل ولا يلى فعل فعلا لانه لا يعمل فيه فأما كان يقوم زيد وكاد تزيغ قلوب فريق منهم ففى كان وكاد فاعلان مكنيان. وماتزاد على ضربين فاحدهما ان يكون دخولها فى الكلام كالغائها نحو فبما رحمة من الله لنت لهم أى فبرحمة وكذلك مما خطيئاتهم أغرقوا وكذلك مثلا ما بعوضة وتدخل لتغيير اللفظ فتوجب فى الشيء ما لولا هى لم يقع نحو ربما ينطلق زيد وربما يود الذين كفروا ولولا مالم تقع رب على الأفعال لأنها من عوامل الأسماء وكذلك جئت بعد ما قام زيد كما قال المرار. (٢)

أعلاقة أم الوليد بعدما أفنان رأسك كالثغام المخاس

فلولا ما لم يقع بعدها الا اسم واحد وكان مخفوضا باضافة بعد اليه تقول جئتك بعد زيد وقوله لكا لصقرجلى. تأويل التجلى ان يكون يحس شيئا فيتشوف اليه فهذا معنى جلى قال العجاج. تجلى البازى اذا البازى كسر. اى نظر ويقال تجلى فلان فلانة تجليا واجتلاها اجتلاء أى نظر اليها وتأملها والأصل واحد وقوله قد يرا هو ما يطبخ فى القدر يقال قدير ومقدور كقولك قتيل ومقتول وقوله عبيطا خرادله فالعبيط الطرى يقال لحم عبيط اذا كان طريا وكذلك دم عبيط ويقال اعتبط فلان بكرته اذا نحرها شابة من غير علة وكذلك اعتبط فلان اذا مات شابا قال أمية (٣)

من لم يمت عبطة يمت هرما للموت كأس فالمرء ذائقها

---

(١) هو فروة بن مسيك المرادى. (٢) هو المرار الفقعسى.

(٣) ابن ابى الصلت والصحيح انه لرجل من الخوارج عن الأصمعى.

وحدثني الزيادى ابراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن زياد قال تحدث رجل من الاعراب قال نزلت برجل من طيء فنحر لى ناقة فأكلت منها فلما كان الغد نحر أخرى فقلت ان عندك من اللحم مايغني ويكفي فقال انى والله لا اطعم ضيفى الا لحما عبيطا قال وفعل ذلك فى اليوم الثالث وفى كل ذلك آكل شيئا ويأكل الطائى أكل جماعة ثم نؤتى باللبن فأشرب شيئا ويشرب عامة الوطب فلما كان فى اليوم الثالث ارتقبت غفلته فاضطجع فلما امتلأ نوما استقت قطيعا من ابله فأقبلته الفجّ فانتبه واختصر علىّ الطريق حتى وقف لى فى مضيق منه فألقم وتره فوق سهمه ثم نادى بى لنطب نفسك عنها قلت ارنى آية فقال انظر الى ذلك الضب فانى واضع سهمى فى مغرز ذنبه فرماه فاندر ذنبه فقلت زدنى فقال انظر الى أعلى فقاره فرماه فأثبت سهمه فى الموضع ثم قال لى الثالثة والله فى كبدك قال فقلت شأنك بابلك فقال كلا حتى تسوقها الى حيث كانت قال فلما انتهيت بها قال فكرت فيك فلم أجد لى عندك ترة تطالبنى بها وما أحسب الذى حملك على أخذ ابلى الا الحاجة قال قلت هو والله ذاك قال فاعمد الى عشرين من خيارها فخذها فقلت اذا والله لا أفعل حتى تسمع مدحك والله ما رأيت رجلا أكرم ضيافة ولا أهدى لسبيل ولا أرمى كفا ولا أوسع صدرا ولا أرغب جوفاً ولا أكرم عفوا منك قال فاستحيا فصرف وجهه عنى ثم قال انصرف بالقطيع مباركا لك فيه . وقوله خرادله يعنى قطعه يقال ضربه ضربا خردله وتأويله قطعه كما قال . والضرب يمضي بيننا خرادلا . وقوله أهابوا به يقول دعوه يقال ايه به وأهاب به أى ناداه . قال القرشى

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب   وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله ضوء برق ووابله أراد صده عنهم ضوء برق ووابله فأضاف الوابل من المطر الى البرق وانما الاضافة الى الشيء على جهة التضمين ولا يضاف الشيء الى الشيء الا وهو غيره او بعضه فالذى هو غيره غلام زيد ودار عمرو والذى هو بعضه ثوب خز وخاتم حديد وانما أضاف الوابل الى البرق وليس هو له كما قلت دار زيد على جهة المجاورة وأنهما راجعان الى السحابة وقد يضاف ما كان

كذا على السعة كما قال الشاعر .

حتى أنخت قلوصى فى دياركم ... بخير من يحتذى نعلا وحافيها

فأضاف الحافى الى النعل والتقدير حاف منها وقوله ألم ترنى صاحبت صفراء نبعة فالنبع خير الشجر للقسى ويقال ان النبع والشوحط والشريان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماؤها وتكرم وتحسن بمنابتها فما كان فى قلة الجبل منها فهو النبع وما كان فى سفحه فهو الشوحط وما كان فى الحضيض فهو الشريان وقوله لها ربذى يريد وترا شديد الحركة عند دفع السهم يقال رجل ربذ اليد اذا كان يكثر التحريك ليديه والعبث بهما ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه وكان الأصل ربِذياً لانه ربذ ولكن ما كان من فعِل فنسب اليه فتح موضع العين منه استثقالا لاجتماع ياءى النسب وكسرة اللام لأن ياءى النسب تكسران ما تليانه فلم يدعوا مع ذلك العين مكسورة تقول فى النسب الى النمر بن قاسط نمَرى والى الحبطات حَبطى والى شقرة وهو الحارث بن تميم بن مر شقرى وفى النسب الى عم عمَوى يافتى وقوله لم تفلل معابله يريد لم ينكسر حدها من الفلول ويروى أن عروة بن الزبير سأل عبد الملك أن يرد عليه سيف أخيه عبد الله ابن الزبير فأخرجه اليه فى سيوف منتضاة فأخذه عروة من بينها فقال له عبد الملك بم عرفته فقال بما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

والمِعبلة واحدة المعابل وهي سهم خفيف قال عنترة

وآخر منهم أجررت رمحى ... وفى البجلى معبلة وقيع

باسكان الجيم لاغير (١)

خامس عشر — فى وصف الذئب

١ قال الفرزدق ونزل به ذئب فأضافه

وأطلس عسال وما كان صاحبا ... رفعت لنارى موهنا فأتانى

---

(١) قال أبو الحسن بجيلة قبيلة من بنى الهجيم من اليمن .

فلما دنا قلت ادن دونك اننى وإياك فى زادى لمشتركان
فبت أقد الزاد بينى وبينه على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكا وقائم سيفى من يدى بمكان
تعش فان عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من ياذئب يصطحبان
وانت امرؤ ياذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى رماك بسهم أو شباة سنان

قوله واطلس عسال فالأطلس الأغبر وحدثنى مسعود بن بشر قال أنشدنى طاهر ابن على الهاشمي قال سمعت عبد الله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة الذئب
يَهم بنى محارب مُذدارُه * أطلس يخفى شخصه غباره * فى شدقه شفرته وناره
قوله يخفى شخصه غباره يقول هو فى لون الغبار فليس يتبين فيه وقول الفرزدق عسال فانما نسبه الى مشيته يقال مر الذئب يعسل وهو مشى خفيف كالهرولة قال الشاعر (١) يصف رمحاً .

لدن بهزّ الكف يعسل مَتنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

وقال لبيد

عسلان الذئب أمسى قاربا برد الليل عليه فنسل

قال أبو عبيدة نسل فى معنى عسل قال الله عز وجل فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون . وخفض بهذه الواو لأنها فى معنى رب وانما جاز أن يخفض بها لوقوعها فى معنى رب لانها حرف خفض وهى أعنى الواو تكون بدلا من الباء فى القسم لان مخرجها فى مخرج الباء من الشفة فاذا قلت والله لافعلن فمعناه أقسم بالله لافعلن فان حذفتها قلت اللهَ لافعلن لان الفعل يقع على الاسم فينصبه والمعنى معنى الباء كما قال الله عز وجل واختار موسى قومَه سبعين رجلا لميقاتنا وصل الفعل فعمل والمعنى من لانها للتبعيض فقد صارت الواو تعمل بلفظها عمل الباء وتكون فى معناها وتعمل عمل رب لاجتماعهما فى المعنى للاشتراك فى المخرج وقوله رفعت لنارى من المقلوب انما أراد رفعت له نارى والكلام اذا لم يدخله

---

(١) هو ساعدة

لبس جاز القلب للاختصار قال الله عز وجل وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة والعصبة تنوء بالمفاتيح أى تستقل بها فى ثقل ومن كلام العرب ان فلانة لتنوء بها عجيزتها والمعنى لتنوء بعجيزتها وأنشد أبو عبيدة للاخطل .

أما كليب بن يربوع فليس لها عند التفاخر ايراد ولا صدر
مخلفون ويقضى الناس أمرهم وهم بغيب وفى عمياء ما شعروا
مثل القنافذ هداجون قد بلغت نجران أو بلغت سوآتهم هجر

فجعل الفعل للبلدتين على السعة ويروى أن يونس بن حبيب قال لابى الحسن الكسائى كيف تنشد بيت الفرزدق فأنشده

غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف والخمر

فقال الكسائى . لما قال : غداة أحلت لابن أصرم طعنة * حصين عبطات السدائف تم الكلام فحمل الخمر على المعنى أراد وحلت له الخمر فقال له يونس ما أحسن ماقلت ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب فنصب الطعنة ورفع العبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب والذى ذهب اليه الكسائى أحسن فى محض العربية وان كان انشاد الفرزدق جيداً وقوله فلما دنا قلت اذن دونك أمر بعد أمر وحسن ذلك لان قوله اذن للتقريب وفى قوله دونك أمره بالا كل كما قال جرير لعياش بن الزبرقان .

أعياش قد ذاق القيون مواسمى وأوقدت نارى فادن دونك فاصطل (١)

وقوله على ضوء نار مرة ودخان يكون على وجهين أحدهما على ضوء نار وعلى دخان أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبت وجائز أن يعطف الدخان على النار وان لم يكن للدخان ضياء ولكن للاشتراك كما قال الشاعر .

ياليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحا

لان معناهما الحمل وكما قال * شراب البان وتمر وأقط * فأدخل التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحلوق وهذه الآية تحمل على هذا يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس والشواظ اللهب لا دخان له والنحاس الدخان وهو معطوف على النار وهى مخفوضة بالشواظ لما ذكرت لك قال النابغة الجعدى

(١) جمع ميسم وهو حديدة يصنع بها البيطار

تضيء كمثل سراج الذبا ل لم يجعل الله فيه نحاسا

أي دخاناً وقوله نكن مثل من ياذئب يصطحبان . (١) فمن تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد فان شئت حملت خبرها على لفظها فقلت من في الدار يحبك عنيت جميعاً أو اثنين أو واحداً أو مؤنثاً وان شئت حملته على المعنى فقلت يحبانك وتحبك اذا عنيت امرأة ويحبونك اذا عنيت جميعا كل ذلك جائز جيد قال الله عز وجل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وقال ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ثم قال فحمل على المعنى ومنهم من يستمعون اليك وقرأ أبو عمرو ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا فحمل الاول على اللفظ والثاني على المعنى وفي القرآن بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه وهذا كله على اللفظ ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على المعنى . وقوله أو شباة سنان فالشبا والشباة واحد وهو الحد .

باب الغزل والشوق

١ من طريف شعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة قوله (٢)

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنؤر
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه وروح رعيان ونوم سمر
ونفضت عني العين أقبلت مشية الـ حباب وركبي خيفة القوم أزور
فحييت اذ فاجأتها فتولهت وكادت بمكنون التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

---

(١) من يجوز أن يكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان وأن يكون بمعنى الذي ويصطحبان صلته . (٢) قد تقدم شطر كبير من بدء هذه القصيدة وهي نيف وثمانون بيتا بمسائل نافع بن الازرق مع ابن عباس المدونة عنه بأخبار الخوارج . السباعي

أريتك أذ هُنا عليك ألم تخف رقيبا وحولى من عدوك حضر
فو الله ما أدرى أتعجيل حاجة سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى اليك وما عين من الناس تنظر
فيالك من ليل تقاصر طوله وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويالك من ملهى هناك ومجلس لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكى المسك منها مفلج رقيق الحواشى ذو غروب مؤشر
يرف اذا يفتر عنه كانه حصا برد أو أقحوان منور
وترنو بعينيها الىّ كما رنا الى ربرب وسط الخميلة جؤذر
فلما تقضى الليل الا أقله وكادت توالى نجمه تتغور
أشارت بأن الحىّ قد حان منهم هبوب ولكن موعد لك عزور
فما راعنى الا مناد برحلة وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فاما أفوتهم واما ينال السيف ثأراً فيثأر
فقالت أتحقيقا لما قال كاشح علينا وتصديقا لما كان يؤثر
فان كان ما لا بد منه فغيره من الامر أدنى للخفاء وأستر
أقص على أختىّ بدء حديثنا ومالى من أن تعلما متأخر
لعلهما أن تبغيا لك مخرجا وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر
فقامت كئيبا ليس فى وجهها دم من الحزن تذرى عبرة تتحدر
فقالت لاختيها أعينا على فتى أتى زائراً والامر للامر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا أقلى عليك الهم فالخطب أيسر
يقوم فيمشى بيننا متنكرا فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجنى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى الم تتق الاعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا اما تستحى أو ترعوى أو تفكر

قوله شبت يقول أوقدت يقال شببت النار والحرب أى أوقدتهما وقوله

وأنؤر ان شئت همزت وان شئت لم تهمز وانما الهمز لانضمام الواو وقد فسرنا هـذا وقوله قمير انما صغره لانه ناقص عن التمام وهـذا فى أول الشهر وكذلك يصغر فى آخر الشهر لأن النقصان فيهما واحد قال عمر .

وقمير بدا ابن خمس وعشريـ ـن له قالت الفتاتان قوما

وقوله رعيان يريد جمع الراعى ومثله راكب وركبان وفارس وفرسان والسمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا والحباب حيـة بعينه وقوله ونفضت عنى العين يقول احترست منها وأمنتها والنفضة أمام العسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق وقوله أزور يعنى متجافيا يقال تزاور فلان اذا ذهب فى شق وقوله ذو غروب غرب كل شىء حده وانما يعنى الأسنان وقوله مؤشر يعنى له أُشُر وهو تشرير الأسنان فى قول الناس جميعاً يقال لأسنانه أُشُر فهـذا الشائع الذائع وأما الشنب فهو عنـدهم جميعا بَرْد فى الأسنان وحدثنى الرياشى عن ابن عائشة قال أخذ أبى حبة رمان بين أصبعيه فاذا هى ترف فقال هذا الشنب وقوله وكادت توالى نجمه تتغور التوالى التوابع وتتغور تغور فتـذهب وهو مأخوذ من الغور وقوله أشارت بأن الحى قد حان منهم هبوب يقول انتباه يقال هب من نومه يهب قال عمرو بن كلثوم . ألا هبى بصحنك فاصبحينا . (١) وقال الآخر .

هبت تلوم وليست ساعة اللاحى هلا انتظرت بهذا اللوم اصباحى

وعزور موضع بعينه وقوله وايقاظهم جمع يَقُظ وقوله فقالت أتحقيقا أى اتفعل هذا تحقيقا ومن كلام العرب أ كل هذا بخلا وذلك انه رآه يفعل شيئاً أنكره فقال أتفعل كل هذا بخلا وقوله أباديهم أظهر لهم غير مهموز يقال بدا يبدو غير مهموز اذا ظهر وبدأت بهذا مهموزا اذا أردت به معنى الأول وقوله بدء حديثنا يريد أول حديثنا وقوله وان ترحبا يريد ان تتسعا أى تتسع صدورهما من قولهم فلان رحيب الصدر وقوله أحصر أضيق به ذرعا وقد فسرناه وقوله مجنى يريد ترسى وقوله ثلاث شخوص والوجه ثلاثة أشخص ولـكنه لما قصد الى النساء انث

---

(١) ولا تبقى خمور الاندرينا .

على المعنى وأبان ما أراد بقوله كاعبان ومعصر ومثله قول الشاعر .

فان كلابا هذه عشر أبطن وأنت برىء من قبائلها العشر

فقال عشر أبطن لأن البطن قبيلة وأبان ذلك فى قوله من قبائلها العشر وقال الله جل وعز (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لأن المعنى حسنات . ويروى ان يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة المرى الى المدينة اعترض الناس فمر به رجل من أهل الشأم معه ترس قبيح فقال له يا أخا أهل الشأم مجن بن أبى ربيعة أحسن من مجنك يريد قول ابن أبى ربيعة .

فكان مجنى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وقوله أما تستحى يريد تستحيى وله تفسير يبعد فى العربية قليلا وسنذكره بعد ذا ان شاء الله تعالى

٢ وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة .

قال لى صاحبى ليعلم مابى أتحب القتول أخت الرباب
قلت وجدى بها كوجدك بالما ء اذا ما منعت برد الشراب
مَن رسولى الى الثريا بأنى ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
سلبتنى مجاجة المسك عقلى فسلوها بما تحل اغتصابى
أزهقت ام نوفل اذ دعتها مهجتى ما لقاتلى من متاب
حين قالت لها أجيبى فقالت من دعانى قالت أبو الخطاب
فاستجابت عند الدعاء كما لبّـ ـي رجال يرجون حسن الثواب
أبرزوها مثل المهات تهادى بين خمس كواعب أتراب
وهى مكنونة تحير منها فى أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد النجم والحصى والتراب
دمية عند راهب ذى اجتهاد صوروها فى جانب المحراب

قوله قلت وجدى بها كوجدك بالماء معنى صحيح وقد اعتوره الشعراء وكلهم أجاد فيه وقوله اذا ما منعت برد الشراب يريد عند الحاجة وبذلك صح المعنى ويروى عن على بن أبى طالب رحمه الله أن سائلا سأله فقال كيف كان حبكم

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما . وقال آخر وأحسبه قيس بن ذريح .

حلفت لها بالمشعرين وزمزم وذو العرش فوق المقسمين رقيب(١)
لئن كان برد الماء حران صاديا الى حبيبا انها لحبيب

وقال القطامى .

يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه بادى
فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

والقول فيه كثير وقوله ضقت ذرعا بهجرها والكتاب فقوله والكتاب قسم وقوله ازهقت ام نوفل اذ دعتها مهجتى تأويله أبطلت وأذهبت قال الله عز وجل (فيدمغه فاذا هو زاهق) وللزاهق موضع آخر وهو السمين المفرط قال زهير .

القائد الخيل منكوبا دوابرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقوله ما لقاتلى من متاب يقول من توبة والمصدر اذا كان بزيادة الميم من فعل يفعل فهو على مفعل قال الله جل وعز (فانه يتوب الى الله متابا) واما قوله جل ذكره (غافر الذنب وقابل التوب) فيكون على ضربين يكون مصدرا ويكون جماعا فالمصدر قولك تاب يتوب توبا كقولك قال يقول قولا والجمع توبة وتوب مثل تمرة وتمر وجمرة وجمر وقوله * أبرزوها مثل المهاة تهادى * المهاة البقرة فى هذا الموضع وتشبه المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينها ولمشيتها والبقرة يقال لها العيناء والجماع العين وكذلك يقال للمرأة وتكون المهاة البلورة فى غير هذا الموضع وقوله تهادى يريد يهدى بعضها بعضا فى مشيتها ومشية البقر تستحسن قال ابن أبى ربيعة

أبصرتها ليلة ونسوتها يمشين بين المقام والحجر
يمشين فى الريط والمروط كما يمشى الهوينا سواكن البقر

وقوله كواعب الواحدة كاعب وهى التى قد كعب ثدياها للنهود وأتراب أقران يقال ترب فلان والممكورة المكتنزة وقوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا قال قوم أراد

---

(١) قال أبو الحسن ويروى * والله فوق المقسمين رقيب * وهو أحب الى

بقوله تحبها الاستفهام كما قال امرؤ القيس . أحار ترى برقا أريك وميضه . فحذف ألف الاستفهام وهو يريد أترى وقالوا أراد أتحبها وهـذا خطأ فاحش انما يجوز حذف الألف اذا كان فى الكلام دليل عليها وسنفسر هذا و نذكر الصواب منه ان شاء الله . قوله تحبها ايجاب عليه غير استفهام انما قالوا انت تحبها أى قد علمنا ذاك فهذا معنى صحيح لاضرورة فيه . وأما قول امرئ القيس فانما جاز لانه جعل الألف التى تكون للاستفهام تنبيهاً للنداء واستغنى بها ودلت على أن بعدها ألفاً منوية فحذفت ضرورة لدلالة هذه عليها ونظير قول امرئ القيس أحار ترى برقا فاكتفى بالألف عن أن يعيدها فى ترى قول ابن هرمة .

ولا أراها تزال ظالمة　　تظهرلى قرحة وتنكؤها

استغنى بلا الاولى عن اعادتها كما قال التميمى وهو اللعين المنقرى

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا　　شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

يريد أشعيث فدلت أم على ألف الاستفهام وقول ابن أبى ربيعة .

لعمرك ماأدرى وان كنت داريا　　بسبع رمين الجمر أم بثمان

مثل ذاك . وبيت الأخطل فيه قولان وهو

كذبتك عينك أم رأيت بواسط　　غلس الظلام من الرباب خيالا

قال أراد أكذبتك عينك كما قلنا فيما قبله وليس هذا بالأجود ولكنه ابتدأ متيقناً ثم شك فأدخل أم كقولك انها لأبل ثم تشك فتقول أم شاء ياقوم . وقوله قلت بهرا يكون على وجهين أحدها حباً يبهرنى بهرا أى يملؤنى ويقال للقمر ليلة البدر باهر أى يبهر النجوم أى يملؤها كما قال ذو الرمة . كما يبهر البدر النجوم السواريا . وقال الاعشى

حكمتموه فقضى بينكم　　أبلج مثل القمر الباهر

والوجه الآخر أن يكون أراد بهرا لكم أى تبا لكم حيث تلومونني على هـذا كما قال ابن مفرغ

تفاقد قومى اذ يبيعون مهجتى　　بجارية بهرا لهم بعدها بهرا

وقوله عدد النجم والحصا والتراب فيه قولان أحدها أنه أراد بالنجم النجوم

ووضع الواحد فى موضع الجمع لانه للجنس كما تقول أهلك الناس الدرهم والدينار وقد كثرت الشاة والبعير وكما قال الله جل وعز (ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال الشاعر

فبات يعد النجم فى مستحيرة   سريع بأيدى الآكلين جمودها

يريد النجوم ويعنى بالمستحيرة اهالة والوجه الآخر ان يكون النجم مانجم من النبت وهو ما لم يقم على ساق والشجر ما يقوم على ساق واليقطين ما انتشر على وجه الارض قال الله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وقال الحارث بن ظالم للأسود بن المنذر بن ماء السماء .

أخصيَى حمار بات يكدم نجمة   أيؤكل جيرانى وجارك سالم

٣ وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

ليت شعرى هل أقولن لركب   بفلاة هم لديها هجوع
طالما عرستم فاستقلوا   حان من نجم الثريا طلوع
ان همى قد نفى النوم عنى   وحديث النفس شىء ولوع
قال لى فيها عتيق مقالا   فجرت مما يقول الدموع
قال لى ودع سليمى ودعها   فأجاب القلب لا أستطيع
لا تلمنى فى اشتياق اليها   وابك لى مما تجن الضلوع

قوله حان من نجم الثريا طلوع كناية وانما يريد الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الاصغر وهم العبلات وكانت الثريا وأختها عائشة اعتقتا الغريض المغنى واسمه عبد الملك ويكنى أبا يزيد ويقول اسحاق بن ابراهيم الموصلى انما سمى الغريض بالطلع لان الطلع يقال له الأغريض وليس هو عندى كما قال انما سمى الغريض لطراءته يقال لحم غريض وكانت الثريا موصوفة بالجمال وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها الى مصر فقال عمر يضرب لهما المثل بالكوكبين

أيها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت   وسهيل اذا استقل يمانى

وقوله قال لى فيها عتيق مقالا يزعم الرواة ان كل شئ ذكر فيه عمر عتيقا أو بكراً فانما يعنى ابن أبى عتيق (١) وكان ابن أبى عتيق من نساك قريش وظرفائهم بل كان قد بذهم ظرفا وله أخبار كثيرة سيمر بعضها فى الكتاب ان شاء الله .

فمن طريف أخباره انه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبى ربيعة

فما زلت منها محرماً غير اننا ... كلانا من الثوب المطرّف لابس

فقال ابنا يلعب ابن أبي ربيعة فأى محرم بقى فركب بغلته متوجهاً الى مكة فلما دخل أنصاب الحرم قيل له أحرم قال ان ذا الحاجة لا يحرم فلقى ابن أبى ربيعة فقال أما زعمت انك لم تركب حراما قط قال بلى قال فما قولك . كلانا من الثوب المطرف لابس . فقال اذاً أخبرك خرجت بعلة المسجد فصرنا الى بعض الشعاب فأخذتنا السماء فأمرت بمطرفى فسترنا الغلمان به لئلا يروا بها بلة فيقولوا هلا استترت بسقائف المسجد فقال له ابن أبى عتيق يا عاهر هذا البيت يحتاج الى حاضنة .

ومنها انه سمع قول عمر بن أبى ربيعة

من رسولى الى الثريا بأنى ... ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا فاستأذن عليها فقالت والله ما كنت لنا زوارا فقال أجل ولكنى جئت برسالة يقول لك ابن عمك عمر بن أبى ربيعة ضقت ذرعا بهجرك والكتاب فلامه عمر فقال انما رأيتك متلددا تلتمس رسولا فخففت فى حاجتك فانما كان ثوابى أن أشكر .

ومنها ان عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته فقال مصعب هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لى ان تكلمنى فقال له ابن أبى عتيق عدل المال ثم صار الى عائشة فجعل يستعتبها لمصعب فقالت والله ماعزمى أن أكلمه ابداً فلما رأى جدها قال لها يابنت عم انه قد ضمن لى ان كلمته عشرة آلاف درهم فكلميه حتى

---

(١) ابن أبي عتيق هو عبد الله بن أبى عتيق بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بن أبى قحافة وأبو عتيق اسمه محمد وهو صحابى وأبوه عبد الرحمن صحابى وجده أبو بكر صحابى وجد أبيه أبو قحافة صحابى ولم يكن أحد من الصحابة كذلك غيرهم وعبد الله بن أبى عتيق غلبت عليه الدعابة وشهر بها

آخذها ثم عودي الى ماعودك الله

ومنها اذ مروان بن الحكم قال يوما انى لمشعوف ببغلة الحسن بن على رحمهما الله فقال له ابن أبي عتيق ان دفعتها اليك أتقضى لى ثلاثين حاجة قال نعم قال اذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ فى ما ثر قريش ثم أمسك عن الحسن فلمنى على ذلك فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ فى ما ثر قريش فقال له مروان ألا تذكر أولية أبي محمد وله فى هذا ماليس لأحد فقال انما كنا فى ذكر الأشراف ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لابى محمد فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابن ابى عتيق فقال له الحسن وتبسم ألك حاجة فقال ذكرت البغلة فنزل الحسن ودفعها اليه

ومنها أن عثمان بن حيان المرى لما دخل المدينة والياعليها اجتمع الأشراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لاتعمل عملاأجدى ولا أولى من تحريم الغناءوالرثاء ففعل وأجلهم ثلاثا فقدم ابن أبي عتيق فى الليلة الثالثة فحط رحاله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل أن أصير الى منزلى فقالت أو ماتدرى ما حدث وأخبرته الخبر فقال أقيمى الى السحر حتى ألقاه فقالت انا نخاف ألا تغنى شيئاً وننكظ (١) فقال انه لا بأس عليك ثم مضى الى عثمان فاستأذن عليه فأخبره أن أحذ ما أقدمه عليه حب التسليم عايه وقال له ان من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والرثاء قال ان أهلك أشاروا على بذلك قال فانك قد وفقت ولكنى رسول امرأة اليك تقول قد كانت هذه صناعتى فتبت الى الله منها وأنا أسألك أيها الأمير ألا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذا أدعها لك قال اذا لا يدعها الناس ولكن تدعو بها فتنظر اليها فان كانت ممن يترك تركتها قال فادع بها قال فأمرها ابن ابى عتيق فتقشفت وأخذت سبحة فى يدها وصارت اليه وحدثته عن ما ثر آبائه ففكه لها فقال لها ابن أبى عتيق اقرئى للأمير ففعلت فأعجب بذلك فقال لها فاحدى للأمير فحركها حداؤها ثم قال لها غيرى للأمير فجعل يعجب بذلك عثمان فقال له ابن أبى عتيق فكيف لو سمعتها فى صناعتها فقال قل لها فلتقل فأمرها فتغنت .

---

(١) تنذلنا شدة

سددن خصاص الخيم لما دخلنه بكل لبان واضح وجبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لها والله مامثلك يخرج عن المدينـة فقال له ابن أبى عتيق اذاً يقول الناس أذن لسلامة فى المقام ومنع غيرها فقال له عثمان قد أذنت لهم جميعاً

٤ وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ونظر الى أم عمر بنت مروان بن الحكم وكانت قد صارت اليه متنكرة فرأته وقضت من محادثته وطرا ثم انصرفت فلما رجعت من منى عرفها فعلمت ذلك فبعثت اليه لا ترفع بى صوتاً وأهدت له الف دينار فاشترى بها عطرا وبزا وأهداه لها فأبت أن تقبله فقال اذاً والله أنهبه فيكون أذيع له فقبلته وفى ذلك يقول

وكم من قتيـل لا يباء به دم ومن غلق رهنا اذا ضمه منى
وكم مالئٍ عينيه من شئٍ غـيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
يجررن أذيال المروط بأسؤق خدال اذا ولين اعجازها روى
أوانس يسلبن الحليم فـؤاده فيا طول ماحزن ويا حسن مجتلى
فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالى الحج أفتنَّ ذا هوى

وفيها يقول أيضا

أيها الرائح المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا
ليت ذا الحج كان حتما علينا كل شهرين حجـة واعتمارا

قوله وكم من قتيل لا يباء به دم. يقول لا يقاد به قاتله وأصل هذا أن يقال أبأت فلانا بفلان فباء به اذا قتلته به ولا يكاد يستعمل هذا الا والثانى كفءٌ للأول فمن ذلك قول مهلهل بن ربيعة حيث قتل بجير بن الحارث بن عُباد فقيل للحارث ولم يكن دخل فى حربهم ان ابنك قتل فقال ان ابنى لأعظم قتيل بركة اذ أصلح الله به بين ابنى وائل فقيل له انه لما قتل قال له مهلهل بؤ بشسع نعل كليب فعند ذلك أدخل الحارث يده فى الحرب وقال .

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال
لا بجير أغنى قتيلا ولا رهـــط كليب تزاجروا عن ضلال

لم أكن من جناتها علم الله ه وانى بحرها اليوم صالى

وقالت ليلى الاخيلية .

فان تكن القتلى بواء فانكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

وقال عمرو بن حيّ التغلبي

ألا تنتهى عنا ملوك وتتقى محارمنا لا يبوء الدم بالدم

ويقال باء فلان بذنبه أى بخع به وأقر قال الفرزدق لمعاوية

فلو كان هذا الحكم فى غير ملككم لبؤت به أو غص بالماء شاربه

ويقال باء فلان بالشئ من قول أو فعل أى احتمله فصار عليه وقال المفسرون فى قول الله جل وعز (انى أريد أن تبوء بأثمي واثمك) أى يجتمعا عليك فتحملهما . وأما قوله ومن غلق رهنا فنصب على الحال من المعرفة وهى الاسم المضمر فى غلق ومن قال ومن غلق رهن فهو من قولهم رهن غلق فلما قدم النعت اضطراراً أبدل منه المنعوت وقوله اذا ضمه منى فانما سميت منى لما يمنى فيها من الدم يقال فى المنى وهى النطفة منى الرجل وأمنى والقراءة أفرأيتم ماتمنون ويقال مذى الرجل وأمذى وودى واودى فقولهم ودى يعنى البلة (١) التى تكون فى عقب البول كالمذى وأما المذى فيعترى من الشهوة والحركة وقال على بن أبى طالب رحمه الله كل فحل مذاء ومن كلام العرب كل فحل يمذى وكل أنثى تقذى وهو أن يكون منها مثل المذى . ولمنى موضع آخر يقال منى الله لك خيرا أى قدر لك خيرا ويقال منى الله أن ألقى فلانا أى قدر والمنية من ذا يقال لقى فلان منيته أى ماقدر له من الموت فأما المنيئة بالهمز فهى المدبغة وهى المكان الذى يدبغ فيه . وقوله اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى . الجمرة انما سميت لاجتماع الحصا فيها ومن ذا قيل لا تجمروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم أى لا تجمعوهم فى المغازى والتجمير التجميع وكذلك قيل فى جمرات العرب وهم بنو نمير بن عامر بن صعصعة وبنو الحارث بن كعب بن علة بن جلد وبنو ضبة بن أد بن طابخة وبنو عبس ابن بغيض بن ريث . لأنهم تجمعوا فى أنفسهم ولم يدخلوا معهم غيرهم وأبو عبيدة

---

(١) بكسر الباء رواية عاصم وبفتحها رواية ابن سراج .

لم يعدد فيهم عبسا فى كتاب الديباج ولكنه قال فطفئت جمرتان وهما بنوضبة لأنها صارت الى الرباب لمحالفت وبنو الحارث لأنها صات الى مذحج [و بقيت بنونمير الى الساعة لانها لم تحالف قال النميرى يجيب جريرا

نمير جمرة العرب التى لم تزل فى الحرب تلتهب التهابا
وانى اذ أسب بها كليبا فتحت عليهم للخسف بابا

وقال فى هذا الشعر

ولولا أن يقال هجا نميرا ولم نسمع لشاعرها جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليب وكيف يشاتم الناس الكلابا

وقال محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى .

لم ترعينى مثل سرب رأيته خرجن من التنعيم معتجرات
مررن بفخ ثم رحن عشية يلبين للرحمن مؤتجرات
تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب فى نسوة عطرات
وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت برؤيتها من راح من عرفات
ولما رأت ركب النميرى اعرضت وكن من ان يلقينه حذرات
دعت نسوة شم العرانين بدنا نواعم لاشعثا ولا غبرات (١)
فأدنين لما قمن يحجبن دونها حجابا من القسّى والحبرات
أحل الذى فوق السموات عرشه أوانس بالبطحاء معتمرات
يخبئن أطراف البنان من التقى ويخرجن جنح الليل مختمرات

قوله مثل سرب رأيتـه هو القطعة من النساء أو من الظباء أو من البقر أو من الطير (٢) قال الشاعر

لم ترعينى مثل سرب رأيته خرجن علينامن زقاق ابن واقف

فهذا يعنى نساء ويقال مرت بنا سربة من الطير فى هذا المعنى قال ذو الرمة .

---

(١) ويروى ولا غفرات بالفاء أخت القاف من الغفر وهو الشعر الذى ينبت فى اللحيين يقال غفرت المرأة اذا نبت لها ذاك الشعر (٢) والقطيع من السباع يقال له سرب أيضا قاله ابن جنى وكذلك من الماشية كلها

سوى ما أصاب الذئب منه وسربة　　أطافت به من أمهات الجوازل

ويقال فلان واسع السرب يعنى بذلك الصدر ويقال خل لفلان سربه أى طريقه الذى يسرب فيه ويقال للأبل كذلك بالفتح لأذعرن سربك ويقال حذرات وحذُرات ويقِظ ويقُظ قال ابن احمر

هل ينسئن يومى الى غيره　　أنى حوالىّ وأنى حذُر

وقوله وكن منَ انْ يلقينه حذرات الأصل من أن يلقينه ولكن الهمزة اذا خففت وقبلها ساكن ليس من حروف اللين الزوائد فتخفيفها متصلة كانت أو منفصلة أن تلقى حركتها على ما قبلها وتحذفها تقول منَ ابوك فتفتح النون وتحذف الهمزة ومنِ اخوانك ومنُ ام زيد فتضم النون وتكسرها على ماذكرت لك وتقول الذى يخرج الخبَ فى السموات وفلان له هيَة وهذه مرَة اذا خففت الهمزة فى الخبء والهيئة والمرأة وعلى هذا قوله تعالى سل بنى اسرائيل لأنها كانت اسأل فلما حركت السين بحركة الهمزة سقطت الف الوصل لتحرك ما بعدها وانما كان التخفيف فى هذا الموضع بحذف الهمزة لأن الهمزة اذا خففت قربت من الساكن والدليل على ذلك انها لا تبتدأ الا محققة كما لا يبتدأ الا بمتحرك فلما التقى الساكن وحروف تجرى مجرى الساكن حذفت المعتل فيها كما تحذف لالتقاء الساكنين . وقوله دعت نسوة شم العرانين فالشماء السابغة الأنف والمصدر الشمم قال أحد الشعراء يمدح قثم بن العباس .

نجوت من حل ومن رحلة　　يا ناق انْ قربتنى من قثم

انك ان قربتنيه غدا　　عاش لنا اليسر ومات العدم

فى باعه طول وفى وجهه　　نور وفى العرنين منه شمم

لم يدر ما لا وبلى قد درى　　فعافها واعتاض منها نعم (١)

والعرنين والمرسن والأنف واحد لما يحيط بالجميع والبدَن واحدها بادن كقولك شاهد وشهد وضامر وضمر وهو العظيم البدن يقال بدُن فلان اذا كثر لحمه

---

(١) قال أبو الحسن أنشدنيه أبى لسليمان بن قتة وزادنى فيه

أصم عن ذكر الخنا سمعه　　وما عن الخير به من صمم

وبدّن اذا أسن وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «انى قد بدّنت فلا تسبقونى بالركوع والسجود» (١) والأشعث والشعثاء الخاليان من الدهن وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل

من كان حين تمس الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كى تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا (٢)

٦ وقال محمد بن نمير الثقفي

أشاقتك الظعائن يوم بانوا ... بذى الزى الجميل من الأثاث
ظعائن أسلكت نقب المنقى ... تحث اذا ونت أى احتثاث
كأن على الظعائن يوم بانوا ... نعاجا ترتعى بقل البراث
يهيجنى الحمام اذا تغنى ... كما سجع النوائح بالمراثى

قوله الظعائن واحدتها ظعينة وانما قيل لها ظعينة وهم يريدون مظعونا بها كقولك قتيل فى معنى مقتول ثم استعمل هذا وكثر حتى قيل للمرأة المقيمة ظعينة وقوله بذى الزى الجميل من الاثاث هي الرواية الصحيحة وقد قيل بذى الرى الجميل واستهواهم اليه قول الله جل ثناؤه «هم أحسن أثاثاً ورِيا» فالاثاث متاع البيت والرى ما ظهر من الزينة وانما أخذ من قولك رأيت فالرى غير الاثاث والزى من الاثاث فمن هاهنا غلطوا وقوله أسلكت نقب المنقى فالمنقى موضع بعينه والنقب الطريق فى الجبل والخل الطريق فى الرمل فان اتسع الطريق فى الجبل وعلا فهو ثنية قال ابن الأيهم التغلبي.

وتراهن شزبا كالسعالى ... يتطلعن من ثنايا النقاب

وقوله نعاجا ترتعى بقل البراث فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية وحكم البقرة

(١) من رواه بدنت بضم الدال فقد اخطأ لان بدن بمعنى ضخم ولم يكن صفته عليه السلام انه ضخم الجسم ولكنه الرجل بين الرجلين ومعنى بدّن بالتشديد أسن (٢) قال أبو الحسن وزادنى أبى

فى بطن مظلمة غبراء مقفرة ... كيما يطيل بها فى بطنها اللبثا
تجهزى بجهاز تبلغين به ... يانفس واقتصدى لم تخلقى عبثا

عندهم حكم الضائنة وحكم الظبية عنـدهم حكم الماعزة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وبالشاة قال الله تبارك وتعالى (ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة) وقال الأعشى :

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالها

يريد المرأة وأما البراث فهى الأماكن السهلة من الرمل واحدها برث مفتوح موضع الفاء من الفعل وتقديرها كلب وكلاب والسجع من الكلام أن يأتلف أواخره على نسق كما تأتلف القوافى وهو فى البهائم موالاة الصوت قال ابن الدمينة

أأن سجعت ورقاء فى رونق الضحا على فنن غض النبات من الرند(١)

٧ وقال جميل بن معمر (٢)

ما صائب من نابل قذفت به يد ومُمَر العقدتين وثيق
له من خوافى النسر حم نظائر ونصل كنصل الزاعبى فتيق
على نبعة زوراء أيما خطامها فمتن وأيما عودها فعتيق
بأوشك قتلا منك يوم رميتنى نوافذ لم تعلم لهن خروق
كأن لم نحارب يا بثين لوانها تكشف غماها وأنت صديق

قوله ماصائب يريد قاصداً يقال صاب يصوب اذا قصد ومن ذلك قوله تعالى (أو كصيب من السماء) وقد قالوا النازل والقصد أحكم كما قال بشر بن أبى خازم الاسدى * ولم تعلم بأن السهم صابا * (٣) وقوله ومُمَر العقدتين يعنى وترا والممر الشديد الفتل وقوله من خوافى النسر حم نظائر يريد ريش السهم والحم السود وذلك أخلصه وأجوده وجعلها نظائر فى مقاديرها لانه أقصد للسهم واذا كانت الريشات بطن الواحـدة منها الى ظهر الاخرى فهو الذى يختار وهو الذى يقال له اللؤام وانما أخذ من قولهم ملتئم وان كان ظهر الواحدة الى ظهر الاخرى وبطنها الى بطن الاخرى فذلك مكروه يقال له اللغاب وقوله كنصل

---

(١) الرند صغار الآس (٢) هو ابن عبد الله بن معمر العذرى أما الجمحى فليس بينه وبين معمر أب آخر ـ السباعى

(٣) صدر البيت عن ابى الحسن . تؤمل أن أؤوب لها بغنم .

الزاعبي شبه نصل السهم بنصل الرمح الزاعبي وهو منسوب الى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الاسنة هـذا قول قوم وأما الاصمعى فكان يقول الزاعبي هو الذى اذا هز فكأن كعوبه يجرى بعضها فى بعض للينه وتثنيه يقال مر يزعب بحمله اذا مر به مرا سهلا وقوله فتيق يعنى حادا رقيقا يقال فتيق الشفرتين وتأويله أنه يفتق ما عمد به له وفعيل يقع اسما للفاعل ويقع للمفعول فأما الفاعل فمثل رحيم وعليم وحكيم وشهيد وأما ما كان للمفعول فنحو جريح وقتيل وصريع وقوله زوراء يريد معوجة وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى وقوله على نبعة يعنى قوسا وأكرم القسى ما كان من النبع وقوله أيما يريد أما واستثقل التضعيف فأبدل الياء من احدى الميمين وينشد بيت بن أبى ربيعة

رأت رجلا أيما اذا الشمس عارضت　　فيضحى وأيما بالعشى فيخصر

وهذا يقع وانما بابه أن تكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فعال فيكرهون التضعيف والكسر فيبدلون من المضعف الاول الياء للكسرة وذلك قولهم دينار وقيراط وديوان وما أشبه ذلك فان زالت الكسرة وانفصل أحد الطرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت دنانير وقراريط ودواوين وكذلك ان صغرت قلت قريريط ودنينير وقوله وأيما عودها فعتيق يصف كرم هذه القوس وعتقها ويحمد منها أن تترك ولحاؤها عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه كما قال الشماخ

فمظعها حولين ماء لحائها　　وينظر منها أيها هو غامز

مظعها شربها (١) وقوله بأوشك قتلا منك يقول بأسرع يقال أمر وشيك أى سريع ويقال يوشك فلان أن يفعل كذا وكذا أى يقارب ذاك ويوشك يفعل كذا بطرح أن كل ذلك جيد قال الشاعر (٢)

يوشك من فر من منيته　　فى بعض غراته يوافقها

---

(١) قوله فمظعها حولين أى تركها فى الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء يقال تمظع الرجل الظل اذا تحول من مكان الى مكان (٢) هو أمية بن أبى الصلت

من لم يمت عبطة يمت هرما ... للموت كأس فالمرء ذائقها (١)

قوله عبطة أى شابا يقال اعتبط الرجل اذا مات شابا من غير مرض وأصل العبيط الطرى من كل شئ وقوله نوافذ لم تعلم لهن خروق معنى طريف وقد أخذه أبو حية(٢) منه فكشفه فى أبيات مختارة وهى (٣)

وان دما لو تعلمين جنيته ... على الحى جانى مثله غير سالم
أما انه لو كان غيرك ارقلت ... اليه القنا بالراعفات اللهاذم
ولكن لعمر الله ماطل مسلما ... كغر الثنايا واضحات الملاغم(٤)
اذاهن ساقطن الحديث كأنه ... سقاط حصا المرجان من سلك ناظم
رمين فأقصدن القلوب فلم تجد ... دما مائرا الاجوى فى الحيازم

قال أبو العباس فهذا مأخوذ من ذلك . وقوله ولكن لعمر الله ماطل مسلما يقول ماطل دمه يقال دم مطلول اذا مضى هدرا كما قال الراجز . بغير عقل ودم مطلول وحدثنى التوزى قال قال يحيى بن يعمر لرجل نازعته امرأته عنده ان طالبتك بثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها. قوله ثمن شكرها فانما يعنى الرضاع

---

(١) قال أبو الحسن هذه الابيات أربعة وهى لرجل من الخوارج قتله الحجاج أولها

ما رغبة النفس فى الحياة وان ... عاشت قليلا فالموت لاحقها
وأيقنت أنهـــا تعود كما ... كان براها بالأمس خالقها

(٢) اسم أبى حية الهيثم بن الربيع (٣) قال أبو الحسن وأول هذه الابيات المختارة أنشدناه غيره

خبرك الواشون أن لن أحبكم ... بلى وستور الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذى تعلمينه ... شفاء لنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة ... بنا وبكم أف لأهل النمائم

(٤) الكاف فى قوله كغر فاعلة بقوله طل ومنه قول الاعشى .

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وقول امرئ القيس

وانك لم يفخر عليك كفاخر ... ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

والشبر النكاح والشكر الفرج وقوله أنشأت تطلها أى تسعى فى بطلان حقها وقوله تضهلها أى تعطيها الشئ بعد الشئ يقال بئر ضهول اذا كان ماؤها يخرج من جرابها شيئا بعد شئ وجرابها جوانبها وانما يغزر ماؤها اذا خرج من قرارتها فتعظم جمتها وقوله واضحات الملاغم يريد العوارض قال الفرزدق .

سقتها خروق فى المسامع لم تكن علاطا ولا مخبوطة فى الملاغم

يقول علم أرباب الماء لمن هي فسقاها ماسمعوه من ذكر أصحابها لعزهم ومنعتهم ولم تحتج أن تكون بها سمة والعلاط وسم فى العنق والخباط فى الوجه

٨ وقال الراعى

ومرسل ورسول غير متهم وحاجة غير مزجاة من الحاج
طاوعته بعد ماطال النجىّ بنا وظن أنى عليه غير منعاج
ما زال يفتح أبوابا ويغلقها دونى وأفتح بابا بعد ارتاج
حتى أضاء سراج دونه بقر حمر الانامل عين طرفها ساج
يا نعمها ليلة حتى تخونها داع دعا فى فروع الصبح شحاج
لما دعا الدعوة الاولى فأسمعنى أخذت بردى واستمررت أدراجى

قوله وحاجة غير مزجاة من الحاج المزجاة اليسيرة الخفيفة المحمل قال الله عزوجل (وجئنا ببضاعة مزجاة) والحاج جمع حاجة وتقديره فعلة وفعل كما تقول هامة وهام وساعة وساع قال القطامى

وكنا كالحريق أصاب غابا فيخبو ساعة ويشب ساعا

فان أردت أدنى العدد قلت ساعات فأما قولهم فى جمع حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولدين ولا قياس له ويقال فى قلبى منك حوجاء أى حاجة ولو جمع على هذا لكان الجمع حواج يافتى وأصله حواجى يا فتى ولكن مثل هذا يخفف كما تقول فى صحراء صحار يافتى وأصله صحارى وقوله طاوعته بعد ما طال النجىّ بنا يريد المناجاة فأخرجه على فعيل ونظيره من المصادر الصهيل والنهيق والشحيج ويقال شب الفرس شبيبا ولذلك كان النجى يقع على الواحد والجماعة نعتا كما تقول امرأة عدل ورجل عدل وقوم عدل لانه

مصدر قال الله عز وجل (وقربناه نجيا) أى مناجيا وقال للجماعة (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) أى متناجين وقوله منعاج أى منعطف تقول عُجت عليه أى عرّجت عليه وعجت اليه أعيج أى عولت عليه وقوله بعد ارتاج أى بعد اغلاق يقال ارتجت الباب ارتاجاً أى أغلقته اغلاقا ويقال لغلق الباب الرتاج ويقال للرجل اذا امتنع عليه الكلام أرتج عليه وقوله أضاء سراج دونه بقر يعنى نساء والعرب تكنى عن المرأة بالبقرة والنعجة قال الله عز وجل (ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة) وقال الاعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته　　فأصبت حبة قلبها وطحالها

وقوله عين انما هو جمع عيناء وهى الواسعة العين وتقديره فُعل ولكن كسرت العين لتصح الياء ونحو ذلك بيضاء وبيض وتقديره حمراء وحمر ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب لانه لا اخلال فيه تقول سوداء وسود وعوراء وعور وقوله طرفها ساج ولم يقل أطرافها لان تقديرها تقدير المصدر من طرفت طرفا قال الله عز وجل ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم لان السمع فى الأصل مصدر وقال جرير

ان العيون التى فى طرفها مرض　　قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقوله ساج أى ساكن قال الله عز وجل « والضحى والليل اذا سجى » وقال جرير

ولقد رمينك يوم رحن بأعين　　يقتلن من خلل الستور سواجى

وقال الراجز

ياحبذا القمراء والليل الساج　　وطرق مثل ملاء النساج

وقوله حتى تخونها أى تنقصها يقال تخوننى السفر أى تنقصنى والداعى المؤذن وقوله شحاج انما هو استعارة فى شدة الصوت وأصله للبغل والعرب تستعير من بعض لبعض قال العجاج ينعت حمارا

كأنّ فى فيه اذا ما شحجا　　عودا دوين اللهوات مولجا

وقال جرير

ان الغراب بما كرهت لمولع   بنوى الأحبة دائم التشحاج

وقوله واستمررت أدراجي أى ورجعت من حيث جئت تقول العرب رجع فلان أدراجه ورجع فى حافرته ورجع عودَه على بدئه وان شئت رفعت فقلت رجع عودُه على بدئه أما الرفع فعلى قولك رجع وعوده على بدئه أى وهذه حاله والنصب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولا كقولك رد عوده على بدئه والوجه الآخر أن يكون حالا فى قول سيبويه لأن معناه رجع ناقضا مجيئه ووضع هذا فى موضعه كما تقول كلمته فاه الى فىّ أى مشافهة وبايعته يدا بيد أى نقدا وقد يجوز ان تقول فوه الىّ فىّ أى وهذه حاله ومن نصب فمعناه فى هذه الحال فاما بايعته يدا بيد فلا يكون فيه الا النصب لأنك لست تريد بايعته ويد بيد كما كنت تريد فى الاول وانما تريد النقد ولا تبالى أقريبا كان أم بعيدا .

٩ وأنشدنى ابن عائشة لبعض القرشيين .

وقفوا ثلاث منى بمنزل غبطة   وهم على غرض هنالك ماهم
متجاورين بغير دار اقامة   لو قد أجد تفرق لم يندموا (١)
ولهن بالبيت العتيق لبانة   والركن يعرفهن لو يتكلم
لو كان حيا قبلهن ظعائنا   حيا الحطيم وجوههن وزمزم
وكأنهن وقد صدرن لواغبا   بيض بأفنية المقام مركم

اللاغب المعيي قال الله عز وجل (وما مسنا من لغوب) والمركم الذى بعضه على بعض والمرأة تشبه ببيضة النعامة كما تشبه بالدرة قال الله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) والمكنون المصون والمُكن المستور يقال أكننت السر قال الله عز وجل اوأكننتم فى انفسكم وقال ابو دهبل وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسان (٢)

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوّ   اص ميزت من جوهر مكنون

---

(١) يعنى طواف الوداع وقوله ثلاث منى أراد أيام النفر وأخرجه على الليالى وقوله لم يندموا لأنهم يرجعون الى أوطانهم .   (٢) ابن ثابت الانصارى .

وقال ابن الرُقيات .

واضح لونها كبيضة أدحىّ   لها فى المساء خلق عميم

العميم التام والادحى موضع بيض النعامة خاصة وشعر عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه وروى بعض الرواة ان أبا دَهْبل الجمحى كان تقيا وكان جميلا فقفل من الغزو ذات مرة فمر بدمشق فدعته امرأة الى ان يقرأ لها كتابا وقالت ان صاحبته فى هذا القصر وهى تحب ان تسمع ما فيه فلما دخلت به برزت له امرأة جميلة وقالت له انما احتلت لك بالكتاب حتى أدخلتك فقال لها أما الحرام فلاسبيل اليه قالت فلست تراد حراما فتزوجته وأقام عندها دهرا حتى نعى بالمدينة فى ذلك يقول وقد استأذنها ليلم بأهله ثم يعود فجاء وقد اقتسم ميراثه فلما هم بالعود اليها نعيت له فهذا ما روى من هذا الوجه والذى كانه اجماع الناس انه لعبد الرحمن بن حسان وهو فى بنت معاوية (١).

صاح حيا الأله أهلا ودارا   عند أصل القناة من جيرون

عن يسارى اذا دخلت من البا   ب وان كنت خارجا فيمينى

فبتلك ارتهنت بالشأم حتى   ظن أهلى مرجمات الظنون

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوّ   اص ميزت من جوهر مكنون

واذا ما نسبتها لم تجدها   فى سناء من المكارم دون

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ   ـراء تمشى فى مرمر مسنون

تجمل المسك واليلنجوج والند   صلاء لها على الكانون

قبة من مراجل ضربتها   عند برد الشتاء فى قيطون

المسنون المصبوب على استواء والمراجل ثياب اليمن قال العجاج . بشية كشية المُمَرجل . والقيطون البيت من جوف بيت . وقال آخر .

وأبصرت سعدى بين ثوبى مَراجل   وأثواب عصب من مهلهلة اليمن

وروى ان يزيد بن معاوية قال لأبيه أما سمعت قول عبد الرحمن بن حسان فى ابنتك فقال وما الذى قال . قال قال .

---

(١) ابن أبى سفيان .

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوّ اص ميزت من جوهر مكنون

قال معاوية صدق قال يزيد وقال .

واذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون

قال معاوية صدق فقال يزيد انه قال .

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ـراء تمشي فى مرمر مسنون

قال معاوية كذب .

١٠ وقال اعرابى .

شكوت فقالت كلَّ هذا تبرما بحبى أراح الله قلبك من حبى

فلما كتمت الحب قالت لشد ما صبرت وما هذا بفعل شجى القلب

وأدنو فتقصينى فأبعد طالبا رضاها فتعتد التباعد من ذنبى

فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها وتجزع من بعدى وتنفر من قربى

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

قوله كلَّ هذا تبرما مردود على كلامه كأنها تقول له أشكو تنى كل هذا تبرما ولو رفع لكان جيدا يكون كل هذا مبتدأ وتبرم خبره وشجى مخفف الياء ومن شددها فقد أخطأ والمثل ويل للشجى من الخلىّ الياء فى الشجى مخففة وفى الخلى مثقلة وقياسه انك اذا قلت فعِل يفعَل فعلا فالاسم منه على فعِل نحو فرق يفرق فرقا فهو فرق وحذر يحذر حذرا فهو حذر وبطر يبطر بطرا فهو بطر فعلى هذا شجى يشجى شجى فهو شج يافتى كما تقول هوى يهوى هوى فهو هو يافتى (١) وقوله فيا قوم هل من حيلة تعرفونها موضع تعرفونها خفض لأنه نعت للحيلة وليس بجواب ولو كان ها هنا شرط يوجب جوابا لانجزم تقول ائتنى بدابة أركبها اى بدابة مركوبة فاذا أردت معنى فانك ان اتيتنى بدابة ركبتها قلت أركبها لانه جواب الأمر كما ان الأول جواب الاستفهام وفى القرآن (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) أى مطهرة لهم وكذلك انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا أى كائنة لنا عيدا وفى الجواب

---

(١) اما خلىّ ففعله فعَل يفعُل وهو على مثال فعيل الناقص كدعىّ السباعى

« فذرهم يخضوا ويلعبوا) أى ان تركوا خاضوا ولعبوا واما قوله عزوجل « فذرهم فى خوضهم يلعبون » فانما هو فذرهم فى هذه الحال لأنهم كانوا يلعبون وكذلك ولا تمنن تستكثر انما هو ولا تمنن مستكثرا فمعنى ذا . هل من حيلة معروفة عندكم

١١ وقال قيس بن معاذ أحد بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو المجنون وحدثنى عبدالصمد بن المعذل قال سمعت الاصمعي يثبته ويقول لم يكن مجنونا انما كانت به لوثة كلوثة أبى حية (١)

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة ببطن منى ترمى جمار المحصب
ويبدى الحصا منها اذا قذفت به من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب
ألا انما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب

هذا البيت من أعجب ما قيل فى النحافة ومما يستظرف فى هذا الباب قول عمر ابن أبى ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر
أخا سفر جواب أرض تقاذفت به فلوات فهو أشعث أغبر
قليلا على ظهر المطية ظله سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

ومن هذا الباب قول القائل (٢)

فأصبحت فى أقصى البيوت يعدننى بقية ما أبقين نصلا يمانيا (٣)
يعدن مريضا هن هيجن ما به الا انما بعض العوائد دائيا

وفى هذا الباب اشياء كثيرة تأتى فى موضعها ان شاء الله تعالى. ومن الافراط فيه قوله

فلو ان ما ابقيت منى معلق بعود ثمام ما تأود عوده (٤)

---

(١) النميرى وهو من أشعر الناس . ومن شعره (٢) هو قيس بن معاذ مجنون بنى عامر الذى تقدم ذكره لا ابن الابرش (٣) بقية بدل من الياء فى يعدننى بدل اشتمال وبعده

تجمعن من شتى ثلاث وأربع وواحدة حتى كملن ثمانيا

(٤) الثمام نبت ضعيف واحدته ثمامة .

وهذا متجاوز كقول القائل . ويمنعها من أن تطير زمامها . وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوى واختصار قريب

١٢ قال قيس بن معاذ

وأخرج من بين الجلوس لعلنى أحدث عنك النفس فى السر خاليا
وانى لاستغشى وما بى نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا

وفى هذا الشعر

أشوقا ولما تمض لى غير ليلة رويد الهوى حتى يغب لياليا

وهذا من اجود الكلام وأوضحه معنى . ويستحسن لذى الرمة قوله فى مثل هذا المعنى .

أحب المكان القفر من أجل أننى به أتغنى باسمها غير معجم

١٣ وأنشدنى أبو العالية (١)

مازلت أبغى الحى أتبع ظلهم حتى دفعت الى ربيبة هودج
قالت وعيش ابى وأكبر اخوتى لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة قولها فتبسمت فعلمت أن يمينها لم تحرج
فلثمت فاها آخذاً بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وزاد فيها الجاحظ عمرو بن بحر .

وتناولت رأسى لتعرف مسه بمخضب الاطراف غير مشنج

تقول العرب هودج وبنو سعد بن زيد مناة ومن وليهم يقولون فودج . وقوله فعلمت أن يمينها لم تحرج يقول لم تضق عليها يقال حرِج يحرَج اذا دخل فى ضيق والحرَجَة الشجر الملتف المتضايق ما بينه قال الله عز وجل فلا يكن فى صدرك حرج منه وقال تعالى يجعل صدره ضيقاً حَرجاً وقرئ حرِجا فمن قال حرِجا أراد التوكيد للضيق كأنه قال ضيق شديد الضيق ومن قال حرَجا جعله مصدرا مثل قولك ضَيق ضيقا وقوله ببرد ماء الحشرج فهو الماء الجارى على الحجارة

(١) قيل ان الشعر لعروة بن أذينة

١٤ وقال اعرابى وأنشدنيه أبو العالية .

ألا تسأل المكي ذا العلم ما الذى   يحل من التقبيل فى رمضان
فقال لى المكى أما لزوجة   فسبع وأما خلة فثمانى

قوله خلة يريد ذات خلة ويكون سماها بالمصدر كما قالت الخنساء . فانما هى اقبال وادبار . ويجوز أن تكون نعتتها بالمصدر لكثرته منها ويجوز أن تكون أرادت ذات اقبال وادبار فحذفت المضاف وأقامت المضاف اليه مقامه كما قال الله عز وجل ولكن البر من آمن بالله فجائز أن يكون بر من آمن بالله وجائز أن يكون لكن ذا البر من آمن بالله والمعنى يؤول الى شئ واحد . وفى هذا الشعر عيب وهو الذى يسميه النحويون العطف على عاملين وذلك انه عطف خلة على اللام الخافضة لزوجة وعطف ثمانيا على سبع ويلزم من قال هذا أن يقول مر عبد الله بزيدٍ وعمرٌو وخالدٍ ففيه هذا القبح (١) وقد قرأ بعض القراء وليس بجائز عندنا واختلافِ الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح آياتٍ فجعل آيات فى موضع نصب وخفضها لتاء الجميع فحملها على ان وعطفها بالواو وعطف اختلافا على فى (٢) ولا أرى ذا فى القرآن جائزا لانه ليس بموضع ضرورة . وأنشد سيبويه لعدى بن زيد العبادى (٣)

أكل امرئ تحسبين امرأ   ونار توقد بالليل نارا

فعطف على امرئ وعلى المنصوب الاول . وقوله أما لزوجة فهذه مفتوحة وهى التى تحتاج الى جزاء ومعناها اذا قلت أما زيد فمنطلق مهما يكن من شئ فزيد منطلق وكذلك فأما اليتيم فلا تقهر انما هى مهما يكن من شئ فلا تقهر اليتيم . وتكسر اذا كانت فى معنى أو ويلزمها التكرير تقول ضربت اما زيدا واما

---

(١) قال أبو الحسن وفيه عيب آخر وهو أن أما ليست من العطف فى شئ وقد أجرى خلة بعدها مجراها بعد حروف العطف حملا على المعنى فكأنه قال لزوجة كذا ولخلة كذا (٢) مع أن الكلام استوفى خبره قبل العطف فان أول الآية . ان فى السموات والارض لآيات للموقنين _ السباعى

(٣) الصحيح انه لابى دواد الأيادى

عمرا فمعناه ضربت زيدا أو عمرا وكذلك اما شاكرا واما كفورا وكذلك اما العذاب واما الساعة ومثلهما اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسناً وانما كررتها لأنك اذا قلت ضربت زيدا أو عمرا أو قلت اضرب زيدا أو عمرا فقد ابتدأت بذكر الأول وليس عند السامع انك تريد غير الأول ثم جئت بالشك أو بالتخيير واذا قلت ضربت اما زيدا واما عمرا أواضرب اما زيدا واما عمرا فقد وضعت كلامك بالابتداء على التخيير أو على الشك فالأولى وقعت لبنية الكلام عليها والثانية للعطف لا نك تعدل بين الأول والثانى فانما تكسر فى هذا الموضع.

وزعم سيبويه انها «ان» ضمت اليها ما فأن اضطر شاعر لحذف ما جاز له ذلك لأنه الاصل وأنشد فى مصداق ذلك (١)

لقد كذبتك نفسك فاكذبنها   فأن جزعا وان اجمال صبر

ويجوز فى غير هـذا الموضع أن تقع اما مكسورة ولـكن ما لا تكون لازمة بل تكون زائدة فى ان التى هى للجزاء كما تزاد فى سائر الكلام نحو أين تكن أكن وأينما تكن أكن وكذلك متى تأتنى آتك ومتى ما تأتنى آتك فتقول ان تأتنى آتك واما تأتنى آتك تدغم النون فى الميم لاجتماعهما فى الغنة «وسنذكر الادغام فى موضع نفرده به ان شاء الله» كما قال امرؤ القيس

فاما ترينى لا أغمض ساعة   من الليل الا ان أكب فأنعسا
فيارب مكروب كررت وراءه   وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

وفى القرآن فاما ترين من البشر أحدا. وقال واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فأنت فى زيادة ما بالخيار فى جميع حروف الجزاء الا فى حرفين فان ما لابد منها لعلة نذكرها اذا أفردنا باباً للجزاء ان شاء الله والحرفان حيثما تكن أكن كما قال الشاعر

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحاً فى غابر الازمان

والحرف الثانى اذما كما قال العباس بن مرداس.

اذا ما أتيت على الرسول فقل له   حقاً عليك اذا اطمأن المجلس

---

(١) لدريد بن الصمة الجشمي

لا يكون الجزاء فى حيث واذ الا بما

١٥ وأنشدنى أبو العالية

سل المفتى المكى هل فى تزاور ونظرة مشتاق الفؤاد جناح
فقال معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق اكباد بهن جراح(١)

١٦ وأنشدنى غيره

وما هجرتك النفس يا مىّ أنها قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أملح الناس أولعوا بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

أنها فى موضع نصب وكان التقدير لأنها فلما حذفت اللام وصل الفعل فعمل تقول جئتك أنك تحب الخير فمعناه لأنك وكذلك أتيتك أن تأمر لى بشئ أى لأن وتقديره فى النصب أنّ أن الخفيفة والفعل مصدر نحو أريد أن تقوم يافتى أى قيامك وأن الثقيلة واسمها وخبرها مصدر تقول بلغنى أنك منطلق اى انطلاقك فاذا قلت جئتك أنك تريد الخير فمعناه ارادتك الخير اى مجيئى لانك تريد الخير ارادة يافتى كما قال الشاعر (٢)

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن ذم الائيم تكرما

قوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره أى أدخره ادخارا واضافه اليه كما تقول ادخارا له وكذلك قوله تكرما انما أراد لتكرم فأخرجه مخرج أتكرم تكرما

١٧ وقال رجل من مزينة

خليلى بالبوباة عوجا فلا أرى بها منزلا الا جديب المقيد
نذق برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة فى حمامها المتوقد

---

(١) وأنشد لبعض العرب المحدثين

تلاصقنا وليس بنا فسوق ولم يرد الحرام بنا اللصوق
ولكن التباعد طال حتى توقد فى الضلوع له حريق
فلما أن أتيح لنا التلاقى تعانقنا كما اعتنق الصديق
وهل حرجا تراه أو حراما مشوق ضمه كلف مشوق

(٢) هو حاتم الطائى

قوله بالبوباة فهى المتسع من الارض وبعضهم يقول هى المومات بعينها قلبت الميم ياء لانهما من الشفة ومثل ذلك كثير يقولون ما اسمك وباسمك ويقولون ضربة لازم ولازب ويقولون هـذا ظأمى وظأبى يعنون السِلف (١) ويقولون زكبة سوء وزكمة سوء أى ولد سوء ويقولون عجم الذنب وعجب الذنب ويقولون رجل أخرم وأخرب وهذا كثير قال عمر بن أبى ربيعة

عوجا نحيى الطلل المحولا والربع من اسماء والمنزلا
بجانب البوباة لم يعده تقادم العهد بأن يؤهلا

وقوله الاجديب المقيد يقال بلد جدْب وجديب وخصب وخصيب والأصل فى النعت خصيب ومخصب وجديب ومجدب والخصب والجدب انما هما ما حل فيه وقيل خصيب وأنت تريد مخصب وجديب وأنت تريد مجدب كقولك عذاب أليم وأنت تريد مؤلم قال ذو الرمة

ونرفع من صدور شمردلات يصك وجوهها وهج أليم

ويقال رجل سميع أى مسمع قال عمرو بن معد يكرب

أمن ريحانة الداعى السميع يؤرقنى وأصحابى هجوع

وأما قوله المقيد فهو موضع التقييد وكل مصدر زيدت الميم فى أوله اذا جاوزت الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المفعول وكذلك اذا أردت اسم الزمان واسم المكان تقول أدخلت زيدا مدخلا كريماً وسرحته مسرحاً حسناً واستخرجت الشئ مستخرجاً قال جرير .

ألم تعلم مُسرَّحى القوافى فلا عيا بهن ولا اجتلابا

أى تسريحى وقال عز وجل وقل رب أنزلنى منزلا مباركا ويقال قمت مَقاما وأقمت مُقاما قال عز وجل انها ساءت مستقراً ومقاما أى موضع اقامة وقال الشاعر (٢)

وما هى الا فى ازار وعلقة مُغار ابن همام على حى خثعما

يريد زمن اغارة ابن همام . وأما قوله نذق برد نجد فذلك لأن نجدا مرتفعة

---

(١) قال أبو الحسن الجيد سَلف وما قال ليس بممتنع (٢) وهو حميد بن ثور الهلالى

تطول القصار والطوال يطلنها فمن يرها لاينسها ما تكلما

وتهامة غور منخفض فنجد باردة . ويروى عن الأصمعى انه قال هجم على شهر رمضان وأنا بمكة فخرجت الى الطائف لا صوم بها هرباً من حر مكة فلقينى اعرابى فقلت له أين تريد فقال أريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه فقلت له أما تخاف الحر فقال من الحر أفر وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خثيم فأن رجلا قال له وقد صلى ليلة حتى أصبح أتعبت نفسك فقال راحتها اطلب ان أفره العبيد أكيسهم . ونظير هذا الكلام قول روح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب ونظر اليه رجل واقفاً بباب المنصور فى الشمس فقال قد طال وقوفك فى الشمس فقال روح ليطول وقوفى فى الظل ومثله من الشعر قوله (١)

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ولم تدر أنى للمقام أطوّف (٢)

ويروى لو أقمت لسرنا وقال آخر .

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

وهذا معنى كثير حسن جميل وقال حبيب بن أوس الطائى

أآلفة النحيب كم افتراق أجد فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الأوبات الا لموقوف على ترح الوداع

(١٨) وقال رجل واعتل فى غربة فتذكر أهله

لو أن سلمى أبصرت تخددى ودقة فى عظم ساق ويدى

وبعد أهلى وجفاء عودى عضت من الوجد بأطراف اليد

قوله أبصرت تخددى يريد ماحدث فى جسمه من النحول ويقال للشيخ قد تخدد يراد قد تشنج جلده وأصل الخد ماشققته فى الارض قال الشماخ .

فقلت لهم خدوا له برما حكم بطامسة الاعلام خفاقة الآل

وقال الله عز وجل قتل أصحاب الأخدود قيل فى التفسير هؤلاء قوم خدوا أخاديد فى الارض وأشعلوا فيها نارا فحرقوا بها المؤمنين وقوله عضت من الوجد بأطراف اليد فأن الحزين والمغيظ والنادم والمتأسف يعض أطراف أصابعه جزعا

---

(١) قال أبو الحسن هو عروه بن الورد العبسى

(٢) لعل الذى خوفتنا من ورائنا سيدركه من بعدنا المتخلف

قال الله عز وجل عضوا عليكم الأنامل من الغيظ . وفي مثل ماذكرنا من تخدد لحم الشيخ يقول القائل (١)

يا من لشيخ قد تخدد لحمه   أفنى ثلاث عمائم ألوانا (٢)
سوداء حالكة وسحق مفوف   وأجد لونا بعد ذاك هجانا (٣)
قصر الليالي خطوه فتدانى   وحنون قائم صلبه فتحانى
والموت يأتي بعد ذلك كله   وكأنما يعني بذاك سوانا

قوله أفنى ثلاث عمائم ألوانا يعني أن شعره كان اسود ثم حدث فيه شيب مع السواد فذلك قوله مفوف والتفويف التنقيش وانما أخذ من الفوف وهي النكتة البيضاء التي تحدث في أظفار الاحداث وسميت بذلك لشبهها بشجرة يقال لها الفوفة وجمعها فوف والسحق الخلق يقال عنده سحق ثوب وجرد ثوب وسمل ثوب وقوله أجد أي استجد لوناً والهجان الأبيض وهي العمامة الثالثة يعني حيث شمله الشيب .

باب الحماسة والفخر

١ قال اعرابي من بني الحارث بن كعب

رعت لسلمى بوضيم وانني   قديما لآبي الضيم وابن أباة
فقد وقفتني بين شك وشبهة   وما كنت وقافا على الشبهات
فيابعل سلمى كم وكم بأذاتها   عدمتك من بعل تطيل أذاتي
بنفسي حبيب حال بابك دونه   تقطع نفسي دونه حسرات
ووالله لولا أن يساء لرعتها   بما ليس بالمأمون من فتكاتي

---

(١) ذهب الشباب فلا شباب جمانا   وكأن ما قد كان لم يك كانا
وطويت كفي ياجمان على العصا   وكفى جمان بطيها حدثانا
(٢) ألوانا صفة لثلاث على المعنى كانه قال مختلفات
(٣) صحب الزمان على اختلاف فنونه   فأراه منه كراهة وهوانا

قوله رئمت لسلمي بوضيم فانما هـذا مثل وأصله ان الناقة اذا ألقت سقبها نخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حوار فحشوه تبنا ولطخوه بشئ من سلاها ثم حشوا أنفها بخرقة فتجد لذلك كربا ويقال للخرقة التى تجعـل فى أنفها الغمامة ثم تسل تلك الخرقة من أنفها فتجد رَوحاً وترى ذلك البو تحتها وهو جلد الحوار المحشو فترأمه فان درت عليه قيل ناقة درور وترأمه تشمه ويقال فى هـذا المعنى ناقة ظئور فينتفع بلبنها ويقال ناقة رائم ورءوم اذا كانت ترأم ولدها أو بوّها فان رئمت ولم تدر عليه فتلك العلوق ولا خير عندها وأنشدونا عن ابى عمرو(١) وكان يقرأ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى على فعلى

أنى جزوا عامرا سوأى بفعلهم ... أم كيف يجزونى السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به ... رئمان أنف اذا ماضن باللبن

فقوله رئمت لسلمى بوضيم أى أقمت لها على الضيم ويقال فلان رءوم للضيم اذا كان ذليلا راضياً بالخسف .

٢ وقال اعرابى أحسبه تميمياً .

وداهية داهى بها القوم مفلق ... شديد بعوران الكلام أزومها

أصخت لها حتى اذا ما وعيتها ... رميت بأخرى يستدير أميمها

ترى القوم منها مطرقين كأنما ... تساقوا عقارا لا يبل سليمها

فلم تلقنى فها ولم تلق حجتى ... ملجلجة أبغى لهـا من يقيمها

قوله وداهية يعنى حجة داهى بها القوم مفلق يريد عجيبة والفلق اسم من اسماء الدواهى ويقال فلق فى هذا المعنى ويقال داهية فليق وجاء القوم بالفليق وهذا مشـهور كثير فى الـكلام ومنه قوله خلف الاحمر موت الامام فلقة من الفلق وأنشدنى منشد (٢) . وغرد حاديها فرين بنا فلقا .

بفتح الفاء وقوله شـديد بعوران الـكلام العوراء هى القبيحـة قال حاتم ابن عبد الله الطائى

وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر ... وذى أود قومته فتقوما

---

(١) الشعر لأفنون التغلبي (٢) اذا عرضت داوية مدلهمة

وأزومها امسا كما يقال أزم به اذا عض به فأمسكه بين ثنيتيه وفى الحديث أن أبا بكر رضى الله عنه قال فى يوم أحد فنظرت الى حلقة من درع قد نشبت فى جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكببت لأنزعها فأقسم على أبو عبيدة فأزم بها أبو عبيدة بثنيتيه فجذبها جذبا رفيقا فانتزعها وسقطت ثنيته ثم نظرت الى أخرى فأردتها فأقسم على أبو عبيدة ففعل فيها ما فعل فى الأولى وكان مشفقا من تحريكها لئلا يؤذى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو عبيدة أهتم قوله فأزم بها يقال أزم يأزم وازم يأزم وقوله أصخت لها يقول استمعت لها قال العبدى (١)

يصيخ للنبأة أسماعه اصاخة الناشد للمنشد

والاصاخة الاستماع والناشد الطالب والمنشد المعرف يقال نشدت الضالة أنشدها نشدانا اذا طلبتها وأنشدتها اذا عرفتها والنبأة الصوت قال ذو الرمة

وقد توجس ركزا مقفر ندس بنبأة الصوت مافى سمعه كذب

وقوله حتى اذا ما وعيتها يقول جمعتها فى سمعى يقال وعيت العلم وأوعيت المتاع فى الوعاء قال الله عز وجل جمع فأوعى وقال الشاعر (٢)

الخير يبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقوله رميت بأخرى يستدير أميمها يريد يستدير من الدوار ويقال فى هذا المعنى يستديم ومنه سميت الدوامة وفى الحديث كره البول فى الماء الدائم لانه كالمستدير فى موضعه قال جرير

عوى الشعراء بعضهم لبعض على فقد أصابهم انتقام
اذا أرسلت صاعقة عليهم رأوا أخرى تحرق واستداموا

وقوله أميمها يريد المأموم بها يقال أميم ومأموم كقولك قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال للشجة التى قد وصلت الى أم الدماغ وأم الدماغ جليدة رقيقة تحيط بالدماغ فاذا وصل الى تلك فالشجة آمة ومأمومة قال الشاعر

يحج مأمومة فى قعرها لجف فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

(١) وهو المثقب (٢) عبيد بن الأبرص

المغاريد صغار من الكمأة وقوله فى قعرها لجف أى تقلع يقال تلجفت البئر اذا انقلع طيها من أسفلها ولجف القوم مكيالهم اذا وسعوه من أسفله وقوله تساقوا عقارا يريد كأنهم سكارى لما نالهم من تلك الحجة والعقار اسم من أسماء الخمر وانما سميت عقارا لمعاقرتها الدّن وقوله ما يبل يقال بل وأبل من مرضه وكذلك استبل والسليم الملسوع وقيل له سليم على جهة التفؤل كما يقال للمهلكة مفازة وللغراب الاعور على الطيرة منه لصحة بصره وقوله فلم تلقنى فها يقول ضعيفا يقال فه فلان عن حجته اذا ضعف عنها ويقال رجل مفهه اذا كان عاجزا وقوله ملجلجة هو أن يرددها فى فيه وقد مضى تفسيره (١)

٣ وقال رجل يكنى ابا مخزوم من بنى نهشل بن دارم (٢)

انا بنى نهشل لاندعى لأب ... عنه ولا هو بالابناء يشرينا
ان تبتدر غاية يوما لمكرمة ... تلق السوابق منا والمصلينا
وليس يهلك منا سيد ابدا ... الا افتلينا غلاما سيدا فينا
انى لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة ألا أين المحامونا
لوكان فى الانف مناواحد فدعوا ... من فارس خالهم اياه يعنونا
ولا تراهم وان جلت رزيتهم ... مع البكاة على من مات يبكونا
انا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... ولو نسام بها فى الامن أغلينا
اذا الكماة تنحوا أن ينالهم ... حد الظبات وصلناها بايدينا
فرض على مكثرينا نيل بذلهم ... والجود والبذل فى طبع المقلينا
انى ومن كأبى يحيى وعترته ... لا نخر الا لنا أم من يوازينا

قوله انا بنى نهشل يعنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم من قال انا بنو نهشل فقد خبرك وجعل بنو خبر ان ومن قال بنى فأنما جعل الخبر ان تبتدر غاية يوما لمكرمة تلق السوابق مناوالمصلينا ونصب بنى على فعل

---

(١) بيت للشماخ فى صفة الخيل من باب التشبيه والوصف . السباعى
(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى عن أبى رياش

مضمر للاختصاص وهذا أمدح ومثله . نحن بنى ضبة أصحاب الجمل . اراد نحن أصحاب الجمل ثم ابان من يختص بهذا فقال أعنى بنى ضبة وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالة الحطب اراد وامرأته فى جيدها حبل من مسد ثم عرفها بحمالة الحطب وقوله عز وجل والمقيمين الصلاة بعد قوله لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون انما هو على هذا وهذا أبلغ فى التعريف وقد شرحناه على حقيقة الشرح فى موضعه وأكثر العرب ينشد (١)

انا بنى منقر قوم ذوو حسب　　فينا سراة بنى سعد وناديها

وقرأ بعض القراء فتباركَ الله أحسنَ الخالقين وقوله يشرينا يريد يبيعنا يقال شراه يشريه اذا باعه فهذه المعروفة قال الله عز وجل وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وقال ابن مفرغ الحميرى .

شريت بردا ولولا ماتكنفنى　　من الحوادث مافارقته أبدا (٢)

ويكون شريت فى معنى اشتريت وهو من الاضداد وأنشدنى التوزى .

اشروا لها خاتنا وابغوا لختنتها　　مواسيا أربعا فيهن تذكير (٣)

وقوله تلق السوابق منا والمصلينا فالمصلى الذى فى أثر السابق وانما سمى مصليا لانه مع صلوى السابق وهما عرقان فى الردف قال الشاعر

تركت الرمح يعمل فى صلاه　　كأن سنانه خرطوم نسر

وقوله الا افتلينا غلاما سيدا فينا . مأخوذ من قولهم فلوت الفلوّ بافتى اذا أخذته عن أمه قال الاعشى

ملمع لاعة الفؤاد الى جحـــش فلاه عنها فبئس الفالى

وأخذ هذا المعنى من قول ابى الطمحان القينى . اذا مات منهم سيد قام صاحبه . وقوله

لو كان فى الألف مناواحد فدعوا　　من فارس خالهم اياه يعنونا

مأخوذ من قول طرفة بن العبد

---

(١) هو لعمرو بن الأهتم المنقرى

(٢)　يابرد ما مسنا دهر أضر بنا　　من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

(٣) كان ابن جابر يروى لختنتها ويقول الختنت العقل

اذا القوم قالوا من فتى خلت اننى　　عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ومن قول متمم بن نويرة

اذا القوم قالوا من فتى لعظيمة　　فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

وقوله حد الظباة فالظبة الحد بعينه يقال أصابته ظبة السيف وظبة النصل وجمعه ظبات وأراد بالظبة هاهنا موضع المضرب من السيف وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك بن أبى كعب الانصارى .

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا　　قدما ونلحقها اذا لم تلحق

وقوله . انا لنرخص يوم الروع أنفسنا . أخذه من قول الهمدانى وهو الأجدع أبو مسروق بن الأجدع الفقيه .

لقد علمت نسوان همدان اننى　　لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل فى الهيجاء وجهى واننى　　له فى سوى الهيجاء غير بذول

ومن قول القتال الكلابى حيث يقول .

أنا ابن الأكرمين بنى قشير　　وأخوالى الكرام بنو كلاب

نعرض للطعان اذا التقينا　　وجوهاً لا تعرض للسباب

٤ وقال نضلة السلمى فى يوم غول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة وبأس .

ألم تسل الفوارس يوم غول　　بنضلة وهو موتور مشيح

رأوه فازدروه وهو حر　　وينفع أهله الرجل القبيح

فشد عليهم بالسيف صلتا　　كما عض الشبا الفرس الجموح

فأطلق غل صاحبه وأردى　　قتيلا منهم ونجا جريح

ولم يخشوا مصالته عليهم　　وتحت الرغوة اللبن الصريح

قوله وهو موتور مشيح فالمشيح الحامل الجاد يقال أشاح يشيح اذا حمل . وأنشدنى التوزى قال أنشدنى أبو زيد (١)

مشيح فوق شيحان　　يشد كأنه كلب

قال وشيحان اسم فرسه (٢) وقال ابن الاطنابة واسمه عمرو .

---

(١) وهو لأبى العيال الهذلى (٢) قال أبو الحسن ويروى شيحان بفتح الشين

واجشامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح

ويقال فى هذا المعنى رجل شيح كما يقال ناقة نقض اذا كانت هزيلا قال أبوذؤيب * وشايحت قبل اليوم انك شيح * وقوله بالسيف صلتا يقول منتضى ورجل صلت الجبين اذا كان نقيه وقوله كما عض الشبا يريد حد اللجام وشبا كل شيء حده وقوله وأردى أى أهلك يقال ردى يردى اذا هلك والردى الهلاك قال الله عز وجل (وما يغنى عنه ماله اذا تردى) قيل فيه قولان أحدهما اذا تردى فى النار والآخر اذا مات وهو تفعل من الردى وقوله * ولم يخشوا مصالته عليهم * فهى مفعلة من صال يصول ويقال صال البعير اذا عض وقيل للمغيرة بن شعبة ان بوابك يأذن لاصحابه قبل أصحابك فقال ان المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم وقوله * وتحت الرغوة اللبن الصريح * يقول اذا رأيت الرغوة وهو ما يرغو كالجلدة فى أعلى اللبن لم تدر ما تحتها فربما صادفت اللبن الصريح اذا كشفتها أى أنهم رأونى فازدرونى لدمامتى فلما كشفوا عنى وجدوا غير ما رأوا والصريح المحض الخالص من ذلك قولهم عربى صريح أى خالص وولى صريح ومن أمثال العرب أنه ليُسِرّ حَسواً فى ارتغاء . ومعنى ذلك أنه يوهمك أنه يأخذ بفيه تلك الجلدة عن اللبن ليصلحه لك وانما يحسو من تحتها يضرب هذا المثل لمن يريك أنه يعينك وانما يجتر النفع الى نفسه .

٥ وقال أعرابى خبرت أنه من بنى سعد وقد تمثل بهذا الشعر الخَنَوت وهو توبة بن مُضَرِّس أحد بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم فى خلاف الدمامة

ولما التقى الصفان واختلف القنا نهالا وأسباب المنايا نهالها
تبين لى أن القماءة ذلة وأن أشداء الرجال طوالها
دعوا يالسعد وانتمينا لطيء أسود الشرى اقدامها ونزالها (١)

وحقه على رواية أبى زيد ألا ينصرف لانه فعلان فالالف والنون زائدتان وهو معرفة فضارع عطشان وما جرى مجراه وانما اضطر فصرفه

(١) قال أبو الحسن أنشدنى أبو العباس محمد بن الحسن الوراق الشعر الذى فيه قوله * ولما التقى الصفان واختلف القنا * بتمامه وهو شعر مختار لرجل

قوله نهالا يريد أنها قد وردت الدم مرة ولم تثن وذلك أن الناهل الذى

من طيء ويدل على ذلك ما تسمعه فى الشعر وهو قوله .

جمعنا لهم من حى غوث ومالك ... كتائب يردى المقرفين نكالها
لهم عجز بالحزن فالرمل فاللوى ... وقد جاوزت حيي جديس رعالها
وتحت نحور الخيل حرشف رجلة ... تتاح لحبات القلوب نبالها
أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم ... بنو ناتق كانت كثيرا عيالها
فلما أتينا السفح من بطن حائل ... بحيث تناصى طلحها وسيالها
دعوا لنزار وانتمينا لطيء ... كاسد الشرى اقدامها ونزالها
فلما التقينا بين السيف فيهم ... لسائلة عنا حفى سؤالها
ولما عصينا بالرماح تضلعت ... صدور القنا منهم وعلت نهالها
ولما تدانوا بالسيوف تقطعت ... وسائل كانت قبل سلما حبالها
فولوا وأطراف الرماح عليهم ... قوادم مربوعاتها وطوالها

الكتائب جمع كتيبة سميت كتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها الى بعض يقال تكتب القوم اذا تضاموا ومنه أخذ الكتاب لانضمام حروفه ولذلك قالوا بغلة مكتوبة اذا شد حياؤها وضم ويردى يهلك يقال ردى الرجل اذا هلك والردى الهلاك والارداء الاهلاك والمقرفون الذين دخلوا فى الفساد والعيث وهو فى الاصل الهجنة يقال فرس مقرف اذا كان هجينا ثم يشيع فى الفساد. والعجز مؤخر العسكر هاهنا وهو مستعار والحزن ما خشن من الارض وغلظ واللوى مستدق الرملة حيث ينقطع يقال ألويتم فانزلوا أى صرتم الى آخر الرملة وهو اللوى وجديس قبيلة معرفة فلذلك لم يصرفها والرعال الجماعات المتفرقة واحدها رعلة والحرشف نبت يكثر فى البادية وانما شبه النبل به فى الكثرة والرجلة الرجالة وتتاح تقدر يقال أتاح الله له كذا وكذا أى قدر له والنبال جمع نبل والناتق الولود فاذا أسرفت فى ذلك وكثر ولدها جدا قيل منتاق والسفح أصل الجبل من الوادى وحائل موضع وتناصى تقابل وتقرب حتى يعلق هذا بهذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح يقال تناصى الرجلان نصاء وتناصيا اذا اقتتلا فأخذ كل واحد منهما بناصية

يشرب أول شربة فاذا شرب ثانيــة فهو عال يقال سقاه علاً بعد نهل وعللا بعد نهل وفى المثل سمته سوم عالة اذا عرضت عليه عرضا يستحي من أن يقبل معه والعالة لا حاجة بها الى الشرب وانما يعرض عليها تعزيرا قال وأسباب المنايا نهالها أى أول مايقع منها يكون سببا لما بعده وأنشدنى غير واحد

* وان أشداء الرجال طيالها * وليس هذا بالجيد وانما قلب الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم ثياب وحياض وسياط والواحد ثوب وحوض وسوط وهذا جيد لسكون الواو فى الواحد فأما فى مثـل طوال فأنما يجوز على التشبيه بهذا وليس بجيد لتحرك الواو فى الواحد وأنشدنى مسعود بن بشر المازنى

لهم أوجه بيض حسان وأذرع طيال ومن سيما الملوك نجار

ومجاز هذا فى النحو ما وصفت لك . والعرب تمدح بالطول وتضع من القصر فلا يذكره منهم الا محتج عن نفسه ولا يمدح به غيره قال عنترة .

بطل كأن ثيابه فى سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يقول لم يشارك فى الرحم وقال جرير .

تعالوا ففاتونا ففى الحكم مقنع الى الغر من أهل البطاح الأكارم
فأنى لأرضى عبدشمس وماقضت وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال حسان بن ثابت

وقد كنا نقول اذا رأينا لذى جسم يعـد وذى بيان

صاحبه والطلح والسيال ضربان من الشجر معروفان وانتمى ونمى انتسب والشرى موضع كثير السباع وانما يريد كاقدام أسد الشرى اقدامها ثم حذف لعلم السامع وعصينا جعلنا الرماح كالعصى والعلل الشرب الثانى والنهل الاول يريد انا أعـدناها الى الطعن مرة بعد أخرى وقوادم ذات اقدام فجاء به على الاصل كما قال .

يخرجن من أجواز ليـل غاض . أى مُغض فجاء به على الأصل وهو كثير . والمربوعات المعتدلة التى لم تبلغ أن تكون رمحا وهو رفع كانه قيل له ماهى فقال هى مربوعاتها وطوالها ولو خفض وجعـله بدل البعض من الـكل لـكان حسنا وكان يكون مقوى ولـكن هكذا أنشدناه مرفوعا على التقدير الذى ذكرناه

كأنها أيها المعطى بيانا   وجسما من بنى عبد المدان

ويقال ان على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان الى منكب عبد الله وكان عبد الله الى منكب العباس وكان العباس الى منكب عبد المطلب وحدثنى التوزى قال طاف على بن عبد الله بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلى قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا الذى فرع الناس فقيل على بن عبد الله بن العباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون. عهدى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض. وحدثنى على بن القاسم بن على ابن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس قال كان يقال صار شبه على بن عبد الله فى عظم الاجسام فى العايين يعنى على بن أمير المؤمنين المهدى المنسوب الى أمه ريطة وعلى بن سليمان بن على. ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة والقدوة كان فوق الربعة ولم يكن بالطويل المشذب وكان اذا مشى مع الطوال طالهم ولم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والعجم أن الكمال فى الاعتدال ولا يقال غير هذا عن حكيم وأبين مافيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد يقال الكيْس فى القصر وقد قيل فى خبر قصير وكيده ومكره ما قد صار به المثل واستغنى عن الاعادة. وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى قال حدثنى أبو عثمان المازنى قال كان اعرابى يختلف الى مغنية لآل سليمان فأشرفت عليه ذات مرة فأومأت اليه بيدها ايماء عائب له بالقصر فانشأ يقول

يا جعفر يا جعفر يا جعفر   ان أك ربعة فأنت أقصر
أو أك ذاشيب فأنت أكبر   غرك سربال عليك أحمر
ومقنع من الحرير أصفر   وتحت ذاك سوأة لو تذكر

٦ وأمر مصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد بن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدى فقال مرة فى ذلك.

بنى أسد ان تقتلونى تحاربوا   تميما اذا الحرب العوان اشمعلت
ولست وان كانت الى حبيبة   بباك على الدنيا اذا ما تولت

قوله اذا الحرب العوان فهى التى تكون بعد حرب قد كانت قبلها وكذلك

أصل العوان فى المرأة انما هى التى قد تزوجت ثم عاودت نخرجت عن حد البكر وقول الله عز وجل فى كتابه العزيز لا فارض ولا بكرهو تمام الكلام ثم استأنف فقال عوان بين ذلك والفارض ههنا المسنة والبكر الصغيرة ويقال لهاة فارض اى واسعة وفَرض القوس موضع معقد الوتر وكل حز فرض والفُرضة متطرق الى النهر قال الراجز .لهازِجاج ولهاة فارض .وقوله اشمعلت انما هو ثارت فأسرعت قال الشماخ .

رب ابن عم لسليمى مشمعلْ   أروع فى السفر وفى الحى غزلْ
طباخ ساعات الكرى زاد الكسل

وقوله ولست وان كانت الى حبيبة . بباك على الدنيا انما هو على التقديم والتأخير أراد واست بباك على الدنيا وان كانت الى حبيبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يضمر قبل الذكر ومثله

ان تلق يوما على علاته هرما   تلق السماحة منه والندى خلقا

وكذلك قول حسان بن ثابت

قد ثكلت امه من كنتُ واحده   أوكان منتشباً فى برثن الأسد

يقول من كنت واحده قد ثكلت امه وكذلك قوله .

شرَّ يوميها وأخزاه لها   ركبت هند بحدج جملا

يقول ركبت هند بحدج جملا فى شر يوميها

٧ قال أبو العباس قال السليك بن السلكة وهى أمة وكانت سوداء حبشية وكان من غربان العرب وهو السليك بن عمير السعدى .

ألا عتبت على فصارمتنى   وأعجبها ذوو اللمم الطوال
فاني يا ابنة الأقوام أربى   على فعل الوضى من الرجال
فلا تصلى بصعلوك نؤوم   اذا أمسى يعد من العيال
ولكن كل صعلوك ضروب   بنصل السيف هامات الرجال(١)
أشاب الرأس أنى كل يوم   أرى لى خالة وسط الرحال

(١) كل خبر ابتداء والتقدير همك كل

يشق على ان يلقين ضيما ويعجز عن تخلصهن مالى

قوله وأعجبها ذوو اللمم الطوال يعنى الجمم وان شئت قلت الجمام يقال جمة وجمم كقولك ظلمة وظلم ويقال جمام كقولك جُفرة وجفار (١) وبُرمة وبرام قال الشاعر.

اما ترى لمتى أودى الزمان بها وشيب الدهر أصداغي وأفوادى

وقوله على فعل الوضى من الرجال يريد الجميل وهو فعيل من وضؤ يوضؤ يافتى تقديره كرم يكرم وهو كريم ومصدره الوضاءة وكذلك قبح يقبح قباحة وسمج يسمج سماجة ويقال ما كنت وضيئا ولقد وضؤت بعدنا وقوله فلا تصلى بصعلوك يقول لا تتصلى به كمال قال ابن أحمر .

ولا تصلى بمطروق اذا ما سرى فى القوم أصبح مستكينا

اذا شرب المرضة قال أوكى على ما فى سقائك قد روينا (٢)

والصعلوك الذى لامال له قال الشاعر (٣)

كأن الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا

وقوله نؤوم يصفه بالبلادة والكسل وكانت العرب تمدح بخفة الرءوس عن النوم وتذم النومة كما قال عبد الملك لمؤدب ولده علمهم العوم وخذهم بقلة النوم وانما توجع لخالاته لانهن كن اماء . وروى عن رجل من قريش لم يسم لنا قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فقال لى يوما من اخوالك فقلت أمى فتاة فكأنى نقصت فى عينه فأمهلت حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله فلما خرج من عنده قلت يا عم من هذا فقال ياسبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمن أمه قال فتاة قال ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رحمه الله فجلس عنده ثم نهض فقلت ياعم من هذا فقال أتجهل من أهلك مثله ما أعجب هذا هذا القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قلت فمن أمه قال فتاة فأمهلت شيئا حتى جاءه على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فسلم عليه ثم نهض فقلت ياعم من هذا قال هذا الذى لا يسع مسلما ان يجهله

---

(١) الجفرة هى الحفرة العظيمة (٢) اذا صب لبن حليب على حامض فهى المرضة (٣) جابر بن ثعلبة الطائى

هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب قلت فن أمه قال فتاة قال قلت ياعم رأيتنى نقصت فى عينك لما علمت انى لأم ولد أفالى فى هؤلاء اسوة قال فجللت فى عينه جداً . وكانت أم على بن الحسين سلافة من ولد يزدجرد معروفة النسب وكانت من خيرات النساء (١) ويروى انه قيل لعلى بن الحسين رحمه الله انك من أبر الناس ولست تأكل مع أمك فى صحفة فقال اكره ان تسبق يدى الى ماقدسبقت اليه عينها فأكون قد عققتها وكان يقال له ابن الخيرتين لقول رسول الله صلى عليه وسلم لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس وكانت سلافة عمة ام يزيد الناقص او أختها .

٨ وقال رجل من ولد مروان بن الحكم بن أبى العاصى يقال له عبيد الله ابن الحر وكان شاعرا متقدما وكان لأم ولد

فان تك أمى من نساء أفاءها   جياد القنا والمرهفات الصفائح
فتبا لفضل الحر ان لم أنل به   كرائم اولاد النساء الصرائح

وانما أخذ هذا من قول عنتره .

وأنا امرؤ من خير عبس منصبا   شطرى واحمى سائرى بالمنصل(٢)

٩ وأنشد لبلال بن جرير وبلغه ان موسى بن جرير كان اذا ذكره نسبه الى أمه لأنه ابن أم ولد فيقول قال ابن أم حكيم فقال له بلال

يارب خالى لى أغر أبلجا   من آل كسرى يغتدى متوجا
ليس كخال لك يدعى عشنجا

والعشنج المتقبض الوجه السيء المنظر وكان سبب أم بلال عند جرير أن جريرا فى أول دخوله العراق دخل على الحكم بن أيوب بن أبى عقيل الثقفى وهو ابن عم الحجاج وعامله على البصرة وفى ذلك يقول جرير

أقبلن من ثهلان أو وادى خيم   على قلاص مثل خيطان السلم
اذا قطعن علما بدا علم   حتى أنخناها الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم   فى ضئضىء المجد وبحبوح الكرم

---

(١) بتحريك الياء أفصح . (٢) شطرى مبتدأ والخبر فى المجرور قبله

فكتب الحكم بعد أن فاطنه الى الحجاج وذلك فى أول سببه . انه قدم على أعرابى باقعة لم ار مثله (١) فكتب اليه الحجاج ان يحمله معه فلما دخل عليه قال له بلغنى انك ذو بديهة فقل فى هذه الجارية «لجارية قائمة على رأسه» فقال جرير مالى ان أقول فيها حتى أتأملها ومالى أن أتأمل جارية الامير فقال بلى فتأملها واسألها فقال لها ما اسمك ياجارية فأمسكت فقال لها الحجاج خبرية يالخناء فقالت أمامة فقال جرير

ودع أمامة حان منك رحيل ... ان الوداع لمن تحب قليل

مثل الكثيب تمايلت أعطافه ... فالريح تجبر متنه وتهيل

هذى القلوب صواديا تيمتها ... وأرى الشفاء وما اليه سبيل

فقال له الحجاج قد جعل الله لك السبيل اليها خذها هى لك فضرب بيده الى يدها فتمنعت عليه فقال

ان كان طبكم الدلال فأنه ... حسن دلالك يا أمام جميل (٢)

فاستضحك الحجاج وأمر بتجهيزها معه الى اليمامة . وخبرت أنها كانت من أهل الرى وكان اخوتها أحرارا فاتبعوه فاعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفا فلم يفعل ففى ذلك يقول

اذا عرضوا عشرين ألفا تعرضت ... لام حكيم حاجة هى ماهيا

لقد زدت أهل الرى عندى مودة ... وحببت أضعافا الى المواليا

فاولدها حكيما وبلالا وحزرة بنى جرير هؤلاء من أذكر من ولدها . ويقال ان الحمانى قاول بلالا ذات يوم فيما كان بينهما من الشر فقال ياابن ام حكيم فقال له بلال ماتذكر من ابنة دهقان وأخيذة رماح وعطية ملك ليست كأمك التى بالمروت تغدو على أثر ضانها كانما عقباها حافرا حمار فقال له الحمانى انا أعلم بامك انما عتب عليها الحجاج فى أمر الله أعلم به فخلف أن يدفعها الى الأم العرب فلما رأى أباك لم يشكك فيه

---

(١) يريد داهية والباقعة طائر حذر (٢) ش بنصب الطب ورفع الدلال وبالعكس برفع الطب ونصب الدلال والطب هنا المذهب والدلال الدالة

١٠ قال وأنشدت لرجل من رجاز بنى سعد

أنا ابن سعد وتوسطت العجم فانا فيما شئت من خال وعم

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ليس قوم اكيس من اولاد السرارى لأنهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم وكتب أمير المؤمنين المنصور الى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رحمهم الله لما كتب اليه محمد واعلم أنى لست من أولاد الطلقاء ولا أولاد اللعناء ولا أعرقت فىّ الاماء ولا حضنتنى أمهات الاولاد ولقد علمت أن هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدىّ الحسن والحسين يعنى ان أم على فاطمة بنت اسد بن هاشم وام الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وان امه فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم . فكتب اليه المنصور أما ماذكرت من ولادة هاشم عليا مرتين وولادة عبد المطلب الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولا عبد المطلب الا مرة واحدة وله السبق الى كل خير ولقد علمت أنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فآمن به اثنان أحدهما أبى وكفر به اثنان أحدهما أبوك وأما ما ذكرت انه لم تعرق فيك الاماء فقد فخرت على بنى هاشم طرا أولهم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على بن الحسين الذى لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مولود مثله . وهذه رسالة للمنصور طريفة مستحسنة جدا امليناها فى هذا الكتاب(١)

١١ وأنشدنى الرياشى .

ان أولاد السرارى كثروا يا رب فينا

رب أدخلنى بلاداً لا أرى فيها هجينا

والهجين عند العرب الذى أبوه شريف وأمه وضيعة والأصل فى ذلك أن تكون أمة وانما قيل هجين من أجل البياض وكأنهم قصدوا قصد الروم والصقالبة ومن

---

(١) تقدمت هذه الرسالة فى باب الرسائل بالجزء الأول . السباعى

أشبههم والدليل على أن الهجين الابيض ان العرب تقول مايخفى ذلك على الاسود والاحمر أى العربى والعجمى ويسمون الموالى وسائر العجم الحمراء وقد ذكرنا ذلك ولذلك قال زيد الخيل (١) وأيقن انناصهب السبال * أى كهؤلاء العدو من العجم وقال ابن الرقيات

ان ترينى تغير اللون منى وعلا الشيب مفرقى وقذالى
فظلال السيوف شيبن رأسى وطعانى فى الحرب صهب السبال

فقيل هجين من هاهنا واذا كانت الأم كريمة والأب خسيساً قيل له المذرّع قال الفرزدق .

اذا باهلى تحتـه حنظلية له ولد منها فذاك المذرّع

وقال الآخر .

ان المذرع لا تغنى خؤولته كالبغل يعجز عن شوط المحاضير (٢)

وانما سمى مذرعا للرقمتين فى ذراع البغل وانما صارتا فيه من ناحية الحمار قال هدبة

ورثت رقاش اللؤم عن آبائها كتوارث الحُمُرات رقم الأذرع

وقال عبد الله بن العباس فى كلام يجيب به ابن الزبير والله انه لمصلوب قريش ومتى كان عوام بن عوام يطمع فى صفية بنت عبد المطلب من أبوك يابغل فقال خالى الفرس

باب المدح والهجاء

١ قال رجل من المتقدمين وهو قيس بن عاصم المنقرى (٣)

أيا ابنة عبـد الله وابنة مالك ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
اذا ما أصبت الزاد فالتمسى له أكيلا فانى لست آكله وحدى

---

(١). وأسلم عرسه لما رآنا. (٢) جمع محضير وهو الفرس السريع (٣) بدأت المدح بهذه القطعة وان كانت فخرا لان لها اتصالا بما بعدها وكله مدح وهجاء على أن فخر الرجل بنفسه ان هو الا مدح لها ـ السباعى

قصياً كريما أو قريبا فانى   أخاف مذمات الاحاديث من بعدى
وانى لعبد الضيف ما دام ثاويا   وما من خلالى غيرها شيمة العبد

غيرها استثناء مقدم وسيأتى تفسيره وقوله قصيا كريما أو قريبا من طريف المعانى وذلك انه لم يحتج الى أن يشترط فى نسبته الكرم لانه قد ضمن ذلك واشترط فى النقصى أن يكون كريما لانه كره أن يكون مواكله غير كريم وهذا ليس من الباب الذى ذكره جرير حيث يقول فى هجائه بنى هزان

ضيفكم جائع انلم يبت غزلا   وجاركم يا بنى هزان مسروق
رأيت هزان فى أحراح نسوتها   رحب وهزان فى أخلاقها ضيق

وقال آخر من المحدثين وهو يحيى بن نوفل أنشده دعبل

كنت ضيفاً ببرمنا ياالعبد الله   والضيف حقه معلوم
فانبرى يمدح الصيام الى أن   صمت يوماما كنت فيه أصوم
ثم أنشا يستام برذونى الور   د ملحاً كما يلح الغريم (١)
ولعمرى ان ابن قيلة اذ يسـ   ـتام برذون ضيفه للئيم

وقال رجل أنشدنيه السجستانى يقوله لابن دعلج وكان ابن دعلج يتوالى بنى تميم

اذا جئت الامير فقل سلام   عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلى غريم   من الاعراب قبح من غريم
لزوم ما علمت بباب دارى   لزوم الكهف أصحاب الرقيم
له مائة على ونصف أخرى   ونصف النصف فى صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن   حبوت بها شيوخ بنى تميم (٢)

«رجع» وجاور قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد تاجر خمار فشرب شرابه وأخذ متاعه ثم أوثقه فقال أفد نفسك وقال فى ذلك

---

(١) قال الأخفش ويروى برذونى الزرد وهو الاصفر

(٢) زاد أبو الحسن .

أتونى فى العشيرة يسألونى   ولم أك فى العشيرة بالمليم

وقال أبو الحسن لم يعرف أبو العباس هذا البيت الاخير وهو صحيح

وتاجر فاجر جاء الاله به　　كأنّ عثنونه أذناب اجمال (١)

وقال النمر بن تولب

اذا كنت فى سعد وأمك منهم　　غريبا فلا يغررك خالك من سعد
فان ابن اخت القوم مصغى اناؤه　　اذا لم يزاحم خاله بأب جلد

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم على صدقات بنى سعد فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها قيس بعدُ فى بنى منقر وقال

من مبلغ عنى قريشا رسالة　　اذا ما اتتها محكمات الودائع
حبوت بما صدقت فى العام منقرا　　وأيأست منها كل اطلس طامع

٢ وجاور عروة بن مرة اخو ابى خراش الهذلى ثمالة من الازد فجلس يوما بفناء بيته آمنا لا يخاف شيئا فاستدبره رجل منهم من بنى بلاَّل بسهم فقصم صلبه ففى ذلك يقول ابو خراش

لعن الاله وجوه قوم رضع　　غدروا بعروة من بنى بَلال

وأسر خراش بن ابى خراش اسرته ثمالة فكان فيهم مقيما فدعا آسره يوما رجل منهم للمنادمة فرآى ابن ابى خراش موثقا فى القد فأمهل حتى قام الآسر لحاجة فقال المدعو لابن ابى خراش من انت قال انا ابن ابى خراش فقال كيف دليلاك قال قطاة قال فقم فاجلس ورائى والقى عليه رداءه ورجع صاحبه فلما راى ذلك اصلت بالسيف وقال اسيرى فنثل المجير كنانته وقال والله لارمينك ان رمته فانى قد أجرته فخلى عنه فجاء الى ابيه فقال له من اجارك فقال والله ما اعرفه فقال ابو خراش يمدحه وقال الرواة لا نعرف احدا مدح من لا يعرف غير ابى خراش

حمدت الهى بعد عروة اذ نجا　　خراش وبعض الشر أهون من بعض
فوالله لا أنسى قتيلا رزيته　　بجانب قوسى ما مشيت على الارض
بلى انها تعفو الكلوم وانما　　نوكل بالأدنى وان جل ما يمضى

(١) قال ذلك لأن ذنب البعير يضرب الى الصهبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية

ولم أدر من التى عليـه رداءه على انه قد سل عن ماجد محض(١)
كأنهم يسعون فى اثر طائر خفيف المشاس عظمه غير ذى نحض
يبادر جنح الميل فهو مهابذ يحث الجناح بالتبسط والقبض

قوله قبح الاله وجوه قوم رضع . فهو جماعة راضع وقوم يقولون هو توكيد للئيم كما يقولون جائع نائع وحسن بسن وعطشان نطشان وأجمع أكتع وقوم يقولون الراضع هو الذى يرتضع من الضرع لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه وتصديق ذلك ما أنشدناه أبو عثمان عمرو بن بحر لرجل من الاعراب ينسب ابن عم الى اللؤم والتوحش

أحب شئ اليه أن يكون له حلقوم واد له فى جوفه غار
لاتعرف الريح ممساه ومصبحه ولا يشب اذا أمسى له نار
لايحلب الضرع لؤما فى الاناء ولا يرى له فى نواحى الصحن آثار

وقوله كيف دليلاك فهى كثرة الدلالة والفعّيلى انما تستعمل فى الكثرة يقال القتيتى لكثرة النميمة ويقال الهجيرى لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل يقال ذكرك هجيراى أى هو الذى يجرى على لسانى وفى الحديث كان هجيرى أبى بكر الصديق رحمه الله بلا اله الا الله ويقال كان بينهم رميى لكثرة الرمى وكذلك كل ما أشبه هذا وقوله بجانب قوسى فهو بلد تحله ثمالة بالسراة وقوله بلى انها تعفو الكلوم فهى الجراح والآثار التى تشبهها قال جرير

تلقى السليطى والابطال قد كلموا وسط الرجال سليما غير مكلوم

وينشد وسط الرحال وتعفو تدرس وقوله عظمه غير ذى نحض النحض اللحم يقال يأكل نحضا ويروى الرجال محضاً وقوله فهو مهابذ يقول مجتهد وهذيل فيها سعى شديد وفى جماعة من القبائل التى تحل باكناف الحجاز

٣ ونزل اعرابى من طيئ يقال له المثنى بن معروف بأبى جبر الفزارى فسمعه يوماً يقول والله لوددت أنى أبيت الليلة خالياً بابنة عبد الملك بن مروان فقال له

---

(١) ولم يك مثلوج الفؤاد مهيجا أضاع الشباب فى الربيلة والخفض
ولكنه قد لوحتـه مخامص على انه ذو مرة صادق النهض

المثنى أحلالا أم حراما فقال ما أبالى فوثب عليـه فضرب رأسه برحالة ثم انتقل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة — على النأى انى قد وترت أبا جبر
كسرت على اليافوخ منه رحالة — لنصر أمير المؤمنين وما يدرى
على غير شئ غير انى سمعته — بنى بنساء المسلمين بلا مهر

٤ ولقى الزّبرقان بن بدر وهو قاصد بصدقات قومه الى أبى بكر الصديق رحمه الله الحطيئة فى طريقه فقال له الزبرقان من أنت فقال أنا أبو مليكة أنا حسب موضوع فقال له الزبرقان انى أريد هذا الوجـه وما لك منزل فامض الى منزلى بهذا السهم فسل عن القمر ابن القمر وكن هناك حتى أعود اليك ففعل فانزلوه وأكرموه فأقام فيهم فحسدهم عليه بنو عمهم من بنى قريع وذلك ان الزبرقان من بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وحاسدوه بنو قريع بن عوف بن كعب بن سعد ولم يكن لعوف الا قريع وعطارد وبهدلة وكان الذين حسدوه منهم بنو لأى بن شماس بن أنف الناقة بن قريع فدسوا الى الحطيئة ان تحول الينا نعطك مائة ناقة ونشـد كل طنب من أطناب بيتك بجلة بحونة قال فأنى لى بذلك قالوا انهم يريدون النجعة فاذا احتملوا فتخلف عنهم ثم دسوا الى امرأة الزبرقان من خبر بان الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج ابنته فقدح ذلك فى قلبها فلما تحمل القوم تخلف الحطيئة فاحتمله القريعيون فبنوا له ووفوا له فلما جاء الزبرقان صار اليهم فقال ردوا علىّ جارى فقالوا ليس لك بجار وقد طرحته فذلك حيث يقول الحطيئة .

وان التى نكبتها عن معاشر — على غضاب ان صددت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأى وانما — أتاهم بها الأحلام والحسب العد
فان الشقى من تعادى صدورهم — وذا الجد من لانوا اليـه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيـدا أناتها — وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقـلوا عليهم لا أبا لأبيكم — من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
أولئـك قوم ان بنوا أحسنوا البنى — وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها　　وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جل حادث　　من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
وتعذلني أفناء سعد عليهم　　وما قلت الا بالذى علمت سعد

قولهم جلة بحونة أى ضخمة يقال ذلك للناقة والنخلة اذا استفحلت وطالت وقوله نكبتها يقول عدلت بها وقوله والحسب العد معناه الجليل الكثير وأصل ذلك من الماء يقال بئر عد اذا كانت ذات مادة من العيون لا تنقطع وكل ماء ثابت فهو عد وقوله يسوسون أحلاما بعيدا أناتها يقول ثقال لا يبلغ آخرها وأصل الأناة من التأنى والانتظار فيقول لا يبلغ آخرها فتسفه وقوله أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البُنى وان شئت قلت البِنى فهما مقصوران يقال بنى بِنية وبُنية لجمع بنية بنى وجمع بنية بنى فبنية وبنى ككسرة وكسر وبنيه وبنى كظلمة وظلم فأما المصدر من بنيت فممدود يقال بنيته بناء حسناً وما أحسن بناءك وقوله وان عاهدوا أوفوا أوفى أحسن اللغتين يقال وفى وأوفى قال الشاعر فجمع اللغتين .

أما ابن بيض فقد أوفى بذمته　　كما وفى بقلاص النجم حاديها

وفى القرآن بلى من أوفى بعهده وقال الله تبارك وتعالى (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وقال عز وجل (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى من انه قتل مسلما بمعاهد (أنا أولى من أوفى بذمته) فهذا كله على أوفى وقال السموءل فى اللغة الأخرى

وفيت بأدرع الكندى انى　　اذا عاهدت أقواما وفيت

وقال المكعبر الضبي (١)

وفيت وفاء لم ير الناس مثله　　بتعشار اذ تحبو الى الأكابر

وقوله :

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها　　وان أنعموا لا كدورها ولا كدوا

يقول ما قال جرير مثله

وانى لاستحيي أخى ان أرى له　　على من الحق الذى لا يرى ليا

---

(١) قال ابو الحسن حفظى المكعبر

يقول أستحيي أن أرى نعته على ولا يرى على نفسه لى مثلها وقوله على جل حادث فهو الجليل من الأمر يقال فلان يدعى للجلى قال طرفة

* وان .أدع للجلى أ كن من حماتها

وفيهم يقول الحطيئة أيضا .

لقد مريتكم لو أن درتكم يوما يجيء بها مسحى وابساس
لما بدا لى منكم غيب أنفسكم ولم يكن لجراحى فيكم آس
أزمعت يأساً مبينا من نوالكم ولا ترى طاردا للحر كالياس
ما كان ذنب بغيض لا أبالكم فى بائس جاء يحدو آخر الناس
جار لقوم أطاروا هون منزله وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب واضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

قوله لقد مريتكم أصل المرى المسح يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر ويقال مرى الفرس والناقة اذا قام أحدهما على ثلاث ومسح الأرض بيده الأخرى قال الشاعر .

اذا حطعنها الرحل القت برأسها الى شذب العيدان أو صفنت تمرى

وهذا من أحسن أوصافها وقال بعض المحدثين يصف برذونا بحسن الأدب

واذا احتبي قربوسه بعنانه علك اللجام الى انصراف الزائر (١)

ويقال مراه مائة سوط ومائة درهم اذا أوصل ذلك اليه ولمراه موضع آخر ومعناه مراه حقه اذا دفعه عنه ومنعه منه وقد قرىء أفتمرونه على ما يرى أى تدفعونه وعلى فى موضع عن قال العامرى (٢)

اذ رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها

---

(١) البيت لمحمد بن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك يصف فرسه وقبله

عودته فيما أزور حبائبي اهماله وكذاك كل مخاطر

(٢) هو القُحَيْف العُقَيْلى

وبنو كعب بن ربيعة بن عامر يقولون رضى الله عليك واما الأبساس فان تدعو الناقة باسمها أو تلين لها الطريق الى الحلب بقول أو مسح أو ما أشبه ذلك فاذا كانت الناقة تدر على الدعاء والملق قيل ناقة بسوس وذلك من صفاتها فى حسن الخلق وقوله ولم يكن لجراحى فيكم آس يقول مداو والآسى الطبيب قال الفرزدق يصف شجّة .

اذا نظر الآسون فيها تقلبت حماليقهم من هول أنيابها العصل

والإساء الدواء ممدود قال الحطيئة

هم الآسون أم الرأس لما تواكلها الأطبة والاساء

وأما الاسى فمقصور وهو الحزن من ذلك قول الله جل ثناؤه فلا تأس على القوم الكافرين وقال العجاج

ياصاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم أعرفه وأبلسا
وانحلبت عيناه من فرط الأسى

فاذا قلت الأُسى قصرت أيضا وهو جمع أسوة يقال فلان اسوتى وقدوتى قال الله جل وعز لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والرمس التراب يقال رمس فلان فى قبره

وأشعار الحطيئة فى هذا الباب كثيرة ولولا أنها معروفة مشهورة لأتينا على آخرها ولكنانذكر منها شيئا مختارا فمن ذلك قوله

جزى الله خيرا والجزاء بكفه على خير ما يجزِى الرجال بغيضا
فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم وصادف مَنافى البلادعريضا (١)

يقول كثرت محاسنه حتى كذب ذامه فاستغنى عن أن يكثر مادحه ثقة بأن هاجيه غير مصدق فاعتبر هذا الكلام فانك تجده رأسا فى بابه

ومن ذلك قوله

---

(١) كذا وقعت الرواية مَنا والصواب منأى أى بعدا مأخوذ من نأيت اذا بعدت ومنه النأى

واني قد علقت بحبل قوم أعانهم على الحسب الثراء
اذا نزل الشتاء بجار قوم تجنب جار بيتهم الشتاء
هم الآسون أم الرأس لما تواكلها الأطبة والاساء

ثم قال يخاطب الزبرقان ورهطه

الم اك نائيا فدعوتمونى فجاء بى المواعد والدعاء
فلما كنت جاركم أبيتم وشر مواطن الحسب الأباء
ولما كنت جارهم حبونى وفيكم كان لو شئتم حباء
فلما ان مدحت القوم قلتم هجوت وهل يحل لى الهجاء
ولم أشتم لكم حسبا ولكن حدوت بحيث يستمع الحداء

وكان الحطيئة فى حبس عمر بن الخطاب رحمه الله باستدعاء الزبرقان عليه فى هذه القصة ولعمر يقول

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ حمر الحواصل لاماء ولا شجر
القيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله ياعمر
انت الامام الذى من بعد صاحبه ألقت اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها لكن بك أستأثروا اذ كانت الأثر

ويروى عن أبى زيد الأنصارى أنه قال ويروى الاثر والواحدة اثرة وأثرة ومعناه الاستئثار فرق له عمر فاخرجه فيروى أن عمر رحمه الله دعا بكرسى فجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه ودعا باشفى وشفرة يوهمه أنه على قطع لسانه حتى ضج من ذاك فكان فيما قال له الحطيئة ياأمير المؤمنين انى والله قد هجوت أبي وأمى وهجوت امرأتى وهجوت نفسى فتبسم عمر رحمه الله ثم قال فما الذى قلت قال قلت لأبى وأمى والمخاطبة للأم

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتنى وأبا بنيك فساءنى فى المجلس

وقلت لها

تنحى فاجلسى منى بعيدا أراح الله منك العالمينا

اغربالا اذا استودعت سرا　　وكانونا على المتحدثينا (١)

وقلت لامرأتى

أطوف ما أطوف ثم آوى　　الى بيت قعيدته لكاع

فقال له عمر رحمه الله فكيف هجوت نفسك فقال اطلعت فى بئر فرأيت وجهى فاستقبحته فقلت

أبت شفتاى اليوم الا تكلما　　بسوء فما أدرى لمن انا قائله

أرى لى وجها قبح الله خلقه　　فقبح من وجه وقبح حامله

ويروى أن الحطيئة واسمه جرول بن أوس ويكنى أبا مليكة مر بحسان ابن ثابت وهو ينشد

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى　　وأسيافنا يقطرن من نجدة دما (٢)

فالتفت اليه فقال كيف ترى فقال ما أرى بأسا فقال حسان انظروا الى الاعرابى يقول ما أرى بأسا أبو من قال أبو مليكه قال حسان ما كنت على أهون منك حيث اكتنيت بامرأة ما اسمك قال الحطيئة قال امض بسلام

٥ وقال رجل من بنى عبد الله بن غطفان وجاور فى طيء وهو خائف

جزى الله خيرا طيئا من عشيرة　　ومن صاحب تلقاهم كل مجمع

هم خلطونى بالنفوس ودافعوا　　ورائى بركن ذى مناكب مدفع

وقالوا تعلم ان مالك ان يصب　　نمدك وان تحبس نزرك واشفع

٦ وقال رجل من بنى سلامان بن سعد هذيم من قضاعة وجاور فى طيء

كأن الجار فى شمجى بن جرم　　له نعماء أو نسب قريب

يحاط ذماره ويذب عنه　　ويحمى سرحه أنف غضوب

ألفت مساكن الجبلين انى　　رأيت الغوث يألفها الغريب (٣)

---

(١) قوله كانونا قيل الكانون النمام وقيل الثقيل وقيل الذى اذا دخل على القوم كنوا حديثهم منه وقيل هو المصطلى وقيل انه هو كانون النار لأنه يؤذى ويحرق (٢) ش أدخله سيبويه رحمه الله على ان الجفنات من الجمع الكثير (٣) الجبلان سلمى وأجأ وهما لطيء والغوث قبيلة من طيء

٧ وأنشدني عبد الوهاب بن جنبة الغنوى لعبيد بن العرندس الكلابي يصف قوما نزل بهم

هينون لينون أيسار ذوو يسر ... سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون على العمياء ان نطقوا ... ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسرى بها الساري(١)

---

(١) قال أبو الحسن حدثنا أبو العباس احمد بن يحيي قال حدثت عن أبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي قال قصد رجل من الشعراء ثلاثة أخوة من غنى وكانوا مقلين فامتدحهم فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذودا فكان يأتي فيأخذ الذود والشعر الذى امتدحهم به قوله

يا دار بين كُليّات وأظفار ... والحمّتين سقاك الله من دار
على تقادم ماقد مر من عصر ... مع الذى مر من ريح وأمطار
عنى غنيت بذات الرمث من أجلى ... والعهد منك قديم منذ أعصار

« أراد أنى فقلب الهمز عينا »

وقد نرى بك والأيام جامعة ... بيضا عقائل من عين وأبكار
فيهن عثمة لا يعلمن عشرتها ... ولا علمن لها يوما بأسرار
اذ يحسب الناس أن قد نلت نائلها ... قدما وأنت عليها عاتب زاري
بل أيها الراكب المفنى شبيبته ... يبكي على ذات خلخال وأسوار
خبر ثناء بنى عمرو فانهم ... أولو فضول وأنفال وأخطار
هينون لينون أيسار ذوو كرم ... سواس مكرمة أبناء أيسار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا ... ولا يعد ثنا خزى ولا عار
لا يظعنون على العمياء ان ظعنوا ... ولا يمارون ان ماروا باكثار
وان تلينتهم لانوا وان شهموا ... كشفت أذمار حرب غير أغمار
ان يسألوا العرف يعطوه وان جهدوا ... فالجهد يكشف منهم طيب أخبار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسرى بها الساري

٨ قال أبو العباس وكان قوم نزلوا ببنى العنبر بن عمرو بن تميم والقوم من بنى ضبة فأغير عليهم فاستغاثوا جيرانهم فلم يغيثوهم وجعلوا يدافعونهم حتى خافوا فوتها فاستغاثوا ببنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم فركبوا فردوها عليهم فقال المكعبر الضبى فى ذلك (١)

أبلغ طريفا حيث شطت بها النوى فليس لدهر الطالبين فناء
كسالى اذا لاقيتهم غير منطق يلهى به المحروب وهو عناء
وانى لأرجوكم على بطء سعيكم كما فى بطون الحاملات رجاء
أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ولو شئت قال المخبرون اساءوا
فهلا سعيتم سعى أسرة مالك وهل كفلائى فى الوفاء سواء
كأن دنانيرا على قسماتهم وان كان قد شف الوجوه لقاء
لهم أذرع باد نواشر لحمها وبعض الرجال فى الحروب غثاء

قوله حيث شطت بها النوى معنى شطت تباعدت يقال أشط فلان فى الحكم اذا عدل عنه متباعدا قال الله تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال الأحوص

ألا يالقومى قد أشطت عواذلى ويزعمن أن أودى بحق باطلى
ويلحيننى فى اللهو ألا أحبه وللهو داع دائب غير غافل

والنوى البعد ويقال شطت بهم نية قذف أى رحلة بعيدة قال الشاعر

* وصحصحان قذف كالترس * وليس بمأخوذ من نأيت فى اللفظ ولكنه مثله فى المعنى وقوله فليس لدهر الطالبين فناء * يقول الطالب فى اثر طلبته أبدا . وروى أن رجلا من قريش بعث الى رجل منهم وكان أخذ له غلاما ياهذا ان الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرَب فاما رددته واما عرضت اسمك على الله فى كل يوم وليلة خمس مرات . ومن أمثال العرب لا ينام الا من أثأر ويقال لمن أدرك ثأرا نبيلا أصاب ثأرا منيما وأنشد

تقول لى ابنة البكرى عمرو لعلك لست بالثأر المنيم

وقوله . وانى لأرجوكم على بطء سعيكم كما فى بطون الحاملات رجاء . يقول

(١) اسمه حُرَيث بن عفوظ

هذا رجاء غير صادق ولا موقوف عليه كما أن هذه الحوامل لايعلم ما فى بطونها وليس بميئوس منه وانما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن ألا تراه يقول .

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ولو شئت قال المخبرون أساءوا

وقوله . كأن دنانيرا على قسماتهم . زعم أبو عبيدة ان القسمات مجارى الدموع واحدتها قسِمة وقال الأصمعى القسمات أعالى الوجه ولم يبينه باكثر من هذا وقول أبى عبيدة مشروح ويقال من هذا رجل قسيم ورجل مقسّم ووجه قسيم ومقسم قال الشاعر

ويوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

قوله تعطو أى تتناول يقال عطا يعطو اذا تناول وأعطيته أنا أى ناولته قال امرؤ القيس

وتعطو برَخص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك اسحِل

والسلم شجر بعينه كثير الشوك فاذا أرادوا أن يختطبوه شدوه ثم قطعوه فمن ذلك قول الحجاج والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الأبل . قال وحدثنى التوزى عن أبى زيد قال سمعت العرب تنشد هذا البيت فتنصب الظبية وترفعها وتخفضها قال أبو العباس أما رفعها فعلى الضمير يريد كأنها ظبية وهذا شرط أنّ وكأن اذا خففتا انما هو على حذف الضمير وعلى هذا قوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى . وهذا الباب قد شرحناه فى الكتاب المقتضب فى باب أن وان بجميع علله . ومن نصب فعلى غير ضمير وعملها مخففة عملها مثقلة لأنها تعمل لشبهها بالفعل فاذا خففت عملت عمل الفعل المحذوف كقولك لم يك زيد منطلقا فالفعل اذا حذف يعمل عمله تاما فيصير التقدير كأن ظبية تعطو الى وارق السلم هذه المرأة وحذف الخبر لما تقدم من ذكره . ومن قال كأن ظبية جعل أن زائدة واعمل الكاف أراد كظبية وزاد أن كما تزيدها فى قولك لما أن جاء زيد كلمته ووالله أن لو جئتنى لأعطيتك وقولهم اذرع باد نواشر لحمها فكل شئ كان على فِعال من المؤنث فجمعه أفعُل وكذلك فَعال تقول ذراع واذرع وكُراع واكرع لانهما مؤنثتان ومن أنث اللسان قال ألسن « ومن ذكره قال ألسنة »

وشمال واشمل كما قال (١) يأتى لها من أيمن وأشمل . فأما المذكر فعلى أفعلة فى أدنى العدد وفعُل فى الـكثير يقال حمار واحمرة وحمر وفراش وافرشة وفرش . والنواشر ما يظهر من العروق فى ظهر الذراع مما يدانى المعصم وذلك الموضع يقال له أسلة الذراع قال زهير .

ودار لهـا بالرقمتين كأنها   مراجع وشم فى نواشر معصم

وقوله وبعض الرجال فى الحروب غُثاء . فالغثاء ما يبس من البقل حتى يصير حطاما وينتهى فى اليُبس فيسود فيقال له غثاء وهشيم و دندِن وثِنّ على قدر اختلاف أجناسه ويقال له الدارِن قال الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وقال فأصبح هشيما تذروه الرياح وقال الشاعر يصف سحابا (٢)

اذا ماهبطن الارض قد مات عودها   بكين بها حتى يعيش هشيم

وقال الراجز تكفى الفصيل أكلة من ثِن وقد يقال للشىء الذى لاخير فيه هذا غثاء أى قد صار كذلك الذى وصفناه ويضرب هـذا مثلا للكلام الذى لا وجه له .

٩ وقال جرير . ونزل بقوم من بنى العنبر بن عمرو بن تميم فلم يقروه حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول

يا مالك بن طريف ان بيعكم   رفد القرى مفسد للدين والحسب
قالوا نبيعكه بيعاً فقلت لهم   بيعوا الموالى واستحيوا من العرب
لولا كرام طريف ماغفرت لـكم   بيعى قراى ولا انسأتكم غضبى
هل أنتم غير أوشاب زعانفة   ريش الذُّنابى وليس الرأس كالذنب

قوله يا مالك بن طريف فمن نصب فانما هو على انه جعل ابنا تابعاً لما قبله كالشىء الواحد وهو اكثر فى الـكلام اذا كان اسما علما منسوبا الى اسم علم جعل ابن مع ماقبله بمنزلة الشىء الواحد ومثل ذلك . يا حكمَ بن المنذر بن الجارود . ومن

---

(١) ابو النجم العجلى . (٢) هو ابن ميادة وقبله .

سحائب لامن صيّف ذى صواعق   ولا مخرفات ماؤهن حميم

وقف على الاسم الاول ثم جعل الثاني نعتاً لم يكن الا الرفع لانه مفرد نعت بمضاف فصار كقولك يازيد ذا الجمة وقوله ولا انسأتكم غضبي يقول لم أؤخره عنكم يقال نسأ الله فى أجلك وانسأ الله أجلك والنسيء من هذا ومعناه تأخير شهر عن شهر وكانت النسأة من بنى مُدلج بن كنانة فأنزل الله عز وجل انما النسيء زيادة فى الكفر لانهم كانوا يؤخرون الشهور فيحرمون غير الحرام ويحلون غير الحلال لما يقدرونه من حروبهم وتصرفهم فاستوت الشهور لما جاء الاسلام وأبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض . وقوله هل أنتم غير أوشاب زعانفة. فالأشابة جماعة تدخل فى قوم وليست منهم وانما هو مأخوذ من الامر الأشب اى المختلط ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسي أعرب يقال بالفارسية وقع القوم فى آشوب أى فى اختلاط ثم تصرف فقيل تأشب النبت فصنع منه فعل(١) وأما الزعانف فأصلها أجنحة السمك سمى بذلك الأدعياء لانهم التصقوا بالصميم كما التصقت تلك الاجنحة بعظام السمك قال أوس بن حجر (٢)

. قوائمه فى جانبيه زعانف. وتزعم الرواة ان ما أنفت منه جلة الموالى هذا البيت يعني قول جرير * بيعوا الموالى واستحيوا من العرب * لانه حطهم ووضعهم ورأى أن الاساءة اليهم غير محسوبة عيباً ومثل ذلك قول المنتجع لرجل من الاشراف ماعاست ولدك قال الفرائض قال ذلك علم الموالى لا أبالك علمهم الرجز فانه يهرت أشداقهم . ومن ذلك قول الشعبي ومر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو فقال : لئن أصلحتموه انكم لاول من أفسده ومن ذلك قول عنترة

فما وجدونا بالفروق أشابة ولا كُشفا ولا دعينا مواليا

ومن ذلك قول الآخر

يسمونـنا الاعراب والعرب اسمنا واسماؤهم فينا رقاب المزاود

---

(١) هذا وهم من أبي العباس ليس الاشابة ولا الاشب من الاوشاب لان فاء الفعل من الاشابة همزة ومن أوشاب واو ولكنه مثله فى المعنى ويحتمل أن يكون أصله وُشابة وأبدلت الواو المضمومة همزة (٢) ومازال يفرى الشد حتى كأنما.

يريد اسماؤهم عندنا الحمراء وقول العرب مايخفى ذلك على الاسود والاحمر تريد العربي والعجمي وقال المختار لابراهيم بن الاشتر يوم خازر (١) وهو اليوم الذى قتل فيه عبيدالله بن زياد ان عامة جندك هؤلاء الحمراء وان الحرب ان ضرستهم هربوا فاحمل العرب على متون الخيل وأرجل الحمراء أمامهم . ومن ذلك قول الاشعث بن قيس لعلى بن أبى طالب رحمه‌الله وأتاه يتخطى رقاب الناس وعلىّ على المنبر فقال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك قال فركض علىّ المنبر برجله فقال صعصعة بن صوحان العبدى مالنا ولهذا يعنى الاشعث ليقولن أمير المؤمنين اليوم فى العرب قولا لا يزال يذكر فقال علىّ من يعذرنى من هذه الضياطرة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار ويهجر قوم للذكر فيأمرنى أن اطردهم ما كنت لاطردهم فأكون من الجاهلين والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا . قوله الضياطرة واحدهم ضيطر وضيطار وهو الاحمر العضل الفاحش قال خداش بن زهير

وتركب خيل لاهوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما قال جرير لبنى العنبر هل أنتم غير أوشاب زعانفة لان النسابين يزعمون ان العنبر بن عمرو بن تميم انما هو ابن عمرو بن بهراء وأمهم أم خارجة البجلية التى يقال لها فى المثل أسرع من نكاح أم خارجة فكانت قد ولدت فى العرب فى نيف وعشرين حيا من آباء متفرقين وكان يقول لها الرجل خطب فتقول نكح كذلك قال يونس ابن حبيب فنظر بنوها الى عمرو بن تميم قد ورد بلادهم فأحسوا بأنه أراد أمهم فبادروا اليه ليمنعوه تزوجها وسبقهم لأنه كان راكبا فقال لها ان فيك لبقية فقالت ان شئت فجاءوا وقد بنى عليها ثم نقلها بعد الى بلده فتزعم الرواة انها جاءت بالعنبر معها صغيرا وأولدها عمرو بن تميم أسيدا والهجيم والقليب فخرجوا ذات يوم يستقون فقل عليهم الماء فأنزلوا مائحا من تميم فجعل المائح يملأ الدلو اذا كانت للهجيم وأسيد والقليب فاذا وردت دلو العنبر تركها تضطرب فقال العنبر

(١) كذا وقعت الرواية كما فى الاصل ووجد بخط يد أبى على البغدادى رحمه الله جازر بالجيم

قدرا بنى من دلوى اضطرابها والنأى عن بهراء واغترابها
الا تجىء ملأى يجىء قرابها

فهذا قول النسابين . ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لعائشة رحمها الله وقد كانت نذرت ان تعتق قوما من ولد اسماعيل فسبي قوم من بنى العنبر فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سرك ان تعتقى الصميم من ولد اسماعيل فأعتقى من هؤلاء فقال النسابون فبهراء من قضاعة وقد قيل قضاعة من بنى معد فقد رجعوا الى اسماعيل ومن زعم ان قضاعة من بنى مالك بن حمير وهو الحق قال فالنسب الصحيح فى قحطان الرجوع الى اسماعيل وهو الحق وقول المبرزين من العلماء انما العرب المتقدمة من أولاد عابر ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيذار بن اسماعيل صلوات الله عليه فقد رجعوا الى اسماعيل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من خزاعة وقيل من الانصار ارموا يا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا .

١٠ وقال يحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم بن الاسود النخعى وكان العريان تزوج زباد من ولدها نىء بن قبيصة الشيبانى وكانت عند الوليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان وكان ابن نوفل له هجاء فقال

أعريان ما يدرى امرؤ سيل عنكم أمن مذحج تدعون أم من أياد
فان قلتم من مذحج ان مذحجا لبيض الوجوه غير جد جعاد
وانتم صغار الهام خدل كانما وجوهكم مطلية بمداد
فان قلتم الحى اليمانون أصلنا وناصرنا فى كل يوم جلاد
فأطول باير من معد وزوة نزت باياد خلف دار مراد
لعمر بنى شيبان اذ ينكحونه زباد لقد ما قصروا بزباد
أبعد الوليد أنكحوا عبد مذحج كمنزية عيرا خلاف جواد
وأنكحها لا فى كفاء ولا غنى زياد أضل الله سعى زياد

قوله من مذحج تدعون ام من أياد فبنو مذحج بنو مالك بن زيد بن عريب

ابن زيد بن كهلان بن سبابن يشجب بن يعرب بن قحطان واياد ابن نزار بن معد ابن عدنان ويقال ان النخع وثقيفا اخوان من اياد فأما ثقيف فهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر فهذا قول قوم فأما آخرون فيزعمون ان ثقيفا من بقايا ثمود ونسبهم غامض على شرفهم فى اخلاقهم وكثرة منا كحهم قريشا وقد قال الحجاج على المنبر تزعمون انا من بقايا ثمود والله عز وجل يقول وثمود فما أبقى وقال يوما لابى العسوس الطائى (١) أى أقدم انزول ثقيف الطائف أم نزول طيء الجبلين فقال أبو العسوس ان كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيء الجبلين قبلها وان كانت من ثمود فهى اقدم فقال الحجاج يا أبا العسوس اتقنى فانى سريع الخطفة للاحمق المتهوك فقال أبو العسوس

يؤدبنى الحجاج تأديب أهله فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا

وانى لاخشى ضربة ثقفية يقد بها ممن عصاه المقلدا

على انى ممـا أحاذر آمن اذا قيل يوما قدعتا المرء واعتدى

وقد كان المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة صار الى دير هند بنت النعمان ابن المنذر وهى فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب فقالت قولوا له أمن ولد جبلة بن الايهم أنت قال لا قالت افمن ولد المنذر بن ماء السماء قال لا قالت فمن أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفى قالت فما حاجتك قال جئتك خاطبا قالت لو كنت جئتنى لجمال أو لمال لاطلبتك ولـكنـك أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر والا فأى خير فى اجتماع أعور وعمياء قال فبعث اليها كيف كان أمركم فقالت سأختصر لك الجواب أمسينا مساء وليس فى الارض عربى الا وهو يرغب الينا ويرهبنا ثم أصبحنا وليس فى الأرض عربى الا ونحن نرغب اليه ونرهبه قال فما كان أبوك يقول فى ثقيف قالت اختصم اليه رجلان منهم أحدهما ينميها الى أياد والآخر الى بكر بن هوازان فقضى بها للايادى وقال

---

(١) رواية عاصم رحمه الله العَسوس والعَسوس وفى رواية ش كما فى دخل الـكتاب .

ان ثقيفا لم تكن هوازنا ولم تناسب عامرا ومازنا

يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور فقال المغيرة أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء وقالت أخت الاشتر وهو مالك بن الحارث النخعى تبكيه وهذا الشعر رواه أبو اليقظان وكان متعصبا

أبعد الاشتر النخعى نرجو مكاثرة ونقطع بطن واد
ونصحب مذحجا باخاء صدق وان ننسب فنحن ذرا اياد
ثقيف عمنا وأبو أبينا واخوتنا نزار أولو السداد

وقوله وأنتم صغار الهام حدل فالاحدل المائل العنق يقال قوس حدلاء اذا اعوجت سيتها قال الراجز

لها متاع ولهاة فارض حدلاء كالزق نحاه الماخض (١)

وقوله لقدما قصروا ما زائدة مثل قوله تعالى « مما خطيئاتهم أغرقوا » ولو قال لقدماً قصروا لم يكن جيدا ودخل الوليد فى الذم . وقوله كمنزية عير خلاف جواد يقول بعد جواد قال الله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقوله لافى كفاء يقال هو كُفؤك وكَفؤك وكفيئك وكِفاؤك اذا كان عديلك فى شرف او ما أشبهه كما قال الفرزدق .

* وتنكح فى اكفائها الحبطات * (٢) وقال الله عز وجل . ولم يكن له كفوا احد. وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لأمنعن النساء الامن الأكفاء . وتحدث

---

(١) كذا وقعت الرواية لها والصواب له لانه يعنى الفحل من الابل لان الشقشقة لا تكون للانثى قاله ش . (٢) أول هذا البيت

* بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع * وآل مسمع بيت بكر بن وائل والحبطات بنو الحارث بن عمرو بن تميم وانما قال هذا الفرزدق حين بلغه ان رجلا من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم بن مالك فأجابه رجل من الحبطات

أما كان عباد كفيئا لدارم بلى ولابيات بها الحجرات

يعنى بنى هاشم وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع .

اصحابنا عن الأصمعي عن اسحاق بن عيسى قال قلت لأمير المؤمنين الرشيد او المهدى يا أمير المؤمنين من اكفاؤنا قال أعداؤنا يعنى بنى أمية. وزياد الذى ذكر كان أخاها واما قوله زباد يافتى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه .

اعلم انه لا يبنى شئ من هذا الباب على الكسر الا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته وهو فى المؤنث بمنزلة فعل نحو عمر وقثم فى المذكر وفُعل معدول فى حال المعرفة عن فاعل وكان فاعل ينصرف فلما عدل عنه فُعل لم ينصرف وفعال معدول عن فاعلة وفاعلة لا ينصرف فى المعرفة فعدل الى البناء لأنه ليس بعد مالا ينصرف الا المبنى وبنى على الكسر لأن فى فاعلة علامة التأنيث وكان أصل هذا أن يكون اذا أردت به الامر ساكنا كالمجزوم من الفعل الذى هو فى معناه فكسرته لالتقاء الساكنين مع ماذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم يخل من العلامة تقول للمرأة انت فعلت فالكسر علامة التأنيث وكذلك انك ذاهبة وضربتك يا امرأة . فما لا يكون الا معرفة مكسورا ما كان اسما للفعل نحو نزال يافتى ومعناه انزل وكذلك تراك زيدا اى اتركه فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان يدلك على التأنيث القياس الذى ذكرنا وقال الشاعر تصديقا لذلك

ولنعم حشو الدرع أنت اذا دعيت نزال ولج فى الذعر

فقال دعيت لما ذكرت لك من التأنيث وقال الآخر وهو زيد الخيل

وقد علمت سلامة ان سيفى كريه كلما دعيت نزال

وقال الشاعر .

تراكها من ابل تراكها أماترى الموت لدى اوراكها

اى اتركها وقال آخر (١) * حذار من أرماحنا حذار * وقال آخر (٢) * نظار كى اركبه نظار * فهذا باب من الاربعة . ومنها ان يكون صفة غالبة تحل محل الاسم نحو قولهم للضبع جعار يافتى وللمنية حلاق يافتى لأنها حالقة والدليل على التأنيث بعد ماذكرنا قوله

---

(١) هو رؤبة (٢) هو ابو النجم

لحقت حلاق بهم على اكسائهم   ضرب الرقاب ولايهم المغنم

وتقول فى النداء يافساق ويا خباث ويالكاع تريد يافاسقة وياخبيثة ويالكعاء لانه فى النداء فى موضع معرفة كما تقول للرجل يافسق وياخبث ويالكع فهذا باب ثان . (١) ومن ذلك ما عدل عن المصدر نحو قوله (٢)

جماد لها جماد ولا تقولى   طوال الدهر ماذكرت حماد

وقال النابغة الذبيانى

انا اقتسمنا خطتينا بيننا   فحملت برة واحتملت فجار

يريد قولى لها جمودا ولا تقولى لها حمدا هذا المعنى ولكنه عدل مؤنثا وهذا باب ثالث (٣) والباب الرابع ان تسمى امرأة أو شيئا مؤنثا باسم تصوغه على هذا المثال نحو رقاش وحذام وقطام وما أشبهه فهذا مؤنث معدول عن راقشة وحاذمة وقاطمة اذا سميت به وأهل الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرت لانه معدول فى الاصل وسمى به فنقل الى مؤنث كالباب الذى كان قبله فلم يغيروه فعلى ذلك قالوا اسق رقاش انها سقاية وقال آخر

اذا قالت حذام فصدقوها   فان القول ما قالت حذام

وينشدون * وأقفر من سلمى شراء فيذبل * (٤) وأما بنو تميم فاذا أزالوه عن النعت فسموا به صرفوه فى النكرة ولم يصرفوه فى المعرفة وسيبويه يختار هذا القول ولا يرد القول الآخر فيقول هذه رقاشُ قد جاءت وهذه غلابُ قد جاءت وهذه غلابٌ اخرى ولا اختلاف بين العرب فى صرفه اذا كان نكرة وفى اعرابه فى المعرفة وصرفه فى النكرة اذا كان اسما لمذكر نحو رجل تسميه نزال

---

(١) حكي ابن السراج عن ابى عبيدة فرس لكع للمذكر ولكعة للمؤنث

(٢) هو المتلمس يذم الخمر . (٣) برة اسم علم لجميع البر وفجار لجميع الفجور لابن جنى وتخصيصه برة بحملت وفجار باحتملت مثل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فكسب للخير واكتسب للشر (٤) كذا وقع والصحيح فقد اقفرت سلمى شراء فيذبل لان قبله . تابد من اطلال جمرة مأسل . والشعر للنمر بن تولب

أو رقاش أو حلاق فهو بمنزلة رجل سميته بعناق أو أتان لأن التأنيث قد ذهب عنه فاحتج سيبويه فى تصحيح هذا القول بأنك لو سميت شيئا بالفعل الذى هو مأخوذ منه لاعربته نحو انزل واضرب لو سميت بهما رجلا لجرى مجرى أصبع وأحمد واثمد ونحو ذلك فهذا يحيط بجميع هذا الباب .

١١ وتزوج يحيى بن أبى حفصة وهو جد مروان الشاعر ويزعم النسابون ان أباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان وكان يحيى من أجود الناس وكان ذا يسار فتزوج خولة بنت مقاتل بن طلبة (١) بن قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ابن سنان بن خالد بن منقر ومهرها خرقا ففى ذلك يقول القلاخ بن حزن

لم أر أثوابا أجر لخزية ... وألأم مكسوا وألأم كاسيا
من الخرق اللاتى صببن عليكم ... بحجر فكن المبقيات البواليا

فقال يحيى بن أبى حفصة يجيبه

تجاوزت حزنا رغبة عن بناته ... وأدركت قيسا ثانيا من عنانيا

يقال ذلك للسابق اذا تقدم تقدما بينا فبلغ الغاية فمن شأنه ان يثنى عنانه ينظر الى الخيل قال الشاعر

فمن يفخر بمثل أبى وجدى ... يجئ قبل السوابق وهو ثانى

يريد ثانى عنانه . وقال القلاخ فى هذه القصة أيضا

نبئت خولة قالت حين أنكحها ... لطالما كنت منك العار أنتظر
أنكحت عبدين ترجو فضل مالهما ... فى فيك مما رجوت الترب والحجر
لله در جياد أنت سائسها ... برذنتها وبها التحجيل والغرر

وقال جرير يعيرهم

رأيت مقاتل الطلبات حلى ... فروج بناته كمر الموالى
لقد أنكحتم عبدا لعبد ... من الصهب المشوهة السبال
فلا تفخر بقيس ان قيسا ... خرتم فوق أعظمه البوالى

١٢ ولما زوج ابراهيم بن النعمان بن بشير الانصارى يحيى بن أبى حفصة

---

(١) الرواية المشهورة باسكان اللام وتسامح ابن سراج فى فتحها

مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين الف درهم قال قائل يعيره

لعمرى لقد جللت نفسك خزية وخالفت فعل الأكثرين الأكارم
ولو كان جداك اللذان تتابعا ببدر لما راما صنيع الألائم

فقال ابراهيم بن النعمان يرد عليه

ما تركت عشرون الفاً لقائل مقالا فلا تحفل ملامة لائم
وان أك قد زوجت مولى فقد مضت به سنة قبلى وحب الدراهم

١٣ قال أبو العباس وقالت امرأة أحسبها من بنى عامر بن صعصعة زوجت في طيئ .

لا تحمدن الدهر أخت أخالها ولا ترثين الدهر بنت لوالد
هم جعلوها حيث ليست بحرة وهم طرحوها فى الأقاصى الاباعد

ويروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت انما النكاح رق فلينظر امرؤ من يُرق كريمته وعلى هذا جاءت اللغة فقالوا كنا فى املاك فلان وفى مِلك فلان وفى مَلك فلان وفى مَلكة فلان وفى مِلكان فلان ويقول الرجل ملكت المرأة واملكنيها وليها ومن ذلك أن يمين الطلاق اذا وقع فيها حنث انما يكون محلها محل الاقرار بترك ما كان يملكه كالعتاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالنساء فانهن عندكم عوان أى أسيرات ويقال عَنِىَ فلان فى بنى فلان اذا أقام فيهم أسيرا ويقال فلان يفك العناة وأصل التعنية التذليل وأصل الاسار الوثاق ويقال للقتب مأسور اذا شد بالقد هذا أصل هذا فأما المثل فى قولهم انما فلان غل قمل فانهم كانوا يتخذون الأغلال من القد فكانت تقمل

١٤ وقال رجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء

لقد فرح الواشون أن نال ثعلب شبيهة ظبي مقلتاها وجيدها
أضربها فقد الولى فأصبحت بكف لئيم الوالدين يقودها

١٥ وقال آخر فى مثل هذه القصة .

ألا يا عباد الله قلبي متيم بأحسن من صلى وأقبحهم بعلا
يدب على احشائها كل ليلة دبيب القرنبى بات يقرو نقاسهلا

القرنبى دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر وربما كان فى ظهرها نقطة حمراء وفى قوائمها طول على الخنفس وهى ضعيفة المشى قال الفرزدق يعنى عطية أبا جرير .

قرنبى يحك قفا مقرف لئيم مآثره قعدد (١)

١٦ قال أبو العباس وفى هذا الشعر يقول الفرزدق .

ألم تر أنا بنى دارم زرارة منا أبو معبد
ومنا الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم توأد
ألسنا بأصحاب يوم النسار وأصحاب ألوية المربد (٢)
ألسنا الذى تميم بهم تسامى وتفخر فى المشهد
وناجية الخير والاقرعان وقبر بكاظمة المورد
اذا ما أتى قبره عائذ أناخ على القبر بالأسعد
أيطلب مجد بنى دارم عطية كالجعل الأسود
قرنبى يحك قفا مقرف لئيم مآثره قعدد
ومجد بنى دارم دونه مكانُ السماكين والفرقد (٣)

قوله الم تر أنا بنى دارم منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره وزرارة الذى ذكر هو زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم وكان زرارة يكنى أبا معبد وكان له بنون معبد ولقيط وحاجب وعلقمة والمأموم ويزعم قوم أن المأموم هو علقمة ومنهم شيبان بن زرارة وابنه يزيد بن شيبان النسابة وكان حاجب أذكر القوم ورووا أن عبد الملك ذكر يوما بنى دارم فقال أحد جلسائه يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون فقال عبد الملك أتقول ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولم يخلف عقبا ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولم يخلف عقبا ومضى محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة ولم يخلف عقبا والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا . وكان لقيط بن زرارة قتل يوم جبلة

---

(١) ألف قرنبى ألف الحاق وليست للتأنيث والقعدد الائيم وجمعه قعادد

(٢) النسار جبل تألفه النسور كثيرا فلذلك سمى بهذا الاسم (٣) الرفع فى مكان أقوى وهو الوجه الجيد فى العربية

وأسر حاجب ففودى فزعم أبو عبيدة انه لم يكن عكاظى أغلى فداء من حاجب وكان آسره زهدم العبسى (١) فلحقه ذو الرقيبة القشيرى و بنو عبس يومئذ نازلة فى بنى عامر بن صعصعة فأخذه ذو الرقيبة بعزه وأنه فى محل قومه فقال حاجب لما تنازعنى الرجلان خفت أن اقتل بينهما فقلت حكمانى فى نفسى ففعلا فحكمت بسلاحى وركابى لزهدم و بنفسى لذى الرقيبة وكان حاجب يكنى أبا عكرشة وكان أحلم قومه وفى ذى الرقيبة يقول الشاعر (٢)

ولقد رأيت القائلين وفعلهم فلذى الرقيبة مالك فضل
كفاه متلفة ومخلفة وعطاؤه متدفق جزل

ففدى حاجب وقتل فى ذلك اليوم لقيط وأسر عمرو بن عمرو بن عدس فلذلك يقول جرير يعير الفرزدق لأن الفرزدق من بنى مجاشع بن دارم وقد مضى ذكر هذا فى الكتاب ولجرير فى قيس خؤولة فلما هجا الفرزدق قيسا فى أمر قتيبة بن مسلم الباهلى بقوله

أتانى وأهلى بالمدينة وقعة لآل تميم أقعدت كل قائم
كأن رءوس الناس اذا سمعوا بها مشدخة هاماتها بالأمائم (٣)
وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم غير حز الحلاقم
أتغضب أن أذنا قتيبة حزتا جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم
وما منهما الا نقلنا دماغه الى الشام فوق الشاحجات الرواسم
تذبذب فى المخلاة تحت بطونها محذفة الأذناب جلح المقادم
وما أنت من قيس فتنبح دونها ولا من تميم فى الرءوس الأعاظم
تخوفنا أيام قيس ولم ندع لعيلان أنفا مستقيم الخياشم
لقد شهدت قيس فما كان نصرها قتيبة الا عضها بالأباهم

قال جرير يجيبه

أباهل ما أحببت قتل ابن مسلم ولا أن تروعوا قومكم بالمظالم

---

(١) أخو كردم (٢) هو المسيب ابن علس واسمه زهير ويكنى أبا الفضة
(٣) حجارة تشدخ بها الرؤس الواحدة أميمة

ثم قال يخوفه

تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا ... لقومك يوما مثل يوم الاراقم
كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا ... وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم
ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا ... وشدات قيس يوم دير الجماجم
فيوم الصفا كنتم عبيدا لعامر ... وبالحنو اصبحتم عبيد اللهازم
اذا عدت الايام اخزين دارما ... وتخزيك يا ابن القين أيام دارم

وقوله ومنا الذى منع الوائدات فانه يعنى جده صعصعة بن ناجية بن عقال وكانت العرب فى الجاهلية تئد البنات ولم يكن هذا فى جميعها انما كان فى تميم بن مر ثم استفاض فى جيرانهم فهذا قول واحد وقال قوم آخرون بل كان فى تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف . وقال بعض الرواة اشدد وطدتك والمعنى قريب يرجع الى الثقل قال فاجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم فكانوا يسمونه العلهز ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ودل على ما من اجله قتلوا البنات فقال ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وقال ولا يقتلن أولادهن فهذا خبر بين ان ذلك للحاجة وقد روى بعضهم أنهم انما فعلوا ذلك أنفة وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن تميما منعت النعمان الأتاوة وهى الاديان فوجه اليهم أخاه الريان بن المنذر وكانت للنعمان خمس كتائب احداها الوضائع وهم قوم من الفرس كان كسرى يضعهم عنده عدة ومددا فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم فاذا كان فى رأس الحول ردهم الى أهليهم وبعث بمثلهم وكتيبة يقال لها الشهباء وهى أهل بيت الملك وكانوا بيض الوجوه يسمون الأشاهب وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائع وهم صنائع الملك اكثرهم من بكر بن وائل وكتيبة رابعة يقال لها الرهائن وهم قوم كان يأخذهم من كل قبيلة فيكونون رهناً عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم . والخامسة دوسر وهى كتيبة ثقيلة تجمع فرساناً وشجعاناً من كل قبيلة فأغزاهم أخاه وجل من معه بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارى وفى ذلك يقول ابو المشمرج اليشكرى

لما رأوا راية النعمان مقبلة | قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن
ياليت أم تميم لم تكن عرفت | مرا وكانت كمن أودى به الزمن
ان تقتلونا فأعيار مجدعة | أو تنعموا فقديما منكم المنن
منهم زهير وعتاب ومحتضر | وابنا لقيط وأودى فى الوغى قطن

ويقول النعمان فى جواب هذا .

لله بكر غداة الروع لو بهم | أرمى ذرا حضن زالت بهم حضن
اذ لا أرى أحدا فى الناس أشبههم | الا فوارس خامت عنهم اليمن

وهذا خبر طويل قال فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقيا فقال .

ما كان ضر تميما لو تغمدها | من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فأناب القوم وسألوه النساء فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اختارت أباها الا ابنة انفيس بن عاصم فانها اختارت صاحبها عمرو بن المُشَمْرَج فنذر قيس ألا تولد له ابنة الا قتلها فهذا شيء يعتل به من وأد ويقول فعلناه انفة وقد اكذب ذلك بما أنزل الله تعالى فى القرآن وقال ابن عباس رحمه الله فى تأويل هذه الآية كانوا لا يورثون ولا يتخذون الا من طاعن بالرمح ومنع الحريم « يريد الذكران » وروت الرواة ان صعصعة بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال يارسول الله انى كنت أعمل عملا فى الجاهلية افينفعنى ذلك اليوم قال وما عملك قال أضللت ناقتين عشراوين فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فرفع لى بيت حريد فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عن الناقتين فقال ما نارهما قلت ميسم بنى دارم فقال هما عندى وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مضر فجلست معه لتخرجا الى فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما وضعت فان كان سقبا شاركنا فى أموالنا وان كانت حائلا وأدناها فقالت العجوز وضعت أنثى فقلت أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قال قلت انما أشترى منك حياتها ولا أشترى رقها قال فبكم قلت احتكم قال بالناقتين والجمل قال قلت ذاك لك على ان يبلغنى الجمل واياها قال ففعل فآمنت بك يا رسول الله وقد صارت لى سنة فى العرب على ان اشترى

كل موءودة بناقتين عشراوين وجمل فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لأنك لم تبتغ به وجه الله وان تعمل فى اسلامك عملا صالحا تثب عليه . وكان ابن عباس يقرأ واذا الموءودة سألت بأى ذنب قتلت وقال أهل المعرفة فى قول الله عز وجل واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت انما تسأل تبكيتاً لمن فعل ذلك بها كما قال الله تعالى ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقولهم وئدت انما هو اثقلت بالتراب يقال للرجل اتئد أى تثبت وتثقل كما يقال توقَّر . قال قصير صاحب جذيمة (١)

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا (٢)

وقوله . وقبر بكاظمة المورد . اذا ما أتى قبره عائذ * أناخ على القبر بالاسعد . فانه يعنى قبر أبيه غالب بن صعصعة بن ناجية وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه وكان أبوه جوادا شريفا . ودخل الفرزدق البصرة فى امرة زياد فباع ابلا كثيرة وجعل يصُر أثمانها فقال له رجل انك لتصر أثمانها ولو كان غالب بن صعصعة ما صرها ففتح الفرزدق تلك الصرر ونثر المال وبلغ الخبر زيادا فطلبه فهرب الفرزدق وله فى هربه واستجارته بسعيد بن العاصى بالمدينة حديث طويل نذكره ان شاء الله . فمن استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنى جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يسميها ويسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسباً ولكن قال فى كلمته التى يهجو فيها بنى جعفر بن كلاب .

عجوز تصلى الخمس عاذت بغالب فلا والذى عاذت به لا أضيرها

ومن ذلك أن الحجاج لما ولى تميم بن زيد القينى السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت انى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال لها وما شأنك فقالت ان تميم بن زيد خرج بابن لى معه ولا قرة لعينى ولا كاسب لى غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خُنَيس فكتب

---

(١) هذا وهم من أبى العباس وانما هو للزباء (٢). أم صرفانا باردا شديدا .

الى تميم بن زيد مع بعض من شخص

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى بظهر فلا يعيا علىّ جوابها
وهب لى خنيسا واحتسب فيه منة لعبرة أم ما يسوغ شرابها
أتتنى فعاذت يا تميم بغالب وبالحفرة السافى عليها ترابها
وقد علم الأقوام أنك ماجد وليث اذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم فقال أحبيش أم خنيس ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا فأصيب ستة ما بين حبيش وخنيس فوجه بهم اليه . ومنهم مكاتب لبنى منقر ظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال انى قد قلت شعرا فقال هاته فقال

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعد ما خشيت الردى أو أن أرد على قسر
بقبر امرئ تقرى المئين عظامه ولم يك الا غالبا ميت يقرى (١)
فقال لى استقدم امامك انما فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق ما اسمك قال لهذم فقال يا لهذم حكمك مسمطا قال ناقة كوماء سوداء الحدقة فقال ياجارية اطرحى الينا حبلا ثم قال يالهذم اخرج بنا الى المربد فألقه فى عنق ماشئت فتخير العبد على عينه ثم رمى بالحبل فى عنق ناقة وجاء صاحبها فقال له الفرزدق اغد على فى ثمنها فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتى اذا نفذ بها من البيوت الى الصحراء صاح به الفرزدق يالهذم قبح الله أخسرنا

« رجع الى تفسير ما ورد فى غضون الشرح »

قول الفرزدق . كأن رءوس الناس اذ سمعوا بها * مشدخة هاماتها بالأمائم . فان الشجاج مختلفة الاحكام فاذا كانت الشجة شقيقا يدمى فهى الدامية واذا أخذت من اللحم شيئا فهى الباضعة واذا أمعنت فى اللحم فهى المتلاحمة فاذا هشمت العظم فهى الهاشمة واذا كان بينها وبين العظم جليدة رقيقة فهى السمحاق ومن أجل

---

(١) قوله تقرى المئين عظامه . يريد انهم كانوا ينحرون الأبل عند قبور عظمائهم فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات وهذا معروف فى أشعارهم

تلك الجليدة يقال . ماعلى ثرب الشاة من الشحم الا سماحيق أى طرائق فاذا خرجت منها عظام صغار فهى المنقلة وانما أخذ ذلك من النقل وهى الحجارة الصغار فاذا أوضحت عن العظم فهى الموضحة فاذا خرقت العظم وبلغت أم الدماغ وهى جليدة قد ألبست الدماغ فهى الآمة وبعض العرب يسميها المأمومة واشتقاق ذلك افضاؤها الى أم الدماغ ولا غاية بعدها قال الشاعر

يحج مأمومة فى قعرها لجف فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

وقال ابن غلفاء الهجيمى يرد على يزيد بن عمرو بن الصعق فى هجائه بنى تميم

فانك من هجاء بنى تميم كمزداد الغرام الى الغرام
هم تركوك أسلح من حبارى رأت صقرا وأشرد من نعام
وهم ضربوك أم الرأس حتى بدت أم الشئون من العظام
اذا يأسونها جشأت اليهم شرنبثة القوائم أم هام (١)

وقوله لقتل ابن خازم فهو عبد الله بن خازم السلمى وهو أحد غربان العرب فى الاسلام وكان من أشجع الناس وقتله بنو تميم بخراسان وكان الذى تولى قتله منهم وكيع بن الدورقية القريعي . وقوله فوق الشاحجات الرواسم يعنى البغال والرسيم ضرب من السير وانما عنى ها هنا بغال البريد لقوله محذفة الأذناب جلح المقادم . كما قال أمرء القيس .

على كل مقصوص الذنابى معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وكانت برد ملوك العرب فى الجاهلية الخيل

أما قول جرير الجونين فقد مضى ذكرهما (٢) وقوله يوم دير الجماجم يريد الحجاج فى وقعته بدير الجماجم بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى وقوله وبالحنو أصبحتم عبيد اللهازم فاللهازم بنو قيس بن ثعلبة وبنو ذهل بن ثعلبة وبنو تيم اللات بن ثعلبة وبنو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وبنو مازن بن صعب بن على ثم تلهزمت حنيفة بن لجيم فصارت معهم أما علقمة ابن زرارة فانه قتلته بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقتل به حاجب أخوه أشيم بن

---

(١) يريد غليظة القوائم (٢) كما مر مقتل لقيط واسر عمرو وافتداء حاجب. السباعى

شراحيل القيسى وقال فى ذلك

فان قتلوا منا كريما فاننا أبأنا به مأوى الصعاليك أشيما

قتلنا به خير الضبيعات كلها ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

وكان يقال لأشيم مأوى الصعاليك . وضبيعة أضجم الذى ذكر هو ضبيعة بن ربيعة بن نزار رهط المتلمس هذا لقبهم وأما معبد بن زرارة فان قيسا أسرته يوم رحرحان فساروا به الى الحجاز فأتى لقيط فى بعض الأشهر الحرم ليفديه فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط ان أبانا أمرنا ألا نزيد على المائتين فتطمع فينا ذؤبان العرب فقال معبد يأخى افدنى بمالى فانى ميت فأبى لقيط وأبى معبد أن يأكل أو يشرب فكانوا يشحون فاه ويصبون فيه الطعام والشراب لئلا يهلك فيذهب فداؤه فلم يزل كذلك حتى مات فقال جرير يعير الفرزدق وقومه بذلك

تركتم بوادى رحرحان نساءكم ويوم الصفالا قيتم الشعب أوعرا

سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر فكنتم نعاما عند ذاك منفرا

وأسلمت القلحاء فى الغل معبدا ولاق لقيط حتفه فتقطرا

قوله سمعتم بنى مجد دعوايال عامر يعنى مجد بنت النضر بن كنانة ولدت ربيعة ابن عامر بن صعصعة وولده بنو كلاب وبنو كعب وبنو عامر بن ربيعةوالقلحاء لقب والقلح ان تركب الاسنان صفرة تضرب الى السواد ويقال لها الحبرة لشدة تأثيرها أنشدنى المازنى

لست بسعدىّ على فيه حبرة ولست بعبدىّ حقيبته التمر

وزعم أبو الحسن الأخفش (١) ان العرب تقول فى هذا المعنى فى . أسنانه حِبِرة وليس ذلك بمعروف ولم يأت اسم على فعل الا ابل واطل (٢) وقوله ولاق لقيط حتفه فتقطرا يقال قطره لجنبيه وقتره لغتان لأن التاء من مخرج الطاء فان رمى به على قفاه قيل سلقه وسلقاه وبطحه لوجهه . فان رمى به على رأسه قيل نكته

---

(١) سعيد بن مسعدة (٢) وامرأة بلزاى ضخمة قاله ابن قتيبة . أما ابل فكما ذكر وأما اطل فليس كما ذكر واطل أصله اطل ثم حركت الطاء اتباعا لحركة الهمزة كما قالوا فى الجلد الجلد قال سيبويه ليس فى الاسماء والصفات فعل الا ابل

وقول صعصعة بن ناجية أضلت ناقتين عشراوين أضلت أى ضلتا منى وتحقيقه صادفتهما ضالتين كما قال (١)

أو وجد شيخ أضل ناقته   حين تولى الحجيج فاندفعوا

والعشراء الناقة التى قد أتى عليها منذ حملت عشرة أشهر وانما حمل الناقة سنة وقوله فاذا بيت حريد يقول متنح عن الناس وهذا من قولهم انحرد الجمل اذا تنحى عن الاناث فلم يبرك معها ويقال فى غير هذا الموضع حرد حرده أى قصد قصده قال الراجز

قد جاء سيل جاء من امر الله   يحرد حرد الجنة المغله

وقالوا فى قوله عز وجل « وغدوا على حرد قادرين » أى على قصد كما ذكرنا وقالوا هو أيضا على منع من قولهم حاردت الناقة اذا منعت لبنها وحاردت السنة اذا منعت مطرها والبعير الأحرد هو الذى يضرب بيده وأصله الامتناع من المشى . وقول الشيخ ما نارهما يريد ما وسمهما كما قال

قد سقيت آبالهم بالنار   والنار قد تشفى من الأوار

أى عرف وسمهم فلم يمنعوا الماء

وقول مكاتب بنى منقر . ولم يك الا غالبا ميت يقرى . فانه نصب غالباً لانه استثناء مقدم وانما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك وذلك ان حق الاستثناء اذا كان الفعل مشغولا به أن يكون جارياً عليه لا يكون فيه الا هذا تقول ما جاءنى الا عبد الله وما رأيت الا عبد الله وما مررت الا بعبد الله . فان كان الفعل مشغولا بغيره فكان موجبا لم يكن فى المستثنى الا النصب نحو جاءنى اخوتك الا زيدا كما قال تعالى « فشربوا منه الا قليلا منهم » ونصب هذا على معنى الفعل و الا دليل على ذلك فاذا قلت قلت جاءنى القوم لم يؤمن أن يقع عند السامع أن زيدا أحدهم فاذا قال الا زيدا فالمعنى لا أعنى فيهم زيدا أو استثنى ممن ذكرت زيدا ولسيبويه فيه تمثيل والذى ذكرت لك أبين منه وهو مترجم

---

(١) رجل من قضاعة يقال له مالك بن عمرو

لا وجد ثكلى كما وجدت ولا   وجد عجول أضلها ربع

عما قال غير مناقض له . وان كان الاول منفياً جاز البدل والنصب والبدل احسن لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المختزل الموجود بدليل وذلك قولك ما أتانى أحد الا زيد وما مررت بأحد الا زيدٍ والفصل بين المنفى والموجب أن المبدل من الشئ يفرغ له الفعل فأنت فى المنفى اذا قلت ما جاءنى أحد الا زيد اذا حذفت على جهة البدل صار التقدير ماجاءنى الا زيد لأنه بدل من أحد والموجب لا يكون فيه البدل لأنك اذا قلت جاءنى اخوتك الا زيدا لم يجز حذف الاول لاتقول جاءنى الا زيد وان شئت أن تقول فى النفى ماجاءنى أحد الا زيدا جاز ونصبه بالاستثناء الذى شرحت لك فى الواجب والقراءة الجيدة «مافعلوه الا قليل منهم» وقد قرئ الا قليلا منهم على ماشرحت لك فى الواجب والقراءة الأولى. فاذا قدمت المستثنى بطل البدل لانه ليس قبله شئ يبدل منــه فلم يكن فيه الا وجه الاستثناء فتقول ماجاءنى الا أباك أحد وما مررت الا أباك بأحد وكذلك تنشد هذه الاشعار قال كعب بن مالك الانصارى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الناس الب علينا فيك ليس لنا الا السيوفَ وأطراف القنا وزر

وقال الـكميت بن زيد

فمالى الا آلَ احمد شيعة ومالى الا مشعب الحق مشعب

لا يكون الا هذا وليونس قول مرغوب عنه فلذلك لم نذكره . وقوله فقال لى استقدم أمامك مخبرا عن الميت بالقول فان العرب وأهل الحـكمة من العجم تجعل كل دليل قولا فمن ذلك قول زهير . امن أم اوفى دمنة لم تـكلم . وانما كلامها عنده أن تبين بما يرى من الآ ثار فيها من قدم أهلها وحدثان عهدهم . ويروى عن بعض الحـكماء انه قال هلا وقفت على المعاهد والجنان فقلت أيتها الجنان من شق أنهـارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا . وأهل النظر يقولون فى قول الله عز وجل « قالتا أتينا طائعين » لم يكن كلام انما فعل عز وجل ما أراد فوجد قال الراجز.

قد خنق الحوض وقال قطنى سلاً رويدا قدملأت بطنى

ولم يكن كلام انما وجد ذلك فيه . فعلى ذلك قوله

فقال لى استقدم امامك انما فكاك أن تلق الفرزدق بالمصر

أى قد جرب مثل هذا منك فى المستجير بقبره . وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى فى اسناد قد ذهب عنى اكثره قال نزل النعمان بن المنذر ومعه عدى بن زيد فى ظل شجرة مونقة ليلهو النعمان هناك فقال له عدى بن زيد أيها الملك أبيت اللعن أتدرى ما تقول هذه الشجرة قال وما الذى تقول قال تقول (١)

رب ركب قد أناخوا حولنا يمزجون الخمر بالماء الزلال (٢)

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذلك الدهر حالا بعد حال

قال فتنغص النعمان. وهذا فى الامثال كثير وفى الاشعار السائرة

أما قول الفرزدق للمكاتب حكمك مسمطا فاعرابه انه أراد لك حكمك واستعمل هذا فكثر حتى حذف استخفافا لعلم السامع بما يريد القائل كقولك الهلال والله أى هذا الهلال وأغنى عن قوله هذا القصد والاشارة وكان يقال لرؤبة كيف أصبحت فيقول خير عافاك الله فلم يضمر حرف الخفض ولكنه حذف لكثرة الاستعمال والمسمط المرسل غير المردود وقول المكاتب كوماء فهى العظيمة السنام

١٧ قال أبو العباس أنشدنى عمارة بن عقيل لنفسه يحض بنى كعب وبنى كلاب ابنى ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن على بنى نمير بن عامر بن صعصعة وبينهم مطالبات وترات وكانت بنو نمير أعداء عمارة فكان يحض عليهم السلطان ويغرى بهم اخوتهم ويحاربهم فى عشيرته قال

رأيتكما يا ابنى ربيعة خرتما لعض الحروب والعديد كثير

وصدقتما قول الفرزدق فيكما وكذبتما ما كان قال جرير

أصابت نمير منكم فوق قدرها فكل نميرى بذاك أمير

فان تفخروا بما مضى من قديمكم فقد هدمت مدائن وقصور

---

(١) من رآنا فليحدث نفسه انه موف على قرن زوال

وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبال

(٢) والأباريق عليها فدم وجياد الخيل تردى فى الجلال

عمروا الدهر بعيش حسن قطعوا دهرهم غير عجال

رمتها مجانيق العدو فقوضت — مدائن منها كالجبال وسور
وشيدها الأملاك كسرى وهرمز — وآل هرقل حقبـة ونضير
فان تعمروا المجد القديم فلم يزل — لـكم فى مضرات الحروب ضرير
خبطتم ليوث الشام حتى تناذرت — حماكم وحتى لا يهر عقور
فكيف بأكناف الشريف تصيبكم — ثعالب يبحثن الحصا وأبور

قوله فقـد هدمت مدائن وقصور مثل يريد ان مجدكم الذى بناه آباؤكم متى لم تعمروه بأفعالـكم خرب وذهب وهذا كما قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

لسنا وان كرمت أوائلنا — يوماً على الاحساب نتـكل
نبنى كما كانت أوائلنا — تبنى ونفعل مثـل ما فعلوا

وكما قال الآخر

ألهى بنى جشم عن كل مكرمة — قصيده قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم — يا للرجال لفخر غـير مسئوم
ان القـديم اذا ما ضاع آخره — كساعد فله الأيام محطوم

وكما قال عامر بن الطفيل العامرى .

انى وان كنت ابن فارس عامر — وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن وراثة — أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولـكننى أحمى حماها وأتقى — أذاها وأرمى من رماها بمقنب(١)

قال أبو العباس وقوله . لـكم فى مضرات الحروب ضرير . يقال رجل ذو ضرير

---

(١) قال أبو الحسن أنشدنى هذه الابيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحرون ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامرى قال وقال الاصمعى كان عامر بن الطفيل يلقب محبّر الحسن شعره وأولها .

تقول ابنـة العمرى مالك بعد ما — أراك صحيحا كالسليم المعذب
فقلت لها همى الذى تعلمينه — من الثأر فى حيى زبيد وارحب
ان اغز زبيـدا أغز قوما أعزة — مركبهم فى الحى خير مركب

اذا كان ذا مشقة على العدو قال مهلهل بن ربيعة التغلبي .

قتيل ما قتيل المرء عمرو وهمام بن مرة ذو ضرير (١)

وقوله خبطتم ليوث الشأم يريد ما كان من نصر بن شبث العُقيلى وهو عقيل بن كعب بن ربيعة وقوله وأبور جمع وبْر واذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز وقد ذكرنا ذلك قبل

١٨ وقال عمارة أيضا لهم أنشدنيه .

ألا لله در الحي كعب ذوى العدد المضاعف والخيول
أما فيهم كريم مثل نصر يورع عنهم سَنَن الفحول

....

وان أغز حيى خثعم فدماؤهم شفاء وخير الثأر للمتأوب
فما أدرك الأوتار مثل محقق بأجرد طاو كالعسيب المشذب
وأسمر خطى وأبيض باتر وزغف دلاص كالغدير المثوّب
سلاح امرئ قد يعلم الناس انه طلوب لثأرات الرجال مطلب

ثم يؤتى بأنشاد أبى العباس على وجهه الا انه روى من رماها بعنكب .

السليم الملدوغ وقيل له سليم تفؤلا له بالسلامة وزبيد وأرحب حيان من اليمن والثأر ما يكون لك عند من أصاب حميمك من الترة ومن قال ثار فقد اخطأ والمتأوب الذى يأتيك لطلب ثأره عندك يقال آب يئوب اذا رجع والتأويب فى غير هذا السير فى النهار بلا توقف والاوتار الأحقاد واحدها وتر وحقد والأجرد الفرس المتحسر الشعر والاجرد الضامر أيضا والعسيب السعفة والمشذب الطويل الذى قد أخذ ما عليه من العُقَد والسُلاء والخوص ومنه قيل للطويل المعرّق مشذب. وخطى رمح منسوب الى الخط وهى جزيرة بالبحرين يقال انها تنبت عصى الرماح وقال الاصمعي ليست بها رماح ولكن سفينة كانت وقعت اليها فيها رماح وأرفئت بها فى بعض السنين المتقدمة فقيل لتلك الرماح الخطية ثم عم كل رمح هذا النسب الى اليوم والزغف الدرع الرقيقة النسج والمثوب الذى تصفقه الرياح فيذهب ويجئ وهو من ثاب يثوب اذا رجع وانما سمى الغدير غديرا لان السيل غادره أى تركه

(١) ما زائدة وفيها معنى التعظيم .

تنوخهم غير كل يوم كفعل أخي العزازة بالذليل
وليسوا مثل عشرهم ولكن يضيع القوم من قبل العقول
فأين فوارس السلمات عنهم وجمدة والحريش ذوو الفضول
وأين عبادة الخشناء عنهم اذا ما ضاق مطلع السبيل

قوله ألا لله در الحى كعب. يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وقوله أما فيهم كريم مثل نصر يعنى نصر بن شبث أحد بنى عقيل بن كعب بن ربيعة . وقوله بورع عنهم سنن الفحول هو مثل ضربه لحملهم لامساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التى يقرعها الفحل ويورع يكف ويمنع ويدفع والورع فى الدين انما هو الكف عن أخذ الحرام وجاء فى الحديث لاتنظروا الى صومه ولا الى صلاته ولكن انظروا الى ورعه اذا أشفى ومعناه اذا أشرف على الدينار والدرهم والسنن القصد ثم أبان ذلك بقوله . تنوخهم غير كل يوم . يقال سانَ الفحل الناقة فتنوخها وذلك اذا ركبها من غير أن توطأ له ولكن يعترضها اعتراضا وتقول العرب ان ذلك أكرم النتاج وذلك لأن الولد يخرج صليبا مذكرا ويقال لذلك الحمل الذى يقع من التَّنَوُّخ والاعتراض يَعارة وعراض يقال حملته عراضا وحملته يعارة يافتى قال الراعى .

قلائص لا يُلقحن الا يعارة عراضاً ولا يشرين الا غواليا

وقال الطرماح .

سوف تدنيك من لميس سبندا ة أمارت بالبول ماء الكراض
نضجته عشرين يوما ونيلت حين نيلت يعارة فى عراض

قوله سبنداة فهى الجريئة الصدر يقال للجرىء الصدر سبنتاة وسبنداة وأصل ذلك فى النمر وزعم الأصمعى ان الكراض حلق الرحم قال ولم أسمعه الا فى هذا الشعر وقوله نضجته عشرين يوما انما هو ان تزيد بعد الحول من حيث حملت أياما نحو الذى عد فلا يخرج الولد الا محكما قال الحطيئة

لأدماء منها كالسفينة نضجت به الحول حتى زاد شهرا عديدها

والعزازة العز والمصادر تقع على فعالة للمبالغة يقال عز عزا وعزازة كما يقال الشراسة والصرامة قال الله تعالى « قال يا قوم ليس بى سفاهة » وفى موضع آخر ليس بى ضلالة وقوله فأين فوارس السلمات. يريد بنى سلمة الخير وبنى سلمة الشر ابنى قشير بن كعب وجمع لأنه يريد الحى أجمع كما تقول المهالبة والمسامعة فتجمعهم على اسم الأب على المهلب ومسمع وكذلك المناذرة وقد مرت الحجة فى هـذا وجعـدة بن كعب والحريش بن كعب وبنو عبادة من بنى عقيل بن كعب وقوله الخشناء يريد القبيلة وذكرها بالخشونة على الأعـداء ويروى ان معاوية بن أبى سفيان رحمه الله تعالى قال لدغفل بن حنظلة النسابة ما تقول فى بنى عامر بن صعصعة فقال أعناق ظباء وأعجاز نساء قال فما تقول فى بنى تميم قال حجر أخشن ان صادمته آذاك وان تركته تركك قال فما تقول فى اليمن قال سيد وأنوك .

١٩ قال أبو العباس وأنشدنى عمارة لنفسه وسبب هذا الشعر الذى نذكره أن رجلا من بنى تميم يكنى أبا سعد كان منقطعاً الى أبى نصر بن حميد الطائى ثم أحد بنى نبهان وكان أبو نصر واليا على العرب وكتب أبو سعد الى عمارة يأمره ان يضع يده فى يد أبى نصر فقال عمارة

دعانى أبو سعد وأهدى نصيحة ... الى ومما ان تغر النصائح (١)
لأجزر لحمى كلب نبهان كالذى ... دعا القاسطىّ حتفه وهو نازح
أو البرجمى حـين اهداه حينه ... لنار عليها موقـدان وذابح
ورأى أبى سعد وان كان حازما ... بصيرا وان ضاقت عليه المسارح
أعار به ملعون نبهان سيفه ... على قومه والقول عاف وجارح
ونصر الفتى فى الحرب اعداء قومه ... على قومه للمرء ذى الطعم فاضح

قوله لأجزر لحمى كلب نبهان أى لا كون جزرة له والجزرة البدنة تنحر يقال أجزرت فلا ا وتركت فلانا جزرا قال عنترة العبسى

ان تشتما عرضى فان أباكما ... جزر السباع وكل نسر قشعم

وقوله كالذى دعا القاسطى حتفه وهو نازح . فهذا رجل من النمر بن قاسط

(١) مما بمعنى ربما .

خرج يبتغي قرظا من بعد فنهشته حية فمات فهو أحد القارظين والقارظ الاول من عنزة كان خرج مع ابن عم له فى طلب القرظ فقتله ابن عمه لانه كان يريد ابنته فمنعه منها قال أبو خراش الهذلى (١)

وحتى يئوب القارظان كلاهما   وينشر فى القتلى كليب لوائل

وقوله كالذى دعا القاسطى حتفه . الهاء فى حتفه ترجع على الذى وتقديره كالسبب الذى دعا القاسطى حتفه وقوله أو البرجمى فهذا رجل من البراجم وهم بنو مالك بن حنظلة وكان عمرو بن هند لما قتل بنى دارم بأوارة وكان سبب ذلك ان أخاه أسعد بن المنذر وكان مسترضعا فى بنى دارم فى حجر حاجب بن زرارة ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فعبث كما تعبث الملوك (٢) فرماه رجل من بنى دارم بسهم فقتله (٣) ففى ذلك يقول القائل وهو عمرو بن ملقط الطائى لعمرو بن هند

فاقتل زرارة لا أرى   فى القوم أوفى من زراره

فغزاهم عمرو بن هند فقتلهم يوم القصيبة ويوم اوارة ففى ذلك يقول الاعشى

وتكون فى الشرف الموا   زى منقرا وبنى زراره

ابناء قوم قتلوا   يوم القصيبه والاواره

ثم اقسم عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة فبذلك سمى محرقا فأخذ تسعة وتسعين رجلا فقذفهم فى النار ثم أراد ان يبر قسمه بعجوز منهم (٤) لتكمل بها العدة فلما أمر بها قالت العجوز ألا فتى يفدى هذه العجوز بنفسه ثم قالت هيهات صارت الفتيان حمما ومر وافد البراجم وهو الذى ذكرنا فاشتم رائحة اللحم فظن ان الملك يتخذ طعاما فعرج اليه فاتى به اليه فقال له من أنت فقال أبيت اللعن انا وافد البراجم فقال عمرو ان الشقى وافد البراجم ثم أمر به فقذف فى النار ففي ذلك يقول جرير يعير الفرزدق

---

(١) الصحيح ان الشعر لأبى ذويب (٢) رمى ناقة بسهم فقتلها

(٣) الرجل الذى قتل هو سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم

(٤) اسمها الحمراء بنت نضلة على ما ذكر أصحاب الاخبار

أين الذين بنار عمرو حرقوا ام ابن أسعد فيكم المسترضع

وقال أيضاً .

وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم وأدرك عمارا شقى البراجم

وقال الطرماح

ودارم قد قذفنا منهم مائة في جاحم النار اذ ينزون بالجدد

ينزون بالمشتوى منها ويوقدها عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام يعنى لطمع البرجمى فى الأكل قال يزيد بن عمر بن الصعق أحد بنى عمرو بن كلاب

ألا أبلغ لديك بنى تميم بآية ما يحبون الطعاما

وقال آخر (١)

اذا مامات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بتمر أو بلحم أو الشىء الملفف فى البجاد

تراه ينقب البطحاء حولا ليأكل رأس لقمان بن عاد

وقوله لمرء ذى الطعم يعنى الراجع الى عقل يقال فلان ليس بذى طعم وفلان ليس بذى نزل أى ليس بذى عقل ولا معرفة وانما يقال هذا طعام ليس له نَزَل اذا لم يكن ذا ريع ومن قال نُزْل فى هذا المعنى فقد أخطأ

قال أبو العباس قال رجل من بنى أسد بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان أخا النخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج وهو مالك

ألا جعل الله اليمانين كلهم فدى لفتى الفتيان يحيى بن حيان

ولولا عُريق فى من عصبية لقلت وألفا من معد بن عدنان

ولكن نفسى لم تطب بعشيرتي وطابت له نفسى بابناء قحطان

وهذا من التعصب المفرط . وحدثنى شيخ من الازد ثقة عن رجل منهم انه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه فقيل له ألا تدعو لأمك فقال انها تميمية

---

(١) ذكر ابن حبيب ان هذا الشعر لأبى مهوش الفقعسى وذكر دعبل انه لأبى المهوس الأسدى

وسمع رجل يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه فعوتب فقال هذه ضعيفة وأبي رجل يحتال لنفسه وحدثني المازني عمن حدثه قال رأيت رجلا يطوف بالبيت وأمه على عنقه وهو يقول

أحمل أمي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله ولا يجازي والد فعاله

قوله الدرة فهو اسم ما يدر من ثدييها ابتداء كان ذلك أو غير ذلك والعلالة لا تكون الا بعد يقال عله يعُله ويعِله علاو الاسم العلالة وكل شيء كان على فعلت من المدغم فمضارعه اذا كان متعديا الي مفعول يكون على يفعُل نحو رده يرده وشجه يشجه وفره يفره فاذا قلت فر يفِر فانما ذلك لأنه غير متعد الى مفعول ولكن تقول فررت الدابة أفُرها وجاء فعل يفعل من المتعدى فى ثلاثة أحرف يقال عله يعله ويعله وهره يهره ويهره اذا كرهه ويقال أحبه يحبه وجاء حبه يحبه ولا يكون فيه يفعُل قال الشاعر

لعمرك انني وطلاب مصر لكالمزداد مما حب بعدا

وقال آخر

وأقسم لولا تمره ما حببته وكان عياض منه أدنى ومشرق

وقرأ أبو رجاء العطاردى فاتبعوني يحبكم الله ففعل فى هذا شيئين أحدهما انه جاء به من حببت والآخر أنه ادغم فى موضع الجزم وهو مذهب تميم وقيس وأسد وجماعة من العرب يقولون ردُّ يافتى يدغمون ويحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيتبعون الضمة الضمة ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول ردَّ يافتى لأن الفتح أخف الحركات ومنهم من يقول ردِّ يافتى فيكسر لان حق التقاء الساكنين الكسر فاذا كان الفعل مكسورا ففيه وجهان تقول فرِّ يافتى للاتباع وللأصل فى التقاء الساكنين وتفتح لأن الفتح أخف الحركات واذا كان مفتوحا فالفتح للاتباع ولأنه أخف الحركات والكسر على أصل التقاء الساكنين نحو عضَّ يافتى وعضِّ يافتى فاذا لقيته ألف ولام فالاجود الكسر من أجل ما بعده وهي لام المعرفة نحو * فغضِّ الطرف انك من نمير * (١) ومنهم من يجريه

---

(١) فلا كعبا بلغت ولا كلابا

مجرى الأول فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة فى الأول فيقول

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام(١)

ومن كان من شأنه ن يتبع او يكسر فى لى ذلك ومما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل « ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب »

وأما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الأصلى فيقولون اردد واغضض ويقولون افرر من زيد واعضض لما سكن الثانى ظهر التضعيف لأنه لا يلتقى ساكنان. وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مطرد بين وقد شرحناه فى الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح

٢١ قال ابو العباس قال حسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمى من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى رهط أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

لو كنت من هاشم أو من بنى أسد أو عبد شمس أو اصحاب اللوا الصيد
أو من بنى نوفل أو رهط مطلب لله درك لم تهمم بتهديدى
أو فى الذؤابة من قوم ذوى حسب لم تصبح اليوم نكسا ثانى الجيد
أو من بنى زهرة الاخيار قد علموا أو من بنى جمح البيض المناجيد
أو فى السرارة من تيم رضيت بهم أو من خاف الخضر الجلاعيد
يا آل تيم ألا تنهوا سفيهكم قبل القذاف بقول كالجلاميد
لولا الرسول فانى لست عاصيه حتى يغيبنى فى الرمس ملحودى
وصاحب الغار انى سوف احفظه وطلحة بن عبيد الله ذو الجود
لقد رميت بها شنعاء فاضحة يظل منها صحيح القوم كالمودى

قوله لو كنت من هاشم يريد هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة والنضر أبو قريش ومن كان من بنى كنانة لم يلده النضر فليس بقرشى . وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى . وعبد شمس بن عبد مناف بن قصى . وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قصى واللواء ممدود اذا أردت به لواء الأمير ولكنه احتاج

(١) هو لجرير

اليه فقصره وقد بينا جواز ذلك فأما اللوى من الرمل فمقصور قال امرؤ القيس
. بسقط اللوى بين الدخول فحومل . كذا يرويه الأصمعى وهذه أصح الروايات
وقوله اومن بنى نوفل فهو نوفل بن عبد مناف بن قصى . والمطلب الذى ذكره
هو ابن عبد مناف بن قصى . وقوله لم تصبح اليوم نكسا . فالنكس الدنئ
المقصر ويقول بعضهم اذأصل ذلك فى السهام وذلك ان السهم اذا ارتدع أو نالته
آفة نكس فى الكنانة ليعرف من غيره قال الحطيئة

قد ناضلوك فأبدوا من كنانتهم مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس

قوله مجدا تليدا قالوا نواصى الفرسان الذين كان يمن عليهم . وقوله ثانى الجيد
قد مر تفسيره فى قول الله عز وجل ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله (١) وقوله
أو من بنى زهرة فهو زهرة بن كلاب بن مرة . ويروى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال خلقت من خير حيين من هاشم وزهرة . وبنو جمح بن عمرو
ابن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله المناجيد مفاعيل من النجدة والواحد منجاد
وانما يقال ذلك فى تكثير الفعل كما تقول رجل مطعان بالرمح ومطعام للطعام .
وقوله أوفى السرارة من تيم رضيت بهم يقول فى الصميم منهم والموضع المرضى
وأصل ذلك فى التربة تقول العرب اذا غرست فاغرس فى سرارة الوادى ويقال
فلان فى سر قومه والسرة مثل ذلك قال القرشى

هلا سألت عن الذين تبطحوا كرم البطاح وخير سرة واد
وعن الذين أبوافلم يستكرهوا أن ينزلوا الولجات من أجياد
يخبرك أهل العلم أن بيوتنا منها بخير مضارب الأوتاد

وقوله أو من بنى خلف الخضر فانه حذف التنوين لالتقاء الساكنين وليس بالوجه
وانما يحذف من الحرف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين وهى الألف المفتوح
ما قبلها والياء المكسور ما قبلها والواو المضموم ما قبلها نحو قولك هذا قفا الرجل
وقاضى الرجل ويغزو القوم فأما التنوين فجاز هذا فيه لانه نون فى اللفظ والنون
تدغم فى الياء والواو وتزاد كما تزاد حروف المد واللين ويبدل بعضها من بعض

(١) بشرح عظة ابى بكر الصديق لعبد الرحمن بن عوف . السباعى

فتقول رأيت زيدا فتبدل الالف من التنوين وتقول فى النسب الى صنعاء وبهراء صنعانى وبهرانى فتبدل النون من ألف التأنيث وهذه جملة وتفسيرها كثير فلذلك حذف ومثل هذا من الشعر

عمرُو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف (١)

وقال آخر .

حميدُ الذى أمجُ داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

وقرأ بعض القراء قل هو الله أحدُ الله الصمد وسمعت عمارة بن عقيل يقرأ ولا الليل سابقُ النهارَ وكل فى فلك يسبحون فقلت ما تريد فقال سابقٌ النهارَ وقوله أوَ اصحاب اللوا خفف الهمزة وتخفف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها على الساكن وتحذف كقولك منَ ابوك وقوله عز وجل الذى يخرج الخبَ فى السموات والارض . وخلف الذى ذكره من بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله الخضر يقال فيه قولان أحدهما انه يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

وأنا الاخضر من يعرفنى أخضر الجلدة فى بيت العرب

فهذا هو القول الاول وقال آخرون شبههم فى جودهم بالبحور وقوله الجلاعيد يريد الشداد الصلاب واحدهم جلْعَد وزاد الياء للحاجة وهذا جمع يجيء كثيرا وذلك انه موضع تلزمه الكسرة فتشبع فتصير ياء يقال فى خاتم خواتيم وفى دانق دوانيق وفى طابق طوابيق قال الفرزدق

تنفى يداها الحصا فى كل هاجرة نفى الدراهيم تنقادَ الصياريف

وقوله قبل القذاف يريد المقاذفة وهذه تكون من اثنين فما فوقهما نحو المقاتلة والمشاتمة فباب فاعلت انما هو للاثنين فصاعدا نحو قاتلت وضاربت وقد تكون الألف زائدة فى فاعلت فتبنى للواحد كما زيدت الهمزة أولا فى أفعلت فكانت للواحد نحو عاقبت اللص وعافاه الله وطارقت نعلى وقوله وصاحب الغار يعنى ابا بكر رضى الله عنه لمصاحبته النبي صلى الله عليه وسلم فى الغار وهذا

(١) صوابه عمرو العلا

مشهور لايحتاج الى تفسير وقوله وطلحة بن عبيد الله ذو الجود نسبة الى الجود لأنه كان من أجود قريش وحدثنى التوزى قال كان يقال لطلحة بن عبيد الله طلحة الطلحات وطلحة الخير وطلحة الجود وفى بعض الحديث انه منعه أن يخرج الى المسجد أن اتّفق له بين ثوبين وذكر التوزى عن الاصمعى انه باع ضيعة له بخمسة عشر الف درهم فقسمها فى الاطباق . وحدثنى العتبي فى اسناد ذكره قال دعا طلحة بن عبيدالله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم فأبطأ عنه الغلام بشئ أراده فقال ياغلام فقال الغلام لبيك فقال طلحة لا لبيك فقال أبو بكر ما يسرنى انى قلتها وأن لى الدنيا وما فيها وقال عمر مايسرنى أنى قلتها وأن لى نصف الدنيا وقال عثمان ما يسرنى أنى قلتها وأن لى حمر النعم قال وصمت عليها أبو محمد فلما خرجوا من عنده باع ضيعة بخمسة عشر الف درهم فتصدق بثمنها .وقوله يظل منها صحيح القوم كالمودى فالمودى فى هذا الموضع الهالك والمودى موضع آخر يكون فيه القوى الجاد حدثنى بذلك التوزى فى كتاب الاضداد وأنشدنى .

.مودون يحمون السبيل السابلا . (١)

٢٢ قال أبو العباس أنشدنى السعدى أبو محلم

انا سألنا قومنا لخيارهم ... من كان أفضلهم ابوه الأول
أعطى الذى أعطى أبوه قبله ... وتبخلت أبناء من يتبخل

٢٣ وأنشدنى أيضاً

أَطلحة بن حبيب حين تسأله ... أندى واكرم من فند بن هطال
وبيت طلحة فى عز ومكرمة ... وبيت فند الى ربق وأجمال
ألا فتى من بنى ذبيان يحملنى ... وليس يحملنى الا ابن حمال
فقلت طلحة أولى من عمدت له ... وجئت أمشى اليه مشى مختال
مستيقنا أن حبلى سوف يعلقه ... فى رأس ذيالة أو رأس ذيال

قوله الى ربق واجمال انما أراد جمع جمل على القياس كما تقول فى جميع باب فعل جمل واجمال وصنم وأصنام وقوله ألا فتى من بنى ذبيان يحملنى يعنى ذبيان بن

---

(١) المؤدى بالهمز التام الاداة والسلاح وبغير الهمز الهالك

بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر وأنشده بعضهم .
وليس حاملني الا ابن حمال * وهـذا لايجوز فى الكلام لانه اذا نون الاسم لم يتصل به المضمر لان المضمر لا يقوم بنفسه فانما يقع معاقبا للتنوين تقول هذا ضارب زيدا غدا وهذا ضاربك غداولا يقع التنوين هاهنا لانه لو وقع لانفصل المضمر وعلى هذا قول الله تعالى انا منجوك وأهلك وقد روى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة وكلاهما مصنوع وليس أحد من النحويين المفتشين يجيز مثل هذا فى الضرورة لما ذكرت من انفصال الكتابة والبيتان اللذان رواهما سيبويه

هم القائلون الخير والآمرونه   اذا ما خشوا يوماً من الامر معظما

وأنشد

ولم يرتفق والناس محتضرونه   جميعا وأيدى المعتفين رواهقه

وانما جاز أن تبين الحركة اذا وقفت فى نون الاثنين والجميع لانه لايلتبس بالمضمر تقول هما رجلانهْ وهم ضاربونهْ اذا وقفت لانه لا يلتبس بالمضمر اذ كان لايقع هذا الموقع ولا يجوز أن تقول ضربتهْ وأنت تريد ضربت والهاء لبيان الحركة لان المفعول يقع فى هذا الموضع فيكون لبساً فأما قولهم ارمهْ واغزهْ فتلحق الهاء لبيان الحركة فانما جاز ذلك لما حذفت من أصل الفعل ولا يكون فى غير المحذوف . وقوله فى رأس ذيالة أو رأس ذيال. يعنى فرسا أنثى أو حصانا والذيال الطويل الذنب وانما يحمد منه طول شعر الذنب وقصر العسيب وأما الطويل العسيب فمذموم ويقال ذلك للثور أيضا أعنى ذيالا قال امرؤ القيس

فجال الصُّوار واتقين بقرهب   طويل القرا والروق أخنس ذيال

ويقال أيضا للرجل ذيال اذا كان يجر ذيله اختيالا ويقال له فضفاض فى ذلك المعنى ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه قال لمؤدبه كيف كانت طاعتى اياك وأنت تؤدبنى فقال أحسن طاعة قال فأطعنى الآن كما كنت أطيعك اذ ذاك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار فى النار

٢٤ وقال آخر .

ما لدد ما لدد ماله يبكى وقد أنعمت ما باله
مالى أراه مطرقا ساميا ذا سنة يوعد أخواله
وذاك منه خلق عادة أن يفعل الامر الذى قاله
اذا بن بيضاء وترك الندى كالعبد اذ قيد أجماله
آليت لا أدفن قتلاكم فدخنوا المرء وسرباله
والدرع لا أبغي به نثرة كل امرئ مستودع ماله
والرمح لا املأ كفى به واللبد لا أتبع تزواله

قوله مالدد يعنى رجلا ودد فى الاصل هو اللهو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لست من دد ولا دد منى» وقد يكون فى غير هذا الموضع مأخوذا من العادة. وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر والفتح أصلها ولكن كسرت مع الظاهر خوف اللبس بلام الخبر تقول ان هذا لِزيدٍ فيعلم انه شئ فى ملك زيد فان قلت ان هذا لَزيدٌ فى الوقف علم قبل الادراج انه زيد ولو فتحت المكسورة لم يعلم الملك من المعنى الآخر فى الوقف وأما المضمر فبين فيه لان علامة المخفوض غير علامة المرفوع تقول ان هذا لك وان هذا لأنت. وقوله وقد أنعمت ما باله فما زائدة والبال هاهنا الحال وللبال موضع آخر وحقيقته الفكر تقول ما خطر هذا على بالى وقوله مطرقا ساميا فالسامى الرافع رأسه يقال سما يسمو اذا ارتفع والمطرق الساكت المفكر المنكس رأسه فانما أراد ساميا بنفسه وقوله ذا سنة يقول كانه لطول اطراقه فى نعسة. وقوله كالعبد اذ قيد أجماله يريد انه غير مكترث لاكتساب المجد والفضل وذلك ان العبد الراعى اذا قيد أجماله لف رأسه ونام حجرة وهذا شبيه بقوله.

واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى. وقوله فدخنوا المرء وسرباله يعنى انه طعن فارسا منهم فأحدث فقال نظفوه فانى لا أدفن القتيل منكم الا طاهرا. وقوله والدرع لا أبغى بها نثرة فالنثرة الدرع السابغة يقول درعى هذه تكفينى وقوله كل امرئ مستودع ماله أى مسترهن بأجله وهو كقول الاعشى

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما أبطالها

وعلمت أن النفس تلقى حتفها ما كان خالقها الفضيل قضى لها

وقوله والرمح لا أملأ كفى به يتأول على وجهين أحدهما ان الرمح لا يملأ كفى وحده فأنا أقاتل بالسيف و بالرمح و بالقوس وغير ذلك والقول الآخر انى لا املأ كفى به انما اختلس به اختلاساً كما قال الشاعر

ومدجج سبقت يداى له تحت الغبار بطعنة خلس

وقوله واللبد لا أتبع تزواله . يقول ان انحل الحزام فمال اللبد لم أمل معه أى أنا فارس ثبت

٢٥ قال أبو العباس قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الاحنف الاسدى ما أحسن ما مدحت به فاستعفاه فأبى أن يعفيه وهو معه على سريره فلما أبى الا أن يخبره قال قول القائل

ألا أيها الركب المخبون هل لكم بسيد أهل الشأم تحبوا و ترجعوا
من النفر البيض الذين اذا اعتزوا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
اذا النفر السود اليمانون نمنموا له حوك برديه أجادوا وأوسعوا
جلا المسك والحمام والبيض كالدمى وفرق المدارى رأسه فهو أنزع

فقال له عبد الملك ما قال أخو الأوس (١) أحسن مما قيل لك

قد حصت البيضة رأسى فما أطعم نوما غير تهجاع

وحدثت أن كثيرا كان يقول لوددت أنى كنت سبقت الاسود أو العبد الاسود الى هذين البيتين يعنى نصيبا فى قوله

من النفر البيض الذين اذا انتجوا أقرت لنجواهم لؤى بن غالب
يحيون بسامين طورا وتارة يحيون عباسين شوس الحواجب

والمختار من الشعر الاول قوله

من النفر البيض الذين اذا اعتزوا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم وثقتهم بأن مثلهم لا يردّ وقد قال جرير للتيم خلاف هذا وهو قوله

---

(١) قال أبو الحسن هو أبو قيس بن الاسلت

قوم اذا احتضر الملوك وفودهم نتفت شواربهم على الابواب

وحدثت أن جريرا كان يقول وددت أن هذا البيت من شعر هذا العبد كان لى بكذا وكذا بيتاً من شعرى يعنى قول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل ان تملينا فما ملك القلب

وأما قول نصيب

أهيم بدعد ماحييت وان أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

فلم تجد الرواة ولا من يفهم جواهر الكلام له مذهباً حسناً وقد ذكر عبدالملك ذلك لجلسائه فكل عابه فقال عبد الملك فلو كان اليكم كيف كنتم قائلين فقال رجل منهم كنت أقول

أهيم بدعد ما حييت وان أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك ما قلت والله أسوأ مما قاله فقيل له فكيف كنت قائلا فى ذلك يا أمير المؤمنين فقال كنت أقول :

أهيم بدعد ماحييت فان أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

فقالوا أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين

٢٦ وقد فضل نصيب على الفرزدق فى موقفه عند سليمان بن عبد الملك وذلك انهما حضرا فقال سليمان للفرزدق أنشدنى وانما أراد أن ينشده مدحاً له فأنشده

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الليل وهى تلفهم الى شعب الاكوار ذات الحقائب

اذا آنسوا نارا يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض سليمان كالمغضب فقال نصيب ياأمير المؤمنين ألا أنشدك فى رويها ما لعله لا يتضع عنها فقال هات فأنشده

أقول لركب صادرين لقيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبرونى عن سليمان اننى لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا فى باب المدح حسن ومتجاوز ومبتدع لم يسبق اليه. على أن الشاعر وهو

أخو همدان قد قال فى عصره فى غير المدح

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ويخرجن من دارين بجر الحقائب

على حين ألهى الناس جل أمورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب

وليس شعر نصيب هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قول الفرزدق فى الفخر وانما يفاضل بين الشيئين اذا تناسبا وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه قال هو أشعر أهل جلدته وقام وهو يقول

وخير الشعر أشرفه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

ثم نرجع الى تفسير الشعر. قوله يمرون بالدهنا خفافا عيابهم يعنى قوما تجارا وقد قالوا انما ذكر لصوصا والاول أثبت وذلك أن دارين سوق من أسواق العرب وقوله بجر الحقائب يقول عظام ويقال للرجل اذا اندلقت سرته فنتأت متقدمة رجل أبجر ويقال لها البُجْرة والبَجَرة وفُعلة وفَعلة تقعان فى الشئ يقال قلفة وقلفة وصلعة وصلعة ومثل هذا كثير . وقوله على حين ألهى الناس ان شئت خفضت حين وان شئت نصبته أما الخفض فلأنه مخفوض وهو اسم منصرف وأما الفتح فلاضافتك اياه الى شئ غير معرب فبنيته على الفتح لان المضاف والمضاف اليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك ولو كان الذى أضفته اليه معربا لم يكن الا مخفوضا وما كان سوى ذلك فهو لحن تقول جئتك على حينِ زيدٍ وجئتك فى حينِ امرة عبد الملك وقول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما أصح والشيب وازع

ان شئت فتحت حين وان شئت خفضت لانه مضاف الى فعل غير متمكن وكذلك قولهم يومئذ تقول عجبت من يومِ عبد الله لا يكون غيره فاذا أضفته الى اذ فان شئت فتحت على ما ذكرت لك فى حين وان شئت خفضت لما كان يستحقه اليومُ من التمكن قبل الاضافة تقرأ ان شئت من عذاب يومِئذ وان شئت من عذاب يومَئذ على ما وصفت لك ومن خفض بالاضافة قال سير بزيد يومُئذ فأعربته فى موضع الرفع كما فعلت به فى الخفض ومن قال من خزى يومَئذ فبناه قال سير بزيد يومَئذ يكون على حالة واحدة لانه بنى كما تقول دُفع الى زيد خمسة عشرة درهما

وكما قال الله عز وجل عليها تسعة عشر . وأما قوله فندلا زريق المال ندل الثعالب. فزريق قبيلة وقوله ندلا مصدر يقول اندلى ندلا يازريق المال والندل أن تجذبه جذبا يقال ندل الرجل الدلو ندلا اذا كان يجذبها مملوءة من البئر فنصب ندلا بفعل مضمر وهو اندل وهـذا فى الامر تقول ضربا زيدا وشتما عبد الله لان الامر لا يكون الا بفعل فـكان الفعل فيه أقوى فلذلك أضمر تهودل المصدر على الفعل المضمر ولو كان خبرا لم يجز فيـه الاضمار لان الخبر يكون بالفعل وغيره والامر لايكون الا بالفعل قال الله عز وجـل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فـكان فى موضع اضربوا حتى كأن القائل قال فاضربوا ألا ترى انه ذكر بعده الفعل محضا فى قوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ولو نون منون فى غير القرآن لنصب الرقاب وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى وقوله ندل الثعالب يريد سرعة الثعالب يقال فى المثل أكسب من ثعلب . وأما قول نصيب . ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب . فانما يريد أنهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رفده فقد أثنت عليه الحقائب قبل أن يقولوا فأما قول الاعشى .

وان عتاق العيس سوف يزوركم ثناء على أعجازهن معلق

فأنما أراد المدح الذى يحـدين به والحادى من ورائها كما أن الهادى أمامها . وأما قول أبى وجزة

راحت بستين وسقا فى حقيبتها ما حملت حملها الأدنى ولا السددا

فانما أراد مايوجب ستين وسقا لا أن الناقة حملت ستين وسقا

٢٧ وكان من حديث ذلك أن أبا وجزة السلمى المعروف بالسعدى لنزوله فيهم ومحالفته اياهم كان شخص الى المدينة يريد آل الزبير وشخص أبو زيد الاسلمى يريد ابراهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو والى المدينة فاصطحبا فقال أبو وجزة هلم فلنشترك فيما نصيبه فقال أبو زيد كلا انا أمدح الملوك وأنت تمدح السوق فلما دخلا المدينة صار أبو زيد الى ابرهيم بن هشام فأنشده . يا ابن هشام يا أخا الكرام . فقال ابرهيم وانما أنا أخوهم وكانى لست منهم ثم أمر به فضرب بالسياط وامتدح أبو وجزة

آل الزبير فكتبوا اليه بستين وسقا من تمر وقالوا هي لك عندنا في كل سنة وانصرفا فقال أبو زيد

مدحت عروقا للندى مصت الثرى ... حديثا فلم تهمم بأن تتزعزعا
نقائذ بؤس ذاقت الفقر والغنى ... وحلبت الايام والدهر أضرعا
سقاها ذوو الارحام سجلا على الظما ... وقد كربت اعناقها أن تقطعا
بفضل سجال لو سقوا من مشى بها ... على الارض أرواهم جميعا وأشبعا
فضمت بأيديها على فضل مائها ... من الري لما أوشكت أن تضلعا
وزهدها أن تفعل الخير في الغنى ... مقاساتها من قبله الفقر جوّعا

وقال أبو وجزة

راحت رواحا قلوصي وهي حامدة ... آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وسقا في حقيبتها ... ما حملت حملها الأدنى ولا السددا
ما ان رأيت قلوصا قبلها حملت ... ستين وسقا ولا جابت به بلدا
ذاك القرى لا قرى قوم رأيتهم ... يقرون ضيفهم الملوية الجددا

أما قول أبي زيد لابرهيم مدحت عروقا للندى مصت الثرى حديثا . فانما عنى أن ابرهيم وأخاه محمدا انما تطعما بالعيش ودخلا في النعمة وخرجا من حد السوق الى حد الملوك حديثا وذلك بهشام بن عبد الملك لانهما كانا خاليه فانما ولاهما عن خمول . وقوله فلم تهمم بأن تزعزعا فانما هذا مثل يقال فلان يهتز للندى ويرتاح لفعل الخير كما قال متمم بن نويرة .

تراه كنصل السيف يهتز للندى ... اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

وتأويل ذلك انه يتحرك تحرك سرور لفعل الخير قال أبو العباس وأنشدني التوزي لأبي رباط يقول لابنه

رأيت رباطا حين تم شبابه ... وولى شبابي ليس في بره عتب
اذا كان أولاد الرجال مرارة ... فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب منه أنيق وجانب ... شديد على الأعداء مركبه صعب
وتأخذه عند المكارم هزة ... كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

قال وحدثني على بن عبد الله قال حدثني العتبي قال أشرف عمر بن هبيرة الفزاري من قصره يوماً فاذا هو باعرابي يرقص جمله الآل فقال لحاجبه ان أرادني هذا فأوصله الىّ فلما دنا الاعرابي سأله فقال قصدت الامير فأدخله اليه فلما مثل بين يديه قال له عمر ما خطبك فقال

أصلحك الله قل ما بيدي   فما أطيق العيال اذ كثروا
ألح دهر ألحى بكلكله   فأرسلوني اليك وانتظروا (١)

قال فأخذت عمر الأريحية فجعل يهتز فى مجلسه ثم قال أرسلوك الىّ وانتظروا اذاً والله لا تجلس حتى ترجع اليهم غانما فأمر له بألف دينار ورده على بعيره . قال أبو العباس وحدثني أبو اسحاق اسماعيل بن اسحاق القاضي ان الخبر لمعن بن زائدة وصح ذلك عندي. وقوله نقائذ بؤس واحدتها نقيذة وتأويله انهم أنقذوا من بؤس يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول هذا نقيذة بؤس تقع الهاء للمبالغة لان أصله كالمصدر كقولك زيد مكرمة لأهله وزيد كريمة قومه أى يحل محل العقدة الكريمة والخصلة الكريمة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم جرير بن عبد الله البجلى لما ورد عليه فبسط له رداءه وعممه بيده وقال اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه هكذا روى فصحاء أصحاب الحديث وقد قال صلى الله عليه وسلم قبل وروده عليه يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن عليه مَسحة ملك . وقال صخر بن عمرو بن الشريد يعنى معاوية أخاه وكان قتله هاشم ودريد ابنا حرملة المريان من غطفان فقيل لصخر اهجهم فقال : ما بيني وبينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن هجائهم الا صونا لنفسى عن الخنى لفعلت ثم قال :

وعاذلة هبت بليل تلومني   ألا لا تلوميني كفى اللوم مابيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم   ومالى اذ أهجوهم ثم ماليا (٢)
أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى   وأن ليس اهداء الخنى من شماليا (٣)

---

(١) رجوك للدهر أن تكون لهم   غيث سحاب ان خانهم مطر
(٢) قال الأخفش وأنشدنى الأحول . ومالى ان أهجوهم ثم ماليا
(٣) اذا ذكر الاخوان رقرقت عبرة   وحييت رسما عند لية ثاويا

وتقول العرب للرجل راوية ونسابة فتزيد الهاء للمبالغة وكذلك علامة وقد تلزم الهاء فى الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو ربعة ويفعة وصرورة وهذا كثير لا تنزع الهاء منه فأما راوية وعلامة ونسابة فحذف الهاء جائز فيه ولا يبلغ فى المبالغة ما تبلغه الهاء وقوله وحلبت الايام والدهر أضرعا . فانه مثل يقال للرجل المجرب للامور فلان قد حلب الدهر أشطره . أى قد قاسى الشدة والرخاء وتصرف فى الفقر والغنى كما قال القائل

قد عشت فى الناس أطواراً على طرق ... شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرنى ... ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الهول صدرى قبل موقعه ... ولا أضيق به ذرعاً اذا وقعا

ومعنى قوله أشطره فانما يريد خلوفه يقال حلبتها شطراً بعد شطر وأصل هذا من التنصيف لان كل خلف عديل لصاحبه وللشطر وجهان فى كلام العرب فأحدهما النصف كما ذكرنا من ذلك قولهم شاطرتك مالى والوجه الآخر القصد يقال خذ شطر زيد أى قصده قال الله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام أى قصده وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال أبو العباس وأنشدنى التوزى عن أبى عبيدة قول الشاعر

ان العسير بها داء مخامرها ... فشطرها نظر العينين محسور

يريد ناحيتها وقصدها والعسير التى تعسر بذنبها اذا حملت أى تشيله وترفعه ومنه سمى الذنب عوسراً أى تضرب بذنبها ومعنى ذلك أنه ظهر من جهدها وسوء حالها ما أطيل معه النظر اليها حتى تحسر العينان والحسير المعيي وفى القرآن ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير وقوله * سقاها ذوو الاحلام سجلا على الظما * فالسجل فى الاصل الدلو وانما ضربه مثلا لما فاض عليها من ندى أقاربها يقال للدلو وهى مؤنثة سجل وذنوب وهما مذكران والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة ويقال فلان يساجل فلاناً أى يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر وأصل

اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية ... فحياك رب العرش عنى معاويا
وهون وجدى أننى لم أقل له ... كذبت ولم أبخل عليه بماليا

المساجلة أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما فى سجله مثل مايخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة وبين ذلك الفضل ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب فى قوله

من يساجلنى يساجل ماجدا ... يملأ الدلو الى عقد الكرب

ويقال ان الفرزدق مر بالفضل وهو يستقى وينشد هذا الشعر فسرا الفرزدق ثيابه عنده ثم قال أنا أساجلك ثقة منه بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال ما يساجلك الا من عض بأير أبيه. يقال سرا ثوبه ونضا ثوبه فى معنى واحد اذا نزعه ويقال سرى عليه الهم اذا أتى ليلا وأنشد * سرى همى وهم المرء يسرى * (١) وسرى همه اذا ذهب عنه والمواضخة مثل المساجلة قال العجاج . نواضخ التقريب قلوا مخلجا . أى تخرج من العدو مثل مايخرج . قال الله عز وجل على مخرج كلام العرب وأمثالهم فأن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم وأصل الذنوب الدلو كما ذكرت لك وقال علقمة بن عبدة للحارث بن أبى شمر الغسانى (٢) وكان أخوه اسيراً عنده وهو شأس بن عبدة أسره فى وقعة عين أباغ (٣) فى الوقعة التى كانت بينه وبين المنذر ابن ماء السماء فى كلمة له مدحه فيها .

وفى كل حى قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نداك ذنوب

فقال الملك نعم وأذنبة . وقوله وقد كربت اعناقها أن تقطعا . يقول سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشا وكرب فى معنى المقاربة يقال كاد يفعل ذلك وجعل يفعل ذلك وكرب يفعل ذلك أى دنا من ذلك ويقال جاء زيد والخيل كاربته أى قد دنت منه وقربت فاما أخذ يفعل وجعل يفعل فمعناها انه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أن فأما كاد وكرب فأن لا تستعمل بعد واحدة منهما الا أن يضطر شاعر قال الله عز وجل (اذا أخرج يده لم يكد يراها أى

---

(١) وغار النجم الا قيد فتر * البيت لعروة بن أذينة الليثى شيخ مالك ابن أنس (٢) قال أبو الحسن غير أبى العباس يقول شِمْر وبعضهم يقول شَمِر
(٣) قال أبو الحسن غيره يقول اباغ

لم يقرب من رؤيتها و ايضاحه لم يرها ولم يكد و كذلك يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار وكذلك كاد تزيغ قلوب فريق منهم بغير أن . ومن أمثال العرب كاد النعام يطير وكاد العروس يكون أميرا وكاد المنتعل يكون راكبا وقد اضطر الشاعر فأدخل أن بعد كاد، كما أدخلها هذا بعد كرب فقال . وقد كربت أعناقها أن تقطعا » قال رؤبة * قد كاد من طول البلى أن يمصحا * فكاد بمنزلة كرب فى الاعمال والمعنى قال الشاعر

أغثنى غياثا يا سليمان اننى　　سبقت اليك الموت والموت كاربى

خشية جور من أمير مسلط　　ورهطى وما عاداك مثل الاقارب

وقوله . لما أوشكت أن تضلعا . يقول لما قاربت ذلك والوشيك القريب من الشىء والسريع اليه يقال يوشك فلان أن يفعل كذا وكذا والماضى منه أوشك ووقعت بأن وهو أجود وتقع بغير أن (١) كما كان ذلك فى لعل تقول لعل زيدا يقوم فهذه الجيدة قال الله عز وجل لعل الساعة تكون قريبا ولعله يتذكر أو يخشى ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقال متمم بن نويرة

لعلك يوما أن تلم ملمة　　عليك من اللائى يدعنك أجدعا

وعسى الاجود فيها أن تستعمل بأن كقولك عسى زيد أن يقوم كما قال الله عز وجل فعسى الله أن يأتى بالفتح وقال جل ثناؤه عسى الله أن يتوب عليهم ويجوز طرح أن وليس بالوجه الجيد قال هدبة .

عسى الكرب الذى أمسيت فيه　　يكون وراءه فرج قريب

وقال آخر .

عسى الله يغنى عن بلاد بن قادر　　بمنهمر جون الرباب سكوب

وحروف المقاربة لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها فى الكتاب المقتضب بغاية الاستقصاء وقوله أن تضلعا معناه أن تمتلىء وأصله أن الطعام والشراب يبلغان الاضلاع فيكظانها كذلك قال الاصمعى فى قولهم أكل حتى تضلع .

وأما قول أبى وجزة . راحت بستين وسقا فالوسق خمسة أقفزة بملجم البصرة وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم « ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة » فما كان

---

(١) كقول الشاعر . يوشك من فر من منيته　　فى بعض غراته يوافقها . السباعى

أقل من خمسة وعشرين قفيزا بالقفيز الذي وصفنا وهو نصف القفيز البغدادى فى أرض الصدقة فلا صدقة فيه وانما اراد أنه أخذ الكتاب بهذه الاوسق فلذلك قال

ما ان رأيت قلوصا قبلها حملت   ستين وسقا ولاجابت به بلدا

وأما قوله يقرون ضيفهم الملوية الجددا فانما أراد السياط وجمع جديد جدد وكذلك باب فعيل الذى هو اسم او مضارع للاسم نحو قضيب وقضب ورغيف ورغف وكذلك سرير وسرر وجديد وجدد لانه يجرى مجرى الاسماء وجرير وجرر فما كان من المضاعف جاز فيه خاصة ان تبدل من ضمته فتحة لان التضعيف مستثقل والفتحة أخف من الضمة فيجوز ان يمال اليها استخفافا فيقال جدد وسرر ولا يجوز هذا فى مثل قضيب لانه ليس بمضاعف وقد قرأ بعض القراء على سرَر موضونة ويقال للسوط الاصبحىُّ ينسب الى ذى أصبح الحميرى وكان اول من اتخذ هذه السياط التى يعاقب بها السلطان ويقال له العرفاص والقطيع قال الشماخ * تكاد تطير من رأى القطيع * وقال الصلتان العبدى

أرى أمة شهرت سيفها   وقد زيد فى سوطها الاصبحى

وقال الراعى

أخذوا العريف فقطعوا حيزومه   بالاصبحية قائما مغلولا

وقال الراجز * حتى تردى طرف العرفاص * وقوله ولا جابت به بلدا يقول ولا قطعت به يقال جبت البلاد قال الله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . ويقال رجل جوّاب جوّال

٢٨ قال عتبة بن شماس يمدح عمر بن عبد العزيز

ان أولى بالحق فى كل حق   ثم احرى بان يكون حقيقا

من أبوه عبد العزيز بن مروا   ن ومن كان جده الفاروقا

رد أموالنا علينا وكانت   فى ذرا شاهق يفوت الأنوقا

قال ابو العباس يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان وأم عمر أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رحمه الله والانوق الرخمة ولا يقال الانوق . الا للرخمة الانثى ومن امثال العرب . هو أعز من بيض الانوق . وتقول

العرب لمن يطلب الامر العسير سألتنى بيض الانوق وذاك أنها تبيض فى رءوس الجبال فلا يكاد يوجد بيضها لبعد مطلبه وعسره فان سأله محالا قال سألتنى الابلق العقوق وانما هو الذكر من الخيل ويقال فرس عقوق اذا حملت فامتلأ بطنها. فالابلق العقوق محال . ويروى ان رجلا سأل معاوية أمرا لايوجد فأعلمه ذلك فسأل أمرا عسيرا بعده فقال معاوية

طلب الابلق العقوق فلما لم ينله أراد بيض الانوق

٢٩ وقال جرير يمدحه

ما عد قوم كاجداد تمدهم مروان ذو النور والفاروق والحكم
أشبهت من عمر الفاروق سيرته قاد البرية وائتمت به الامم
تدعو قريش وأنصار الرسول له أن يمتعوا بأبى حفص وما ظلموا

٣٠ وفيه يقول أيضاً

يعود الحلم منك على قريش وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد آمنت وحشهم برفق ويعيي الناس وحشك أن يصادا (١)
وتدعو الله مجتهداً ليرضى وتذكر فى رعيتك المعادا (٢)

٣١ وكان ابن سعد الازدى قد تولى صدقات الاعراب وأعطياتهم فقال جرير يشكوه الى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه

ان عيالى لافواكه عندهم وعند ابن سعد سكر وزبيب
وقد كان ظنى بابن سعد سعادة وما الظن الا مخطئ ومصيب
فان ترجعوا رزقى الى فانه متاع ليال والاداء قريب
تحنى العظام الراجفات من البلى وليس لداء الركبتين طبيب

٣٢ وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله يشكو اليه عماله ايضا

ان الذين أمرتهم ان يعدلوا نبذوا كتابك واستحل المحرم
وأردت ان يلى الامانة منهم بر وهيهات الابر المسلم

---

(١) وتبنى المجد ياعمر بن ليلى وتكفى الممحل السنة الجمادا
(٢) فما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجوادا

طلس الثياب على منابر أرضنا   كل بنقص نصيبنا يتكلم

أنشدنيه الرياشي عن الاصمعي ونظير هذا قول ابن همام السلولي

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا   ولكن حسن القول خالفه الفعل

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها   أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

وقد فسرنا هذا الشعر والاطلس الاغبر وربما اشتدت غبرته حتى يخفى في الغبار وانما اراد بقوله طلس الثياب انهم يظهرون تقشفا ويكون ان يكون جعلهم بمنزلة الذئاب وهو أحسن ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى رجلا بلدا فوفد عليه فجاءه مدهنا حسن الحال في جسمه عليه بردان فقال له عمر رضي الله عنه أهكذا وليناك ثم عزله ودفع اليه غنيمات يرعاها ثم دعا به بعد مدة فرآه باليا أشعث في ثوبين أطلسين وذكر عنده بخير فرده الى عمله وقال كلوا واشربوا وادهنوا فانكم تعلمون الذي تنهون عنه ويروى عن الحسن أنه قال اقربوا من هذه الاعواد فانهم اذا رقوها لقنوا الحكمة لتكون عليهم حجة يوم القيامة

٣٣ وفيه يقول جرير لمانعي (١)

نعى النعاة أمير المؤمنين لنا   يا خير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمرا جسيما فاصطبرت له   وقمت فيه بحق الله يا عمرا

فالشمس طالعة ليست بكاسفة   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

قوله ياعمرا ندبة أراد ياعمراه وانما الألف للندبة وحدها والهاء تزاد في الوقف لخفاء الألف فاذا وصلت لم تزدها تقول ياعمرا ذا الفضل فاذا وقفت قلت ياعمراه فحذف الهاء في القافية لاستغنائه عنها . فاما قوله نجوم الليل والقمرا ففيه أقاويل كلها جيد فمنها ان تنصب نجوم الليل والقمرا بقوله بكاسفة يقول الشمس طالعة

---

(١) أبقيت هذه القطعة وما بعدها الى آخر الباب بباب المدح مع انها من المراثي لأنها كانت على اتصال بما قبلها في الأصل الا قطعة الخزاعي فقد اتيت بها من مكان آخر تكملة لما قيل من الشعر في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وصح لي ان اختم بها باب المدح لتتصل بباب المراثي . السباعي

ليست بكاسفة نجوم الليـل والقمرا يقول انما تـكسف النجـوم والقمر بافراط ضيائها فاذا كانت من الحزن عليه قد ذهب ضياؤها ظهرت الـكواكب ويقال ان الغبار يوم حليمة سدَّ عين الشمس فظهرت الـكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس ويوم حليمة هو اليوم الذى سافر فيه المنذر بن المنذر بعرب العراق الى الحارث الاعرج الغسانى وهو الأكبر والحارث فى عرب الشام . وهو أشهر أيام العرب ومن أمثالهم فى الامر الفاشى « ما يوم حليمة بسر » وفيه يقول النابغة

تخيرن من أزمان يوم حليمـة ... الى اليوم قد جربن كل التجارب

وأظن قول القـائل من العرب . لأرينك الـكواكب ظهرا . انما أخـذ من يوم حليمة قال طرفة

ان تنوله فقد تمنعـه ... وتريه النجم يجرى بالظهُر

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله القسرى

لعمرى لقد سار ابن شيبة سيرة ... أرتك نجوم الليل مظهرة تجرى

ويجوز ان يكون نجوم الليل والقمرا أراد بها الظرف يقول تبكى الشمس عليك مدة نجوم الليل والقمر كقولك تبكى عليك الدهر والشهر وتبكى عليك الليل والنهار يا فتى . ويكون تبكى عليك الشمس النجوم كقولك بكيت زيدا على فلان لما رأيت به وقد قال فى هذا المعنى احد المحدثين شيئا مليحا وهو أحمد أخو أشجع السلمى يقوله لنصر بن شبث العقيلى وكان أوقع بقوم من بنى تغلب بموضع يعرف بالسواجير وهو أشبه بالشعر قال

لله سيف فى يدى نصر ... فى حده ماء الردى يجرى

أوقع نصر بالسواجير ما ... لم يوقع الجحـاف بالبشر

ابكى بنى بكر على تغلب ... وتغلبا ابكى على بكر

ويكون تبكى عليـك نجومُ الليـل والقمرا عـلى أن تـكون الواو فى معنى مع واذا كانت كذلك فـكان قبل الاسم الذى يليه أو بعده فعل انتصب لانه فى المعنى مفعول وصل الفعل اليه فنصبه ونظير ذلك استوى الماء والخشبةَ لأنك لم ترد استوى الماء واستوت الخشبة ولو أُردت ذلك لم يكن الا الرفع ولـكن التقدير

ساوى الماء الخشبة وكذلك ما زلت أسير والنيلَ يافتى لأنك لست تخبر عن النيل بسير وانما تريد ان سيرك بحذائه ومعه فوصل الفعل . وهذا باب يطول شرحه فان قلت عبد الله وزيد أخواك وأنت تريد بالواو معنى مع لم يكن الا الرفع لأن قبلها اسما مبتدأ فهى على موضعه وأجود التفسيرين عندنا فى قول الله عز وجل فأجمعوا امركم وشركاءَكم ان تكون الواو فى معنى مع لانك تقول أجمعت رأيى وأمرى وجمعت القوم فهذا هو الوجه . وقوم ينصبونه على دخوله بالشركة مع اللام فى معنى الاول والمعنى الاستعداد بهما فيجعلونه كقول القائل

يا ليت زوجك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا

والرمح لا يتقلد ولكن أدخله مع ما يتقلد فتقديره متقلدا سيفا وحاملا رمحا ويكون تقدير الآية فأجمعوا امركم وأعدوا شركاءكم والمعنى يؤول الى امر واحد ومن ذلك قوله . شراب ألبان وتمر وأقط . فاما ماجاء من القرآن على هذا خاصة فقوله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجليه ومنهم من يمشى على أربع فأدخل من ها هنا لأن الناس مع هذه الاشياء فجرت على لفظ واحد ولا تكون من الا لمن يعقل اذا أفردتها

٣٤ وقال رجل فى عمر بن عبد العزيز يرثيه أنشدنيه الرياشى

قد غيب الدافنون اللحد اذ دفنوا بدير سمعان قسطاس الموازين

من لم يكن همه عينا يفجرها ولا النخيل ولا ركض البراذين

أقول لما أتانى ثم مهلكه لا يبعدن قِوام الملك والدين

يقال هذا قِوام الأمر وملاكه لا غير وتقول فلان حسن القوام مفتوح تريد بذلك الشطاط لا يكون الا ذاك وقوام اذا كان اسما لم تنقلب واوه ياء من أجل الكسرة لأنها متحركة الا ان يكون جمعا قد كانت الواو فى واحده ساكنة فتنقلب فى الجمع لأن حركتها لعلة . تقول سوط وسياط وثوب وثياب وحوض وحياض فان كانت الواو فى الواحد متحركة ثبتت فى الجمع نحو طويل وطوال وكذلك فعال اذا كان مصدرا صح اذ اصح فعله واعتل اذا اعتل فعله فما كان مصدرا لفاعلت فهو فِعال صحيح نحو قاولته قوالا ولاوذته لواذا كقول الله

عز وجل قد يعلم الذين يتسللون منكم لواذا أى ملاوذة واذا كان مصدر فعلت اعتل لاعتلال الفعل فقلت قمت قياما ونمت نياما ولذت لياذا وعذت عياذا

٣٥ وقال رجل من خزاعة وينحله كُثير (١) يرثى عمر بن عبدالعزيز بن مروان (٢)

جلت رزيئته فعم مصابه ... فالناس فيهم كلهم مأجور (٣)
والناس مأتمهم عليه واحد ... فى كل دار رنة وزفير
يثنى عليك لسان من لم توله ... خيرا لانك بالثناء جدير

ومثله قول عمارة يمدح خالد بن يزيد بن مزيد

أرى الناس طرا حامدين لخالد ... وما كلهم أفضت اليه صنائعه
ولن يترك الاقوام أن يمدحوا الفتى ... اذا كرمت أخلاقه وطبائعه
فتى أمعنت ضراؤه فى عدوه ... وخصت وعمت فى الصديق منافعه

ومن قوله « والناس مأتمهم عليه واحد » أخذ الطائى فى مرثيته

لئن أبغض الدهر الخؤون لفقده ... لعهدى به حيا يحب به الدهر
لئن عظمت فيه مصيبة طيئ ... لما عريت منها تميم ولا بكر

٣٦ وقال عويف القوافى شعرا يرثى سليمان بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز رحمه الله هذا ما اخترنا منه

لاح سحاب فرأينا برقه ... ثم تدانى فسمعنا صعقه
وراحت الريح تزجى بلقه ... ودهمه ثم تزجى وُرقه
ذاك سقى ودقا فروى ودقه ... قبر امرىء أعظم ربى حقه
قبر سليمان الذى من عقه ... وجحد الخير الذى قد بقه
فى العالمين جله ودقه ... لما ابتلى الله بخير خلقه
وكادت النفس تساوى حلقه ... ألقى الى خير قريش وسقه
ياعمر الخير الملقى وفقه ... سميت بالفاروق فافرق فرقه

---

(١) قال أبو الحسن الذى صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوى
(٢) أما القبور فانهن أوانس ... بجوار قبرك والديار قبور
(٣) ردت صنائعه اليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور

وارزق عيال المسلمين رزقه   واقصد الى الخير ولا توقه

بحرك عذب الماء ما أعقه   ربك والمحروم من لم يسقه

يقال لاح البرق اذا بدا وألاح اذا تلألا وهذا البيت ينشد * من هاجه الليلة برق ألاح * ويقال شرقت الشمس اذا بدت وأشرقت اذا اضاءت وصفت ويقال صاعقة وصاقعة وبنو تميم تقول صاقعة والصعق شدة الرعد ويعنى به فى أكثر ذلك ما يعترى من يسمع صوت الصاعقة . وقوله تزجى بلقه يقول تسوقه وتستحثه والابلق من السحاب ما فيه سواد وبياض وفى الخيل كل لون يخالطه بياض فهو بلق والاورق الذى بين الخضرة والسواد وهو ألأم الوان الأبل ويقال ان لحم البعير الاورق أطيب لحمان الابل والودق المطر يقال ودقت السماء يافتى تدق ودقا قال الله جل وعز فترى الودق يخرج من خلاله وقال عامر بن جوين الطائى

* فلا مزنة ودقت ودقها   ولا أرض ابقل ابقالها *

وأصل العق القطع فى هذا الموضع وللعق مواضع كثيرة يقال عق والديه يعقهما اذا قطعهما وعققت عن الصبى من هذا وقالوا بل هو من العقيقة وهى الشعر الذى يولد الصبى به يقال فلان بعقيقته اذا كان بشعر الصبا لم يحلقه ويقال سيف كانه عقيقة أى كانه لمعه برق يقال رأيت عقيقة البرق يافتى اى اللمعة منه فى السحاب ويقال فلان عقت تميمته ببلد كذا اى قطعت عنه فى ذلك الموضع قال الشاعر

ألم تعلمى يادار بلجاء أننى   اذا أخصبت أو كاذ جدبا جنابها

أحب بلاد الله ما بين مشرف   الى وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تميمتى   وأول ارض مس جلدى ترابها

وقوله وجد الخير الذى قد بقه يقال بق فلان فى الناس خيرا كثيرا وبق ولده كثيرا وأبق كلاما كثيرا وقوله ألتى الى خير قريش وسقه فهذا مثل يريد قلده امره والوسق الحمل والوسق من الكيل مقدار خمسة أقفزة بقفيز البصرة وهو قفيزان ونصف بقفيز مدينة السلام وقوله «ليس فى أقل من خمسة أوسق صدقة» انما مبلغ ذلك خمسة وعشرون قفيزا بقفيز البصرى وقوله الملق وفقه يقال لفى

فلان خيراً أى جعل يلقاه والوفق التوفيق وقوله سميت بالفاروق فتأويل الفاروق هو الذى يفرق بين الحق والباطل وكذلك قال المفسرون فى الفرقان وقد أبان ذلك بقوله فافرق فرقه وقوله وارزق عيال المسلمين رَزقه . يقال رزقه يرزقه رَزقاً والاسم الرزق وقوله بحرك عذب الماء ما أعقه ربك مقلوب انما هو ما أقعه يقال ماء قعاع وماء حراق فالقعاع الشديد الملوحة يقول ما أملحه ربك والحراق الذى يحرق كل شئ بملوحته والماء العذب يقال له النقاخ وما دون ذلك شيئا يقال له المسوس أنشد أبو عبيدة

لو كنت ماء كنت لا عذب المذاق ولا مسوسا

يقال ماء عذب وماء فرات وهو أعذب العذب ويقال ماء ملح ولا يقال مالح وسمك مملوح ومليح ولا يقال مالح وأشد الماء ملوحة الاجاج قال الفرزدق

ولو أسقيتهم عسلا مصفى بماء النيل أو ماء الفرات
لقالوا انه ملح أجاج أراد به لنا احدى الهنات

وقوله ذاك سقى ودقاً فروى ودقه يقال فيه قولان أحدهما فروى الغيم ودقه هذا القبر يريد من ودقه فلما حذف حرف الجر عمل الفعل . والآخر كقولك رَويت زيدا ماء «ورَوى اكثر من أروى لانذروى لا يكون الا مرة بعد مرة» يقول فروى الله ودقه أى جعله رواء فأضمر لعلم المخاطب لان قوله لاح سحاب انما معناه ألاحه الله فالفاعل كالمذكور لان المعنى عليه ونظيره قوله عز وجل (انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب) ولم يذكر الشمس وكذلك « ما ترك على ظهرها من دابة » ولم يذكر الارض وقال قوم ودقه يريد ودقة واحدة وهذا ردىء فى المعنى ليس بمبالغ قال ابن الموصلى

لعمرى لئن حلئت عن منهل الصبا لقد كنت وراداً لمنهله العذب
ليالى أمشى بين بردىَّ لاهيا أميس كغصن البانة الناعم المرطب
سلام على سير القلاص مع الركب ووصل الغوانى والمدامة والشَّرب
سلام امرئ لم تبق منه بقية سوى نظر العينين أو شهوة القلب

فقوله والشرب يريد جمع شارب يقال شارب وشرب وراكب وركب وتاجر وتجر

وزائر وزور قال الطرماح

حب بالزور الذى لا يرى   منه الا صفحة عن لمام

وهذا باب متصل كثير قال العجاج

يواسط اكرم دار دارا   والله سمى نصرك الأنصارا

يريد أنصارك فأخرجه على ناصر ونصر وقوله سلامُ امرئٍ على البدل من قوله سلام على سير القلاص وان شئت نصبت بفعل مضمر كأنك قلت أسلم سلام امرئٍ لانك ذكرت سلاما أولا ومثل ذلك له صوت صوتَ حمار لانك لما قلت له صوت دلت على انه يصوت كانك قلت يصوت صوت حمار وكذلك له حنين حنينَ ثكلى وله صريف صريفَ القعو بالمسد أى يصرف صريفا فما كان من هذا نكرة فنصبه على وجهين على المصدر وتقديره يصرف صريفا مثل صريف جمل وان شئت جعلته حالا وتقديره يخرجه فى هذه الحال وما كان معرفة لم يكن حالا ولكن على المصدر . فأن كان الاول فى غير معنى الفعل لم يكن النصب ألبتة ولم يصلح الا الرفع على البدل تقول له رأس رأس ثور وله كف كف أسد فالمرتفع الثانى اذا كان نكرة كان بدلا أو نعتاً واذا كان معرفة كان بدلا ولم يكن نعتاً لان النكرة لا تنعت بالمعرفة وكذلك اذا كان الاول ابتداء لم يجز الا الرفع لان الكلام غير مستغن وانما يجوز الاضمار بعد الاستغناء تقول صوته صوت الحمار وغناؤه غناء المجيدين وكذلك ان خبرت بأمر مستقر فيه اختير الرفع تقول له علم علمُ الفقهاء وله رأى رأى القضاة لانك انما تمدحه بأن هذا قد استقر له وليس الابلغ فى مدحه أن تخبر بأنك رأيته فى حال تعلم ويجوز النصب على انك رأيته فى حال تعلم فاستدللت بذلك على علمه فهذا يصلح والأجود الرفع فاذا قلت له صوت صوتَ حمار فأنما خبرت انه يصوت فهذا سوى ذلك المعنى ومما يختار فيه الرفع قولك عليه نوح نوحُ الحمام وانما اختير الرفع لان الهاء فى عليه اسم المفعول له والهاء فى له اسم الفاعل ويجوز النصب على انك اذا قلت عليه نوح دل النوح على أن معه نائحا فكانك قلت ينوحون نوح الحمام فهذا تفسير جميع هذه الابواب وقال ابن الخياط المدينى يعنى مالك بن أنس .

يأبى الجواب فما يراجع هيبة والسائلون نواكس الاذقان
هدى التقىّ وعز سلطان النهى فهو العزيز وليس ذا سلطان

أراد له هدى التقى أو معه هدى التقى

باب التأبين والرثاء

١ تصدير هذا الباب الجامع لأبى العباس المبرد

قال أبو العباس كان الحسن يقول . الحمد لله الذى كلفنا مالو كلفنا غيره لصرنا فيه الى معصيته وآجرنا على ما لا بد لنا منه . يقول كلفنا الصبر ولو كلفنا الجزع لم يمكنا أن نقيم عليه وآجرنا على الصبر ولا بد لنا من الرجوع اليه . وكان على بن أبى طالب صلوات الله عليه يقول عند التعزية عليكم بالصبر فان به يأخذ الحازم واليه يعود الجازع . وقال للأشعث بن قيس . ان صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وان جزعت جرى عليك القدر وأنت موزور . وقال الحريمى

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وفى هذا الشعر وان لم يكن من هذا الباب

وأعددته ذخرا لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر مولع

وذكر المدائنى أن رجلا عزى رجلا أفرط عليه الجزع على ابنه فقال ياهذا سررت به وهو حزن وفتنة وجزعت عليه وهو صلاة ورحمة . فسرى عنه . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعزوا عن مصائبكم بى . وقال رجل لابن عمر أعظم الله أجرك فقال نسأل الله العافية ومعناه انه لما قال له أعظم الله أجرك انما دعا بأن يكثر ما يؤجر عليه ودل على انه من باب المصائب تعزيته اياه .

هذا وقد ذكرنا فى صدر كتابنا انا نذكر فيه خطبا ومواعظ فمما نذكره من ذلك أمر التعازى والمراثى فانه باب جامع وقد قيل انه لم يقل فى شئ قط كما قيل فى هذا الباب لان الناس لا ينفكون من المصائب ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه ومن لم يعدم نفيسا كان هو المعدوم دون النفيس وحق الانسان الصبر

على النوائب واستشعار ما صدرناه اذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار لا دار استواء وعلى فراق المألوف حرقة لاتدفع ولوعة لا ترد وانما يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة فى الآخرة وجميل الذكر فقد قال أبو خراش الهذلى وهو أحد حكماء العرب يذكر أخاه عروة بن مرة

تقول أراه بعد عروة لاهيا ... وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبي انى تناسيت عهده ... ولكن صبرى يا أميم جميل

وقال عمرو بن معد يكرب

كم من أخ لى حازم ... بوأته بيدىّ لحدا
أعرضت عن تذكاره ... وخلقت يوم خلقت جلدا

وكان يقال من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصايب فعاجز الرأى. وعزى رجل رجلا عن ابنه فقال أكان يغيب عنك قال كانت غيبته اكثر من حضوره قال فأنزله غائبا عنك فانه ان لم يقدم عليك قدمت عليه.

وقال ابرهيم بن المهدى يذكر ابنه.

وانى وان قدمت قبلى لعالم ... بأنى وان ابطأت منك قريب
وان صباحا نلتقى فى مسائه ... صباح الى قلبي الغداة حبيب

وكفى باليأس معزيا وبانقطاع الأمل زاجرا كما قال الشاعر

أيا عمرو لم أصبر ولى فيك حيلة ... ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر
تصبرت مغلوبا وانى لموجع ... كما صبر العطشان فى البلد القفر

وقال بعض المحدثين (١) وليس بناقصه حظه من الصواب انه محدث يقوله لرجل رثاه

عجبت لصبري بعده وهو ميت ... وقد كنت أبكيه دما وهو غائب
على انها الايام قد صرن كلها ... عجائب حتى ليس فيها عجائب

وحدثت أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك خطب الناس فقال. الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجبا على عباده فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم

---

(١) قال الأخفش هو حبيب الطائى

ودنيهم فقال تبارك وتعالى كل نفس ذائقة الموت فليعلم ذوو النهى منهم أنهم صائرون الى قبورهم مفردون بأعمالهم واعلموا أن لله مسألة فاحصة قال الله تبارك وتعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون . وله يقول القائل

تعز أمير المؤمنين فانه ... لما قد ترى يغذى الصغير ويولد
هل ابنك الا من سلالة آدم ... لكل على حوض المنية مورد

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثى اخاه عاصم بن عمر .

فان يك حزن أو تجرع غصة ... أمارا نجيعا من دم الجوف منقعا
تجرعته فى عاصم واحتسيته ... لأعظم منه ما احتسى وتجرعا

وقال رجل من قريش يرثي ابنه (١)

بأبى وأمى من عبأت حنوطه ... بيدى وودعنى بماء شبابه
كيف السلو وكيف صبرى بعده ... واذا دعيت فانما أكنى به

وقال أبو سعيد اسحاق بن خلف يرثي ابنة أخته وكان تبناها وكان حدبا عليها كلفا بها .

أمست أميمة معمورا بها الرجم ... لقى صعيد عليها الترب مرتكم
يا شقة النفس ان النفس والهة ... حرى عليك ودمع العين منسجم
قد كنت أخشى عليها أن تقدمنى ... الى الحمام فيبدى وجهها العدم
فالآن نمت فلاهم يؤرقنى ... يهدا الغيور اذا ما أودت الحرم
للموت عندى أياد لست أنكرها ... أحيا سرورا وبى مما أتى ألم

وهذه المرثية ليست مما تقع مع الجزع القراح والحزن المفرط ولكنه باب للراثى يجمع افراط الجزع وحسن الاقتصاد والميل الى التشكى والركون الى التعزى وقول من كان له واعظ من نفسه أو مذكر من ربه ومن غلبت عليه الجسارة وكان طبعه الى القساوة فقد اختلط كل بكل . وقال رجل من المحدثين يرثى أخاه

تجل رزيات وتعرو مصائب ... ولا مثل ما أنحت علينا يد الدهر
لقد عركتنا للزمان ملمة ... أذمت بمحمود الجلادة والصبر

(١) قال أبو الحسن هو العتبى

فهذا يحسن من قائله ان الرزء كان جليلا باجماع فللقائل ان يتفسح فى القول فيه وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وكان عبد الرحيم من جلة اهله لسنا و نعمة وسنا وولاية ومات معزولا عن اليمن فى حبس الخليفة . وأم جعفر بن سليمان أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب صلوات الله عليهم فلذلك يقول عبد العزيز فى هذه القصيدة

بموتك يا عبد الرحيم بن جعفر ... تفاحش صدع الدين عن ألأم الكسر
فيا ابن النبي المصطفى وابن بنته ... ويا ابن على والفواطم والحبر
ويا ابن اختيار الله من آل آدم ... أبا فأبا طهرا يؤدى الى طهر
ويا ابن سليمان الذى كان ملجأ ... لمن ضاقت الدنيا به من بنى فهر
ومن ملأ الدنيا سماحا ونائلا ... وروى حجيجاً بالملمعة القفر
لعز بما قد نالنا من رزيئة ... بموتك محبوسا على صاحب القبر
فان تضح فى حبس الخليفة ثاويا ... أبيا لما يعطى الذليل على القسر
لكم من عدو للخليفة قد هوى ... بكفك او اعطى المقادة عن صغر
فوا حزنا لو فى الوغى كان موته ... بكينا عليه بالردينية السمر
وكنا وقيناه القنا بنحورنا ... وفات كذا فى غير هيج ولا نفر

وحدثت ان عمر بن الخطاب لما ولى كعب بن سور الازدى قضاء البصرة اقام عاملا له عليها الى ان استشهد على انه كان قد عزله ثم رده فلما قام عثمان بن عفان اقره فلما كان يوم الجمل خرج مع اخوة له قالوا ثلاثة وقالوا اربعة وفى عنقه مصحف فقتلوا جميعاً فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت :

يا عين جودى بدمع سَرِبْ ... على فتية من خيار العرب
وما لهم غيرُ حين النفو ... س اى اميرى قريش غلب

هذه الرواية سَرِب وقالوا معناه جار فى طريقه من قولهم انسرب فى حاجته وبيت ذى الرمة يختار فيه الفتح * كأنه من كلى مفرية سرب * لانه اسم والاول المكسور نعت ويقبح وضع النعت فى موضع المنعوت غير المخصوص (١) وقولها

---

(١) قال ابو الحسن حق النعت أن يأتى بعد المنعوت ولا يقع فى موقعه حتى يدل

غير حين النفوس نصب على الاستثناء الخارج من اول الكلام وقد ذكرناه مشروحا.

والمراثى كثيرة كما وصفنا وانما نكتب منها المختار والنادر والمتمثل به السائر .

٢ قال ابو العباس والمصائب ما عظم منها وما صغر تقع على ضربين فالحزم التسلى عما لا يغنى الغم فيه والاحتيال لدفع مايدفع بالحيلة . ومن احسن القول فى هذا المعنى فى الاسلام قول على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام حين مات ابنه فلم يرمنه جزع فسئل عن ذلك فقال . امر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره وفى هذا زيادة تنتظر وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل والعرب تقول الحذر اشد من الوقيعة وقال رجل من الحكماء انما الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر فاذا وقع فالرضا والتسليم • ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا استأثر الله بشىء فاله عنه • يقال لهيت عن الامر ألهى اذا اضربت عنه ولهوت الهو من للعب • ومن اقدم ماقيل فى هـذا المعنى قول اوس بن حجر الاسيّدى من بنى سيّد ابن عمرو بن تميم يرثى فضالة بن كلدة احد بنى اسد بن خزيمة

أيتها النفس أجملى جزعا ان الذى تحذرين قد وقعا
ان الذى جمع السماحة والنجـ ـدة والحزم والقوى جمعا(١)
الالمعى الذى يظن لك الظـ ـن كأن قد رأى وقد سمعا
المخلف المتلف المرزأ لم يمتع بضعف ولم يمت طبعا
والحافظ الناس فى تحوط اذا لم يرسلوا خلف عائذ رُبعا
وعزت الشمأل الرياح وقد امسى كميع الفتاة ملتفعا
وشبه الهيدب العبام من الأ قوام سقبا ملبسا فرعا
وكانت الكاعب الممنعة الـ حسناء فى زاد اهلها سبعا
ليبكك الشرب والمدامة والـ فتيان طرا وطامع طمعا

عليه فيكون خاصا له دون غيره تقول جاءنى انسان طويل فان قلت جاءنى طويل لم يجز لان طويلا اعم من قولك انسان فلايدل عليه فان قلت جاءنى انسان متكلم ثم قلت بعد جاءنى متكلم جاز لانك تدل به على الانسان فهذا شرح قوله المخصوص

(١) أودى فما تنفع الأساعة من شىء لمن قد تحاول البدعا

وذات هدم عار نواشرها   تصمت بالماء تولبا جدعا

وفيها زيادة لكنا اخترنا . قوله الالمعى هو الحديد اللسان والقلب وقد ابانه بقوله . الذى يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وقوله المخلف المتلف اراد أنه يتلف ماله كرما ويخلفه نجدة كما قال

ناقته ترقل فى النقال   متلف مال ومفيد مال

وقال آخر : * فأتلف ذاك متلاف كسوب * والمرزأ الذى تناله الرزيئات فى ماله لما يعطى ويسأل والامتاع الاقامة فيقول لم يقم وهو ضعيف والطبع أسوأ الطمع واصله ان القلب يعتاد الخلة الدنيئة فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم اقبح ما يظهر منه وهذا مثل وأصله فى السيف وما اشبهه يقال طبع السيف اذا ركبه صدأ يستر حديده . وطبع الله على قلوبهم من ذا . ومحوط وقحوط اسمان للسنة الجدبة كما يقال حجرة وكحل وقوله * لم يرسلوا خلف عائذ ربعا * فالعائذ الحديثة النتاج ومن شأنهم فى سنة الجدب ان ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر بالامهات والربع الذى ينتج فى الربيع والهبع الذى ينتج فى الصيف يقال ماله هبع ولا ربع وانما سمى هبعا لان الربع اسن منه فيمشى مع امهاته ولا يلحقهن الهبع الا باجتهاد فيستعين بعنقه فى المشى فيقال اذا فعل ذلك هبع يهبع وقوله وقد امسى كميع الفتاة فالكميع الضجيع وهو الكمع قال الراجز * ومشحوذ الغرار يبيت كمعى * يعنى السيف اى يبيت مضاجعى وملتفعا يقال تلفع فى مطرفه وفى كسائه اذا تلفف وتزمل فيه فيقول من شدة الصر يلتفع به دون ضجيعه والكاعب التى كعب ثديها يقول تصير كالسبع فى زاد اهلها بعد ان كانت تعاف طيب الطعام وقوله وذات هدم يعنى امرأة ضعيفة والهدم الكساء الخلق الرث وقوله عار نواشرها النواشر عروق الساعد والتولب الصغير والجدع السيء الغذاء وهو الحجن والقتين . أما قوله وعزت الشمأل الرياح (١) فانه يقول غلبتها فكانت

(١) من هنا الى آخر الشرح كان قد ذكره ابو العباس فى باب التشبيه شرحا لهذا البيت وكان قد ورد استطرادا لشاهد آخر فرأينا ضمه الى شرح قصيدته لانه أولى به مع المحافظة على ما استدعاه الاستشهاد هناك .   السباعي

اقوى منها فلم تدع لها موضعا وتلك علامة الجدب وذهاب الامطار وفى القرآن (وعزنى فى الخطاب) اى غلبنى فى المخاطبة والخصومة ومن امثال العرب من عزبز . وتأويله من غلب سلب قالت الخنساء

كان لم يكونوا حمى يتقى　　　اذ الناس اذ ذاك من عزبزا

قال أبو العباس وحدثنى عمرو بن بحر الجاحظ قال رأيت رجلا من غنى يفاخر رجلا من بنى فزارة ثم احد بنى بدر بن عمرو وكان الغنوى متمكنا من لسانه وكان الفزارى بكيا فقال الغنوى ماؤنا ما بين الرَقَم الى كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رشاء وأعذب منهم ماء لنا ريف السهول ومعاقل الجبال وأرضهم سبخة ومياههم أملاح وأرشيتهم طوال والعرب اذ ذاك بمن عزبز فبعزنا ماتخيرنا عليهم وبذلهم ما رضوا عنا بالضيم . قوله كان الفزارى بكيا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك فى الحَلَب يقال ناقة غزيرة وناقة بكى وهى ضد الغزيرة أى قليلة اللبن ودهين وصمرد فى معنى يقال بكأت الشاة والناقة وبكؤت قال الشاعر

فاذا ما خاردت أو بكؤت　　　فض عن خاتم اخرى طينها

وقال سلامة بن جندل الطهوى

يقول محبسها أدنى لمرتعها　　　وان تداعى ببكء كل محلوب

يقول ان نحبس الابل على ضر ونقاتل عنها فهو أدنى بأن تعز فترتع فيما تستقبل وان ذهبت البانها لانا ان طردناها وهربنا طمع فينا واستذلنا ويقال فى الكلام رجل عيي بكي

قال ابو العباس وهذا الغنوى اذا حاول بقبيلته آل بدر فقد اعظم الفرية وبلغ فى البهت وأسمت العدو بجمهور قيس وصار بهم الى ما قال الاخطل

وقد سرنى من قيس عيلان اننى　　　رأيت بنى العجلان سادوا بنى بدر

وكان زياد يقول وهو الغاية فى السياسة أوصيكم بثلاثة بالعالم والشريف والشيخ فوالله لا أوتى بوضيع سب شريفا او شاب وثب بشيخ او جاهل امتهن عالما الا عاقبت وبالغت .

وقال عمارة لبنى اسد بن خزيمة .

يأيها السائلى عمداً لأخبره بذات نفسى وأيدى الله فوق يدى
ان تستقم اسد ترشد وان شغبت فلا يلم لائم الا بنى أسد
انى رايتكم يعصى كبيركم وتكنعون الى ذى الفجرة النكد
فباعد الله كل البعد داركم ولا شفا كم من الأضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من اقبح العيب وأدله على ضغن بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضا .

والوضيع ينقلب الى الشريف لانه يرى مقاولته فخرا والاجتراء عليه ربحا كما أن مقاولة الشريف للئيم ذل وضعة قال الشاعر

اذا انت قاولت اللئيم فانما يكون عليك العتب حين تقاوله
ولست كمن يرضى بما غيره الرضا ويمسح رأس الذئب والذئب آكله

« وسنشبع فى هذا المعنى ان شاء الله » وفى هذا الشعر بيت يقدم فى باب الفتك وهو

فلا تقربن امر الصريمة بامرىء اذا رام امرا عوقته عواذله (١)

الصريمة العزيمة

وقد امتنع قوم من الجواب تنبلا ومواضعهم تنبىء عن ذلك وامتنع قوم عيابلا اعتلال وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكراهة السفه وبعضهم معتل برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يسبه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض ويسب سيد قومه وكانت الجاهلية ربما فعلته فى الدخول قال الراجز

ان بجيلا كلما هجانى ملت على الاغطش او أبان
او طلحة الخير فتى الفتيان أولاك قوم شأنهم كشانى
ما نلت من اعراضهم كفانى وان سكت عرفوا احسانى

وقال احد المحدثين

انى اذا هر كلب الحى قلت له إسلم وربك مخنوق على الجرد .

قوله إسلم فاستأنف بألف الوصل لان النصف الاول موقوف عليه قال الشاعر

---

(١) وقل للفؤاد ان ترى بك نزوة من الروع أفرخ اكثر الروع باطله

ولا يبادر فى الشتاء وليدها … ألقدر ينزلها بغير جعال

والجعال الذى يوضع فيه البرمة وربما توقيت به حرارتها وقال الراجز

لانسب اليوم ولا خلة … اتسع الخرق على الراقع

وهذا كثير غير معيب

وفى مثل اختيار النبيل لتتكافأ الاعراض قول الأخطل

شفى النفس قتلى من سليم وعامر … ولم يشفها قتلى غنى ولاجسر

ولا جشم شر القبائل انها … كبيض القطا ليسوا بسود ولا حمر

ولو ببنى ذبيان بلت رماحنا … لقرت بهم عينى وباء بهم وترى

وقال رجل من المحدثين وهو حمدان بن أبان اللاحق

أليس من الكبائر ان وغدا … لآل معذل يهجو سدوسا

هجا عرضا لهم غضا جديدا … وأهدف عرض والده اليبيسا

وقال آخر .

اللؤم اكرم من وبر ووالده … واللؤم اكرم من وبر وما ولدا

قوم اذا جرجانى قومهم أمنوا … من لؤم أحسابهم ان يقتلوا قودا

اللؤم داء لوبر يقتلون به … لا يقتلون بداء غيره أبدا

وقال أحد المحدثين (١)

اما الهجاء فدق عرضك دونه … والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت عتيق عرضك انه … عرض عززت به وانت ذليل

وقال آخر

نبئت كلبا هاب رميى له … ينبحنى من موضع نائى

لو كنت من شئ هجوناك او … لو نلت للشايع والرائى

فعد عن شتمى فانى امرؤ … حلمنى قلة اكفائى

وقال آخر (٢)

فلو انى بليت بهاشمى … خؤولته بنو عبد المدان

---

(١) هو دعبل (٢) هو دعبل أيضا

صبرت على عداوته ولكن　　تعالى فانظرى بمن ابتلانى

ووقف رجل عليه مقطعات على الاحنف بن قيس يسبه وكان عمرو بن الأهتم جعل له الف درهم على ان يسفه الأحنف فجعل لا يألو ان يسبه سبا يغضب والأحنف مطرق صامت فلما رآه لا يكلمه اقبل الرجل يعض ابهاميه ويقول ياسوأتاه والله مايمنعه من جوابى الا هوانى عليه . وفعل ذلك آخر فأمسك عنه الاحنف فأكثر الرجل الى ان أراد الاحنف القيام للغداء فأقبل على الرجل فقال له ياهذا ان غداءنا قد حضر فانهض بنا اليه ان شئت فانك مذ اليوم تحدو بجمل ثفال والثفال من الأبل البطئ الثقيل الذى لا يكاد ينبعث . وعدت على الاحنف سقطة فى هذا الباب وهو ان عمرو بن الأهتم دس اليه رجلا ليسفه فقال أبا بحر ما كان أبوك فى قومه قال كان من أوسطهم لم يسدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانية «وفطن الاحنف انه من قبل عمرو» فقال ما كان مال أبيك فقال كانت له صرمة يمنح منها ويقرى ولم يك أهتم سلاحا . وجعل لرجل الف درهم على أن يسأل عمرو ابن العاص عن أمه ولم تكن فى موضع مرضى فأتاه الرجل وهو بمصر امير عليها فقال اردت ان اعرف ام الامير فقال نعم كانت من عَنَزَة ثم من بنى جلان تسمى ليلى وتلقب النابغة اذهب وخذ ماجعل لك . وقال له مرة المنذر بن الجارود أى رجل أنت لولا أمك قال فانى أحمد الله اليك انى فكرت فى هذا البارحة فأقبلت أنقلها فى قبائل العرب فما خطرت لى عبد القيس على بال . ودخل عمرو مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم فى شئ من ذكرى قالوا أجل كنا نميِّل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام على أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وأمى من قد عرفتم وكان أحب الى أبيه منى وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد وأسلم قبلى واستشهد وبقيت . وقد اكثر الناس فى الباب الذى ذكرناه وانما نذكر من الشئ وجوهه ونوادره . قال رجل لرجل من آل الزبير كلاما أقذع له فيه فأعرض الزبيرى عنه ثم دار كلام فسب الزبيرى على بن الحسين فأعرض عنه فقال له الزبيرى مايمنعك من جوابى فقال على ما منعك من جواب الرجل . وقد روى قول القائل لو قلت

واحدة لسمعت عشرا فقال له الرجل ولكنك لو قلت عشرا ما سمعت واحدة .
وقال الشاعر .

ولقد أمر على اللئيم يسبني فأجوز ثم أقول لا يعنيني

وقال رجل لرجل وسبه فلم يلتفت اليه اياك أعني فقال له الرجل . وعنك أعرض فأما قول الشعبي للرجل ما قال فمن غير هـذا الباب وانما مخرجه الديانة وذاك أن رجلا سب الشعبي بأمور قبيحة نسبه اليها فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى . وقال أبو العباس قال رجل لأبي بكر الصديق رحمه الله لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لا معي(١) .

قال أبو العباس ويتصل بهـذا الباب ذكر من رغب برجل عن ارث رجل لا يشاكله وولاية رجل لا يشابهه . قال الشاعر

بكت دار بشر شجوها أن تبدلت هلال بن قعقاع ببشر بن غالب
وما هي الا كالعروس تنقلت على رغمها من هاشم فى محارب

وقال الفرزدق حين ولى العراق عمر بن هبيرة الفزاري يعقب مسلمة بن عبد الملك

راحت بمسلمة البغال عشية فارعى فزارة لا هناك المرتع
ولقد علمت اذا فزارة أمرت أن سوف تطمع فى الأمارة أشجع
فأرى الأمور تنكرت أعلامها حتى أمية عن فزارة تنزع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله وأخو هراة لمثلها يتوقع

قال ابو العباس وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق وفى ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك بن مروان

---

(١) ويحدث ابن عائشة عن أبيه ان رجلا من أهل الشأم دخل المدينة فقال رأيت رجلا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا أحسن لباسا ولا أفره مركبا منه فسألت عنه فقيل لى الحسن بن على بن أبي طالب فامتلأت له بغضا فصرت اليه فقلت أأنت ابن أبي طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت له فيك وبك وبأبيك أسبهما فقال أحسبك غريبا قلت أجل فقال ان لنا منزلا واسعا ومعونة على الحاجة ومالا نواسي منه فانطلقت وما أجد على وجه الارض أحب الى منه .

أمير المؤمنين وأنت بر أمين لست بالطبع الحريص
أأطعمت العراق ورافديه فزاريا أحذ يد القميص
تفهق بالعراق ابو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص
ولم يك قبلها راعى مخاض ليأمنه على وركَيْ قلوص

فلما ولى خالد بن عبد الله القسرى على عمر بن هبيرة قال رجل من بنى أسد يجيب الفرزدق

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى عنها أمية بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجبا وأحدث بعده أمر تضج له القلوب وتفزع
بكت المنابر من فزارة شجوها فاليوم من قسر تذوب وتجزع
وملوك خندف أسلمونا للعدى لله در ملوكنا ما تصنع
كانوا كتاركة بنيها جانبا سفها وغيرهم تصون وترضع

ولما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسرى قال الفرزدق .

لعمرى لئن نابت فزارة نوبة لمن حدث الأيام تحسبها قسر
لقد حبس القسرى فى سجن واسط فتى شيظميا ما ينهنهه الزجر
فتى لم تربه النصارى ولم يكن غذاء له لحم الخنازير والخمر

فلما نقب له السجن وهرب وسار تحت الارض هو وابنه حتى نفذا قال له الفرزدق

لما رأيت الارض قد سد ظهرها ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعد ما ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت سيرة وما سار سارٍ مثلها حيث أدلجا
خرجت ولم يمنن عليك طلاقة سوى ربذ التقريب من آل أعوجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميراً ومدحنى أسيراً .
قول الفرزدق لست بالطبع الحريص فالطبع الشديد الطمع الذى لا يفهم لشدة طمعه وانما أخذ هذا من طبع السيف يقال طبع السيف يافتى وهو سيف طبع اذا ركبه الصدأ حتى يغطى عليه والمثل من هذا فى الذى طبع على قلبه انما هو تغطية وحجاب يقال طبع الله على قلب فلان كما قال جل وعز طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم هذا الوقف ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة وكذلك رين على قلبه

وغين على قلبه فالرين يكون من أشياء تألف عليه فتغطيه قال الله جل وعز كلا بل ران على قلوبهم ما يكونوا يكسبون وأما غين على قلبه فهى غشاوة تعتريه والغينة القطعة من الشجر الملتف تغطى ما تحتها قال الشاعر

كأنى بين خافيتى عقاب   أصاب حمامة فى يوم غين

وقال بعضهم أراد فى التفاف من الظلمة وقال آخرون أراد فى يوم غيم فأبدل من الميم نوناً لاجتماع الميم والنون فى الغنة كما يقال للحية أيم وأين واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون فى القوافى لما ذكرت لك من اجتماعهما فى الغنة قال الراجز

بنى ان البر شئ هين   المنطق اللين والطعيم

وقال آخر .

ماتنقم الحرب العوان منى * بازل عامين حديث سنى * لمثل هذا ولدتنى أمى

والعراقان البصرة والكوفة والرافدان دجلة والفرات وقوله أحذ يد القميص الأحذ الخفيف قال طرفة وأتلع نهاض أحذململم . وانما نسبه بالخفة فى يده الى السرق وقوله . تفهق أى امتلأ ماء يقال بئر تفهق وغدير يفهق اذا امتلأ ماء قال الراجز .

لا ذنب لى قد قلت للقوم استقوا   والقوم فى عرض غدير يفهق

وقال الأعشى فى مدحه المحلق بن حنتم أحد بنى أبى بكر بن كلاب

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة   كجابية الشيخ العراقى تفهق

هكذا رواية أبى عبيدة وقوله .

ولم يك قبله راعى مخاض   ليأمنه على وركى قلوص

كانت بنو فزارة ترمى بغشيان الابل ولذلك قال بن دارة .

لا تأمنن فزاريا خلوت به   على قلوصك وا كتبها بأسيار

وقوله شيظمياً فالشيظمى الطويل قال ذو الرمة

اذا ما رمينا رمية فى مفازة   عواقيبها بالشيظمى المواشك

يريد حاديا يسوقها وقوله ما ينهنهه الزجر يقول ما يحركه وقوله فتى لم تربه النصارى ينبه به على أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه استلبها فى

يوم عيد للروم فأولدها خالدا وأسدا ولذلك يقول الفرزدق

ألا قطع الرحمن ظهر مطية　　أتتنا تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من كانت امه　　تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لأمه　　ويهدم من كفر منار المساجد

وقال أيضا

عليك أمير المؤمنين بخالد　　وأصحابه لا طهر الله خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لأمه　　ويهدم من بغض الصلاة المساجدا

وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالى موالى الانصار وهو

ليتنى فى المؤذنين حياتى　　انهم يبصرون من فى السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم　　بالهوى كل ذات دل مليح

فحطها عن دور الناس وروى عنه فيما روى من عتوه انه استعفى من بيعة بناها لأمه فقال لملأ من المسلمين قبح الله دينهم ان كان شرا من دينكم . أما قوله حيث أدلجا فتقول أدلجت اذا سرت من أول الليل وادّلجت اذا سرت من آخره فى السحر قال زهير .

بكرن بكورا وادلجن بسحرة　　فهن لوادى الرس كاليد للفم

وأعوج فرس كان لغنىّ وقالوا كان لبنى كلاب ولا ينكر هذا لان حبيبة بنت رياح الغنوية ولدت بنى جعفر بن كلاب فلعله ان يكون صار الى بنى جعفر ابن كلاب من غنى والعرب تنسب الخيل الجياد الى أعوج والى الوجيه ولاحق والغراب واليحموم وما أشبه هذه الخيل من المتقدمات قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجأ وسلمى　　تخب نزائعا خبب الذئاب
جلبنا كل طرف أعوجىّ　　وسلهبة كخافية العقاب

٣ قال أبو العباس وكانت العرب تقدم مراثى وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن وكانهم يرون ما بعدها من المراثى منها أخذت وفى كنفها تصلح فمنها قصيدة أعشى باهلة ويكنى أبا قحافة التى يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى

وكان أحد رجلي العرب (١) وهم السعاة السابقون فى سعيهم وكان من خبره انه أسر صلاءة بن العنبر الحارثى فقال افد نفسك فأبى فقال لاقطعنك أنملة أنملة وعضوا عضوا مالم تفتد نفسك فجعل يفعل ذلك به حتى قتله ثم حج من بعد ذلك ذا الخلصة وهو بيت كانت خثعم تحجه زعم أبو عبيدة انه بالعبلات وانه مسجد جامعها فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه فقالوا لنفعلن بك كما فعلت بصلاءة ففعلوا ذلك به فلقى راكب أعشى باهلة فقال له هل من جائبة خبر قال نعم أسرت بنو الحارث المنتشر «وكانت بنو الحارث تسمى المنتشر مجدعا» فلما صار فى أيديهم قالوا لنقطعنك كما فعلت بصلاءة فقال أعشى باهلة يرثيه

انى أتتنى لسان لا أسر بها ... من عل لا عجب منها ولا سخر
فبت مرتفقاً للنجم أرقبه ... حيران ذا حذر لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم ... وراكب جاء من تثليث معتمر
يأبى على الناس لا يلوى على احد ... حتى التقينا وكانت دونا مضر
ينعى امرأ لا تغب الحى جفنته ... اذا الكواكب أخطا نوءها المطر
من ليس فى خيره شر يكدره ... على الصديق ولا فى صفوه كدر
طاوى المصير على العزاء منصلت ... بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
لا تنكر البازل الكوماء ضربته ... بالمشرفى اذا ما اجلوذ السفر
وتفزع الشول منه حين تبصره ... حتى تقطع فى أعناقها الجرر
لا يصعب الامر الا ريث يركبه ... وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر
تكفيه فلذة كبد ان الم بها ... من الشواء ويكفى شربه الغمر
لا يتأرى لما فى القدر يرقبه ... ولا تراه أمام القوم يقتفر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصفر
مهفهف أهضم الكشحين منخرق ... عنه القميص لسير الليل محتقر

---

(١) قال الاخفش هو منسوب الى الرجل

عشنا بذلك دهراً ثم فارقنا كذلك الرمح ذو التصلين ينكسر(١)
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه من كل أوب وان لم يأت ينتظر
اما يصبك عدوفى مباوأة يوما فقد كنت تستعلى وتنتصر
لو لم تخنه نُفيل وهي خائنة الم بالقوم ورد منه أو صدر
وزاد حرب شهاب يستضاء به كما يضيء سواد الطخية القمر
اما سلكت سبيلا كنت سالكها فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر
من ليس فيه اذا قاولته رهق وليس فيه اذا عاسرته عَسِر

قوله انى اتتنى لسان يقال هو اللسان وهى اللسان فمن ذكر فجمعه ألسنة ونظيره حمار وأحمرة وفراش وأفرشة وازار وآزرة ومن أنث قال لسان وألسن كما تقول ذراع وأذرع وكُراع واكرع لاتبالى أمضموم الأول كان أومفتوحاً أومكسوراً اذا كان مؤنثا الا ترى انك تقول شمال وأشمل قال أبو النجم

* يأتى لها من أيمن وأشمل * وقال آخر أنشدنيه المازنى .

فظلت تكوس على أكرع ثلاث وكان لها أربع

وأراد باللسان هاهنا الرسالة وقوله من عل يقول من فوق فاذا كان معرفة مفردا بنى على الضم كقبل وبعد واذا جعلته نكرة نونته وصرفته كما قال جرير

انى انصببت من السماء عليكم حتى اختطفتك يافرزدق من عل

والقوافى مجرورة وان شئت رددت ما ذهب منه وهى ألف منقلبة من واو لان بناءه فَعَل من علا يا فتى قال الراجز .

وهى تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع أجواز الفلا

وقوله فبت مرتفقاً وهو المتكىء على مرفقه وانما أراد السهر كما قال أبو ذؤيب

انى ارقت فبت الليل مرتفقا كأن عينى فيها الصاب مذبوح

وقوله جاشت النفس يقول خبثت يكون ذلك من تذكرها لاتهوع ومن جزعها منه ويروى عن معاوية انه قال اجعلوا الشعر أكثر همكم وأكثر آدابكم فان

---

(١) فان جزعنا فقد هدت مصيبتنا وان صبرنا فانا معشر صبر
انى أشد حزيمى ثم يدركنى منك البلاء ومن آلائك الذكر

فيه مآثر أسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردني الا قول ابن الاطنابة الانصاري

ابت لى عفتى وأبى بلائى | واخذى الحمد بالثمن الربيح
واجشامى على المكروه نفسى | وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت | مكانك تحمدى أو تستريحى

يقال جشأت مهموز وجاشت غير مهموز . وتثليث موضع بعينه وقوله لايلوى على أحد يقال استقام فلان فما لوى على أحد ويقال ألوى بالشيء اذا ذهب به وقوله اذا الكواكب أخطأ نوءها المطر . فالنوء عندهم طلوع نجم وسقوط آخر وليس كل الكواكب لها نوء وانما كانوا يتقولون هذا فى أشياء بعينها . ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال .اذا ذكرت النجوم فامسكوا . يعنى أمر الانواء لم يختلف فى ذلك المفسرون وعنه عليه السلام فى غب سماء . أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى قال أصبح عبادى مؤمنا بى وكافرا بالكواكب وكافرا بى ومؤمنا بالكواكب فأما المؤمن بى الكافر بالكواكب فهو الذى يقول مطرنا بنوء الرحمة والمؤمن بالكواكب الكافر بى الذى يقول مطرنا بنوء كذا . والنوء مهموز وهو من قولك ناء بحمله اى استقل به فى ثقل فالنوء مهموز وهو فى الحقيقة الطالع من الكواكب لا الغائر وكان الاصمعى لايفسر من الشعر ما فيه ذكر الانواء بل كان لا يسمع ما كان فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم ولا يفسر ما وافق تفسيره بعض ما فى القرآن الا ساهيا فيما يذكر اصحابه عنه ويروى انه سئل عن غير شيء من ذلك فأباه وزجر السائل وقوله طاوى المصير يقال لواحد المصران مصير . وتقديره قضيب وقضبان وكثيب وكثبان . والعزاء الامر الشديد يقال فلان صابر على العزاء وكذلك اللأواء وكذلك الجلى مقصور فأما العزاء واللأواء فممدودان . وقوله منصلت يقال سيف منصلت وصلت اذا جرد من غمده . وقوله ليلة لاماء ولا شجر يريد القفر ووقت الصعوبة وقوله لاتنكر البازل الكوماء ضربته بالمشرفى . يقول قد عود الابل أن ينحرها ومن شأنهم أن يعرقبوها قبل النحر والمشرفى السيف وهو منسوب الى المشارف وقوله اجلوذ

أى امتد وأنشدنى الزيادى لرجل من أهل الحجاز أحسبه ابن أبى ربيعة

ألا حبذا حبذا حبذا   حبيب تحملت منه الاذى
ويا حبـذا برد أنيابه   اذا أظلم الليـل واجلوذا

وقوله حتى تقطع فى أعناقها الجرر يقول اعتادت أن ينحرها فهى تفزع منه حتى تقطع جرتها ومثل هذا قول الخنوت

سأبكى خليـلى عنترا بعدهجمة   وسيفى مرداسا قتيل قنان
قتيلان لا تبكى اللقاح عليهما   اذا شبعت من قرمل وأفان

يقول كانا ينحران الابل فهى لاتجزع لفقدهما . وقرمل وأفان ضربان من النبت. وشبيه بهذا قوله حيث يقول .

فلو كان سيفى باليمين تباشرت   ضباب الملا من جمعهم بقتيل

يقول هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب فكلما قتل منهم واحد سرت بذلك الضباب واستبشرت . وقوله لا يتأرى لما فى القدر يرقبه يقول لا يتحبس له ومن ذا سمى الآرى لانه محبس الدابة وقوله ولا تراه أمام القوم يقتفر يقول لا يسبقهم الى شئ من الزاد وقوله ولا يعض على شرسوفه الصفر الشراسيف أطراف الضلوع والصفر هاهنا حية البطن وله مواضع وقوله مهفهف يعنى ضامرا وأهضم الكشحين توكيد له وقوله اما يصبك عدو فى مباوأة يقول فى وتر يقال باء فلان بكذا كما قال مهلهل بؤ بشسع كليب أى هو ثأر بالشسع والطخية والطخية والطخية ثلاث لغات شدة الظلمة وكان الذى أصابه هند بن اسماء الحارثى ففى ذلك يقول

أصبت فى حرم منا أخا ثقة   هند بن اسماء فليهنئ له الظفر

يقال هنأه ذلك وهنأ له كما تقول هنيئا لك قال الاخطل

الى أمام تغادينا فواضله   أظفره الله فليهنئ لك الظفر

وقوله وليس فيه اذا عاسرته عسر مدح شريف مثل قولهم اذا عز أخوك فهن وانما هذا فيمن لا يخاف استذلاله بأن يخرج صاحبه عند مساهلته الى باب الذل فأما من كان كذلك فمعاسرته أحمد ومدافعته أمدح كما قال جرير

بشر أبو مروان ان عاسرته   عسر وعند يساره ميسور

٤ قال أبو العباس ومن أشعار العرب المشهورة المتخيرة فى المراثى قصيدة متمم بن نويرة فى أخيه مالك وسنذكر منها أبياتا نختارها . فمن ذلك قوله

أقول وقد طار السنا فى ربابه ... وغيث يسح الماء حتى تريعا
سقى الله أرضا حلها قبر مالك ... ذهاب الغوادى المدجنات فأمرعا
وآثر سيل الواديين بديمة ... ترشح وسميا من النبت خروعا
تحيته منى وان كان نائيا ... وأضحى ترابا فوقه الارض بلقعا
فما وجد أظآر ثلاث روائم ... رأين مجرا من حوار ومصرعا
يذكرن ذا البث الحزين ببثه ... اذا حنت الأولى سجعن لها معا
بأوجع منى يوم فارقت مالكا ... ونادى به الناعى الرفيع فأسمعا

وفيها .

وكنا كندمانى جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فأن تكن الايام فرقن بيننا ... فقد بان محمودا أخى يوم ودعا
تقول ابنة العمرى مالك بعد ما ... أراك حديثا ناعم البال أفرعا
فقلت لها طول الأسى اذ سألتنى ... ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا
وفقد بنى أم تفانوا فلم أكن ... خلافهم أن أستكين وأضرعا
ولست اذا ما الدهر أحدث نكبة ... ورزأ بزوار القرائب أخضعا
ولا فرح ان كنت يوما بغبطة ... ولا جزع ان ناب دهر فأوجعا
ولكننى أمضى على ذاك مقدما ... اذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا
فعمرك ألا تسمعينى ملامة ... ولا تنكئى قرح الفؤاد فييجعا
وقصرك انى قد شهدت فلم أجد ... بكفى عنه للمنية مدفعا
فلو أن ما ألقى أصاب متالعا ... أو الركن من سلمى اذ التضعضعا

وفى هذه القصيدة .

لقد كفن المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا بَرِم تَهدى النساء لعرسه ... اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا
لبيباً أعان اللب منه سماحة ... خصيبا اذا ما رائد الجدب أوضعا
تراه كنصل السيف يهتز للندى ... اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا
اذا ابتدر القوم القداح وأوقدت ... لهم نار أيسار كفى من تضجعا
بمثنى الايادى ثم لم تلف مالكا ... على الفرث يحمى اللحم أن يتمزعا

ومن طريف شعره

لعمرى وما دهرى بتأبين هالك ... ولا جزَع والموت يذهب بالفتى
لئن مالك خلى علىّ مكانه ... لفى أسوة ان كنت باغية الاسى
كهول ومرد من بنى عم مالك ... وأيفاع صدق قد تمليتهم رضا
سقوا بالعقار الصرف حتى تتابعوا ... كدأب ثمود اذ رغا سقبهم ضحى
اذا القوم قالوا من فتى لملمة ... فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

ومثل هذا الشعر قول النهشلى

لو كان فى الألف منا واحد فدعوا ... من فارس خالهم اياه يعنونا

وأول هذا المعنى لطرفة .

اذا القوم قالوا من فتى خلت اننى ... عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وقال متمم أيضا فى كلمة له يرثى بها مالكا

جميل المحيا ضاحك عند ضيفه ... أغر جميع الرأى مشترك الرحل
وقور اذا القوم الكرام تقاولوا ... فحلت حباهم واستطيروا من الجهل
وكنت الى نفسى أشد حلاوة ... من الماء بالماذىّ من عسل النحل
وكل فتى فى الناس بعد ابن أمه ... كساقطة احدى يديه من الخبل
وبعض الرجال نخلة لا جنى لها ... ولا ظل الا أن تعد من النخل

وقال فيه أيضا

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته ... لميت ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم ان الاسي يبعث البكا ... ذرونى فهذا كله قبر مالك

وحدثنى العباس بن الفرج الرياشي عن محمد بن عبد الله الانصارى القاضى

فى اسناد ذكره قال صلى متمم مع أبي بكر الصديق الفجر فى عقب قتل أخيه وكان أخوه خرج مع خالد مرجعه من اليمامـة يظهر الاسلام فظن خالد غير ذلك فأمر ضرار بن الازور الاسـدى فقتله وكان مالك من أرداف الملوك ومن متقدمى فرسان بنى يربوع وفى تصداق ذلك يقول جرير يفخر ببنى يربوع .

منهم عتيبة والمحل وقعنب والحنتفان ومنهم الردفان

فأحد الردفين مالك بن نويرة اليربوعى والردف الآخر من بنى رياح بن يربوع وللرادفة موضعان أحدهما أن يردفه الملك على دابته فى صيد أو تريف أوما أشبه ذلك من مواضع الانس والوجه الآخر أنبل وهو أن يخلف الملك اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده قال فلما صلى أبو بكر قام متمم بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم قال .

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت ياابن الازور
ولنعم حشو الدرع كنت وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنـور
أدعـوته بالله ثم غـررته لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبي بكر فقال والله ما دعوته ولا غررته وأتم شعره فقال

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكي وانحط على سية قوسه وكان أعور دميما فما زال يبكى حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب فقال لوددت أنى رثيت أخى زيدا بمثل مارثيت به مالـكا أخاك فقال يا أبا حفص والله لو علمت أن أخى صار بحيث صار أخوك ما رثيته فقال عمر ماعزانى أحد بمثل تعزيتك وكان زيد بن الخطاب قتل شهيداً يوم اليمامة وكان عمر يقول انى لأهش للصبا لانها تأتينا من ناحية زيد ويروى عن عمر أنه قال له لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخى كما رثيت أخاك ويروى أن متمماً رثى زيداً فلم يجد فقال له عمر لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالـكا فقال لانه والله يحـركنى لمالك مالا يحركنى لزيد .وقال له عمر بن الخطاب انك لجزل فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخى فى الليلة المظلمة ذات الازيز والصُرّاد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفى يده الرمح الثقيل وعليه الشملة

الفَلُوت وهو بين المزادتين حتى يصبح فيصبح أهله متبسما . الجمل الثفال البطئ الذى لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذى لا يكاد ينقاد مع من يجنبه انما يجر الحبل والشملة الفلوت التى لا تكاد تثبت على لابسها

رجع (قال العباس) قوله وقد طار السنا فى ربابه . السنا الضوء وهو مقصور قال الله جل وعز يكاد سنا برقه يذهب بالابصار والسناء من الحسب ممدود والرباب سحاب دون السحاب كالمتعلق بما فوقه . قال المازنى

كأن الرباب دوين السحاب نعام تعلق بالأرجل

وقوله يسح معناه يصب فأذا قلت يسحو أو يسحى فمعناه يقشر ومن ذا سميت سحاءة القرطاس وسحايته ومنه قيل للحديدة التى يقشر بها وجه الارض مسحاة قال عنترة .

سحا وساحية فكل قرارة يجرى عليها الماء لم يتصرم

وقوله تريع أى كثر حتى جاء وذهب يقال راع يريع اذا رجع ومنه سمى ريّع الطعام لانه يرجع بفضل . قال مزرد .

خلطت بصاعي عجوة صاع حنطة الى صاع سمن فوقه يتريع

والذهاب الامطار اللينة والمدجنات من السحاب السود وهو مأخود من الدجن والدجنّة ومعناه الباس الغيم وظلمته قال طرفة

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الطراف الممدد

ويقال أمرع الوادى اذا أخصب . من ذلك قول مولاة ابن الاجيد عن أوفى بن دلهم قال أبو العباس حدثنى به ابن المهدى احمد بن محمد النحوى يحدث به عن الاصمعى عن أبيه عن مولاة ابن الاجيد عن أوفى قال . فى النساء أربع فمنهن الصَّدَع تفرق ولا تجمع ومنهن من لهـا شيئها أجمع ومنهن غيث وقع فى بلد فأمرع ومنهن التيّسع ترى ولا تسمع قال فذكرت ذلك لرجل فقال ومنهن القرثع قلت وما هى قال التى تكحل عينا وتدع الاخرى وتلبس ثوبها مقلوبا (١) وقوله وآثر سيل الواديين بديمة . زعم الاصمعى وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر

---

(١) قال الاخفش حدثنى بذلك أبو العيناء عن الاصمى وذكر نحو ذلك

الدائم أياما برفق وقوله ترشح وسميا أى تهيئه لذلك يقال فلان يرشح للخلافة والوسمى أول مطر يسم الارض والولى كل مطرة بعدها مطرة فالثانية ولى للاخرى لانها تليها والخروع كل عود ضعيف وقوله فما وجد أظآر ثلاث روائم فأظآر جمع ظئر وهى النوق تعطف على الجوار فتألفه وروائم واحدتها رءوم ومعنى ترأمه تشمه والحوار ولد الناقة ويقال له حيث يسقط من أمه سليل قبل أن تقع عليه الاسماء فأن كان ذكرا فهو سقب وان كانت أنثى فهى حائل وهو فى ذلك كله حوار سنة وقوله ندمانى جذيمة يعنى جذيمة الابرش الازدى وكان ملكا وهو الذى قتلته الزباء وهو أول من أوقد بالشمع ونصب المجانيق للحرب وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك فى كتاب الاختيار ونديماه يقال لهما مالك وعقيل ففى ذلك يقول أبو خراش الهذلى .

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

والمثل يضرب بهما لطول ما نادماه كما يضرب باجتماع الفرقدين قال عمرو بن معديكرب

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك الا الفرقدان

قال هذا من قبل أن يسلم وقال اسماعيل بن القاسم .

ولم أر ما يدوم له اجتماع سيفترق اجتماع الفرقدين

وقوله أراك حديثا ناعم البال أفرعا الافرع التام شعر الرأس وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الفُرعان خير أم الصَّلعان فقال بل الفرعان وكان أبو بكر افرع وكان عمر أصلع فوقع فى نفسه انه يسأل عنه وعن أبى بكر والاسفع الأسود يقال سفعته النار أى غيرت وجهه الى السواد وقوله فعمرك يقسم عليها ويقال عمرك الله أى اذكرك الله قال

عمرتك الله الا ما ذكرت لنا هل كنت جارتنا ايام ذى سلم

وقوله غير مبطان العشيات فيقول كان لا يأكل فى آخر نهاره انتظارا للضيف ويروى ان عمر بن الخطاب سأله فقال أكذبت فى شىء مما قلته فى أخيك فقال نعم فى قولى غير مبطان وكان ذا بطن ويقال فى غير هذا الحديث ان من سيما الرئيس السيد أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه طرش قال رجل لفتى

والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا . وقال رجل لرجل والله ما فُتِقت فتق السادة ولا مُطِلْتَ مطل الفرسان . والاروع ذو الروعة والهيئة والبرَم الذى لا ينزل مع الناس ولا يأخذ فى الميسر ولا ينزع الا نكدا قال النابغة .

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبي   اذا الدخان تغشى الاشمط البرما

وقوله اذا القَشع هو الجلد اليابس ويقال لكناسة الحمام القِشع قال أبو هريرة وكذبت حتى رميت بالقشع .

قال أبو العباس كانت الخنساء وليلى بائنتين فى أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ورب امرأة تتقدم فى صناعة وقلما يكون ذلك والجملة ما قال الله عز وجل « أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » وقال النبي صلى الله عليه وسلم . ان المرأة خلقت من ضلَع عوجاء وانك ان ترد اقامتها تكسرها فدارها تعش بها . فمن ندر من النساء فى باب من الابواب أم أيوب الانصارية وأم الدرداء ورابعة القيسية ومعاذة العدوية فان هؤلاء النسوة تقدمن فى الفضل والصلاح على تقدم بعضهن بعضا . حدثنى الجاحظ عن ابراهيم بن السندى قال كانت تصير الىَّ هاشمية جارية حمدونة فى حاجات صاحبتها فاجمع نفسى لها واطرد الخواطر عن فكرى واحضر ذهنى جهدى خوفا من ان تورد على مالا أفهمه لبعد غورها واقتدارها على ان تجرى على لسانها مافى قلبها . وكذلك مايؤثر عن خالصة وعتبة جاريتى ريطة بنت أبى العباس فأما النساء الاشراف فان القول فيهن كثير متسع هذا . وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خُصى . وللخنساء مراث متخيرة فى أخويها معاوية وصخر وكان معاوية فارسا شجاعا فأغار فى جمع من بنى سليم على غطفان وكان صميم خيلهم فنذر به القوم فاحتربوا فلم يزل يطعن فيهم ويضرب فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة دريد وهاشم فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وخرج عليه الآخر وهو لايشعر فقتله فتنادى القوم قتل معاوية فقال خفاف بن ندبة قتلنى الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على

مالك بن حمار وهو سيد بنى شمخ بن فزارة فقتله وقال

فأن تك خيلى قد أصيب صميمها　　فعمدا على عينى تيممت مالكا
وقفت له علوى وقد خام صحبتى　　لأبنى مجدا او لاثأر هالكا
أقول له والرمح يأطر متنه　　تأمل خفافا اننى انا ذلكا

فلما دخلت الاشهر الحرم ورد عليهم صخر فقال ايكم قاتل أخى فقال احد ابنى حرملة للآخر خبره فقال استطردت له فطعننى هذه الطعنة وحمل عليه أخى فقتله فأينا قتلت فهو ثأرك أما انا لم نسلب أخاك قال فما فعلت فرسه السمى قال هاهى تلك فخذها فانصرف بها فقيل لصخر ألا تهجوهم فقال ما بينى وبينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن سبهم الاصيانة للسانى عن الخنى لفعلت ثم خاف ان يظن به عى فقال

وعاذلة هبت بليل تلومنى　　ألا لا تلومينى كفى اللوم ما بيا
تقول الا تهجو فوارس هاشم　　ومالى اذ اهجوهم ثم ماليا
أبى الشتم انى قد أصابوا كريمتى　　وان ليس اهداء الخنى من شماليا
اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية　　فحياك رب العرش عنى معاويا (١)
وهون وجدى اننى لم أقل له　　كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما أصاب دريدا زاد فيها

وذى اخوة قطعت ارحام بينهم　　كما تركونى واحدا لا أخاليا

* قال أبو العباس فلما انقضت الاشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم فنظرت غطفان الى خيله بموضعها فقال بعضهم لبعض هذا صخر بن الشريد على فرسه السمّى فقيل كلا السمى غراء وكان قد حمم غرتها فأصاب فيهم وقتل دريد بن حرملة وأما هاشم فان قيس بن الاسوار الجشمي من جشم بن بكر بن هوازن بن منصور « والخنساء من بنى سليم بن منصور » لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه فرآه وقد انفرد لحاجته فقال لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فأرسل عليه سهما فغلق

---

(١) قال أبو الحسن الأخفش وزادنى الاحول بعد قوله معاويا .

لنعم الفتى أدنى ابن صرمة بزه　　اذا راح فحل الشول أجدب عاريا

فحقحه فقالت الخنساء

فدى للفارس الجشمى نفسى وأفديه بمن لى من حميم
فداك الحى حى بنى سليم بظاعنهم وبالانس المقيم
كما من هاشم أقررت عينى وكانت لا تنام ولا تنيم

* وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية بن عمرو

أريق من دموعك واستفيق وصبرا ان أطقت ولن تطيق
وقولى ان خير بنى سليم وفارسها بصحراء العقيق
ألا هل ترجعن لنا الليالى وأيام لنا بلوى الشقيق
واذ نحن الفوارس كل يوم اذا حضروا وفتيان الحقوق
واذ فينا معاوية بن عمرو على أدماء كالجمل الفنيق
فبكيه فقد أودى حميدا أمين الرأى محمود الصديق
فلا والله لا تسلاك نفسى لفاحشة أتيت ولا عقوق
ولكنى رأيت الصبر خيرا من النعلين والرأس الحليق

وانما قالت الخنساء هذا الشعر فى معاوية أخيها قبل ان يصاب صخر أخوها فلما أصيب صخر نسيت به من كان قبله وكان معاوية أخاها لأبيها وأمها وكان صخر أخاها لأبيها وكان أحبهما اليها وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور منها انه كان موصوفا بالحلم ومشهورا بالجود ومعروفا بالتقدم فى الشجاعة ومحظوظا فى العشيرة

* ويروى ان عائشة رضى الله عنها نظرت الى الخنساء وعليها صدار من شعر فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه ولكن لهذا الصدار سبب فقالت وما هو قالت لها كان زوجى رجلا متلافا فاخفق فأراد ان يسافر فقلت له أقم وانا آتى أخى صخرا فأساله فأتيته فشاطرنى ماله فأتلفه زوجى فعدت له فعادلى بمثل ذلك فأتلفه زوجي فعدت له فلما كان فى الثالثة أو الرابعة قالت له امرأته ان هذا المال متلف فامنحها شرارها فقال صخر .

والله لا أمنحها شرارها ولو هلكت خرقت خمارها واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك اتخذت هـذا الصدار ويروى عن بعض نساء بنى سليم انهـا نظرت اليها فى صدار وهى تصنع طيبا لابنتها لتنقلها الى زوجها فقاولتها فى شىء كرهته الخنساء فقالت لها اسكتى فوالله لقد كنت أبسط منك عُرفا وأذكى منك عَرفا وأطيب منك وَرسا وأحسن منك عُرسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا .

قال أبو العباس وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد أنه جمع جمعا وأغار على بنى أسد بن خزيمة فنذروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فارفض أصحاب صخر عنه وطعنه أبو ثور طعنة فى جنبه استقل بها فلما صار الى اهله تعالج منها فنتأ من الجرح كمثل اليـد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يسأل امرأته وهو يقول كيف صخر اليوم فقالت لاميت فينعى ولا صحيح فيرجى فعلم انها قد برمت به ورأى تحرق أمه عليه فقال .

أرى أم صخر ما تجف دموعها ... وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى ان اكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بأمر الحزم لو استطعه ... وقد حيل بين العير والنزوان
لعمرى لقد انبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
فأى امرىء ساوى بأم حليلة ... فلا عاش الا فى شقا وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فبكاها فقال

أيا جارتا ان الخطوب قريب ... من الناس كل المخطئين تصيب
أيا جارتا انا غريبان ها هنـا ... وكل غريب للغـريب نسيب
كانى وقـد أدنوا الىّ شفارهم ... من الادم مصقول السراة نكيب

* فمما ندر من شعر الخنساء قولها ترثى صخرا .

يا صخر وراد ماء قد تناذره ... أهل المياه ومافى ورده عار
مشى السبنتى الى هيجاء معضلة ... له سلاحان أنياب وأظفار
وما عجول على بو تحن له ... لها حنينان اعـلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت ... فانمـا هى اقبال وادبار
يوما بأوجع منى يوم فارقنى ... صخر وللعيش احلاء وامرار

وان صخرا لوالينا وسيدنا وان صخرا اذا نشتوا لنحار
وان صخر لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
لم تره جارة يمشى بساحتها لريبة حين يخلى بيته الجار

ومن حسن شعرها قولها .

أعينى جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الجرىء الجميل الا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما دساد عشيرته امردا
اذا القوم مدوا بأيديهم الى المجد مد اليه يدا
فنال الذى فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا
يكلفه القوم ما عالهم وان كان أصغرهم مولدا
ترى الحمد يهوى الى بيته يرى أفضل الكسب ان يحمدا (١)

ومن جيد قولها .

أبعد ابن عمرو من ال الشريـ ـد حلت به الأرض أثقالها
لعمر أبيه لنعم الفتى اذا النفس اعجبها مالها
فان تك مرة أودت به فقد كان يكثر تقتالها
نخر الشوامخ من فقده وزلزلت الأرض زلزالها
هممت بنفسى كل الهموم فأولى لنفسى أولى لها
لأحمل نفس على آلة فأما عليها واما لها

ومنه أيضاً .

الايا صخر اذا أبكيت عينى لقد أضحكتنى دهراً طويلا
بكيتك فى نساء معولات وكنت أحق من ابدى العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حى فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت أيضاً .

---

(١) وان ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى . السباعى

تعرقنى الدهر نهسا وحزا وأوجعنى الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالى فبادوا معـا فأصبح قلبى بهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى اذ الناس اذ ذاك من عزبزا
وكانوا سراة بنى مالك وزين العشيرة مجـدا وعزا
وهم فى القديم سراة الأديـ م والكائنون من الخوف حرزا
وهم منعوا جارهم والنسا ء يحفز أحشاءها الخوف حفزا
غداة لقوهم بملمومة رداح تغادر للارض ركزا
وخيل تكدس بالدارعيـ ن تحت العجاجة يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصى فرسانهم وكانوا يظنون الا تجزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب بالا يصاب فقد ظن عجزا
نعف ونعرف حق القرى ونتخذ الحمد زخرا وكنزا

قال أبو العباس قولها اريق من دموعك واستفيق معناه ان الدمعة تذهب اللوعة ويروى عن سليمان بن عبد الملك انه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز ورجاء ابن حيوة انى لاجد فى كبدى جمرة لا تطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبر فنظر الى رجاء بن حيوة كالمستريح الى مشورته فقال له رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذاك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابرهيم وقال . العين تدمع والقلب يوجع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا أبرهيم لمحزونون . فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أربا ثم اقبل عليهما فقال لولم انزف هذه العبرة لانصدعت كبدى ثم لم يبك بعدها ولكنه تمثل عند قبره فانه لما دفنه وحثا على قبره التراب وقال يا غلام دابتى وقف ملتفتا الى قبره فقال

وقفت على قبر مقيم بقفرة متاع قليل من حبيب مفارق

«رجعنا الى تفسير قولها» وقولها وصبرا ان أطقت ولن تطيق كقول القائل ان قدرت على هذا فافعل ثم أبانت عن نفسها فقالت ولن تطيق وقولها فلا والله

لا تسلاك نفسى تريد لا تسلو عنك كقوله عز وجل واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون أى كالوا لهم او وزنوا لهم وقولها لفاحشة اتيت ولا عقوق معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسى عنك له ثم اعتذرت من اقصارها بفضل الصبر فقالت

ولكنى رأيت الصبر خيرا　　من النعلين والرأس الحليق

تأويل النعلين أن المرأة كانت اذا اصيبت بحميم جعلت فى يديها نعلين تصفق بهما وجهها وصدرها قال عبد مناف بن ربع الهذلى

ماذا يغير ابنتى ربع عويلهما　　لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا　　من بطن حلبة لا رطبا ولا نقدا

اذا تأوب نوح قامتا معه　　ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

قوله ماذا يغير ابنتى ربع عويلهما يعنى أختيه يقول ماذا يرد عليهما العويل والسهر وقوله كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا اراد لتريد النائحة صوت كأنه زمير وانما يعنى بالقصب المزامير كما قال الراعى

زجل الحداء كأن فى حيزومه　　قصبا ومقنعة الحنين عجولا (١)

وقال عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما　　بركت على قصب أجش مهضم

قال الاصمعى هو زمناى وقوله لا رطبا ولا نقدا يقول ليس برطب لا يبين فيه الصوت ولا بمؤتكل يقال نقدت السن اذا مسها ائتكال وكذلك القرن قال الشاعر

* يألم قرنا أرومه نقد *　　وقوله بسبت يعنى النعل المنجردة ويلعج يؤثر واحتاج الى تحريك الجلد فأتبع آخره أوله وكذلك يجوز فى الضرورة فى كل شئ ساكن وأما قول الفرزدق

خلمن حليهن فهن عطل　　وبعن به المقابلة التؤاما

---

(١) قال الاخفش الزجل اختلاط الصوت الذى لصوته تطريب والحيزوم الصدر وقصبا يعنى مزمارا شبه صوت الحادى بالمزمار ومقنعة اراد وصوت مقنعة يعنى ناقة ثم حذف الصوت واقام مقنعة مقامه

يعنى اشترين النعال فليس هذا من هذا الباب انما سبين فاشترين نعالا للخدمة وكذلك قوله

أخذن حريرات وابدين مجلدا ودارعليهن المنقشة الصفر

يعنى القداح يقول سبين فاقتسمن بالقداح

وقولها ياصخر وراد ماء قد تناذره أهل المياه وما فى ورده عار

تعنى الموت اى لاقدامه على الحرب والسبنتى والسبندى واحد وهو الجرئ الصدر وأصله فى النمر والعجول التى فارقها ولدها والبو قد مضى تفسيره وكذلك فانما هى اقبال وادبار وقد شرحنا كيف مذهبه فى النحو وقولها الى هيجاء معضلة تعنى الحرب وقولها كأنه علم فى رأسه نار فالعلم الجبل قال الله عز وجل وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام وقال جرير * اذا قطعن علما بدا علم * وقولها طويل النجاد النجاد حمائل السيف تريد بطول نجاده طول قامته وهذا مما يمدح به الشريف قال جرير

فانى لأرضى عبد شمس وما قضت وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال مروان للمهدى

قصرت حمائله عليه فقلصت ولقد تأنق قينها فأطالها

وقال رجل من طيء

جدير أن يقل السيف حتى ينوس اذا تمطى فى النجاد

وقال الحكمى ابو نواس

سبط البنان اذا احتبى بنجاده غمر الجماجم والسماط قيام

وقال عنترة

بطل كأن ثيابه فى سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقولها رفيع العماد انما تريد ذاك يقال رجل معمد أى طويل ومنه قوله عز وجل ارم ذات العماد أى الطول وقولها ماعالهم أى نابهم ونزل بهم تقول العرب ماعالك فهو عائل اى مانابك فهو نائب ومن ذا قول كثير

يا عين بكى للذى عالنى منك بدمع مسبل هامل

أما قولها حلت به الارض أثقالها . خلت من الحلى تقول زينت به الارض الموتى وقالت
وقال المفسرون فى قول الله عزوجل وأخرجت الارض أثقالها قالوا الموتى وقولها
لنعم الفتى اذا النفس اعجبها مالها تقول يجود بما هو له فى الوقت الذى يؤثر
أهله على الحمد والشوامخ الجبال والشامخ العالى ويقال للمتكبر شمخ بانفه
وقولها على آلة أى على حالة وعلى خطة هى الفيصل فأما ظفرت واما هلكت
وقولها فأولى لنفسى أولى لها يقول الرجل اذا حاول شيئا فافلته من بعد ما كاد
يصيبه اولى له واذا أفات من عظيمة قال أولى لى ويروى عن ابن الحنفية أنه
كان يقول اذا مات ميت فى جوازه أوفى داره أولى لى كدت والله أكون السواد
المخترم وقد مضى هذا مفسرا . وأنشد لرجل كان يقتنص فأذا أفلته الصيد قال
اولى لك فكثر ذلك منه فقال

فلو كان اولى يطعم القوم صدتهم ... ولكن اولى يترك القوم جوعا

٦ كان توبة بن حمير العقيلى ثم الخفاجى غزا فغنم ثم انصرف فعرس فى
طريقه فأمن فقال فندت فرسه فأحاط به عدوه ومعه عبيد الله أخوه وقابض
مولاه فدعاهما فذب عبيد الله شيئا وانهزما وقتل توبة وذلك حيث تقول ليلى
الأخلية .

دعا قابضا والمرهفات ينشنه ... فقبحت مدعوا ولبيك داعيا
فليت عبيد الله كان مكانه ... صريعا ولم أسمع لتوبة ناعيا

فقالت ترثيه .

آليت ابكى بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... اذا لم تصبه فى الحياة المعاير
فلا يبعدنك الله يا توب انما ... لقاء المنايا دارعا مثل حاسر(١)
«ويروى» فلا يبعدنك الله يا توب هالكا ... أخا الحرب ان دارت عليه الدوائر
فكل جديد او شباب الى بلى ... وكل امرىء يوما الى الله صائر

---

(١) وربما كان هذا البيت المقوى هنا من القصيدة التالية بعد دون اقواء
لانه من زنها ورويها . السباعى

وقالت

نظرت وركن من بوانة دونها ... واركان حسمى أىّ نظرة ناظر
الى الخيل أجلى شأوها عن عقيرة ... لعاقرها فيها عقيرة عاقر
كان فتى الفتيان توبة لم ينخ ... قلائص يفحصن الحصا بالكراكر
ولم يبن ابرادا رقاقا لفتية ... كرام ويرحل قبل فىء الهواجر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى ... لقدر عيالا دون جار مجاور
وكنت اذا مولاك خاف ظلامة ... دعاك ولم يقنع سواك بناصر

وفى ذلك تقول أيضا .

أعينى الا فابكي على ابن حمير ... بدمع كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شؤون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا ازحفت فذكرنه ... وقد يبعث الاحزان طول التذكر
كان فتى الفتيان توبة لم ينخ ... بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام اذ بدا ... سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر
ولم يقدع الخصم الالد وعلا الـ ... ـجفان سديفا يوم نكباء صرصر
الا رب مكروب أجبت وخائف ... أجرت ومعروف لديك ومنكر
فياتوب للمولى وياتوب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور

قولها أى نظرة ناظر يصلح فيه الرفع والنصب فالنصب على قوله نظرت أى نظرة وأية نظرة وأيما نظرة كما تقول مررت برجل أيما رجل وتأويله مررت برجل كامل وتقول مررت بزيد أيما رجل على الحال ومن قال أىُّ نظرة ناظر فعلى القطع والابتداء والمخرج مخرج استفهام وتقديره أىُّ نظرة هى كما تقول سبحان الله أى رجل زيد وهذا البيت ينشد على وجهين .

فأومأت ايماء خفيا لحبتر ... ولله عينا حبتر أيما فتى

وأيُّما ان شئت على ما فسرنا وقولها الى الخيل أجلى شأوها عن عقيرة . شأوها طلقها وقولها لعاقرها فيها عقيرة عاقر أى قد أصابوا عقيرة نفيسة كقول القائل نعم غنيمة المغتنم وكقولهم عقيرة وكما تكون وهذا نظير قوله .

ولما أصابوا نفس عمرو بن عامر　　أصابوا به وترا ينيم ذوى الوتر

يقال ثأر منيم اذا اصابه المثئر هدأ واستقر لانه أصاب كفؤا وهذا خلاف قول الآخر

قوم اذا جرجانى قومهم أمنوا　　للؤم احسابهم ان يقتلوا قودا

وخلاف قول الحارث بن عباد

لا بجير أغنى قتيلا ولا ره　　ط كليب تزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دريد بن الصمة .

قتلت بعبد الله خير لداته　　ذؤابا فلم أفخر بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمى من بنى تيم اللات بن ثعلبة حيث قتل مصعب ابن الزبير بأخيه النابى بن زياد (١)

ان عبيد الله ما دام سالما　　لسار على رغم العدو وغادى

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه　　حززنا برأس النابى بن زياد

كسر الياء على الاصل كما قال ابن قيس الرقيات

لا بارك الله فى الغوانى هل　　يصبحن الا لهن مطلب

ومن أخذه من نبأت على القوم أى طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورة وكما قال أبو الاسد مولى خالد بن عبد الله القسرى لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد بن عبد الله

فان تقتلوا منا كريما فاننا　　قتلنا أمير المؤمنين بخالد

وان تشغلونا عن ندانا فاننا　　شغلنا وليدا عن غناء الولائد

تركنا أمير المؤمنين بخالد　　مكبا على خيشومه غير ساجد

وقال الخزاعى بعد .

قتلنا بالفتى القسرى منهم　　وليدهم أمير المؤمنينا (٢)

---

(١) قال الاخفش المعروف فيه الهمز والمبرد لم يهمزه فانما أخذه من نبا ينبو فصار مثل رام وقاض وما اشبههما .

(٢)　ومروانا قتلنا عن يزيد　　كذاك قضاؤنا فى المعتدينا

وبابن السمط منا قد قتلنا　　محمدا بن هرون الامينا

فمن يك قتله سوقاً فأنا جعلنا مقتل الخلفاء دينا

وقولها ويرحل قبل فئ الهواجر تريد انه متيقظ ظعان . والمولى فى قولها اذا مولاك خاف ظلامة . يحتمل ضروبا فالمولى ابن العم وقوله عز وجل وانى خفت الموالى من ورائى يريد بنى العم قال الفضل بن العباس

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

ويكون المولى المعتق ويكون المولى الناصر من قوله جل ثناؤه وان الكافرين لا مولى لهم ويكون المولى الذى هو أحق وأولى ومنه قوله تعالى مأواكم النار هى مولاكم أى أولى بكم والمولى المالك وقولها ولم يبن أبرادا تريد الخيام وقولها لتبك عليه من خفاجة نسوة تعنى خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والهيجاء تمد وتقصر وقد مر هذا وقولها بنجد ولم يطلع مع المتغور فالنجد كل ما أشرف من الارض والغور كل ما انخفض ويقال ماء سدام ومياه سدم وهى القديمة المندفقة قال الشاعر

وعلى بأسدام المياه فلم تزل قلائص تخدى فى طريق طلائح

وسنا الصبح ضوءه وهو مقصور فاذا اردت الحسب مددت والاخضر الذى ذكرت الليل والعرب تسمى الاسود أخضر والمستنبح الذى يسرى فلا يعرف مقصدا فينبح لتنبحه الكلاب فيقصدها والمتنور الذى يلتمس ما يلوح له من النار فيقصده قال الاخطل يعير جريرا .

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لامهم بولى على النار

فيقال ان جريرا توجع من هذا البيت وقال جمع بهذه الكلمة ضروبا من الهجاء والشتم منها البخل الفاحش ومنها عقوق الام فى ابتذالها دون غيرها ومنها تقذير الفناء ومنها السوأة التى ذكرها من الوالدة . وقال آخر .

وانى لاطوى البطن من دون ملئه لمختبط فى آخر الليل نابح

وان امتلاء البطن فى حسب الفتى قليل الغناء وهو فى الجسم صالح

أما قولها . ولم يقدع الخصم الالد ويملا الـــجفان سديفا يوم نكباء صرصر فالالد الشديد الخصام والسديف شقق السنام والصرصر الشديدة الصوت والنكباء

الريح بين الريحين لشدة الهبوب فأن الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهى ثمان فى المعنى فما بين مطلع سهيل الى مطلع الفجر جنوب وانما تأتى الجنوب من قبل اليمن قال جرير .

وحبذا نفحات من يمانية تأتيك من قبل الريان أحيانا

واذا هبت من تلقاء الفجر فهى الصبا تقابل القبلة فالعرب تسميها القبول قال الشاعر

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجنى نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

واذا أتت من قبيل الشأم فهى شمال قال الفرزدق .

مستقبلين شمال الشأم تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

وهي تقابل الجنوب وكذلك قال امرؤ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

واذا جاءت من دبر البيت الحرام فهى الدبور وهى تهب بشدة والعرب تسميها محوة عن أبى زيد لانها تمحو السحاب ومحوة معرفة لا تنصرف فأما الاصمعى فزعم أن محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعا

قد بكرت محوة بالعجاج فدمرت بقية الرجاج

والرجاج حاشية الابل وضعافها وقال الاعشى .

لها زجل كحفيف الحصا د صادف بالليل ريحا دبورا

ويقال للريح الشمال نسع ومسع قال الهذلى

قد حال دون دريسيه مؤوبة نسع لها بعضاه الارض تهزيز

والدريسان ثوبان خلقان ومؤوبة مفعلة من التأويب وهوسير النهار لاتعريج فيه وقال أبوعبيدة هو سير النهار والاسئاد سير الليل لاتعريس فيه وأنشد لسلامة ابن جندل .

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير الى الاعداء تأويب

وانما يعنى ريحا وقوله نسع أى شمال والعضاه شجرة ضخمة فبعض العرب يقول للواحدة عضاهة وللجميع عضاه على وزن دجاجة ودجاج وبعضهم يقول للواحدة عضه فيقول فى الجمع عضوات وعضهات فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر

هذا طريق يأزم المآزما وعضوات تقطع اللهازما

ونظير عضة سنة على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب والواو فى قول بعضهم تقول فى جمعها سنوات وسانيت الرجل وبعضهم يقول سنهات وأكريته مسانهة وهذا الحرف فى القرآن يقرأ على ضروب فمن قال لم يتسنه وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سانهت التى هى سنيهة ومن جعله من الواو قال فى الوصل لم يتسن وانظر فاذا وقف قال لم يتسنه فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء فى قوله فبهداهم اقتده وكتابيه وحسابيه والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السنون ومن لم يقصد الى السنة قال لم يتأسن والآسن المتغير قال الله عز وجل فيها أنهار من ماء غير آسن ويقال أسن فى هذا المعنى كما يقال رجل حاذر وحذر .

(رجع) ويقال للريح الجنوب النعامى قال أبو ذؤيب

مرته النعامى فلم يعترف خلاف النعامى من الشأم ريحا

ومعنى مرته استدرته وفى الحديث ماهبت الريح الجنوب الا اسأل الله بها واديا

وقال رجل يمدح رجلا

فتى خلقت أخلاقه مطمئنة له نفحات ريحهن جنوب

يريد أن الجنوب تأتى بالمطر والندا . والعرب تكره الدبور وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقلما يكون بالدبور المطر لانها تجفل السحاب ويكون فيها الرهج والغبرة ولا تهب « الا أقل ذاك » الا بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتي على الزروع .

وقال رجل يهجو رجلا .

لو كنت ريحا كانت الدبورا أو كنت غيما لم تكن مطيرا
أو كنت ماء لم تكن طهورا أو كنت مخا كنت مخاريرا
أو كنت بردا كنت زمهريرا

« والشئ يذكر بالشئ » وقال آخر

لو كنت ماء لم تكن بعذب أو كنت سيفا كنت غير عضب
أو كنت لحما كنت لحم كلب أو كنت عيرا كنت غير ندب

الرير المخ الرقيق يقال مخ رير ورار فى معنى واحد قال السليك يرثى فرسه وكان يقال له النحام

كأن قـوائم النحام لما تحمـل صحبتى أصلا محار
على قرماء عاليـة شواه كأن بياض غرته خمـار
وما يدريك ما فقرى اليه اذا ما القوم ولوا أو أغاروا
ويحضر فوق جهد الحضر نصا يصيدك قافلا والمخ رار

قوله كأن قوائم النحام محار المحارة الصدفة يريد الملامسة وانه قد ارتفعت قوائمه للموت والاصل جمع أصيل والاصيل العشى يقال أصيل وأصل مثـل قضيب وقضب وجمع أصل آصال وهو جمع الجمع وتقديره عنق وأعناق وطنب وأطناب ويقال فى جمع أصيلة أصائل مثل خليفة وخلائف قال الأعشى .

* ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل * وقال أبو ذؤيب .

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله وأقعـد فى أفيائه بالاصائل

وقرماء ممدودة اسم موضع وشواه قوائمه وقد فسرناه وقوله ولو أو أغاروا اذا طلبوا أو هربوا وقوله يصيدك أى يصيد لك يقال صدتك ظبيا قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أى كالوا لهم أو وزنوا لهم يقال كلتك ووزنتك لانه قد قال تعالى أولا اذا اكتالوا على الناس يستوفون « عود » فأما ما جاء فى الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب . اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فأن العرب تقول لا تلقح السحاب الا من رياح وتصديق ذلك قول الله عز وجـل الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا وقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا هبت بحرية ثم تذاءبت . قال الشاعر * تسح اذا تذاءبت الرياح * يقول اذا تقابلت يقال تذاءبت الرياح وتناوحت أى تقابلت وتناوح الشجر اذا قابل بعضه بعضا وانما سميت النائحة نائحة لانها تقابل صاحبتها فأذا خلصت الريح عندهم دبورا فهى من جنس البوار واذا خلصت شمالا شتوية فهى من آيات الجدب ومن ثم تقول العرب فلان يطعم فى الشمال كما تقول يطعم فى المحل . قال أوس بن حجر فى شدة البرد وغلبة الشمال يرثى فضاله بن كلدة الاسـدى

والحافظ الناس فى قحوط اذا　　لم يرسلوا تحت عائذ ربعا
وعزت الشمأل الرياح وقد　　أمسى كميع الفتاة ملتفعا
وكانت الكاعب الممنعة الـ　　ـحسناء فى زاد أهلها سبعا (١)

ويقال الشمال على لغات ست يقال شمال وشأمل وشمأل وشمَل وشمْل وشامَل غير مهموز ويقال للشمال الجربياء قال ابن احمر

بجومن قسا ذفر الخزامى　　تداعى الجربياء به الحنينا

ويقال للجنوب الازيب ويقال للصبا القبول وبعضهم يجعله للجنوب وهو فى الصبا اشهر بل هو القول الصحيح ويقال لها ايضاً الاير والهير والايّر والهيّر قال الشاعر . مطاعيم أيسار اذا الهير هبت . فهذا يدل على أنه الصبا وذاك انهم انما يتمدحون بالاطعام فى المشتاة وشدة الزمان كما قال طرفة

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى　　لا ترى الآدب فينا ينتقر

الجفلى العامة والنقرى الخاصة والآدب صاحب المأدبة يقال مأدَبة ومأدُبة للدعوة وفى الحديث ان القرآن مأدبة الله قال أهل العلم معناه مدعاة الله وليس من الادب واكثر المفسرين قالوا القول الاول وكلاهما فى العربية جائز يدل على القول الاول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . انا الجفنة الغراء . أى التى يجتمع الناس عليها ويدعون اليها ويقال فى الدعوة أدبه يأدبه أدْبا اذا دعاه قال الشاعر .

وما أصبح الضحاك الا كخالع　　عصانا فأرسلنا المنية تأدبه

قال أبو العباس ولهذه الرياح اسماء كثيرة وأحكام فى العربية لان بعضهم يجعلها نعوتا وبعضهم يجعلها اسماء . وكذلك مصادرها تحتاج الى الشرح والتفسير ونحن ذاكرون ذلك ان شاء الله . يقال جنبت الريح جنوبا وشملت شمولا ودبرت دبورا وصبت صبوبا وسمّت سموما وحرّت حرورا مضمومات الاوائل فاذا أردت الاسماء فتحت أوائلها فقلت جَنوب وشمول وسموم ودبور وحرور ولم يأت من المصادر شىء مفتوح الاول الا اشياء يسيرة قالوا توضأت وضوءا حسنا وتطهرت طهورا وأولعت بالشىء ولوعا وان عليه لقبولا ووقدت

(١) قد تقدم شرحه بافاضة وسيأتى مايلائمه بعد . السباعى

النار وقودا واكثرهم يجعل الوَقود الحطب والوُقود المصدر . ويقول اكثر العرب هـذه ريح جنوب وريح شمال وريح دبور فيجعل جنوبا وشمالا ودبورا وسائر الرياح نعوتا قال الاعشى

لها زجَل كحفيف الحصا ... دصادف بالليـل ريح دبورا

وقال زهير .

مكلل بأصول النبت تنسجه ... ريح شمال لضاحى مائه حُبُك

وقال جرير . ريح خريق شمال أو يمانية . فهذا يكون على النعت أجود لانه أوضحه بيمانية ولا تكون اليمانية الا نعتا لانها منسوبة والخريق الشديدة من كل ريح قال حميد بن ثور

بمثوى حرام والمطى كانه ... قنا مسند هبت لهن خريق

فأما البليل فهى الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال قال جرير يعير بنى مجاشع بخذلانهم الزبير بن العوام فى كلمة يقول فيها .

انى تذكرني الزبير حمامة ... تدعو بأعلى الا يكتين هديلا

يالهف نفسي اذ يغرك حبلهم ... هلا اتخذت على القيون كفيلا

قالت قريش ما أذل مجاشعا ... جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا

أفبعد مترككم خليل محمد ... ترجو القيون مع الرسول سبيلا

أفتى الندى وفتى الطعان غررتم ... وأخا الشمال اذا تهب بليلا

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الانصارى وكان يبخل اذا هبت الصبا طلع من أطُمه فنظر الى ناحية هبوبها ثم يقول لها هي هبوبك فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعا من عجوة أدفع الى الوليد منها خمس تمرات فيرد على منها ثلاثا أى لصلابتها بعد جهد ما يلوك منها اثنتين . وكان لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ابن كلاب شريفا فى الجاهلية والاسلام قد نذر ألا تهب الصبا الا نحر وأطعم حتى تنقضى فهبت بالاسلام وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة ابن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان واليها لعثمان بن عفان وكان أخاه لامه وأمهما أروى ابنة كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس

وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب نخطب الناس وقال انكم قد عرفتم نذر أبى عقيل وما وكد على نفسه فأعينوا أخاكم ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة (١) وبعث الناس فقضى نذره ففى ذلك تقول ابنة لبيد .

اذا هبت رياح الى عقيـل دعونا عند هبتها الوليـدا

« عود » وتقول فى أكثر الكلام هبت جنوبا وهبت شمالا فتستغنى عن ذكر الريح وهذا مما يؤكد أنها نعوت لأن الحال انما بابها ان تقع فيما يقع نعتا قال جرير

هبت شمالا فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاة الى شرقى حورانا

وقال آخر

فأى حى اذا هبت شآمية واستد فالكلب بالمأسور ذى الذئب

المأسور يعنى قتبا وانما الاسر الشد بالقدحتى يحكم وانما قيل الأسير من ذا لانه كان يشد بالقد ثم قالت العرب لكل محكم شديد الاسر قال الله تبارك وتعالى نحن خلقناهم وشددنا اسرهم وقوله ذى الذئب يعنى الفضول التى وسعته وأسبغته

(١) وأبيات يقول فيها

أرى الجزار تشحذ مديتاه اذا هبت رياح ابى عقيـل
طويل الباع أبيض جعفرى كريم المجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بما لديه على العلات والمال القليل

فلما أتته قال جزى الله الامير خيرا قد عرف الامير انى لا أقول شعرا ولكن أخرجى يابنيتى نخرجت خماسية فقال لها أجيبى الامير فأقبلت وأدبرت ثم قالت .

اذا هبت رياح أبى عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع أبيض عبشميا أعان على مروته لبيدا
بامثال الهضاب كأن ركبا عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد وظنى بان أروى أن يعودا

فقال لها لبيد أحسنت يا بنيتى لولا انك سألت فقالت ان الملوك لا يستحى من مسألتهم فقال لها يا بنيتى وأنت فى هذا أشعر

يقال غبيط مذأب اى ذو ذئب اى موسع والغبيط مركب من مراكب النساء .
قال أبو العباس ومن جعل الشمال والجنوب أسماء لم يصرفها اذا سمى بشىء منها رجلا لأنك اذا سميت رجلا مذكرا باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعدا لا علامة للتأنيث فيه لم تصرفه فى المعرفة وصرفته فى النكرة نحو عناق واتان وعقرب وان كان نعتا انصرف لأنك اذا سميت رجلا مذكرا بنعت مؤنث لا علامة فيه صرفته لأنه مذكر نعت به المؤنث نحو حائض وطالق ومتئم ومرضع واذا ذكرنا من الباب شيئا فما لم نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه قال الشاعر فجمل ما وصفنا أسماء

حالت وحيل بها وغير آيها طول البلى تجرى به الريحان
ريح الشمال مع الجنوب وتارة رهم الربيع وصائب التهتان

وقد أنشد وابيت زهير . ريح الجنوب لضاحى مائه حبك .
وقولنا لا علامة فيه للتأنيث لتعرف كيف حكم علامات التأنيث لان ذلك انما يكون على ضربين فما كان فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف فى معرفة ولا نكرة لمذكر كان أو مؤنث فالمقصور نحو حبلى وسكرى وما أشبه ذلك والممدود نحو حمراء وصفراء وصحراء وما أشبه ذلك فان كانت ممدودة لغير التأنيث انصرف اذا كان لمذكر فى المعرفة والنكرة زائدا كان أو أصليا فالأصلى نحو سقاء وغذاء وحذاء ورداء والزائدة نحو علباء وحرباء وقوباء يافتى ومن قال قوباء يافتى أنث ولم يصرف لان الاولى ملحقة وهذه للتأنيث . فأما الألف المقصورة التى لغير التأنيث فان كانت أصلية انصرفت فى المذكر نحو ملهى ومغزى ومشترى وان كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت فى النكرة ولم تنصرف فى المعرفة نحو أرطى وعلقى فيمن جعل الواحدة علقاة وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف فى النكرة وغير منصرف فى المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربيا كان أو أعجميا فهذه جملة هذا الباب فأما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه فى الكتاب المقتضب

٧ وقال الفرزدق يرثى ابنيه

بنى الشامتين الترب ان كان مسنى رزية شبلى مخدر فى الضراغم

وما أحد كان المنايا وراءه ولو عاش أياما طوالا بسالم
أرى كل حى ما تزال طليعة عليه المنايا من ثنايا المخارم
يذكرنى ابنى السما كان موهنا اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم
وقد رزئ الاقوام قبلى بنيهم واخوانهم فاقنى حياء الكرائم
ومات أبى والمنذران كلاهما وعمرو بن كلثوم شهاب الأراقم
وقد كان مات الاقرعان وحاجب وعمرو أبو عمرو وقيس بن عاصم
وقد مات بسطام بن قيس بن خالد ومات أبو غسان شيخ اللهازم
وقد مات خيراهم فلم يهلكاهم عشية بانا رهط كعب وحاتم
فما ابناك الا من بنى الناس فاصبرى فلن يرجع الموتى حنين المآتم

وأنشدنى التوزى عن أبى زيد خنين المآتم بالخاء معجمة (١) قوله ما تزال طليعة يريد طالعة والثنايا جمع ثنية وهى الطريق فى الجبل من ذلك

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى (٢)

والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل وقوله فوق النجوم العواتم يعنى المتأخرة يقال فلان يأتينا ولا يعتم أى لا يتأخر وعتمة اسم للوقت فلذلك سميت الصلاة بذلك الوقت وكل صلاة مضافة الى وقتها تقول صلاة الغداة وصلاة الظهر وصلاة العصر وأما قولك الصلاة الاولى فالاولى نعت لها اذ كانت أول ما صلى وقيل أول ما أظهر وقوله فاقنى حياء الكرائم يقول فالزمى وأصل القنية المال اللازم تقول اقتنى فلان مالا اذا اتخذ أصل مال وقيل فى قول الله عز وجل وأنه هو أغنى وأقنى أى جعل لهم أصل مال وأنشد أبو عبيدة

لو كان للدهر عز يطمئن به لكان للدهر صخر مال قُنيان (٣)

والكرائم جمع كريمة والاسم والنعت من فعيلة يجمعان على فعائل فالاسم نحو صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن والنعت نحو عقيلة وعقائل وكريمة وكرائم وقوله ومات أبى يريد التأسى بالاشراف وأبوه غالب بن صعصعة بن ناجية بن

(١) والخنين بالخاء صوت من الخيشوم (٢) الشعر لسحيم بن وثيل الرياحي
(٣) الشعر لابى المثلم الهذلى يرثى صخرا

عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وكان أبوه شريفا وأجداده الى حيث انتهوا ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها (١) والمنذران المنذر بن المنذر ابن ماء السماء اللخمى يريد الابن والاب وعمرو بن كلثوم التغلبي قاتل عمرو بن هند وكان أحد أشراف العرب وفتاكهم وشعرائهم والاراقم قبيلة من بنى تغلب بنت وائل من بنى جشم بن بكر وزعم أهل العلم انهم انما سموا الاراقم لان عيونهم شبهت بعيون الحيات والاراقم واحدها أرقم فكانوا معروفين بهذا قال الفرزدق يرد على جرير فى هجائه له وللأخطل

ان الاراقم لن ينال نديمها   كلب عوى متهتم الاسنان

وجعله شهابا لهم لنوره وبهائه وضيائه تقول العرب انما فلان نجم أهله وكذلك قالت الخنساء * كانه علم فى رأسه نار * والاقرعان الاقرع بن حابس وابنه الاقرع من بنى مجاشع بن دارم وكان الاقرع فى صدر الاسلام سيد خندف وكان محله فيها محل عيينة بن حصن فى قيس وحاجب بن زرارة بن عدس سيد بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع وعمرو أبو عمرو يريد عمرو بن عدس وكان شريفا وكان ابنه عمرو شريفا قتل يوم جبلة قتله بنو عامر بن صعصعة وقتلوا لقيط بن زرارة وكان الذى ولى قتله الوهاب العبسى وينسب الى بنى عامر لان بنى عبس كانوا فيهم مع قيس بن زهير وعمارة هذا هو الذى كان يقال له دالق وقتله شرحاف الضبى ولذلك يقول الفرزدق

وهن بشرحاف تداركن دالقا   عمارة عبس بعد ماجنح العصر

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنت الخرشب الأنمارية أريت فى منامها قائلا يقول . أعشرة هدرة أحب اليك أم ثلاثة كعشرة (٢) فلم تقل شيئا فعاد لها الليلة الثانية فلم تقل شيئا ثم قصت ذلك على زوجها فقال ان عاد لك الثالثة فقولى ثلاثة كعشرة وزوجها زياد بن عبد الله بن ناشب العبسى فلما عاد لها قالت ثلاثة كعشرة فولدتهم

(١) قد تقدم شيء منها ومما يتعلق ببعض الاعلام الاخرى الواردة بعدها فى اشعار الفرزدق بباب المدح والهجاء ـ السباعى (٢) هدرة بالدال غير معجمة قال أبو الحسن هم السقاط من الناس

كلهم غاية. ولدت ربيع الحفاظ وعمارة الوهاب وأنس الفوارس وهى احدى المنجبات من العرب قال وأسروا حاجباً فذلك حيث يقول جرير يعير الفرزدق ويعلمه فخر قيس عليه

تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا　　لقومك يوما مثل يوم الاراقم
كانك لم تشهد لقيطا وحاجبا　　وعمرو بن عمرو اذ دعوا يالدرام
ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا　　وشدات قيس يوم دير الجماجم

الجونان معاوية وحسان ابنا الجون الكنديان أسرا فى ذلك اليوم فقتل حسان وفودى معاوية بسبب يطول ذكره والشعب شعب جبلة وقوله وشدات قيس يوم دير الجماجم هذا فى الاسلام يعنى وقعة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى بعبد الرحمن بن محمد الاشعث بن قيس بن معديكرب الكندى بدير الجماجم وقول الفرزدق وقد مات بسطام بن قيس بن خالد يعنى الشيبانى وهو فارس بكر ابن وائل وابن سيدها وقتل بالحسن وهو جبل (١) قتله عاصم بن خليفة الضبى وكان عاصم أسلم فى أيام عثمان رحمه الله فكان يقف ببابه فيستأذن عليه فيقول عاصم بن خليفة الضبى قاتل بسطام بن قيس بالباب (٢) وكان سبب قتله اياه أن بسطاما أغار على بنى ضبة وكان معه حاز يحزو له (٣) فقال له بسطام انى سمعت قائلا يقول . الدلو تأت الغرب المزله . فقال الحازى فهلا قلت . ثم تعود بادنا مبتله . قال ما قلت فاكتسح أبلهم فتنادوا واتبعوه فنظرت أم عاصم اليه وهو يقع حديدة له أى يحدها والميقعة المطرقة. فقالت له ماتصنع بهذه وكان عاصم منقوصا فقال لها أقتل بها بسطام بن قيس فنهرته وقالت است أمك أضيق من ذاك فنظر الى فرس لعمه موثقة الى شجرة فاعروراها أى ركبها عريا ثم أقبل بها الريح فنظر بسطام الى الخيل قد لحقته فجعل يطعن الابل فى اعجازها فصاحت به بنو ضبة يا بسطام ما هذا السفه دعها اما لنا واما لك وانحط عليه عاصم فطعنه فرمى به على

---

(١) كذا وقعت الرواية بالحسن وهو جبل بالجيم والصحيح حبل بالحاء قال ابن سراج رحمه الله تعالى الحسن والحسين حبلا رمل (٢) قال ابو الحسن الوجه عندى فى بسطام ألا ينصرف لانه أعجمى (٣) قال أبو الحسن حاز بالزاى زاجر

الألاءة وهى شجرة ليست بعظيمة وكان بسطام نصرانيا وكان مقتله بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أخوه الرجوع الى القوم فصاح به بسطام انا حنيف ان رجعت ففى ذلك يقول ابن عثمة الضبي وكان فى بنى شيبان

نخر على الالاءة لم يوسد كأنّ جبينه سيف صقيل

ولما قتل بسطام لم يبق فى بكر بن وائل بيت الا هجم أى هدم وقوله ومات أبو غسان شيخ اللهازم يعنى مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب أحد بنى قيس بن ثعلبة واليه تنسب المسامعة وكان سيد بكر بن وائل فى الاسلام وهو الذى قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة وكان حين حدث أمر مسعود بن عمرو المعنى من الازد فلم يعلمه به فقال له عبيد الله وهو أحد فتاك العرب وهو قاتل مصعب بن الزبير أيكون مثل هذا الحدث ولا تعلمنى به لهممت أن أضرم دارك عليك نارا فقال له مالك اسكت أبا مطر فوالله ان فى كنانتى سهم أنا أوثق به منى بك فقال له عبدالله أو أنا فى كنانتك فوالله لو قعدت فيها لطلتها ولو قمت فيها لخرقتها فقال له مالك وأعجبه ما سمع منه اكثر الله فى العشيرة مثلك قال لقد سألت ربك شططاً وفى مالك بن مسمع يقال .

اذا ما خشينا من أمير ظلامة دعونا أبا غسان يوماً فعسكرا

وقوله وقد مات خيراهم تثنية كقولك مات أحمراهم ولم يخرج مخرج النعت ألا ترى أنك تقول هذا أحمر القوم اذا اردت هذا الأحمر الذى للقوم فاذا أردت الذى يفضلهم فى باب الحمرة قلت هذا أشدهم حمرة ولم تقل هذا أحمرهم وكذلك خيراهم وانما أردت هذا خيرهم ثم ثنيت أى هذا الخير الذى هو فيهم وقوله عشية بانا مردود على قوله خيراهم وقوله رهطِ كعب وحاتم انما خفضت رهطاً لأنه بدل من (هم) التى أضفت اليها الخيرين والتقدير وقد مات خيرا رهط كعب وحاتم فلم يهلكاهم عشية بانا . فاما كعب فهو كعب بن مامة الأيادى وكان أحد أجواد العرب الذى آثر على نفسه وكان مسافراً ورفيقه رجل من النمر بن قاسط فقلّ عليهما الماء فتصافناه والتصافن أن يطرح فى الاناء حجر (١) ثم يصب

---

(١) هذا الحجر الذى يقسم به الماء يقال له المقلة بفتح الميم

فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا وكذلك كل شيء وقف على كيله او وزنه والاصل ما ذكرنا فجعل النمري يشرب نصيبه فاذا أخذ كعب نصيبه قال اسق أخاك النمري فيؤثره حتى جهد كعب ورفعت له أعلام الماء فقيل له رد كعب ولا ورود به فمات عطشاً ففي ذلك يقول أبو داود الايادي .

أوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب انك وراد فما وردا

فضرب به المثل فقال جرير فى كلمته التى مدح بها عمر بن عبد العزيز

يعود الفضل منك على قريش وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد آمنت وحشهم برفق ويعيي الناس وحشك أن يصادا
وتبني المجد يا عمر بن ليلى وتكفى الممحل السنة الجمادا
وتدعو الله مجتهداً ليرضى وتذكر فى رعيتك المعادا
وما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجوادا
تعود صالح الاخلاق اني رأيت المرء يلزم ما استعادا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه وأما ابن سعدى فهو أوس بن حارثة بن لأم الطائي وكان سيداً مقدماً فوفد هو وحاتم بن عبدالله الطائي على عمرو بن هند وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء فدعا اوساً فقال له أنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا فى غدة واحدة ثم دعا حاتماً فقال له أنت أفضل أم أوس فقال أبيت اللعن انما ذكرت باوس ولأحد ولده أفضل مني وكان النعمان بن المنذر دعا بحلة وعنده وفود العرب من كل حي فقال احضروا فى غد فاني ملبس هذه الحلة اكرمكم فحضر القوم جميعاً الا أوساً فقيل له لم تخلفت فقال ان كان المراد غيري فاجمل الاشياء ألا اكون حاضراً وان كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكاني فلما جلس النعمان لم ير أوساً فقال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمناً مما خفت فحضر فألبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال الحطيئة كيف اهجو رجلا لا أرى فى بيتي اثاثاً ولا مالا الا من عنده ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبى خازم أحد بنى اسد بن خزيمة أنا اهجوه لكم فاخذ الابل وفعل فاغار أوس على الابل فا كتسحها فجعل بشر لا يستجير حياً الا قال قد أجرتك الا من أوس وكان فى هجائه اياه قد ذكر أمه فاتى به فدخل أوس على أمه فقال قد أتينا ببشر الهاجى لك ولى فما ترين فيه فقالت او تطيعنى قال نعم قالت أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وافعل مثل ذلك فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فخرج اليه أوس فقال ان أمى سعدى التى كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله لا مدحت أحداً حتى أموت غيرك ففيه يقول

الى أوس بن حارثة بن لأم ليقضى حاجتى فيمن قضاها
وما وطىء الثرى مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها

واما حاتم الذى ذكره الفرزدق فهو حاتم بن عبد الله الطائى جواد العرب وقد كان الفرزدق صافن رجلا من بنى العنبر بن عمرو بن تميم اداوة فى وقت غرامه العنبرى وسامه أن يؤثره وكان الفرزوق جواداً فلم تطب نفسه عن نفسه فقال الفرزوق

فلما تصافنا الادواة أجهشت الى غضون العنبرى الجراضم
فجاء بجلمود له مثل رأسه ليشرب ماء القوم بين الصرائم
على ساعة لو أن فى القوم حاتماً على جوده ضنت به نفس حاتم

قوله اجهشت فهو التسرع وما تراه فى نحواه من مقاربة الشىء يقال أجهش بالبكاء والغضون التكسر فى الجلد والجراضم الاحمر الممتلىء وقوله ليشرب ماء القوم بين الصرائم فهى جمع صريمة وهى الرملة التى تنقطع من معظم الرمل وقوله صريمة يريد مصرومة والصرم القطع وانشد الاصمعى .

فبات يقول أصبح ليلُ حتى تجلى عن صريمته الظلام

يعنى ثوراوصريمته رملته التى هو فيها وقال المفسرون فى قول الله عز وجل «فاصبحت كالصريم » قولين قال قوم كالليل المظلم وقال قوم كالنهار المضىء اى بيضاء لا شىء فيها فهو من الاضداد ويقال لك سواد الأرض وبياضها اى عامرها

وغامرها فهذا ما يحتج به لاصحاب القول الاخير ويحتج لاصحاب القول الاول في السواد بقول الله عز وجل «فجعله غثاء أحوى» . وانما سمى السواد سواداً لعمارته وكل خضرة عند العرب سواد . ويروى

على ساعة لو أن فى القوم حاتماً — على جوده ما جاد بالماء حاتمِ

يجعل حاتم تبييناً للهاء فى جوده وهو الذى يسميه البصريون البدل أراد على جود حاتم

٨ وقال الفرزدق وتتابع له بنون .

أسكان بطن الارض لو يقبل الفدى — فديتم وأعطينا بكم ساكنى الظهر
فياليت من فيها عليها وليت من — عليها ثوى فيها مقيماً الى الحشر
فماتوا كان لم يعرف الموت غيرهم — فثكل على ثكل وقبر على قبر
لقد شمت الاعداء بى وتغيرت — عيون أراها بعد موت أبى عمرو
تجرا علىَّ الدهر لما فقدته — ولو كان حياً لاجترأت على الدهر
وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا — فلما توفى شطره مال فى شطرى

٩ وقال رجل أحسبه تميميا (١)

لو لم يفارقنى عطية لم أهِن — ولم أعط اعدائى الذى كنت أمنع
شجاع اذا لاقى ورام اذا رمى — وهاد اذا ما أظلم الليل مصدع
سأبكيك حتى تنفد العين ماءها — ويشفى منى الدمع ما أتوجع

أحسن الانشادين عندى لم أهِن بأخذه من وهن يهن لانه اذا قال لم أهُن فهو من الهوان ومن قال لم أهِن فأنما هو من الضعف وهو أشبه بقوله ولم أعط أعدائى الذى كنت أمنع . والآخر غير بعيد يقول لم أهُن على أعدائى . واذا قال لم أهِن فالاصل لم أوهن ولكن الواو اذا كانت فى موضع الفاء من الفعل وكان ذلك الفعل على يفعِل فالواو محذوفة وانما تحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وتصير حروف المضارعة الباقية تابعة للياء لئلا يختلف الباب وهى التاء من قولك تفعِل اذا عنيت مخاطبا أو مؤنثا غائبا نحو أنت تعِد وهى تعِد والهمزة اذا عنيت نفسك نحو أنا

---

(١) قال أبو الحسن هو الفرزدق . ولذلك ضممته الى مراثيه . السباعى

أعد والنون اذا أخبرت عن نفسك ومعك غيرك نحو نحن نعد فان قال قائل انما هذا لان الفعل المتعدى تحذف منه الواو فان كان غير متعد ثبتت فقد قال أقبح قول لأن التعدى أو غير التعدى لا يحدث فى أنفس الافعال شيئاً ولو كان كما يقول لأثبت الواو فى وهن يهن لانك لا تقول وهنت زيدا وكذلك ورم يرم ووكف البيت يكف ونم الزباب ينم وهذا أكثر من أن يحصى فان لم تكن بعد الواو كسرة لم تحذف نحو وحل يوحل ووجل يوجل ووجع الرجل يوجع وقد يجوز ييجع وياجع و يِيجع لما نذكره اذا جرى ذكر هذه المفتوحة ان شاء الله فأما الحذف فلا يكون فيها فان قال قائل فما بال يطأ ويسع حذفت منهما الواو ومثلهما ثبتت فيه الواو فانما ذلك لانه كان فعِل يفعِل مثل ولى يلى وورم يرم ففتحته الهمزة والعين والاصل الكسر فانما حذفت الواو مما يلزم فى الاصل ألا ترى انك تقول ولغ السبع يلغ فهذا فعل يفعل والاصل يفعِل ولكن فتحته الغين لان حروف الحلق تفتح ما كان على يفعِل ويفعُل ولولا ذلك لم تقع فعَل يفعَل وحروف الحلق ستة الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء وهن يفتحن اذا كن فى موضع العين واللام فأما العين فنحو سأل يسأل وذهب يذهب وأما اللام فمثل قرأ يقرأ وصنع يصنع وسائر هذا الباب على ماوصفت لك . وقوله وهاد اذا ما أظلم الليل مصدع فتأويل مصدع ماض فى الامر قال الله عز وجل فاصدع بما تؤمر ويقال أحزم الناس من اذا وضح له الامر صدع به وقال أعرابى يمدح سوار بن عبد الله القاضى وسوار أحد بنى العنبر بن عمرو بن تميم .

واوقف عند الامر مالم يضح له وأمضى اذا ماشك من كان ماضيا

فاستجمع فى هذا المدح ركانة الحزم وامضاء العزم ومثله قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وانى امرؤ اذا ما تبينت لم ارتب

ومن أمثال العرب السائرة الجيدة . روِّ تحزم فاذا استوضحت فاعزم ومن أمثالهم قد أحزم لو اعزم وانما يكون هذا بعد التوقف والتبين فقد قال الشعبي أصاب متأمل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد . ومثل قوله . ويشفى منى الدمع ماأتوجع . قول الفرزدق .

ألم ترأنى يوم جوّ سويقة   بكيت فنادتنى هُنيدة ماليا
فقلت لها ان البكاء لراحة   به يشتفى من ظن الا تلاقيا (١)

قال ابو العباس وقال ابو بكر بن عياش نزلت بى مصيبة أوجعتنى فذكرت قول ذى الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة   من الوجد او يشفى نجىّ البلابل

فخلوت فبكيت فسلوت

وقال الفرزدق

تبكى على المنتوف بكر بن وائل   وتنهى عن ابنى مسمع من بكاهما
غلامان شبا فى الحروب وأدركا   كرام المساعى قبل وصل لحاهما

وابنا مسمع كان قتلهما معاوية بن يزيد بن المهلب مع عدى بن أرطاة لما أتاه خبر قتل أبيه، وكان ابنا مسمع ممن خالف على يزيد بن المهلب والمنتوف كان مولى لبنى قيس بن ثعلبة بن عكابة وابنا مسمع من بنى قيس بن ثعلبة وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب وفى ذلك يقول جرير

والأُزد قد جعلوا المنتوف قائدهم   فقتّلتهم جنود الله وانتُتِفوا

وتمام شعر الفرزدق

ولو قُتلا من جزم بكر بن وائل   لكان على الناعى شديدا بكاهما
ولو كان حياً مالك وابن مالك   اذاً أوقدا نارين يعلو سناهما

السنا ضوء النار وهو مقصور قال الله عز وجل يكاد سنا برقه يذهب بالابصار

---

(١) قال ابو الحسن ويتلو هذين البيتين مما يستحسن

قعيد كما الله الذى انتما له   ألم تسمعا بالبيضتين المناديا
حبيب دعا والرمل بينى وبينه   فاسمعنى سقيا لذلك داعيا

يقال قعيدك الله وقِعدك الله ونشدك الله أى سألتك بالله كما قال متمم بن نويرة وهو من بنى يربوع

قعيدكِ ألا تسمعينى ملامة   ولا تنكئى قرح الفؤاد فييجعا

ويروى فقعدك ألا تسمعينى والبيضتان موضع معروف

والسناء من الشرف ممدود قال حسان بن ثابت

وانك خير عثمان بن عمرو　　وأسناها اذا ذكر السناء

والبكاء يمد ويقصر فمن مد فانما جعله كسائر الاصوات ولا يكون المصدر في معنى الصوت مضموم الاول الا ممدودا لأنه يكون على فُعال وقلما يكون المصدر على فُعَل وقد جاء في حروف نحو الهدى والسرى وما أشبهه وهو يسير فاما الممدود فنحو العواء والدعاء والرغاء والثغاء فكذلك البكاء ونظيره من الصحيح الصراخ والنباح ومن قصر فانما جعل البكاء كالحزن وقد قال حسان فقصر ومد

بكت عيني وحق لها بكاها　　وما يغني البكاء ولا العويل

١١ وماتت امرأة للفرزدق بجُمْع ومعنى (١) جُمع ولدها في بطنها فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح　　عليه ولم ابعث عليه البواكيا

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة　　لوَ ان المنايا أنسأته لياليا

وهذا من البغي في الحكم والتقدم. وقال رجل من المحدثين وهو الطائي في ابنين لعبدالله بن طاهر أصيبا في يوم واحد وهما طفلان شبيهاً بهذا ولكنه اعتذر فحسن قوله وصح معناه باعتذاره قال

لهفي على تلك الشواهد فيهما　　لو أمهلت حتى تكون شمائلا

ان الهلال اذا رأيت نموه　　أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

١٢ وقال الفرزدق يرثي (٢) حدراء الشيبانية

يقول ابن صفوان بكيت ولم تكن　　على امرأة عيني اخال لتدمعا

يقولون زر حدراء والترب دونها　　وكيف بشيء عهده قد تقطعا

ولست وان عزت علي بزائر　　ترابا على مرسومة قد تضعضعا

وأهون مفقود اذا الموت ناله　　على المرء من اصحابه من تقنعا

وما مات عند ابن المراغة مثلها　　ولا تبعته ظاعناً يوم ودعا

١٣ وقال جرير يرثي امرأته

لولا الحياء لهاجني استعبار　　ولزرت قبرك والحبيب يزار

---

(١) وان شئت قلت جِمع يافتى (٢) امرأته . السباعي

نعم الخليل وكنت علق مضنة ‏ ‏ ولدىّ منك سكينة ووقار

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ‏ ‏ ليل يكر عليهم ونهار

صلى الملائكة الذين تخيروا ‏ ‏ والصالحون عليك والابرار

أفأم حزرة يا فرزدق عبتم ‏ ‏ غضب المليك عليكم الجبار

١٤ وقال جرير

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم ‏ ‏ كيف العزاء وقد فارقت أشبالى (١)

هـذا سوادة يجلو مقلتى لحِم ‏ ‏ باز يصرصر فوق المرقب العالى

فارقته حين غض الدهر من بصرى ‏ ‏ وحين صرت كعظم الرّمة البالى

قوله يجلو مقلتى لحم شبه مقلتيه بمقلتى البازى ويقال طائر لحم من هـذ وقوله يصرصر يعنى يصوت يقال صرصر البازى والصقر وما كان من سباع الطير ويقال صرصر العصفور وأحسبه مستعاراً لان الاصل فيه أن يستعمل فى الجوارح من الطير قال جرير . باز يصرصر بالسّهْبِى قطا جونا . وقال آخر . كما صرصر العصفور فى الرُطب الثعد . وأنشدنى عمارة باز يصعصع وهو أصح (٢) وقوله كعظم الرمة فهى البالية الذاهبة والرميم مشتق من الرمة وانما هو فعيل و فعله وليس بجمع له واحد ومما كفرت به الفقهاء الحجاج بن يوسف قوله والناس يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره وان شئت قلت يطيفون قال ابو زيد تقول العرب طفت وأطفت به ودرت وأدرت به ويقال حدق وأحدق قال الاخطل

المنعمون بنو حرب وقد حدقت ‏ ‏ بى المنية واستبطأت أنصارى

«قوله» انما يطوفون بأعواد ورمة . ومن أمثال العرب لولا أن تضيع الفتيان الذمة لخبرتها بما تجد الابل فى الرمة يقول لولا أن تدع الاحداث التمسك بالوفاء والرعاية للحرمة لأعلمتها أن الأبل تتناول العظم البالى وهو أقل الاشياء فتجد له لذة

---

(١) نصيبك بالنصب لا غير لانه مفعول بأضمار فعل تقديره احفظ نصيبك او احرز نصيبك (٢) قالوا ابو الحسن يصعصع هو الصواب ويصرصر لا يتعدى ولكن هكذا وقع فى كتابه

ومثل بيت جرير الاخير قول ابى الشغب يرثى ابنه شغبا

قدكان شغب لو ان الله عمره عزا تزاد به فى عزها مضر
ليت الجبال تداعت قبل مصرعه دكا فلم يبق من أحجارها حجر
فارقت شغباً وقد قوست من كبر بئس الحليفان طول الحزن والكبر

قوله قوست يقول انحنيت كالقوس قال امرؤ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وقال ابراهيم بن المهدى يرثى ابنه وكان مات بالبصرة

نأى آخر الايام عنك حبيب فللعين سح دائم وغروب
دعته نوى لا يرتجى أوبة لها فقلبك مسلوب وأنت كئيب
يؤوب الى أوطانه كل غائب وأحمد فى الغياب ليس يؤوب
تبدل داراً غير دارى وجيرة سواى وأحداث الزمان تنوب
أقام بها مستوطنا غير أنه على طول أيام المقام غريب
كأن لم يكن كالغصن فى ميعة الضحى سقاه الندى فاهتز وهو رطيب
كأن لم يكن كالدر يلمع نوره بأصدافه لما تشنه ثقوب
كأن لم يكن زين الفناء ومعقل الـ ـنساء اذا يوم يكون عصيب
وريحان صدرى كان حين أشمه ومؤنس قصرى كان حين أغيب
وكانت يدى ملأى به ثم أصبحت بحمد الهى وهى منه سليب
قليلا من الايام لم يرو ناظرى بها منه حتى أعلقته شعوب
كظل سحاب لم يقم غير ساعة الى أن أطاحته فطاح جنوب
أو الشمس لما من غمام تحسرت مساء وقد ولت وحان غروب
سأبكيك ما أبقت دموعى والبكا بعينى ماء يا بنى يجيب
وما غار نجم أو تغنت حمامة أو اخضر فى فرع الاراك قضيب
حياتى ما دامت حياتى فان أمت ثويت وفى قلبى عليك ندوب
وأضمر اذ أنفدت دمعى لوعة عليك لها تحت الضلوع وجيب
دعوت أطباء العراق فلم يصب دواءك منهم فى البلاد طبيب

ولم يملك الآسون دفعا لمهجة ... عليها لاشراك المنون رقيب
قصمت جناحي بعدما هد منكبي ... أخوك فرأسي قد علاه مشيب
فأصبحت في الهلاك الاحشاشة ... تذاب بنار الحزن فهي تذوب
توليتما في حقبة فتركتما ... صدى يتولى تارة ويثوب
فلاميت الا دون رزئك رزؤه ... ولو فتت حزنا عليه قلوب
واني وان قدمت قبلي لعالم ... بأني وان أبطأت منك قريب
وان صباحاً نلتقي في مسائه ... صباح الى قلبي الغداة حبيب

١٦ وذكر بعض الرواة أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملا لعلي بن أبي طالب على اليمن فشخص الى علي واستخلف على اليمن عمرو بن أراكة الثقفي فوجه معاوية الى اليمن ونواحيها بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي فقتل عمرو بن أراكة فجزع عليه عبد الله أخوه جزعاً شديدا فقال أبوه

لعمري لئن أتبعت عينيك ما مضى ... به الدهر أو ساق الحمام الى القبر
لتستنفدن ماء الشؤون بأسره ... ولو كنت تمريهن من ثبج البحر
لعمري لقد أردى ابن أرطاة فارساً ... بصنعاء كالليث الهزبر أبي أجري
وقلت لعبد الله اذ حن باكيا ... تعز وماء العين منهمر يجري
تبين فان كان البكا رد هالكا ... على أهله فاشدد بكاك على عمرو
ولا تبك ميتاً بعد ميت أجنه ... علي وعباس وآل أبي بكر

قوله من ثبج البحر فثبج كل شيء وسطه ويروى في الحديث كنت اذا فاتحت الزهري فتحت منه ثبج البحر وقوله تمريهن هو مثل يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر فانما هو استخراج اللبن ويقال مريت برجلي الارض اذا مسحتها والاصل ذلك فانما أراد ولو كنت تستخرج الدموع من ثبج البحر

١٧ وكان بسر بن ارطاة في تلك الحروب أرشد على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأمهما من بني الحارث بن كعب فوارتهما فيقال انه أخذهما من تحت ذيلها فقتلهما ففي ذلك تقول الحارثية .

ألا من بين الأخويـ ... ـين أمهما هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها وتستبغى فما تبغى

وفى ذلك تقول أيضا

يا من أحس بنيّ اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن أحس بنيّ اللذين هما سمعى وطرفى فطرفى اليوم مختطف
يا من أحس بنيى اللذين هما مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبئت بسرا وما صدقت مازعموا من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا
أنحى على ودجى طفلىً مرهفة مشحوذة وعظيم الافك يقترف
من ذل والهة حرى مفجعة على صبيين غابا اذا مضى السلف

١٨ وقال رجل يذكر ابنه

ألا يا سمية شبى الوقودا لعل الليالى تؤدى يزيدا
فنفسى فداؤك من غائب اذا ما المسارح كانت جليدا
كفانى الذى كنت أسعى له فصار أبا لى وصرت الوليدا

قوله شبى يقال شببت النار والحرب اذا أوقدتهما يقال شب يشب شبا قال الأعشى

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

وقوله اذا ما المسارح كانت جليدا فالمسارح الطرق التى يسرحون فيها واحدها مسرح والجليد يقع من السماء وهو ندى فيه جمود فتبيض له الارض وهودون الثلج يقال له الجليد والضريب والسقيط والصقيع . وقالوا فى قوله . رجلا عقاب يوم دجن تضرب . أى يصيبها الضريب وقوله وكنت الوليدا فالوليد الصغير وجمعه وِلدان وهو فى القرآن (١) ونظير وليد وولدان ظليم وظلمان وقضيب وقضبان وباب فُعال فِعلان نحو عقبان وذبان وغربان وقولهم أمرلا ينادى وليده يقال فيه قولان متقاربان فأحدهما انه لا يدعى له الصغار والوجه الآخر لاصحاب المعانى يقولون ليس فيه وليد فيدعى ونظير ذلك قول النابغة الجعدى

سبقت صياح فراريجها وصوت نواقيس لم تضرب

ي ليست ثَمّ ولكن هذا من اوقاتها وقالت أخت طرفة بن العبد

---

(١) فى قوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون .

عددنا له ستاً وعشرين حجة　　فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لما رجونا ايابه　　على خير حال لا وليدا ولا قحما

الوليد ما ذكرنا والقحم الرجل المتناهى سناً ويقال ذلك فى البعير قحم وقحر ومقلحِمّ ويقال للبعير خاصة قحارِيَة بوزن قُراسية وأنشد الاصمعى

رأين قحما شاب واقلحما　　طال عليه الدهر فاسلهما

والمسلهم الضامر

١٩ وقال آخر لابنه يرثيه

ومن عجب ان بت مستشعر الثرى　　وبت بما زودتنى متمتعاً
ولو أننى انصفتك الود لم أبت　　خلافك حتى ننطوى فى الثرى معا

٢٠ وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى قال قدم رجل من البادية فلما صار بجبل سنام مات له بنون فدفنهم هناك وقال

دفنت الدافعين الضيم عنى　　برابية مجاورة سناما
أقول اذا ذكرت العهد منهم　　بنفسى تلك أصداء وهاما
فلم أر مثلهم ماتوا جميعاً　　ولم أر مثل هذا العام عاما (١)

٢١ قال ابو العباس ويروى أن رجلا كان له بنون سبعة يروى ذلك أبو الحسن المدائنى قال ابو العباس فاختلف علىَّ فيهم فقال قوم كانوا تحت حائط وقال قوم آخرون بل حلب لهم فى عُلبة فمج فيها أفعى فبعث بها اليهم فشربوها فماتوا جميعاً والرجل يقال له الحارث بن عبدالله الباهلى وهلكت لجار له شاة فجعل يعلن بالبكاء عليها فقال قائل

يا أيها الباكى على شاته　　يبكى جهارا غير اسرار
ان الرزيئات وأمثالها　　مالقى الحارث فى الدار
دعا بنى معن واخوانهم　　فكلهم يعدو بحفار

٢٢ وقال أبو عبد الرحمن العتبى وتتابع له بنون

---

(١) قال ابو الحسن الاخفش وفيها عن غير أبى العباس

فليت حمامهم اذ فارقونى　　تلقانا فكان لنا حماما

كل لسانى عن وصف ما أجد   وذقت ثكلا ما ذاقه أحد
وأوطنت حرقة حشاى فقد   ذاب عليها الفؤاد والكبد
ما عالجُ الحزن والحرارة فى الـأحشاء من لم يمت له ولد
فجعت باثنين ليس بينهما   الا ليال ليست لها عدد
فكل حزن يبلى على قدم الـ   دهر وحزنى يجده الابد

٢٣ وقال يرثى على بن سهل بن الصباح وكان له صديقا

يا خير اخوانه وأعطفهم   عليهمُ راضيا وغضبانا
أمسيت حزنا وصار قربك لى   بعدا وصار اللقاء هجرانا
انا الى الله راجعون لقد   أصبح حزنى عليك ألوانا
حزن اشتياق وحزن مرزأة   اذا انقضى عاد كالذى كانا

قوله ياخير اخوانه محال وباطل وذلك انه لا يضاف أفعل الى شىء الا وهو جزء منه

وقال فيه أيضا

دعوتك يا أخىّ فلم تجبنى   فردت دعوتى حزنا عليا
بموتك ماتت اللذات منى   وكانت حية اذ كنت حيا
فيا أسفى عليك وطول شوقى   اليك لو ان ذاك يرد شيا

٢٤ وقال عقيل بن علفة المرى من غطفان

لعمرى لقد جاءت قوافل خبرت   بأمر من الدنيا على ثقيل
وقالوا ألا تبكى لمصرع هالك   أصاب سبيل الله خير سبيل
كأن المنايا تبتغى فى خيارها   لها ترة أو تهتدى بدليل
لتأت المنايا حيث شاءت فانها   محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنبوة   فحل الموالى بعده بمسيل

٢٥ وقال اعرابى .

لعمرى لقد نادى بأرفع صوته   نعىّ حُيى أن سيدكم هوى
أجلْ صادقا والقائل الفاعل الذى   اذا قال قولا أنبط الماء فى الثرى
فتى قُيل لم تعنس السن وجهه   سوى وضح فى الرأس كالبرق فى الدجى

أشارت له الحرب العوان فجاءها يقعقع بالأقراب أول من أتى
ولم يجنها لكن جناها وليه فآسى وآداه فكان كمن جنى

٢٦ وقال رجل من العرب .

خليلى عوجا بارك الله فيكما على قبر أهبان سقته الرواعد
فذاك الفتى كل الفتى كان بينه وبين المزجى نفنف متباعد
اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن عييا ولا عبئا على من يقاعد

قوله على قبر أهبان فهذا اسم علم كزيد وعمرو واشتقاقه من وهب يهب وهمز الواو لانضمامها كقوله تعالى واذا الرسل أقتت فهو فعلت من الوقت وقد مضى تفسير همز الواو اذا انضمت وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة وكل شئ لاينصرف فصرفه فى الشعر جائز لان أصله كان الصرف فلما احتيج اليه رد الى أصله فهذا قول البصريين وزعم قوم أن كل شئ لاينصرف فصرفه فى الشعر جائز الا أفعل الذى معه منك نحو أفضل منك وأكرم منك وزعم الخليل وعليه أصحابه ان هذا اذا كانت معه منك بمنزلة أحمر لانه انما كمل أن يكون نعتا بمنك وأحمر لايحتاج اليها فهو مع منك بمنزلة أحمر وحده قال والدليل على أن منك ليست بما نعته من الصرف انه اذا زال عن بناء أفعل انصرف نحو قولك مررت بخير منك وشر منك فلو كانت منك هى المانعة لمنعت هاهنا فهذا قول بين جدا وقوله المزجى فهو الضعيف يقال زجى فلان حاجتى أى خف عليه تعجيلها والمزجاة من البضائع اليسيرة الخفيفة المحمل والنفنف وجمعه النفانف كل ما كان بين شيئين عال ومنخفض قال ذو الرمة (١) فى نفنف يتطوح
وقوله ولا عبئا على من يقاعد فالعبء الثقل يقال حمل عبئا ثقيلا موكدا بقوله ثقيلا ولو لم يقله لم يحتج اليه .

٢٧ قال أبو العباس قال رجل أحسبه من بنى سعد يرثى رجلا

ومختضر المنافع أريحى نبيل فى معاوزة طوال
عزيز عزة فى غير فحش ذليل للذليل من الموالى

---

(١) ترى قرطها فى واضح الليت مشرفا على هلك فى نفنف يتطوح

جمات وساده احدى يديه وتحت جمائه خشبات ضال
ورثت سلاحه وورثت ذودا وحزنا دائما أخرى الليالى

قوله أريحى هو الذى يرتاح للمعروف أى يخف له ويقال أخذت فلانا أريحية أى خفة وحركة لفعل المعروف والمعاوز الثياب التى يتبذل فيها الرجل وهى دون الثياب التى يتجمل بها واحدها معوز قال الشماخ فى نعت القوس

اذا سقط الانداء صينت وأشعرت حبيرا ولم تدرج عليها المعاوز

وقوله فى معاوزة فزاد الهاء فانما يفعل ذلك لتحقيق التأنيث لان كل جمع مؤنث كما تقول فى جمع صيقل صياقل وصياقلة وكذلك جوارب وجواربة الا أن اكثر الاعجمى يختص بالهاء وهو فى العربى جيد وفى العجمى اكثر استعمالا نحو الموازجة فان كان منسوبا كان الباب فيه اثبات الهاء . وتركها جائز نحو المهالبة والمسامعة والمناذرة والاحامرة وقالوا السيابجة لانه قد اجتمع فيه النسب والعجمة وقوله تحت جمائه يعنى شخصه والضال السدر البرى وما كان من السدر على الانهار فليس بضال ولكن يقال له عبرى قال ذو الرمة (١) عبريا وضالا . وقوله ورثت سلاحه وورثت ذودا . يصف قرب نسبه منه والذود القطعة من الابل واكثر ما يستعمل ذلك فى الاناث ويجوز فى السائر ومنه قولهم الذود الى الذود ابل ثم قال . وحزنا دائما أخرى الليالى . كما قال الاول وغبط بميراث ورثه من أحد أهله .

يقول جزء ولم يقل جللا انى تروحت ناعما جذلا
ان كنت أزننتنى بها كذبا جزء فلاقيت مثلها عجلا
أغبط أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصا نبلا

قوله ولم يقل جللا أى صغيرا والجلل يكون للصغير ويكون للكبير من ذلك قوله . كل شىء ماخلا الله جلل . أى صغير . وقال لبيد فى الكبير

وأرى أربد قد فارقنى ومن الارزاء رزء ذو جلل

وقوله شصائصا يعنى حقيرة دميمة وزعم التوزى أن النبل من الاضداد يكون

(١) قطعت اذا تجوبت العواطى ضروب السدر عبريا وضالا

للجليل والحقير واحتج بهذا البيت الذى ذكرناه قال يريد هاهنا الحقيرة وقوله أزننتنى أى قرفتنى ونسبتنى يقال فلان يزن بكذا وكذا أى يسمى به وينسب اليه قال امرؤ القيس بن حجر

كذبت لقد أصبى على المرء عرسه وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى

وفى معنى قوله ورثت سلاحه قول الشاعر

يفرح الوارث بالمال اذا ورث المال ويبكى ان غضب

ومثله قول نعامة الفزارى . ياحبذا التراث لولا الذله .

٢٨ قال أبو العباس أنشدت لرجل من الاعراب يرثى رجلا منهم

فلو كان شيخا قد لبسنا شبابه ولكنه لم يعد أن طر شاربه

وقاك الردى من ودّ أن ابن عمه يرى مقترا أو أنه ذل جانبه(١)

وهذا كما قال الآخر لامرأته (٢)

فاما هلكت فلا تنكحى ظلوم العشيرة حسادها

يرى مجده ثلب أعراضها لديه ويبغض من سادها

وقال آخر (٣)

لحى الله أكبانا زنادا وشرنا وأيسرنا عن عرض والده ذبا

رأيتك لما نلت مالا ومسنا زمان ترى فى حد أنيابه شغبا

جعلت لنا ذنبا لتمنع نائلا فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

قوله أكبانا زنادا الزناد التى تقدح بها النار ويقال أورى القادح اذا خرجت له النار وأكبي اذا أخفق منها هذا أصله يضرب للرجل الذى ينبعث الخير على يديه ويضرب الاكباء للذى يمتنع الخير على يديه قال الاعشى

وزندك خير زناد الملو ك صادف منهن مرخ عفارا

ولو بت تقدح فى ظلمة صفاة بنبع لاوريت نارا

والمرخ والعفار شجر تسرع فيه النار ومن أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد

---

(١) هذا المعنى مطروق كثيرا كما ترى بعد. السباعى (٢) هو حسان بن ثابت

(٣) قال أبو الحسن هو ليزيد بن حبناء أو لصخر بن حبناء يقوله لأخيه

المرخ والعفار . واستمجد استكثر يقال أمجدته سبا وأمجدته ذما اذا أكثرت من ذلك ومن أمثالهم . أرخ يديك واسترخ ان الزناد من مرخ . ويقال رجل ذو شغب اذا كان يشغب على خصمه ضربه مثلا للزمان الذى يهر على اربابه أى يمسهم بالفقر والجدب .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا ... فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
أأنت أخى مالم تكن لى حاجة ... فان عرضت أيقنت أن لا أخاليا
فلا زاد ما بينى وبينك بعد ما ... بلوتك فى الحاجات الا تماديا
فلست براء عيب ذى الود كله ... ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا
كلانا غنى عن أخيه حياته ... ونحن اذا متنا أشد تغانيا

قوله كان شيئا ملففا يقول كان أمرا مغطى والتمحيص الاختبار يقال أدخلت الذهب فى النار فمحصته أى خرج عنه مالم يكن منه وخلص الذهب قال الله عزوجل وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ويقال محص فلان من ذنوبه . وقوله أأنت أخى مالم تكن لى حاجة تقرير وليس باستفهام ولكن معناه انى قد بلوتك تظهر الاخاء فاذا بدت الحاجة لم أر من اخائك شيئا وقول الله عز وجل أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله انما هو توبيخ لهم وليس باستفهام وهو جل وعز العالم بأن عيسى لم يقله وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب المقتضب مستقصى ونذكر منه جملة فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وقال عبد الله بن معاوية أيضا (١)

أنى يكون أخا أو ذا محافظة ... من كنت فى غيبه مستشعرا وجلا
اذا تغيب لم تبرح تظن به ... سوءا وتسأل عما قال أو فعلا

وقال آخر .

---

(١) ذكر دعبل فى أخبار الشعراء له ان هذا السعر لعبد الله بن الزبير الاسدى

سأشكر عمرا ما تراخت منيتي   أيادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه   ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها   فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاث لا يعرف الشجاع الا في الحرب ولا الحليم الا عند الغضب ولا الصديق الا عند الحاجة .

وتمثل على بن أبي طالب رضي الله عنه في طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (١)

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   اذا ماهو استغنى ويبعده الفقر
فتى لا يعد المال ربا ولا ترى   به جفوة ان نال مالا ولا كبر
فتى كان يعطى السيف في الروع حقه   اذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر
وهون وجدي أنني سوف أغتدى   على اثره يوما وان نفس العمر

قال أبو العباس حدثني التوزي قال حدثني محمد بن عباد بن حبيب بن المهلب أحسبه عن أبيه قال لما انقضى يوم الجمل خرج على بن أبي طالب رضي الله عنه في ليلة ذلك اليوم ومعه قنبر وفي يده مشعلة من نار يتصفح القتلى حتى وقف على رجل قال التوزي فقلت أهو طلحة قال نعم فلما وقف عليه قال اعزز على أبا محمد أن أراك معفرا تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية شفيت نفسي وقتلت معشرى الى الله أشكو عجرى وبجرى . قوله معفرا أى ملصق الوجه بالتراب ويقال للتراب العَفَر والعَفْر يقال ماشى على عفر التراب مثل فلان وقوله الى الله أشكو عجرى وبجرى يقول ما أسر من أمرى قال الاصمعي وهو قول سائر في أمثال العرب يقولون لقى فلان فلانا فأبثه عجره وبجره .

ويروى أن على بن أبي طالب رضوان الله عليه تمثل عند قبر فاطمة عليهما السلام (٢)

وان افتقادي واحدا بعد واحد   دليل على ألا يدوم خليل

وتمثلت عائشة عند قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر بقول متمم بن نويرة

---

(١) قال أبو الحسن بعضهم يقول الشعر للأبيرد الرياحي وبعد البيت الثالث
فلا يبعدنك الله اما تركتنا   حميدا وأودى بعدك المجد والفخر
(٢) لكل اجتماع من خليلين فرقة   وان الذي دون الفراق قليل

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ويروى أن معاوية لما أتاه موت عتبة تمثل

اذا سار من خلف امرئ وأمامه وأوحش من أصحابه فهو سائر

فلما أتاه موت زياد تمثل

وأفردت سهما في الكنانة واحدا سيرمى به أو يكسر السهم كاسر

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل فتمثل عند قبره

وهون وجدي عن شراحيل أنني اذا شئت لاقيت امرأ مات صاحبه

٢٩ وقال اعرابي

ألا لهف الارامل واليتامى ولهف الباكيات على قصي
لعمرك ما خشيت على قصي متالف بين حجر والسلي
ولكني خشيت على قصي جريرة رمحه في كل حي
فتى الفتيان محلول ممر وأمار بارشاد وغي

وهذا الشعر من أجفى أشعار العرب ينبئ صاحبه أن تقديره في المرثي أن تكون منيته قتلا ويتأسف من موته حتف أنفه ويقول في مدحه . وأمار بارشاد وغي

٣٠ وشبيه بهذا قول لبيد في أخيه أربد لما أصابته الصاعقة وأصابت عامر بن الطفيل الغدة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر صار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أربد فقال لأربد أنا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام على أن يجعل له أعنة الخيل فقال عامر ومن يمنعها اليوم مني ولكن ان شئت فلك المدر ولي الوبر أو لي المدر ولك الوبر فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال فاجعل لي هذا الامر بعدك فأعلمه النبي أن ذلك ليس بكائن قال فأبشر بخيل أولها عندك وآخرها عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وابنا قيلة يعني الاوس والخزرج ويروى أن سعد بن عبادة قال يارسول الله علام يسحب هذا الاعرابي

لسانه عليك دعنى أقتله ويروى أن عامرا قال للنبي عليه السلام لأغزونك على ألف أشقر وألف شقراء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما وتروى قيس انه قال اللهم ان لم تهد عامرا فاكفنيه وقال عامر لاربد قد شغلته عنك مراراً فألا ضربته قال أربد أردت ذلك مرتين فاعترض لى فى احداهما حائط من حديد ثم رأيتك الثانية بينى وبينه أفأقتلك فلم يصل واحد منهما الى منزله أما عامر فغد فى ديار بنى سلول بن صعصعة فجعل يقول أغدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته وكان أخا لبيد لامه فقال يرثيه

أخشى على أربد الحتوف ولا   أرهب نوء السماك والأسد
ما ان تعرى المنون من أحد   لا والد مشفق ولا ولد
فجعنى الرعد والصواعق بالـ   ـفارس يوم الكريهة النجُد
يا عين هلا بكيت أربد اذ   قمنا وقام العدو فى كبد

وقال أيضا

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم   وبقيت فى خلْف كجلد الاجرب
يتحدثون مخانة وملاذة   ويعاب قائلهم وان لم يشغب
يا أربد الخير الكريم جدوده   غادرتنى أمشى بقرن أعضب
ان الرزيئة لا رزيئة مثلها   فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قوله فى خلْف يقال هو خلَف فلان لمن يخلفه من رهطه وهؤلاء خلْف فلان اذا قاموا مقامه من غير أهله وقلما يستعمل خلْف الا فى الشر وأصله ما ذكرنا والمخانة مصدر من الخيانة والملوذ الذى لا يصدق فى مودته يقال رجل ملوذ وملذان. وملاذة مصدره والاعضب المقطوع وفى الحديث لا يضحى بعضباء ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة فى مرضه لولا مامن الله به من بقائك لكنا كما قال لبيد

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم   وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فقال له معن انما تذكر أنى سدت حين ذهب الناس هلا قلت كما قال نهار بن سعة

قلدته عرا الامور نزار   قبل أن تهلك السراة البحور

٣١ وقال هشام أخوذى الرمة

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده عزاء وجفن العين بالماء مترع
ولم تنسنى أوفى المصيبات بعده ولكنّ نكء القرح بالقرح أوجع

غيلان هو ذو الرمة وكان هشام من عقلاء الرجال حدثنى العباس بن الفرج فى اسناد ذكره يعزوه الى رجل أراد سفرا فقال قال لى هشام بن عقبة ان لكل رفقة كلباً يشركهم فى فضلة الزاد ويهردونهم فان قدرت ألا تكون كلب الرفقة فافعل واياك وتأخير الصلاة عن وقتها فانك مصليها لا محالة فصلها وهى تقبل منك

٣٢ وقال ابرهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمداً

أبا المنازل يا عُبْر الفوارس من يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا
الله يعلم أنى لو خشيتهم أوآنس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوك ولم أسلم أخى لهم حتى نعيش جميعاً أو نموت معاً

قوله يا عبر الفوارس يصفه بالقوة منهم وعليهم كما يقال ناقة عبر الهواجر وعبر السرى وقوله أوآنس القلب من خوف لهم فزعاً يقول أحس وأصل الايناس فى العين يقال آنست شخصاً أى أبصرته من بُعد وفى كتاب الله عزوجل آنس من جانب الطور نارا .

وقال على بن عبدالله بن العباس بن عبد المطاب رحمه الله (١)

أبى العباسُ قرم بنى قصى وأخوالى الملوك بنو وليعه
هم منعوا ذمارى يوم جاءت كتائب مسرف وبنو اللكيعه
أراد بى التى لا عز فيها فحالت دونه أيد منيعه

قوله بنو وليعة فهم أخواله من كندة وأمه زُرعة بنت مشرح الكندية ثم أحد ابن وليعة وقوله كتائب مسرف يعنى مسلم بن عقبة المرى صاحب الحرة وأهل الحجاز يسمونه مسرفا وكان أراد أهل المدينة جميعاً على أن يبايعوا

---

(١) انما جىء بهذا الشعر وما سيتبعه بعد قول حسن لما فيه من منعة العشيرة وتضافر أفرادها وهو مرمى بيته الاخير . السباعى

يزيد بن معاوية على أن كل واحد منهم عبد قن له الاعلى بن الحسين فقال حصين بن نميرا لسكونى من كندة ولا يبايع ابن اختنا على بن عبدالله الا على ما يبايع عليه على بن الحسين على أنه ابن عم أمير المؤمنين والا فالحرب بيننا فأعفى على بن عبدالله وقبل منه ما أراد فقال هذا الشعر لذلك وقوله بنو اللكيعة فهى اللئيمة ويقال فى النداء للئيم يا لكع وللانثى يالكاع لانه موضع معرفة كما يقال يا فسق ويا خبث فان لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل يا ألكع وللانثى يا لكعاء وهذا موضع لا تقع فيه النكرة وقد جاء فى الحديث والاصل ما ذكرت لك لا تقوم الساعة حتى يلى أمور الناس لكع بن لكع فهذا كناية عن اللئيم ابن اللئيم وهذا بمنزلة عمر ينصرف فى النكرة ولا ينصرف فى المعرفة ولكاع يبنى على الكسر وقد شرحنا باب فعال للمؤنث على وجوهه الخمسة عند أول ما جرى من ذكره (١) وقد اضطر الحطيئة فذكر لكاع فى غير النداء فقال يهجو امرأته

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع

قعيدة البيت ربة البيت وانما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها ويقال للفرس قُعدة من هذا وهو الذى يرتبطه صاحبه فلا يفارقه قال الجُعفى

لكن قعيدة بيتنا مجفوة بادجناجن صدرها ولها غنا

الجناجن ما يظهر عند الهزال من أطراف ضلوع الصدر واحدها جنجن وقال حسان بن ثابت الانصارى

تقول شعثاء لو صحوت عن الـ ـكاس لاصبحت مثرى العدد(٢)
أهوى حديث الندمان فى فلق الـ ـصبح وصوت المسامر الغرد
لا أخدش الخدش بالجليس ولا يخشى نديمى اذا انتشيت يدى
يأبى لى السيف واللسان وقو م لم يضاموا كلبدة الاسد

لبدة الاسد ما يتطارق من شعره بين كتفيه يقال أسد ذو لبدة وذو لبد وحدثنى عمارة قال مرض جرير مرضة شديدة فعادته قيس فقال :

---

(١) انظر هامش الفهرس. السباعى (٢) هى امرأته وشعثاء اسمها

نفسي الفداء لقوم زينوا حسبي | وان مرضت فهم أهلي وعوادي
لو خفت ليثاً أبا شبلين ذا لبد | ما أسلموني لليث الغابة العادي
ان تجر طير بأمر فيه عافية | أو بالرحيل فقد أحسنتم زادي

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو يهاجي عبد الرحمن ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس

فأما قولك الخلفاء منا | فهم منعوا وريدك من وداج
ولولاهم لكنت كحوت بحر | هوى في مظلم الغمرات داجي
وكنت أذل من وتد بقاع | يشجج راسه بالفهر واجي

فكتب معاوية الى مروان أن يؤدبهما وكانا قد تقاذفا فضرب عبد الرحمن بن حسان ثمانين وضرب أخاه عشرين فقيل لعبد الرحمن بن حسان قد أمكنك في مروان ما تريد فأشد بذكره وارفعه لى معاوية فقال اذاً والله لا أفعل وقد حدني كما تحد الرجال الاحرار وجعل أخاه كنصف عبد فأوجعه بهذا القول .

ويروى أن عبد الرحمن بن حسان لسعه زنبور فجاء أباه يبكي فقال له مالك فقال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة قال قلت والله الشعر

ويروى أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة فقال

الله يعلم أني كنت منتبذاً | في دار حسان أصطاد اليعاسيبا

وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فانهم يعتدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام . وبعد هؤلاء في الوقت آل أبي حفصة فانهم أهل بيت كلهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر .

ويروى أن ابنة لابن الرقاع وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه فقالت ما تريدون اليه فقالوا جئنا لنهاجيه فقالت وهي صبية

تجمعتم من كل أوب ووجهة | على واحد لازلتم قرن واحد

فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الاعشى في قلب هذا المعنى حيث يقول لهوذة بن علي

يرى جمع مادون الثلاثين قصرة | ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

٣٣ وقال القرشي

قد كنت أبكى على مافات من سلفى ... وأهل ودى جميع غير أشتات
فاليوم اذ فرقت بينى وبينهم ... نوى بكيت على أهل المروءات
وما بقاء امرئ كانت مدامعه ... مقسومة بين أحياء وأموات

٣٤ ومن مليح ما قيل قول رجل يرثى أباه (١)

قلب يا قلب أوجعك ... ما تعدى فضعضعك
يا أبى ضمك الثرى ... وطوى الموت أجمعك
ليتنى يوم مت صر ... ت الى تربة معك
رحم الله مصرعك ... برد الله مضجعك

٣٥ وقال سليمان بن قتة يرثى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها كعهدها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وان أصبحت من أهلها قد تخلت
وان قتيل الطف من آل هاشم ... أذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا رجاء ثم صاروا رزية ... فقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وعند غنى قطرة من دمائنا ... سنجزيهم يوما بها حيث حلت
اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها ... وتقتلنا قيس اذا النعل زلت

وسليمان بن قتة هذا رجل من بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى وكان منقطعا الى بنى هاشم

٣٦ ومما اخترنا من مرثية يزيد المهلبى للمتوكل على الله قوله

لا حزن الا أراه دون ما أجد ... وهل كمن فقدت عيناى مفتقد
لا يبعدن هالك كانت منيته ... كما هوى عن غطاء الزبية الاسد
لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم ... اذ لا تمد الى الجانى عليك يد
لو أن سيفى وعقلى حاضران له ... أبليته الجهد اذ لم يبله أحد
جاءت منيته والعين هاجعة ... هلا أتته المنايا والقنا قصد
هلا أتته أعاديه مجاهرة ... والحرب تسعر والابطال تجتلد
فخر فوق سرير الملك منجدلا ... لم يحمه ملكه لما انقضى الامد

---

(١) قال أبو الحسن يقال انه ابن لابى العتاهية

قد كان أنصاره يحمون حوزته ... وللردى دون أرصاد الفتى رصد
وأصبح الناس فوضى يعجبون له ... ليثاً صريعاً تنزى حوله النقد
علتك أسياف من لا دونه أحد ... وليس فوقك الا الواحد الصمد
جاؤا عظيما لدنيا يسعدون بها ... فقد شقوا بالذى جاءوا وما سعدوا
ضجت نساؤك بعد العز حين رأت ... خدا كريماً عليه قارت جسد (١)
أضحى شهيد بنى العباس موعظة ... لكل ذى عزة فى رأسه صيد
خليفة لم ينل ما ناله أحد ... ولم يضع مثله روح ولا جسد
كم فى أديمك من فوهاء هادرة ... من الجوائف يغلى فوقها الزبد
اذا بكيت فان الدمع منهمل ... وان رثيت فان القول مطرد
قد كنت أسرف فى مالى وتخلف لى ... فعلمتنى الليالى كيف أقتصد
لما اعتقدتم أناساً لا حلوم لهم ... ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على الاحرار نعمتكم ... حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجذم والانساب تجمعهم ... والمجد والدين والارحام والبلد
اذا قريش أراد واشد ملكهم ... بغير قحطان لم يبرح به أود
قد وتر الناس طرا ثم قد صمتوا ... حتى كأن الذى نيلوا به رشد
من الالى وهبوا للمجد أنفسهم ... فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

٣٧ قال أبو العباس ومن حلو المراثى وحسن التأبين شعر ابن مناذر فانه كان رجلا عالماً مقدماً شاعرا مفلقا وخطيبا مصقعا وفى دهر قريب فله فى شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته ولا يزال قد رمى فى شعره بالمثل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتسق النبيل وقصيدته لها امتداد وطول وانما نملى منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا قال يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى وكان به صبا واغتبط عبد المجيد لعشرين سنة

---

(١) قال أبو الحسن قوله قارت يقال قَرت الدم يقرُت قروتا ودم قارت قد يبس بين الجلد واللحم ومسك قارت وهو أخفه وأجوده قال يعل بقَرات من المسك قاتن. وقرات فعال ومسك قاتن قد قتن قتونا أى يابس لا نُدوة فيه

من غير ما علة وكان من أجمل الفتيان وآدبهم وأظرفهم فذلك حيث يقول ابن مناذر

حين تمت آدابه وتردى   برداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهتز   اهتزاز الغصن الندى الاملود
وسمت نحوه العيون وما كا   ن عليه لزائد من مزيد
وكانى أدعوه وهو قريب   حين أدعوه من مكان بعيد
فلئن صار لا يجيب لقد كا   ن سميعا هشا اذا هو نودى
يا فتى كان للمقامات زينا   لا أراه فى المحفل المشهود
لهف نفسى أما أراك وما عنـ   ـدك لى ان دعوت من مردود
كان عبد المجيد سم الأعادى   ملء عين الصديق رغم الحسود
عاد عبد المجيد رزءا وقد كا   ن رجاء لريب دهر كنود
خنتك الود لم أمت كمدا بعـ   ـدك انى عليك حق جليد
لو فدى الحى ميتا لفدت نفسـ   ـك نفسى بطارفى وتليدى
ولئن كنت لم أمت من جوى الحز   ن عليه لابلغن مجهودى
لاقيمن مأتما كنجوم الليـ   ـل زهرا يلطمن حر الخدود
موجعات يبكين للكبد الحر   ى عليه وللفؤاد العميد
ولعين مطروفة ابدا قا   ل لها الدهر لا تقرى وجودى
كلما عزك البكاء فأنفد   ت لعبد المجيد سجلا فعودى
لفتى كان يحسن البكاء عليه   وفتى كان لامتداح القصيد

وأول هذا الشعر

كل حي لاق الحمام فمودى   مالحى مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيئا ولا تر   عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر فى شماريخ رضوى   ويحط الصخور من هبود
ولقد تترك الحوادث والايـ   ـام وهيا فى الصخرة الصيخود

وفى هذا الشعر مما استحسنته

أين رب الحصن الحصين بسورا   ء ورب القصر المنيف المشيد

شاد أركانه وبوبه بابـ ... بي حديد وحفه بجنود
كان يجبي اليه ما بين صنعا ... ء فمصر الى قرى بيرود
وترى خلفه زرافات خيل ... جافلات تعدو بمثل الاسود
فرمى شخصه فأقصده الدهـ ... ـر بسهم من المنايا سديد
ثم لم ينجه من الموت حصن ... دونه خندق وبابا حديد
وملوك من قبله عمروا الار ... ض أعينوا بالنصر والتأييد
فلو ان الايام أخلدن حيا ... لعلاء أخلدن عبد المجيد
ما درى نعشه ولا حاملوه ... ما على النعش من عفاف وجود
ويح أيد حثت عليه وأيد ... دفنته ما غيبت في الصعيد
ان عبد المجيد يوم تولى ... هد ركنا ما كان بالمهدود(١)
هد ركني عبد المجيد وقد كنـ ... ـت بركن أنوء منه شديد(٢)

وفي هذا الشعر

فبرغمي كنت المقدم قبلي ... وبكرهي دليت في الملحود
كنت لي عصمة وكنت سماء ... بك تحيا أرضي ويخضر عودي

٣٨ وقال مطيع بن اياس الليثي يرثي يحيى بن زياد الحارثي وكان صديقه وكانا مرميين جميعا بالخروج عن الملة

يا أهل بكوا لقلبي القرح ... وللدموع الهوامل السفح
راحوا بيحيى الى مغيبة ... في القبر بين التراب والصفح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الـ ... ـأقدار لم يبتكر ولم يرح
يا خير من يحسن البكاء له الـ ... ـيوم ومن كان أمس للمدح

وفي يحيى يقول مطيع لنبوة كانت بينهما

---

(١) وأرانا كالزرع يحصده الدهـ ... ـر فمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركب مخبو ... ن سراعا لمنهل مورود

(٢) فبعبد المجيد تامور نفسي ... عثرت بي بعد انتعاش جدودي
وبعبد المجيد شلت يدي اليمـ ... ـنى وشلت به يمين الجود

كنت ويحيى كيدي واحد ... نرمى جميعا ونرامى معا
ان سره الدهر فقد سرنى ... أو حادث ناب فقد أفظعا
أو نام نامت أعين أربع ... منا وان هب فلن أهجعا
حتى اذا ما الشيب فى عارضى ... لاح وفى مفرقه أسرعا
سعى وشاة طُبَّن بيننا ... فكاد حبل الوصل أن يقطعا
فلم ألم يحيى على حادث ... ولم أقل خان ولا ضيعا

٣٩ ومما استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الربيع فى جارية اسمها «ملك» طالبها سبع سنين يبذل فيها جاهه وماله واخوانه حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت فقال فيها أشعارا كثيرة اخترنا منها بعضها من ذلك قوله

لله آنسة فجعت بها ... ماكان أبعدها من الدنس
أتت البشارة والنعى معاً ... يا قرب مأتمها من العرس
يا مُلك نال الدهر فرصته ... فرمى فؤاداً غير محترس
كم من دموع لا تجف ومن ... نفس عليك طويلة النفس
أبكيك ما ناحت مطوقة ... تحت الظلام تنوح فى الغلس
يا ملك فىّ وفيك معتبر ... ومواعظ يوحشن ذا الانس
ما بعد فرقة بيننا أبداً ... فى لذة درك لملتمس

أخذ ما فى صدر هذا الكلام من قول القائل

رب مغروس يعاش به ... فقدته كف مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه ... أقرب الاشياء من عرسه

وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثى زوجها ولم يكن دخل بها

أبكيك لا للنعيم والانس ... بل للمعالى والرمح والفرس
أبكى على فارس فجعت به ... أرملنى قبل ليلة العرس
يا فارسا بالعراء مطرحا ... خانته قواده مع الحرس
من لليتامى اذاهم سغبوا ... وكل عان وكل محتبس
أم من لبرأم من لفائدة ... أم من لذكر الاله فى الغلس

وبما أستطرفه من شعر يعقوب قوله

ليت شعرى بأى ذنب لملك ... كان هجرى لقبرها واجتنابى
ألذنب حقدته كان منها ... أم لعلمى بشغلها عن عتابى
أم لامنى لسخطها ورضاها ... حين واريت وجهها فى التراب
ما وفى فى العباد حىّ لميت ... بعد يأس منه له فى الاياب

وفى هذا الشعر

انما حسرتى اذا ما تذكر ... ت عنائى بها وطول طلابى
لم أزل فى الطلاب سبع سنين ... أتأتى لذاك من كل باب
فاجتمعنا على اتفاق وقدر ... وغنينا عن فرقة باصطحاب
أشهرا ستة صحبتك فيها ... كن كالحلم أو كلمع السراب
وأتانى النعىّ منك مع البشـ ... ـرى فياقرب أوبة من ذهاب

ومن مليح شعره قوله يرثيها

حتى اذا فتر اللسان وأصبحت ... للموت قد ذبلت ذبول النرجس
وتسهلت منها محاسن وجهها ... وعلا الانين تحثه بتنفس
رجع اليقين مطامعى يأسا كما ... رجع اليقين مطامع المتلمس

ومن مليح شعره أيضا قوله

فجعت بمُلك وقد أينعت ... وتمت فأعظم بها من مصيبه
فأصبحت مغتربا بعدها ... وأمست بحلوان ملك غريبه
أرانى غريباً وان أصبحت ... منازل أهلى منى قريبه
خلفت على أختها بعدها ... فصادفتها ذات عقل أديبه
فأقبلت أبكى وتبكى معى ... بكاء كئيب بحزن كئيبه
وقلت لها مرحبا مرحبا ... بوجه الحبيبة أخت الحبيبه
سأصفيك ودى حفاظا لها ... فذلكِ الوفاء بظهر المغيبه
أراك كملك وان لم تكن ... لملك من الناس عندى ضريبه

باب الادب والحكمة

١ قال أبو العباس ومما يستحسن فى وصف الجود والحث على المبادرة به وتعريف حمد العاقبة فيه قول النمر بن تولب العكلى احد بنى عكل بن عبد مناة ابن أد بن طابخة بن اليأس بن مضر (١)

أعاذل ان يصبح صداى بقفرة   بعيدا نآنى صاحبى وقريبى
ترى أن ما ابقيت لم أك ربه   وأن الذى أنفقت كان نصيبى
وذى ابل يسعى ويحسبها له   أخى نصب فى رعيها ودؤوب
غدت وغدا رب سواه يقودها   وبُدل أحجارا وجال قليب

قوله ان يصبح صداى بقفرة فالصدى على ستة أوجه. أحدها ماذكرنا وهو مايبقى من الميت فى قبره. والصدى الذكر من البوم قال ابن مفرغ (٢)

وشريت بردا ليتنى   من بعد برد كنت هامه
هتافة تدعو صدى   بين المشقر واليمامه

ويقال فلان هامةُ اليوم أو غد أى يموت فى يومه أو فى غده ويقال ذلك للشيخ اذا أسن والمريض اذا طالت علته والمحتقرُ لمدة الآجال (٣) وفى الحديث أن حسلا أبا حذيفة بن حسل بن اليمان (٤) قال لشيخ آخر تخلف معه فى غزوة أحد (٥) انهض بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نحن هامة اليوم أو غد وكانا قد أسنا.

---

(١) قال ابن سراج رحمه الله من رواه إلياس فقد أخطأ انما هو ابن اليأس بوصل الالف وكسر السين والالف واللام للتعريف والاسم يأس مشتق من يئست

(٢) اسمه ربيعة وسمى مفرغا لانه شرب سقاءين ففرغهما   (٣) رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع المحتقر يرفعه بالابتداء ويضمر الخبر فيكون التقدير والمحتقر لمدة الآجال يقال ذلك له ورواية ابن سراج بالخفض على العطف

(٤) حسل أبو حذيفة هو حسل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان

(٥) الشيخ الذى تخلف معه هو ثابت بن وقش الانصارى

والصدى حشوة الرأس يقال لذلك الهامة والصدى وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية ان الرجل كان عندهم اذا قتل فلم يدرك به الثأر يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدى فيصيح على قبره اسقونى اسقونى فان قتل قاتله كف ذلك الطائر قال ذو الاصبع العدوانى احد بنى عدوان بن عمرو ابن قيس بن عيلان بن مضر (١)

يا عمرو الا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

والصدى مايرجع عليك من الصوت اذا كنت بمتسع من الارض أو بقرب جبل كما قال . انى على كل ايسارى ومعسرتى أدعو حنيفا كما تدعى ابنة الجبل يعنى الصدى وتأويله أنه يجيبنى فى سرعة اجابة الصدى وقال آخر .

كانى اذ دعوت بنى سليم دعوت بدعوتى لهم الجبالا

والصدى مصدر الصدى وهو العطشان يقال صدى يصدى صدى وهو صد قال طرفة . * ستعلم ان متنا صدى أينا الصدى * (٢) وقال القطامى

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

والصدأ مهموز صدأ الحديد وما أشبهه قال النابغة الذبيانى

سهكين من صدأ الحديد كانهم تحت السنوّر جنة البقار

وقال الاعشى .

فأما اذا ركبوا فالوجو ه فى الروع من صدأ البيض حم

واما قوله نآنى فيكون على ضربين يكون أبعدنى وأحسن من ذلك ان يقول أنآنى وقد رويت هذه اللغة الاخرى وليست بالحسنة وانما جاءت فى حروف . يقال غاض الماء وغضته و نزحت البئر ونزحتها وهبط الشىء وهبطته وبنو تميم يقولون أهبطته وأحرف سوى هذه يسيرة والوجه فى فعل أفعلته نحو دخل وأدخلته ومات وأماته الله فهذا الباب المطرد . ويكون نآنى فى موضع نأى عنى كما

(١) اسمه حرثان بن محرث وسمى بذى الاصبع لانه كان له اصبع زائدة وقيل لان حية عضته فى اصبعه (٢) ويروى صدى أينا بخفض اينا على الاضافة فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء والصدى الخبر

قال الله عز وجل «واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» أى كالوا لهم أو وزنوا لهم.
وقوله ودؤوب يقول والحاح عليه تقول دأبت على الشيء قال الشاعر (١)

دأبت الى أن ينبت الظل بعدما تقاصر حتى كاد فى الآل يمصح

وقوله جل ثناؤه كدأب آل فرعون يقول كعادتهم وسنتهم ومثله الدين والديدن وقد مر هذا وقوله وبدل أحجارا وجال قليب. فالجال الناحية يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك جال وجُول قال مهلهل

كأن رماحهم أشطان بئر بعيد بين جاليها جرور

ويقال رجل ليس له جُول أى ليس له عقل
قال أبو العباس وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائى

أماوىّ ان يصبح صداى بقفرة من الارض لا ماء لدى ولا خمر
ترىْ ان ما أبقيت لم أك ربه وأن يدى مما بخلت به صفر

٢ وقال الحارث بن حلزة اليشكرى فى هذا المعنى

قلت لعمرو حين أرسلته وقد حبا من دوننا عالج
لا تكسع الشول بأغبارها انك لا تدرى من الناتج
واصبب لأضيافك ألبانها فأن شر اللبن الوالج

قوله لا تكسع الشول بأغبارها فأن العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لأولادها التى فى بطونها والغُبر بقية اللبن فى الضرع فيقول لا تبق ذلك اللبن لسمن الاولاد فأنك لا تدرى من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يغار عليها . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال . يقول ابن آدم مالى مالى ومالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت . ويروى عن بعضهم انه قال انى أحب البقاء وكالبقاء عندى حسن الثناء وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

فاذا بلغتم أرضكم فتحدثوا ومن الحديث متالف وخلود

وأنشد. فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بأفعالنا ان الثناء هو الخلد

---

(١) هو الراعى

وقال معاوية لابن الاشعث بن قيس ما كان جدك قيس بن معديكرب أعطى الاعشى فقال أعطاه مالا وظهرا ورقيقا وأشياء أنسيتها فقال معاوية لكن ما أعطا كم الاعشى لا ينسى. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابنة هرم بن سنان المرى ماوهب أبوك لزهير فقالت أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر فقال عمر لكن ما أعطا كموه لا يفنيه الدهر وقال المفسرون فى قول الله عز وجل عن ابراهيم صلوات الله عليه واجعل لى لسان صدق فى الآخرين اى ثناء حسنا وفى قوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم أى يقال له هذا فى الآخرين والعرب تحذف هذا الفعل من قال ويقول استغناء عنه قال الله عز وجل (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) أى فيقال لهم ومثله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أى يقولون وكذلك والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم .

٣ وقال رجل أحسبه من بنى تميم .

لا تسألن الخيل ياسعد مالها … وكن أخريات الخيل علك تجرح

لعلك تحمى عن صحاب بطعنة … لها عاند ينفى الحصاحين ينفح

وأكرم كريما اذ أتاك لحاجة … لعاقبة ان العضاه تروح (١)

قوله لا تسألن الخيل ياسعد مالها يقول لا تتخلف عن القتال وتسأل عن أخبار القوم ولكن كن فيهم كما قال مهلهل .

ليس مثلى يخبر القوم عن آ … بائهم قتلوا وينسى القتالا

لم ارم حومة الكتيبة حتى … حذى الورد من دماء نعالا

يقول كنت فى حومة القتال وصليت الحرب أكثر مما صليها غيرى . ويروى عن رجل من بنى أسد بن عبد العزى يقال له فلان بن السائب (٢) انه زوج ابنته عمرو ابن عثمان بن عفان فلما نصت عليه طلقها على المنصة فجاء أبوها الى عبد الله بن الزبير

---

(١) بذا فامدحينى واندبينى فاننى … فتى تعتريه هزة حين يمدح

قال أبو الحسن اذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرك للشجر ورق رطب فيقال أخلف الشجر وتروح (٢) ش هو عبد الله بن السائب

فقال ان عمرو بن عثمان طلق ابنتى على المنصة وقد ظن الناس ان ذلك لعاهة وأنت عمها فقم فادخل اليها فقال عبدالله اوخيرا من ذلك جيئونى بالمصعب فخطب عبد الله فزوجها من المصعب وأقسم عليه ليدخلن بها فى ليلته فلا تعرف امرأة نصت على رجلين فى ليلتين ولاء غيرها قال فأولدها المصعب عيسى وعكاشة فلما كان يوم مسكن وهرب أكثر الناس عن المصعب دخل الى سكينة ابنة الحسين بن على ابن أبى طالب وكانت له شديدة المحبة وكانت تخفى ذلك فلبس غلالة وتوشح عليها وانتضى السيف فلما رأت ذلك علمت انه عزم الا يرجع فصاحت من ورائه واحرباه فالتفت اليها فقال اوهذا لى فى قلبك فقالت اى والله وأكثر من هذا فقال أما لو علمت لكان لى ولك شأن ثم خرج فقال لابنه عيسى يابنى انج الى نجائك فان القوم لاحاجة بهم الى غيرى وستفلت بحيلة او بقيا فقال يا أبتاه لا أحدث والله عنك أبدا (١) فقال أما والله لاذ قلت ذلك لما زلت أتعرف الكرم فى اسرارك وأنت تقلب فى مهدك (٢) فقتل بين يدى أبيه ففى ذلك يقول شاعر أهل الشأم من اليمانية

نحن قتلنا مصعبا وعيسى . وابن الزبير البطل الرئيسا عمدا أذقنا مضر التبئيسا

وقال رجل يعاتب رجلا (٣)

فلو كان شهم النفس اوذا حفيظة رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

وقال بلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير (٤)

مد الزبير عليك اذ يبنى العلا كنفيه حتى نالتا العيوقا (٥)

ولوَ ان عبد الله فاخر من ترى فات البرية عزة وسموقا

قرم اذا ما كان يوم نفوره جمع الزبير عليك والصدّيقا

لو شئت ما فاتوك اذا جاريتهم ولكنت بالسبق المبر حقيقا

---

(١) هنا محل الشاهد . السباعى (٢) الاسرار جمع سر وهى الطرائق فى الجبهة

(٣) المقول فيه هو حوشب بن يزيد بن الحارث بن رؤيم لانه فر عن أبيه اذ قتله الزبير بن على الخارجى وقد تقدم هذا فى اخبار الخوارج . السباعى

(٤) يقال ان بلالا لم يلحق ابن الزبير الا أن يكون مدحه ميتا

(٥) ويروى كنفيه وهو أظهر لقوله حتى نالتا

لكن أتيت مصليا برا بهم ولقد ترى ونرى لديك طريقا(١)

وقوله لعلك تحمى عن صحاب بطعنة يقال حميت الناحية أحميها حمياً وحماية كما قال الفرزدق. واذا النفوس جشأن طامن جاشها ثقة لها بحماية الادبار

ومعنى ذلك منعت ودفعت ويقال أحميت الارض أى جعلتها حمى لا تقرب وأحميت الحديد أحميه احماء وحميت أنفى محمية يا فتى اذا أنت أبيت الضيم وصحاب جمع صاحب وقد يقال هو جمع صحب كما تقول تاجر وتجر وراكب وركب ونحو ذلك ثم تجمع صحباً على صحاب كقولك كلب وكلاب وفرخ وفراخ فهذا مذهب حسن ومن قال هو جمع صاحب فنظيره قائم وقيام وتاجر وتجار وقوله لها عاند ينفى الحصا يعنى الدم يقال عند العرق اذا خرج الدم منه بحدة وينفى الحصا يعنى الدم بشدة جريه كما قال. مسحسحة تنفى الحصا عن طريقها (٢) يعنى طعنة وقال آخر فى صفة طعنة أيضاً

ومستنة كاستنان الخرو ف قد قطع الحبل بالمرود

والخروف هاهنا انما هو الفلُو الصغير. وقوله.

وأكرم كريماً ان أتاك لحاجة لعاقبة ان العضاه تروح

يقول الشجر يصيبه الندى آخر الصيف فينشأ له ورق فيقول لعلك تحتاج الى هذا الكريم وقد قدر. ومثله.

ولا تهين الكريم علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

أراد ولا تهينن بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين وهذا الحكم فيها ومثله فى المعنى قول عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب.

اذا خلة نابت صديقك فاغتنم مرمتها فالدهر بالناس قلب
وبادر بمعروف اذا كنت قادراً زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب(٣)

ومثل هذا كثير وقال جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله انى لاسارع الى حاجة عدوى خوفاً من أن أرده فيستغنى عنى وقال رجل من العرب ماردت

---

(١) فهذا فى آخره شبيه بقوله وكن أخريات الخيل علك تجرح وهو محل الشاهد. السباعى

(٢) يقطع أحشاء الرعيب انتثارها. (٣) زوال مفعول لبادر قاله ش

رجلا عن حاجة فولى عنى الا رأيت الغنى فى قفاه وقال عبدالله بن العباس بن عبد المطلب مارأيت أحدا أسعفته فى حاجة الا أضاء ما بينى وبينه ولا رأيت رجلا رددنه عن حاجة الا اظلم ما بينى وبينه وقال عمر بن الخطاب رحمه الله من يئس من شىء استغنى عنه وكان يقال من عرف حق أخيه دام له اخاؤه ومن تكبر على الناس ورجا أن يكون له صديق فقد غر نفسه وقيل ليس للجوج تدبير ولا لسيىء الخلق عيش ولا لمتكبر صديق . وقيل من بسط بالخير لسانه انبسطت فى القلوب محبته والمنة تفسد الصنيعه

ويروى أن شاعرا أتى ابا البخترى (١) وهب بن وهب وكان من أجود الناس وكان اذا سمع مدح المادح ضحك وسرى السرور فى جوانحه وأعطى وزاد فأتاه هذا الشاعر فانشده

لكل أخى فضل نصيب من العلا ورأس العلا طرا عقيد الندى وهب
وماضر وهبا قول من غمط العلا كما لا يضر البدر ينبحه الكلب (٢)

فثنى له الوسادة وهش اليه ورفده وحمله وأضافه فلما ان أراد الرجل الرحلة لم يخدمه أحد من غلمان أبى البخترى ولا عقد له ولا حل معه فأنكر ذلك مع جميل مافعل به وانه قد تجاوز به أمله فعاتب بعضهم فقال له الغلام أنا انما نعين النازل على الاقامة ولا نعين الراحل على الفراق فبلغ هذا الكلام جايلا من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد على هذا القصد أحسن من رفد سيدهم

وقال عبد الله بن همام السلولى

فأخلف وأتلف انما المال عارة فكله مع الدهر الذى هو آكله
فأهون مفقود وأيسر هالك على الحى من لا يبلغ الحى نائله

عارة أى معار ووزنه فعلة وقال أحد المحدثين (٣) وليس من هذا الباب ولكنا ذكرناه فى الاعارة

أعارك ماله لتقوم فيه بطاعته وتعرف فضل حقه

---

(١) البخترى بفتح الباء وبالخاء المعجمة (٢) غمط كفر النعمة وغمط ويقال أيضا تنقص (٣) هو محمود الوراق

فلم تشكره نعمته ولكن قويت على معاصيه برزقه
تجاهره بها عودا وبدءا وتستخفى بها من شر خلقه

وقال جرير واني لاستحيي أخي أن أرى له على من الحق الذى لا يرى ليا

وهذا بيت يحمله قوم على خلاف معناه وانما تأويله انى لاستحيي أخى أن يكون له على فضل ولا يكون لى عليه فضل ومنى اليه مكافأة فأستحيي أن أرى له على حقا لما فعل الى ولا أفعل اليه مايكون لى به عليه حق وهذا من مذاهب الكرام ومما تأخذ به أنفسها

فأما قول عائد الكلب الزبيرى (١) لعبد الله بن حسن بن حسن

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا عليه لغيره وهو الرسول

فانه ذكره بقلة الانصاف فقال يرى له حقا على الناس ولا يرى لهم عليه حقا من أجل نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك بقوله

وقد كان الرسول يرى حقوقا عليه لغيره وهو الرسول

فالذى يفتخر به عبد الله لا يرى للناس عليه حقا فالمفتخر به أجدر . وقد قيل لعلى ابن الحسين بن على وكان بين الفضل رحمه الله ما بالك اذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة فقال أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أعطى مثله. وانما يعترى هذا الباب من الظلم وقلة الانصاف والبعد من الرقة عليهم الجهلة من أهل هذا النسب والله جل ذكره يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رءوف رحيم وقال تعالى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم فاذا كان هو صلى الله عليه وسلم يخاف من المعصية فكيف يأمنها غيره به .

وأما قول جرير لهشام بن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى قال

وأنت اذا نظرت الى هشام عرفت نجار منتخب كريم

---

(١) اسمه عبد الله بن مصعب الزبيرى وسمى عائد الكلب بقوله

مالى مرضت فلم يعدنى عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود
وأشد من مرضى على صدودكم وصدود كلبكم على شديد

ولىّ الحق حين يؤم حجا　　صفوفا بين زمزم والحطيم
يرى للمسلمين عليه حقا　　كفعل الوالد الرؤف الرحيم
اذا بعض السنين تعرقتنا　　كفى الايتام فقد أبى اليتيم

وفى هذا الشعر

أمير المؤمنين على صراط　　اذا اعوج الموارد مستقيم
أمير المؤمنين جمعت دينا　　وحلما فاضلا لذوى الحلوم
لك المتخيران أبا وخالا　　فأكرم بالخؤولة والعموم
فيا ابن المطعمين اذا شتونا　　ويا ابن الذائدين عن الحريم
سما بك خالد وبنو هشام　　الى العلياء فى الحسب الجسيم (١)
وتنزل من أمية حيث تلقى　　شؤون الرأس مجتمع الصميم
تواصت من تكرمها قريش　　برد الخيل دامية الكلوم
فما الام الذى ولدت قريشا　　بمقرفة النجار ولا عقيم
وما قرم بانجب من أبيكم　　ولا خال بأكرم من تميم
سما أولاد برة بنت مر　　الى العلياء فى الحسب العظيم
لك الغر السوابق من قريش　　فقد عرف الأغر من البهيم

قوله حين يؤم حجا فيكون الحج جمع حاج كما يقال تاجر وتجر وراكب وركب قال العجاج .

بواسط اكرم دار دارا　　والله سمى نصرك الانصارا

فأخرجه على ناصر ونصر قال ويجوز ان يكون حجا اصحاب حج كما قال الله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها وقوله كفعل الوالد الرؤف الرحيم يقال رؤف على فَعُل مثل يقُظ وحذر ورءوف على وزن ضروب وقال الانصارى (٢)

نطيع نبينا ونطيع ربا　　هو الرحمن كان بنا رءوفا

وقد قرئ ان الله رؤف بالعباد ورءوف أكثر وانما هو من الرأفة وهى أشد

---

(١) وهم أبو العباس فى قوله وبنو هشام وانما وقع فى شعره وأبو هشام وهو الصحيح يريد اسماعيل بن هشام وهو جده من قبل أمه (٢) هو كعب بن مالك

الرحمة ويقال رآفة وقرئ ولا تأخذكم بهما رآفة فى دين الله على وزن الصرامة والسفاهة . وقوله * اذا بعض السنين تعرفتنا * يفسر على وجهين أحدهما ان يكون ذهب الى أن بعض السنين سنون كما قال الاعشى .

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر القناة قناة ومن كلام العرب ذهبت بعض أصابعه لان بعض الاصابع اصبع فهذا قول والاجود أن يكون الخبر فى المعنى عن المضاف اليه فأقحم المضاف توكيداً لانه غير خارج من المعنى وفى كتاب الله عز وجل فظلت أعناقهم لها خاضعين انما المعنى فظلوا لها خاضعين والخضوع بين فى الاعناق فأخبر عنهم فأقحم الاعناق توكيدا وكان أبو زيد الانصارى يقول أعناقهم جماعاتهم تقول أتانى عنق من الناس والاول قول عامة النحويين وقال جرير

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

وقال أيضاً .

رأت مر السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال

وقال ذو الرمة .

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم (١)

ومثل هذا كثير وعلى مثل هذا القول الثانى تقول ياتيم تيم عدى لانك أردت ياتيم عدى وأقحمت الاول توكيدا (٢) وكذلك لا أبالك لان الالف لاتثبت فى الأب فى النصب الا فى الاضافة أو بدلا من التنوين فأنما أراد لا أباكِ ثم اقحم اللام توكيدا للأضافة وأنشد المازنى

وقد مات شماخ ومات مزرد وأى كريم لا أباكِ يخلد

وقال آخر أبالموت الذى لابد أنى ملاق لا أباك تخوفينى

وقوله على صراط فالصراط المنهاج الواضح وكذلك قالت العلماء فى قول الله عزوجل

---

(١) زعم بعضهم أن البيت مصنوع والصحيح فيه * مرضى الرياح النواسم * والمرضى التى تهب بلين . (٢) كذا وقع وأقحمت الاول توكيدا وانما الصحيح وأقحمت الثانى توكيدا

اهدنا الصراط المستقيم وقوله سما بك خالد يريد خالد بن الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب لأن أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان هشام ابن المغيرة أجل قرشي حلماً وجودا وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ بعام الفيل وعام فلان قال الشاعر ٭ زمان تناعى الناس موت هشام ٭ ومن أجله يقول القائل

فأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الارض ليس بها هشام

يقول هو وان كان مات فهو مدفون فى الارض فقد كان يجب من أجله ألا ينالها جدب وقال الآخر

ذريني أصطبح ياسلم انى رأيت الموت نقب عن هشام

قوله نقب أى طوف حتى أصاب هشاما قال الله عز وجل فنقبوا فى البلاد أى طوفوا ومثله قول امرىء القيس

وقد نقبت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالأياب

فأما التاريخ الذى يؤرخ به اليوم فأول من فعله فى الاسلام عمر بن الخطاب رحمه الله حيث دون الدواوين فقيل له لو أرخت يا أمير المؤمنين لكنت تعرف الامور فى أوقاتها فقال وما التاريخ فأعلم ما كانت العجم تفعله فقال أرخوا فقالوا مذ أى سنة فاجتمعوا على سنة الهجرة لانه الوقت الذى حكم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير تقية ثم قالوا فى أى شهر فقالوا نستقبل بالناس أمورهم فى شهر المحرم اذا انقضى حجهم وكانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر (١) فقدم التاريخ على الهجرة هذه الاشهر وجاء فى تصحيح هذا الوقت أعنى المحرم ماروى لنا عن ابن عباس رحمه الله فانه قال فى قول الله عز وجل والفجر وليال عشر قال فأقسم بفجر السنة وهو المحرم وقوله ٭ فما الام التى ولدت قريشا ٭ يعنى برة بنت مر كانت أم النضر بن كنانة وهو

---

(١) الذى اتفق عليه أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفيه مات صلى الله عليه وسلم

أبو قريش ومن لم يكن من ولده (١) فليس بقرشي وتميم بن مر خاله

٤ قال أبو العباس قال المفضل بن المهلب بن أبي صفرة (٢)

هل الجود الا أن نجود بأنفس　　على كل ماضى الشفرتين قضيب
وما خير عيش بعد قتل محمد　　وبعد يزيد والحرون حبيب
ومن هر اطراف القنا خشية الردى　　فليس لمجد صالح بكسوب
وما هي الا رقدة تورث العلى　　لرهطك ماحنت روائم نيب

قوله ومن هر أطراف القنا خشية الردى يقول من كره قال عنترة بن شداد

حلفت لهم والخيل تردى بنا معاً　　نفارقهم حتى يهروا العواليا
عوالى زرقاً من رماح ردينة　　هرير الكلاب يتقين الافاعيا

والردى الهلاك واكثر ما يستعمل فى الموت يقال ردى يردى ردى قال الله عز وجلّ وما يغنى عنه ماله اذا تردى وهو تفعل من الردى فى أحد التفسيرين وقيل اذا تردى فى النار أى اذا سقط فيها وقوله الحرون فان جيب بن المهلب كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يريم مكانه فكان يلقب الحرون وقوله وماهى الا رقدة تورث العلى فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب وذلك أنه قال فى يوم العقر وهو اليوم الذى قتل فيه قاتل الله ابن الاشعث ما كان عليه لو غمض عينيه ساعة للموت ولم يكن قتيل نفسه وذلك أن ابن الاشعث قام فى الليل وهو فى سطح لابول فزعموا أنه ردى نفسه وغير أهل هذا القول يقولون بل سقط منه بسنة النوم وقوله تورث العلى لرهطك فالمعنى تورث العلى رهطك وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الاضافة تقول هذا ضارب زيدا وهذا ضارب لزيد لانها لا تغير معنى الاضافة اذا قلت هذا ضارب زيد وضارب له وفى القرآن وأمرت لان أكون أول المسلمين وكذلك ان كنتم للرؤيا تعبرون ويقول النحويون فى قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون انما هو ردفكم والنيب جمع ناب وهى المسنة من الابل وتقديرها فُعْل ساكنة وابدلت من الضمة كسرة لتصح الياء كما قلت فى أبيض بيض وانما

(١) وان كان من كنانة . السباعى　　(٢) يصف الشجاعة والنجدة

هو مثل احمر وحمر وكذلك أشيب وشيب فتقدير ناب ونيب اذا جاء على فَعَل وفُعْل تقدير أَسَد وأُسْد ووثن ووُثن وناب تقديرها فَعَل وانما انقلبت الياء ألفاً فسكنت وانما انقلب اذا كانت قبلها فتحة وكانت فى موضع حركة والروائم قد مضى تفسيرها وأنشدنى الزيادى قال أنشدنى ابو زيد قال نظر شيخ من الاعراب الى امرأته تتصنع وهى عجوز فقال

عجوز ترجى أن تكون فتية ... وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر
تدس الى العطار سلعة بيتها ... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر (١)

قال فقالت له

ألم تر أن الناب تحلب عُلبة ... ويترك ثلب لاضراب ولا ظهر

ثم استغاثت بالنساء وطلب هو الرجال فاذا هم خُلوق فاجتمع النساء عليه فضربنه وقوله قد لحب الجنبان يقول قل لحمهما يقال بعير ملحوب وقد لحب مثل عُرق وقوله تدس الى العطار سلعة بيتها يريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك وكل عرض فالعرب تقول له سِلعة أنشدنى عمارة بن عقيل شعراً يمدح به خالد ابن يزيد بن مزيد الشيبانى ويذم تميم خزيمة بن حازم النهشلى

أأترك ان قلت دراهم خالد ... زيارته انى اذاً للئيم
وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه ... ويعتل نقد المرء وهو كريم (٢)
فتى واسط فى ابنى نزار محبب ... الى ابنى نزار فى الخطوب عميم
فليت بِبرديه لنا كان خالد ... وكان لبكر فى الثراء تميم
فيصبح فينا سابق متمهل ... أغر وفى بكر أغم بهيم

قوله وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه أى تكثر سلعته لاصطناعه وقوله أغم بهيم

---

(١) قال أبو الحسن وزادنى غير أبى العباس فى شعر هذا الاعرابى

وما غرنى الا خضاب بكفها ... وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
وجاءوا بها قبل المحاق بليلة ... فكان محاقا كله ذلك الشهر

(٢) من رفع المرء نصب اصطناعه ومن نصب المرء رفع اصطناعه وأما على تفسير أبى العباس فبنصب اصطناعه لاغير

فالغمم كثرة شعر الوجه والقفا قال هدبة بن خشرم العذرى

ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا　　أغم القفا والوجه ليس بأزعا

والعرب تكره الغمم. والبهيم الذى لايخلط لونه غيره من أى لون كان وقولها ألم تر أن الناب تحلب علبة تقول فيها منفعة على حال والعلبة اناء لهم من جلود يحلبون فيه من ذلك قوله

لم تتقنع بفضل مئزرها　　دعد ولم تغذ دعد بالعلب

ومن أمثال العرب قد تحلب الضجور العلبة يضربون ذلك للرجل البخيل الذي لايزال ينال منه الشئ القليل والضجور الناقة السيئة الخلق انما تحلب حين تطلع عليها الشمس فتطيب نفسها والثلب الذى قد انتهى فى السن من الابل

٥ وقال آخر

لم أر مثل الفقر أوضع للفتى　　ولم أر مثل المال أرفع للرذل

ولم أر عزا لامرئ كعشيرة　　ولم أر ذلا مثل نأى عن الاصل

ولم أر من عدم أضر على امرئ　　اذا عاش بين الناس من عدم العقل

وقال آخر

لعمرى لقوم المرء خير بقية　　عليه وان غالوا به كل مركب

من الجانب الاقصى وان كان ذاغنى　　جزيل ولم يخبرك مثل مجرب (١)

اذا كنت فى قوم عدا لست منهم　　فكل ما علفت من خبيث وطيب

العدا الغرباء فى هذا الموضع ويقال للاعداء عدا والعُداة الاعداء لا غير

٦ وأنشدنى أبو محلم لرجل من ولد طلبة بن قيس بن عاصم

وكنت اذا خاصمت خصما كببته　　على الوجه حتى خاصمتنى الدراهم

فلما تنازعنا الخصومة غلبت　　علىّ وقالوا قم فانك ظالم

٧ وقرأت على أبى الفضل العباس بن الفرج الرياشى عن أبى زيد الانصارى

ولقد بغيت المال من مبغاته　　والمال وجه للفتى معروض

طلب الغنى عن صاحبي ليحبنى　　ان الفقير الى الغنى بغيض

---

(١) وان خبرتك النفس انك قادر　　على ماحوت أيدى الرجال فكذب

٨ وقال اعرابى من باهلة

سأعمل نص العيس حتى يكفنى غنى المال يوما أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها على المرء ذى العلياء مس هوان
متى يتكلم يلغ حكم مقاله وان لم يقل قالوا عديم بيان
كأن الغنى فى أهله بورك الغنى بغير لسان ناطق بلسان

٩ ونظير هذا الشعر ما حدثنا به فى أمر حارثة بن بدر الغدانى فانا حدثنا عن حارثة بن بدر وكان رجل بنى تميم فى وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف لى باطراح رجل هو يسايرنى منذ دخلت العراق لم يصكك ركابى ركاباه ولا تقدمنى فنظرت الى قفاه ولا تأخر عنى فلويت عنقى اليه ولا أخذ على الشمس فى شتاء قط ولا الروح فى صيف قط ولا سألته عن علم الا ظننت أنه لم يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيدالله فقال له حارثة أيها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة كان قد برع بروعا لا يلحقه معه عيب وأنا حدث وانما أنسب الى من يغلب على وأنت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن أن يظن بى فدع النبيذ وكن أول داخل علىّ وآخر خارج عنى فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضرى و نفعى أفأدعه للحال عندك قال فاختر من عملى ماشئت قال توليني رام‌هرمز فانها أرض عذاة وسرّق فان بها شرابا وصف لى فولاه اياها فلما خرج شيعه الناس فقال أنس بن أبى أنيس

أحار بن بدر قد وليت امارة فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته فحظك من ملك العراقين سرّق
وباه تميما بالغنى ان للغنى لساناً به المرء الهيوبة ينطق
فان جميع الناس اما مكذب يقول بما يهوى واما مصدق
يقولون اقوالا ولا يعلمونها ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

ورثى حارثة بن بدر زيادا وكان زياد مات بالكوفة ودفن بالثوية فقال

صلى الاله على قبر وطهره ... عند الثوية يسفى فوقه المور
زفت اليه قريش نعش سيدها ... فثم كل التقى والبر مقبور
أبا المغيرة والدنيا مفجعة ... وان من غرت الدنيا لمغرور
قدكان عندك بالمعروف معرفة ... وكان عندك للنكراء تنكير
وكنت تغشى وتعطى المال من سعة ... ان كان بيتك أضحى وهو مهجور
الناس بعدك قدخفت حلومهم ... كانما نفخت فيها الاعاصير

ونظير هـذا قول مهلهل يرثى أخاه كليبا وكان كليب اذا جلس لم يرفع بحضرته باصوت ولم يستب بفنائه اثنان

ذهب الخيار من المعاشر كلهم ... واستب بعدك يا كليب المجلس
وتقاولوا فى أمر كل عظيمة ... لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

قول حارثة الثوية فهى بناحية الكوفة ومن قال الثوَيَّة فهو تصغير الثوية وكل ياء اتصلت بها ياء أخرى فوقعت معتلة طرفا فى التصغير فوليتها ياء التصغير فهى محذوفة وذلك قولك فى عطاء عُطَىّ وكان الاصل عُطيي كما تقول فى سحاب سُحَيِّب ولكنها تحذف لاعتلالها واجتماع ياءين معها وتقول فى تصغير أحوى أُحَىٍّ فى قول من قال فى أسود أُسَيِّد وهو الوجه الجيد لان الياء الساكنة اذا كانت بعدها واو متحركة قلبتها ياء كقولك أيام والاصل أيوام وكذلك سيد والاصل سيود ومن قال فى تصغير أسود أسيود وهو جائز وليس كالاول قال فى تصغير أحوى أحيو يافتى فثبتت الياء لانه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع الياءات ومن قال أسيود فانما أظهر الواو لانها كانت فى التكبير متحركة ولا تقول فى عجوز الاعجيز لانها ساكنة وانما يجوز هـذا على بعد اذا كانت الواو فى موضع العين من الفعل أو ملحقة بالعين نحو واو جدول وانما استجازوا اظهارها فى التصغير للتشبيه بالجمع لان ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ألا تراهم يقولون فى الجمع أساود وجداول فهذا على التشبيه بهذا فان كانت الواو فى موضع اللام كانت منقلبة على كل حال تقول فى غزوة غزية وفى عروة عرية فهـذا شرح صالح فى هذا الموضع وهو مستقصى فى الكتاب المقتضب وقوله يسفى فوقه المور فمعناه

أن الريح تسفيه وجعل الفعل للمور وهو التراب وتقول سقاك الله الغيث ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث فتقول سقاك الغيثُ يا فتى قال علقمة بن عبدة

سقاكِ يمانٍ ذو حبي وعارضٌ تروح به جنح العشي جنوب

وقوله زفت اليه قريش نعش سيدها يقال زففت السرير وزففت العروس وحدثنى أبوعثمان المازنى قال حدثنى الزيادى قال سمعت قوما من العرب يقولون أزففت العروس وهي لغة وقوله نعش سيدها يريد موضعه من النسب لانه نسبه الى أبي سفيان وكان رئيس قريش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وله يقول رسول الله صلى الله عليـه وسلم كل الصيد فى بطن الفرا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفرش فراشا فى بيته فى وقت خلافته فلا يجلس عليه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب ويقول هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا شيخ قريش وكان حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجار فكان آل حرب اذا ركبوا فى قومهم من بنى أمية قُدموا فى المواكب وأخليت لهم صدور المجالس الا رهط عثمان رضى الله عنه فان التقديم لهم فى الاسلام بعثمان وكان أبو سفيان صاحب العير يوم بدر وصاحب الجيش يوم أحد وفى يوم الخندق واليه كانت تنظر قريش فى يوم فتح مكة وجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من دخل فى داره فهو آمن فى حديث مشهور. وقوله كأنما نفخت فيها الاعاصير. هذا مثل وانما يراد خفة الحلوم. والاعصار فيما ذكر أبو عبيدة ريح تهب بشدة فيما بين السماء والارض ومن أمثال العرب. ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا. يضرب للرجل يكون جلدا فيصادف من هو أجلد منه قال الله عز وجل (فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد فى بطن الفرا يعنى الحمار الوحشى وذلك ان أجل شئ يصيده الصائد الحمار الوحشى فاذا ظفر به فكأنه قد ظفر بجملة الصيد والعرب تختلف فيه فبعضهم يهمزه فيقول هـذا فرأ كما ترى وهو الاكثر وبعضهم لايهمزه ومن أمثالهم. أنكحنا الفرا فسنرى. أى زوجنا من لاخير فيه فسنعلم كيف العاقبة وجمعه فى القولين جميعا فراء كما ترى ونظيره جمل وجمال وجبل وجبال قال الشاعر

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كايزاغ المخاض تبورها

الايزاغ دفع الناقة ببولها يقال أوزغت به ايزاغا وأزغلت به ازغالا وذلك حين تلقح فعند ذلك يقال لها خلفة وللجميع المخاض وسنفسر هذا بعد (١) والبور أن تعرض على الفحل ليعلم أهى حامل أم حائل

وقال ضابىء بن الحارث البرجمى (٢)

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فأنى وقيارا بها لغريب
وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاحا ولا عن ريثهن يخيب
ورب أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

قوله فأنى وقيارا بها لغريب. أراد فانى لغريب بها وقيارا ولو رفع لكان جيدا . تقول ان زيدا منطلق وعمرا وعمرو فمن قال عمرا فانما رده على زيد ومن قال عمرو فله وجهان من الاعراب أحدهما جيد والآخر جائز فأما الجيد فأن تحمل عمرا على الموضع لأنك اذا قلت ان زيدا منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع ومثل هذ لست بقائم ولا قاعدا والباء زائدة لان المعنى لست قائما ولا قاعدا ويقرأ على وجهين «ان الله برىء من المشركين ورسولُه» ورسولَه والوجه الآخر أن يكون معطوفا على المضمر فى الخبر فان قلت ان زيدا منطلق هو وعمرو حسن العطف لان المضمر المرفوع انما يحسن العطف عليه اذا أكدته كما قال الله تعالى «اذهب انت وربك فقاتلا ـ واسكن أنت وزوجك الجنة» وانما قبح العطف عليه بغير تأكيد لانه لايخلو من أن يكون مستكنا فى الفعل بغير علامة أو فى الاسم الذى يجرى مجرى الفعل نحو ان زيدا ذهب وان زيدا ذاهب فلا علامة له أو تكون له علامة يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضربْت سكنت الباء التى هى لام الفعل من أجل الضمير لان الفعل والفاعل لاينفك أحدهما من صاحبه فهما كالشىء الواحد ولكن المنصوب يجوز العطف عليه ويحسن بلا تأكيد لانه لايغير الفعل اذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه نحو ضربتك وزيدا فأما قول الله

(١) فى أبيات لابن الصقيل ـ السباعى (٢) من السجن

عز وجل « لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا » فانما يحسن بغير توكيد لأن لا صارت عوضا والشاعر اذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن فى الكلام قال عمر ابن أبى ربيعة

قلت اذ أقبلت وزهر تهادى ۝ كنعاج الملا تعسفن رملا

وقال جرير

ورجا الاخيطل من سفاهة رأيه ۝ ما لم يكن واب له لينالا

فهذا كثير فأما النعت اذا قلت ان زيدا يقوم العاقل بالنصب فأنت مخير ان شئت قلت العاقل فجعلته نعتاً لزيد أو نصبته على المدح وهو بأضمار أعنى وان شئت رفعت على أن تبدله من المضمر فى الفعل وان شئت كان على قطع وابتداء كأنك قلت ان زيداً قام فقيل من هو فقلت العاقلُ كما قال الله عز وجل (قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلكم النارُ) أى هو النار والآية بعد تقرأ على وجهين على ما فسرنا « قل ان ربى يقذف بالحق علامُ الغيوب » وعلامَ الغيوب. وقوله وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاحا. يقول اذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيرا عنه ولا اذا ابطأت خاب فعاجلها لا يأتيه بخير وآجلها لا يدفعه عنه اعاله ماقدر له والعرب تزجر على السانح وتتبرك به وتكره البارح وتتشاءم به والسانح ما أراك مياسره فأمكن الصائد والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد الا أن ينحرف له. وقد قال الشاعر.

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه ۝ الا كواذب مما يخبر الفال

والفال والزجر والكهان كلهم ۝ مضللون ودون الغيب أقفال

وقوله. ورب أمور لا تضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب. فان العرب تقول ضاره يضيره ضيرة ولا ضير عليه وضره يضره ولا ضرر عليه ويقال أصابه ضُر وأصابه ضَر بمعنى فالضَّر مصدر والضُّر اسم وقد يكون الضُّر من المرض والضُّر عاما وهذا معنى حسن.

قال أحد المحدثين وهو اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية.

وقد يهلك الانسان من باب أمنه ۝ وينجو بأذن الله من حيث يحذر

وقال الله عز وجل «فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » وقال رجل لمعاوية والله لقد بايعتك وأنا كاره فقال معاوية قد جعل الله فى الكره خيرا كثيرا وقوله ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب نظيره قول كثير . أقول لها ياعز كل مصيبة اذا وطنت يوما لها النفس ذلت وكان عبد الملك بن مروان يقول لو كان قال هـذا البيت فى صفة الحرب لكان أشعر الناس . وحكى عن بعض الصالحين ان ابناً له مات فلم ير به جزع فقيل له فى ذلك فقال هذا أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره

١١ وقال آخر .

اذا ضيقت أمرا ضاق جدا وان هونت ما قد عز هانا
فلا تهلك لشئ فات يأسا فكم أمر تصعب ثم لانا
سأصبر من رفيق ان جفانى على كل الأذى الا الهوانا
فأن المرء يجزع فى خلاء وان حضر الجماعة أن يهانا

١٢ قال أبو العباس قال يزيد بن الصقيل العُقيلى وكان يسرق الابل ثم تاب وقتل فى سبيل الله

الا قل لأرباب المخائض أهملوا فقد تاب مما تعلمون يزيد
وان امرأ ينجو من النار بعدما تزود من أعمالها لسعيد

وفى هذا الشعر

اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود

قوله ألا قل لأرباب المخائض فان الناقة اذا لقحت قيل لها خَلِفة وللجميع المخاض وهذا جمع على غير واحده انما هو بمنزلة امرأة ونساء ثم جمع الجمع فقال مخائض كقولك فى رسالة رسائل وكما تقول فى قوم أقوام فتجمع الاسم الذى هو للجمع وكذلك أعراب وأعاريب وأنعام وأناعيم وقوله أهملوا أى اسرحوا ابلكم والهمل ما كان غير محظور وهو السدى. ويروى عن بعض الصالحين (١) فى مثل قوله . * اذا ما المنايا اخطأتك وصادفت . حميمك انه كان يقول اذا مات له جار

(١) هو محمد بن الحنفية

أوحميم «أولى لى كدت والله ا كون السواد المخترم »

١٣ وقال ابن حبناء التميمى .

أعوذ بالله من حال تزين لى — لوم العشيرة أو تدنى من النار
لا أقرب البيت أحبو من مؤخره — ولا أكسر فى ابن العم أظفارى
ان يحجب الله أبصارا أراقبها — فقد يرى الله حال المدلج السارى (١)

قوله لا أقرب البيت أحبو من مؤخره . يقول لا آتيه لريبة ومثل ذلك قول الشاعر (٢)

ولست بصادر من بيت جارى — كفعل العير غمره الورود

يقول لا أخرج خروج الخائف لانه انما يقال تغمر الشارب اذ لم يرو ويقال للقدح الصغير الغُمَر من هذا وقوله ولا أكسر فى ابن العم أظفارى . يقول لا أغتابه وهذا مثل كما قال الحطيئة

ملوا قراه وهرته كلابهم — وجرحوه بأنياب وأضراس

وقوله فقد يرى الله حال المدلج السارى فالمدلج الذى يسير من أول الليل يقال أدلجت أى سرت من أول الليل وادّلجت أى سرت فى السحر قال زهير * بكرن بكورا وادّلجن بسحرة * والسرى لا يكون الا سير الليل قال الله

---

(١) قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الأبيات الرائية المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن ابى عبد الله بن الاعرابى وهى لاحد ابنى حبناء أحسبه صخرا وهما من بنى تميم وكانا من الازارقة قال .

انى هزئت من ام الغمر اذهزئت — بشيب رأسى وما بالشيب من عار
ماشقوة المرء بالاقتار يقتره — ولا سعادته يوما بأكثار
ان الشقىّ الذى فى النار منزله — والفوز فوز الذى ينجو من النار
أعوذ بالله من أمر يزين لى — لوم العشيرة أو يدنى من العار
وخير دنيا ينسى شر آخرة — وسوف ينبئنى الجبار أخبارى

ثم يتفقان بعد فى الرواية قال وكان ربما أنشدنا . انى هزأت من ام الغمر اذهزأت . والهاء فى يقتره تعود على الاقتار (٢) وهو عقيل بن علفة .

عز وجل «فأسر بأهلك» من قولك أسريت وهى اللغة القرشية وغيرهم من العرب يقول سريت وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن أيضاً قال الله عز وجل والليل اذا يسرى فهذا من سرى ولو كان من أسرى لكان يُسرى كما قال(١)

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافا بغير مُعَصَّر

والمعصر الملجأ والسارى انما هو من قولك سرى كقولك قضى فهو قاض «ومن أسرى يقال للفاعل مسر كما تقول أعطى فهو معط» كما قال الاخطل

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

يريد وقت السحر والدجاج هاهنا الديوك لانه يقال للديك هذا دجاجة فان أردت الأنثى قلت هذه وكذلك هذا بقرة وهذا بطة وهذا حمامة اذا أردت الذكر (قال أبو العباس) وهذا باب يذكر فيه ان شاء الله . اعلم أن كل شىء من الحيوان ان كان مما يخبر الناس عنه كما يخبرون عن أنفسهم ومما يقتنونه ويتخذونه فبهم حاجة الى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكره ومؤنثه تقول جاءنى رجل اذا لم ترد من هو بعينه أو دريت فلم ترد أن تبين ثم تعرفه لصاحبك اذا أردت ذلك اما بألف ولام واما باسم معروف أو اضافة أو غير ذلك وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نعوت يعرفون بها بعضها من بعض وكذلك الشاء والكلاب والأبل ولولا تمييز بعضها من بعض لم يستقم الاخبار عنها والاختصاص بما أريد منها فاذا كان الشىء ليس مما يتخذونه لم يحتاجوا الى التمييز بين بعضه وبعض يقول الرجل رأيت الاسد فليس يعنى أسدا بعينه ولكن يريد الواحد من الجنس الذى قد عرفت وكذلك الذئب والعقرب والحية وما أشبه ذلك ألا ترى أن ابن عرس وسامّ أبرص وأم حبين وأبا الحارث وأبا الحصين معارف لا على أن تميز بعضها من بعض ولكن تعريف الجنس وقولك ابن مخاض وابن لبون وابن ماء نكرات لان هذا مما يتخذه الناس وابن ماء انما هو مضاف الى الماء الذى يعرف فاذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلت فيما أضيفت اليه الألف واللام أو لقبتها ألقابا تعرف بها كزيد وعمرو واعلم أن كل جمع مؤنث لانك تريد معنى جماعة ولا تذكر من ذلك الا ما كان

---

(١) لبيد بن ربيعة

فعله يجرى بالواو والنون فى الجمع وذلك كل مايعقل تقول مسلم ومسلمون كما تقول قوم يسلمون وتقول للجمال هى تسير وهن يسرن كما تقول للمؤنث لان أفعالها على ذلك وكذلك الموات قال الله عز وجل فى الاصنام (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) والواحد مذكر وقال المفسرون فى قوله (ان يدعون من دونه الا اناثا) قالوا الموات فكل ما خرج عما يعقل فجمعه بالتأنيث وفعله عليه لا يكون الا ذلك الا ماكان من باب المنقوص نحو سنين وعزين وليس هذا موضعه وجملته أنه لا يكون الا مؤنثا فلهذا كان يقع على بعض الضرب الاسم المؤنث فيجمع الذكر والانثى فمن ذلك قولهم عقرب فهو اسم مؤنث الا أنك ان عرفت الذكر قلت هذا عقرب وكذلك الحية تقول للانثى هذه حية وللذكر هذا حية قال جرير

ان الحفافيت منكم يا بنى لجأ ... يطرقن حيث يصول الحية الذكر (١)

وتقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للانثى وهذا دجاجة وهذه دجاجة قال جرير

لما تذكرت بالديرين أرقنى ... صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

يريد زقاء الديوك فالاسم الذى يجمعها دجاجة للذكر والانثى ثم يخص الذكر بأن يقال ديك وكذلك تقول بقرة لهما جميعا وكذا حبارى ثم يخص الذكر فتقول ثور وتقول للذكر من الحبارى خرب فعلى هذا يجرى هذا الباب وكل مالم نذكره فهذا سبيله .

١٤ قال أبو العباس أنشدنى على بن عبد الله قال أنشدنى القحذمى

ما من أتت من دون مولده ... خمسون بالمعذور بالجهل

فاذا مضت خمسون عن رجل ... ترك الصبا ومشى على رسل

١٥ وقال النمر بن تولب (٢)

---

(١) قال الاخفش الحفافيت ضرب من الحيات يكون صغير الجرم ينتفخ ويعظم وينفخ نفخا شديدا ولا غائلة له (٢) كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون ساكن الميم الا النمر بن تولب عن ابن دريد وقال أبو حاتم يقال النمر بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النمر

تدارك ما قبل الشباب وبعده حوادث أيام تمر وأغفل
يسر الفتى طول السلامة والبقا فكيف يرى طول السلامة يفعل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوء اذا رام القيام ويحمل

قصر البقاء ضرورة وللشاعر اذا اضطر أن يقصر الممدود وليس له أن يمد المقصور وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة اذا احتاج حذفها لانها زائدة فاذا حذفها رد الشيء الى أصله ولو مد المقصور لكان زائداً فى الشيء ما ليس منه . قال الشاعر وهو يزيد بن عمرو بن الصعق

فرغتم لتمر بن السياط وأنتم يشن عليكم بالفنا كل مربع

فقصر الفناء وهو ممدود وقال الطرماح (فقصر الضراء)

وأخرج أمه لسواس سلمى لمعفور الضرا ضرم الجنين

قوله وأخرج يعنى رماداً والاخرج الذى فى لونه سواد وبياض يقال نعامة خرجاء وقوله لسواس سلمى فان أجأ وسلمى جبلا طيء وسواس سلمى الموضع الذى بحضرة سلمى يقال هذا من سوس فلان ومن توس فلان أى من طبعه وأمه يعنى الشجرة التى هى أصله وقوله لمعفور الضرا فالضراء ما واراك من شجر خاصة والخمر ما واراك من شيء والمعفور ما سقط من النار من الزند وقصر الضراء وهو ممدود ومثل هذا كثير فى الشعر جدا وقوله ضرم الجنين يقول مشتعل والجنين مالم يظهر بعد يقال للقبر جنن والجنين الذى فى بطن أمه والمجن الترس لانه يستترك والمجنون المغطى العقل ويسمى الجن جناً لاختفائهم وتسمى الدروع الجنن لانها تستر من كان فيها «رجع» وقوله ينوء اذا رام القيام يقول ينهض فى تثاقل قال الله عز وجل (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة) والمعنى ان العصبة تنوء بالمفاتيح ولشرح هذا موضع آخر (١) وقال آخر (٢) * أنوء ثلاثاً بعدهن قيامى * ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داء

١٦ وقال حميد بن ثور الهلالى .

---

(١) راجع الفهرس . السباعى

(٢) وهو عمرو بن قميئة * على الراحتين مرة وعلى العصا *

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما
ولا يلبث العصران يوم وليلة اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

١٧ وقال أبو حية النميرى

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا
اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شئ لا يمل التقاضيا

١٨ وقال بعض شعراء الجاهلية

كانت قناتى لا تلين لغامز فألانها الاصباح والامساء
ودعوت ربى فى السلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء

١٩ وقال عنترة بن شداد

فما أوهى مراس الحرب ركنى ولكن ما تقادم من زمانى

ومن أمثال العرب اذا طال عمر الرجل أن يقولوا .لقد أكل عليه الدهر وشرب. وانما يريدون انه أكل هو وشرب دهرا طويلا . قال الجعدى

(١)* أكل الدهر عليهم وشرب *والعرب تقول نهارك صائم وليلك قائم أى أنت قائم فى هذا وصائم فى ذاك كما قال الله عز وجل « بل مكر الليل والنهار » والمعنى والله أعلم بل مكركم فى الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم

٢٠ وحدثنى الرياشى قال دخل أبو الاسود الدؤلى على عبيد الله بن زياد وقد أسن فقال له عبيد الله يهزأ به يا أبا الاسود انك لجميل فلو تعلقت تميمة تردعنك بعض العيون فقال أبو الاسود

أفنى الشباب الذى أفنيت جدته كر الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لى فى طول اختلافهما شيئا أخاف عليه لذعة الحدق

قوله فلو تعلقت تميمة هى المعاذة يعلقها الرجل قال ابن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم طفلة زانها أغر وسيم
يتقى أهلها العيون عليها فعلى جيدها الرقى والتميم

---

(١) كم رأينا من أناس هلكوا

وقال أبو ذؤيب .

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقوله لذعة الحدق فهو من قولك لذعته النار اذا لفحته ويقال لذع فلان فلانا بأدب اذا أدبه أدبا يسيرا كانه المقدار الذى وصفناه من النار وقول ابن قيس الرقيات زانها أغر وسيم فالاغر الابيض يعنى الوجه والوسيم الجميل والمصدر الوسامة والوسام

٢١ وقال بعض المحدثين ذكرناه بقول أبى الاسود .

قد كنت أرتاع للبيضاء فى حلك فصرت أرتاع للسوداء فى يقق
من لم يشب ليس مملاقا حليلته وصاحب الشيب للنسوان ذو ملق
قد كن يفرقن منه فى شبيبته فصار يفرق ممن كان ذا فرق
ان الخضاب لتدليس يغش به كالثوب فى السوق مطويا على حرق

ويروى كالثوب يطوى لتدليس على حرق . وشبيه بهذا المعنى قول أبى تمام

طال انكارىَ البياض وان عمـ ـرت شيئا أنكرت لون السواد

وحدثنى الزيادى قال قيل لاعرابى ألا تخضب بالوسمة فقال لم ذاك فقيل لتصبو اليك النساء فقال أما نساؤنا فما يردن بنا بديلا وأما غيرهن فما نلتمس صبوتهن وقيل لآخر ألا تغير شيبك بالخضاب فقال بلى وفعل ذاك مرة ثم لم يعاود فقيل له لم لا تعاود الخضاب فقال ياهناه لقد شد لحياى فجعلت اخالنى ميتاً

٢٢ وقال العتبى

وقائلة تبيض والغوانى نوافر عن معالجة القتير(١)
عليك الخطر علك أن تدنى الى بيض ترائبهن حور
فقلت لها المشيب نذير عمرى ولست مسودا وجه النذير

٢٣ وقال آخر وهو أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى

صبغت الرأس ختلا للغوانى كما غطى على الريب المريب

---

(١) ويروى معالجة بكسر اللام فمن فتح اللام جعله مصدرا ومن كسر اللام فهي الجماعة التى تعالج ذلك الشىء

أعلل مرة وأساء أخرى ولا تخصى من الكبر العيوب
أسوف توبتى خمسين عاما وظنى أن مثلى لايتوب
يقوم بالثقاف العود لدنا ولا يتقوم العود الصليب

قال مالك بن دينار ما أشد فطام الكبير وكان يقول جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم . وقال آخر .

دعى لومى ومعتبتى أماما فأنى لم أعود أن ألاما
وكيف ملامتى اذشاب رأسى على خلق نشأت به غلاما

٢٤ وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

ياخاضب الشيب الذى فى كل ثالثة يعود
ان النصول اذا بدا فكأنه شيب جديد
وله بديهة لوعة مكروهها أبداً عتيد
فدع المشيب لما أرا د فلن يعود كما تريد

وقال أيضاً .

ياخاضب الشيبة نح فقدها فانما تدرجها فى كفن
أما تراها منذ عاينتها تزيد فى الرأس بنقص البدن

٢٥ وقال :

أليس عجيبا بأن الفتى يصاب ببعض الذى فى يديه
فمن بين باك له موجع وبين معز مغذ اليه
ويسلبه الشيب شرخ الشبا ب فليس يعزيه خلق عليه

وقال أيضاً .

اغتنم غفلة المنية واعلم أنما الشيب للمنية جسر (١)
كم كبير يوم القيامة يقصى وصغير له هنالك قدر

٢٦ وقال اعرابى (٢)

---

(١) قال أبو الحسن يقال جَسر وجِسر وهو مأخوذ من الناقة الكبيرة يقال لها الجسر (٢) هو أبو النجم

قالت سليمى أنت شيخ أنزع　　فقلت ما ذاك وانى أصلع
ثم حسرت عن صفاة تلمع　　فأقبلت قائلة تسترجع
ما رأس ذا الاجبين أجمع

٢٧ وقال آخر وهو رؤبة

قد ترك الدهر صفاتى صفصفا　　فصار رأسى جبهة الى القفا
كانه قد كان ربعا فعفا　　يمسى ويضحى للمنايا هدفا

٢٨ وكان نصر بن حجاج بن علاط السلمى ثم البهزى جميلا فعثر عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمر الله أعلم به فحلق رأسه وكان عمر أصلع لم يبق من شعره الاحفاف كذلك قال الاصمعى فقال نصر بن حجاج .

لضن ابن خطاب على بجمة　　اذا رجلت تهتز هز السلاسل
فصلع رأسا لم يصلعه ربه　　يرف رفيفا بعد أسود جاثل
لقد حسد الفرعان أصلع لم يكن　　اذا مامشى بالفرع بالمتخايل

قوله بالفرع بالمتخايل ليس أنه جعل بالفرع من صلة المتخايل فيكون معناه بالذى يختال بالفرع ويكون قد قدم الصلة على الموصول ولكنه جعل قوله بالفرع تبيينا فصار بمنزلة بك التى تقع بعد مرحبا للتبيين وقد مر تفسير هذا مستقصى كما فى الكتاب المقتضب

٢٩ وكان يزيد بن الطثرية غزلا وكان ذا جمة حسنة وكان أخوه ثور ذا مال فكان يزيد يأتى العطار فيقول ادهنى دهنة بناقة من ابل ثور فيفعل ذلك فاذا كثر عليه الدين هرب فتبدى فاذا ذكر حوشية (١) وهى امرأة كان يشبب بها (٢) قدم فاقتطع من ابل أخيه ما يقضى به دينه وفى ذلك يقول

قضى غرمائى حب أسماء بعدما　　تخوفنى ظلم لهم وفجور
فذلك دأبى ماحييت ومامشى　　لثور على ظهر الفلاة بعير

فاستعدى عليه ثور السلطان فأمر بحلق رأسه فقال

أقول لثور وهو يحلق لمتى　　بعقفاء مردود عليها نصابها

(١) بنت أبى فديك بن قرة (٢) ولها معه حديث طريف

ترفق بها يا نور ليس ثوابها … بهذا ولكن عند ربي ثوابها
ألا ربما يا نور فرق بينها … أنامل رخصات حديث خضابها
فيهلك مدرى العاج في مدلهمة … اذا لم تفرج مات غما صؤابها
فجاء بها نور ترف كأنها … سلاسل برق لينها وانسكابها
ورحت برأس كالصخيرة أشرفت … عليها عقاب ثم طارت عقابها
خدارية كالشرية الفرد جادها … من الصيف أنواء مطير سحابها

٣٠ وقال آخر .

تغطى نمير بالعمائم لؤمها … وكيف يغطى اللؤم طي العمائم
فان تضربونا بالسياط فاننا … ضربناكم بالمرهفات الصوارم
وان تحلقوا منا الرءوس فاننا … حلقنا رءوسا باللها والغلاصم
وان تمنعوا منا السلاح فعندنا … سلاح لنا لا يشترى بالدراهم
جلاميد أملاء الأكف كأنها … رءوس رجال حلقت بالمواسم

٣١ قال أبو العباس قال اعرابي

كل امرىء ذي لحية عثولية … يقوم عليها ظن ان له فضلا
وما الفضل في طول السبال وعرضها … اذا الله لم يجعل لصاحبها عقلا

ويروى لحاملها وعثولية يقول كثيرة والمستعمل أن يقال رجل عثول اذا كان كثير الشعر وأصل ذلك في الرأس واللحية وبناه الاعرابي بناء جدول كأنه عثول ثم نسب اليه. والسبلة مقدم اللحية يقال لما أسبل من الشاربين سبلتان وتقول العرب أخذ فلان شفرة فثلم بها سبلة بعيرة أي نحره والثلم الشق فهذا ما أسبل من جرانه

٣٢ وقال بعض المحدثين

وما حسن الرجال لهم بحسن … اذا ما أخطأ الحسن البيان
كفى بالمرء عيباً أن تراه … له وجه وليس له لسان

وقال آخر

انى على ما تزدرى من دمامتى … اذا قيس ذرعي بالرجال طويل

٣٣ ونظر يزيد بن مزيد الشيباني الى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على

صدره فاذا هو خاضب فقال انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول :

لها درهم للدهن فى كل جمعة   وآخر للحناء يبتـدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد   لصوّت فى حافاتها الجلمان

٢٤ وقال اسحاق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية

ما سرنى أننى فى طـول داود   وأننى علم فى الباس والجود
ماشيت داود فاستضحكت من عجب   كأننى والد يمشى بمولود
ماطول داود الاطول لحيته   يظل داود فيها غير موجود
تكنـه خصلة منهـا اذا نفحت   ريح الشتاء وجف الماء فى العود
كالانبجـانىّ مصقولا عوارضهـا   سوداء فى لين خد الغـادة الرود
أجزى وأغنى من الخز الصفيق ومن   بيض القطائف يوم القر والسود (١)
ان هبت الريح أدته الى عدن   ان كان مالف منها غير معقود

وفي الحديث « من سعادة المرء خفة عارضيه » وليس هذا بناقض لما جاء فى اعفاء اللحى واحفاء الشوارب فقد روى أنهم قالوا لا بأس بأخذ العارضين والشبطين وأما الاعفاء فهو التكثير وهو من الاضداد قال الله عز وجل حتى عفوا أى حتى كثروا ويقال عفا وبر الناقة اذا كثر قال الشاعر

ولكنا نعض السيف منها   بأسوق عافيات اللحم كوم

والكوم العظام الأسنمة واحدتها كوماء ويقال عفا الربع اذا درس ومن ذلك على آثار من ذهب العفاء . أى الدروس وقال مسلمة بن عبد الملك انى لاعجب من ثلاثة من رجل قصر شعره ثم عاد فأطاله أو شمر ثوبه ثم عاد فأسبله أو تمتع بالسرارى ثم عاد الى المهيرات

« قال أبو العباس » واحدة المهيرات مهيرة وهى الحرة المهورة ومفعول يخرج الى فعيل كمقتول وقتيل ومجروح وجريح قال الاعشى

ومنكوحة غير ممهورة   وأخرى يقال لها فادها (٢)

---

(١) القر بالقاف يريد البرد ويروى بالغين يريد السحائب وجعلها غرا لبياضها
(٢) فادها من فديت الاسير وهو يصف سبيا أخذ فيه اماء وحرائر

فهذا المعروف فى كلام العرب يقال مهرت المرأة فهى ممهورة ويقال وليس بالكثير أمهرتها فهى ممهرة أنشدنى المازنى

أخذن اغتصابا خطبة عجرفية وأمهرن أرماحا من الخط ذبلا(١)

وأهل الحجاز يرون النكاح العقد دون الفعل ولا ينكرونه فى الفعل ويحتجون بقول الله عز وجل (يأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) فهذا الاشيع فى كلام العرب قال الاعشى

وأمتعت نفسى من الغانيا ت اما نكاحا واما أزنْ (٢)

ومن كل بيضاء رعبوبة لها بشر ناصع كاللبن

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . انا من نكاح لا من سفاح . ومن خطب المسلمين ان الله عز وجل أحل النكاح وحرم السفاح .

ويكون النكاح الجماع وهو فى الاصل كناية قال الراجز

اذا زنيت فأجد نكاحا وأعمل الغدو والرواحا

فالكناية تقع عن هذا الباب كثيرا والاصل ماذكرنا لك .

والكناية تقع عن الجماع قال الله عز وجل « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » فهذه كناية عن الجماع وقال اكثر الفقهاء فى قوله تبارك وتعالى أو لامستم النساء قالوا كناية عن الجماع وليس الامر عندنا كذلك . وما أصف مذهبُ أهل المدينة اذ قد فرغ من النكاح تصريحا وانما الملامسة أن يلمسها الرجل بيد أو بادناء جسد من جسد فذلك ينقض الوضوء فى قول أهل المدينة لانه قال تبارك وتعالى بعد ذكر الجنب أو لامستم النساء وقوله عز وجل كانا يأكلان الطعام كناية باجماع عن قضاء الحاجة لان كل من أكل الطعام فى الدنيا أنجى . يقال نجا وأنجى اذا قام لحاجة الانسان وكذلك . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا . كناية عن الفروج ومثله . أوجاء أحد منكم من الغائط فانما الغائط كالوادى وقال عمر بن معد يكرب

---

(١) عجرفية جافية وخطبة مصدر معنى (٢) قوله أزن أراد أزنى ثم حذف الياء وخفف النون فقال أزن

وكم من غائطٍ من دون سلمى قليل الانس ليس به كتيع

ويقال وَهِمَ الرجل يَوْهَمُ اذا شك وهو الاجود ويجوز يَيْهَم ويِيهم وياهم لعلل وكذلك ما كان مثله نحو وجل يوجل ووحل يوحل ووجع يوجع ويجوز فى وهم أن تقول يَهِم فان المعتل من هذا يجئ على مثال حسب يحسب مثل ولى الامير يلى وورم الجرح يرم فهذا جميع مافى هذا الباب

تم الجزء الثانى ويليه ذيله

الذيـــــل

وهذا هو ذيل الجزء الثاني وفيه أربعة أبواب

« الباب الاول »

فى أشعار مختارة من أشعار المولدين الحكيمة المستحسنة

قال أبو العباس هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج اليها للتمثل لانها أشكل بالدهر ويستعار من الفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب

١ قال عبد الصمد بن المعذل

تكلفنى اذلال نفسى لعزها — وهان عليها أن أهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن اكثم — فقلت سليه رب يحى بن اكثما (١)

٢ وقال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قَزَعة وهو أبو المغيرة أخو الملوى المتكلم قال وقال المازنى لم أر أعلم من الملوى بالكلام وكان من أصحاب ابراهيم النظام

خليلى من كعب أعينا أخاكما — على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه — مخافة أن يرجى نداه حزين
كأنَّ عبيد الله لم يلق ماجدا — ولم يدر أن المكرمات تكون
فقل لابى يحيى متى تدرك العلا — وفى كل معروف عليك يمين
اذا جئته فى حاجة سد بابه — فلم تلقه الا وأنت كمين

قال أبو العباس ونظير قوله . وفى كل معروف عليك يمين . قول جرير

ولا خير فى مال عليه ألية — ولا فى يمين عوقدت بالمآثم

---

(١) بالثاء مثلثة لا غير وكذلك أكثم بن صيفى ويقال ان يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفى

٣ وقال اسماعيل بن القاسم (١)

أطع الله بجهدك عامدا أو دون جهدك
أعط مولاك كما تطلب من طاعة عبدك

٤ وقال محمود الوراق

تعصى الاله وأنت تظهر حبه هذا محال فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وقال أيضا .

يا ناظراً يرنو بعينى راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد
منيت نفسك ضلة وأبحتها طرق الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدماً منها الى الدنيا بذنب واحد

٥ وقال أيضا .

انى شكرت لظالمى ظلمى وغفرت ذاك له على علمى
ورأيته أسدى الىَّ يدا لما أبان بجهله حلمى
رجعت اساءته عليه واحسانى فعاد مضاعف الجرم
وغدوت ذا أجر ومحمدة وغدا بكسب الظلم والاثم
فكأنما الاحسان كان له وأنا المسىء اليه فى الحكم
ما زال يظلمنى وأرحمه حتى بكيت له من الظلم

أخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش لرجل قال له انى مررت بقوم من قريش من آل الزبير أو غيرهم يشتمونك شتما رحمتك منه قال أفسمعتنى أقول الا خيرا قال لا قال اياهم فارحم . وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لرجل قال له لأشتمنك شتما يدخل معك فى قبرك . قال معك والله يدخل لامعى وقال ابن مسعود ان الرجل ليظلمنى فأرحمه . وقال رجل للشعبى كلاما أقذع له فيه فقال له الشعبى ان كنت صادقاً فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك ويروى أنه أتى مسجدا

---

(١) هو أبو العتاهية

فصادف فيه قوما يغتابونه فأخذ بعضادتى الباب ثم قال

هنيئا مريئا غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال دخلت المدينة فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه فمال قلبى اليه فسألت عنه فقيل لى هذا الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فامتلأ قلبى له بغضا وحسدت عليا أن يكون له ابن مثله فصرت اليه فقلت له أأنت ابن أبى طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت فبك وبأبيك أسبهما فلما انقضى كلامى قال لى أحسبك غريبا قلت أجل قال فمل بنا فان احتجت الى منزل أنزلناك أو الى مال آسيناك أو الى حاجة عاوناك قال فانصرفت عنه ووالله ما على الارض أحد أحب الى منه

٦ وقال الحكمى (١) للفضل بن الربيع

ما من يد فى الناس واحدة ... كيد أبو العباس مولاها

نام الكرام على مضاجعهم ... وسرى الى نفسى فأحياها

قد كنت خفتك ثم أمننى ... من أن أخافك خوفك الله

فعفوت عنى عفو مقتدر ... حلت له نقم فألغاها

٧ وقال صالح بن عبد القدوس (٢)

ان يكن ما به أصبت جليلا ... فذهاب العزاء فيه أجل

كل آت لاشك آت وذو الجهـ ... ـل معنى والغم والحزن فضل

٨ وقال عبد الله بن محمد بن أبى عيينة (٣) لذى اليمينين (٤)

لما رأيتك قاعدا مستقبلا ... أيقنت أنك للهموم قرين

فارفض بها وتعر من أثوابها ... ان كان عندك للقضاء يقين

مالا يكون فلا يكون بحيلة ... أبدا وما هو كائن سيكون

يسعى الذكى فلا ينال بسعيه ... حظا ويحظى عاجز ومهين

---

(١) هو أبو نواس الحسن بن هانئ وهو منسوب الى حكم قبيلة من مذحج

(٢) صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة (٣) ستأتى له أشعار كثيرة جدا فى هذا الباب . السباعى (٤) سمي ذا اليمينين لانه ضرب انسانا فجعله قسمين

سيكون ماهو كائن فى وقته　　وأخو الجهالة متعب محزون
الله يعلم أن فرقة بيننا　　فيما أرى شئ على يهون

٩ وأنشدنى منشد من الابيات المنفردة القائمة بأنفسها

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى　　الى بعض ما فيه عليك مقال (١)

ومنها قول ابن أبى وهيب

وانى لأرجو الله حتى كأننى　　أرى بجميل الظن ما الله صانع

وقال آخر .

ويعرف وجه الحزم حتى كأنما　　تخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال أشجع السلمى

رأى سرى وعيون الناس راقدة　　ما أخر الحزم رأى قدم الحذرا

وقال آخر .

لله منى جانب لا أضيعه　　وللهو منى والبطالة جانب

وقال آخر .

فلو عاب نفسى غير نفسى لسؤته　　فكيف ونفسى قد أتت مايعيبها

وقال آخر .

يرى فلتات الرأى والرأى مقبل　　كأنَّ له فى اليوم عينا على غد

وقال العباس بن الفرج

أملى من دونه أجلى　　فمتى أفضى الى أملى

١٠ وقال عبد الصمد بن المعذل

أمنّ على المجتدى　　وما أتبع المن مَن
كأن لم يزل ما أتى　　وما قد مضى لم يكن
أرى الناس أحدوثة　　فكونى حديثا حسن

وقال أيضاً .

زعمت عاذلتى أنى لما　　حفظ البخل من المال مضيع

---

(١) هذا البيت لهشام بن عبد الملك

كلفتنى عذرة الباخل اذ   طرق الطارق والناس هجوع
ليس لى عذر وعندى بلغة   انما العذر لمن لا يستطيع

١١ وقال الحسن بن هانئ الحكمى .

اليك غدت بى حاجة لم أبح بها   أخاف عليها شامتا فأدارى
فأرخ عليها ستر معروفك الذى   سترت به قدما علىّ عوارى

١٢ وقال أيضا .

قد قلت للعباس معتذرا   من ضعف شكر يه ومعترفا
أنت امرؤ جللتنى نعما   أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
فاليك بعد اليوم تقدمة   لاقتك بالتصريح منكشفا
لا تحدثن الىّ عارفة   حسبى أقوم بشكر ما سلفا

١٣ وقال دعبل بن على الخزاعى

أحببت قومى ولم أعدل بحبهم   قالوا تعصبت جهلا قول ذى بهت
دعنى أصل رحمى ان كنت قاطعها   لا بد للرحم الدنيا من الصلة
فاحفظ عشيرتك الأدنين ان لهم   حقا يفرق بين الزوج والمرة
قومى بنو مذحج والأزد اخوتهم   وآل كندة والاحياء من علة
ثبت الحلوم فان سلت حفائظهم   سلوا السيوف فأردوا كل ذى عنت
لا تعرضن بمزح لامرئ طبن   ما راضه قلبه أجراه فى الشفة
فرب قافية بالمزح جارية   مشؤومة لم يرد انماؤها نمت
انى اذا قلت بيتا مات قائله   ومن يقال له والبيت لم يمت

١٤ وقال أيضا

نعونى ولما ينعنى غير شامت   وغير عدو قد أصيبت مقاتله
يقولون ان ذاق الردى مات شعره   وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
سأقضى ببيت يحمد الناس أمره   ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت ردىّ الشعر من قبل أهله   وجيده يبقى وان مات قائله (١)

(١) البيت الاخير ليس لدعبل وانما هو مضمن

١٥ وقال اسماعيل بن القاسم

يا من يعيب وعيبه متشعب كم فيك من عيب وأنت تعيب
لله درك كيف أنت وغاية يدعوك ربك عندها فتجيب

١٦ وقال

يا على بن ثابت بان منى صاحب جل فقده يوم بنتا
يا على بن ثابت أين أنتا أنت بين القبور حيث دفنتا
قد لعمرى حكيت لى غصص المو ت وحركتنى لها وسكنتا

وقال أيضاً

صاحب كان لى هلك والسبيل التى سلك (١)
يا على بن ثابت غفر الله لى ولك
كل حى مملك سوف يفنى وما ملك

وقال أيضا .

طوتك خطوب دهرك بعد نشر كذاك خطوبه نشرا وطيا
فلو نشرت قواك لى المنايا شكوت اليك ماصنعت اليا
بكيتك يا أخىّ بدمع عينى فلم يغن البكاء عليك شيا
كفى حزنا بدفنك ثم انى نفضت تراب قبرك عن يديا
وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وكان اسماعيل بن القاسم لا يكاد يخلى شعره مما تقدم من الاخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة فقوله وأنت اليوم أوعظ منك حيا انما أخذه من قول الموبذ لقباذ الملك حيث مات فانه قال فى ذلك الوقت كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وأخذ قوله قد لعمرى حكيت لى غصص المو ت وحركتنى لها وسكنتا من قول نادب الاسكندر فانه لما مات بكى من بحضرته فقال نادبه حركنا بسكونه (٢)

---

(١) والسبيل التى سلك ابتداء وخبر ومن قال غير هذا فقد اخطأ

(٢) سيأتى فى شرح القصيدة التالية كثير من هذه المآخذ . السباعى

١٧ وقال اسماعيل بن القاسم (١)

يا عجبا للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا الى غيرها ... فانما الدنيا لهم معبر (٢)
الخير مما ليس يخفى هو الـ ... ـمعروف والشر هو المنكر
والموعد الموت وما بعده الـ ... ـحشر فذاك الموعد الاكبر
لا فخر الا فخر أهل التقى ... غدا اذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى ... والبر كانا خير ما يذخر
عجبت للانسان فى فخره ... وهو غدا فى قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة ... وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الامر الى غيره ... فى كل ما يقضي وما يقدر

أما قوله . يا عجبا للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا

فمأخوذ من قولهم الفكرة مرءاة تريك حسنك من قبيحك ومن قول لقمان لابنه يابنى لاينبغى لعاقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات فوقت منها يناجى فيه ربه ووقت يحاسب فيه نفسه ووقت يكسب فيه لمعاشه ووقت يخلى فيه بين نفسه وبين لذتها ليستعين بذلك على سائر الاوقات وقوله

وعبروا الدنيا الى غيرها ... فانما الدنيا لهم معبر

مأخوذ من قول الحسن اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها وقوله

الخير مما ليس يخفى هو الـ ... ـمعروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الله كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم وصار الناس هكذا وشبك بين أصابعه فقلت مرنى يارسول الله فقال خذ ماعرفت ودع ما أنكرت وعليك بخويصة نفسك واياك وعوامها . قوله صلى الله عليه وسلم

(١) وهو أبو العتاهية (٢) معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج وبفتح الميم لاغير رواية عاصم

فى حثالة من الناس الحثالة ما يبقى فى الاناء من ردىّ الطعام وضربه مثلا وقوله مرجت عهودهم يقول اختلطت وذهبت بهم كل مذهب يقال مرج الماء اذا سال فلم يكن له مانع قال الله عز وجل . مرج البحرين يلتقيان وقوله .

ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يذخر

مأخوذ من قول أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حشر الناس فى صعيد واحد نادى مناد من قبل العرش ليعلمن أهل الموقف مَن أهل الكرم اليوم ليقم المتقون ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ولو قال قائل ان أقرب ما أخذ منه أبو العتاهية قوله هذا قول الخليل بن أحمد (١)

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الاعمال

لكان قد قال قولا . وقوله

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر

مأخوذ من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه وما ابن آدم والفخر وانما أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه .

١٨ وقال ابن أبي عيينة

ما راح يوم على حى ولا ابتكرا الا رأى عبرة فيه ان اعتبرا
ولا أتت ساعة فى الدهر فانصرمت حتى تؤثر فى قوم لها أثرا (٢)
ان الليالى والايام أنفسها عن غير أنفسها لم تكتم الخبرا

فأخذا هذا المعنى حبيب بن أوس الطائى وجمعه فى الفاظ يسيرة فقال

عمرى لقد نصح الزمان وانه لمن العجائب ناصح لا يشفق

فزاد بقوله ناصح لا يشفق على قول ابن أبى عيينة شيئا طريفا وهكذا يفعل الحاذق بالكلام .

---

(١) قال أبو الحسن زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبي صلى الله عليه وسلم الى الوقت الذى ولد فيه أحمد أبو الخليل أحدا سمى بأحمد غيره

(٢) فانصرفت أشبه للمطابقة وان كان المشهور انصرمت

١٩ وقال الخليل بن احمد وكان نظر فى النجوم فأبعد ثم لم يرضها فقال

أبلغا عنى المنجم أنى　　كافر بالذى قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وماكا　　ن بحتم من المهيمن واجب

٢٠ وقال محمد بن يسير يعيب المتكلمين أنشدنيه الرياشى

يا سائلى عن مقالة الشيع　　وعن صنوف الاهواء والبدع
دع من يقود الكلام ناحية　　فما يقود الكلام ذو ورع
كل أناس بديهم حسن　　ثم يصيرون بعد للشنع
أكثر مافيه ان يقال له　　لم يك فى قوله بمنقطع

٢١ وأنشدنى الرياشى لغيره

قد نقر الناس حتى أحدثوا بدعا　　فى الدين بالرأى لم تبعث بها الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم　　وفى الذى حملوا من حقه شغل

٢٢ وقال محمد بن يسير أيضا

ويل لمن لم يرحم الله　　ومن تكون النار مثواه
يا حسرتى فى كل يوم مضى　　يذكرنى الموت وأنساه
من طال فى الدنيا به عمره　　وعاش فالموت قصاراه
كأنه قد قيل فى مجلس　　قد كنت آتيه وأغشاه
صار اليسيرى الى ربه　　يرحمنا الله واياه

وقال أيضا

اى صفو الا الى تكدير　　ونعيم الا الى تغيير
وسرور ولذة وحبور　　ليس رهنا لنا بيوم عسير
عجبا لى ومن رضاى بدنيا　　أنا فيها على شفا تغرير
عالم لا أشك انى الى اللـــه اذا مت أو عذاب السعير
ثم ألهو ولست أدرى الى ايـــهما بعده يصير مصيرى
أى يوم على أفظع من يو　　م به تبرز النعاة سريرى
كلما مر بى على أهل ناد　　كنت حينا بهم كثير المرور

قيل من ذا على سرير المنايا　　قيل هذا محمد بن يسير

٢٣ وقال الحكمى أبو نواس .

أخى ما بال قلبك ليس ينقى　　كأنك لا تظن الموت حقا
الا يا ابن الذين فنوا وبادوا　　أما والله ما ذهبوا لتبقى
وما أحد بزادك منك أحظى　　وما أحد بزادك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد　　اذا جعلت الى اللهوات ترقى

٢٤ ومما يستحسن من شعره قوله

لا أذود الطير عن شجر　　قد بلوت المر من ثمره

فمثل هذا لو تقدم لكان فى صدور الامثال وكذلك قوله أيضا

فامض لا تمنن على يدا　　منك المعروف من كدره

وكان يقول ذكر المعروف من المنعم افساد له وكتمانه من المنعم عليه كفر له .
وفى هذا الشعر أبيات مختارة فمنها

واذا مج القنا علقا　　وتراءى الموت فى صوره
راح فى ثنى مفاضته　　أسد يدمى شبا ظفره
تتأتى الطير غدوته　　ثقة بالشبع من جزره
فاسئل عن نوء تؤمله　　حسبك العباس من مطره
لا تغطى عنه مكرمة　　بربا واد ولا خمره
ذللت تلك الفجاج له　　فهو مجتاز على بصره

وقد عابوا عليه فى هذا الشعر قوله

كيف لا يدنيك من أمل　　من رسول الله من نفره

وهو لعمرى كلام مستهجن موضوع فى غير موضعه لان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف اليه ولا يضاف هو الى غيره ولواتسع متسع فأجراه فى باب الحيلة لخرج على الاحتيال ولكنه عسر موضوع فى غيرموضعه وباب الاحتيال فيه أن تقول قد يقول القائل من بنى هاشم لغيره من أفناء قريش منا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق هذا أنه من القبيل الذى أنا منه فقد أضافه الى نفسه

وكذلك يقول القرشي لسائر العرب كما قال حسان بن ثابت

وما زال فى الاسلام من آل هاشم دعائم عز لاترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه علىّ ومنهم أحمد المتخير

فقال منهم كما قال هذا من نفره أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم

وأما قول حسان منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير فان العرب اذا كان العطف بالواو قدمت وأخرت قال الله تبارك وتعالى (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) وقال (يا معشر الجن والانس) وقال (اسجدى واركعى مع الراكعين) ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح الا تقديم المقدم ثم الذى يليه واحدا فواحدا وأما قوله فى هذا الشعر

وكريم الخال من يمن وكريم العم من مضره

فاضاف مضر اليه فهو أجود كلام لا يمتنع منه ممتنع قال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحارث احد النخع بن عمرو ابن علة بن جلد وكان على الميمنة احمل فحمل فى أصحابه فكشف من بازائه ثم قال لهاشم بن عتبة بن مالك أحد بنى زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل فى المضرية فكشف من بازائه فقال على رضى الله عنه لاصحابه كيف رأيتم مضرى ويمنى فاضاف القبيلتين الى نفسه وقال جرير

ان الذين ابتنوا مجدا ومكرمة تلكم قريشىَ والانصار أنصارى

٢٥ ومما يستحسن من أشعار المحدثين قول اسحاق بن خلف البهرانى ونسبه فى بنى حنيفة لسباء وقع عليه يقوله لعلى بن عيسى بن موسى بن طلحة الاشعرى المعروف بالقُمى (١)

ولـلكرد منك اذا زرتهم بكيدك يوم كيوم الجمل

وما زال عيسى بن موسى له مواهب غير النطاف المكل

لسل السيوف وشق الصفوف لنقض الترات وضرب القلل

ولبس العجاجة والخافقات تريك المنا برءوس الاسل

---

(١) منسوب الى قمة وهى بلدة أو قرية من خراسان .

وقد كشرت عن شباتانها   عروس المنيـة بين الشعـل
وجاءت تهادى وأبناؤها   كأنَّ عليهم شروق الطفـل
خروس نطوق اذا استنطقت   جهول تطيش على من جهل
اذا خطبت أخـذت مهرها   رءوسا تحادر قبـل النفل
ألذ اليه من المسمعات   وحث الكئووسة فى يوم طل
وشرب المدام ومن يشتهيه   معاط له بمزاج القبل
بعثنا النواعج تحت الرحال   تسافه أشداقها فى الجُدُل
اذا ما حدين بمدح الامير   سبقن لحاظ المحث العجل (١)

قوله تريك المنا يريد المنايا وهذه كلمة تخف على ألسنتهم فيحذفونها وزعم الاصمعى انه سمع العرب تقول درس المنا يريدون المنازل وجاء فى التخفيف أعجب من هذا حدثنا بعض أصحابنا عن الاصمعى وذكره سيبويه فى كتابه ولم يذكر قائله ولكن الاصمعى قال . كان اخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتى وقت الرعي فيقول أحدهما لصاحبه ألا تا فيقول الآخر بلى فا يريد الا تنهض فيقول الآخر بلى فانهض . وحكى سيبويه فى هذا الباب

بالخير خيرات وان شرا فا   ولا أريد الشر الا ان تا

يريد وان شرا فشر ولا أريد الشر الا أن تريد (٢) وهـذا خـلاف ما تستعمله الحـكماء فانه يقال ان اللسان اذا كثرت حركته رقت عـذبته . وحدثنى أبو عثمان الجاحظ قال قال لى محمد بن الجهم لما كانت أيام الزط أدمنت الفكر وأمسكت عن القول فأصابتنى حُبسة فى لسانى . وقال رجل من الاعراب يذكر آخر منهم.

كأنَّ فيه لففا اذا نطق   من طول تحبيس وهم وأرق

وقال رجل لخالد بن صفوان انك لتكثر فقال أكثر لضربين أحدهما فيما لا تغنى فيه القلة والآخر لتمرين اللسان فان حبسه يورث العقلة وكان خالد يقول لا تكون

---

(١) من كسر الميم فهو من حث ومن ضم الميم جعله من أحث يقال حث وأحث على فعل وأفعل لغتان . (٢) قال ش قول ابى العباس الا أن تريد وهم وانما هو الا أن تشاء ولو كان كما قال أبو العباس لكانت التاء مضمومة .

بليغا حتى تتكلم أمتك السوداء فى الليلة الظلماء فى الحاجة المهمة بما تتكلم به فى نادى قومك فانما اللسان عضو اذا مرنته مرن واذا أهملته خاركاليد التى تخشنها بالممارسة والبدن الذى تقويه برفع الحجر وما أشبهه والرجل اذا عودت المشى مشت

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتم فنزعتم فى القسى ونزوتم على ظهور الخيل وقال بعض الحكماء لا ينبغى للعاقل ان يخلى نفسه من ثلاث فى غير افراط الاكل والمشى والجماع فأما الاكل فان الامعاء تضيق لتركه وكان ابن الزبير رحمه الله يواصل فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ثم يفطر على سمن وصبر ليفتق أمعاءه قال أبو العباس قال الاول والمشى ان لم تتعهده أوشكت ان تطلبه فلا تجده والجماع كالبئر ان نزحت جمت وان تركت تحير ماؤها وحق هذا كله القصد وقوله كأن عليهم شروق الطفل يريد تألق الحديد كأنه شمس طالعة عليهم وان لم تكن شمس وأحسن من هذا قول سلامة بن جندل

كأن النعام باض فوق رءوسهم ... وأعينهم تحت الحديد جواحم (١)

فهذا التشبيه المصيب وأما قوله أحب اليه من المسمعات فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن ادريس أبو دلف العجلى

يوماى يوم فى أوانس كالدمى ... لهوى ويوم فى قتال الديلم
هذا حليف غلائل مكسوة ... مسكا وصافية كنضح العندم
ولذاك خالصة الدروع وضمر ... يكسوننا رهج الغبار الاقتم
وليومهن الفضل لولا لذة ... سبقت بطعن الديلمى المعلم

وأول تلك القصيدة طريف مستملح وهو

طواه الهوى فطوى من عذل ... وحالف ذا الصبوة المختبل

وأما قوله . تسافه أشداقها فى الجدل . فتسافه من السفه وانما يصفها بالمرح وأنها تميل كذا مرة وكذا مرة كما قال رؤبة . يمشى العرضنى فى الحديد المتقن .

وكما قال الآخر

---

(١) أى متقدة

اذا رأى السوط مشى الهيدبى ويتقى الارض بمعج رقاق (١)

وكما قال الحطيئة

وان آنست حسا من السوط عارضت بى الجور حتى تستقيم ضحى الغد

والجدل جمع جديل وهو الزمام المجدول كما تقول قتيل ومقتول وأدنى العدد أجدلة ومثله قضيب وقضب وأقضبة وكذلك كثيب ورغيف وجريب وفعلان كفُعل فى الكثير يقال قضبان ورغفان وجربان ومثل قوله . تسافه أشداقها فى الجدل . قول حبيب بن أوس الطائى

سفيه الرمح جاهله اذا ما بدا فضل السفيه على الحليم

٢٦ ومما يستحسن من شعر اسحاق هذا قوله فى الحسن بن سهل

باب الامير عراء ما به أحد الا امرؤ واضع كفا على ذقن

قالت وقد أملت ما كنت آمله هذا الامير بن سهل حاتم اليمن

كفيتك الناس لا تلق أخا طلب بفىء دارك يستعدى على الزمن

ان الرجاء الذى قد كنت آمله وضعته ورجاء الناس فى كفن

فى الله منه وجدوى كفه خلف ليس السدى والندى فى راحة الحسن

٢٧ واسحاق هذا هو الذى يقول فى صفة السيف

ألقى بجانب خصره أمضى من الاجل المتاح

وكأنما ذر الهبا ء عليه أنفاس الرياح

٢٨ وهو الذى يقول فى مدح العربية

النحو يبسط من لسان الالكن والمرء تكرمه اذا لم يلحن

واذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها منها مقيم الالسن

قال أبو العباس وأحسبه أخذ قوله . والمرء تكرمه اذا لم يلحن . من حديث حدثناه أبو عثمان الخزاعى عن الاصمعى قال كان يقال ثلاثة يحكم لهم بالنبل حتى يدرى من هم وهم رجل رأيته راكبا أو سمعته يعرب أو شممت منه طيبا وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى من هم وهم رجل شممت منه رائحة نبيذ فى

(١) الهيدبى بالدال مهملة ومعجمة وقوله بمعج رقاق يريد قليلة اللحم .

محفل أو سمعته فى مصر عربى يتكلم بالفارسية أو رأيته على ظهر طريق ينازع فى القدر

٢٩ قال أبو العباس أنشدنى أحد الامراء لشاعر من أهل الرى يكنى أبازيد شيئا يقوله لعبد الله بن طاهر أحسن فيه وأصاب الفص وقصد بالمدح الى معدنه واختاره لأهله .

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا   فى شاذ مهر ودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تلبسه   من هوذة بن على وابن ذى يزن

فأحسن الترتيب جدا وان كانت الملوك كلها تلبس التاج فى ذلك الدهر وانما ذكر ابن ذى يزن لقول أمية بن أبى الصلت الثقفى حيث يقول

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا   فى رأس غمدان دارا منك محلالا

وذكر هوذة بن على وان لم يكن هوذة ملكا لقول الاعشى

من ير هوذة يسجد غير متئب   اذا تعمم فوق التاج أو وضعا
له أكاليل بالياقوت فصلها   صواغها لا ترى عيبا ولا طبعا

قال أبو العباس وحدثنى التوزى قال سمعت أبا عبيدة يقول عن أبى عمرو لم يتتوج مَعَدِّى قط وانما كانت التيجان لليمن قال فسألته عن هوذة بن على الحنفى فقال انما كانت خرزات تنظم له . قال أبو العباس وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على يدعوه كما كتب الى الملوك وكان هوذة يجير لطيمة كسرى فى البر بجنبات اليمامة واللطيمة الأبل تحمل الطيب والبز . ووفد هوذة بن على على كسرى بهذا السبب فسأله عن بنيه فذكر منهم عددا فقال أيهم أحب اليك فقال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يصح فقال له كسرى ما غذاؤك فى بلدك فقال الخبز فقال كسرى لجلسائه « هذا عقل الخبز » يفضله على عقول أهل البوادى الذين يغتذون اللبن والتمر . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لقد هممت ألا أقبل هدية ويروى ألا أتهب هبة الامن قرشى أو انصارى أو ثقفى وروى بعضهم أو دوسى وذلك أن اعرابياً أهدى اليه هدية فثّبها فذكر

رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الانصار تفضيلا على أهل البوادى (١)

٣٠ وقال عبد الله بن محمد بن أبى عيينة يعاتب رجلا من الاشراف (٢)

أتيتك زائرا لقضاء حق ... فحال الستر دونك والحجاب
وعندك معشر فيهم أخ لى ... كأن اخاءه الآل السراب
ولست بساقط فى قدر قوم ... وان كرهوا كما يقع الذباب
ورائى مذهب عن كل ناء ... بجانبه اذا عز الذهاب

٣١ وقال أيضاً

كنا ملوكا اذ كان أولنا ... للجود والبأس والعلى خلقوا
كانوا جبالا عزا يلاذ بها ... ورائحات بالوبل تنبعق
كانوا بهم ترسل السماء على الا ... أرض غياثا ويشرق الافق
لا يرتق الراتقون ان فتقوا ... فتقاً ولا يفتقون ما رتقوا
ليسو كمعزى مطيرة بقيت ... فما بها من سحابة لثق(٣)
والضعف والجبن عند نائبة ... تنوبهم والحذار والفرق
هذا زمان بالناس منقلب ... ظهرا لبطن جديده خلق
الاسدفيه على براثنها ... مستأخرات تكاد تمزق

وكان سبب قوله هذا الشعر أن اسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن عبدالله ابن العباس كان له صديقا وكان عبدالله بن محمد بن ابى عيينة من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون فى أيام المخلوع وكان معاضدا لطاهر بن الحسين فى حروبه وكان اسماعيل بن جعفر جليل القدر مطاعا فى مواليه وأهله وكانت الحال بينهما ألطف حال فوصله ابن أبى عيينة بذى اليمينين فولاه البصرة وولى ابن أبى عيينة اليمامة والبحرين وغوص البحر فلما رجعا الى البصرة تنكر اسماعيل لابن أبى عيينة فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ثم عزل ابن أبى عيينة فلم يزل يهجو اسماعيل وسأل ذا اليمينين عزله فدافعه وضن بالرجل فكان عبدالله

---

(١) سيأتى كثير من أخبار هوذة واليمامة بآخر باب من الذيل — السباعى
(٢) هو ذو اليمينين — السباعي (٣) اللثق البلل

يهجو من أهله من يواصل اسماعيل . وكان اكبر أهله قدرا فى ذلك الوقت زيد بن المنجاب وكان أعور قائم العين لم يطلع على علته الا بشعر ابن أبى عيينة . وكان منهم وكان سيد أهل البصرة أجمعين محمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب وكان أحول . ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبى صفرة وكان قصيرا فذلك حيث يقول ابن أبى عيينة فى هذ الشعر الذى أمليناه .

تستقدم النعجتان والبرق في زمن سرو أهله الملق
عور وحول وثالث لهم كأنه بين أسطر لحق

٣٢ ولهم يقول ولاثنين ظن أنهما معهم وقد مروا به يريدون اسماعيل بن جعفر .

ألا قل لرهط خمسة أو ثلاثة يعدون من أبناء آل المهلب
على باب اسماعيل روحوا وبكروا دجاج القرى مبثوثة حول ثعلب
وأثنوا عليه بالجميل فانه يسر لكم حبا هو الحب واقلب
يلين لكم عند اللقاء مواربا ويخلفكم منه بناب ومخلب
ولولا الذى تولونه لتكشفت سريرته عن بغضة وتعصب
أبعد بلائى عنده اذ وجدته طريحا كنصل القدح لما يركب
به صدأ قد عابه فجلوته بكفى حتى ضوءه ضوء كوكب
وركبته فى خوط نبع ورشته بقادمتى نسر ومتن معقب
فان أتانى منه الا مبوأ الىّ بنصل كالحريق مذرب
ففللت منه حده وتركته كهدبة ثوب الخز لما يهدب
رضيتم بأخلاق الدنى وعفتم خلائق ماضيكم من العم والأب

٣٣ وفى هذا يقول لطاهر بن الحسين

مالى رأيتك تدنى كل منتكث اذا تغيب ملتاث اذا حضرا
اذا تنسم ريح الغدر قابلها حتى اذا نفخت فى أنفه غدرا
ومن يجىء على التقريب منك له وأنت تعرف فيه الميل والصعرا
أحلك الله من قحطان منزلة فى الرأس حيث أحل السمع والبصرا
فلا تضع حق قحطان فتغضبها ولا ربيعة كلا لا ولا مضرا

أعط الرجال على مقدار أنفسهم وأول كلا بما اولى وما صبرا
ولا تقولن انى لست من أحد لا تمحق النيرين الشمس والقمرا

٣٤ ويقول له فى أخرى

هو الصبر والتسليم لله والرضا اذا نزلت بى خطة لا أشاؤها
اذا نحن أبنا سالمين بأنفس كرام رجت أمرا نخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة انها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها
هى الانفس الكبر التى ان تقدمت أو استأخرت فالقتل بالسيف داؤها
سيعلم اسماعيل ان عداوتى له ريق أفعى لا يصاب دواؤها

٣٥ ولما حمل اسماعيل مقيدا ومعه ابناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لاسماعيل فى أيام الحضرة قال ابن أبى عيينة فى ذلك .

مر اسماعيل وابنا ه معا فى الاسراء
جالسا فى محمل ضنـ ـك على غير وطاء
يتغنى القيد فى رجـ ـليه ألوان الغناء
باكيا لارقأت عيـ ـناه من طول البكاء
ياعقاب الدجن فى الأمـ ـن وفى الخوف ابن ماء

٣٦ وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به فمن ذلك قوله .

لا تعدم العزل يا أبا الحسن ولا هزالا فى دولة السمن
ولا انتقالا من دار عافيـة الى ديار البلاء والفتن
ولا خروجا الى القفار من الـ أرض وترك الاحباب والوطن
كم روحة فيـك لى مهجرة ودلجـة فى بقية الوسن
فى الحر والقر كى تولى على الـ بصرة عين الامصار والمدن
إنى أحاجيـك يا أبا حسن ما صورة صورت فلم تكن
وما بهىّ فى العين منظره لو وزنوه بالزف لم يزن
ظاهره رائع وباطنه ملآن من سوأة ومن درن

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زعبل مولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وكان منقطعا الى اسماعيل وولده وكان لا يبلغ ابن ابى عيينة فى الشعر ولا يدانيه ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله

انى أحاجيك ما حنيف على الـ ـفطرة باع الرباح بالغبن
وما شبيـيخ من تحت سدرته معلق نعله على الغصن
وما سيوف حمر مصقلة قد عريت من مقابض السفن
وما سهام صفر مجوفة تحشى خيوط الكتان والقطن
وما ابن ماء ان يخرجوه الى الـ أرض تسل نفسه من الاذن
وما عقاب زوراء تلجم من خلف فتهوى قصدا على سنن
لها جناحان يحفزان بها نيطا اليها بجذوتى رسن
ياذا اليمينين اضرب علاوته يدفع ومانى فى النار فى قرن (١)

أجابه ابراهيم السواق مولى آل المهلب وكان مقدما فى الشعر بابيات لا أحفظ أكثرها . منها

قد قيل ما قيل فى أبى حسن فانتحروا فى تطاول الزمن

وهذا السواق هو الذى يقول لبشر بن داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب

سماؤك تمطر الذهبا وحربك تلتظى لهبا
وأى كتيبة لاقتـــك لم تستحسن الهربا

ومن شعره السائر

حبيبى يا معـذبتى أسأت وبالهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسى على اذا أسأت كما أسأت

قال أبو العباس ولابن أبى عيينة فى هذا المعنى أشعار كثيرة فى معاتبات ذى اليمينين

---

(١) «علاوته» قيل السفينة وقيل الراية وهو أصح لان جده حبس راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام وقوله ومانى فى النار فى قرن مانى اسم علم وكان رأسا من رءوس الزنادقة .

وهجو اسماعيل وغيره سنذكرها فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

٣٧ قال يعاتب ذا اليمينين

من مبلغ عنى الامير رسالة محصورة عندى من الانشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد
وأظن لى منها لديك خبيئة ستكون عند الزاد آخر زاد
مالى أرى أمرى لديك كانه من ثقله طود من الاطواد
وأراك ترجيه وتمضى غيره فى ساعة الاصدار والايراد
الله يعلم ما أتيتك زائرا من ضيق ذات يدو ضيق بلاد
لكن أتيتك زائرا لك راجيا بك رتبة الآباء والاجداد
قد كان لى بالمصر يوم جامع لك مصلح فيه لكل فساد
ودعوت منصورا فأعلن بيعة فى جمع أهل المصر والاجناد
بارت مسارعتى اليك بطاعتى كل البوار وآذنت بكساد
فى الارض منفسح ورزق واسع لى عنك فى غورى وفى انجادى

٣٨ وقال أيضاً يعاتبه

أيا ذا اليمينين ان العتا ب يغرى صدورا ويشفى صدورا
وكنت أرى ان ترك العتا ب خير وأجدر ألا يضيرا
الى ان ظننت بأن قد ظننت بأنى لنفسى أرضى الحقيرا
فأضمرت النفس فى وهمها من الهم هما يكد الضميرا
ولا بد للماء فى مرجل على النار موقدة ان يفورا
ومن أشرب اليأس كان الغنى ومن أشرب الحرص كان الفقيرا
علام وفيم أرى طاعتى لديك ونصرى لك الدهر بورا
ألم أك بالمصر أدعو البعيد اليك وأدعو القريب العشيرا
ألم أك أول آت آتاك بطاعة من كان خلفى بشيرا
والزم غرزك فى مأقط الـ حروب عليها مقيما صبورا
ففيم تقدم جفالة اليك أمامى وأدعى أخيرا

كانك لم ترأن الفتى السحمى اذا زار يوما أميرا
فقدم من دونه قبله ألست تراه بسخط جديرا
ألست ترى ان سف التراب به كان أكرم من أن يزورا
ولست ضعيف الهوى والمدى أكون الصبا وأكون الدبورا
ولكن شهاب فان ترم بى مهما تجد كوكبي مستنيرا
فهل لك فى الاذن لى راضيا فانى أرى الاذن غنما كبيرا
وكان لك الله فيما ابتعثت له من جهاد ونصر نصيرا
ولا جعل الله فى دولة سبقت اليها وريح فتورا
فان ورائى لى مذهبا بعيدا من الارض قاعا وقورا
به الضب تحسبه بالفلاة اذا خفق الآل فيها بعيرا
ومالا ومصرا على أهله يد الله من جائر أن يجورا
وانى لمن خير سكانه وأكثرهم بنفيرى نفيرا

٣٩ ومن شعره المستحسن قوله فى عيسى بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمة بنت عمر بن حفص هزارمرد(١) وهو من ولد قبيصة بن أبى صفرة ولم يلده المهلب وكان يقال لأبى صفرة ظالم بن سراق

أفاطم قد زوجت عيسى فأيقنى بدل لديه عاجل غير آجل
فانك قد زوجت عن غير خبرة فتى من بنى العباس ليس بعاقل
فان قلت من رهط النبي فانه وان كان حر الاصل عبد الشمائل
فقد ظفرت كفاه منك بطائل وما ظفرت كفاك منه بطائل
وقد قال فيه جعفر ومحمد أقاويل حتى قالها كل قائل
وما قلت ما قالا لانك أختنا وفى السر منا والذرا والكواهل
لعمرى لقد أثبته فى نصابه بان صرت منه فى محل الحلائل

---

(١) وقعت الرواية كما فى الاصل وصوابه هزاذ مرد بالزاى والذال معجمة ولا خلاف فى الزاى .

اذا ما بنو العباس يوما تبادروا | عرا المجد وابتاعوا كرام الفضائل
رأيت أبا العباس يسمو بنفسه | الى بيع بياحاته والمباقل
يرخم بيض العام تحت دجاجه | ليخرج بيضا من فراريج قابل

قال أبو العباس وولد عيسى من فاطمة هذه لهم شجاعة ونجدة وشدة أبدان وفاطمة التى ذكرها هى التى كان يذسب بها أبو عيينة أخو عبد الله ويكنى عنها بدنيا ومن ذلك قوله فيها

دعوتك بالقرابة والجوار | دعاء مصرح بادى السرار
لانى عنك مشتغل بنفسى | ومحترق عليك بغير نار
وأنت توقرين وليس عندى | على نار الصبابة من وقار
فأنت لأن مابك دون مابى | تدارين العيون ولا أدارى
ولو والله تشتاقين شوقى | جمحت الىّ خالعة العذار

٤٠ وقال عبد الله لعلى بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم وكان دعاه الى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه فتوعده على فقال .

أعلىّ انك جاهل مغرور | لا ظلمة لك لا ولا لك نور
أكتبت توعدنى أن استبطأتنى | انى بحربك ما حييت جدير
فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى | أطنين أجنحة البعوض يضير
واذا ارتحلت فان نصرى الألى | أبواهم المهدى والمنصور
نبتت عليه لحومنا ودماؤنا | وعليه قدر سعينا المشكور

٤١ قال أبو العباس وزعم أبو معاذ النميرى انه كان يعتاد عبد الله بن محمد بن أبى عيينة بن المهلب ويكثر المقام عنده وكان رواية لشعره وام ابن ابى عيينة يقال لها خيرة وهى من بنى سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة قال فابطأت عليه أياما فكتب الى

تمادى فى الجفاء أبو معاذ | وراوغنى ولاذ بلا ملاذ
ولولا حق اخوالى قشير | أتته قصائد غير اللذاذ

كما راح الهلالى ابن حرب   به سمة على عنق وحاذ

يعنى محمد بن حرب بن قبيصة بن مخارق الهلالى وكان من أقعد الناس ولقبيصة ابن مخارق صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سار اليه فأكرمه وبسط له رداءه وقال مرحبا بخالى فقال يارسول الله رق جلدى ودق عظمى وقل مالى وهنت على أهلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أبكيت بما ذكرت ملائكة السماء ومحمد بن حرب هذا ولى شرطة البصرة سبع مرات وكان على شرطة جعفر بن سليمان على المدينة وكان كثير الادب غزيره فأغضب ابن أبى عيينة فى حكم جرى عليه بحضرة اسحاق بن عيسى وكان على شرطته اذ ذك ففى ذلك يقول عبد الله بن أبى عيينة

بأخوالى وأعمامى أقامت   قريش ملكها وبها تهاب
متى ما أدع أخوالى لحرب   وأعمامى لنائبة أجابوا
أنا ابن أبى عيينة فرع قومى   وكعب والدى وأبى كلاب
خلا ابن عكابة الظربان سهل   له فسو تصاد به الضباب
وآخر من هلال قد تداعى   فصار كأنه الشىء الخراب

٤٢ وقال عبد الله فى قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب من قتل بارض السند بدم أخيه المغيرة بن يزيد

أفنى تميما سعدها وربابها   بالسند قتل مغيرة بن يزيد
صعقت عليهم صعقة عتكية   جعلت لهم يوما كيوم ثمود
ذاقت تميم عركتين عذابنا   بالسند من عمر ومن داود
قدنا الجياد من العراق اليهم   مثل القطا مستنة لورود
يحملن من ولد المهلب عصبة   خلقت قلوبهم قلوب أسود

٤٣ وفى المغيرة يقول فى قصيدة مطولة وهذا شعر عجيب من شعره

اذا كر فيهم كرة أفرجوا له   فرار بغاث الطير صادفن أجدلا
وما نيل الا من بعيد بحاصب   من النبل والنشاب حتى تجدلا
وانى لمثن بالذى كان أهله   أبو حاتم اذناب دهر فأعضلا

فتى كان يستحيي من الذم أن يرى	له مخرجا يوما عليه ومدخلا
وكان يظن الموت عارا على الفتى	يد الدهر الا أن يصاب فيقتلا
منيــة أبنـاء المهلب انهم	يرون بها حتما كتابا معجلا
وقد أطلق الله اللسان بقتل من	قتلنا به منهم ومن ّ وأفضلا
أناخ بهم داود يصرف نابه	ويلقي عليهم كلــكلا ثم كلــكلا
يقتلهم جوعا اذا ما تحصنوا	وتقريهم هوج المجانيق جندلا

٤٤ وفى هذه القصة يقول

أبت الا بكاء وانتحابا	وذكرا للمغيرة واكتئابا
ألم تعـلم بان القتل ورد	لنا كالماء حين صـفا وطابا
وقلت لها قرى وثقى بقولي	كأنك قد قرأت به كتابا
فقد جاء الـكتاب به فقولى	ألا لاتعدم الرأى الصوابا
جلبنا الخيل من بغداد شعثا	عوابس تحمل الاسد الغضابا
بكل فتى أغر مهلبي	تخال بضوء صورته شهابا
ومن قحطان كل أخى حفاظ	اذا يدعى لنائبــة أجابا
فما بلغت قرى كرمان حتى	تخدد لحمها عنها فذابا
وكان لهن فى كرمان يوم	أمر على الشراة بها الشرابا
وانا تاركون غدا حديثا	بأرض السند سعدا والربابا
تفاخر بابن أحوزها تميم	لقد حان المفاخر لى وخابا

وفى مثل هذا البيت الاخير يقول أخوه أبو عيينة (١)

أعاذل صه لست من شيمتى	وان كنت لى ناصحا مشفقا
أراك تفرقنى دائبـا	وما ينبغى لى أن أفرقا
أنا ابن الذى شاد لى منصبا	وكان السماك اذا حلقا
قريع العراق وبطريقهم	وعزهم المرتجى المتقى

---

(١) صاحب النسيب المتقـدم فى فاطمة التى يكنى عنها بدنيا وسـيذكر أبو الحسن جملة صالحة من نسيبه فى هذه القصيدة — السباعى

فمن يستطيع اذا ما ذهبـــت أنطق فى المجد أن ينطقا
انا ابن المهلب ما فوق ذا لعال الى شرف مرتقى
فدعنى أغلى ثياب الصبا بجدتها قبل ان تخلقا (١)

(١) قال أبو الحسن وهذا شعر حسن أوله

ألم تنه نفسك ان تعشقا وما أنت والعشق لولا الشقا
أمن بعد شربك كأس النهى وشمك ريحان أهل التقى
عشقت فأصبحت فى العاشقيـــن أشهر من فرس أبلقا

ثم قال * اعاذل صه لست من شيمتى * ثم قال بعد قوله

« فدعنى أغلى ثياب الصبا بجدتها قبل أن تخلقا »
أدنياى من غمر بحر الهوى خذى بيدى قبل ان أغرقا
أنا لك عبد فكونى كمن اذا سره عبده أعتقا
سقى الله دنيا على نأيها من القطر منبعقا ريقا
الم أخدع الناس عن حبها وقد يخدع الكيس الأحمقا
بلى وسبقتهم اننى أحب الى المجد ان أسبقا
ويوم الجنازة اذ أرسلت على رقبة أن جىء الخندقا
الى السال فاخترلنا مجلسا قريبا واياك ان تخرقا
فكنا كغصنين من بانة رطيبين حدثان ما اورقا
فقالت لترب لها استنشديـــه من شعره الحسن المنتقى
فقلت امرت بكتمانه وحذرت ان شاع ان يسرقا
فقالت بعيشك قولى له تمنع لعلك ان تنفقا

قال أبو الحسن قوله انا لك عبد فوصل بالالف فهذا انما يجوز فى الضرورة والالف تثبت فى الوقف لبيان الحركة فلم يحتج الى الالف ومن أثبتها فى الوصل قاسه على الوقف للضرورة كقوله

فان يك غثا او سمينا فاننى سأجعل عينيه لنفسه مقنعا

لانه اذا وقف وقف على الهاء وحدها فأجرى الوصل على الوقف وأنشدوا

﴿ الباب الثانى ﴾

فى مقطعات مختارة لجودة مبانيها وحلاوة معانيها وحسن اختصارها

١ قال أبو العباس من كلام العرب الاختصار المفهم والاطناب المفخم وقد يقع الايماء الى الشىء فيغنى عند ذوى الالباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاتب البليغ فيقع فى كلام أحدهم المعنى المستغلق واللفظ المستكره فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه وان شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح فى الكلام الحسن أظهر ومجاورته له أشهر كان ذلك له ولكن يغتفر السىء للحسن والبعيد للقريب .

٢ فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف قول الحطيئة

وذاك فتى ان تأته فى صنيعة ... الى ما له لا تأته بشفيع

وكذلك قول عنترة

يخبرك من شهد الوقيعة أننى ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكما قال زهير

قول الاعشى

فكيف أنا وانتحال القوا ... فى بعد المشيب كفى ذاك عارا

والرواية الجيدة فكيف يكون انتحال القوافى بعد المشيب وقوله الى السالْ فهذا مما يغلط فيه عامة أهل البصرة يقولون السالُ بالتخفيف وانما هو السالّ يا هذا وجمعه سلاّن وهو الغالّ وجمعه غُلاّن وهو الشق الخفى فى الوادى وقوله لعلك ان تنفقا اضطرار وحقه لعلك تنفق لان لعل من أخوات ان فأجريت مجراها ومن أتى بأن فلمضارعتها عسى كما قال متمم بن نويرة

لعلك يوما ان تلم ملمة ... عليك من اللائى يدعنك أجدعا

وهو كثير

على مكثريهم حق من يعتريهم　　وعند المقلين السماحة والبذل

٣ ومما وقع كالايماء قول الفرزدق لجرير

ضربت عليك العنكبوت بنسجها　　وقضى عليك به الكتاب المنزل

فتأويل هذا أن بيت جرير فى العرب كالبيت الواهى الضعيف فقال وقضى عليك به الكتاب المنزل يريد به قول الله تبارك وتعالى «وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون» ومن كلامه المستحسن قوله له

فهل ضربة الرومى جاعلة لكم　　أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

ومن أقبح الضرورة وأهجن الالفاظ وأبعد المعانى قوله

وما مثله فى الناس الا مملكا　　أبو أمه حى أبوه يقاربه

مدح بهذا الشعر ابرهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبدالملك فقال وما مثله فى الناس الا مملكا يعنى بالمملك هشاما أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا وكان يكون اذا وضع الكلام فى موضعه أن يقول وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح فدل على أنه خاله بهذا اللفظ وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول

تصرم منى ود بكر بن وائل　　وما كاد منى ودهم يتصرم

قوارص تأتينى ويحتقرونها　　وقد يملأ القطر الاناء فيفعم (١)

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول

والشيب ينهض فى السواد كأنه　　ليل يصيح بجانبيه نهار

فهذا أوضح معنى وأعرب لفظ وأقرب مأخذ.

٤ وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده

---

(١) القارصة الكلمة المؤذية

تبحثتم سخطى فغير بحثكم   نخيلة نفس كان نصحا ضميرها
وان يلبث التخشين نفسا كريمة   عريكتها ان يستمر مريرها
وما النفس الا نطفة بقرارة   اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

فهذا كلام واضح وقول عذب وكذلك قوله أيضا

بنى دارم ان يفن عمرى فقد مضى   حياتى لكم منى ثناء مخلد
بدأتم فأحسنتم فأثنيت جاهدا   وان عدتم أثنيت والعود أحمد

٥ ومما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبى حية النميرى

رمتنى وستر الله بينى وبينها   عشية أرءام الكناس رميم (١)
الارب يوم لو رمتنى رميتها   ولكن عهدى بالنضال قديم (٢)

يقول رمتنى بطرفها وأصابتنى بمحاسنها ولو كنت شاباً لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن قد تطاول عهدى بالشباب فهذا كلام واضح (٣)

قال أبو العباس وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يدخل فى الكلام مالاحاجة بالمستمع اليه ليصحح به نظماً أو وزناً ان كان فى شعر أو ليتذكر به ما بعده ان كان فى كلام منثور كنحو ما تسمعه فى كثير من كلام العامة مثل قولهم ألست تسمع . أفهمت . أين أنت . وما أشبه هذا. وربما تشاغل العيى بفتل أصابعه ومس لحيته وغير ذلك من بدنه وربما تنحنح قال الشاعر يعيب بعض الخطباء فى شعره

(١) قيل فى ستر الله الاسلام وقيل فيه انه الشيب وقيل ما حرم الله عليهما
(٢) يرى الناس أنى اقد سلوت واننى   لمرمى أحناء الضلوع سقيم
(٣) قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس احمد بن يحيى البيتين عن عبد الله ابن شبيب . وروى عشية أحجار الكناس رميم . وزاد فيه

رميم التى قالت لجارات بيتها   ضمنت لكم ألايزال يهيم

والكناس والمكنس الموضع الذى تأوى اليه الظباء وجمع الكناس كُنُس وجمع المكنس مكانس ورميم اسم جارية مأخوذ من العظام الرميم وهى البالية وكذلك الرِّمة . والرُّمة القطعة البالية من الحبل وكل ما اشتق من هذا فاليه يرجع

ملىء ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل الاصابع

وقال رجل من الخوارج يصف خطيبا منهم بالجبن وأنه مجيد لولا أن الرعب أذهله

نحنح زيد وسعل لما رأى وقع الأسل
ويله اذا ارتجل ثم أطال واحتفل (١)

ومما يشا كل هذا المعنى ويجانس هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسرى فانه كان متقدماً فى الخطابة ومتناهيا فى البلاغة فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة فى عشرين رجلا فعطعطوا به فقال خالد أطعمونى ماء وهو على المنبر فعير بذلك فكتب به هشام اليه فى رسالة يوبخه فيها «قد ذكرت فى موضعها»

وعيره يحيى بن نوفل فقال.

لأعلاج ثمانية وعبد ائيم الأصل فى عدد يسير
هتفت بكل صوتك أطعمونى شرابا ثم بلت على السرير

فهذا عارض وقال آخر يعيره

بل المنابر من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد فى الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

٦ ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره قول أعرابى من بنى كلاب.

فمن يك لم يغرض فانى وناقتى بحجر الى أهل الحمى غرضان (٢)
تحن فتبدى ما بها من صبابة وأخفى الذى لولا الأسى لقضانى (٣)

---

(١) وقال رجل يصف رجلا من اياد بالعي كان أبوه خطيبا وخاله

جمعت صنوف العي من كل وجهة وكنت مليئا بالبلاغة من كثب
أبوك معم فى الكلام ومخول وخالك وثاب الجرائيم فى الخطب

(٢) هوى ناقتى خلفى وقدامى الهوى وانى واياها لمختلفان

(٣) أنشد صاعد بعدهما زيادة فيهما

فيا كبدينا أجملا قد وجدتما بأهل الحمى مالم يجد كبدان
اذا كبدانا خافتا وشك نية وعاجل بين ظلتا تجبان

يريد لقضى على فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج قال الله عزوجل (واذا كالوهم أووزنوهم يخسرون) والمعنى اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ألا ترى ان أول الآية الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم وقال الله تبارك وتعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) أى من قومه وقال الشاعر (١)

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به   فقد تركتك ذا مال وذا نشب

أى أمرتك بالخير ومن ذا قول الفرزدق

ومنا الذى اختير الرجال سماحة   وجودا اذا هب الرياح الزعازع

أى من الرجال فهذا الكلام الفصيح وتقول العرب أقمت ثلاثا ما أوذقهن طعاما ولا شرابا أى ما أذوق فيهن وقال الشاعر

ويوما شهدناه سليما وعامرا   قليلا سوى الطعن النهال نوافله (٢)

٧ قال أبو العباس ومما يستحسن ويستجاد قول أعرابى من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكان مملكا فنزل به أضياف فقام الى الرحى فطحن لهم فمرت به زوجته

---

(١) هو أعشى طرود واسمه اياس بن عامر

(٢ — رجع) قال أبو الحسن قوله لم يعرض أى لم يشتق يقال غرضت الى لقائك وحننت الى لقائك وعطشت الى لقائك وجعت الى لقائك أى اشتقت أخبرنا بذلك أبو العباس احمد بن يحيى عن ابن الاعرابى وأنشدنا عنه

من ذا رسول ناصح فمبلغ   عنى علية غير قول الكاذب

انى غرضت الى تناصف وجهها   غرض المحب الى الحبيب الغائب

التناصف الحسن وأما قوله لقضانى فانما يريد لقضى على الموت كما قال الله تبارك وتعالى فلما قضينا عليه الموت فالموت فى النية وهو معلوم بمنزلة مانطقت به فلهذا ناسب هذا قوله عز وجل واختار موسى قومه وكذلك قوله تعالى كالوهم فالشئ المكيل معلوم فهو بمنزلة ما ذكر فى اللفظ ولا يجوز مررت زيدا وأنت تريد مررت بزيد لانه لا يتعدى الا بحرف جر وذلك انه فعل الفاعل فى نفسه وليس فيه دليل

فى نسوة فقالت لهن أهذا بعلى فأعلم بذلك فقال (١)

تقول وصكت صدرها بيمينها أبعلى هذا بالرحى المتقاعس
فقلت لها لا تعجبي وتبيني بلائى اذا التفت على الفوارس
ألست أرد القرن يركب ردعه وفيه سنان ذو غرارين يابس
اذا هاب أقوام تجشمت هول ما يهاب حمياه الالد المداعس
لعمر أبيك الخير انى لخادم لضيفى وانى ان ركبت لفارس

قوله المتقاعس انما هو الذى يخرج صدره ويدخل ظهره ويقال عزة قعساء وانما هذا مثل اى لا تضع ظهرها الى الارض وقوله بالرحى المتقاعس لو أراد الذى يتقاعس بالرحى لم يجز لأن قوله بالرحى من صلة الذى والصلة من تمام الموصول فلو قدمها قبله لكان لحنا وخطأ فاحشا وكان كمن جعل آخر الاسم

على المفعول وليس هذا بمنزلة مايتعدى الى مفعولين فيتعدى الى أحدهما بحرف جر والى الآخر بنفسه لان قولك اخترت الرجال زيدا قد علم بذكرك زيدا ان حرف الجر محذوف من الاول فأما قول الشاعر وهو جرير وانشاد أهل الكوفة له وهو قوله

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم علىّ اذا حرام

ورواية بعضهم له .أتمضون الديار. فليسا بشىء لما ذكرت لك والسماع الصحيح والقياس المطرد لاتعترض عليه الرواية الشاذة أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير * مررتم بالديار ولم تعوجوا * فهذا يدلك على أن الرواية مغيرة فأما قولهم أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ولا شرابا * وقول الراجز

قد صبحت صبحها السلام * بكبد خالطها سنام * فى ساعة يحبها الطعام

يريد فى ساعة يحب فيها الطعام وكذلك الاول ومعناه ما أذوق فيهن فليس هذا عندى من باب قوله جل وعلا واختار موسى قومه الا فى الحذف فقط وذلك ان ضمير الظرف تجعله العرب مفعولا على السعة كقولهم يوم الجمعة سرته ومكانكم قمته وشهر رمضان صمته فهذا يشبه فى السعة بقولك زيد ضربته وما أشبهه وهذا بين

(١) قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبى محلم له يعنى السعدى .

قبل أوله ولـكنه جعل المتقاعس اسما على وجهه وجعل قوله بالرحى تبيينا بمنزلة لك التى تقع بعد قولك سقيا وبمنزلة بك التى تقع بعد مرحبا فان قدمتها قبـل سقيا ومرحبا فذلك جيد بالغ تقول بك مرحبا وأهلا وتقول لك حمدا ولزيد سقيا فأما قول الله عز وجل وانا على ذلـكم من الشاهدين وكذلك وقاسمهما انى لـكما لمن الناصحين فيكون تفسيره على وجهـين أحدهما أن يكون وانا ناصح لـكما وأنا شاهد على ذلـكم ثم جعل من الشاهدين ولمن الناصحين تفسيرا لشاهد وناصح ويكون على ما فسرنا يراد به التبيين فلا يدخل فى الصلة ويكون على مذهب المازنى وقال أبو العباس وهو الذى اختـار على أن الالف واللام للتعريف لا على معنى الذى الا ترى انك تقول نعم القائم زيد ولا يجوز نعم الذى قام زيد فانما هو بمنزلة قولك نعم الرجل زيد وهذا الذى شرحناه متصل فى هـذا الباب كله مطرد على القياس وقوله * ألست أرد القرن يركب ردعه * فانما اشتقاقه من السهم يقال ارتدع السهم اذا رجع الاصل فى السنخ ويقال ركب البعير ردعه اذا سـقط فدخلت عنقه فى جوفه فالكلام مشتق بعضه من بعض ومبين بعضه بعضا فيقال من هـذا فى المثل ذهب فـلان فى حاجتى فارتدع عنها أى رجع وكذلك فلان لا يرتدع عن قبيح والاصل ما ذكرت لك أولا ومثل هذا قولهم فلان على الدابة وعلى الجبل أى فوق كل واحد منهما ثم تقول فلان عليه دين تمثيلا وكذلك ركبـه دين وانما تريد أن الدين عـلاه وقهره وكذلك فلان على الـكوفة اذا كان واليا عليها وكذلك عـلا فلان القوم اذ اعـلاهم بأمره وقهرهم أو جعل فى هـذا الموضع . وقوله وفيه سنان ذو غرارين يابس فالغرار هاهنا الحد وللغرار مواضع قال أبو العباس وحدثنى الرياشى فى اسناده قال قال جبر ابن حبيب وذكر الراعى أخطأ الاعور قال ولم يعلم الحاكى عنه أن الراعى كان أعور الا من هذا الخبر فى قوله

فصادف سهمه أحجار قُفٍّ كسرن العير منـه والغرارا

وجبر بن حبيب هو المخطئ لان الغرار هاهنا هو الحد وذهب جبرٌ الى أنه المثال وقد يكون المثال وليس ذلك بمانعه من أن يحتمل معانى يقال بنوا بيوتهم على

غرار واحد أي على مثال واحد كما قال عمرو بن احمر الباهلي

وَضَمِن وكلهن على غرار هجان اللون قد وسقت جنينا (١)

ويقال لسوقنا درة وغرار أى نفاق وكساد فهذا معنى آخر وانما تأويل الغرار فى هذا المعنى الاخير أنه شئ بعد شئ ومن هذا غارَّ الطائر فرخه لانه انما يعطيه شيئا بعد شئ وكذلك غارَّت الناقة فى الحلب ويقال من هذا ما نمت الاغرارا قال الشاعر

ما أذوق النوم الا غرارا مثل حسو الطير ماء الثماد

فكشف فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه وقوله يهاب حمياه الألد المداعس. فأصل الحميا انما هى صدمة الشئ يقال فلان حامى الحميا ويقال صدمته حميا الكأس يراد بذلك سورتها وقوله الألد فأصله الشديد الخصومة يقال خصم ألد أى لا ينثنى عن خصمه قال الله عز وجل وتنذر به قوماً لدا كما قال بل هم قوم خصمون وقال مهلهل

ان تحت الاحجار حزماً وجودا وخصيما ألد ذا معلاق

ويروى مغلاق فمن روى ذلك فتأويله أنه يغلق الحجة على الخصم ومن قال ذا معلاق فانما يريد انه اذا علق خصما لم يتخلص منه وجعل السعدى الألد الذى لا ينثنى عن الحرب تشبيها بذلك والمداعس المطاعن يقال دعسه بالرمح اذا طعنه قال عمير بن الحباب السلمى

أنا عمير وأبو المغلس وبالقناة مازنى مِدعس (٢)

---

(١) الرواية عن أبي العباس وَضَمِن بفتح الضاد والواو والصحيح وضمن بضم الواو وكسر الضاد (٢) قال أبو الحسن تأويل قوله أى قول السعدى.

* أبعلى هذا بالرحى المتقاعس * بالرحى تبيين ولم يوضحه فان تقدير ما كان من هذا الضرب أنه اذا قال أبعلى هــذا بالرحى المتقاعس فان المتقاعس يدل على أن تقاعسا وقع فكأنه قال وقع التقاعس بالرحى ولم يرد أن يعمل المتقاعس فى قوله بالرحى لانه فى الصلة والصلة من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء فكما لايجوز أن يتقدم حروف الاسم بعضها على بعض لم يجز أن تتقدم الصلة على الموصول فأما قول الله عز وجل (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) وكذلك

٨ قال أبو العباس ومن سهل الشعر وحسنه قول طخيم بن أبى الطخماء الأسدى يمدح قوما من أهل الحيرة من بنى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ثم من رهط عدى بن زيد العبادى قال .

كأن لم يكن يوم بزورة صالح ... وبالقصر ظل دائم وصديق
ولم أرد البطحاء يمزج ماءها ... شراب من البروقتين عتيق
معى كل فضفاض القميص كأنه ... اذا ما سرت فيه المدام فنيق
بنو السمط والحداء كل سميدع ... له فى العروق الصالحات عروق

(وأنا على ذلكم من الشاهدين) فانه يكون على التبيين الذى قدمنا ذكره وهو قول البصريين أجمعين الا أن أبا عمر الجرمى أجاز أن يجعل لكما وعلى ذلكم معلقين بشيئين محذوفين دل عليهما من الناصحين ومن الشاهدين لان من مبعضة فكأنه قال والله أعلم وقاسمهما انى ناصح لكما من الناصحين وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين وأما اختياره وذكره أنه قول المازنى وجعله الألف واللام للعهد مثلهما فى الرجل وما أشبهه فان هذا القول غير مرضى عندى لانك اذا قلت نعم القائم زيد فجعلت الالف واللام كالالف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالانسان والفرس وما أشبهه فانه اذا كان هكذا دخل فى باب الاسماء الجامدة وهى التى لم تؤخذ من أمثلة الفعل وامتنع من أن يعمل مؤخرا الا على حيلة ووجه بعيد من التبيين الذى ذكرنا واذا كان فى التأخير لا يعمل بنفسه فكيف يعمل اذا تقدم عليه الظرف وهذا مستحيل لاوجه له . وأما انشاده . لا أذوق النوم الا غرارا . فان هذه أبيات أربعة أنشدناها عن الزيادى وذكر انه كان يستحسنها وهى لاعرابى قال

ما لعينى كحلت بالسهاد ... ولجنبى نابيا عن وسادى
لا أذوق النوم الا غرارا ... مثل حسو الطير ماء الثماد
أبتغى اصلاح سعدى بجهدى ... وهى تسعى جهدها فى فسادى
فتتاركنا على غير شىء ... ربما أفسد طول التمادى

وأما انشاده وضعن وكاهن على غرر . فان البيت لعمرو بن أحمر بن العمرد الباهلى

واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

قال أبو العباس أنشدني هذا الشعر أبو محلم ثم أنشدنيه رجل نصراني يكنى ابا يحيى شاعر من هؤلاء القوم الذين مدحوا به وذكر انه يذكر طخيما وهو يتردد اليهم ويظل عندهم قال هذا النصراني وهو رجل من بني الحداء قال أذكره وأنا صغير جدا والسلطان يطلبه لقوله . له في العروق الصالحات عروق . يقول أتقول هذا لقوم من النصارى وكان هذا النصراني قد قارب مائة سنة فيما ذكر وقوله معي كل فضفاض القميص يريد ان قميصه ذو فضول وانما يقصد الى ما فيه من الخيلاء كما قال زهير

يجرون الذيول وقد تمشت حميا الكأس فيهم والغناء

ويقال ان تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار في النار انما أراد معنى الخيلاء وقال الشاعر .

ولا ينسيني الحدثان عرضي ولا أرخي من المرح الازارا

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي تميمة الهجيمي اياك والمخيلة فقال يارسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال صلى الله عليه وسلم سبل الازار . والحديث يعرض لما يجرى في الحديث قبله وان لم يكن من بابه ولكن يذكر به قال أبو العباس روى لنا ان رجلا (١) من الصالحين كان عند ابرهيم بن هشام فأنشد ابرهيم قول الشاعر .

اذ أنت فينا لمن ينهاك عاصية واذ أجر اليكم سادرا رسني

فقام ذلك الرجل فرمى بشق ردائه وأقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ثم رجع على تلك الحال فجلس فقال له ابرهيم بن هشام ما بك فقال اني كنت سمعت هذا الشعر فاستحسنته فآليت ألا اسمعه الا جررت ردائي كما ترى كما سحب هذا الرجل رسنه . وأما الفنيق فانه الفحل وانما أراد خطرانه بذنبه من الخيلاء فشبه الرجل من هؤلاء اذا انتشى بالفحل وهو اذا خطر ضرب بذنبه يمنة وشأمة قال ذو الرمة .

---

(١) هو ابن أبي عتيق

وقربن بالزرق الجمائل بعــدما تقوب عن غربان أوراكها الخطر

٩ ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قول محيس بن أرطاة الاعرجى والاعرج الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لرجـل من بنى حنيفة يقال له يحيى وكان يصير الى امرأة فى قرية من قرى اليمامة يقال لها بقعاء

عرضت نصيحة منى ليحيى فقال غششتنى والنصح مر
وما بى ان أكون أعيب يحيى ويحى طاهر الاخـلاق بر
ولكن قد أتانى ان يحيى يقال عليـه فى بقعاء شر (١)
فقلت له تجنب كل شئ يعاب عليـك ان الحر حر .

فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه وقوله ان الحر حر انما تأويله ان الحر عـلى الاخلاق التى عهدت فى الاحرار ومثل ذلك أنا أبو النجم وشعرى شعرى أى شعرى كما بلغك وكما كنت تعهد وكذلك قولهم الناس الناس أى الناس كما كنت تعهـدهم (٢) وقوله فقلت له تجنب كل شى يعاب عليك كقول عمرو ابن العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك بن مروان فقال آخذ بثلاث تارك لثلاث آخذ بقلوب الرجال اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الامرين عليه اذا خولف تارك للمراء تارك لمقاربة اللئيم تارك لما يعتذر منه كقوله

تجنب كل شئ يعاب عليك ان الحر حر .

١٠ ومما يستحسن انشاده من الشعر لصحة معناه وجزالة لفظـه وكثرة تردد ضربه من المعانى بين الناس قول ابن ميادة لرياح بن عثمان بن حيان المرى وكلاهما من مرة غطفان يقوله فى فتنة محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن وكان أشار عليه بان يعتزل القوم فلم يفعل فقتل فقال ابن ميادة

أمرتك يارياح بأمر حزم فقلت هشيمة من أهل نجد
نهيتك عن رجال من قريش على محبوكة الاصلاب جرد

---

(١) قال أبو الحسن أنشدته عن الرياشى نقعاء وسألت رجلا من اهل اليمامة فصيحا من بنى حنيفة عن هذا فقال ماأعرفه الا بقعاء بالباء

(٢) قال أبو الحسن ومنه قول الله عز وجل (فغشيهم من اليم ما غشيهم)

ووجدا ما وجدت على رياح   وما أغنيت شيئاً غير وجدى

فقوله . فقلت هشيمة من أهل نجد . تأويله ضعفة وأصل الهشيم النبت اذا ولى وجف وتكسر فذرته الرياح يمينا وشمالا قال الله تعالى (فأصبح هشيما تذروه الرياح) والنجد أعالى الارض وقوله . على محبوكة الاصلاب جرد . فالمحبوك الذى فيه طرائق واحدها حِباك والجماعة حبك يقال لطرائق الماء حبك وكذلك الطرائق التى على جناح الطائر ومن ذلك قول الله تبارك و تعالى (والسماء ذات الحبك) (١)

١١ وقال رجل يهجو بلال بن البعير المحاربى (٢)

يقولون أبناء البعير وماله   سنام ولا فى ذروة المجد غارب
أرادت وذا كم من سفاهة رأيها   لأهجوها لما هجتنى محارب
معاذ الهى اننى بعشيرتى   ونفسى عن ذاك المقام لراغب (٣)

---

(١) قال أبو الحسن . ابن ميادة اسمه الرماح وأمه ميادة وأبوه أبرد وكان عاقا بأمه ولها يقول .

اعرنزمى مياد للقوافى   واستمعيهن ولا تخافى   ستجدين ابنك ذاقذاف

وأصل الاعرنزام التجمع والتقبض يقول استعدى لها وتهيئى
وأنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد له .

ونواعم قد قلن يوم ترحلى   قول المجد وهن كالمراح
ياليتنا من غير أمر فادح   طلعت علينا العيس بالرماح

فى أبيات له يعنى نفسه قال ابو الحسن وتمام الابيات

بينا كذاك رأيننى متعصبا   بالخز فوق جلالة سرداح
فيهن صفراء المعاصم طفلة   بيضاء مثل غريضة التفاح
ريشن حين أردن أن يرميننى   نبلا بلا ريش ولا بقداح
ونظرن من خلل الستور بأعين   مرضى مخالطها السقام صحاح

(٢) الرجل الرماح بن ميادة (٣) كان أبو العباس قد ذكر بين هذه القطعة وسابقتها صدرا من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم ثم عاد الى المقطعات كما كان وعد فنقلنا هذا الصدر الى مواضعه ووالينا المقطعات ليكون الباب خالصا لها . السباعى

١٢ وقال أبو الطمحان القيني (١)

وانى من القوم الذين هم هم اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كانوا مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه

١٣ وقال اياس بن الوليد يمدح قومه

انى وجدك من قوم اذا طلبوا بعد النسيئة دينا أحسنوا الطلبا
لا تحسبوا هجم أبياتي علانية ولا استلاب سلاحي ذاهبا لعبا
تبقى المعاير بعد القوم باقية ويذهب المال فيما كان قد ذهبا

وقال آخر .

ليسوا لعمرو غير تأشيب نسبة ولكن عمرا غيبته المقابر
اذا عيروا قالوا مقادير قدرت وما العار الا ما تجر المقادر

١٤ وقال رجل من بني نهشل بن دارم

اذا مولاك كان عليك عونا أتاك القوم بالعجب العجيب
فلا تخنع اليه ولا ترده ورام برأسه عرض الجبوب
فما لشافة من غير ذنب اذا ولى صديقك من طبيب

قوله * ورام برأسه عرض الجبوب * يريد الارض وهو اسم من أسمائها أنشدني التوزي لرجل من بني مرة يرثي ابنه

بني على عيني وقلبي مكانه نوى بين أحجار ورهن جبوب

وقوله فما لشافة يقول لبغض يقال شئفت الرجل أشأفه شأفة وشأفا مثل شعفاً وقد يقال في هذا المعنى شنفته قال الراجز

لما رأتني أم عمرو صدفت ومنعتى خيرها وشنفت

وقال آخر . ولم تداو غلة القلب الشنف .

---

(١) اسمه حنظلة بن الشرقي والطمحان فعلان من طمح بأنفه وبصره اذا تكبر والقين الحداد وكل صانع قين والقين أيضا مرضع القيد من البعير

١٥ وقال نبهان بن عكى العبشمى

يُقر بعينى ان أرى مَن مكانه ذرا عقدات الأبرق المتقاود
وان أرد الماء الذى شربت به سليمى وقد مل السرى كل واحد
وألصق أحشائى ببرد ترابه وان كان مخلوطا بسم الأساود(١)

قوله ذرا عقدات فالذروة من كل شئ أعلاه فذروة السنام أعلاه وذروة المجد أرفعه وأسناه ويقال فلان فى ذروة قومه اذا كان فى الموضع الرفيع منهم. وأما قول لبيد

مدمن يجلو بأطراف الذرا دنس الاسؤق عن عضب أفل

فانما يقول. هذا رجل يعرقب الابل لينحرها ثم يمسح ذرا أسنمتها بسيفه ليجلو ما عليه من دم الاسؤق وقوله عضب أى قاطع ومن ذلك رجل عضب اللسان وجعله أفل لكثرة ما يقارع به الحروب كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقوله عقدات فهو ما انعقد وصلب من الرمل الواحدة عِقدة والجمع عِقد وأعقاد وعَقِدات قال ذو الرمة لهلال بن أحوز المازنى يمدحه

رفعت مجد تميم يا هلال لها رفع الطراف على العلياء بالعمد
حتى نساء تميم وهى نازحة بقلة الحزن فالصمان فالعقد
لو يستطعن اذا ضافتك مجحفة وقينك الموت بالآباء والولد

---

(١) قال أبو الحسن رواية أبى العباس يُقر بعينى يريد يقرعينى ثم أتى بالباء توكيدا وقال لنا هكذا سمعته ويقال أقر الله عينه يقرها وقرت عينه تقر وقررت بالمكان أقر وقال الاصمعى قرت عينه من القر وهو البرد أى جمدت فلم تدمع وهو بحذاء سخنت عينه واجود مماروى عندى يَقر بعينى وهو الاصل والباء فى موضعها غير مؤكدة وقال قال أبو العباس الذى رويت وقد مل السرى كل واحد وهو المنفرد فى السير المتوحد به وروى غيره كل واجد أى عاشق وروى أيضا كل واخد وهو من الوخد والوخدان وهو السير الشديد والوخد المصدر والوخدان الاسم

وقوله الابرق فالابرق حجارة يخلطها رمل وطين يقال لتلك برقة ويقال أبرق وبرقاء يا فتى كما يقال الامعز والمعزاء وهي الارض الكثيرة الحصباء ومثل ذلك الابطح والبطحاء وهو ما انبطح من الارض فمن قال أبرق فانما أراد المكان ومن قال برقاء فانما أراد البقعة وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم ومن ذلك قولهم قدته أى جرته على استقامة وكذلك طريق منقاد وفلان قائد الجيش قال حاتم بن عبد الله الطائى يضرب هذا مثلا

ان الكريم من تلفت حوله   وان اللئيم دائم الطرف أقود

وقوله وان كان مخلوطا بسم الاساود يريد جمع أسود سالخ وجمعه على أساود لأنه يجرى مجرى الاسماء وما كان من باب أفعل اسما فجمعه على أفاعل نحو أفكل وأفاكل والأكبر والاكابر وكذلك كل ما سميت به رجلا تقول أحمد وأحامد وأسلم وأسالم فان كان نعتا فجمعه على فُعل نحو أحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن أسود اذا عنيت به الحية وأدهم اذا عنيت به القيد وأبطح اذا عنيت به المكان المنبطح وأبرق اذا عنيت به المكان مضارعة للاسماء لانها تدل على ذات الشئ وان كان فى الأصل نعتا تقول فى جمعها الأباطح والابارق والاداهم والاساود فان أردت نعتا محضا يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه قال جرير

هو القين وابن القين لا قين مثله   لفطح المساحى أو لجدل الاداهم

وقال الاشهب بن رميلة (١)

أسود شرى لاقت أسود خفية   تساقوا على حرد دماء الاساود

قوله على حرد يقول على قصد فاما قول الله عز وجل وغدوا على حرد قادرين فان فيه قولين أحدهما ما ذكرنا من القصد قال الشاعر

قد جاء سيل جاء من أمر الله   يحرد حرد الجنة المغله (٢)

وقالوا على حرد أى على منع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها

---

(١) قال أبو الحسن رميلة امه (٢) قال أبو حاتم هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره يعنى قطربا

وحاردت الناقة اذا منعت درها

١٦ قال أبو العباس وقال القتال الكلابى واسمه عبيد بن المضرحى

انا ابن اسماء أعمامى لها وأبى ... اذا ترامى بنو الاموان بالعار
لا أرضَع الدهر الا ثدى واضحة ... لواضح الخد يحمى حوزة الجار
من آل سفيان أو ورقاء يمنعها ... تحت العجاجة ضرب غير عوار
ياليتنى والمنى ليست بنافعة ... لمالك أو لحصن أو لسيار
طوال أنضية الاعناق لم يجدوا ... ريح الاماء اذا راحت بأزفار

قوله اذا ترمى بنو الاموان بالعار فالاموان جمع أمة وأصل أمة فعلة متحركة العين وليس شئ من الاسما على حرفين الا وقد سقط منه حرف يستدل عليه بجمعه أو بتثنيته أو بفعل ان كان مشتقا منه لان أقل الاصول ثلاثة أحرف ولا يلحق التصغير ما كان أقل منها فأمة قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم اموان كما علمنا أن الذاهب من أب وأخ الواو بقولهم أبوان وأخوان وعلمنا أن أمة فعلة متحركة بقولهم فى الجميع آمٍ فوزن هذا أفعل كما قالوا أكمة وآكم ولا تكون فعلة على أفعُل ثم قالوا اموان كما قالوا فى المذكر الذى هو منقوص مثله اخوان واستوى المذكر والمؤنث لان الهاء زائدة كما استويا فى فَعل الساكن العين تقول كلب وكلاب وكعب وكعاب كما تقول فى المؤنث طلحة وطلاح وجفنة وجفان وصحفة وصحاف ونظير فعَل من غير المعتل ورَل وورلان وبرق وبرقان وخرب وخربان وهو ذكر الحبارى والبرق الحمل ومن أنشد أُموان فقد غلط لانه يحتج بقولهم حمل وحملان وفلق وفلقان وهذا انما يحمل على ما كان معتلا مثله نحو أخ واخوان وقد روى أبو زيد أُخوان فالى هذا ذهبوا والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الضعيفة .وقوله لا أرضَع الدهر فهذا على لغته لان قيسا تقول رضِع يرضَع واهل الحجاز يقولون رضَع يرضِع وينشدون بيت عبد الله ابن همام السلولى على وجهين وهو

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ... ولكن حسن القول خالفه الفعل
وذموا لنا الدنيا وهم يرضِعونها ... أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

وبعضهم يقول يرضعونها وقوله لا أرضع الدهر الا ثدى واضحة يقول انما ترضعنى أمى وليست غير كريمة كما قال الاعشى

يا خير من يركب المطىَّ ولا يشرب كاسا بكف من بخلا

يقول انما تشرب بكفك ولست ببخيل ومثل هذا قول التيمى لنجدة بن عامر الحنفى الخارجى

متى تلق الحريش حريش سعد وعبادا يقود الدارعينا

تبين ان أمك لم تورك ولم ترضع أمير المؤمنينا

وقوله واضحة اى خالصة فى نسبها وليست بأمة وهذا توكيد لبيته الاول وقد أنشد بعضهم لواضح الجد والمعنى قريب . وقوله يحمى حوزة الجار أى مايحوزه يقال فلان مانع لحوزته أى لما صار فى حيزه . ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه قال للازد أربع ليست لحى بذل لما ملكت أيديهم ومنع لحوزتهم وحى عمارة لا يحتاجون الى غيرهم وشجعان لايجبنون . وقوله لمالك أو لحصن أولسيار فهؤلاء بيت فزارة . وبيوتات العرب فى الجاهلية ثلاثة فبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة . وبيت قيس بنوفزارة ومركزه بنو بدر . وبيت بكر بن وائل بنو شيبان ومركزه بنو ذى الجدين . وقوله طوال أنضية الاعناق فالنضىّ مركب النصل فى السنخ وضربه مثلا وانما أراد طوال الاعناق كما قال الاعشى

الواطئين على صدور نعالهم يمشون فى الدفنىّ والابراد

يريد السودد والنعمة ولم يخصص الصدور وانما أراد النعال كلها وقال الشاعر(١)

يشبّهون ملوكا فى تجلتهم وطول أنضية الاعناق واللمم(٢)

اذا بدا المسك يندى فى مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

وقوله بأزفار فالزفر الحمل ويضرب مثلا للرجل فيقال انه لزُفر أى حمال للاثقال ويقال أنى حمله فازدفره قال أبو قحافة أعشى باهلة

---

(١) هو الشمردل بن شُريك اليربوعى عن ابن قتيبة (٢) قال أبو الحسن وغيره يروى * يشبهون قريشا فى تجلتهم

أخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

وانما يريده بعينه كقولك لئن لقيت فلانا ليلقينك منه الاسد وقوله النوفل من قولهم انه لذو فضل ونوافل .

١٧ وقال رجل من بنى عبس (١)

لا تشتمني يا ابن ورد فانني تعود على مالى الحقوق العوائد

ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به خصاصة جسم وهو طيان ماجد

واني امرؤ عافى انائى شركة وأنت امرؤ عافى انائك واحد

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

قوله النؤوب يريد الذى ينوبه وكل واو انضمت لغير علة فأنت فى همزها وتركها بالخيار تقول فى جمع دار أدؤر وان شئت لم تهمز وكذلك النؤوب والقؤول لانضمام الواو فأما الواو الثانية فانها ساكنة وقبلها ضمة وهى مدة فلا يعتد بها ولو التقت واوان فى أول كلمة وليست احداهما مدة لم يكن بد من همز الاولى تقول فى تصغير واصل وواقد أو يصل وأويقد لا بد من ذلك فأما وجوه فان شئت همزت فقلت أجوه وان شئت لم تهمز قال الله عز وجل واذا الرسل أقتت والاصل وقتت ولو كان فى غير القرآن لجاز اظهار الواو ان شئت وقوله تعالى ماووري عنهما الواو الثانية مدة فلا يعتد بها ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو وقولى اذا انضمت لغير علة فالعلة أن تكون ضمتها اعرابا نحو هذا غزو يافتى ود لو كما ترى فهذا مما لا يجوز همزه لان الضمة للاعراب فليست بلازمة أو تنضم لالتقاء الساكنين فذلك أيضا غير لازم فلا يجوز همزه نحو اخشوا الرجل ولتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولترون الجحيم ومن همز من هذا شيئا فقد أخطأ

١٨ وقال رجل من بنى تميم

ألبان ابل تعلة بن مسافر ما دام يملكها علىّ حرام

وطعام عمران بن أوفى مثلها مادام يسلك فى البطون طعام

ان الذين يسوغ فى أعناقهم زاد يمن عليهم للئام

---

(١) قال أبو الحسن يقوله لعروة بن الورد

لعن الاله تعلة بن مسافر   لعناً يشن عليـــه من قدام (١)

وهذا كلام فصيح جدا. قوله يسوغ فى أعناقهم يريد حلوقهم لان العنق يحيط بالحلق ويشبه هذا فى الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القطامى

لم تر قوما هم شر لاخوتهم   منا عشية يجرى بالدم الوادى

نقريهم لهذميات نقـد بها   ما كان خاط عليهم كل زراد

لان الخياطة تضم خرق القميص والسرد يضم حلق الدرع فضربه مثلا فجعله خياطة

---

(١) قال أبو الحسن روى أبو العباس . وطعام عمران بن أوفى مثلها . رد الهاء والالف على الالبان وهذ لا نظر فيه وروى أيضا مثله لان الالبان تجرى مجرى اللبن فحمله على المعنى وقد يجوز أن تجعل الالبان جمعا فتذكر لتذكير الجمع . وروى أيضا . مادام يسلك فى الحلوق طعام . وروى الفراء فى هذا الشعر . ان الذين يسوغ فى أحلاقهم. وانما كان ينبغى أن يكون فى أحلقهم كقولك فلس وأفلس وما أشبهه ولـكنه شبه باب فعْل بباب فَعل كما قالوا زند وأزناد وفرخ وأفراخ قال الحطيئة لعمر رحمه الله تعالى

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ   حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ففعلوا هذا تشبيها بباب فَعل كما شبهوا فَعَلا بفعْل فى الجمع فقالوا جبل وأجبل وزمن وأزمن قال الشاعر

انى لاكنى بأجبال عن اَجبلها   وباسم أودية حبا لواديها

فأتى به على الاصل وتشبيها بغيره على ما أخبرتك وقال ذو الرمة

أمنزلتىْ مىّ سلام عليكما   هل الأزمن اللائى مضين رواجع

والباب أزمان كما قال رؤبة

أزمان لا أدرى وان سألت   ما فرق بين جمعة وسبت

وروى أبو العباس البيت الاخير مقوى وجعله نـكرة وهو قوله من قدامِ كما تقول جئتك من قبلٍ ومن بعدٍ ومن علٍ وما أشبهه كما قرأ بعضهم لله الامر من قبلٍ ومن بعدٍ وكما تقول أولا وآخرا ورواه الفراء من قدامُ وجعله معرفة وأجراه مجرى الغايات نحو قبلُ وبعدُ كما قال طرفة بن العبد

١٩ قال أبو العباس وقال القطامى

فمن تكن الحضارة أعجبته   فأى رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فان فينا   قنا صلبا وأفراسا حسانا
وكن اذا أغرن على قبيل   فأعوزهن كون حيث كانا
أغرن من الضباب على حلال   وضبة انه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا   اذا مالم نجد الا أخانا

قوله الحضارة يريد الامصار وتقول العرب فلان باد وفلان حاضر وفى الحديث ولا يبيعن حاضر لباد وتأويل ذلك أن البادى يقدم وقد عرف أسعار مامعه وما مقدار ربحه فاذا جاءه الحاضر عرفه سنة البلد فأغلى على الناس ومثل ذلك النهى عن تلق الجلب ومثله دعوا عباد الله يصب بعضهم من بعض. ويقال حى حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين وأنشد الاصمعى

أقوم يبعثون العير نجرا   أحب اليك أم حيٌّ حلال

﴿ الباب الثالث ﴾

« فى طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الامثال ومأثور الاخبار »

قال ابو العباس باب تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر

ثم تفرى اللجم من تعدائها   فهى من تحتُ مشيحات الحزُم

وكما قال عتيّ بن مالك العقيلى أنشده الفراء أيضا

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن   لقاؤك الا من وراءُ وراءُ

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف وجهة التعريف أن يكون معرفا بنفسه كزيد وعمرو أو يكون معرفا بالالف واللام أو بالاضافة فهذه جهة التعريف وهذا الضرب انما هو معرف بالمعنى فلذلك بنى اذ خرج من الباب . ويروى لعنا يسن عليه بالسين ويسن ويشن واحد أى يصب الا أن بعضهم قال السن الصب على جهة واحدة وقالوا يقال شننت عليه الماء وسننته وسننت عليه الدرع لاغير . وقالوا شننت عليه الغارة لاغير

الامثال ومأثور الاخبار ان شاء الله .

١ كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد بن عمرو يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه

٢ ولزياد يقول بن قيس الرقيات فى معاتبته المهلب بن ابى صفرة

أبلغا جارى المهلب عنى ... كل جار مفارق لا محاله
ان جاراتك اللواتى بتكريـ ... ـت لتنبيذ رحلهن مقاله
لو تعلقن من زياد بن عمرو ... بحبال لما ذممن حباله
غلبت أمه أباه عليه ... فهو كالكابلى أشبه خاله
ولقد غالى يزيد وكانت ... فى يزيد خيانة ومغاله
عتكى كانه ضوء بدر ... يحمد الناس قوله وفعاله

٣ وقال دعبل بن على الخزاعى يذم رجلا

رأيت أبا عمران يبذل عرضه ... وخبز أبى عمران فى أحرز الحرز
يحن الى جاراته بعد شبعه ... وجاراته غرثى تحن الى الخبز

وقال .

وابن عمران يبتغى عربيا ... ليس يرضى البنات للاكفاء
ان بدت حاجة له ذكر الضيـ ... ـف وينساه عند وقت الغداء

وقال أيضا .

أضياف سالم فى خفض وفى دعة ... وفى شراب ولحم غير ممنوع
وضيف عمرو وعمرو يسهران معا ... عمرو لبطنته والضيف للجوع

وقال

ما يرحل الضعيف عنى بعد تكرمة ... الا برفد وتشييع ومعذرة

وقال أيضا .

لم يطيقوا أن يسمعوا وسمعنا ... وصبرنا على رحى الاسنان
صوت مضغ الضيوف أحسن عندى ... من غناء القيان بالعيدان

٤ وقال آخر .

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم   واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقبس الجار منهم فضل نارهم   ولا تكف يد عن حرمة الجار(١)

٥ وقال زياد كفى بالبخيل عاراً أن اسمه لم يقع فى حمد قط وكفى بالجواد مجدا ان اسمه لم يقع فى ذم قط .

٦ وقال الحجاج البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد .

٧ وقال اسماء بن خارجة الفزارى لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا فانما هو كريم أسد خلته أو لئيم اشترى عرضى منه .

٨ وقال آخر

الا ترين وقد قطعتنى عذلا   ماذا من الفضل بين البخل والجود
لا يعدم السائلون الخير أفعله   اما نوالا واما حسن مردود
الا يكن ورق يوما اراح به   للخابطين فانى لين العود

قوله الا يكن ورق يريد المال وضرب به مثلا ويقال أتى فلان فلانا يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق فجعل الخابط الطالب والورق المال كما قال زهير

وليس مانع ذى قربى ولا رحم   ما ولا معدما من خابط ورقا

٩ ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفى يده عصا فقال الضيف يا راعى الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال عجراء من سلم فقال الرجل انى ضيف فقال الحطيئة للضيفان أعددتها .

١٠ وقال سهل بن هارون يجب على كل ذى مقالة ان يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها

١١ وكان يقول عند التعزية التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة .

---

(١) أظن تمامه .

حتى اذا استنبح الاضياف كلبهم   قالوا لامهم بولى على النار
قامت بأحرها تندى مشافره   كأنه رئة فى كف جزار

١٢ وأراد رجل الحج فأتى شعبة بن الحجاج يودعه فقال له شعبة أما انك ان لم تر الحلم ذلا والسفه أنفا سلم لك حجك .

١٣ وقال اويس القرنى ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما .

١٤ وكلم شمعل التغلبي عبد الملك كلاما لم يرضه فرماه عبد الملك بالجرز فخدش وهشم فقال شمعل ·

أمن جذبة بالرجل منى تباشرت عداتى فلا عيب على ولا سخر
فان أمير المؤمنين وسيفه لكا لدهر لا عار بما فعل الدهر

١٥ وقال رجل من طيء وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلا من بنى أسد يقال له زيد أيضا ثم أقيد به بعد فقال الطائى

علا زيدنا يوم الحما رأس زيدكم بأبيض مصقول الغرار يمان
فان تقتلوا زيدا بزيد فانما أقادكم السلطان بعد زمان (١)

١٦ وقال القرشى من بنى أمية

اذا ما وترنا لم نم عن تراتنا ولم نك أوغالا نقيم البواكيا
ولكننا نمضى الجياد شوازبا فنرمى بها نحو الترات المراميا

١٧ وقال جرير .

ان الذى حرم الخلافة تغلبا جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم ياخزر تغلب من أب كابينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم الىّ قطينا
ان الفرزدق اذ تحنف كارها أضحى لتغلب والصليب خدينا
ولقد جزعت الى النصارى بعد ما لقى الصليب من العذاب مهينا
هل تشهدون من المشاعر مشعرا أو تسمعون من الاذان أذينا

قال ابو العباس حدثنى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال . لما بلغ الوليد قوله

---

(١) قال ابو الحسن وأنشدناه غيره

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم بأبيض من ماء الحديد يمان

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة　　لو شئتُ ساقكم الىَّ قطينا

قال الوليد أما والله لو قال لو شاء ساقكم لفعلت ذاك له ولكنه قال لو شئت فجعلنى شرطيا له (١)

١٨ ويروى أن بلال قعد ينظر بين الخصوم ورجل منهم ناحية يتمثل قول الاخطل على غير معرفة

وابن المراغة حابس أعياره　　مرمى القصية ما يذقن بلالا

فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه قال له بلال أعد انشادك فغمزه بعض الجلساء فقال الرجل انى والله ما أدرى من قاله ولا فيمن قيل فقال بلال أجل هو أسير من ذاك هلما فاحتجا

١٩ وقال جرير

مررت على الديار فما رأينا　　كدار بين تلعة والنظيم

عرفت المنتأى وعرفت منها　　مطايا القدر كالحدأ الجثوم

٢٠ وقال آخر

لقد تبلت فؤادك اذ تولت　　ولم تخش العقوبة فى التولى

عرفت الدار يوم وقفت فيها　　بريح المسك تنفح فى المحل

﴿ الباب الرابع ﴾

وهو باب جامع ذكر فيه أبو العباس من كل شئ شيئا

أولا — تصديره ببعض ما قيل فى ضرورة استجمام النفس وترويحها

قال أبو العباس نذكر فى هذا الباب من كل شئ شيئا لتكون فيه استراحة للقارئ وانتقال ينفى الملل لحسن موقع الاستطراف ونخلط مافيه من الجد بشئ

---

(١) روى أبو العباس هذه الحكاية عن الوليد ورويت فى الاغانى عن أبيه عبد الملك وأنه قال لما بلغه هذا الشعر «مازاد ابن المراغة على أن جعلنى شرطيا الخ» والمراغة الاتان وهو لقب لجرير لقبه به الفرزدق . وذكر المراغة فى الرواية عن عبد الملك أدعى للحكاية بعد — السباعى

يسير من الهزل ليستريح اليه القلب وتسكن اليه النفس

١ قال أبو الدرداء رحمه الله انى لاستجم نفسى بالشئ من الباطل ليكون أقوى لها على الحق

٢ وقال على بن أبى طالب رحمه الله القلب اذا أكره عمى

٣ وقال ابن مسعود رحمه الله القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة

٤ وقال ابن عباس رضى الله عنه العلم اكثر من أن يؤتى على آخره فخذ من كل شئ أحسنه وليس هذا الحديث من الباب الذى ذكرنا ولكن نذكر الشئ بالشئ اما لاجتماعهما فى لفظ واما لاشتراكهما فى معنى

٥ وقال الحسن وليس من هذا الباب أيضا حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور واقدعوا هذه الانفس فانها طلعة وانكم الا تزعوها تنزع بكم الى شر غاية وقد مضى تفسير هذا الكلام

٦ وقال أزدشير بن بابك ان للآذان مجة وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما

٧ وكان أنو شروان يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء

٨ ويروى انه أصيب فى حكمة آل داود لا ينبغى للعاقل أن يخلى نفسه من واحدة من أربع من غدو لمعاد أو اصلاح لمعاش أو فكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده أو لذة فى غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث .

٩ وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوما يا أبت انك تنام نوم القائلة وذو الحاجة على بابك غير نائم فقال يا بنى ان نفسى مطيتى فان حملت عليها فى التعب حسرتها

قال أبو العباس تأويل قوله حسرتها بلغت بها أقصى غاية الاعياء قال الله جل وعز (ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) وأنشد أبو عبيدة

ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور

قوله فشطرها يريد قصدها ونحوها قال الله جل وعز (فول وجهك شطر المسجد

الحرام) وقال الشاعر

لهن الوجا لِمْ كن عونا على النوى ولا زال منها ظالع وحسير

يعنى الابل يقول هى المفرقة كما قال الآخر

ما فرق الالاّف بعـــد الله الا الابل

ولا اذا صاح غرا ب فى الديار احتملوا

وما غراب البين الا ناقـة أو جمل (١)

قال أبو العباس فمن قال آلف للواحد قال للجميع ألاّف كعامل وعمال وشارب وشراب وجاهل وجهال ومن قال ألف قال للجميع آلاف وتقديره عدل وأعدال وحمل وأحمال وثقل وأثقال

وقد أنصف الابل الذى يقول

ألا فرعى الله الرواحل انما مطايا قلوب العاشقين الرواحلُ

على أنهن الواصلات عرا النوى اذا ما نأى بالآلفين التواصل

وقال الآخر

أقول والهوجاء تمشي والفُضُل قطعتِ الاحداج أعناق الابل

الهوجاء التى تجد فى السير وتركب رأسها كأن بها هوجا كما قال

* لله در اليعملات الهوج * وكما قال الاعشى

وفيها اذا ماهجرت عجرفية اذا خلت حرباء الوديقة أصيدا

والفُضُل مشية فيها اختيال كأن مشيتها تخرج عن خطامها فتفضل عليه والاصل فى ذلك أن يمشى الرجل وقد أفضل من ازاره وتمشى المرأة وقد أفضلت من ذيلها وانما يفعل ذلك من الخيلاء ولذلك جاء فى الحديث فضل الازار فى النار وقال رسول الله صلى الله عليه لأبى تميمة الهجيمى اياك والمخيلة فقال يارسول الله نحن

(١) قال أبو الحسن وزادنى فيه غير أبى العباس

والناس يلحون غرا ب البين لما جهلوا

والبائس المسكين ما تطوى عليه الرحل

ويقال انه لأبى الشيص .

قوم عرب فما المخيلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبل الازار وقال الشاعر (١)

ولا ينسيني الحدثان عرضى ... ولا أرخى من المرح الازارا

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصارى .

تمشى الهوينا اذا مشت فضلا ... كأنه عود بانة قصف (٢)

قال أبو العباس وقال الوليد بن يزيد

أنا الوليد الامام مفتخرا ... أنعم بالى وأتبع الغزلا

أنقل رجلى الى مجالسها ... ولا أبالى مقال من عذلا

غراء فرعاء يستضاء بها ... تمشى الهوينا اذا مشت فضلا

ثانيا — الكناية فى الكلام وضروبها الثلاثة

قال أبو العباس . ثم نعود الى الباب

١ قال الراجز يعنى ابله او ناقته

ان لها لسائقا خدلجا ... لم يدلج الليلة فيمن أدلجا

الخدلج المدمج الساقين وانما عنى المرأة التى ساقه حبه اليها والكلام يجرى على ضروب فمنه ما يكون فى الأصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ومنه مايقع مثلا فيكون أبلغ فى الوصف

٢ والكناية تقع على ثلاثة أضرب .

« ١ » أحدها التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدى

أكنى بغير اسمها وقد علم الله ... خفيات كل مكتتم

وقال ذو الرمة استراحة الى التصريح من الكناية

أحب المكان القفر من أجل أننى ... به أتغنى باسمها غير معجم

وقال أحد القرشيين وهو محمد بن نمير الثقفى

وقد أرسلت فى السر أن قد فضحتنى ... وقد بحت باسمى فى النسيب وما تكنى

ويروى ان عمر بن عبدالله بن أبى ربيعة قال شعرا وكتب به بحضرة ابن أبى عتيق

---

(١) يقال انه قيس بن الخطيم (٢) قال أبو الحسن على بن سليمان ما نعرف هذا البيت أعنى تمشى الهوينا . الا لقيس بن الخطيم الانصارى

الى امرأة محرمة وهو

ألما بذات الخال فاستطلعا لنا   على العهد باق ودها أم تصرما
وقولا لها ان النوى أجنبية   بناو بكم قد خفت أن تتيمما

فقال له ابن أبي عتيق ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا الشعر قال فلما كان بعد مديدة قال له ابن أبي ربيعة أما علمت ان الجواب جاءنا من عند ذاك الانسان فقال له ما هو فقال كتبت

أضحى قريضك بالهوى نماما   فاقصد هديت وكن له كتاما
واعلم بأن الخال حين ذكرته   قعد العدو به عليك وقاما

«٢» ويكون من الكناية وذاك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش الى ما يدل على معناه من غيره قال الله وله المثل الاعلى «أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم» وقال «أولامستم النساء» والملامسة فى قول أهل المدينة مالك وأصحابه غير كناية انما هو اللمس بعينه يقولون فى الرجل تقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة ان وضوءه قد انتقض وكذلك المرأة . ومثله قولهم فى قضاء الحاجة جاء فلان من الغائط وانما الغائط الوادى قال عمرو بن معديكرب الزبيدى

فكم من غائط من دون سلمى   قليل الانس ليس به كتيع

وقال الله جل وعز فى المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما كانا يأكلان الطعام وانما هو كناية عن قضاء الحاجة وقال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وانما هى كناية عن الفروج وهذا كثير .

«٣» والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية وهو ان يعظم الرجل أن يدعى باسمه ووقعت فى الكلام على ضربين وقعت فى الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه وفى الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وانما يقال كنى عن كذا بكذا أى ترك كذا الى كذا لبعض ما ذكرنا وكان خالد بن عبد الله القسرى لعنه الله يلعن على بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر فيقول فعل الله على على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله

عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة وأبي الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول أكنيت فهذا تأويل هذا .

ثالثا — الغواني والهيام بهن

١ قال أبو العباس ثم نعود الى ذكر الباب وقال مروان بن أبي حفصة وهو مروان ابن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة واسم أبي حفصة يزيد

ان الغواني طالما قتلننا ... بعيونهن ولا يدين قتيلا
من كل آنسة كأن حجالها ... ضمن أحور فى الكناس كحيلا
أردين عروة والمرقش قبله ... كل أصيب وما أطاق ذهولا
ولقد تركن أباذؤيب هائما ... ولقد تبلن كثيرا وجميلا
وتركن لابن أبي ربيعة منطقا ... فيهن أصبح سائرا محمولا
الا أكن ممن قتلن فانني ... ممن تركن فؤاده مخبولا

قوله ولا يدين قتيلا يقال ودى يدى وكل ما كان من فعل مما فاؤه واو ومضارعه يفعل فالواو ساقطة منه لوقوعها بين ياء وكسرة وكذلك ماكان منه فعل يفعل لأن العلة فى سقوط الواو كسرة العين بعدها وقد مضى تفسير هذا ولكن فى يدين علة أخرى هى أن الياء التى هى لام الفعل بعد كسرة فهى تعتل اعتلال آخر يرمى واوله يعتل اعتلال واو يعد واحتمل علتين لان بينهما حاجزا ومثل ذلك وعى يعى ووقى يقى ووفى يفى ووشى يشى وونى فى أمره ينى وما أشبه ذلك ويقع فى فعل نحو ولى الامير الآن يلى فاذا أمرت كان الفعل على حرف واحد فى الوصل لاتصاله بما بعده تقول يا زيد ع كلاما وش ثوبا وتقول ل عمرا يازيد من وليت فاذا وقفت قلت له وشه وعه لا يكون الا ذلك لان الواو تسقط فتبتدئ بمتحرك فلا يحتاج الى ألف وصل فاذا وقفت احتجت الى ساكن تقف عليه فادخلت الهاء لبيان الحركة فى الاول ولم يجز الا ذلك ومن قال لك الفظ لى بحرف واحد غير موصول فقد سألك محالا لانك لا تبتدئ الا بمتحرك ولا تقف الا على ساكن فكانه قال لك الفظ لى بساكن متحرك فى حال وقوله ضمن يقال ضمن القبر زيدا وضمن القبر زيد كل صحيح فمن قال ضمن القبر زيدا فانما اراد

جعل القبر ضمين زيد ومن قال ضمن زيد القـبر فانما اراد جعل زيد فى ضمن القبر وينشد هذا البيت (١) على وجهين

وما غائب من غاب يرجى ايابه ولـكنه مَن ضُمن اللحدَ غائب

ومن روى . من ضمن اللحدُ فانه يريد مَن ضمنه اللحد وحذف الهاء من صلة من وهذا من الواضح الذى لايحتاج الى تفسير . وقوله أحور يعنى ظبيا وأهل الغريب يذهبون الى أن الحور فى العين شدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها والذى عليـه العرب انما هو نقاء البياض فعند ذلك يتضح السواد . وقد فسرنا الحور والحوارى والـكناس حيث تـكنس البقرة والظبية وهو أن تتخـذ فى الشجرة العادية (٢) كالبيت تأوى اليه و تبعر فيه فيقال ان رائحته أطيب رائحـة لطيب ماترتعى قال ذو الرمة .

اذا استهلت عليه غيبة أرجت مرابض العين حتى يأرج الخشب

كانه بيت عطـار يضمنه لطائم المسك يحويها وتنتهب

قوله غيبة هى الدفعة من المطر وعند ذلك تتحرك الرائحة والارج توهج الريح وانما يستعمل فى الريح الطيبة والعين جمع عيناء يعنى البقرة الوحشية وبها شبهت المرأة فقيل حور عين واللطيمة الابل التى تحمل العطر والبز لا تـكون لغير ذلك فيقول ضمن ظبيا أحور العين أ كحل وجعل الحجال كالـكناس وقال ابن عباس فى قول الله جل وعز (فلا أقسم بالخنس الجوار الـكنس) قال أقسم ببقر الوحش لانها خنس الانوف والـكنس التى تلزم الـكناس وقال غيره أقسم بالنجوم التى تجرى بالليل وتخنس بالنهار وهو الا كثر . وقوله أردين يقول أهلكن والردى الهلاك والموت من ذا والذهول الانصراف يقال ذهل عن كذا وكذا اذا انصرف عنه الى غيره (٣) قال كثير

صحا قلبه ياعز أوكاد يذهل وأضحى يريد الصرم أو يتدلل

---

(١) لابى حية النميرى (٢) نسبه الى عاد والمراد قدم العهد • السباعى

(٣) قال الله عز وجل (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أى تسلى عنه الى غيره وتنساه

وقوله ولقد تبلن كثيرا وجميلا . أصل التبل الترة يقال تبلى عند فلان قال حسان ابن ثابت .

تبلت فؤادك فى المنام خريدة تشفى الضجيع ببارد بسام

والخريدة الحيية وقوله ممن تركن فؤاده مخبولا يريد الخبل وهو الجنون ولو قال محبولا لكان حسنا يريد مصيدا واقعا فى الحبالة كما قال الاعشى .

فكلنا هائم فى اثر صاحبه دان وناء ومحبول ومحتبل

«والشيء يذكر بالشيء»

٢ قال أبو العباس وخبرت ان رجلا جافيا عشق قينة حضرية فكلمها يوما على ظهر الطريق فلم تكلمه فظن ان ذاك حياء منها فقال ياخريدة قد كنت أحسبك عروبا فما بالنا نمقك وتشنئينا فقالت يا ابن الخبيثة أتجمشنى بالهمز فالخريدة الحيية والعروب الحسنة التبعل وفسر فى القرآن على ذلك فى قوله عربا أترابا فقيل هن المحبات لازواجهن قال أوس بن حجر(١) * تصبى الحليم عروب غير مكلاح *

٣ وذكر الليثى أن رجلا أحب جارية ولم يكن يحسن مما يتوصل به الى النساء شيئا الا أنه كان يحفظ القرآن فكان يتوصل اليها بالآية بعد الآية فكان ان وعدته فأخلفته تحين وقت مرورها فقال (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) وان خرجت خرجة ولم يعلم بها انتظر تحينها فى أخرى فتلا (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) وان وشى به اليها واش كتب اليها (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة)

٤ وذكروا ان أبا القماقم بن بحر السقاء عشق جارية مدينية فبعث اليها ان اخوانا لى زارونى فابعثى الى برءوس حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك ففعلت فلما كان اليوم الثانى بعث اليها ان القوم مقيمون لم نفترق فابعثى الى بقلية جزورية وبقرية قدية حتى نتغداها ونصطبح على ذكرك فلما كان فى اليوم الثالث بعث اليها انا لم نفترق فابعثى الى بسنبوسك حتى نصطبح اليوم على ذكرك فقالت لرسوله انى رأيت الحب يحل فى القلب ويفيض الى الكبد والاحشاء وان حب

---

(١) ويقال عبيد بن الابرص . وقد لهوت بمثل الرئم آنسة .

صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة .

٥ وخبرت ان أبا العتاهية كان قد استأذن فى أن يطلق له ان يهدى الى أمير المؤمنين المهدى فى النيروز والمهرجان فأهدى فى احدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب فى حواشيه

نفسى بشئ من الدنيا معلقة الله والقائم المهدى يكفيها
انى لايأس منها ثم يطمعنى فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة اليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتى وخدمتى أتدفعنى الى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وقال املئوا هذه البرنية مالا فقال أبو العتاهية للكتاب أمر لى بدنانير فقالوا ماندفع ذلك ولكن انشئت أعطيناك دراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف فى ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يختلف مذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكرى صفحا .

٦ ودعت أبا الحارث جميز واحدة كان يحبها فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال جعلنى الله فداك لا أسمع للغداء ذكرا قالت أما تستحي أما فى وجهى ما يشغلك عن ذا قال لها جعلنى الله فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لايأكلان شيئا لبزق كل واحد منهما فى وجه صاحبه وافترقا .

٧ وأنشدت لاعرابى

وقد رابنى من زهدم أن زهدما يشد على خبزى ويبكى على جمل
فلو كنت عذرى العلاقة لم تكن سمينا وأنساك الهوى كثرة الاكل

٨ وقال اخر .

ذكرت ذكرة فاصطدت ضبا وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

٩ وقال ذو الرمة

ألم تعلمى يا مىّ أنا وبيننا مهاو لطرف العين فيهن مطرح
ذكرتك أن مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرئب وتسنح
من المؤلفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى فى لونها يتوضح

هى الشبه أعطافا وجيدا ومقلة ومية أبهى بعد منها وأملح
كأن البرى والعاج عيجت متونه على عشر نهى به السيل أبطح
لئن كانت الدنيا على كما أرى تباريح من ذكراك الموت أروح

قوله مها واحدتها مهواة وهو الهواء بين الشيئين ويقال لفلان فى داره مطرح اذا وصفها بالسعة يقال فلان يطرح بصره كذا مرة وكذا مرة وأنشد سيبويه

نظارة حين تعلو الشمس راكبها طرحا بعيني لياح فيه تحديد

اللياح البياض واللوح العطش واللوح الهواء والشادن الذى قد شدن أى تحرك وقوله تشرأب يقال اذا وقف ينظر كالمتحير قد اشرأب نحوى ويقال هو يسرح فى المرعى وقوله من المؤلفات يقال آلفت المكان أولفه ايلافا ويقال ألفته إلفا وفى القرآن لايلاف قريش ايلافهم وقرءوا الفهم على القصر وقوله الرمل النصب فيه أجود بالفعل ويجوز الخفض على شيء نذكره بعد الفراغ من هذا الباب ان شاء الله (١) وأصل الهجان الابيض والعطف ما انثنى من العنق قال تعالى ثانى عطفه ويقال للاردية المعطف واحدها عطاف لانها تقع على ذلك الموضع وفى الحديث ان قوما يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله وكان قائفا ليثبتهم فى قريش فقال اخرجوا بنا الى البقيع فنظر الى اكفهم ثم قال اطرحوا المعطف ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ثم أقبل عليهم فقال ليست بأكف قريش ولا شمائلها وأعطاهم فيمن هم منه . والجيد العنق والبرى الخلاخيل واحدتها برة وهى من الناقة التى تقع فى مارن الانف والذى يقع فى العظم يقال له الخشاش والعاج كان يتخذ مكان الاسورة قال جرير

ترى العبس الحولى جونا بكوعها لها مسكا من غير عاج ولا ذبل

العبس ما يتعلق من الابعار والبول باذناب الابل والوذح الذى يتعلق باطراف الالاء الشاء ويكون العبس فى أذناب الابل من البول اذا خثر والجون هاهنا الاسود وهو الاغلب فيه والكوع رأس الزند الذى يلى الابهام والكرسوع

(١) لم يذكر بعد شيئا ولعله يريد الخفض بالاضافة ولا يقدح فيها وجود اللام فى المضاف لانها فى المضاف اليه أيضا والاضافة هنا لفظية . السباعى

رأسه الذي يلي الخنصر والمَسَكة السوار والذبل شيء يتخذ من القرون كالاسورة ويقال سِوار وسُوار وإسوار قالت الخنساء. كانه تحتطي البرد إسوار. والعُشر شجر بعينه والابطح ما انبطح من الوادي يقال أبطح وبطحاء يافتى وأبرق وبرقاء وأمعز ومعزاء وهذا كثير والتباريح الشدائد يقال برَّح به وفي الحديث فأين أصحاب النهر قال لقوا بَرْحا والعرب لا تعرفه الا ساكن الراء قال جرير .

ماكنت أول مشعوف أضربه برْح الهوى وعذاب غير تفتير (١)

١٠ «رجع» وقال اعرابي

وحقة مسك من نساء لبستها شبابي وكأس باكرتني شمولهـا
جـديدة سربال الشباب كانها أباءة بردىّ سقتها غيولهـا
مخملة باللحم من دون خصرها تطول القصار والطوال تطولها

قوله باكرتني شمولها زعم الاصمعي ان الخمر انما سميت شمولا لان لها عصفة كعصفة الريح الشمال وقوله أباءة بردى الاباءة القصبة وجمعها الاباء قال كعب ابن مالك الانصاري .

من سره ضرب يُرَعبل بعضه بعضا كمعمعة الاباء المحرق

المعمعة صوت احراقه يقال سمعت معمعة القصب والقَوْصَرَّة في النار أي صوت احتراقها وانما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وما والاه ورقته قال حميد بن ثور الهلالي

لم ألق عمرة بعـد اذ هي ناشئ خرجت معطفة عليها مئزر (٢)
برزت عقيـلة أربع هادينها بيض الوجوه كانهن العُنْقُر (٣)

وفي هذا الشعر

ذهبت بعقلك ريطة مطوية وهي التي تهدى بها لو تنشر (٤)

(١) قال أبو الحسن وقد سمعنا من غير أبي العباس يقال لقيت منك برحا بالفتح ويقال لقي منه البُرَحين أي الدواهي الشداد التي تُبَرِّح (٢) العطاف الوشاح من النساء (٣) العنقر أصول القصب يقال عنقر وعنقُر (٤) قال أبو الحسن أنشدنيه ثعلب لو تشعر

فهممت ان اغشى عليهامحجرا   ولمثلها يغشى اليه المحجر

وقوله سقتها غيولها الغيل هاهنا الاجمة ومن هذا قولهم أسد غيل قال طرفة

أسـد غيـل فاذا ما شربوا   وهبوا كل أمون وطمر

وقـد أملينا جميع ما فى الغَيل والغِيل وقـوله تطول القصار والطوالِ تطولها طال يكون على ضربين أحدهما تقديره فَعُل وهو مايقع فى نفسه انتقالا لا يتعدى الى مفعول نحو ماكان كريما فكرم وما كان وضيعا ولقد وضع وما كان شريفا ولقد شرف وكان الشيء صغيرا فكبر وكذلك كان قصيرا فطال وأصله طوَل وقد أخبرنا بقصة الياء والواو اذا انفتح ما قبلهما وهما متحركتان وعلى ذلك يقال فى الفاعل فعيل نحو شريف وكريم وطويل فاذا قلت طاولنى فطلته أى فعلوته طولا فتقديره فَعَل نحو خاصمنى فخصمته وضاربنى فضربته وفاعله طائل كقولك ضارب وخاصم وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الربعة واذا مشى مع الطوال طالهم وقال رباح بن سنيح الزنجى مولى بنى ناجية وكان فصيحا يجيب جريراً لما قال جرير .

لا تطلبن خؤولة فى تغلب   فالزنج أكرم منهم أخوالا

فتحرك رباح فذكر اكثر من ولدته الزنج من أشراف العرب فى قصيدة مشهورة معروفة يقول فيها .

والزنج لو لاقيتهم فى صفهم   لاقيت ثم جحاجحا أبطالا

ما بال كلب بنى كليب سبهم   ان لم يوازن حاجبا وعقالا

ان الفرزدق صخرة عادية   طالت فليس تنالها الاجبالا

يريد طالت الاجبال فليس تنالها

رابعا — السر وما يتعلق به

١ قال أبو العباس فى المثل السائر قيل لرجل ماخفى قال مالم يكن وفى تفسير هذه الآية «يعلم السر واخفى» قال ماحدثت به نفسك كما قال تعالى «أو أكننتم فى أنفسكم» وتقديره فى العربية وأخفى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظم وانه لكالبقة أو أصغر ولو قال رأيت زيدا أو شبيها لجاز

لان فى الكلام دليلا ولكنه لو قال رأيت الجمل أو راكبا وهو يريد عليه لم يجز لانه لا دليل فيه فالاول انما قرب شيئا من شئ وهاهنا انما ذكر شيئا ليس من شكل ما قبله فأما قوله جل ثناؤه وهو أهون عليه ففيه قولان أحدهما وهو المرضى عندنا انما هو «وهو عليه هين» لان الله جل وعز لا يكون عليه شيء أهون من شيء آخر وقد قال معن بن أوس

لعمرك ما أدرى وانى لاوجل على أينا تغدو المنية أول

أراد وانى لوجل وكذلك يتأول ما فى الآذان الله أكبر الله أكبر أى الله كبير لانه انما يفاضل بين الشيئين اذا كانا من جنس يقال هذا أكبر من هذا اذا شاكله فى باب فاما الله أجود من فلان والله أعلم بذلك منك فوجهه بين لانه من طريق العلم والمعرفة والبذل والاعطاء . وقوم يقولون الله أكبر من كل شى وليس يقع هذا على محض الرؤية لانه تبارك وتعالى ليس كمثله شئ . وكذلك قول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

جائز أن يكون قال للذى يخاطبه أطول من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة كما قال الراجز

قبحتم يا آل زيد نفرا ألأم قوم أصغرا وأكبرا

يريد صغارا وكبارا فأما قول مالك بن نويرة فى ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة ابن الحارث بن شهاب ونخر بن أسد بذلك مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم .

نخرت بنو أسد بمقتل واحد صدقت بنو أسد عتيبة أفضل

فانما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلام وقد أبان ماقلنا فى بيته الثانى بقوله .

نخروا بمقتله ولا يوفى به مثنى سراتهم الذين نقتل

والقول الثانى فى الآية وهو أهون عليه عندكم لان اعادة الشئ عند الناس أهون من ابتدائه حتى يجعل شيئا من لاشئ .

٢ ثم نعود الى الباب قال زهير

ومهما تكن عندى امرئ من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم

فهذا مثل المثل الذى ذكرناه .

٣ وقال عمرو بن العاص اذا انا افشيت سرى الى صديقى فأذاعه فهو فى حل فقيل له وكيف ذاك قال انا كنت أحق بصيانته

٤ وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه   فليس على شىء سواه بخزان

٥ وأحسن ماسمع فى هـذا مايعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقائل يقول هو له ويقول آخرون قاله متمثلا ولم يختلف فى انه كان يكثر انشاده وهو

فلا تفش سرك الا اليـك   فان لـكل نصيـح نصيحا

وانى رأيت غواة الرجا   ل لايتركون أديما صحيحا

٦ وذكر العتبى أن معاوية أسر الى عثمان بن عنبسـة بن أبى سفيان حديثا قال عثمان فجئت الى أبى فقلت ان أمير المؤمنين أسر الىّ حديثا أفأحدثك به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار اليه فلاتجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت له أو يدخل هذا بين الرجل وأبيه فقال لا ولـكن أكره أن تذلل لسانك بافشاء السر قال فرجعت الى معاوية فذكرت ذلك له فقال معاوية أعتقك أخى من رق الخطأ .

٧ وقال معاوية أعنت على على رحمـه الله بأربع كنت رجلا أكتم سرى وكان رجلا ظُهرة وكنت فى أطوع جند وأصلحه وكان فى أخبث جند وأعصاه وتركته وأصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون على منـه وان ظفر بهم اعتددت بها عليه فى دينه وكنت أحب الى قريش منه فيالك من جامع الى ومفرق عنه وعون لى وعون عليه

٨ وقال أزدشير الداء فى كل مكتوم . قال الاخطل

ان العداوة تلقاها واذ قدمت   كالعُر يكمن حينا ثم ينتشر

٩ وقال جميل بن عبد الله بن معمر العذرى

ولا يسمعن سرى وسرك ثالث   ألا كل سر جاوز اثنين شائع

١٠ وقال أيضا .

اذا جاوز الاثنين سر فانه   بنث وافشاء الحديث قمين

وتأويل قمين وحقيق وجدير وخليق واحد أى قريب من ذاك هذه حقيقته يقال قمين وقمن وقمين فى معنى قال الحارث بن خالد المخزومى .

من كان يسأل عنا أين منزلنا   فالاقحوانة منا منزل قمن

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من باع داراً أو عقاراً فلم يردد ثمنه فى مثله فذلك مال قمن ألا يبارك فيه .

١١ وقال مسكين الدارمى

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم   على سر بعض غير أنى جماعها

يظلون فى الارض الفضاء وسرهم   الى صخرة أعيا الرجال انصداعها (١)

١٢ وقال آخر

سأكتمه سرى وأحفظ سره   ولا غرنى انى عليه كريم

حليم فينسى أو جهول يضيعه   ولا الناس الا جاهل وحليم

١٣ وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره ولم يبده لصديقه فيوشك أن يصير عدوا فيذيعه

١٤ وقال آخر

ولى صاحب سرى المكتم عنده   مخاريق نيران بليل تحرق

عطفت على أسراره فكسوتها   ثيابا من الكتمان لا تتخرق

فمن تكن الاسرار تطفو بصدره   فأسرار صدرى بالاحاديث تغرق

فلا تودعن الدهر سرك أحمقا   فانك ان أودعته منه أحمق

وحسبك فى ستر الاحاديث واعظا   من القول ما قال الاريب الموفق

«اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه   فصدر الذى يستودع السر أضيق»

١٥ وقال كعب بن سعد الغنوى .

ولست بمبد للرجال سريرتى   وما أنا عن أسرارهم بسئول (٢)

---

(١) لكل امرئ شعب من القلب فارغ   وموضع نجوى لا يرام اطلاعها

(٢) ولا أنا يوما للحديث سمعته   الى هاهنا من هاهنا بنقول

١٦ وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله (١) ان هذا الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عنى ثلاثا لايجربن عليك كذبا ولا تفشين له سرا ولا تغتب عنده أحدا فقيل لابن عباس كل واحدة منهن خير من الف دينار فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف

١٧ وقال بعض المحدثين .

لى حيلة فيمن ينمّ   وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو   ل فحيلتى فيه قليله

١٨ وقال آخر (٢)

ان النموم أغطى دونه خبرى   وليس لى حيلة فى مفترى الكذب

١٩ وقال بعض المحدثين .

كتمت الهوى حتى اذا نطقت به   بوادر من دمع تسيل على خدى
وشاع الذى أضمرت من غير منطق   كأن ضمير القلب يرشح من جلدى

٢٠ وقال الرقاشى

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق   كلاما تكلمنا باعيننا سرا
فنقضى ولم يعلم بنا كل حاجة   ولا نكشف النجوى ولا نهتك السترا

قال معاوية لعياش بن صحار العبدى ما أقرب الاختصار قال لمحة دالة وقيل خير الكلام ما أغنى اختصاره عن اكثاره

٢١ وقال بعض المحدثين

لا اكتم الاسرار لكن أنمها   ولا أدع الاسرار تغلى على قلبى
وان أحق الناس بالسخف لامرؤ   تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

٢٢ وقال آخر

وامنع جارتى من كل خير   وأمشى بالنميمة بين صحبى

---

(١) أوردته بباب الخطب والوصايا والمواعظ من الجزء الاول . السباعى
(٢) قال أبو الحسن هو أبو العباس المبرد .

٢٣ وقيل النمائم سهم قاتل

٢٤ وفى الحديث لا يراح القتات رائحة الجنة ويقال للنمام القتات

٢٥ وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث فقيل يارسول الله ومن المثلث فقال الذى يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه

٢٦ وقال معاوية للاحنف بن قيس فى شئ بلغه عنه فانكر ذلك الاحنف فقال له معاوية يلغنى عنك الثقة فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان الثقة لا يبلغ

٢٧ وقال أحد الماضين (١)

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا   شرا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

٢٨ وقال المهلب بن أبى صفرة أدنى خلال الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه

٢٩ ويقال للنكاح السر على غير وجهه وليس هذا من الباب الذى كنا فيه ولكن يذكر الشئ بالشئ وهذا حرف يغلط فيه لان قوما يجعلون السر الزنى وقوم يجعلونه الغشيان وكلا القولين خطأ انما هو الغشيان من غير وجهه قال الله تبارك وتعالى (ولكن لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا) فليس هذا موضع الزنى وقال الحطيئة

ويحرم سر جارتهم عليهم   ويأكل جارهم أُنف القصاع

وقال الاعشى لسلامة ذى فائش الحميرى

وقومك ان يضمنوا جارة   وكانوا بموضع أنضادها

فلن يطلبوا سرها للغنى   ولن يسلموها لأزهادها

وفى هذا قولان أحدهما أنهم لا يطلبون اجترارها اليهم على رغم أوليائها من أجل مالها غصبا للجوار ولا يسلمونها اذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة والآخر أنهم لا يرغبون فى ذوات الاموال انما يرغبون فى ذوات الأحساب اختيارا للاولاد وصيانة للاصهار أن يطمع فيهم من لا حسب له وقول الحطيئة * ويأكل جارهم أنف القصاع * انما يريد المستأنف الذى لم يؤكل قبل منه شئ

---

(١) وهو طريح بن اسماعيل الثقفى

يقال روضة أنف اذا لم ترع وكاس أنف اذا لم يشرب منها شيء قبل قال لقيط بن زرارة

ان الشواء والنشيل والرغف والقينة الحسناء والكأس الانف
للطاعنين الخيل والخيل خنف

خامساً — أحاديث يجر بعضها بعضا والحديث ذو شجون .

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا أن نخرج فيه من حزن الى سهل ومن جد الى هزل ليستريح اليه القارئ ويدفع من مستمعه الملال ونحن ذاكرون ذلك ان شاء الله تعالى

١ قال الخليع فى كلمة له يمدح بها عاصما الغسانى

أقول ونفسى بين شوق وحسرة وقد شخصت عينى ودمعى على خدى
أريحى بقتل من تركت فؤاده باحظته بين التأسف والجهد
فقالت عذاب فى الهوى قبل ميتة وموت اذا أقرحت قلبك من بعدى
لقد فطنت للجور فطنة عاصم لصنع الأيادى الغر فى طلب الحمد
سأشكوك فى الاشعار غير مقصر الى عاصم ذى المكرمات وذى المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا فتأمن نفسى منكم لوعة الصد

٢ وقال اسماعيل بن القاسم

ان السلام وان البشر من رجل فى مثل ما أنت فيه ليس يكفينى
هذا زمان ألح الناس فيه على زهو الملوك وأخلاق المساكين
أما علمت جزاك الله صالحة عنى وزادك خيرا يا ابن يقطين
أنى أريدك للدنيا وعاجلها ولا أريدك يوم الدين للدين

٣ وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلبى فى كلمة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم

ان أكن مهدياً لك الشعر انى لابن بيت تهدى له الاشعار
غير أنى أراك من أهل بيت ما على الحر أن يسودوه عار

وقال أيضا فى كلمة أخرى

واذا جدت فكل شىء نافع واذا حددت فكل شىء ضار
واذا أتاك مهلبى فى الوغى والسيف فى يده فنعم الناصر

وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير أشهده المهلب بن أبي صفرة قالوا لا كان المهلب في وجره الخوارج قال أفشهده عباد بن الحصين الحبطي قالوا لا قال أفشهده عبد الله بن خازم السلمي قالوا لا فتمثل عبد الله بن الزبير فقال :

فقلت لها عيثي جعار وجرري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

جعار اسم من أسماء الضبع وهي صفة غالبة لانه يقال لها جاعرة فهذا في بابه كفساق ولكاع وكحلاق للمنية وقد فسرنا هذا الباب مستقصى على وجوهه الاربعة (١) ويروى أن ابنة جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت له يوما

أهمام بن مرة حن قلبي الى اللائي يكن مع الرجال

فقال لها يا فساق أردت صفيحة ماضية فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي الى صلعاء مشرفة القذال

فقال يا فجار أردت بيضة حصينة فقالت :

أهمام بن مرة حن قلبي الى أير أسد به مبالي

قال فقتلها .

٤ وقال بكر بن النطاح في كلمة له يمدح فيها مالك بن على الخزاعي :

عرضت عليها ما أرادت من المنى لترضى فقالت قم فجئنا بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

فلو أنني أصبحت في جود مالك وعزته ما نال ذلك مطلبي

فتى شقيت أمواله بسماحه كما شقيت قيس بأرماح تغلب

٥ قال أبو العباس وقال أبو الشمقمق وهو مروان بن محمد وزعم التوزى عن أبي عبيدة أنه قال أبو الشمقمق ومنصور بن زياد ويحيى بن سليم الكاتب من أهل خراسان من بخارية عبيد الله بن زياد (٢) وكان أبو الشمقمق ربما لحن ويهزل كثيرا ويجد فيكثر صوابه قال يمدح مالك بن على الخزاعي ويذم سعيد بن سلم الباهلي

---

(١) بشرح قصيدة يحيى بن نوفل في هجو العريان بن الهيثم . السباعى

(٢) وبخارية قرية من قرى خراسان وبها كان عبيد الله بن زياد

قد مررنا بمالك فوجدنا ٭ جوادا الى المكارم ينمى
ما يبالى أتاه ضيف مخف ٭ أم أتته يأجوج من خلف ردم
فانتهينا الى سعيد بن سلم ٭ فاذا ضيفه من الجوع يرمى
واذا خبزه عليه سيكفيـ ٭ ـكهم الله ما بدا ضوء نجم
واذا خاتم النبى سليما ٭ ن بن داود قد علاه بختم
فارتحلنا من عند هذا بحمد ٭ وارتحلنا من عند هذا بذم

وقال فيهما أيضا

قال لى الناس زر سعيد بن سلم ٭ قلت للناس لا أزور سعيدا
وأميرى فتى خزاعة بالبصـ ٭ ـرة قد عمها سماحا وجودا
ولنعم الفتى سعيد ولكن ٭ مالك أكرم البرية عودا

فقال سعيد لوددت أنه لم يكن ذكرنى مع مالك وأنه أخذنى أمنيته وقال فى سعيد

هيهات تضرب فى حديد بارد ٭ ان كنت تطمع فى نوال سعيد
والله لو ملك البحار بأسرها ٭ وأتاه سلم فى زمان مدود
يبغيه منها شربة لطهوره ٭ لأبى وقال تيممن بصعيد (١)

٦ وقال مسلم بن الوليد يعرض به ويمدح يزيد بن مزيد :

ديونك لا يقضى الزمان غريمها ٭ وبخلك بخل الباهلى سعيد
سعيد بن سلم ألأم الناس كلهم ٭ وما قومه من بخله ببعيد
يزيد له فضل ولكن مزيدا ٭ تدارك منا مجده بيزيد
خزيمة لا بأس به غير أنه ٭ لمطبخه قفل وباب حديد

٧ وقال سعيد بن سلم عرض لى أعرابى فمدحنى فبلغ فقال :

ألا قل لسارى الليل لا تخش ضلة ٭ سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد ٭ جواد حثا فى وجه كل جواد

---

(١) ومثله قول الآخر

لو أن قصرك يا ابن يوسف كله ٭ ابر يضيق بها فضاء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة ٭ ليخيط قد قميصه لم تفعل

قال فتأخرت عن بره قليلا فهجانى فبلغ فقال

لكل أخى مدح ثواب يعده   وليس لمدح الباهلى ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة   فكان كصفوان عليه تراب

٨ وقال عبد الصمد بن المعذل يرثى سعيد بن سلم

كم صغير جبرته بعد يتم   وفقير نعشته بعد عدم
كلما عضت الحوادث نادى   رضى الله عن سعيد بن سلم

وقال يرثى عمرو بن سعيد بن سلم وكان عمرو هلك بعيد سعيد بيسير :

رزينا أبا عمرو فقلنا لنا عمرو   سيكفيك ضوء البدر غيبوبة البدر
وكان أبو عمرو معارا حياته   بعمرو فلما مات مات أبو عمرو

٩ وقال أمير المؤمنين الرشيد يوما لسعيد بن سلم يا سعيد من بيت قيس فى الجاهلية قال يا أمير المؤمنين بنو فزارة قال فمن بيتهم فى الاسلام قال يا أمير المؤمنين من شرفتموه قال صدقت أنت وقومك .

١٠ وحدثنى على بن القاسم بن على بن سليمان الهاشمى قال حدثنى رجل من أهل مكة قال رأيت فى منامى سعيد بن سلم فى حياته وفى نعمته وكثرة عدد ولده وحسن مذهبه وكمال مروءته قال فقلت فى نفسى ما أجل ما أعطيه سعيد ابن سلم فقال لى قائل وما ذخره الله له فى الآخرة أكثر وكان سعيد بن سلم اذا استقبل السنة التى يستأنف فيها عدد سنيه أعتق نسمة وتصدق بعشرة آلاف درهم فقيل لمدينى ان سعيد بن سلم يشترى نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم فقال اذن لا يبيعه

١١ وقال أحمد بن يوسف الكاتب فى ولد سعيد بن سلم .

أبنى سعيد انكم من معشر   لا يعرفون كرامة الاضياف
قوم لباهلة بن يعصر ان هم   نسبوا حسبتهم لعبد مناف
قرنوا الغداء الى العشاء وقربوا   زادا لعمر أبيك ليس بكاف
وكأننى لما حططت اليهم   رحلى نزلت بأبرق العزاف
بينا كذاك أتاهم كبراؤهم   يلحون فى التبذير والاسراف

١٢ وأنشدنى المازنى

سل الله ذا المن من فضله ولا تسألن أبا وائله
فما سأل الله عبد له فخاب ولو كان من باهله (١)

١٣ وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس

أباهل ينبحنى كلبكم وأسدكم كـكلاب العرب
ولو قيل للكلب يا باهلى عوى الكلب من لؤم هذا النسب

١٤ وحدثت أن اعرابيا لقى رجلا من الحاج فقال له ممن الرجل قال باهلى قال أعيذك بالله من ذلك قال اى والله وأنا مع ذلك مولى لهم فأقبل الاعرابى يقبل يديه ويتمسح به فقال له الرجل ولم تفعل ذاك قال لانى أثق بان الله عز وجل لم يبتلك بهذا فى الدنيا الا وأنت من أهل الجنة

١٥ وحدثنى على بن القاسم قال حدثنى أبو قلابة الجرمى قال حججنا مرة مع أبى جزء عمرو بن سعيد قال وكنا فى ذراه وهو اذ ذاك بهىّ وضىّ فجلسنا فى المسجد الحرام الى أقوام من بنى الحارث بن كعب لم نر أفصح منهم فرأوا هيئة أبى جزء واعظامنا اياه مع جماله فقال قائل منهم له أمن أهل بيت الخليفة أنت قال لا ولكن رجل من العرب قال ممن الرجل قال رجل من مضر قال أعرض ثوب المُلبَس (٢) من أيها عافاك الله قال رجل من قيس قال أين يراد بك صر الى فصيلتك التى تؤويك قال رجل من بنى سعد بن قيس قال اللهم غفرا من أيها عافاك الله قال رجل من بنى يعصر قال من أيها قال رجل من باهلة قال قم عنا قال أبو قلابة فأقبلت على الحارثى فقلت أتعرف هذا قال ذكر انه باهلى فقلت هذا أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير حتى عددت خمسة ثم قلت هذا أبو جزء أمير ابن عمرو وكان أميرا ابن سعيد وكان أميرا ابن سلم وكان أميرا ابن قتيبة وكان

---

(١) قال أبو الحسن وزادنى بعض أصحابنا .

(٢) ترى الباهلىّ على خبزه اذا رامه آكل آكله

قال أبو الحسن يقال للرجل اذا سئل عن شئ فأجاب عن غيره أعرض ثوب الملبَس أى أبدى غير مايراد منه .

أميرا فقال الحارثى الامير أعظم أم الخليفة فقلت بل الخليفة قال أفالخليفة أعظم أم النبى قلت بل النبى قال والله لو عــددت له فى النبوة أضعاف ماعددت له فى الامارة ثم كان باهلياً ماعبأ الله به شيئا قال فـكادت نفس أبى جزء تخرج فقلت انهض بنا فان هؤلاء اسوأ الناس آدابا

١٦ ويزعم الرقاشى أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاث لم ير مثله والى آلات لم يسمع بمثلها فأراد أن يرى الناس عظيم مافتح الله عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفى صحنها قدور ترتقى بالسلالم فاذا بالحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى قد أقبـل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبـد الله بن مسلم قال لقتيبة ائذن لى فى معاتبته قال لاترده فانه خبيث الجواب فأبى عبد الله الا أن يأذن له وكان عبدالله يضعّف وكان قد تسور حائطا الى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحضين فقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان قال أجـل أسن عمك عن تسور الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هى أعظم من أن لاترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو كان رآها سمى شبعان ولم يسم عيلان قال له عبد الله يا أبا ساسان أتعرف الذى يقول

عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل تجر خصاها تبتغى من تحالف

قال أعرفه وأعرف الذى يقول

وخيبة من يخيب على غنى وباهلة بن يعصر والركاب (١)

قال أفتعرف الذى يقول

كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع وقد عرقت أفواه بكر بن وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذى يقول

قوم قتيبة أمهم وأبوهم لولا قتيبة أصبحوا فى مجهل

قال أما الشعر فأراك ترويه ولـكن هل تقرأ من القرآن شيئا قال أقرأ منه الاكثر الاطيب (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) قال فأغضبه

---

(١) يريد ياخيبة من يخيب

فقال والله لقد بلغني ان امرأة الحضين حملت اليه وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي فيقال فلان ابن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك هذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة وكان الحضين بيده لواء على ابن أبي طالب رحمه الله على ربيعة وله يقول القائل .

لمن راية سوداء يخفق ظلها اذا قيل قدمها حضين تقدما

١٧ وللحارث بن وعلة يقول الاعشى وكان قصده فلم يحمده وعرج عنه الى هوذة بن على ذى التاج وهوذة من بنى حنيفة بن لجيم بن صعب ابن بكر بن وائل والحارث بن وعلة من بنى رقاش وهى امرأة وأبوهم مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بكر بن وائل فقال الاعشى يذكر الحارث بن وعلة وهوذة بن على

أتيت حريثا زائرا عن جنابة فكان حريث عن عطائى جامدا
اذا ما رأى ذا حاجة فكأنما يرى أسدا فى بيته وأساودا
لعمرك ما أشبهت وعلة فى الندى شمائله ولا أباه مجالدا
وان امرأ قدر زرته قبل هذه بجو لخير منك نفسا ووالدا
تضيفته يوما فقرب مجلسى وأصفدنى على الزمانة قائدا
وأمتعنى على العشا بوليدة فأبت بخير منك يا هوذ حامدا
فتى لو يبارى الشمس ألقت قناعها أو القمر السارى لألقى المقالدا
يرى جمع مادون الثلاثين قصرة ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

وهى كلمة قوله أتيت حريثا يريد الحارث وتصغيره على لفظه حويرث وهذا التصغير الآخر يقال له الترخيم وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغر حروفه الاصلية فتقول فى تصغير أحمد حميد لانه من الحمد وفى الحارث حريث لانه من الحرث وفى غضبان غضيب لانه من الغضب لان الالف والنون زائدتان وكذلك ذوات الاربعة تقول فى تصغير قنديل على لفظه قنيديل فان صغرته مرخما حذفت الياء فقلت قنيدل فعلى هذا مجرى الباب . وقوله عن جنابة يقول عن غربة وبعد

يقال هم نعم الحى لجارهم جار الجنابة أى الغربة يقال رجل جنب ورجل جانب أى غريب قال الله جل وعز والجار الجنب وقال الحطيئة

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا   فى آل لأى بن شماس بأكياس

وقال علقمة بن عبدة

فلا تحرمنى نائلا عن جنابة   فانى امرؤ وسط القباب غريب

فمن قال للواحد جنب قال للجميع أجناب كقولك عنق وأعناق وطنب وأطناب ومن قال للواحد جانب قال للجميع جنّاب كقولك راكب وركاب وضارب وضراب قالت الخنساء

ابكى أخاك لايتام وأرملة   وابكى أخاك اذا جاورت أجنابا

وان كان من الجنابة التى تصيب الرجل قلت رجل جنب ورجلان جنب وكذلك المرأة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جنبان وامرأة جنبة وقوم أجناب وقوله يرى أسدا فى بيته وأساودا . يريد جمع أسود سالخ وأسود هاهنا نعت ولكنه غالب فلذلك جرى هاهنا مجرى الاسماء لانه يدل على الحية وأفعل اذا كان نعتا بنفسه فجمعه فعْل نحو أحمر وحمر وأسود وسود واذا كان نعتا فأجرى مجرى الاسماء فجمعه أفاعل نحو أساود وأجادل وأداهم واذا أردت القيد لانه نعت غالب يجرى مجرى الاسماء وان أردت ادهم الذى هو نعت محض قلت دهم قال الاشهب بن رميلة

أسود شرى لاقت أسود خفية   تساقوا على حردماء الاساود

فأجراه مجرى الاسماء نحو الاصاغر والاكابر والاحامر . وقوله لعمرك ما أشبهت وعلة فى الندى شمائله فانه جعل شمائله بدلا من وعلة والتقدير ما أشبهت شمائل وعلة والبدل على أربعة أضرب فواحد منها أن يبدل أحد الاسمين من الآخر اذا رجعا الى واحد ولاتبالى أمعرفتين كانا أم معرفة ونكرة تقول مررت بأخيك زيد لان زيدا هو الاخ وكذلك مررت برجل عبد الله فهذا واحد . وآخر أن يبدل بعض الشئ منه نحو ضربت زيدا رأسه لما قلت ضربت زيدا أردت أن تبين موضع الضرب منه . فمثل الاول قول الله تبارك وتعالى اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله ولنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ومثل البدل الثانى قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا من فى موضع خفض لانها بدل من الناس ومثله الا أنه اعيد حرف الخفض قال الذين استكروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم. والبدل الثالث مثل ما ذكرنا فى البيت أبدل شمائله منه وهى غيره لاشتمال المعنى عليها ونظير ذلك أسألك عن زيد أمره لان السؤال عن الامر وتقول على هذا سلب زيد ثوبه فالثوب غيره ولكن به وقع السلب كما وقعت المسألة عن خبر زيد ونظير ذلك من القرآن يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه لان المسألة انما كانت عن القتال هل يكون فى الشهر الحرام وقال الشاعر (١)

ان السيوف غدوها ورواحها   تركت هوازن مثل قرن الاعضب

ويدل رابع لا يكون مثله فى القرآن ولا فى الشعر وهو أن يغلط المتكلم فيدرك غلطه أو ينسى فيذكر فيرجع الى حقيقة ما يقصد له وذلك قولك مررت بالمسجد دار زيد اراد أن يقول مررت بدار زيد فاما نسى واما غلط فاستدرك فوضع الذى قصد له فى موضع الذى غلط فيه . وقوله بجوفهى قصبة اليمامة وقوله تضيفته يوما انما هو تفعلته من الضيافة يقال ضفت الرجل أى نزلت به وأضافنى أى أنزلنى وقوله وأصفدنى يقول أعطاني وهو الاصفاد فالصفد الاسم والاصفاد المصدر قال النابغة * فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد * ويقال صفدت الرجل فهو مصفود من القيد ولا يقال فى القيد أصفدت ولكن صفدته صفدا واسم القيد الصفد قال الله عزوجل مقرنين فى الاصفاد كقولك جمل وأجمال وصنم وأصنام . وقوله فتى لو يبارى الشمس يقول يعارض يقال انبرى لى فلان اى اعترض لى فى هذا المعنى وفلان يبارى الريح من هذا أى يعارض الريح بجوده فهذا غير مهموز فأما بارأت الكرى فهو مهموز لانه من أبرأني وابرأته ويقال برأ فلان من مرضه وبرئ يا فتى والمصدر منها البرء فاعلم وبريت القلم غير مهموز والله البارئ المصور ويقال ما برأ الله مثل فلان مهموز وقولك البرية أصله من الهمز ويختار

---

(١) وهو الاخطل

فيه تخفيف الهمز ولفظ التخفيف والبدل واحد وكذلك يختار فى النبي التخفيف ومن جعل التخفيف لازما قال فى جمعه انبياء كما يفعل بذوات الياء والواو وتقول وصى وأوصياء وتقى واتقياء وشقى واشقياء ومن همز الواحد قال فى الجميع نباء لانه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وقال العباس بن مرداس السلمى

يا خاتم النبآء انك مرسل   بالحق كل هدى السبيل هداكا

وقوله او القمر السارى لالقى المقالدا . فأسكن الياء ضرورة وانما جاز ذلك لان هذه الياء تسكن فى الرفع والخفض فاذا احتاج الشاعر الى اسكانها فى النصب قاس هذه الحركة على الحركتين الضمة والكسرة الساقطتين فشبهها بهما فجعلها كالالف التى فى مثنى التى هى على هيئة واحدة فى جميع الاعراب قال النابغة

ردت عليه اقاصيه ولبده   ضرب الوليدة بالمسحاة فى الثأد

فأسكن الياء فى اقاصيه وقال رؤبة * كأن أيديهن بالقاع القرق * (١) وقال .

* سوى مساحيهن تقطيطُ الحقق * (٢)   وقال آخر

كفى بالنأى من اسماء كاف   وليس لحبها ما عشت شاف

وأما قوله . وأمتعنى على العشا بوليدة   فأبت بخير منك ياهوذ حامدا . فانه كان يتحدث عنه ثم اقبل عليه يخاطبه وترك تلك المخاطبة والعرب تترك مخاطبة الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد الى مخاطبة الغائب قال الله جل وعز (حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) كانت المخاطبة للامة ثم انصرفت الى النبى صلى الله عليه وسلم اخبارا عنهم وقال عنترة

شطت مزار العاشقين فأصبحت   عسرا علىّ طلابك ابنة مخرم

فكان يتحدث عنها ثم خاطبها ومثل ذلك قول جرير

وترى العواذل يبتدرن ملامتى   فاذا أردن سوى هواك عصينا

وقال الآخر .

---

(١) أيدى جوار يتعاطين الورق   (٢) ويروى تقطيط بالنصب وهو أجود لان بعده . تفليلُ ما قارعن عن سمر الطرق . والطرق جمع طرقة

فدى لك والدى وسراة قومى ومالى انه منه اتانى

وهذا كثير جداً وقوله يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة أى قليلا من الاقتصار ويروى ويغدو ويعدو جميعا . وكان هوذة بن على ذا قدر عال وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبها بالملوك وحدثنى التوزى عن ابى عبيدة قال ما تتوج معدى قط انما كانت التيجان لليمن قال فسألته عن قول الاعشى .

من ير هوذة يسجد غير متئب اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

فقال انما كانت خرزات تنظم له وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة كما كتب الى الملوك .

١٨ قال أبو العباس وكانت بنو حنيفة بن لجيم أصحاب اليمامة ويقول بعض النسابين ان عبيد بن حنيفة كان أتى اليمامة وهى صحراء فاختطها فجعل يركض حواليها ويخط برمحه فى الارض على ما أصاب من النخل وأنهم أكلوا ما أصابوا تحته من التمر فلما طلع لهم التمر بعد لم يهتدوا لصعود النخل فأقبلوا يجدّونه حتى فكروا فأعدوا له السلالم فلما عمرت اليمامة جعلت العرب تنتجعهم لموضع التمر فيجاورون العزيز منهم وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقطُ ممن كانوا ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هناك كانت لطسم وجديس والخبر فى ذلك مشهور بزرقاء اليمامة وقد ذكر ذلك الاعشى فى قوله

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها حقا كما نطق الذئبى اذ سجعا

قالت أرى رجلا فى كفه كتف أو يخصف النعل لهفى اية صنعا

وكذبوها بما قالت فصبحهم ذوآل غسان يزجى الموت والشرعا

وحدثنى التوزى عن ابى عبيدة والاصمعى عن ابى عمرو قال قال لى رجل من أهل القريتين أصبت هاهنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس تخففت السلطان فأخفيتها وقد ذكر ذلك زهير فى قوله

عهدى بها يوم باب القريتين وقد زال الهماليج بالفرسان واللجم

فاستبدلت بعدنا دارا يمانية ترعى الخريف فأدنى دارها ظلم

١٩ قال أبو العباس (١) وقرأت على عبد الله بن محمد المعروف بالتوزى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى التيمي قال . كانت السواقط ترد اليمامة فى الاشهر الحرم لطلب التمر فان وافقت ذلك والا اقامت بالبلد الى أوانه ثم تخرج منه فى شهر حرام فكان الرجل منهم اذا قدم يأتى رجلا من بنى حنيفة وهم أهل اليمامة اعنى بنى حنيفة ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمىّ ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار فيكتب له على سهم أو غيره فلان جار فلان والسواقط من ورد اليمامة من غير أهلها وقد كان النعمان بن المنذر أراد أن يجليهم عنها فأجارهم مرارة بن سُلمىّ الحنفى ثم أحد بنى ثعلبة بن الدول بن حنيفة فسوغه الملك ذلك فقال أوس بن حجر يحض النعمان عليه

زعم بن سلمى مرارة أنه　　　مولى السواقط دون آل المنذر
منع اليمامة حزنها وسهولها　　　من كل ذى تاج كريم المفخر

٢٠ وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بنى أبى بكر بن كلاب قدم اليمامة ومعه أخ له فكتب له عمير بن سلمى انه له جار وكان أخو هذا الكلابى جميلا فقال له قرين أخو عمير لا تردن أبياتنا باخيك هذا فرآه بعد بين أبياتهم فقتله قال أبو عبيدة وأما المولى فذكر أن قرينا أخا عمير كان يتحدث الى امرأة أخى الكلابى فمثر عليه زوجها فخافه قرين عليها فقتله وكان عمير غائبا فأتى الكلابى قبر سلمى أبى عمير وقَرين فاستجار به وقال (٢)

واذا استجرت من اليمامة فاستجر　　　زيد بن يربوع وآل مجمع
وأتيت سلميا فعذت بقبره　　　وأخو الزمانة عائذ بالامنع
أقرين انك لو رأيت فوارسى　　　بعمايتين الى جوانب ضلفع

---

(١) كان أبو العباس أورد هذه النبذة والتى بعدها فى موضع آخر من الكامل دون ان يتطلبها المكان الذى ذكرها فيه فآثرنا نقلهما هنا تتمة لاختلاط اليمامة وأخبار سواقطها . السباعى

(٢) قال أبو الحسن الأخفش قال أبو العباس قَرين ووجدته بخط دماذ صاحب أبى عبيدة قُرين

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع

فلجأ قرين الى قتادة بن مسلمة بن عبيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة فحمل قتادة الى الكلابى ديات مضاعفة وفعلت وجوه بنى حنيفة مثل ذلك فأبى الكلابى أن يقبل فلما قدم عمير قالت له أمه وهى أم قرين لا تقتل أخاك وسق الى الكلابى جميع ماله فأبى الكلابى أن يقبل وقد لجأ قرين الى خاله السمين ابن عبد الله فلم يمنع عميرا منه فأخذه عمير فمضى به حتى قطع الوادى فربطه الى نخلة وقال للكلابى أما اذ أبيت والا قتله فأمهل حتى أقطع الوادى وارتحل عن جوارى فلا خير لك فيه فقتله الكلابى ففى ذلك يقول عمير

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا وكان أبونا قد تجير مقابره

وقالت أم عمير

تعد معاذرا لاعذر فيها ومن يقتل أخاه فقد ألاما

قوله ولم تكن للغدر خائنة ولم يقل خائنا فانما وضع هذا فى موضع المصدر والتقدير ولم تكن ذا خيانة وقوله للغدر أى من أجل الغدر وقال المفسرون والنحويون فى قول الله عز وجل وانه لحب الخير لشديد أى لشديد من أجل حب الخير والخير هاهنا المال من قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية وقوله لشديد أى لبخيل والتقدير والله اعلم انه لبخيل من أجل حبه للمال تقول العرب فلان شديد ومتشدد أى بخيل قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

وقلما يجىء المصدر على فاعل فمما جاء على وزن فاعل قولهم عوفى عافية وفلج فالجا وقم قائما أى قم قياما كما قال والفرزدق . ولا خارجا من فى زور كلام . أى ولا يخرج خروجا وقد مضى تفسير هذا (١) والمغل الذى عنده غلول وهو ما يختان ويحتجن . ويستعمل مستعارا فى غير المال يقال غل يغل كقول الله عز وجل «ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة» ويقال أغل فهو مغل اذا صودف يغل أو نسب اليه

---

(١) فى أخبار الفرزدق بفصل الشعراء البساعى

ومن قرأ وما كان لنبي أن يغُل فتأويله أن يأخذ ويستأثر ومن قرأ يُغَل فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه ويكون وهو الذى نختار أن يخوّن فان قال قائل كيف يكون التقدير وقد قال ما كان لنبى أن يغل فيغل لغيره وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقوم عمرو فالجواب أنه فى التقدير على معنى ماينبغى لنبى أن يخون كما قال « وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله » ولو قلت ما كان لزيد أن يقوم عمرو اليه لكان جيدا للراجع اليه وكان جيدا على تقديرك ما كان زيد ليقوم عمرو اليه كما قلنا فى الآية . والاصبَع أفصح مايقال وقد يقال أصبَع وأصبِع وأصبُع وموضعها ههنا موضع اليد يقال لفلان عليك يد ولفلان عليك اصبع وكل جيد وانما يعنى ههنا النعمة . وأما قوله قتلنا أخانا للوفاء بجارنا فيكون على ضربين أحدهما ان يكون فخم نفسه وعظمها فذكرها باللفظ الذى يذكر الجميع به والعرب تفعل هذا ويعد كبرا ولا ينبغى على حكم الاسلام ان يكون هذا مستعملا الا عن الله عز وجل لانه ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى « انا أنزلناه فى ليلة القدر » و« انا أوحينا اليك » وكل صفات الله أعلى الصفات وأجلها فما استعمل فى المخلوقين على تلك الالفاظ وان خالفت فى الحكم فحسن جميل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الا ما وصفنا قبل من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار أو متكبر كان عليه عيبا ونقصا وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق وبعدهما من الصواب لانهما للمبدئ المعيد الخالق البارىء ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوعة وتطغيه الشبعة وتنقصه اللحظة وهو فى كل أموره مدبر وأما القول الآخر فى البيت وهو قتلنا اخانا فمعناه انه له ولمن شايعه من عشيرته وأما قولها ومن يقتل أخاه فقد ألاما . تقول أتى ما يلام عليه يقال ألام الرجل اذا تعرض لان يلام .

٢١ وقال جرير لبنى حنيفة

أبنى حنيفة نهنهوا سفهاءكم ... انى أخاف عليكم أن أغضبا

أبنى حنيفة اننى ان أهجكم ... أدع اليمامة لا توارى أرنبا

وقال يهجوهم

هجانى الناس م الاحياء كلهم حتى حنيفة تفسو فى مناحيها (١)
أصحاب نخل وحيطان ومزرعة سيوفهم خشب فيها مساحيها
ذلت وأعطت يدا للسلم صاغرة من بعد ما كاد سيف الله يفنيها
صارت حنيفـة أثلاثاً فثلثهم أضحوا عبيدا وثلث من مواليها

قوله مناحيها المنحاة مقام السانية على الحوض والحائط البستان وقوله من بعد ما كاد سيف الله يفنيها يعنى خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فى وقعته بمسيلمة الكذاب وللنسابين بعد هذا قول منكر .

٢٢ وقال عمارة بن عقيل يهجوهم أيضا

بل أيها الراكب الماضى لطيته بلغ حنيفـة وانشر فيهم الخبرا
أكان مسلمة الكذاب قال لكم لن تدركوا المجد حتى تغضبوا مضرا
مهلا حنيفة ان الحرب ان طرحت عليكم بركها أسرعتم الضجرا

البرك الصدر فاذا فتحت الباء ذكرت وان أردت التأنيث كسرت فقلت بركة قال الجعدى

ولوحا ذراعين فى بركة الى جؤجؤ رهل المنكب

وزعم الاصمعى أن زيادا كان يقال له أشعر بركا لانه كان أشعر الصدر وغير الاصمعى يزعم أن هذا كان يقال للوليد بن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية وذكروا أن عدى بن حاتم بن عبد الله الطائى قال يوما ألا تعجبون لهذا أشعر بركا يولى مثل هذا المصر والله مايحسن أن يقضى فى تمرتين فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر أنشد الله رجلا سمانى أشعر بركا الا قام فقام عدى بن حاتم فقال أيها الامير ان الذى يقوم فيقول أنا سميتك أشعر بركا لجرىء فقال اجلس يا أبا طريف فقد برأك الله منها فجلس وهو يقول والله ما برأنى الله منها .

٢٣ وكانت أم الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفان رحمهما الله وهى أروى بنت كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها البيضاء

(١) تعير بنو حنيفة بالفسو لان بلادهم بلاد نخل فيأكلونه ويحدث فى أجوافهم الرياح والقراقير

بنت عبد المطلب بن هاشم ومن ثم قال الوليد لعلى بن أبى طالب رحمه الله أنا ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمى من حيث تلقاه بأبيك وكان يقال للبيضاء بنت عبدالمطلب قبة الديباج واسمها أم حكيم ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أروى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبنى هاشم لهذا السبب حين قتل عثمان رحمه الله

بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بنى هاشم كيف الهوادة بيننا وعند علىّ درعه ونجائبه
هم قتلوه كى يكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

وهذا القول باطل وكان عروة بن الزبير اذا ذكر مقتل عثمان يقول كان على أتقى لله من أن يعين فى قتل عثمان وكان عثمان أتقى لله من أن يعين فى قتل على

٢٤ وقال الوليد بن عقبة يرثى عثمان رحمه الله

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجوبى الذى جاء من مصر
ومالى لا أبكى وتبكى أقاربى وقد حجبت عنا فضول أبى عمرو

٢٥ وقالت ليلى الاخيلية أنشدنيه الرياشى عن الاصمعى

أبعد عثمان ترجو الخير أمته وكان آمن من يمشى على ساق
خليفة الله أعطاهم وخولهم ما كان من ذهب جم وأوراق
فلا تكذب بوعد الله وارض به ولا توكل على شئ باشفاق
ولا تقولن لشئ سوف أفعله قد قدر الله ما كل امرئ لاق

٢٦ وأنشدنى الرياشى عن الاصمعي أيضا (١)

لعمر أبيك فلا تذهلن لقد ذهب الخير الا قليلا
وقد فتن الناس فى دينهم وخلى ابن عفان شرا طويلا

٢٧ ومثله قول الراعى

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ودعا فلم أر مثله مخذولا
فتفرقت من بعد ذاك عصاهم شققا وأصبح سيفهم مفلولا

قوله محرما يريد فى الشهر الحرام وكان قتل فى أيام التشريق رحمه الله

(١) قال أبو الحسن هذا الشعر لابى الغريرة الضبي.

٢٨ وقال آخر

ألا قل لقوم شاربى كاس علقم | بقتل امام بالمدينة محرم
قتلتم أمين الله فى غير ردة | ولا حد احصان ولا قتل مسلم
تعالوا فقاتونا فان كان قتله | لواحدة منها تحل لكم دمى
والا فأعظم بالذى قد أتيتم | ومن يأت مالم يرضه الله يظلم
فلا يهنئ الشامتين مصابه | فخظهم من قتله حرب جرهم

٢٩ وقال أيمن بن خريم بن فاتك الاسدى وكانت له صحبة

تفاقد الذابحو عثمان ضاحية | أى قتيل حرام ذَبَّحوا ذبحوا
ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم | يخشوا على مطمح الكف الذى طمحوا
فأى سنة جور سن أولهم | وباب جور على سلطانهم فتحوا
ماذا أرادوا أضل الله سعيهم | من سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا
فاستوردتهم سيوف المسلمين على | تمام ظمء كما يستورد النضح
ان الذين تولوا قتله سفها | لاقوا أثاما وخسرانا فما ربحوا

قوله ضحوا بعثمان انما أصله فعل فى الضحى قال زهير

ضحوا قليلا على كثبان أسنُمة | ومنهم بالقسوميات معترك

أى نزلوه ضحى ويقال بيتوا ذاك أى فعلوه ليلا قال الله جل وعز اذ يبيتون مالا يرضى من القول وأنشد أبو عبيدة

أتونى فلم أرض مابيتوا | وكانوا أتونى بأمر نكُر
لانكح أيمهم منذرا | وهل ينكح العبد حر لحر

قوله فى سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا أى فى صب ذاك الدم يقال سفحت دمه وسفكت دمه قال الله تبارك وتعالى الأ أن يكون ميتة أو دما مسفوحا وقوله على تمام ظمء فهذا مثل وأصل الظمء ان تشرب الابل يوما ثم تغب يوما لاترد الماء فما بين الشربتين ظمء فيكون الظمء يومين فيقال له الربع كما يقال فى الحمى لانهم يعتدون بيومى شربها والخمس أن تظمأ ثلاثة أيام والنضح الحوض والاثام الهلاك قال الله عز ذكره ومن يفعل ذلك يلق أثاما ثم فسر فقال يضاعف له العذاب

يوم القيامة ويخلد فيه مهانا فجزم يضاعف لانه بدل من قوله يلق أثاما اذ كان اياه في المعنى وأنشدنى أبو عبيدة

جزى الله ابن عروة اذ لحقنا عقوقا والعقوق من الاثام

وقوله على مطمح الكف يقول على رفعها وابعادها يقال طمح ببصره اذا ارتفع فأبعد النظر قال امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا

الخاتمـــــة

قد رأينا أن نختم التهذيب بما ختم به أبو العباس أصله «الكامل» كما صدرناه بمقدمته قال

هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه الا ما أذهل عنه النسيان فانه قلما يخلى من ذلك ونحن خاتموه بأشعار طريفة وآخر ذلك الذى نختم به آيات من كتاب الله عز وجل بالتوقيف على معانيها ان شاء الله

١ قال الشاعر

اذكر مجالس من بنى أسد بعدوا وحن اليهم القلب
الشرق منزلنا ومنزلهم غرب وأنى الشرق والغرب
من كل أبيض جل زينته مسك أحم وصارم عضب

٢ وقال آخر

حياة أبي العوام زين لقومه لكل امرئ قاس الامور وجربا
ونعتب أحيانا عليه ولو مضى لكنا على الباقى من الناس أعتبا

٣ وقال مسلم

حياتك يا ابن سعدان بن يحيى حياة للمكارم والمعالى
جلبت لك الثناء فجاء عفوا ونفس الشكر مطلقة العقال
وترجعنى اليك وان نأت بى ديارى عنك تجربة الرجال

٤ وقيل فى المثل المبالغة فى النصيحة تقع بك على عظيم الظنة

٥ وأنشدنى العباس بن الفرج الرياشى

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظنة المتنصح

٦ وأنشدنى الرياشى

اذا الامر أغنى عنك حنويه فاجتنب معرة أمر أنت عنه بمعزل

٧ وقال العتابى .

لا ترج رجعة مذنب خلط احتجاجا باعتذار

٨ وقال أيضا

وفيت كل خليل ودنى ثمنا الا المؤمل دولائى وأيامى

٩ وقيل للعتابى ما أقرب البلاغة قال ألا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع

١٠ وقال ابن يسير

اقدر لرجلك قبل الخطو منزلها فمن علا زلقا عن غرة زلقا

١١ وكان يقال اصمت لتفهم واذكر لتعلم وقل لتدلق

قال أبو العباس ونذكر آيات من القرآن ربما غلط فى مجازها النحويون

١٢ قال الله عزوجل «انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه» مجاز الآية أن المفعول الاول محذوف ومعناه يخوفكم من أوليائه

١٣ وفى القرآن «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» والشهر لا يغيب عنه أحد ومجاز الآية فمن كان منكم شاهدا بلده فى الشهر فليصمه والتقدير فمن شهد منكم أى فمن كان شاهدا فى شهر رمضان فليصمه نصب الظروف لا نصب المفعول به

١٤ وفى القرآن فى مخاطبة فرعون «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» فليس معنى ننجيك نخلصك ولكن نلقيك على نجوة من الارض ببدنك بدرعك يدل على ذلك لتكون لمن خلفك آية

١٥ وفى القرآن «يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم» فالوقف يخرجون الرسول واياكم أى ويخرجونكم لان تؤمنوا بالله ربكم

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ونستغفر الله مما قلناه من عمد وقصد وزلل وخلل

وافق تمام الطبع يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٤٢ - ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٢٣

السباعى بيومى